

# نورثة التعريب (1)

وخلق منهم قوة يخشى بأسها ودفعهم في سلم الحضارة صعدا ، فنحن حينما ندعو الى لغة القرآن المجيد ونسعى الى تفسيح العامية ، انما ندعو الى تحاب وتفاهم بين العرب . والتقاؤنا على الفصحى في جميع اعمالنا العلمية والادبية والفلسفية هو اول الطريق نحو وحدتنا المنشودة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وحدة الفكر والتفاهم اولا ، فهي التي تحدد شخصيتنا وتثبت اقدامنا في التطور الحضاري ضمن المجتمع الدولي المتقدم .

كل شعوبنا تنو الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ظماء وقلوب مثلهمة . وكل شعرائنا وكتابنا وارباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكل زعمائنا يتخذونها تكة سياسية ... وكلما حزبنا امر اودھتنا مصيبة او اعتدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضي الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة او الاتحاد او ما شئتم له من تسمية . اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة نكاد ندعي بأنها لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب وحسب ، بل ان نطقنا فيما اتفقنا عليه مختلف احيانا اختلافا يظن معه انه لغة اخرى .

من الثابت الذي لا شك فيه ان وحدة اللغة من اهم العوامل في تمكين وحدة الشعب وتقوية اواصره وشد عزمه على التآخي والتعاون ودفعه للسير قدما في مضمار التطور ومعارض التقدم . وكثيرا ما وقع بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعاني تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب واثارت سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

ولقد كان لنا في الجاهلية لهجات متباعدة تغالي بعض الهللاء فيسماها لغات كابي عمرو بن العلاء القائل : « ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا » ولولا اسواق العرب الدورية لما تقاربت هذه اللهجات فزالَت الفوارق وتروقت الالفاظ وتهذبت المعاني وتوضحت المصطلحات وسهل التفاهم وقامت اشباه اتحادات سياسية قبلية كانت ارهاصا للوحدة العربية التامة الشاملة التي انبثقت مع الاسلام ودعمها كتاب الله الكريم وانضجت لنا هذه الحضارة التي ما زلنا نفاخر بها حتى اليوم . فمنذ ذلك الوقت والعرب كلما مزقتهم الاحداث او فرقته المصائب وجدوا في الاسلام الذي وحدهم داعيا الى الصلح وفي القرآن الكريم الذي انضبطت لفته عليهم عليه اساسا للاتحاد والتفاهم . لقد جمعهم القرآن الكريم فالف بين قلوبهم ووحد صفوفهم

(1) استدعي الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله للحضور في « الملتقى الخامس للتعريف على الفكر الاسلامي » الذي انعقد بوهران ( الجزائر ) بين 20 و 30 يوليوز 1971 فشارك بهذه المحاضرة .



ولو رجعنا الى أصل هذه الممارك ودرسنا اسبابها الحقيقية لوجدناها سالكة سبلا متفرقة لكنها كلها ترمي الى هدف واحد . فالحركة اللاحادية تبعثنا عن عماد هذه اللغة وقطب رحاها ، تبعثنا عن كتاب الله الذي كان سبب وحدتنا وتقدمنا . فتمت تحللنا منه ونبذناه ضعفت لغتنا وضعفنا معها وتمزقنا وسهل على المستعمر ازدرادنا لقمة سائفة .

والحركة الداعية الى لاتينية الحرف ، تهدف الى قطع صلتنا بماضينا الحضاري والفكري ، وتفرغ مجتمعنا من الداخل تفريفا يجعله قابلا لان يملأ بما يريدونه لنا ، فنعود الى وهدة التبعية التي لم نتخلص منها الا بشق الانفس وتقديم ملايين الضحايا .

والحركة الداعية الى العامية تهدف الى تمزيقنا تمزيقا يباعد بين اقاليمنا فنغدوا شعوبا صغيرة متخاذلة لا تفاهم بينها ويتركنا صفارا ضعفاء متهاكين امام اي صيحة ونهات تحت كل ضربة .

إن معركتنا ايها السادة معركة شرسة طحون غير ان سلاحنا فيها ماض قوي لو عرفنا كيف نستخدمه ، ان ايماننا بسمو لغتنا وقدرتها على التطور ومساوقة اي لغة عالمية في اي علم من العلوم هذا الايمان لا يكفي وحده ، لا يكفي ان نتفنى بهذا الجمال وبهذه القدرة ، ونقف عند كتابة المقالات الضافية في تمجيدها ونظم القصائد الطوال في الثناء عليها وتقديرها .

ان اللغة الآن في محنة من أشد المحن ، تقاثل على جبهات متعددة بعضها خارجي وبعضها داخلي ، وتجتاح مآزق حاسمة في أعنف لحظاتها التاريخية ، فان لم تقف في وجه هذا التحدي بتحد أشد وأصلب، سقطت في هاوية لا مخرج لها منها . ان خصومها يخططون لتخريبها تخطيطا علميا بارعا ويدرسون ثم يصممون ويعملون ضمن برنامج معروف المبدأ معروف الأسلوب معروف النهائية ، ولا مناص لنا من خوض هذه المعركة بمثل سلاحهم ، اما التفاخر بالماضي والادعاء العاطفي والارتجال فأمور لا تجدي في معركتنا هذه فتىلا . يجب ان نشور ثورة عاقلة وان تكون اول ثوراتنا على انفسنا فنغير مناهجنا وسلوكنا وتكتيكنا ثم نحدد خطتنا ونعين هدفنا ونطلق بايمان لا تلتوي بعده مهما تعاورنا من محن او تأكدنا من عقبات . ان أهم معاركنا تدور في حومات ثلاث هي :

١ - معركة الحرف العربي وأصول الكتابة الطباعية

ومع هذا نجد بيننا من يدعو الى تعميق هذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربية الفصحى ويسميتها لغات . فهناك من يدعو الى العامية اللبنانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم في بيروت بعشرات الالوان وتوزع بالمجان تقريبا أو بثمن رمزي . وتكتب بحروف لاتينية ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها نحو اربع مئة دولار وهي جائزة مستمرة تدفع في مطلع كل شهر للفائز الاول في تخريب الفصحى ، فيتهافت كثير من الشبان عليها طامعين بها وفي يد كل منهم معوله يضرب به في اساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركنا حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبنانية العشرات ، وهم يسمونها اللغة الفنية أحيانا ويدعون بأنهم ورثة فنيقية التي كانت قائمة في لبنان قبل نحو ثلاثة آلاف عام . والناس العقلاء الطيبون يتساءلون : من أين يأتي هذا الداعية الفقير بالمال لينفقه في هذه السبيل ؟

ونجد بيننا من يدعو الى كتابة الاغاني والحوار القصصي والمسرحي والسيناريو السينمائي باللهجات العامية ، وتقام للدعوة الى ذلك مناظرات صحفية وندوات وتؤلف الكتب وتنشأ المقالات وتفتح المجلات المصورة لها صدورها وترحب بها .

ونجد بيننا من يدعي بان اللغة العربية ضعيفة قاصرة لا تستطيع مجازاة التطور الحضاري والعلمي المعاصر ، ويرون الخير في تركها واهمالها وتدريس العلوم بأي لغة أجنبية سواها .

وليت الامر اقتصر على الضجيج في الصحف والندى وحدها ، ليت وقف عند هذا الحد اذن لهان الامر وقلنا : حسينا الله في بعض شواذ الناس ومتنطعهم ، اما ان يحمل هذه الدعوى عضو مجمعي فيدعو فيه الى نبذ الحروف العربية نبذا قاطعا واستخدام الحروف اللاتينية مكانها توطئة لتقريبنا من الحضارة الاوربية على حد زعمه فأمر يدعو الى كثير من التعجب .

ونجد بيننا من يدعو الى تحطيم قواعد الفصحى وتكسير اساليبها وتدمير بلاغتها وتمزيق شعرها ونثرها وهجر أوزانها الموسيقية العذبة ، ويتغالون في استخدام المجازات والاستعارات والكنيات البعيدة ويسموننا رمزية ويستخدمون الالفاظ في غير ما وضعت له ويسموننا سريالية حتى عمي على قارئ العربية فهم ما يقصدون فكانهم يكتبون لغة أخرى لا صلة بيننا وبينها الا صور الحروف وحسب .

ب - معركة العامية

ج - معركة التعريب .

وما عدا ذلك فتبع لها أو مشتق منها أو متعاون معها . وسنعرضها بشيء من إيجاز لتركيز البحث عليها إذا شئتم وما أمرها بخاف عنكم .

١ - الحرف العربي :

يقيسون الحرف العربي في الطباعة على الحرف

الفرنجي فيقولون :

ان رصف صفحة بالخط الفرنجي يعادل في الزمن رصف صفحة بالخط العربي ، ومعنى ذلك انه بينما يصف عامل المطبعة الفرنجي حروف صفحتين لا يستطيع زميله العربي ان يصف اكثر من صفحة واحدة ، ويعيون الحروف الفرنجية في لوحة الرصف لا تزيد على التسعين لان كل حرف منها وحدة قائمة بذاتها يمكن رصه في اول الكلمة او وسطها او آخرها ونقله من مكان الى آخر بمنتهى السهولة ، اما الحرف العربي فتختلف صورته باختلاف موقعه من الكلمة ، فالعين مثلا في كلمة « عدل » الواقعة في اول الكلمة لا تشبه العين الواقعة في وسطها مثل « يعود » او في آخرها موصولة مثل « سميع » او في آخرها مفصولة مثل « سماع » وهناك حروف تتصل بسابقتها وبلاحقها وحروف تتصل بسابقتها ولا تتصل بلاحقها مثل « الواو » وهناك الهمزة في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها فقد تعتلي متن الالف او تركب ظهر الواو او تجلس على كرسي او تنفرد وحدها . . . وهناك المدد والشدة والتنوين . . . وهناك الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وهكذا تتزايد العيون اللازمة للحرف العربي حتى تبلغ سبع مائة عين او اكثر . فاذا احتاج العامل الفرنجي الى شهرين ليتقن صناعة صف الحرف ، فلن يقل الزمن اللازم لزميله العامل العربي عن ستة اشهر ولهذا اختصروا فدعوا الى اتخاذ الحرف اللاتيني وراوا فيما ابتدعه مصطفى كمال اتا تورك للغة التركية مثالا يحتذى . ونسوا ان :

١ - اللغة التركية لغة حديثة غير ذات امجاد حضارية وما فيها من نفائس الكتب مترجم اكثره عن العربية وان اللغة التركية وليدة جديدة ما زالت في دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلثها من اللغة العربية والثلث الثاني من الفارسية والطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوربية الحديثة .

٢ - وانا لو بدلنا حرفنا هذا واتخذنا الحرف اللاتيني مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وامجادنا والتبديل يحوجنا الى زمن طويل جدا وجهد

جبار وبذل مليارات من الدنانير الذهبية ، وهو امر تعجز عنه ميزانيات البلاد العربية مجتمعة .

٣ - وعجزنا عن اعادة طبعها كلها يدعوننا الى اهمال كثير منها والى الانقطاع انقطاعا تاما عن مخطوطاتنا الفميسة وهي لا تقل عن مليونين وفيها من النفائس ما لا تقابله مخطوطات اي لغة اخرى في العالم اليس في مغامرتنا هذه ضياع كنوز فكرية لا تقدر بمال الدنيا !!

٤ - وقد ثبت الآن ان الحرف العربي حرف مثالي في جمال تكوينه وشكله وتنوعه والثوائه واستوائه وتعميجاته واختصاره ، وان الصفحة الواحدة من الكتاب العربي لو كتبت بالحرف اللاتيني لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه باقل من مائتي صفحة بالحرف اللاتيني وما جدوى كل هذا التبذير !!

٥ - ان تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاهها سريعا نحو اللوينتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هو العدول بالتدريج عن أسلوب الرصف الحرفي واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربي لا يخرج عن شكله ولا يبعده عن اصله ولا يزيد قوالبه على المائة ، (2) واهتمت جامعة الدول العربية بهذه المشكلة وتبنت بحثها ومناقشتها ودعت الى ندوة خاصة بذلك تعقد وشيكا واستدرجت لها كل المعنيين بها وقدم المغرب مشروعا ممتازا لا يزيد فيه قوالب الحروف عن التسعين مع جميع ملحقاتها من همزات وشدات ومدات وحروف اجنبية لا ينطقها العرب . والامل قريب بتوفيق الجامعة الى حل مشكلة الحرف حلا سريعا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة « الآلة الكاتبة » وفي المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية ويفقد خصومنا معركة .

ب - معركة العامية :

يحتج الداعون الى العامية بعجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس وتصوير اللامحات العاطفية والامثال الدارجة في كل قطر . وبأن الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلم اي لغة اجنبية سواها ، فخير له ان يدرس لغة اجنبية يتابع فيها دروسه العالية من بعد في مواطن العلم ، ويقتصد بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد والمصروف !!

١ - ونسي هؤلاء الداعون او تناسوا ان في تقوية اللغة العامية اضعافا للغة الفصحى وتوهينا

(2) راجع نماذج من هذا الخط الجديد في غير هذا المكان .

العربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطالحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما تلفظها نحن في العربية . وكتب المستشرقين والمستعربين وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بامثال ذلك . فهل تكون اقل منهم دراية ؟ ! ومتى تمت الموافقة على الحرف العربي الجديد والمصطلحات الجديدة في ندوة جامعة الدول العربية العتيدة ، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر .

2 - ان التجربة العلمية الناجحة التي قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سائرة على نهجها الى اليوم تنفي دعواهم نفيا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم في جميع مراحل من دور الحضارة حتى نهاية الجامعة وخربجو جميع الفروع من علمية ورياضية وطبيية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون عن زملائهم في اي دولة راقية .

والخطوة الجبارة الشجاعة التي خطتها الجمهورية الجزائرية هذا العام نحو التعريب ، لم تقدم عليها الا بعد بحث وتمحيص واستقصاء ، وستؤتي اكلها وتصبح نموذجا آخر حيا في العالم العربي يرد به على دعاة التخريب على ان هذا لا يتعارض ووجوب التضلع من اللغات الاجنبية تدعيما للتعلم العلمي والفكري على الصعيد العالمي .

3 - ان الكرامة القومية تقتضي بان ندرس في جامعاتنا بلفتنا القومية ، نفعل كما تفعل جميع الامم التي تحترم نفسها وتقدر قيمة لوجودها وتثبت عزمها على فرض شخصيتها والمساهمة في حقل الحضارة والانسانية ، فالامم حتى الصغيرة منها كالباينا وبلغاريا تاتي ان تدرس في جامعاتها بغير لفتها القومية بل هذه اسرائيل سارقة فلسطين من العرب تدرس في جامعتها جميع العلوم والفنون باللغة العبرية مع ان لغتها لم تتجدد الا في مطلع هذا القرن . افنمجز نحن عن وضع لفتنا في مكانها المرموق ؟ هذه اللغة التي حملت امانة الحضارة طوال القرون الوسطى ومنحتها جميع المصطلحات الانسانية والعلمية والتقنية كالطب والهندسة والموسيقى والفلك والرياضيات والفلسفة . . لم تعجز عنها في عصور كانت وسائل التواصل الفكري بين البلاد شبه بدائية . افنمجز عنها اليوم ونرميها بالعقم ونحن في عصر النور والكهرباء والذرة واللاسلكي والفضاء ؟ ! ان اجدادنا لم يجبنوا امام تيار الحضارة بل اخذوا واعطوا وترجموا ونحتوا

لعزمها وخلقوا لعدد من الشعوب تبادا عربية اقليمية ثم لا تزال تتباعد مع الزمن وتوالي الاجيال حتى تنتهي الى شعوب نبطية ضعيفة متهاكمة لصغرها امام القوى الكبرى فتتهون على الاعداء وما اكثرهم ويلحق العرب بالشعوب البائدة التي اهملت نفسها واحتقرت لغتها ولم تخدمها واستعارت لغة سواها لثقافتها وتعاملها فذابت فيها ولم يبق لها ذكر يذكر . اين البابليون والاشوريون والسومريون والفتيقيون والقحطانيون والسريريان ؟ ! .. انظنون انهم قد بادوا بأشخاصهم ، وان اصولهم قد اجتثت من الحياة اجتثاتا ؟ كلا .. ان بقاياهم ما زالت تعيش بيننا ولكن من يعرفها ومن يحترمها ومن يقيم لها وزنا وما قيمتها في الحضارة ؟ !

2 - والغريب ان يتجه العالم كله نحو التكتل ليصون نفسه بقوة اعظم وهؤلاء يدعون الى التمزق والتصاغر والضعف والتهالك فاي جناية اعظم منها ؟

3 - ونحن لا نرى ضيرا في بقاء العامية لغة للتعامل اليومي على شرطين هما :

1 - ان يبعد بينها وبين الادب شعره ونثره فنجلو عن الصحف والمجلات المصورة والقصص والمسرحيات وما شاكلها .

ب - ان يسمى السمي الحثيث لتفصيلها (3) وتقريبها من اللغة القوية بحيث تصبح الشقة بينهما اقرب ما يمكن حتى يسهل التفاهم بين العالم ورجال الشارع بغير كبير عناء ، وعلى اي حال فان امر ذلك كله بين ايدي قادة الفكر العربي والمعلمين والمدرسين في جميع مراحل التعليم .

### ج - التعريب :

قالوا بان اللغة العربية لغة قديمة اصبحت عاجزة عن مجاراة التطور المصري قاصرة عن مجاراة اللغات الحية في العلوم . وقالوا : ان في حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية في التسميات العلمية امثال En V.U.G. ... وما شاكلها . وقالوا : ان الفكر العلمي المعاصر يخلق في كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 - ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها اسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة ، فهل في لغة من لغات العالم الحي حرف ( ح ) او ( ع ) مثلا . وهل في الفرنسية حرف ( ق ) ، ماذا فعل

(3) راجع في غير هذا المكان بحثا حول تفصيل العامية .

الثقافة الإسلامية كخريجي الأزهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين . وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الأجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك أن مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في البلاد الراقية ، وقام بإحصاء دقيق للمصطلحات والمدرجات الواردة في جميع الكتب المدرسية وجردها فكتشف أمرا عجيبا وهو أن مجموع مدرجاتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع في ذهن التلميذ الأجنبي ألف وخمس مائة مصطلح (4) . ومعنى ذلك أن مستوى إدراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الأجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذنا في ملاحقة المدرجات العلمية في المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية في مستوى منخفض .

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى إعادة النظر في الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضي شامل وسيلحقه قريبا بمعجم لدروس الأشياء استكمالا للمفاهيم الإنسانية في الأطفال أي دعا الى ثورة عميقة في أول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هي الا صدى للمناهج وكان ذلك أول أعماله ثم التفت الى المصطلح المعرب فوجد أن حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتا بعيدا كذلك . فبينما تغفل الاستعمار في بعض البلاد الى أعماق مجتمعها وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من أصولها ونشر لفته بكل وسيلة حتى أصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف في مواطن سواها على السطح فحفظت لفتها وثقافتها نوعا ما . ورأى المكتب أن حاجة القسم الأخير الى تفصيل عاميته أشد من محاربة الدخيل فيه، أما القسم الأول فهو في أشد الحاجة الى تفصيل عاميته ومحاربة الدخيل على لفته في وقت معا . ولذلك أصدر سلسلة كتيبات منذ عام 1963 عنوانها « قل ولا تقل » بلغ تعداد الفاظها أكثر من ألف وجعل من عام 1971 عام محاربة الدخيل واتصل بجميع الدول العربية لتزويده بما تحتاج الى تفصيله أو تصحيحه وهو مستعد لتقديم خدماته بكل سرعة ودقة . وكانت أول الدول العربية اهتماما بهذا المشروع هي الجمهورية الجزائرية . وأول الهيئات العلمية التي أيدته هي اليونسكو .

واشتقوا وعربوا وطاوعتهم اللغة مطاوعة عجيبة ، وكان لهم جامعاتهم في بغداد وفاس وقرطبة ومصر ودمشق وتونس . وسيطرت لفتنا على ثقافة تلك القرون حتى لقد تشكى بعض الكرادلة والبابوات من إهمال المسيحيين المثقفين اللغة اللاتينية واتخاذهم اللغة العربية مكانها !!

لكن كيف ندرس نحن في جامعاتنا بلفتنا القومية إذا لم نقيم على قاعدة من العربية الصحيحة في المدارس الابتدائية والثانوية أولا ؟ ! من هنا نبدا . يجب أن نهى لتلاميذنا كتبنا في العلوم والفنون بحيث لا ينقصهم من المدرجات العلمية والفنية شيء . يجب أن نعد لهم كتبا موحدة المصطلحات لينشأ الجيل الصاعد موحد التفكير موحد النظر الى الأمور العامة ، موحد الاتجاه في لب الحضارة المعاصرة . وكيف نوحده هذه المصطلحات ؟ ومن يعمل على هذا التوحيد ؟ لقد كانت تجربة سوريا درسا سويا ناجحا لو اقتصر الأمر على سوريا وجدها . إما وقد درجت بعض الدول العربية في بعض كلياتها الجامعية على سبيلها كالعراق والأردن ومصر والجامع اللغوية فيها تعمل بجهد وإخلاص ، ولكن كل واحد منها يعرب ويصحح منعزلا عن الآخر ، وفي كل بلد علماءه وفقويوه وأساتذته ، ولكل منهم وجهة نظر وجهية ، فكيف نربط بينهما جميعا ؟ !

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية في الرباط عام 1961 وأقرروه ومنحوه ثقتهم . ثم تبنت الجامعة وضمته اليها فأصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

### كيف يعمل مكتب التعريب ؟ :

إن إيجاد هذا المكتب عمل ثوري في حد ذاته . أنه ثورة هادئة عميقة معقولة ، أنه ثورة مدروسة مخطط لها إنطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الى هدف واضح معروف . . . ولأحظ المكتب هذه الفوضى في التعريب ورأى كيف يوضع للمصطلح الواحد أكثر من مرادف معرب أحيانا وعرف أن من أهم الأسباب في ذلك اختلاف أثر الثقافات الغربية في العلماء العرب فبعضهم تأثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والأردن ومصر وأن بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن

(4) سبق للأستاذ أحمد الأخضر غزال أن قام بإحصاءات موفقة في هذا المجال .

الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة ومعجم الرياضة واللعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلي ومعجم الاطعمة وسواها ...

وها نحن نضع امامكم العدد الثامن من مجلتنا ( اللسان العربي ) في ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها بأكثر من سبع مائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالمجان تقدمها ولا تتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا في البحث . وستصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة معروضة على الإيجديتين العربية والفرنجية . ونحن ساعون الى اصدارها بأكثر من هذه اللغات واتخذنا الاجراءات اللازمة لتنفيذها قريبا وهي كما ترون على نوعين :

- 1 - تقنية : كمعجم ابتترول والميكانيكاوغرافي
  - 2 - علمية : كالكيمياء والفيزياء والجيولوجيا
- وبذلك نساهم مجتمعين في الثورة الثقافية المنشودة . ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصاله والعمل المجدي .
- ايها السادة نحن في معركة لا هواده فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، تنتاشها من كل جانب ، والشعب العربي في حال توفر يريد منا ان يعمل شيئا ما لحفظ كيانه ، واللغة عامل مهم جدا في تثبيت هذا الكيان وابرار شخصيته وفي دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام . ولا بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة في تبسيط قواعد اللفة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر أولا وقبل كل شيء بمناهج التعليم وبالكتب والمؤلفات التي توضع بين ايدي التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية او الى الحروف اللاتينية .

ان اللفة كائن حي تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدي الدائب . ونحن في مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبرائنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم في اي دولة عربية . نخدم لغتنا متحدين متآزرين لخدمتنا في ثورتنا الثقافية وتحررنا العقلي وتثبيت كياننا الفكري . نعطيهما فتعطينا ، وما خاب من اتكل على الله وسعى .

ان النخبة المثقفة في البلاد العربية على العموم وفي المغرب على الخصوص ، متأثرة بقدرة المصطلحات الاجنبية العلمية على الدقة في التعبير والتصوير للمدرك العلمي والتقني فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضوي المتنافر ولا المتعدد المتكرر او الناقص في دقته واحكامه ، وهي على حق في هذا لانها ترى الفكر العربي على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوي ، وترى لغتها وقد قبلت في المجامع الدولية لغة خامسة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح . ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فاتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسئوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين اجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا علميا او استاذافويا مشهورا له بالتفوق ، او معجميا معروفا ... وينشر ذلك على شكل معجم الفبائي الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة اشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد في ظل الجامعة العربية بالعواصم العربية على التوالي فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذي يريدون فيصبح شبه الزامي . واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب .

ان الحضارة العلمية تقذف في كل يوم بمائة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمي ، فكيف نلاحق هذا التراكم ! . المكتب ايها السادة يتراكم معها ويلحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة والنقد والتصحيح .

وتنبه المكتب الى ان جميع معاجم اللفة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة في كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم . وجميعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ ! جرد اكبر المعاجم العربية المعروفة ( لسان العرب ) ونسقه في جزايات وجعله منطلقا يضيف اليه كل يوم ما يجتمع لديه من جزايات وبراكمها مصنفة تصنيفا ابجديا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون اساسا لمعجم المعاني الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات في بعض الفنون كمعجم الفقه المالكي ومعجم



# مِعرَكةُ العَرَبِيةِ الجزائريّة

الدكتور محمود عبدالمولى (تونس)

اصطبلات ؟ ... كانت هذه معابد تهدم ويتم الخلاص منها الا ان الجامع كان ايضا الجامعة ، كما هي الزيتونة في تونس والقرويين في فاس ، وكما هو الأزهر في القاهرة ، فهدم جامع كان يعنى هدم مدرسة ومكتبة وقاعة للمحاضرات وبيت للشعب وجمعية استشارة أو شورى ... ومتحف « (4) » .

« وكان العدو الاستعماري بارع الذكاء في محاربته المستمرة الميثة للغة العربية ، اللغة الأجنبية : حين كان يفلق كل مدرسة عربية موجودة على بعد ثلاث كيلومترات من اية مدرسة فرنسية ، غايته تعليم بعض المفردات الكافية لإدارة العمال الزراعيين كما تعلم البقال بعض كلمات تجعل قيادتها أقل أزعاجا ، وكان العدو الاستعماري يدرك مدى الخطورة في ازدهار اللغة العربية الصحيحة ... فان تعلم الجزائريين لفهم الأم ، يعني تخلصهم من عار انهم « أطفال الساحة العامة » ايتام ، ولقطاع ، ومشردون ؟ يعني ايقاظ وعيهم بجدارتهم وكرامتهم (....)

لقد حارب المستعمر ، حتى انموت ، اللغة العربية ، لانها اللغة الموحدة والمحركة لأقطار المغرب العربي ، وهي ايضا البؤرة الضخمة للعمل الفكري كله في ميدان الصراع بين مقومات الفكر العربي من جهة وبين عمليات التخريب الضخمة والمتعددة التي قام بها الاستعمار في ربوع مغربنا من أجل القضاء على خصوصياته القومية والثقافية ، وقد جرت هذه العمليات الاستعمارية على مراحل وبواسطة أجهزة متعددة وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والمستشرقين ، همهم هو القيام بمؤامرة للقضاء على اللغة العربية ، (1) ففي الجزائر ، غلق الاستعمار جميع الفرص ، امام الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم (2) ، وفرنس الادارة والاقتصاد والتعليم ثم حارب العقيدة الإسلامية وذلك بتحويل بعض المساجد الى كنائس (3) ، ويقول كاتب جزائري قبائلي في هذا الصدد في كتاب له بالفرنسية : « كان العدو الاستعماري ذكيا حين كان يهدم الجوامع ويحولها الى ثكنات أو

- (1) انور الجندي ، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها ... ص 228 .
- (2) عثمان سمدي ، قضية التعريب في الجزائر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1967 - ط 1 ، ص 37 .
- (3) غلال الفاسي : المغرب العربي - القاهرة - ص ص 71 .
- (4) عمار أزيغان : الجهاد الافضل - ص 29 .

الفرنسي والصحافة الموالية لهما حركة جمعيه العلماء (7) بأنها منظمة رجعية متعصبة تعمل لفائدة الملوك العرب ...

وفيما يخص معركة اللغة العربية « ارتفع عدد المدارس العربية بين 1943 و 1954 من بضع عشرات الى مائة وخمسين مدرسة ( ... ) ولقد شاركت الحركة الاصلاحية مشاركة فعالة في اضعاف الاتجاه الذي يدعو الى الادماج الذي يقول به المثقفون المتفرنسون برئاسة الدكتور بن جلول ، ويقول مستشرق الماني نزيه ، كان بين ظهرانينا منذ ايام وهو الدكتور هورنباخ ، في هذا الصدد : « لقد تمتعت ، في العهد الفرنسي ، طبقة من الكتاب والمثقفين برعاية الفرنسيين وتربيتهم في الوقت الذي كانت الجماهير الأخرى تستغل اشنع استغلال » .

ولربما كان نجاح فرنسا اكبر مما كان لو انها علمت بأن هذه الفئة من المتفرنسين هي مستعدة لضم الجزائر الى فرنسا على شرط المساواة ؟ فقد فقدت هذه الفئة الايمان بوجود وطن عربي ، ويشت من استقلاله ، وتنازلت عن تاريخه وماضيه المجيد وبدأت تساو على ، لبيع ، سياسيا (8) ، لكن العلماء تحت راية ابن باديس وقفوا لهم بالمرصاد حيث اعلن هذا المصلح منذرا ومحذرا « بأن الجزائر ليست فرنسية ، ولا يمكن ان تكون ولا تريد ان تكون ، وان اللغة هي جزء لا يتجزأ من كيان الوطن وروحه » .

وفي سنة 1962 تم توقيع اتفاق « ايفيان » « Evian » لتطبيق النظام الفرنسي في المدارس العالية ، ان هذا التاريخ هو اوضح دلالة على نوايا الفرنسيين في ابقاء الجزائر تحت نفوذهم الثقافي واللغوي : لقد انتهج الجنرال ديغول منذ تسلمه لمقاليه الحكم في فرنسا سنة 1958 سياسة تعليمية في الجزائر على درجة كبيرة من الخطورة ، فبحكم تجاربه وحصافته السياسية ، رأي بشاقب رايه ان استقلال

يعني ان تعاد للشباب الأعزب روحه الوائقة القوية الصافية ليدرك منشأ الفعل الانكاسي الاستعماري ؟ مثلا عار الأروبية العرقية ، القاهرة التي ترفض ان ترقص مع عربي حتى لو كان ساحرا كادونيس « غربي فينيسيا » الذي عشقته فينوس .

ان تعلم اللغة العربية من جديد ، هو احياء التربية الطبيعية والعقلية والتاريخية التي تتيح لنا ان نكشف السبب في ان جبل الجرجورة الجبل الحديدي « الروماني الذي لم تصله قد سمي على قمم الأطلس في منطقة التل باسم « لا لا خديجة » الزوجة الاولى للنبي العربي وام المؤمنين . وهو ايجاد تفسير لهذا اللغز : لماذا تغلبت اللغة العربية على اللاتينية في افريقيا التي طبع بطابع روماني » (5) .

ان هذه الشهادة المكتوبة اصلا بالفرنسية لترينا مدى اضرار سياسة الادماج الاستعماري بشعب الجزائر العربي ، ان هذه السياسة الفرنسية الفاشية قد جرحت كبرياء هذا الشعب الأبى جراحات دامية ، وهذا ما جعل ردود فعله قوية كأشد ما تكون القوة ، وحادة كأشد ما تكون الحدة ، ان هذه السياسة الجهنمية التي خدشت وجرحت الضمير الاجتماعي لشعب الجزائر المسلم ، كان من نتائجها ان النضال الجزائري كان مليئا بالعنف وبردود الفعل الايجابية والسلبية في الوقت نفسه : بدا هذا النضال في اول الامر بطيئا متمثلا في حركات الاصلاح الديني والاجتماعي والتربوي ، كانت هذه الحركات تحت الشعب على تأسيس المدارس والجوامع والجمعيات الثقافية للبقاء على لفته وعلى عقيدته حية ، ونمت هذه الحركات الاصلاحية نموا مطردا بعد تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » منذ اكثر من ثلاثين عاما ، (6) كان منهاجها يتلخص في الصيغة الآتية : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » ، وقد اتهمت الادارة الفرنسية وكذلك الحزب الشيوعي

(5) المصدر السابق : ص 30 - 31 .

(6) من العلماء الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ العقبي والشيخ الابراهيمى ، ومن الملاحظ ان الشيخ العقبي كان نائب رئيس جمعية العلماء التي ترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد ترك الجمعية عام 1939 ليتابع محاضراته في نادي التقدم في الجزائر .

(7) المصدر السابق - ص : 26 و 27 .

(8) القى الدكتور هورنباخ محاضرة حول الشاعر محمد العيد بتاريخ 5 مارس 1970 بالسفارة الالمانية وتناول بالتحليل نضال محمد العيد بشعره ، من اجل عروبة الجزائر .



ديفول فبنيت آلاف المدارس وبرز «مشروع قسنطينة» الاقتصادي الى الوجود» (10) .

كانت سياسة ديفول في ظاهرها الرحمة وفي مضمونها العذاب : كان يريد ان يثبت للجزائريين وللراي العام العالمي بأن سياسته ليست كسياسة المعمرين التي عملت طوال قرن وربع قرن على اخذ كل شيء من الجزائريين واعطائهم التزر القليل في ميدان التمدن ، وانما كانت سياسته ، او سياسة فرنسا المجسدة في حكمة ، ترمي الى العمل من اجل خير الجزائريين بانرائهم ثقافيا وانعاشهم اقتصاديا ، لكن سياسة ديفول في الواقع كانت تهدف الى حقيقة أخرى يمكن ان توجز في العبارة التالية : « توسيع الخرق في الميدانين الثقافي والاقتصادي » أمام الجزائر المستقلة ، فهذه السياسة البارة مكنت ديفول خلال أربع سنوات : ( 1958 - 1962 ) من أن يجعل مشكلة التخلص من التبعية الفرنسية أمرا صعبا جدا بالنسبة للجزائر المستقلة ، لقد عمل كل شيء من اجل ابقاء الجزائر فرنسية الثقافة واللغة ، والديفوليون انفسهم لا ينكرون هذا الزعم ، يقول الوزير الفرنسي للشؤون الجزائرية خلال الحملة الإنتخابية الرئاسية آنذاك ما معناه : ان ديفول عمل من اجل تأخير تحقيق التعريف في الجزائر الى امد بعيد » (11) .

ففي خلال حكم ديفول حتى استقلال الجزائر ، أي خلال أربع سنوات ، تضاعف مرتين عدد التلامذة الجزائريين في التعليم الثانوي والاعدادي ، كما تضاعف عدد الطلبة الجزائريين في جامعة الجزائر ، في نفس هذه المدة ، أربع مرات تقريبا ، وهذا دليل ساطع على مدى نجاح خطة ديفول البارة في ميدان التعليم بالجزائر .

ان سياسة الادماج على قوتها لم تستطع ان تقضي على حرية الجزائر وعلى عروبتها ... بل ولدت توترا وعنفا في الكفاح من اجل تقرير المصير وكان ما كان من انتصار شعب الجزائر الذي خرج من حرب سبع سنوات الضروس ، يوم 20 مارس 1962 ظافرا ، لان الجزائر بفضل جهاد ابنائها وعروبتها واسلامها ابتالا أن تكون دولة عربية اسلامية مستقلة ذات سيادة ،

الجزائر كمستعمرة فرنسية قد تجاوزها الزمن واصبحت مهزلة مضحكة ، وانه من الواقعية والحكمة السمي لتطبيق سياسة من شأنها ان تبقي على الجزائر ضمن مناطق نفوذها الثقافية الى جانب التبعية الاقتصادية التي ليس من السهل على الجزائر التخلص منها ، وربما رأى هذا السياسي المعجوز المحنك ، ان التبعية الثقافية هي أهم وأبقى من التبعية الاقتصادية في هذه الظروف ولربما تؤول في آخر المطاف الى تبعية ثقافية واقتصادية في الآن نفسه ، فجعل الجزائر ضمن مناطق نفوذ الثقافة الفرنسية ، معناه ، ابقاء مقاليد الأمور وأزمة الحكم بين أيدي الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية والجاهلين بلغتهم وثقافتهم القومية ، ومعناه أيضا ، دوام تبعية المدارس والمعاهد الجزائرية للمدارس والكليات الفرنسية مع ما يتبع ذلك من دفع الجزائر الى انتداب اساتذة واطارات فرنسية للعمل في مؤسسات الجزائر المختلفة ... وهذا مما يضمن بقاء التبعية الثقافية والتبعية الاقتصادية في نفس الوقت .

ويؤكد الاستاذ عثمان سعدي في هذا المعنى بأن المتفرنسين الذين يسيرون الادارات الجزائرية يؤلفون طبقة ممتازة بالجزائر ، سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم أو لطريقة معيشتهم » . وهذه الطبقة هي التي ستعارض « الحتيبة التاريخية المسماة « التعريف » أي العودة الى شخصية الجزائر الاصلية التي تعتبر أهم مطلب شعبي ، وانتصار سياسة التعريب سيحول في نظر هذه الطبقة الى خطر يهدد وجودها وهذا مما يجعلها تحاربه بضراوة ، وتكافح من اجل الابقاء على تبعية الجزائر لفرنسا في جميع مظاهر الحياة » (9) .

فبمجرد مجيء ديفول الى الحكم ، كان اول ما فعله ، هو تطبيق تلك السياسة التي المعنا اليها سابقا وهي تتمثل عمليا في انجاز تخطيط ثقافي واقتصادي يهدف الى نشر التعليم بين الجزائريين وتنفيذ مخططات اقتصادية واسعة « تعود فوائدها لا على المستوطنين الفرنسيين فحسب ، كما كان متبعيا من قبل ، بل على الجزائريين أيضا ، ونجحت خطة

(9) قضية التعريب في الجزائر ... ص. : 46 - 47 .

(10) نفس المصدر السابق ... ص. : 48 .

(11) المصدر السابق - ص : 48 .

وقبل كل شيء دولة عربية مغربية ، لا جزءا لا يتجزأ من القومية الفرنسية كما توهم الاستعمار الفرنسي المعجوز .

ولكن ... انتهت المعركة السياسية بنجاح وبقيت معركة اللغة والأصالة على قدم وساق .

ففى الجزائر اليوم تيارات ثقافية ولغوية مختلفة: فهناك من يجبذ الإبقاء على اللغة الفرنسية ، وهناك من يناهى بالتمريب ، وهكذا تتضارب الآراء ويحتد النقاش ...

وهناك رجال مخلصون فى الجزائر يعلمون أن الشعب الواحد لا يمكن أن تكون له اللغة واحدة هي لغة أجداده وأمجاده ، ويعلمون أيضا كل العلم أن الجزائر كادت أن تصبح فرنسية وتنقسم صلة الرحم بينها وبين شقيقتيها تونس والمغرب وكذلك الأمة العربية والإسلامية بأجمعها .

لقد أدركوا اليوم ، بدون مشقة ، بأن المحافظة على استقلال الجزائر يعنى المحافظة على العربية ، والتفريط فيها ، يعنى التفريط فى استقلال الوطن وسيادته ، وبدأوا فى الحين بمقاومة نزعة الفرنسية وذلك بالتمريب التدريجي وإتاحة جميع الفرص أمام الموظفين الجزائريين فى الإدارة لتعلم العربية مقابل مكافآت سخية فى الترقية ... وكذلك باشتراط مستوى معين بالنسبة لكل من يتقدم الى العمل فى إدارة الجزائر (12) ، بهذه الاجراءات بدأت الجزائر فى

تخليص نفسها من هيمنة اللغة الفرنسية وهي تقدر الصعوبات التي ستلاقيها فى عملية التمرريب : فعملية التمرريب تقابل فى أوساط مختلفة فى الجزائر بشيء كثير من التحفظ لأنها قد تجر - فى رأيهم - الى انحطاط المستوى العلمي وعرقلة التطور بالإضافة الى الصعوبات النفسية الأخرى ، وما مطالبات الطلاب الجزائريين سنة 1963 والحاحهم على انتداب اساتذة فرنسيين لا عرب ... والمحافظة على المناهج التعليمية فى الجامعة ... الا دليل على معارضة هؤلاء لعملية التمرريب ، وهناك صوت آخر قوي يدعو الجميع الى التمسك بروح الثورة وإتاحة المجال أمام الجزائر لتطوير وتمريب شخصيتها كلف ذلك ما كلف من التضحيات والخسائر المادية .

ومن المعلوم بأن هناك فئة من الكتاب الجزائريين تشعر وتفكر بالعربية وتصوغ افكارها ، وخاصة فى المجالات العالية ، باللغة الفرنسية ، وقد اندهش العالم من وجود هذا اللون من الأدب الغريب الذي يتزعمه جان عمروش (Jean Amrouche)

وكاتب ياسين وميلود فرعون ، فلم يدر عمروش مثلا ماذا يكون أمله فى الحقيقة : أهو غلطة من غلطات التاريخ ؟ أم هول من أهوال الثقافة ؟ فهو يبحث عن وطن أجداده ولغتهم ، أما ميلود فرعون فقد كان معتدلا اذ انه يعتبر نفسه جزائريا قبائلي الأصل ، فرنسي اللسان والثقافة ، وأما كاتب ياسين فهو أروعه لأنه يعترف بأن الطريق الصحيح للأدب فى الجزائر هو أن يكون باللغة العربية وليس بالفرنسية على الرغم من عجزه عن الكتابة بالعربية .

(12) بمقتضى قرار مجلس الثورة ورئيسه هواري بومدين .

# العوامل الطارئة على اللغة

## دراسة لقضايا اللحن والتصحيح والتوليد اللغوي...

### في ضوء عِلم اللغة الحديث

الدكتور محمد عيسى، كلية دارالعلوم  
جامعة القاهرة

- 2 -

بها مع اطراد نموها ، أما في الجانب الآخر فقد أعلنوا بأسهم من وسائل الضبط في الكتابة وبحوثا عن وسيلة أخرى لتوقي خطأ القراءة ، فلم يجدوا غير الزام الناس « بوجود المشافهة في رواية اللغة » وهو حل شاق ، وغير عملي ، علاوة على أنه حاد عن موضوعه ، إذ كان من المتوقع أن يواصل العلماء جهودهم في « اصلاح الرسم العربي وضبطه » لكنهم - فيما يبدو - حين ينسوا من ذلك ، تركوا قضيته معلقة ، والتمسوا وسيلة أخرى هي « وجوب المشافهة » وهي وسيلة فضفاضة غير عملية وغير مقنعة .

ولم تقتصر جهود علماء اللغة في مقاومة التصحيح والتحريف على محاولة ضبط الكتابة والتواصي بالمشافهة في الرواية ، بل راحوا - منذ القرن الرابع الهجري وما تلاه - يبدلون جهدا آخر يتفق مع المرحلة العلمية كلها في تلك الفترة ، وذلك بالالتفات الى الوراء لجمع امثلة التصحيح والتحريف في مؤلفات تضمها ، تماما كما راجعوا جهود السابقين في النحو للتأليف في « أصول النحو » وكما راجعوا مادة اللغة في النحو للتأليف في « الشواهد » ثم في « الاستشهاد » .

فجهود علماء اللغة في مقاومة « التصحيح والتحريف » قد تدرجت في الآتي :

- 1- ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .
- 2- ضرورة المشافهة في رواية اللغة .
- 3- تنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات .

شغل « التصحيح والتحريف » أذهان علماء اللغة ، ذلك أن الخطأ الذي ترتب عليه - وإن كان يعود أصلا للرسم الكتابي - قد انعكس على النطق اللغوي بقراءة الكتابة ورواية القراءة .

وقد اهتم العلماء به لذلك ، اذ راوا فيه خطرا يهدد اللغة ، وعيبا يؤاخذ عليه فاعله بل عارا يلحق من يصدر منه . [ لمؤرخة إن كانت تصحيح ما غير منه ]  
أذ لغيره أن يكل المصحح والذمير  
ومن الطريف أن نعلم أن ظاهرة التصحيح والتحريف لم يقتصر أمرها على العوام من القراء أو النساخ والوراقين ، بل تفشت بكثرة بين العلماء أنفسهم ، كما يقول حمزة الأصباني ، قد فصح التصحيح في دولة الاسلام خلقا من القضاة والعلماء والكتاب والامراء وذوي الهيئات من القراء .

ولقد وجدت ظاهرة التصحيح والتحريف في وقت مبكر ، وحملت اللغة مظاهر الخطأ التي ترتبت عليها في الفترة نفسها التي هددتها فيه مظاهر الخطأ « باللحن » - حوالي منتصف القرن الاول الهجري - وكما وجه العلماء جهودهم لمقاومة اللحن بدراسة اللغة ووضع قواعد النحو فقد بذلوا جهودا أخرى لمقاومة التصحيح والتحريف بوضع قواعد من تنوع آخر لضبط الكتابة وتوقي الالتباس فيها .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين من القواعد لم يقدم الحل الحاسم الناجع لخطأ القول وقراءة الكتابة ، فإن قواعد النحو ظلت لديهم عالية سامية ، واطرد اهتمامهم

وهذه الامور الثلاثة فى حاجة الى فضل ايضاح وتأييد للوقوف على جهودهم فيها ، ثم استخلاص أساس التصويب والتخطئة الذي وجه نظرهم ومقاومتهم لهذا النوع من الانحراف فى اللغة .

هناك رواية مشهورة عن مقاومة ظاهرة التصحيف والتحريف فى الكتابة تتناولها مصادر التصحيف والقراءات ، ومؤدى هذه الرواية أن العلماء تنبهوا لخطورة التصحيف والتحريف حين حدث فى قراءة القرآن ، فكان من ذلك الدافع الاصلي الذي دفعهم للبحث عن وسائل ضبط الكتابة ، فهذا الدافع الديني هو الذي اثارهم العلماء لتوقي التصحيف والتحريف فى القرآن واتخاذ الوسائل الواقية من حدوث ذلك فيه .

غير ان هذه الشهرة ينبغي أن تقتصر على موضوعها وزمانها - وموضوعها هو مصاحف عثمان المكتوبة والخطأ فى قراءتها ، وزمانها هو منتصف القرن الاول تقريباً - فلا يفهم من ذلك أن التصحيف والتحريف لم يحدث فى غيره من النصوص المكتوبة من قبل هذا العصر ومن بعده ، اذ من الثابت أن الكتابة كانت معروفة فى عصر الرسول وقبل عصره والمعتقد أنه قد دونت بالكتابة غير المضبوطة امور كثيرة كان منها نصوص اللغة من شعر ونثر ، والمعتقد كذلك أن ظاهرة التصحيف والتحريف حدثت فى قراءة هذه المدونات قبل حدوثها فى قراءة المصاحف وإن كان غموض التاريخ العربي قبل الاسلام وفى غير القرآن لا يسعنا بادلة مؤكدة لاثبات هذا الاعتقاد .

وهذا هو نص الرواية المشهورة عن المصاحف كما اورده حمزة الاصبهاني :

\* كتب عثمان المصاحف الخمسة ، وفرضها على الامصار . فسار الناس يقرؤون فيها نيفاً وأربعين سنة وذلك من زمان عثمان الى أيام عبد الملك ، فكثرت التصحيف على السنة الناس ففزع الحجاج ، وسأل كتابه تدارك الامر ، فوضعوا النقط افراداً وازواجاً ، وخالفوا بين اماكنها ، بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف ومع ذلك كان يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام ، فإذا اغفلوا الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف الحقوق كلها من النقط والاعجام ، اعترأها التصحيف ، فالتمسوا حيلة ثالثة ، فلم يقدروا عليها .

فقد بان لمن عقل ، وأنصف من نفسه أن اعترض التصحيف فى هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة فى البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الأساس (1) .

وينبغي ملاحظة أن « النقط » المذكور هنا قصد به « شكل الحروف » من فتح وكسر وضم وسكون وتنوين ، اذ كان - كما تقول الرواية - يوضع نقطنا افراداً وازواجاً بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحب الحروف ، وهو ما غير فيما بعد - على يد الخليل - الى الشكل المرسوم على هيئة ايماض الحروف (- ، و ، ه ) كما يلاحظ أن المقصود « بالاعجام » هنا هو النقط التي تفرق بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء أو الجيم والحاء والخاء ، ولأن كلاماً من النوعين كان يرسم نقطاً ، فإن التمييز بينهما اعتمد على لون المداد المستعمل فى الكتابة .

ذلك جهد كبير بذله العلماء فى ضبط الكتابة ، لكنه - كما تشير الرواية - كان جهداً شاقاً لم يستطع التزامه فى كل ما كتب ، ولم يمنع تماماً حدوث التصحيف واستمراره « فإذا اغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم توف حقوقها ، اعترأها التصحيف » واني يكون هذا الاستقصاء دوماً اذا كان الكاتب ملزماً فى الكلمة الواحدة مثلاً أن يكتب حروفها أولاً ، ثم يأتي بمداد مخالف ليؤني شكلها بالنقط ثانياً ، ثم يعود للمداد الاول ليعجمها ثالثاً ، ان هذا - فى الحق - عمل مجهد للغاية ، وقد أحس العلماء انفسهم بمشقة - كما تقول الرواية - فالتمسوا حيلة ثالثة فلم يقدروا عليها ، وبقي التصحيف مع هذا الجهد ظاهرة خطيرة فى قراءة الكتابة ، وهذا - كما عبر الاصفهاني - ليس الا من ضعف الأساس .

أجل .. ضعف الأساس فى الكتابة !! هذه هي المشكلة ، ولو واجه العلماء هذا الأساس الضعيف بوضع أساس بديل له ، أو تقوية ضعفه بطريقة محكمة ، لحلت مشكلة الخط بصورة نهائية ، ولما بقي التصحيف والتحريف خطراً يهدد نطق اللغة ، ويؤرق علماءها .

كان من الضروري اذن وقد ترك علماء اللغة هذا الأساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، أن يقاوموا خطأ النطق بطريقة أخرى ذكرها أبو احمد المسكرى نصاً - بعد ان ساق الرواية السابقة تماماً مع اختلاف

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 - 38 .

طفيف في عرضها - قال : « فالتمسوا حيلة فلم يقدروا الا على الاخذ من افواه الرجال » (2) .

والاخذ من افواه الرجال لم ينقطع ابدا في عصر الاحتجاج باللغة وروايتها ، ولا يتصور انقطاعه في اي عصر من العصور ، لكن الذاكرة لا تقوى على حفظ النصوص اذا طالت ، وهي من ناحية اخرى لا تستطيع المحافظة على ما حفظته زمنا طويلا ، لذلك كان الناس في حاجة الى وسيلة اخرى لحفظ النصوص والمحافظة عليها ، وكان غريبا ان يترك العلماء قضية « الرسم العربي » دون حل حاسم ، لابدال ذلك بالزام الناس الاخذ من افواه الرجال مع التأكد من ان هذه طريقة غير عملية .

وقد ترتب على ذلك شيوع مجموعة من الافكار تدور حول الرواية والكتابة لا يصعب تفسيرها في ضوء ما تقدم .

من هذه الافكار مثلا الحرص الشديد على التظاهر بالرواية الشفهية وكثرة الحفظ ، وما يروى عن ذلك من غرائب الحفاظ في ضخامة ما وعته ذاكرتهم من اخبار واشعار ونوادير ، فالاصمعي - كما قيل - اخفظ اثني عشر الف أرجوزة ، منها ابليت والبيتان ومنها المائة والمائتان - يلاحظ ان ذلك في الرجز وحده - واسماعيل بن سيار املى معجما كاملا من ذاكرته وهو معجم « العين » الذي حفظه ، ثم ضاع منه ، فاملأه من حفظه ، وغلأم ثعلب كان يحفظ اكثر من ثلاثين ألف شاهد على النحو ، الى غير ذلك من الاعاجيب .

ومن هذه المظاهر الحرص على اختيار من يأخذون عنه اللغة ، للتأكد من انه لا يعرف الكتابة والاخذ من الصحف ، فاذا اثبت الاختبار اقتصراف الاعرابي لهذا الامر المنكر ، بهرجوه وزيفوه ورفضوا الاخذ عنه .

ومن ذلك العبارة اللغوية الدائمة الصيت حتى اليوم ( لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي ) والمصحفي : هو الذي يأخذ قراءته عن المصحف ، والصحفي : هو الذي يقرأ الصحف ، فتحدث في روايته الاخطاء باشتباه الحروف وتغيير الحركات .

وقد ترتب على ذلك حملة شديدة الوطأة على المصحفين والمصحفين جميعا وغدت نسبة ذلك الى أحد العلماء شيئا يثير الحفيظة ويستوجب الإنكار والاستبراء لما يلحقه بسببه من نقص وعار .

✽ قال ابو احمد العسكري : قد فضح بالتصحيح خلق من اهل الادب ومن الاشراف والقضاة والرؤساء وهجوا به ، وبقي ذمهم مخلدا في بطون الكتب ، وقد مدح بالاحتراز من التصحيح والتخلف منه جماعة ، منهم خلف الاحمر ، فان الحسن بن هانئ رثاه وهو حي ، فكان من افضل ما عدد من مناقبه ان قال :

لا يهم الحاء في القراءة بالخاء ولا يأخذ اسناده عن الصحف (3) وأغلب الظن ان « ابا نواس » قصد بذلك المداعبة لا الجد ، ولا يفهم غير ذلك من شعر يقوله ابو نواس في « رثاء انسان وهو حي » وجو المداعبة هذا دفعه الى ارضائه بقوله له : انه لا يصحف ولا يأخذ عن الصحف ، ولعل ابا نواس اعلم من غيره بانه غير صادق في هذه القضية خصوصا مع خلف الاحمر مع ما هو مشهور عنه ومتهم به .

وعلى كل حال فقد قاوم العلماء التصحيح والتحريف باشاعة الحث على المشافهة في الرواية والتنفير من الاعتماد على الصحف ، وذم المصحفين ، وقد افادت رواية اللغة من ذلك دون شك وان كان ذلك كله - في واقع الامر - تظاهرا لا يتفق مع الواقع حتى من القائلين به انفسهم . فمعظم العلماء كانوا يكتبون ويقرؤون في الصحف ، والا فماذا كان يصنع ابو عمرو ابن العلاء بكتبه التي ملأت - فيما يقال - حجرة الى السقف واشعل فيها النار في سورة غضب ، ومن الذي تولى انفاذ خمس عشرة قنينة حبر اريق مدادها على الصحف والكسائي في البادية يكتب عن الاعراب !!

ان قصارى ما يفهم من الدعوة الى المشافهة وذم الاخذ عن الصحف هو دلالتها لا حقيقة ما تنطق به ، وهي تدل على شدة الحرص على ضبط اللغة والاخذ من العلماء وقد اعتبر هذا في الوقت نفسه بديلا لم يجدوا عندهم غيره لضبط النطق بعد ان شق عليهم ضبط الكتابة او تغيير اساسها الضعيف .

وينبغي بعد ذلك الامر الثالث والاخير في معركة

(2) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص 13 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص 18 .

العلماء مع « التصحيف والتحريف » وهو « تنقيح الاخطاء بجمعها فى مؤلفات » يوضحها الجدول الآتى مما دخل فى امكاني الحصول عليه منها ومعرفتها . وهي مرتبة بحسب وفاة مؤلفيها .

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ الوفاة	لاشارة الى ما هو موجود منها
1 - ما صحف فيه الكوفيون	محمد بن يحيى الصولي ( ت 335 )	مخطوط
2 - التنبيه على حدوث التصحيف	حمزة بن الحسن الأصبهاني ( ت 360 )	مخطوط
3 - التنبيهات على اغاليط الرواة	علي بن حمزة البصري ( ت 375 )	مطبوع
4 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ( ت 382 )	مخطوط
5 - تصحيف المحدثين	أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري	مخطوط
6 - تصحيف المحدثين	أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ( ت 385 )	مخطوط
7 - التصحيف والتحريف	أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي ( ت 600 )	مخطوط
8 - تصحيح التصحيف وتحريف التحريف	خليل بن أيبك الصفدي ( ت 764 )	مخطوط
9 - التعريب فى فن التصحيف	محمد بن علي الصالحى ( ت 953 )	مصور

من مظاهر الانحراف فى اللغة - كاللحن مثلا - ولذلك - فيما أفهم - دلالة اذ الفت لرصد الخطأ الذي يعود أساسا الى قراءة اللغة المكتوبة ، وهو جانب لا يصل فى أهميته الى حد الخطأ الذي يحدث فى نطق اللغة ملحونة .

أخيرا :

فان ظاهرة التصحيف والتحريف خطأ ظهر فى رواية اللغة نطقا نتيجة اللبس فى قراءة الخط وقد بذل علماء اللغة جهودا طيبة لاصلاح هذا الخطأ فى منشئه ومظهره ، والمستوى الصوابي الذي نستخلصه من نظرهم الى هذا الخطأ وجهودهم فى مقاومته يلخصه عبارة واحدة هي : ( اصلاح ما سماه الأصبهاني ضعف الأساس فى الكتابة ثم التحول عن ذلك الى وجوب المشافهة فى الرواية ) .

ذلك هو الأساس باختصار ، فهل كان حلا حاسما لمشكلة التصحيف والتحريف ؟ !

بيان ذلك موعده القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .



والذي لاحظته على هذا الجانب من مقاومة « التصحيف والتحريف » ما يلي :

أولا : ان هذا جانب دراسي بدا - فيما أعلم - فى القرن الرابع الهجري كما هو مبين فى الجدول وقد اعتمد على مراجعة جهود السابقين المتفرقة ورواياتهم المتناثرة لجمعها فى مؤلفات عن ظاهرة « التصحيف والتحريف » وهي - بهذه الصفة - تعتبر تسجيلا مهما لجانب من العوامل الطارئة على اللغة ، وبناء على ذلك فان فائدتها فى مقاومة التصحيف والتحريف تفيد دارس اللغة والادب تاريخيا لتحقيق النصوص ، والوقوف على مظاهر الصواب والخطأ فيها .

ثانيا : يضاف الى ذلك ان هذه المؤلفات لم تقتصر على الاحاطة الفنية بنماذج التصحيف والتحريف وايراد الامثلة الكثيرة ، وتعداد من وقع منهم ذلك من الشعراء وعلماء اللغة والمحدثين والقراء ، بل احتوت ايضا على تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها ، ونظرة العلماء لها ، مما أفدت منه فى افكار هذا الموضوع .

ثالثا : يلاحظ ان مؤلفات التصحيف والتحريف قليلة نسبيا بالنظر الى الجهود التي بذلت فى غيرها



## « التوليد »

### معنى التوليد في الألفاظ ومصادره اللغوية

ذلك أن الأجانب وجدوا بين العرب في الجاهلية ثم ازداد اختلاط العرب والأجانب في الإسلام بفعل الدين الجديد والحروب والتجارة ، وفي القرن الأول شكل الاحساس بالخطر من هؤلاء الأجانب على العنصر العربي ولفته مشكلة اشترك في مقاومتها رجال الدولة الاموية وعلماء اللغة ، أما في القرن الثاني فقد تطورت العلاقة بين العرب والأجانب وكون الأخيرون عنصرا غالبا سيطر على الدولة ، وأصبحوا أشد تأثيرا في اللغة مما ترتب عليه منع الاستشهاد بلفظ الحضرة بصورة نهائية . لكثرة المولدين بين العرب وشيوع الكلام المولد من حديث الناس عامة وخاصة .

ومن الصعب على الدارس أن يحدد بدقة متى بدأ استعمال لفظة « المولد » وكيف تطور هذا الاستعمال كما أشار اليه الزمخشري ، لقصور دراستنا في الحقل اللغوي التاريخي عن أداء هذه المهمة حتى اليوم ، وغاية ما يستطيعه الدارس لذلك أن يلتقط بعض النصوص المتناثرة التي تفيد في تقريب ذلك .

وأول نص علمي قديم - فيما أعلم - عن المولدين من الكلام ما رواه ابن رشيقي منسوباً إلى أبي عمرو بن العلاء وهو :

\* قال أبو عمرو : لقد أحسن هذا المولد ، حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته - يعني بذلك شعر جرير والفرزدق - فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهليين والمخضرمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن ، فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح ، فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح ، وقطعة نطع (4) .

فهذا اللفظ - أن لم يجانبني التوفيق - قد استعمل في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني مراداً به من اختلطت أنسابهم أو ما قيل من الكلام العربي في المجتمع العربي الذي كثر فيه هؤلاء المهجنون ، ثم اطرده استعمال هذه اللفظة في القرن الثاني مع وجود لفظة أخرى إلى جوارها هي لفظة « محدث » مراداً بها أيضاً الناس أو الكلام ، وهو معنى اللفظة الأولى .

أما قبل ذلك فلم يكن استعمال اللفظ « مولد » شائعاً بين الناس ولا العلماء والذي يصادفنا في

التوليد في الألفاظ أحد المباحث المهمة في علم المعنى ، فهناك مكانه الاصلي في دراسة اللغة بمستويات متعددة منها مستوى الدلالة ، والتوليد يتعلق بالمعاني وتطورها واحتياجها إلى ألفاظ جديدة ، لكن النظر هنا إلى قضية « التوليد » تأتي أهميته من زاوية أخرى تتعلق بالألفاظ لا المعنى ، فإن هذه الألفاظ المولدة ذات مظاهر فيما يتعلق ببنية الكلمات من حيث الاشتقاق أو التعريب ، واستخدام صيغ صرفية خاصة ، ومن هذه الزاوية رأى علماء اللغة في التوليد ظاهرة طارئة على اللغة ، وخضعت - بهذه الصفة - لموقف معين منهم يدخل هذا البحث عن الصواب والخطأ .

وينبغي في هذه الفقرة بيان الأمور الثلاثة الآتية :

1 - عرض تاريخي مختصر للمولد ، من حيث استعمال اللفظ ، ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - التحديد النظري لمعنى التوليد كما رآه الأقدمون

3 - مصادر التوليد في الألفاظ ، وتقديم نماذج لها .

أولاً : لفظة « مولد » ودراسة العلماء لنماذجها .

جاء في أساس البلاغة : غلام مولد وجارية مولدة ، ولدت عند العرب ، ونشأت مع أولادهم ، وتأدبت بأدابهم ، ومن المجاز : ولدوا حديثاً وكلاماً ، استحدثوه ، وكلام مولد ، ليس من أصل لغتهم .

ويدل النص السابق على أن المولد قد يطلق على الأشخاص وعلى الكلام ، ونسبته إلى الأشخاص تعتمد على النسب والعنصر ، فمن كان نسبه عربياً خالصاً فهو عربي خالص ومن داخل نسبه عنصر أجنبي عن العرب فهو المولد ، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق مجازاً - كما قال الزمخشري - على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغتهم .

ومن الواضح أن اللفظ أطلق أولاً على الأشخاص الذين وجدوا بين العرب الخالص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغة العرب ، وإنما هو كلام جديد شاع في المجتمع العربي مع ازدياد مخالطة الأجانب ، فكثر العنصر المولد ، وقل العنصر العربي الخالص النسب .

(4) انظر : العمدة ج 1 ص 56 .



الروايات العلمية عن القرن الاول الهجري الفاظ اخرى قريبة الصلة بلفظة « المولد » مثل الاعجمي والمولسي والاجنبي ، وهذه مناسبة للفترة التي شاعت فيها ، اذ لم يكن الاجانب قد تم اندماجهم بالعرب بالصورة التي حدثت في نهاية القرن الاول وبداية الثاني ، مما انتج المولدين من الاشخاص والكلام .

وتتردد الكلمة بعد ذلك بكثرة بين علماء القرن الثاني والثالث ومن بعدهم ، ولنتأمل النص التالي عن الاصمعي :

\* روى أبو حاتم : قال الاصمعي : وعمر بن أبي ربيعة مولد وهو حجة، سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج في النحو بشعره ، ويقول : هو حجة - وفظة بن شريك الاسدي وابن الرقيات هؤلاء مولدون، وشعرهم حجة - ورايته طعن في الاقيشر ، ولم يلتفت الى شعره ، وقال : لا يقال الا ( رجل شرطي ) قلت : قال الاقيشر :

انما يشرب من أموالنا  
فاسألوا الشرطي ما هذا الغضب

قال: ذلك مولد (5) .

فالاصمعي يردد هذا اللفظ ثلاث مرات في هذا النص القصير عن هؤلاء الشعراء الذين عاش اكثرهم في العصر الأموي ، فوصفهم بأنهم مولدون ، وكلامهم مولد .

هذا ... والحديث عن الاستشهاد بكلام المولدين يدخل ضمن الحديث عن الاستشهاد بكلام الموالي عامة - وليس هذا موضعه - أما الذي نحن بصدده فانه يتعلق بظاهرة خاصة من كلام المولدين وهي الالفاظ التي ترد في معاجم اللغة وكتب اللحن والتعريب ، ثم يحكم عليها بأنها « مولد » ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يتردد معه أحيانا القول بأنه ليس من كلام العرب وانه خطأ - كما في النموذجين التاليين :

\* الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة

\* التحرير : ضد البليد ، وكان الاصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وانما هي كلمة مولدة(6)

فهذا النوع من الالفاظ التي يحكم عليها بأنها « مولدة » مع الحكم عليها أحيانا بما يخرجها عن كلام العرب ، وعن الصواب كلية هي موضع النظر هنا .

هذا ومن المفيد أن يعلم هنا ان المولد من الالفاظ لم ينفرد في الغالب الأعم بكتب دراسية خاصة به - عدا ما ذكر عن « كراع النمل المصري » انه ألف كتابا في المولد وهو مفقود - بل ذكرت أمثله متناثرة بقلّة في معاجم اللغة ، وبكثرة نسبية في كتب لحن العوام وكتب المعرب والدخيل . ولعل ذلك يرجع الى ان استقصاء الفاظ التوليد مع تعدد مصادرها المتسعة - كما سيأتي - لا تحد ولا يحيط بها العد ، ولذلك اقتصر على ذكر المهم منها عرضا في الكتب التي تناولت بعض الظواهر اللغوية الخاصة الطارئة على اللغة كظاهرة اللحن والتعريب .

ثانيا : التحديد النظري لمعنى التوليد في آراء الاقدمين .

\* قال السيوطي : هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بكلامهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، وهذا بخلافه - وفي مختصر العين للزبيدي : المولد من الكلام المحدث - وفي ديوان للفارابي : يقال هذه عربية وهذه مولدة - قال في الجهمرة : الحساب الذي ترمي به هذه السهام الصغار مولد ، وقال : كان الاصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وهي كلمة مولدة ، وقال : الخم ، القوصرة يجعل فيها التين ، لتبيض فيها الدجاجة ، وهي مولدة (7) .

\* اورد المحبى عن ثعلب انه سئل عن التغيير فقال : هو كل شيء مولد(8)، ثم قال : وهذا يقتضي ان كل لفظ كان عربي الاصل ، ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك ونحو ذلك مولد (9) .

\* وفي الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل : كل لفظ عربي غيرته العامة (10) .

(5) فحولة الشعراء ، ص : 32 .

(6) انظر : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص : 281 - 331 .

(7) المزهج ج 1 ، ص : 304 .

(8) مجالس ثعلب ، ص : 802 .

(9) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ص : 17 .

(10) الطراز المذهب فيما في اللغة من المعرب ص 8 .

\* وفى الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون ، وجروا عليه فى منشورهم ومنظومهم (11) .

وبلاحظ على هذه التعريفات النظرية السابقة ما يلي :

1) أن بداية الحديث عن ذلك نظريا كان من علماء القرنين الثالث والرابع ، إذ حدثت المراجعة لكل ما تقدم من آراء متناثرة فى دراسة اللغة ، كما هو واضح فيمن ورد ذكره فى النصوص ثعلب والزبيدي والفارابي اللغوي .

2) أن علماءنا الاقدمين - فيما يبدو - لم يتفقوا على اتجاه واحد فى تحديد معنى المولد فهو عند بعضهم : المحدث ، وعند الآخر : التغيير ، وعند ثالث شئ عام . إذ يقال هذه عربية ، وهذه مولدة ، وعند رابع : كل لفظ عربي غيرته العامة .

3) أن الالفاظ التي استعملت فى تعريف المولد الفاظ فضفاضة عامة الدلالة وهي بذلك معرضة للأخذ والرد فيما يتعلق بالتحديد الحاسم للمولد من الالفاظ وغير المولد منها .

4) والذي يفهم من هذه الآراء كلها أنها تدور حول امرين : أولهما : أن المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الالفاظ المحدثه مما لم يستعمله العرب - فى رأيهم - أصلا أو الالفاظ والتراكيب التي استعملها العرب ، ثم غيرت باستعمال المولدين والعوام وهذا واضح فى رأى ثعلب ( ت 291 ) الذي سئل عن التغيير فقال : هو كل شئ مولد ، وثانيهما : أن المولد هو المحدث من الالفاظ الذي لم يستعمله العرب فالالفاظ المولدة الفاظ جديدة أحدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر ، وهذا واضح فى رأى الزبيدي ( ت 380 ) الذي تابعه فيه السيوطي ، ووضح فكرته له .

وقبل هذين الرأيين يلاحظ أن جبل الأصمعي من العلماء لم يكن بعينه التقعيد النظري للمولد ، بل يحكم على الأمثلة من خلال علمه بكلام العرب . إذ يقول الأصمعي - فيما نقله السيوطي - التحرير ليس من كلام العرب . وهي كلمة مولدة ، ثم يتوقف .

وبعد هذين الرأيين نلاحظ أن اللغويين المقلدين فى العصر الحديث لا يخرجون عنهم ،

(11) الاشتقاق والتعريب ص : 62 .

اذ يورد صاحب الطراز المذهب - القرن الثاني عشر - كلا الرأيين دون تعليق ، كما يورد المغربي فى « الاشتقاق والتعريب » رأى الأخير فقط ، فالمولد فى نظره : ما لم يعرفه أهل اللغة ، ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون وجروا عليه فى منشورهم ومنظومهم .

5) والذي فهمته من تلك الآراء النظرية ومن الأمثلة التي صادفتها عن الالفاظ المولدة والتعليق عليها ، أن الامر قد تدرج كالآتي :

فى القرن الثاني وجه العلماء - كالأصمعي - همهم للتعليق على الأمثلة المنتثرة لبيان أنها مولدة ، وليست من كلام العرب ، كما وجه الاهتمام نفسه للأمثلة أخرى توصف باللحن أو التعريب .

وفى القرن الثالث ، فهم كل تغيير على أنه مولد ، نسبة للمولدين الذين لم يكونوا خالصي النسب وفى تلك الفترة وجه اهتمام لهذا التغيير بصورة عامة ، وخصوا باهتمامهم اللحن فى بنية الكلمات أو تأليف الكلام ، فشمّل ذلك أيضا التغيير الآخر الذي يأتي من أحداث الفاظ جديدة ، وكثرت كتب اللحن فى القرن الثالث - راجع جدول ذلك - بما توجه اليه أساسا من الخطأ فى الكلام العربي ، وبما تشمله أيضا من الالفاظ المستحدثة على قلة ويشار إليها بلفظة « مولد » ومثل هذا الرأى نظريا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

وفى القرن الرابع خصص العلماء نظريا المولد بأنه الالفاظ المحدثه ، وأن كان عمليا لم يخرج قبل ذلك عن هذا المفهوم لا فى القرن الثاني ولا فى القرن الثالث ، وأن دخل مع غيره تحت مفهوم « التغيير العام » فى القرن الثالث .

ومع كل ذلك ، فإن « المولد » من الالفاظ لم يلق عناية خاصة من العلماء توجه للتأليف فيه ، فبقيت أمثله متناثرة بين كتب تناولت ظواهر لغوية متخصصة كاللحن أولا ثم التعريب ثانيا .

### ثالثا : مصادر التوليد والتمثيل له

تتلخص مصادر التوليد عن طريق ملاحظة كلماته فى الأمور الآتية :

1 - الارتجال بالاشتقاق .

## 2 - التعريب بعد عصر الاحتجاج .

### 3 - التحويل من المعنى اللغوي الى معنى آخر مولد . Semantic Shift

ومن الحق أولا أن يقال : ان الناس العاديين الذين استعملوا المولد ، لم يعرفوا اشتقاقا ولا غيره ، ولم يكونوا يقيسون الامور بمقاييس الصرف وتقنين الكلام ، بل انهم يمارسون الكلام دون بحث عما وراء ذلك ، وبملاحظة ظاهرة التوليد في الالفاظ التي حدثت دون قصد يمكن تصنيفها في الامور الثلاثة السابقة .

فاما الارتجال بالاشتقاق فمعناه ان يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهي اذن كلمة جديدة على الكلام العربي المتوارث .

واذا صح ان تذكر سمات معينة لذلك الذي تم عن طريق الاشتقاق ، فانه يلاحظ فيه الآتي :

أ - استخدام النواة الدلالية او حروف الاصول ، فمثلا كلمة ( فسقية ) مولدة ومادة ( ف. س. ق. ) موجودة في اللغة من قبل بمعنى الخروج .

ب - مجيء كلمات على الصيغ الصرفية ذات المعاني ، مثل كلمة ( حرار ) لبائع الحرير ، فهي كلمة - كما يقول الخفاجي - مولدة ، وقد جاءت على صيغة ( فعال ) التي تدل على النسبة لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

ج - استخدام حروف الزيادة ذات المعاني ، فالالف والنون مثلا تدل على المطاوعة ، ومن ذلك الكلمات المولدة ( انكسار الضوء وانعكاسه ) .

د - وسائل تعديل الصيغ في اللغة العربية ، كالهزمة والتضعيف والتصغير ، ومن ذلك الكلمات المولدة ( الابراء والفرغرة والجديري ) .

وقد لعب التوليد بالاشتقاق دورا مهما بوسائله السابقة في أسماء الفرق الدينية وآرائها ، كما يلاحظ من الكلمات الآتية :

الثنوية - القدرية - الشعبية - الخوارج - المعطلة - الغلاة - المشبهة - المرجئة - التصوف - التشيع - الرافضة - الزندقة - وكذلك لعب دورا مماثلا في أسماء العلوم ومصطلحاتها .

اما التعريب بعد عصر الاحتجاج فيقصد به ان ينقل المولدون كلمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية ، وتختص باسم « مولدة » للفرقة بينها وبين الكلمات التي عربها العرب انفسهم .

من ذلك مثلا - كما يقول الجواليقي - كلمة ( قطربل ) فهي كلمة اعجمية ، وليس لها مثال في كلام العرب البتة ، ولا توجد في الشعر القديم ، وانما ذكرها المحدثون .

ومن ذلك - كما يقول الخفاجي - كلمة ( شاشي ) معروف ، يلف على الرأس وبعد الف يسمى عمامة ، وهو مولد منقول من اللغة الهندية .

اما التحويل من المعنى اللغوي فيقصد به ان يكون للكلمة معنى معين ، استعملت به عند العرب ثم حولها المولدون عن هذا المعنى الى معنى آخر ، واستعملوها فيه .

ومن ذلك مثلا كلمة ( منخطف اللون ) لمن تغير لونه بسرعة ، فكأنه خطفه خاطف والعرب لم تقله ، وانما ولده المولدون .

واذا لوحظ ان هذا المصدر الاخير يتعلق بتطور معاني الكلمات ، وان هذا التطور في حركة دائبة لا تتوقف ، لا تضح ان هذا المصدر من مصادر التوليد ، يصعب احصاء الكلمات الناتجة عنه ، ومع ذلك فقد اورد العلماء بعض نماذجه فيما ذكره من نماذج التوليد المتناثرة .

وساقدم هنا عشر كلمات من المولد فقط ، ومن كتاب واحد هو ( شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ) مرتبة حسبما وردت في ذلك الكتاب مع ذكر تعليق الخفاجي عليها ، لربطها بعد ذلك بمصادر التوليد السابقة ، وهي :

1 - بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، مولدة ، وجاء في فقه اللغة : انها معربة عن الرومية .

2 - الجريدة : دفتر ارزاق الجيش في الديوان ، وهو اسم مولد .

3 - شراقي : التشريق عند اهل مصر الا تسقى الارض بماء النيل ، والارض يقال لها شراقي وهي مولدة ، مأخوذة من التشريق ، بمعنى التقديد ، لانها متقدمة .

4 - طلق : قال : اطل الله بقاءك ، وهي مولدة

5 - فوارة الماء : معروفة ، وهي مولدة ، قال الشريف العقيلي :

من حول فوارة مركبة  
قد انحنى ظهر مائها تعباً

6 - فذلكة : لفظة مولدة ، سمعتها ، وعرفت معناها .

7 - قصف : بمعنى اللهو ، استعمله المولدون في اشعارهم ، وأصل معناه كرجض صغير .

8 - كيمياء : لغة مولدة من اليونانية ، وأصل معناها الحيلة والحذق .

9 - ماهية : بمعنى الحقيقة ، نسبة إلى ( ماهو ؟ ) مولدة ، لم تسمع .

10 - مقامة : مولدة محدثة ، لم تقع في كلام أحد من المتقدمين ، لكن لها وجه من المجاز ، حيث سماها ما يقام في المجلس من حديث ( مقامة ) ( 12 ) .

وبملاحظة الكلمات العشر السابقة والتعليق عليها يتبين أنه يتمثل فيها مصادر التوليد الثلاثة السابقة كلها وقد يجتمع في كلمة واحدة أكثر من مصدر واحد ، كما في كلمة ( شراقي ) ففيها الاشتقاق والتحويل .

فلاشتقاق واضح في الكلمات المولدة ( شراقي - طلبق - فوارة - فذلكة - ماهية )

والتعريب واضح في الكلمات المولدة ( بطاقة - جريدة - كيمياء ) .

والتحويل عن المعنى بين في الكلمتين ( قصف - مقامة ) .

وليس ثمة داع ماس لتفصيل الكلام في كل كلمة على حدة .

وبعد :

فقد تكفلت هذه الفقرة ببيان ما يتعلق بالتوليد من حيث معناه ومصادره الدراسية واللغوية .

أما ما يتعلق بنظرة علمائنا الإقدمين له من حيث التصويب والتخطئة فهو موضوع الفقرة التالية ان شاء الله .

— ♦ —

**نظرة النحاة للتوليد في ظل الإصرار على نقاء اللغة :**

قبل الحديث المباشر عن نظرة النحاة للمولد ينبغي التنبيه إلى الأمور الآتية :

**أولاً :** التفريق بين المولدين والاستشهاد بشعرهم في دراسة اللغة بمستوياتها المختلفة وبين ما نحن بصده من الحكم على ظاهرة خاصة هي اللفاظ التي يعقب عليها بكلمة « مولد » أو « مولدة » .

والامر الأول موضعه الاستشهاد باللغة ، ويحتاج إلى تفصيل واسع خلاصته أن علماءنا الإقدمين قد نظروا إلى المولدين عموماً بشك وريبة ، وترتب على ذلك المبالغة في التصون من كلامهم ، واعتمدوا في هذا التصون على التحديد الزمني الذي اختلف مداه بين التشدد التام والتسامح النسبي ، فأبو عمرو بن العلاء كان لا يحتج ببيت إسلامي قط ، واشتهر عنه قوله « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق » فالشعر الجاهلي وحده هو الجدير بالعناية والدراسة لديه ، وما عداه مرفوض . أما الأصمعي وغالبية العلماء فقد تسامحوا نوعاً في نظرهم لتحديد الزمني ، وعلى ما هو المشهور عنهم قبلوا ما جاء من مادة اللغة حتى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً ، وشملت هذه الفترة بالطبع كثيراً من المولدين الذين روى العلماء شعرهم ، واعتبروه حجة ، كما يوضح ذلك النص الآتي :

\* عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : عمر بن أبي ربيعة مولد ، وهو حجة ، سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول : هو حجة .

وفضلة بن شريك الأسدي وابن الرقيات ، هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة ( 13 ) .

**ثانياً :** أن النظرة التي نرصدها هنا تتعلق بالالفاظ المولدة من حيث صيغها الشكلية لا من حيث معانيها ، فقد قبلت الالفاظ المولدة من حيث المعنى ، لكنها رفضت من حيث النظرة اللغوية ، وترتب على ذلك أن تعتبر الكلمة فصيحة ، لكنها مرفوضة لغوياً لأنها مولدة ، وأن تدرس في الأدب ، لتعبيرها عن المعنى ، لكنها تعارض في دراسة اللغة ، لأنها ليست من كلام العرب .

( 12 ) انظر : « شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل » النصفحات الآتية على التوالي : 36 - 62 -

115 - 129 - 152 - 153 - 154 - 167 - 186 - 189 .

( 13 ) فحولة الشعراء ، ص : 39 .

\* كان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هي مولدة ، وقد جاء في الشعر الفصيح ، قال الأسود بن يعفر :

يوم لا ينفع الرواغ ولا يقدم الا المشع التحرير (14)

\* وقال ابن جني : المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون (15) .

ثالثا : أن نظرة علمائنا الاقدمين للمولد من حيث التصويب والتخطئة لم ترد عنهم - فيما أعلم - بصراحة وحسم ، وبعبارة أخرى : لم يدرس التوليد في الالفاظ - حتى عند المتأخرين - باعتباره موضوعا متكاملًا يتبين منه موقفهم المباشر منه والذي جاء عنهم في ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الأمثلة المتناثرة التي تذكر في المعاجم أو كتب اللحن والتريب .

لذلك ، فإن رصد موقفهم من الالفاظ المولدة يعتمد على هذه التعليقات وتجميعها وقد تبين منها أنهم حكموا عليها بالآتي :

1 - الالفاظ المولدة ليست من كلام العرب .

2 - بعض الالفاظ المولدة خطأ .

وينبغي تقديم نماذج تثبت هاتين الفكرتين أولاً ، لمعرفة المستوى الصوابي لنظرتهم أخيراً .

وقبل عرض هذه النماذج ينبغي أيضاً التنبيه إلى أن معظم أمثلة المولد مسكوت عن التعليق عليه فيما يخص الفكرتين السابقتين ، وهذا المسكوت عنه لا يثبت حكماً ولا ينفيه . إذ يقتصر مع وروده على أنه مولد فقط ، وعرض أمثلة منه أمر سهل ، ولكنها لا تفيد كثيراً في معرفة نظرة العلماء إليه ، ولذا كان من الأفضل الاقتصاد على إيراد نماذج من الأمثلة التي ذكر معها آراء العلماء حول الفكرتين السابقتين لاثباتهما .

### المجموعة الأولى :

1 - قول العامة : هم فعلت مكان أيضاً ، وبس مكان

(14) المعرب من الكلام الأعجمي ، ص : 331 .

(15) الخصائص ط ص 24 .

(16) ذيل الفصيح ، ص : 116 .

(17) ، (18) شفاء العليل ، ص : 14 - 15 .

(19) التنبيه على غلط الجاهل والنبه ، ص : 12 .

(20) ، (21) المعرب من الكلام الأعجمي ص : 224 - 281 .

حسب ، وله بخت مكان حظ ، كله مولد ، ليس من كلام العرب (16) .

2 - اطراف : جمع ( طرف ) بالسكون مولد ، وإنما هو جمع طرف بالفتح .

قال الخليل : الطرف لا يثنى ولا يجمع ، لأنه مصدر ( طرف ) إذا حرك طرفه وفي الفائق : أنه لم يرد به سماع (17) .

3 - التشويش : شوش بمعنى خلط ، واجمع أهل اللغة على أن التشويش لا أصل له في العربية ، وأنه من كلام المولدين (18) .

4 - الانانية : هي اختراع محض لا أصل لها (19) .

فالعبارات التي وردت مع هذه الأمثلة بعد الحكم عليها بأنها « مولد » هي « ليس من كلام العرب » و « لم يرد به سماع » و « لا أصل له في العربية » و « اختراع محض لا أصل لها » يفهم منها أن كلام العرب صاحب الأصل الذي ورد به السماع قد اعتمد على تحديده بعرف علمي اعتمد على زمن محدد في الحضر ، وأن هذا الزمن الذي امتد إلى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري على ما هو المشهور قد وقف حاجزاً علمياً يجعل ما وراءه من كلام العرب ، وما يأتي بعد ذلك ليس من كلامهم وهو اختراع محض لا أصل له .

### المجموعة الثانية :

1 - الطرش : ليس بعربي محض ، بل هو من كلام المولدين ، وهو بمنزلة الصمم عندهم (20) .

قال أبو حاتم : لم يرضوا باللكنة حتى صرفوا له فعلاً ، فقالوا : طرش يطرش طرشاً .

2 - الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة (21) .

3 - وتقول : ( هذا جواب كثير ) .

قال العسكري : والعامة تقول في جمع الجواب جوابات وأجوبة ، وهو خطأ لأن الجواب مثل الذهاب .

وقال سيبويه : الجواب لا يجمع ، وقولهم :  
جوابات كثيرة وأجوبة كثيرة مولد ، وإنما يقال :  
جواب كثير (22) .

4 - وتقول : شوشت الشيء إذا خلطته ، فأما  
التشويش فأجمع أهل اللغة أنه لا أصل له في  
العربية ، وأنه مولد ، وخطئوا الليث فيه (23) .

5 - انحفظ وانقرا وانكتب : مستحدث ، استحدثه  
المولدون مما لا يعتمد بوجوده ولا يعبا  
بكونه (24) .

فقد وصفت الكلمات المولدة السابقة بالكثرة أو  
عدم الصحة أو الخطأ ، أو أنها مما لا يعتمد وجوده ولا  
يعبا بكونه ، وكلها تدور حول معنى الرفض والتخطئة ،  
والدارس في ذلك أمام احتمالين :

أولهما : أن الحكم بالتخطئة على بعض الالفاظ  
المولدة خاص بتلك الالفاظ وحدها ، ويترتب على ذلك  
أمر آخر هو : أن من الالفاظ المولدة ما هو خطأ ،  
كالنماذج السابقة ، وما هو صحيح ، وهو ما لم يصرح  
بشيء عنه .

وثانيهما : أن الحكم على بعض نماذج المولد  
بالخطأ ينسب أيضا على المسكوت عنه ، مع تخصيص

المقصود من الخطأ في عرف علماء اللغة بأنه الخطأ  
الذي يخرج المولد به عن كلام العرب الذي يصح  
الاحتجاج به ، وإن كان المولد بذلك الاعتبار لا يخرج عن  
صحة الاستعمال في التعبير عن المعاني عند المتأخرين .

وليس لدى من الأدلة الحاسمة ما أرجح به أحد  
الاحتمالين ، وإن كنت أميل إلى الاحتمال الثاني اعتمادا  
على أن علماءنا قد أخرجوا المولد من الكلام العربي في  
تعريفهم النظري له ، وفي نصهم على ذلك في بعض  
أمثله ، ولما هو معروف عنهم من اعتمادهم على التحديد  
الزمني الذي بمقتضاه رفض ما جاء بعد ذلك من الظواهر  
اللغوية الجديدة ومنها المولد .

أخيرا :

تساءل عن المستوى الصوابي الذي وجه نظرته  
للمولد من الالفاظ ، فأخرجوه به عن كلام العرب ،  
وحكموا على بعضه بخطأ الاستخدام في دراسة اللغة ،  
أنه باختصار ( التحديد الزمني المعتمد على عرف  
العلماء لا الاستعمال اللغوي المعتمد على عرف المتكلمين )  
هذا هو الأساس !!

أما مدى توفيقهم فيه ، فله موضع آخر في  
القسم الأخير إن شاء الله .

## المعرب

وجهة نظر الاقدمين ، ليكون فهمه لأرائهم عن ضوابط  
المعرب متسما بالموضوعية والانصاف لهم ولنفسه .

وقبل كل ذلك ينبغي التتبع الشامل الدقيق  
للظروف التي هيأت للكلام الاعجمي طريقه للسان  
العرب ، وهي ظروف متنوعة ومتشابهة اجتماعيا  
ولغويا ، خصوصا مع المدى الزمني الطويل الذي حدث  
فيه اللقاء بين العرب وغيرهم من الأمم .

هذا ما ينبغي أن يتهيأ للدراسة موضوع التعريب ،  
وهو - بحق - جهد ثقیل ليس في طوقه الآن الوفاء به،  
كما أنه ليس من هدف هذا البحث الوفاء به ، إذ هو

ينبغي منذ البداية الاعتراف بأن الخوض في موضوع  
التعريب والحديث عن المعرب من الكلمات أمر لا سهولة  
فيه ولا يسر .

ذلك أنه ينبغي لمن يتصدى لهذا الموضوع أن  
يكون على دراية كافية بعدد من اللغات التي يقال أن  
العرب قد نقلوا قديما من الفاظها ، وذلك كي يتمكن من  
التمييز بين ما هو معرب حقا وله أصل أجنبي ، وما  
ادعى فيه التعريب من الكلمات دون سند علمي يعتمد به،  
كما نص على ذلك علماءنا الاقدمون أنفسهم .

يضاف لذلك ما يجب من المام الدارس لهذا  
الموضوع بقدر كاف من دراسة الاصوات والصرف من

(22) تقويم اللسان ورقة 11 .

(23) ذيل الفصح ص 108 .

(24) سهم اللاحاظ في وهم الالفاظ ورقة 5 .

مخصص للنظر الى قضية معينة هي « الصواب والخطأ » وهو بذلك لا يتسع للاستقصاء والتتبع .

والكلمات المعربة باعتبارها ظاهرة طارئة على اللغة العربية الاصلية ، فقد نظر اليها العلماء بحذر ، وقاموها بوضع شرائط الصياغة وسمات التعريب .

لذلك فان ما يدخل في امكاني وامكان هذا البحث هو رسم صورة واضحة للملامح - وان كانت مختصرة - للأمور الثلاثة الآتية :

1 - حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة .

2 - جهود الاقدمين لاختراع المغرب لمسلك الصيغ العربية .

3 - المستوى الصوابي في نظرية الاقدمين للمعرب بين شرائط الصياغة والاستعمال .

حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة :

في كتابة هذه الفقرة ينبغي بيان الامور الآتية :

1 - الصورة العلمية لحركة التعريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد في الحضر .

2 - الصورة العلمية لدراسة المعرب في الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

من الحق ان الدارس لا يملك النصوص الكثيرة لاثبات وجود الكلمات المعربة في اللغة العربية في الجاهلية ، ولكن هناك من الظروف والادلة ما يقطع بحدوث ذلك فيها ، فالمعرب في الجاهلية لم تكن امة منطوية على نفسها ، بل فرضت عليهم ظروف حياتهم الاتصال بمن جاورهم من الامم ، سواء اكان ذلك عن طريق التجارة او الغزو او الوفادة ، وهذه كلها وسائل للمخالطة واللقاء ، ويستتبعها نقل الالفاظ من اللغات الاخرى ، وتداولها بين العرب ولقد استعمل بعض الشعراء الجاهليين الالفاظ غريبة في شعره مما دعا العلماء فيما بعد الى عدم الاحتجاج به ، فامية بن أبي الصلت مثلا كان - فيما يقال - يستعمل الالفاظ غريبة

(25) راجع : المعرب في القرآن الكريم ص 199 .

في شعره فيسمى الآله « السلطيط » والسماء « صاقورة وحاقورة » وأغلب الظن ان هذه الالفاظ كلها لم تكن من ابتداعه ، بل كانت مما اطلع عليه في الكتب الدينية التي يقال انه كان يداوم قراءتها ، و « عدى بن زيد العبادي » كان من نصراني الحيرة ، وقد عاش فترة في البلاط الفارسي ، والمعتقد ان هذه الفترة قد انعكس تأثيرها عليه حضاريا ، فلان شعره ، كما انعكس تأثيرها عليه في نقل الالفاظ من الفارسية واستخدامها بين العرب .

ولم تكن الوفود العربية تنقطع عن الرحلات الى بلاد الفرس والروم والحيرة وغان والحبشة والهند ، والنتيجة بالضرورة تبادل الالفاظ بين العرب والاجانب .

والدليل العلمي الحاسم على وجود المعرب من الالفاظ في الجاهلية هو القرآن الكريم ، فقد احتوى على الفاظ كثيرة وصفها بعض الصحابة والتابعين - فيما روي عنهم - انها من غير لغة العرب ، كما الف العلماء في ذلك كتب خاصة ، وصنف السيوطي وحده كتابين في هذا الموضوع هما : « المتوكلي فيما في القرآن من المعرب » و « المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب » وقد جمع فيهما - كما هي عادته - مجهودات السابقين عليه في الافكار والالفاظ .

وجود المعرب في القرآن قضية علمية اختلف حولها العلماء اختلافا كبيرا على رأيين : أحدهما : وجود المعرب في القرآن ، والى ذلك ذهب بعض الصحابة والتابعين والعلماء منهم ابن عباس ووهب بن منبه وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك ، والسدي وأبو عمران الجويني وعمرو بن شرحبيل وأبو موسى الاشعري والزمخشري وابن الحاجب والسيوطي وغيرهم .

وثانيهما : ان القرآن لا يحتوي على غير العربي من الالفاظ ، وهو مذهب كثير من العلماء ومنهم الامام الشافعي وأبو عبيدة وابن فارس وابن جرير الطبري ، والباقلاني والرازي وغيرهم (25) .

وليس مما يفيد كثيرا هنا عرض التفاصيل لكلا الرأيين وأدلتهم والرد عليها ، وانما المفيد في ذلك فهم الامور الآتية :



أولا : أن الدارسين المتأخرين قد ارتضوا الرواية التالية عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وكأنما وجدوا فيها حلا لهذه القضية ، وخروجا من هذا الخلاف ، وقد أوردوا الجواليقي بعد أن أورد قول أبي عبيدة : من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول ، واحتج بقوله تعالى « أنا جعلناه قرآنا عربيا » - والرواية هي :

\* قال أبو عبيد : وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنه من غير لسان العرب ، مثل ( سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق ) وغير ذلك فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره ، وكلاهما مصيب أن شاء الله تعالى .

وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بالسنتها ، فعرّبته ، فصار عربيا إياه ، فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا (26) .

وقد نقل هذه الرواية نفسها من جاء بعد الجواليقي ودرس موضوع التعريب في القرآن كاليسوطي وغيره .

ثانيا : أنه سواء أكانت الالفاظ الواردة في القرآن من لغات أخرى أعجمية باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال : أو أعجمية باعتبار الأصل والحال ، فإن ورودها في القرآن يدل على أن العرب قد فهموها وتقبلوها ، وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل أن يأتهم بها ، وهذا يثبت ما نحن بصدده من وجود الالفاظ المنقولة من لغات أخرى في الجاهلية ، ومن استمرار ذلك حين جاء الإسلام .

ثالثا : يبدو أن الذين رفضوا وجود المعرب في القرآن سيطر عليهم الوازع الديني أكثر من تقرير الواقع اللغوي ، ولذلك فإن السيوطي حين أورد هذه

الالفاظ في كتابه ساق بين يديها أسانيد نسبتها إلى الصحابة والتابعين ، كأنما يتحرز هو أيضا من القول بذلك بنفسه ، وقد عدد اللغات المنقول عنها تلك الالفاظ ، فأوصلها إلى عشر ، وهي الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية ،

وذكر تحت كل لغة الالفاظ المعربة منها في القرآن ، وعددها جميعا 124 كلمة ، ومن نماذج ذلك :

\* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى ( تتخذون منه سكرا ) قال : السكر بلسان الحبشة : الخل .

\* أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : الاستبرق : الديباج الغليظ بالفارسية .

\* أخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه في قوله تعالى ( فصرهن ) قال : قطعهن بالرومية .

\* أخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى ( يا أرض ابلعي ماءك ) اشربي بلغة الهند .

\* أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله تعالى : ( يحمل أسفارا ) قال : كتبا ، والكتاب بالنبطية يسمى سفرا (27) .

ولا يستطيع المرء الجزم القاطع بصحة نسبة هذه الالفاظ في القرآن إلى اللغات التي قيل أنها جاءت منها ولا بصحة نسبة هذه الروايات المسندة إلى الصحابة والتابعين ، لأن ذلك يحتاج لمعرفة تلك اللغات في العصور القديمة مما لا يتوافر لي ، ولعل ذلك لم يتوافر لمن نسب إليهم ذلك من الصحابة والتابعين والدارسين من العلماء .

والذي أعتّمه أن كلمة ( بلع ) عربية أصيلة قال عنها صاحب القاموس ( بلعه كسمعه ابتلعه ) .

(26) المعرب من الكلام الأعجمي ص 4 - 5 .

(27) انظر في هذه النماذج : المتوكلي فيما وقع في القرآن من المعرب ، الأوراق 3 - 4 - 5 - 6 على التوالي .

من الالفاظ الاجنبية ، فقد اطلق عليها اسم « المولد »  
وقد تقدمت دراسته .

ذلك عرض مختصر لحركة التعريب فى فترة  
الاستشهاد ، فكيف تمت دراسته بعد ذلك ؟؟

كان من الطبيعي أن يهتم علماءنا - رحمهم الله -  
بظاهرة التعريب كما اهتموا بغيرها من الظواهر الطارئة  
على الكلام العربي ، وذلك بهدف دراستها وجمع  
روايات السابقين المتناثرة عنها والتمييز بين الكلمات  
المعربة وغيرها .

وفى رصد جهود العلماء فى هذه الظاهرة يتبين  
أنه قد تناولها أولا النحاة واصحاب المعاجم والفقهاء  
والمفسرون تناولوا سريعا فى اطار الاتجاه العام  
لمؤلفاتهم .

فالنحاة تناولوا هذه الظاهرة مهتمين ببنية  
الكلمات المعربة ، وخضوعها لشرائط الصياغة العربية،  
كما تناولوها ايضا فى باب علل المنوع من الصرف  
وبدأ ذلك بكتاب سيبويه الذى جاء فيه عنوان نصه :  
« هذا باب ما أعرب من الاعجمية » ( ج 2 ص 342 ) ،  
واورد تحت هذا العنوان ما يتعلق بإبدال الحروف  
وطرق الصياغة واللاحاق للكلمات المعربة ، وتابعه على  
ذلك النحاة بعده .

وأما اصحاب المعاجم فيوردون بعض الكلمات  
المعربة لذكر معانيها ، ويقفون على ذلك بأنها معربة مع  
النص على اللغة التى عربت منها .

أما الفقهاء والمفسرون فقد اهتمهم من ذلك كله  
وتوع العرب فى القرآن الكريم ومناقشة هذه الناحية  
بالرفض أو القبول ، فالامام الشافعي ( ض ) تناول  
هذا الموضوع فى كتابه ( الرسالة ص 41 - 45 )  
فأثبت انه لا يوجد فى القرآن غير العربي ، ورفض  
آراء المخالفين له فى تلك الفكرة .

أما تخصيص ظاهرة التعريب وكلماته بمؤلفات  
مستقلة ، فقد تأخر - فيما أعلم - الى القرن السادس  
الهجري ، وبدأ ذلك بكتاب الجواليقي ( المعرب من  
الكلام الاعجمي ) وتوالت بعده الجهود الخاصة بتلك  
الظاهرة بقلة أولا ، ثم بكثرة فى العصر الحديث كما  
يتضح ذلك من الجدول الآتي لهذه المؤلفات مرتبة  
بحسب وفاة مؤلفيها مما دخل فى امكاني معرفته :

وان كلمة ( سقر ) كلمة موجودة فى اللغة المعربة  
( ينظر ) فهل كانت موجودة فى النبطية ايضا  
قبلها كليهما أو معهما ؟ ربما !! وهذا يدفع الى كثير من  
الحذر فى اخذ هذه الاقوال وتلقيها ، وغاية ما يستطيع  
قوله : ان هذه الاقوال تدل بمجرد ورودها على وقوع  
الفاظ معربة فى الكلام العربي فى عصور مبكرة ، وقد  
استخدم القرآن بعض هذه الالفاظ حين نزل لمخاطبة  
العرب .

ومع مجيء الاسلام ازداد اختلاط العرب  
بالاجانب بالفتح والهجرات والرق والخدمة ، وبترتب  
على ذلك استخدام الالفاظ الاجنبية فى العربية ،  
ووجود الفاظ عربية فى اللغات التى احتكت بالعربية ،  
وهذه الالفاظ المعربة قد ضم الكثير منها فيما بعد  
المعاجم العربية والمصنفات الخاصة بالتعريب دون  
اشارة الى تاريخ استخدامها فى اللغة العربية . ومع  
ذلك فمن المؤكد ان حركة النقل اللغوي فى القرن  
الاول قد استمرت وزادت عما كان عليه الامر فى  
الجاهلية .

على ان اهم موقف واجه العرب فيما يتعلق  
بالتعريب جاء فى بداية القرن الثاني الهجري حين  
اتسع نشاط الثقافة العربية تأليفا وترجمة فازدادت  
الحاجة لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة ، يقول  
السيوطي : « قال محمد بن علي الخراساني : المنصور  
اول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية  
بالعربية ككتاب كلية ودمنة واقليدس » ( 28 ) والذي  
اعتقده ان حركة الترجمة نشطت قبل المنصور بزمان  
بعيد ، واستمرت بعده فى ازدياد وقوة . والمهم ان  
العرب واجهوا موقفا لغويا جديدا لسد حاجتهم  
لمتطلبات التأليف والترجمة ، وتغلبوا على ذلك بأمرين :

الاول : التصرف فى مدلول الكلمات العربية  
الاضل مثل الفاعل والمفعول والموضوع والمحمول  
وذلك بتحويل المعنى اللغوي الى معنى اصطلاحي .

الثاني : نقل الالفاظ الاعجمية نفسها الى اللغة  
العربية ، واكثر ما كان ذلك فى اسماء النبات والحيوان  
والآلات والامراض والمآكل وسلع التجارة .

وفى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري توقف  
الاستشهاد باللغة فى الحضر ، وشمل ذلك ايضا  
ظاهرة التعريب فى الالفاظ ، أما ما نقل بعد تلك الفترة

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ الوفاة او طبع الكتاب	الإشارة الى وجوده
1 - المغرب من الكلام الأعجمي	لابي منصور الجواليقي ( ت 539 )	مطبوع
2 - التذيل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل	عبد الله بن محمد البشيشي ( ت 820 )	مخطوط
3 - المتوكلي فيما في القرآن من المغرب	جلال الدين السيوطي ( ت 911 )	مخطوط
4 - المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب	جلال الدين السيوطي ( ت 911 )	مخطوط
5 - التمريب ( رسالة )	ابن كمال باشا ( ت 940 )	مخطوط
6 - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل	شهاب الدين الخفاجي ( ت 1096 )	مخطوط
7 - المغرب والدخيل	مصطفى المدني ( قرن \ 11 )	مطبوع
8 - قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل	محمد الامين المجبي ( ت 1111 )	مخطوط
9 - الطراز المذهب في الدخيل والمغرب	محمد نهائي ( ت 1185 )	مطبوع
10 - المغرب في القرآن الكريم	أحمد القوصي ( ت قرن \ 13 )	مخطوط
11 - الدليل الى مرادف العامي والدخيل	رشيد عطية البناي ( ت 1898 م )	مطبوع
12 - التقريب لاصول التعريب	طاهر بن صالح الدمشقي ( طبع 1337 )	مطبوع
13 - التهذيب في اصول التعريب	أحمد عيسى ( طبع 1342 )	مطبوع
14 - الاشتقاق والتعريب	مصطفى المغربي ( طبع 1366 )	مطبوع

وبلاحظ على هذه الجهود ما يلي :

**ثالثا :** كلمة ( الدخيل ) جعلت عنوانا لبعض هذه الكتب مستقلة أو مع غيرها من المغرب أو العامي ، ويبدو أن هذه الكلمة أعم من كلمة المغرب ، إذ تشمل ما نقل الى لغة العرب سواء جرت عليه أحكام التعريب أو لم تجر عليه ، وسواء أكان في عصر الاستشهاد أو بعده ، وهو ما أطلق عليه اسم « المولد » .

**رابعا :** الكتب الأربعة الأخيرة مؤلفة حديثا ، ولذلك فإن مادتها العلمية لا تقتصر على تناول المغرب قديما فحسب ، بل تزيد عليه ما حدث في العصر الحديث من ذلك .

**وأخيرا :** فقد كانت هذه الفقرة خاصة بتوضيح الحركة العلمية للتعريب استعمالا ودراسة وبهنا منها الجانب اللغوي الذي تتكفل ببيانه الفقرة التالية أن شاء الله .

**أولا :** أن التأليف في هذه الظاهرة قد تأخر نسبيا عن غيرها من الظواهر اللغوية التي تناولتها فترة المراجعة في القرن الرابع وما تلاه ، ولعل ذلك يعود الى صعوبة الحديث عن هذه الظاهرة ، لما تستلزمه من معرفة لغات متعددة للحديث فيها ، وهذا لا يتييسر للكثير من الناس ، ولعل هذا يفسر اعتماد هذه المؤلفات كثيرا على أقوال السابقين - مسندة أحيانا - في القول بالمغرب .

**ثانيا :** وضحت ظاهرة أخرى في كتب التعريب ، وهي التمهيد لذكر الكلمات المغربية بمقدمة علمية تتناول الأفكار الخاصة بهذه الظاهرة ، كتحديد معناه وفائدته وضوابط النحاة له ، ووقوعه في القرآن ، وغير ذلك مما يفيد منه الدارس فائدة حقيقية ، ومما لم يحدث لظواهر أخرى مماثلة كاللحن والتوليد مثلا .

## نظرة الاقدمين للمعرب وجهودهم في اخضاعه لمسلك الصيغ العربية

دارت دراسة علماء اللغة الاقدمين للمعرب حول تحديد معناه ، والمقصود منه ، ووضع الضوابط لصيغه ، ومعرفة هذه الامور الثلاثة تؤدي الى استخلاص المستوى الصوابي لموقفهم منه .  
وعلى هذا فان منهج كتابة هذه الفقرة يتحدد بالآتي :

- 1 — التحديد النظري لمعنى المعرب .
  - 2 — المقصود بالمعرب فيما نقل من اللغات الاعجمية الى العربية .
  - 3 — جهود النحاة في اخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية .
  - 4 — المستوى الصوابي لموقف الاقدمين من المعرب .
- التعريب باختصار هو : نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وحول هذا المعنى جاءت تعريفات الاقدمين النظرية له :

\* قال سيبويه : اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوا ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه (29) .

\* وجاء في شفاء العليل : التعريب نقل اللفظ من المعجمة الى العربية ، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره اعرابا ، فيقال حينئذ معرب ومعرب (30) .

\* وجاء في الطراز المذهب : التعريب من باب التفعيل ، ومن معانيه التكلف ، لان العرب تكلفوا ادخال اللفظ المعجمي في لفتهم ، وتصرفوا فيه بالتغيير عن مناجه ، والتغيير فيه اكثر من عدمه ، واجروه على وجه الاعراب ، وتفوهوا به على منهمجهم (31) .

ويتضح من هذه التعريفات الثلاث السابقة انها تتجه جميعا الى وصف الناحية العملية واللفظية في

عملية التعريب ، اذ ينقل العرب هذه الالفاظ او يغيرونها - حين يأخذونها - كما عبر سيبويه ، او يتكفون ادخالها في لفتهم كما فهم غيره من معنى التعريب ، ويترتب على ذلك احكام لفظية من الحاق او تغيير او اعراب .

اما ناحية معنى الكلمة المعربة فقد انصرفوا عن التعرض لها في هذه التعريفات ، ويبدو ان سبب الانصراف عن ذلك هو شيوع العرف بين العلماء من ان الكلمة المنقولة من لغة اخرى تنقل ومعها معناها في اللغة المنقول عنها قبل ان تعرب ، كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون نص على هذه الناحية ، اذ قال : « المعرب عند اهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع » (32) وهذا هو الغالب في استخدام الكلمات المعربة ، وقل ان يحدث تغيير في معاني الكلمات المنقولة .

وهنا نقطة جانبية تتعلق بلفظة ( المعرب ) فان سيبويه قد استعمل لفظ ( معرب ) باسكان العين وفتح الراء ، وكذلك استعمل الفعل ( اعراب ) ولم يستعمل لفظ ( معرب ) بفتح العين وتشديد الراء المفتوحة على ما هو المشهور ، وهذا الخلاف في التعبير لم يترتب عليه خلاف جوهري في فهم المعنى المقصود ، فسواء عبر بهذا او بذلك فان المقصود من ذلك هو نقل الكلمة مع عرفها الاجنبي ، وجريانها مجرى الكلمات العربية من حيث الصيغة والاعراب احيانا .

هذا وقد نص العلماء على ما يجب ان يتسم به اللفظ المنقول من لغة اجنبية كي يطلق عليه انه « معرب » ففرقوا بين ما جاء في نصوص موثقة كالقرآن والحديث او ما نقله العرب المعتقد بكلامهم وبين ما نقله المولدون الذين لا يعتد بما جاء عنهم ، او بعبارة اخرى بين ما نقل عن عصر الاستشهاد في الحضر وما استعمل بعد ذلك العصر ، فقبلوا النوع الاول وحكموا بصحته ، وعزلوا النوع الثاني ، واطلقوا عليه اسم « المولد » .

\* قال الجواليقي عن كتابه المعرب من الكلام الاعجمي : هذا كتاب تذكر فيه ما تكلمت به

(29) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

(30) شفاء العليل ص 3 .

(31) الطراز المذهب ص 2 .

(32) كشاف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 944 .

العرب من الكلام الاعجمي ، وتطرق به القرآن المجيد ، وورد في أخبار الرسول ( ص ) والصحابة والتابعين ، وذكرته العرب في أخبارها وأشعارها ، ليعرف الدخيل من الصريح (33) .

\* ونقل الخفاجي النص السابق ، ثم زاد عليه قوله : فما عربه المتأخرون يعد مولداً ، وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب (34) .

وينبغي التنبيه الى انه يفهم من عبارات الاقدمين مثل ( ما ذكرته العرب ) أو ( ما تكلمت به العرب ) أو ( ما نطقت به العرب ) عرف خاص لدى علماء اللغة يقصد به المادة اللغوية الموثقة في عصر الاحتجاج ، وبذلك يفهم من كلام الجواليقي أن المعرب لا يطلق الا على الكلمات التي استخدمها الناطقون من العرب في هذا العصر ، أو التي وردت في نصوص موثقة كالقرآن والحديث ، أما الذي نقله المولدون بعد ذلك فقد نص الخفاجي انه يطلق عليه اسم ( المولد ) .

ويأتي هنا تساؤل عن موقف التعريب من حيث القياس والسماع ، فهل يعتبر تعريب الكلمات سماعياً ، لأنه مما استأثر به العرب المحتج بهم وحدهم ، وينبغي الاقتصار على ما استعملوه ونقل عنهم أو يعتبر قياسياً ، فيصبح لمن جاء بعد هذا العصر السعيد الحظ أن يعرب كما عربوا ، ويستورد حاجته من الكلمات الأجنبية مثلهم ؟ !

واضح أن علماءنا - رحمهم الله - على الاتجاه الاول ، فالمعرب من الالفاظ لا يعتد به الا اذا ورد عن عصر الاستشهاد ، أما ما يحدث بعد ذلك فلا يعتد به في المعرب الصحيح ولا يصح دخوله في هذا النطاق ، ولذلك أطلق عليه أنه « مولد » .

أما عن جهود النحاة العرب في إخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية فانه ينبغي أن يعلم منذ البداية أن هذه الجهود جاءت لتقنن لما قد حدث فعلاً ، إذ أن نقل الكلمات الاعجمية الى العربية لم ينتظر قواعد النحاة التي وضعوها للتعريب ليتوافق معها توافقاً كلياً والناطقون العرب الذين اتصلوا بالاعاجم ، ونقلوا الكلمات من لغاتهم لم يدر في حساباتهم الاتيان بها على صيغ معينة أو التزام مطرد لحروف عربية خاصة مكان

حروف أخرى في اللغات الأجنبية ، وانما يعرفون الكلمات من غيرهم ، فينطقونها على حسب ما سمعوها ، أو على حسب مقدرتهم على نطقها ، خصوصاً مع لغات لم يكونوا يجيدونها كالفارسية والرومية والهندية وغيرها ، والمتصور أن يأتي هذا النطق موافقاً تماماً لنطقها في لغتها أحياناً أو يحدث فيه التغير في أحيان كثيرة ، وهذا التغير الذي يحدث لا يلتزم دائماً طريقة موحدة - كما أراد النحاة له من بعد أن يكون ذلك أن النحاة قد نظروا للمعرب من الكلمات الأجنبية من زاوية النظر الى مسلك الكلمات العربية فحاولوا - بجهد مشكور - أن يضعوا لها قوانين تحكمها مستهدين في ذلك بدراسة اللغة العربية باعتبار أن الكلمات الأجنبية قد استعملها العرب ، ولكن فرض منطوق لفة على لفة أخرى أن صح في بعض الامثلة فإن امثلة أخرى كثيرة تبقى غير خاضعة له .

وترتب على ذلك أن المطلع على القوانين الدراسية التي وضعوها للمعرب يلاحظ عليها القصور عن تغطية استقرائية صحيحة لامثلة التعريب ، كما يلاحظ أيضاً أنها غير مطردة على اتجاه واحد ، فالقاعدة الواحدة تحتل وجوهاً أخرى غيرها تذكر معها ، بحيث لا يؤدي كل ذلك الى نتائج مقنعة ، ولم يكن المنتظر غير ذلك .

وعلى كل فلنتبين أهم ما تعرض له النحاة من قضايا التعريب .

## 1 - الالحاق بأبنية العرب

\* قال سيبويه : اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه بأبنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه .

فأما الذي الحقوه ببناء كلامهم ، فدرهم الحقوه ببناء هجرع ، وبهرج الحقوه بسلهب ، ودينار الحقوه بديماس وديباج الحقوه كذلك - وقالوا : اسحاق فالحقوه باعصار ، ويعقوب فالحقوه ببربوع ، وجورب فالحقوه ( بفعل ) - وقالوا : آجور فالحقوه بعاقول - وقالوا : شبارق فالحقوه بعذافر ، ورستاق فالحقوه بقرطاس ، لما أرادوا أن يعربوه ، الحقوه ببناء كلامهم .

(33) المعرب من الكلام الاعجمي ص 3 .

(34) شفاء الغليل ص 3 .

المجوس - حلب - حمص - دمشق - أيلة -  
الجليل - طبرية - صيداء .

( ج ) الحاق الكلمات الاجنبية الطويلة بالمركب  
المزجي وذلك مثل :

بزرجمهر - شانتمارية

( د ) ما جاء فى النص السابق لابي حيان من اعتبار  
الاصلي والزائد والوزن .

( هـ ) الصرف والمنع من الصرف ، فاذا تمكن العرب  
من الكلام العربي ، فدخلته الالف واللام وصار  
نكرة ، صرف ، وذلك مثل : لجام وسندس  
واستبرق ، واذا لم يتمكن فى كلام العرب وبقي  
معرفة لديهم ، فانه يمنع من الصرف ، مثل  
اسماعيل واسحاق ويعقوب .

## 2 - تغيير الحروف والحركات :

\* يقول سيبويه : وربما غيروا حاله عن حاله فى  
الاعجمية مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية  
فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للمعرب عربيا غيره ،  
وغيروا الحركة ، وأبدلوا مكان الزيادة ولا يلفون به  
بناء كلامهم ، لانه اعجمي الاصل ، فلا تبلغ قوته عندهم  
الى ان يبلغ بناءهم وانما دعاهم الى ذلك ان الاعجمية  
يغيرها دخولها العربية بابدال حروفها ، فحملهم هذا  
التغيير على ان أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون فى  
الاضافة ، اذ قالوا : هنى نحو زباني وثقفي وربما  
حذفوا كما يحذفون فى الاضافة ، ويزيدون كما يزيدون  
فيما يلفون به البناء وما لا يلفون به بناءهم ، وذلك  
نحو آجر وابرسيم واسماعيل وسراويل وفيروز  
والقهرمان . وقد فعلوا ذا بما الحق بينائهم وما لم  
يلحق من التغيير والابدال والزيادة والحذف لما يلزمه  
من التغيير .

وربما تركوا الاسم على حاله اذا كانت حروفه من  
حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن ، نحو خراسان  
وخرم والكركم (37) .

ثم عاد سيبويه يقول : وربما تركوا الاسم على  
حاله ، اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم  
أو لم يكن نحو خراسان وخرم والكركم (35) .

\* ويقول ابو حيان : الاسماء الاعجمية على ثلاثة  
اقسام .

قسم غيرته العرب والحقته بكلامها ، فحكم  
ابنيته باعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء  
العربية الوضع ، نحو درهم وبهرج .

وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر  
فيها ما يعتبر فى القسم الذي قبله ، نحو ( آجر ) .

وقسم شركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية  
كلامهم ، لم يعد منها ، وما لحقه ، عد منها ، مثال الاول  
خراسان ، لا يثبت به ( فعالان ) ومثال الثاني خرم  
الحق بسلم (36) .

والذي يفهم من هذين التصنيفين ان الامر المعتقد  
به لدى النحاة هو اللاحاق لا التغيير ، فاذا الحق  
الاسم بأبنية العرب - سواء غير أم لم يغير - أخذ  
أحكامها ، أو بتعبير سيبويه « لما أرادوا ان يعربوه  
الحقوه ببناء كلامهم » واذا لم يلحق بأبنيتهم - غير أو  
لم يغير أيضا - لم يأخذ هذه الاحكام ، ويتضح من  
ذلك ما تقدم قوله من ان النظرة الى المعرب اصطفت  
بالصبغة العربية الخالصة تماما وادى ذلك الى التفريق  
بين صنف واحد من الكلام نقله الناطقون العرب عن  
الاجانب .

ومن الملاحظات التي ترتبت على هذه النظرية  
ما يلي :

( أ ) تعريب الصيغة بحيث تقرب من الموازين  
الصرفية العربية . وذلك مثل :

فلسفة وهرطقة - سفسطة على وزن فعلا -  
سندس - بندق - فندق على وزن فعلل  
بطريق - زنديق على وزن فعليل

( ب ) تغيير الصيغة الاجنبية لتناسب الصياغة العربية ،  
مثل :

(35) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

(36) ارتشاف الضرب ورقة - 13 .

(37) كتاب سيبويه ج 2 ص 342 .

فلأن الإعجمية يغيرها دخولها العربية - كما يقول سيبويه - حدث التغيير في الحروف والحركات بإبدال حرف مكان آخر ، أو تغيير الحركة ، أو حذف بعض الحروف في الصيغة أو الزيادة فيها أو ترك البنية على حالها إذا كانت حروفها من حروفهم .

لكن سمات التغيير - على هذه الصفة - عامة وغير منضبطة ، بل ولا يستطيع ضبطها بدقة لأنها خضعت لتصرف الناطقين لا لصناعة الدارسين ، ولذلك جاء أسلوب سيبويه عن هذا التغيير - في نصه السابق - حذرا ، استخدم فيه كلمة ( ربما ) ثلاث مرات .

وقد نص الاقدمون على بعض المظاهر التي يظن اطراد التغيير فيها ، ومن ذلك مما ذكره الجواليقي :

\* ما كان بين الجيم والكاف من الحروف ( 8 ) ربما جعلوه جيما ، وربما جعلوه كافا ، وربما جعلوه قافا ، قالوا ( كريج ) و ( كريق ) و ( كربك ) .

\* الحرف الذي بين الباء والفاء ( P-V ) ربما أبدلوه باء وربما أبدلوه فاء .  
قالوا : فرند ويرند - وقالوا : البهلوية والبالوذة وفارس وفيروز .

\* أبدلوا السين من الشين ، قالوا ( سراويل واسماعيل ) وأصلها ( شروال واشماويل ) .

\* وأبدلوا اللام من الزاي في ( قفشليل ) وأصلها ( كفليجاز ) وجعلوا الكاف منها قافا والجيم شينا ، والفتحة كسرة ، والالف ياء .

\* ومما أبدلوا حركته ( زور - آشوب ) .

\* ومما زادوا فيه وتقصوا ( إيريسم واسرافيل وفيروز وقهرمان ) وأصل الأخير ( قرمان ) .

\* ولما تركوه على حاله ، فلم يغيروه : خراسان وخرم وكركم (38) .

ولو تابع الدارس التأمل في الكلمات التي حوتها كتب المعرب ، وأمكنته قدرة الرجوع الى اللغات الإعجمية التي نقل منها ذلك ، فسيخرج بمظاهر أخرى غير ما نصوا عليه منها ، بل أن الذي نصوا عليه منها

لا تطرد ظواهره في كل الأمثلة ، ولنتأمل الأمثلة الخمس الآتية مما أورده الخفاجي في شفاء الليل ، حيث يذكر الكلمة وأصلها الاجنبي - والعهد عليه في ذكر هذا الأصل - :

( 1 ) خندريس : اسم الخمر ، تكلمت به العرب قديما ، قيل : هو معرب ( كندره ريش ) أي شاربها ينتف لحيته ، لذهاب عقله .

( 2 ) دهقان : بفتح الدال وكسرهما ، معرب عن الفارسية ( دهخان ) أي رئيس القرية ، ومقدم الزراعة .

( 3 ) زنديق : قال أبو حاتم : هو فارسي معرب ( زنده كرد ) أي عمل الحياة ، لأنه يقول ببقاء الدهر ودوامه .

( 4 ) سردار : من الفاظ التراكمة ، وهي بالفارسية ( اسفهلار ) ومعناه رئيس الجيش .

( 5 ) سدير : علم قصر معروف ، وقد قيل : انه معرب من الرومية ، وأصله ( سهدل ) أي فيه ثلاث قباب متداخلة (39) .

وفي المثال الاول : غيرت الكاف خاء مع الشين سينا - وهو مما لم ينص عليه الجواليقي في التغيير .

وفي المثال الثاني : غيرت الخاء قافا ، ولم ينص أيضا على ذلك .

وفي المثال الثالث : يلاحظ النقص في الصيغة مع ابدال الكاف قافا ، ولم ينص عليه أيضا .

وفي المثال الرابع : تكاد الصلة تنقطع بين الكلمتين ، وإن احتوى كل منهما على السين والراء وحرف المد الطويل .

وفي المثال الخامس : يلاحظ ابدال الراء من اللام ومد حركة الدال .

والذي يدل عليه ذلك أن مسلك التغيير في التعريب لا يضبط بقوانين محددة ، وأن ما ذكره العلماء منها يصدق عليه انه ملاحظات غير مطردة ، أو على أقل تقدير ما عبر به بعض المتأخرين الذين درسوا المعرب ، إذ قال : « وهذا كله أغلبي » .

(38) راجع : المعرب من الكلام الأعجمي ص 6 وما بعدها .

(39) راجع : شفاء الليل : الصفحات 76 - 86 - 97 - 112 - 114 على التوالي .



### 3 - علامات المعرب :

جانب آخر من جوانب الجهد الذي بذله علماءنا للتمييز بين العربي والمعرب ، وقد اتجه ذلك بصفة خاصة الى بيان صفات الصيغ المعربة من حيث اجتماع الحروف التي لا تجتمع في العربي أو ذكر اوزان الكلمات التي لا تأتي على مثلها الكلمات العربية .

وقد جمعت كتب التعريب المتأخرة مثل ( قصد السبيل فيما في اللغة العربية من إلخيل ) و ( المعرب في القرآن الكريم ) - راجع الجدول السابق - معظم ما ذكر من قبل عن هذين الأمرين ، وهو كثير ، يؤدي استقصاؤه هنا الى التحويل فيما يمكن الرجوع اليه في المصدرين السابقين .

فان الاوزان التي اختص بها المعرب فيما أورده المصدر الأخير وحده بلغت 72 وزنا وقد عدها وذكر أمثلتها .

وبكفي هنا ذكر نماذج ثلاثة لكل من هذين الأمرين من علامات التعريب على سبيل التمثيل لا الحصر :

#### اولا :

- ( 1 ) لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، فمتى جاءت في كلمة ، فاعلم انها معربة ، ومن ذلك ( جلوبق ) و ( جرنديق ) .
- ( 2 ) لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية ، ومن ذلك ( الجص ) و ( الصيعة ) .
- ( 3 ) ليس في ابنية المعرب اسم فيه نون بعدها راء ، وما جاء من ذلك معرب مثل ( نرجس ) و ( نرسيان ) (40) .

#### ثانيا :

- ( 1 ) ليس في كلامهم وزن ( فعالان ) كخراسان .
- ( 2 ) ليس في كلامهم وزن ( فاعيل ) كقبايل وهابيل ، وذلك معرب .
- ( 3 ) ليس في كلامهم وزن ( فعاويل ) كسراويل وذلك معرب (41) .

والحق ان هذا الجهد الذي بذل في استقصاء علامات المعرب وتصنيفها يقصر عن الاحاطة بكل ما عرب من الكلمات الاعجمية ، لوضعها في قواعد تنظمها ، ويؤكد هذه الدعوى تصفح كتاب واحد يضم كلمات نسب لها التعريب ، فان الانطباع الذي يخرج به المرء من ذلك هو :

ان ما ذكره من علامات التعريب ملاحظات تصدق على بعض الامثلة ، ويبقى الكثير من الكلمات مما لا يخضع لهذه الملاحظات ، لان ظروف مورده للعرب من لغات متعددة ، وظروف نطقه من العرب الذين لا يجيدون هذه اللغات لا تسمح له بالنظام والتقنين .

#### اخيرا :

ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين ازاء النقل من اللغات الاجنبية ؟؟ أو بعبارة أكثر صلة بموضوع البحث : ما هو المستوى الصوابي لموقفهم من المعرب الذي اعتبروه ظاهرة طارئة على اللغة ؟؟

يتلخص ذلك في أمرين :

الاول : قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا في فترة زمنية خاصة .

الثاني : فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

وواضح ان الاساس الاول وراء تخصيص المعرب بفترة الاستشهاد في الحضر ، وهي لا تتجاوز النصف الاول من المائة الثانية .

وان الاساس الثاني وضع في جهودهم العلمية حول المعرب من حيث بنيته وعلاماته .

فهل يتفق الاساس الاول مع الحاجات العلمية والاجتماعية المتجددة باستمرار ، وما تدعو اليه من نقل كلمات اجنبية من اللغات الاخرى ؟ ! .

وهل يتفق الاساس الثاني مع طبيعة الاستعمال للكلمات الاجنبية ممن لا يجيدون اللغات التي وردت منها ، وهل يمكن فرض نظام لغة على لغة اخرى ؟ !

بيان ذلك كله في القسم التالي ان شاء الله .

(40) راجع : المعرب من الكلام الاعجمي ص 11 .

(41) راجع : المعرب في القرآن الكريم ص 140 وما بعدها .

## رأي علم اللغة الحديث

### مناقشة آراء النحاة عن اللحن والتصنيف والتوليد والتعريب تفصيلاً

تختص هذه الفقرة بعرض الأمور التالية :

- 1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال
- 2 - التصنيف والتحريف من مظاهر ضعف الرسم العربي
- 3 - الالفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة
- 4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وعرض كل واحد من هذه الأمور يتبع نهجاً ملتزماً فيها جميعاً ، من بيان وجهة النظر الحديثة فيها - وتقويم المستوى الصوابي للأقدمين في ضوءها - ثم الدلالة على الموقف العلمي الآن منها .

- 1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال .

في رصد نظرية النحاة لما أطلق عليه « اللحن » في الكلام العربي ، تبين أنهم بذلوا جهوداً مفيدة في جمع مظاهره ومادته اللغوية التي تسربت للفصحى على مدى العصور ، لكن المتأمل في هذه الجهود يفهم منها أنهم نظروا إليه في ضوء القواعد التي اعتبروها مقياس الحكم عليه بالخطأ ، فاعتبروه أمراً خطيئاً يهدد الفصحى في المعاني والصيغ وتأليف الكلام وأعرابه ، لذلك حاربوه بشدة ووقفوا منه موقف الشك والإنكار ، وتقويم هذا الموقف كله يكون بالآتي :

- أ - النظرة الحديثة للحن في ضوء تطور اللغة.
- ب - الرأي في جهود النحاة حوله ونظرتهم إليه

إن نظرة اللغويين المحدثين للتغير في اللغة تتسم بالتسامح ، إذ ترقب هذا التغير في ضوء استعمال الناطقين له فقط ، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخر لعصر مضى أو عصر لاحق كي ترتب على ذلك حكماً عليه بالتقدم أو التقهقر ، كما لا تنظر إليه في ضوء معايير جاهزة ، فما وافقها كان صواباً ، وما خالفها ، كان خطأً ولحناً ، لأن مرجع ذلك كله هو الجماعة اللغوية التي تستعمل اللغة وما ترتضيه أو ترفضه من معاني الالفاظ وصيغها وطريقة تأليفها .

يقول جيسبرسن : من رأي علماء اللغة أن المقصود بالتطور Development في اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور في الأمور الأخرى بأنه اتجاه تقدمي نحو الكمال ، في مقابل من يصرون على اعتبار التغير تقهقراً إلى الوراء أكثر منه اتجاهًا إلى التقدم ، إذ يقصد بالتطور ببساطة : أنه تغير مستمر في اللغة بدون حكم على قيمة هذا التغير ، والذي يجب أخذه في الاعتبار هو اهتمام الجماعة نفسها المتحدثة باللغة ، فهي سلسلة من الأعمال الإنسانية بقصد الاتصال الفكري والشعوري . وتلك وحدها هي الطريقة التي تقاس بها القيم اللغوية . (42)

إذ ينبغي « جيسبرسن » في نصه السابق أن يوصف التغير في اللغة بالتقدم أو التقهقر ، وبالرقي أو الانحطاط ، فهو تغير مستمر فقط ، وهذا من طبيعة اللغات ، وينبغي النظر إليه في ضوء الاستعمال ومن حق الناطقين وحدهم الموافقة عليه أو رفضه ، وهذا يقودنا إلى بيان قبول الجماعة اللغوية ورفضها بطريقة أكثر تحديداً .

يقرر « أولمان » أن اللغة - أية لغة - ليست ساكنة بحال من الأحوال ، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها ، وإن اختلفت سرعة التغير من فترة زمنية إلى أخرى ، فإنها موجودة على كل حال ، فلو قمنا بدراسة فترتين متباعدتين للغة ما ، فسيؤدي ذلك إلى وضوح اختلافات عميقة كثيرة بينهما ، ومع ذلك فإن التغير لا يتم بطريقة عشوائية ، بل يسير وفقاً لاتجاه منظم ، إذ يبدأ أولاً بالابتداع والتجديد Innovation بحدوث ذلك من فرد أو أفراد ، فإذا صادف التغير قبولاً بين من يستعملون اللغة ، انتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة انتشار التغير Dissimination وحينئذ ينفذ إلى نظام اللغة ، ويصبح عنصراً من عناصرها بقوة الاستعمال (43) .

فإدخال التغير في عنصر من عناصر اللغة لا يعني بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين ، فقد لا يبقى أصلاً ، إذ ينسى وينتهي أمره ، وقد يبقى مقصوراً على صاحبه أو على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها ، لكن إذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله فإن ذلك يعني حدوث تغير في

(42) انظر : Language, its Nature, Development and Origin, p. 320-324

(43) راجع : دور الكلمة في اللغة ص 156 .

الصيغ وتأليف الكلام ومعاني الالفاظ وحركات الاعراب ، فتعميم الشك والتردد فى جهود النحاة عن اللحن بهذه الصورة لا يؤيده واقعا نفسه .

فاللحن قد حدث فعلا ، وجهود النحاة حوله صحيحة ، وعلمنا هنا تقويم جهودهم فى جمع مادته ، ونظرتهم له .

ان جهود النحاة فى جمع مادة ما أسموه «اللحن» التي نقلتها كتب طبقات النحاة وضممتها كتب «لحن العوام» فى القرن الثاني الهجري وما بعده جهود موفقة جديرة بالاحترام والتقدير ، والمادة العلمية التي حوتها عن مظاهر اللحن المختلفة تدل على دقة تتبع للجزئيات ، وطول الاستقراء والنظر فى اللغة الفصحى ، لكن هذا الجهد الصابر - للأسف - لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيرا فى اللغة وتطورا فى عناصرها على مدى العصور ، لان النحاة نظروا اليه فى ضوء مسلمة علمية منها اعتبار اللغة العربية الفصحى فى الحضر قد بلغت غاية كمالها حوالى منتصف القرن الهجري الثاني وأن ما طرا عليها من تغير يعد ذلك فساد وانحراف من الواجب مقاومته ، ومن ذلك اللحن بطبيعة الحال .

ومن ذلك تجاوز النحاة موقف الباحث فى وصف الاستعمال المتطور الى موقف آخر قاموا فيه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز ، فناصروا تطور اللغة العدا ، واستخدموا فى ذلك القواعد التي توصلوا اليها من قبل ، لوضع عناصر التغير فى اللغة تحت سيطرتها ، ثم الحكم عليها بالخطأ . وبذلك لم يؤد جهدهم فى تقصي جزئيات ما أسموه «اللحن» الى نتائج المرجوة فى معرفة تطور الفصحى وتاريخها ، لعدم اعترافهم بالتطور أصلا ، ومراعاة جانب القواعد لا الاستعمال .

ومن المفيد لنا الآن - بعد أن فات ما فات - القيام بالأمرين التاليين نظرا وعملا .

أولا : تنحية الفكرة القديمة عن المادة المجموعة فى كتب «لحن العوام» باعتبارها فسادا وانحرافا ليحل فى النظر اليها نظرة أخرى من اعتبارها تطورا فى اللغة يهدينا السبيل فى دراسة مراحلها المختلفة .

ثانيا : النظر فى هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة فى عصرها ، ليعلم من

اللغة ، وليس من حق أحد رفضه أورده ، وسواء أ جاء هذا التغير دون قصد من الناطقين أنفسهم - كما هو القالب فيه - أم حدث بطريقة مقصودة من فرد أو افراد ، كان يقترح أحد العلماء أو الادباء لفظا أو تعبيرا يراه جديرا بالاستخدام أو يقترح هيئة مختصة - كالمجمع اللغوي مثلا - استعمال مصطلح أو صيغة أو تركيب ما ، فان كل ذلك - كما سبق - يبقى مجرد اقتراح يتوقف الامر فيه على الرضى به واستخدامه من الناطقين أنفسهم .

تلك هي النظرة الحديثة للتغير فى اللغة ، فما هو الراي فى موقف النحاة العرب من اللحن فى ضوء ذلك ؟؟

ونبادر أولا بنفى التردد والشك حول روايات اللحن ومادته التي جمعها النحاة ، اذ افترض استاذنا الدكتور انيس أنها تحتل الصحة والوضع من النحاة ، ليخرج من ذلك بما يؤيد رايه المشهور فى حركات الاعراب ، فرتب على احتمال صحتها ان الاعراب لم يكن سليقة بين العرب ، وعلى احتمال وضع النحاة لها ان الاعراب نفسه من عمل النحاة ، وقد اخترعوا روايات اللحن ، ليؤكدوا قيمة معرفتهم وحدهم بالاعراب ، وينالوا - كما يقول - المثالة لدى الخلفاء والامراء (44) .

والحق ان هذا الشك لا موضع له ، وأن الاقرب الى الصواب ان ما رواه النحاة مما أطلقوا عليه «اللحن» قد حدث فعلا ، وقد يكون فيه دلالة على نفس السليقة كما فهمها الاقدمون ، لكنه لا غرابة فيه من وجهة النظر الحديثة التي تفسر السليقة على أنها اكتساب اللغة بالتمرين والدربة وأن اللغة - بهذا الفهم - يحدث فيها التغير والتطور مما سماه الاقدمون «اللحن» ثم ان افتراض ان النحاة أنفسهم قد وضعوا روايات اللحن لا يكاد يصدق ، لان المطلع على جهود الاقدمين الضخمة عن اللحن - مما نقلته كتب الطبقات أو مؤلفات اللحن الخاصة على مدى العصور وقد قاربت الخمسين مؤلفا (45) - يبعد عن ظنه أنهم توفروا على وضع ذلك كله . وأن هذه المادة كلها مزيفة مدعاة . كما يضاف الى ذلك أن مظاهر اللحن التي أخصاها النحاة لم تقتصر على حركات الاعراب فقط ، بل شملت - كما سبق عرضه فى القسم الاول -

(44) انظر : من أسرار اللغة ص 189 .

(45) سبق ذكر الكثير منها فى جدول مرتب زمنيا فى القسم الاول .

ويطارد، بينما تميل الكتابة الى الثبات والمحافظة (46)» فالكتابة اصطلاح عرفي عام لتسجيل النطق بطريقة جامدة لا تخضع للتغير والتطور ، اذ تبقى الصورة العرفية التي بدأت بها أولا واقفة عند نقطة البدء ، بينما يخضع النطق باللغة للتنوع والتغير في الاصوات والصيغ والتراكيب والاسلوب بما لا يد لأحد على ابقائه ودفعه ، وذلك تبعا لصلته القوية بحيوية الناطقين وعاداتهم النطقية التي تتغير من فرد لآخر ، ومن عصر لآخر بما لا تستطيع الكتابة أن تلاحقه ، فالكتابة ترتبط بالعادة ، بينما يخضع النطق لعرف الاستعمال ، والعادة في الكتابة محافظة ، والاستعمال في اللغة متطور ، والكتابة أداة لتسجيل اللغة ، بينما النطق نشاط حي لمن يستعملون اللغة .

وعلى ذلك ، فان قضية اصلاح الرسم للغة من اللغات ينبغي فهمها في اطار ظروفها ، دون أن نفرض عليها ظروف اللغة المنطوقة فعلا ، بمحاولة الربط بينهما أو الزام مطابقة النطق ، فان مثل هذه المحاولات غير عملية ولن تؤدي في النهاية الى نتائج ذات بال .

وقد تناول « فندريس » هذه القضية في حديث طويل في كتابه « اللغة » (47) فقرر أننا لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، اذ نشعر بمجرد وضع أيدينا على القلم بالتزام قواعد واصطلاحات خاصة لها مجالها وأهميتها المنفردة .

وتعرض في حديثه للشكوى من الرسم ، فقرر أنها شكوى عامة ، فلا يوجد شعب من الشعوب لا يشكو منه أن قليلا وان كثيرا « وما تعانيه الفرنسية والانجليزية من جرائه قد يفوق ما في غيرهما ، حتى ان بعضهم يعد مصيبة الرسم عندنا كارثة وطنية » وبين أن السبب في ذلك يعود الى أن الرسم لا يساير دائما حركة اللغة ، اذ تحميه قوة التقاليد التي تسندها المدرسة والآداب واجماع المثقفين ، وأن الكتابة بطبيعتها محافظة « فالثبات ضرورة للغة المكتوبة ، لأنها تعتبر لغة مثالية حددت معالمها نهائيا ، ولا يمكن المساس بها الا بعد فوات الاوان ، فمهما عينا بجعل هذا الكساء مرنا مطابقا لحنايا الجسم ، فلن نستطيع مطلقا أن نخضعه لنزوات الطبيعة وأن نجعله ينمو بنمو الجسم ، لانه ميت يغطي كائننا حيا » ثم امتدح الجهود التي تبذل لاصلاح عيوب الرسم في الفرنسية ، وأورد الاسانيد التي يعتمدون عليها للقيام

ذلك مدى انتشارها في الاستعمال ، فيقبل منها ما تحقق له ذلك ، ويتوقف فيما عداه دون وسمه بالخطأ أو الفساد أو اللحن ، وفي ظني انه سيقبل من هذه المادة اللغوية كثير من الصيغ واستخدام الادوات النحوية والتراكيب ، دون ما يخل بالاعراب أو يشوه الصيغ .

وتنفيذ ذلك ليس بالامر المستبعد ، اذا اخذ في الاعتبار أن معظم كتب « لحن العوام » ما زالت مخطوطة أو مصورة ، وتنال نصوصها بالتحقيق ينبغي أن يصحبه دراسة لهذه النصوص في ضوء المنهج السابق ، فتتضافر بذلك جهود مفيدة ، لمعرفة تطور الفصحى في عصورها المختلفة .

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر ضعف الرسم العربي .

لقد قاوم النحاة العرب مشكلة التصحيف والتحريف التي انعكس تأثيرها على النطق بتغيير معاني الكلمات وصيغها وأحيانا قليلة اعرابها ، وسلخوا في اجتهادهم حول هذه المشكلة طريقا طويلا ، بدأ أولا بمحاولة ضبط الرسم العربي بالنقط والشكل ، ومع ذلك بقي التصحيف مظهرا في النطق يورق بال العلماء كما قرر ذلك حمزة الاصفهاني بقوله : « فقد بان لمن عقل وأنصف من نفسه ان اعتراض التصحيف في هذه الكتابة مع ما جلب اليها من الزيادة في البيان بالنقط والاعجام ليس الا من ضعف الاساس » .

وقد ترك العلماء هذا الاساس الضعيف على ما هو عليه من ضعف ، وتحولوا عن ذلك الى ما ذكره أبو أحمد العسكري نسا بقوله : « فالتمسوا حيلة ، فلم يقدرُوا الا على الاخذ من أفواه الرجال » فما الراي في هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟؟ - يكون ذلك ببيان الآتي :

1 - صعوبة اصلاح الرسم - لاية لفة - لارتباطه بقوة العرف والعادة .

ب - الراي في موقف النحاة من الرسم العربي وما ترتب عليه من تصحيف وتحريف .

ينبغي منذ البداية معرفة أن رسم الكتابة لا يتطابق دائما مع النطق ، أو بعبارة أخرى ، أن صورة اللغة المنطوقة لا تتمثل تماما في الرسم ، ويعود ذلك كما يقول دي سوسير - الى أن اللغة تتغير دائما

(46) Course in General Linguistics, p. 27

(47) انظر : اللغة من ص 405 الى 416 .

بهذا الإصلاح ، من أنه لا مساس له باللغة ، وإن فيه فائدة للمتعلمين من الصغار والأجانب .

لكن « فندريس » مع ذلك يشك في قيمة هذه الجهود ، ويرى أن هناك عقبات ضخمة لا تسمح لهذا الإصلاح أن يؤدي مهمته ، وهي عقبات متنوعة ، ثقافية ونفسية واجتماعية وتعليمية ، تقف في وجه هذا الإصلاح ، ثم ينتهي من ذلك الى الراى التالي :

\* نعم .. أغلب الظن أن اللغة المكتوبة قد ولدت من اتفاق قام بين بضعة افراد ، ولكن هذا الاتفاق قد امتد حتى شمل المجتمع بأسره ، وفرض نفسه عليه بقوة صارمة ، وليس العقل هو الذي ينظم حياتنا الاجتماعية ، بل العادة ، وحجج الفلسفة كلها عبث في عبث أمام قدرة العادة ... فنحن عبيد العادات الاجتماعية الى حد كبير ، والرسم هو احدى هذه العادات بالنسبة لكل شخص متحضر ، فلا يمكن اصلاحه الا بأشد الحذر ، وباستحياء العادة نفسها (48)

أجل .. لا يمكن اصلاح الرسم الا بأشد الحذر وباستحياء العادة نفسها ، وفي فهمي أن العادة في الرسم لا تسمح بهذا الإصلاح ابدا ، سواء أتم بحذر أم بغير حذر ، خصوصا اذا قطعت عادة الرسم شوطا طويلا في تسجيل ثقافة لغة ما - كالعربية مثلا - حيث لا يمكن ارجاع ذلك ولا تغييره ولا قطع الصلة به ، بالإضافة الى ما يحدثه التغيير من هزات نفسية واجتماعية قاسية من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، واعتقد - ان لم يجانبني التوفيق - أن كل محاولة لتغيير رسم الكتابة في مثل هذه الظروف جهد ضائع مصيره الفشل . - فما الراى اذن في موقف النحاة العرب من هذا الموضوع ؟ !

من الانصاف لعلماننا الاقدمين أن تقرر أنهم لم يبحثوا في تغيير الرسم العربي بطريقة مباشرة ، فان الذي وجهوا اليه اهتمامهم كان امرا آخر هو التصحيف والتحريف في النطق ، وقد دفعهم الى بحث ذلك المظهر سبب ديني هو تلافيه في نصوص القرآن التي دونت بالرسم العربي في مصاحف عثمان ثم عمموا بحثهم عن هذا الموضوع في كل نصوص اللغة شعرا ونثرا ، فاصلاح الرسم العربي لديهم لم يكن موعضا مقصودا لذاته ، وهذا المعنى يفسر مسلكهم تجاه اصلاحه ، كما يفسر في الوقت نفسه مسلكهم تجاه المظهر الاساسي الذي ترتب عليه وهو التصحيف

(48) انظر : اللغة ص 416 .

والتحريف ، ذلك أنهم حصروا جهودهم في ضبط الرسم العربي بالاعجام والشكل فقط ، ولم يتناولوا الموضوع من أساسه باعتبار الرسم العربي كما قال الاصفهاني من بعد « ضعيف الاساس » ، واذا جاز أن تغيير الرسم العربي في وقتنا الحاضر فكرة غير عملية حيث قطع شوطا طويلا في تسجيل الثقافة العربية ونقلها ، ففي ظني أن هذا التغيير كان ممكنا في هذا الوقت المبكر من القرن الاول والثاني من الهجرة لكن الاقدمين لم يواجهوا ذلك بطريقة صريحة جريئة ، فبقي ضعف الاساس على هذه الصفة حتى اليوم ، ومن يدري !! فربما كان ذلك موانع دينية وثقافية قامت أيضا في وجوههم ، فحجزتهم عن هذا التغيير والتفكير فيه ، ومن ذلك أن القرآن كان قد دون بهذا الرسم العربي ، وأن هذا الرسم - ان صح التقدير - كان قد قطع شوطا كبيرا في تسجيل ثقافة العرب وعاداتهم في الجاهلية وصدر الاسلام فمنعهم ذلك كله من تغييره ، وكان موقفهم مماثلا لموقفنا اليوم ، ودارت جهودهم حول ضبطه فقط ، وكان هذا غاية ما في وسعهم .

كما أن جهودهم لتلافي التصحيف والتحريف - بالقياس الى ظروفهم - في مجملها جهود مفيدة ، فحاولوا ضبط الاساس ، ثم تواصلوا بالرواية الشفهية ، وعابوا المصحفين والمحرفين حين لم يسعفهم اصلاح الخط العربي ، واخيرا جمعوا ذلك كله في مؤلفات خاصة ، لتنتقي ما وقع من أخطاء التصحيف والتحريف من العوام والخاصة ، وكان ذلك أيضا غاية وسعهم .

وموقفنا العلمي اليوم من هذا الموضوع ان التفكير في تغيير الرسم العربي أمر غير عملي ، وأن الرسم العربي - شأن غيره في اللغات الاخرى - قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضى بها تلافيا لما يترتب على التغيير من مشاكل لا قبل لنا بها ، عملا بالعبارة المتوارثة عن الاقدمين « باحتمال أخف الضررين » .

3 - الالفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة :

اختلف موقف الاقدمين من الالفاظ المولدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها ، او الاعتراف بمعانيها واستخدامها في الادب والانصراف عن بنيتها ودراستها في اللغة ، مما قرره ابن جنى نصا بقوله : « يستشهد بشعر المولدين في المعاني ، كما يستشهد بشعر العرب في الالفاظ » ، وقد اتخذ

تقييد عصر الاستشهاد وعدم الاعتراف بتطور اللغة الأساس الذي ركن اليه الاقدمون في اخراج هذه الثروة الجديدة من الالفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول الى الدراسة ، وبقيت حتى اليوم مشتتة تائهة في مصادر اللحن والتعريب والمعاجم موسومة بتلك السمة العنصرية « مولدة » ، فما الراي في هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟ ! يتضح ذلك ببيان الآتي :

1 - الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

ب - الراي في موقف النحاة من هذه الالفاظ الجديدة .

ان تأمل المصادر اللغوية لتوليد الالفاظ من الارتجال بالاشتقاق والتعريب يعد عصر الاستشهاد وتطور دلالة الالفاظ - سبق عرضها في الباب الاول - يتضح منه ما نحن بصده من حاجة الناطقين بالعربية الى الالفاظ الجديدة واللجوء في ذلك الى وجوه مشروعة - وان كانت غير متمعمة - لسد حاجتهم منها ، وتغير الظروف الاجتماعية الدائم ينعكس تأثيره على اللغة واستعمالها فتتزوى الفاظ لم يعد ثمة حاجة اليها ، وتجد أخرى في الاستعمال لدواعي الظروف الجديدة اليها ، ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية مستمرة ، تماما كما يتم التغيير في كل المظاهر الاجتماعية الاخرى .

والباحث في اللغة - من وجهة النظر الحديثة - يعترف بالتطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها . وينظر اليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك الى معرفة ما جد من عناصر التطور في مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى ، وليس من عمل الباحث ان يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتفي بلفتها ، ويرفض غيرها ، معتقدا أن ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبغي وسماها بهذه الصفة ، فهي مخالفات حقا اذا وضعت في ضوء مسلك اللغة في مرحلة سابقة ، ولكنها بالقياس الى عصرها ذات قيمة متميزة لا تقل في تمثيل المستوى الصوابي له عن غيرها من العصور كما سبق بيانه والاستدلال عليه في مناقشة تقييد عصر الاستشهاد .

وعلى ذلك ، فان موقف النحاة من الالفاظ المولدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلموا بها ، ثم استسلموا

لها ، وهي اعتبارات تعود اليهم ، من تنصيب أنفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء ، كما تعود الى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص مع أن واقع الامر انها ترتبط بالاستعمال وحاجات المجتمع في كل عصر على انفراد ، وينبغي النظر اليها بهذه الصفة بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض ، وهي أخيرا ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الاعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين في هذا العصر نفسه . فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لغويا ، وقد وجهت نظرهم في رفض الالفاظ المولدة .

\* يقول برجشتراسر : الذي منع علماء الشرق - مع بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات - عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر :

اولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وان كان واجبا نافعا ، فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فان نسي هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع اذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية . والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق أن اكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي (49) .

اجل . . هذا حكم غير علمي ، يتجاوز موقف العلم الى موقف التعليم ، ويحاول قهر حياة اللغة والتفاعل عن تطورها ، فتجوزه وتففل عن تعاليمه ، ولا تعترف في سيرها المستمر بما اعتنقه النحاة من عصر آخر من الكمال والانتقان والحسن ، وهذا الحكم غير العلمي هو الذي طبقه النحاة على المولد من الالفاظ لغويا ، وهو الذي يفسر تلك المفارقة التي وردت عنهم في الاعتراف بفصاحة المولد دون حجبه في الاستشهاد ، والاعتراف بمعانيه دون صيفه ، واستخدامه في الادب دون دراسة اللغة . . اليس هذا غريبا !!



ان واجبنا الآن ان نرد لما أطلق عليه النحاة « المولد » قيمته اللغوية باعتباره جانباً مهماً من مظاهر تطور الفصحى ، وسبيلنا لذلك جمع شتات من مصادره مرتبة بحسب عصور الفصحى ، ثم استقراء بنية الكلمات فيه لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه ، مع اباحة التوليد الفنية في استخدام كلمات جديدة في وقتنا الحاضر ، كما اعترف الاقدمون أنفسهم بذلك في المعاني ودراسة الادب ، فسارت دراستهم في طريق طبيعي مفيد لم يتح مثله لدراسة اللغة حتى اليوم .

#### 4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال :

في فهم نظرة النحاة للمعرب - في الباب الاول - تبين أنهم قصروه على عصر الاستشهاد في الحضر ، أو بتعبير الجواليقي على « ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي » و « ما ذكرته العرب في اخبارها وأشعارها » وقد نص الخفاجي على أن « ما عربه المتأخرون بعد مولدا » ، وبالفوا في الاحتياط لموقفهم فقصروا المعرب على السماع في عصر الاستشهاد ، ورفضوا القياس عليه بعد ذلك ، ثم زادوا هذا الاحتياط شدة بأن حاولوا جاهدين اخضاعه لمسلك الصيغ العربية في اللاحق والتغيير والعلامات ، لكن هذا الجهد العظيم مع ذلك قصر عن الاحاطة التامة باستعمال الكلمات الاجنبية المتعددة المصادر والاستعمال فجاءت نتائجه عامة غير منضبطة وغير مقنعة .

فما الرأي في ذلك من وجهة النظر الحديثة ؟ -  
يتبين ذلك بالآتي :

#### 1 - التعريب ضرورة علمية واجتماعية متجددة

ب - مدى صحة اخضاع نظام لغة لاخرى في الدراسة .

ج - الرأي في موقف النحاة من المعرب نظراً ودراسة .

لقد تناول اللغويون المحدثون ما اسماه العرب « التعريب » ضمن دراسة عامة لما أطلقوا عليه اسم الاقتراض او الاستعارة Barroming ، فدرسوا

التأثير والتأثر بين اللغات من نواح متعددة ، من ذلك بيان مدى تأثر اللغة المستعيرة أو المقترضة من لغة اخرى عن اختلاط عناصرها . أو بقائها لغة واحدة مع ما طرأ عليها من عناصر اللغات الاخرى ، وقد أورد « فندريس » عن ذلك نظريتين متعارضتين تقول احدهما : « ان كل اللغات تعتبر لغات مختلطة الى حد ما » ومن رأي الاخرى « أن الانسان لا يتكلم مطلقاً في الوقت الواحد الا لغة واحدة » كما أورد نقاش كلتا هاتين النظريتين ليخلص أخيراً الى القول بأن الذي يحسم الامر في ذلك هو مدى تدخل العناصر المستوردة في افساد نظام اللغة المقترضة أو عدم تدخله ، وبذلك يمكن الحكم بالاختلاط في اللغة أو بقائها دون تأثر مخل (50) .

كما درس المحدثون أيضاً مدى التأثير بين اللغات من فصائل مختلفة أو من فصيلة واحدة ، أو ما اسماه « ماييه » اللغات المتميزة وغير المتميزة ، حيث يقتصر التأثير في النوع الاول غالباً على المفردات بينما يمكن أن يمتد التأثير في النوع الاخير الى عناصر اخرى في اللغة نحواً وصيغاً ومفردات وإذا كثر هذا النوع الاخير في لغة ما ، كان أمراً خطيراً حيث يؤدي ذلك - كما يقول - الى استبدال اللغة بغيرها استبدالاً تاماً (51) .

ويتوسع « أولمان » في بيان المصادر اللغوية التي يلجأ اليها المتكلم للاقتراض حين يواجه بالنقص في قصور الثروة اللفظية لديه عن أداء حاجاته ، اذ يلجأ في ذلك الى اللغات الاجنبية أو اللهجات المحلية أو الاصطلاحات الفنية والمهنية الخاصة ، فينقل الكلمات كما هي أو يلجأ فيها الى الترجمة (52) .

وحول هذه الافكار العامة عن « الاقتراض » تفصيلات واسعة ليس من المفيد هنا التعرض لها لان ما نحن بصددده يتعلق بموضوع خاص هو : نقل الكلمات من اللغات الاجنبية مع عرفها في لفتها الاصلية بما لا يؤثر في اللغة المقترضة مما أطلق عليه النحاة العرب « التعريب » وبيان مدى الحاجة اليه اجتماعياً وعلمياً ، وقد اعتبر اللغويون المحدثون هذا النوع من الاقتراض أمراً عادياً لا خوف منه ولا خطر فيه ، وذلك

(50) انظر : اللغة ص 358 وما بعدها .

(51) راجع : منهج البحث في اللغة والادب ص 101

(52) انظر : دور الكلمة في اللغة ص 145 .

بالقياس الى انواع الاقتراض الاخرى التي تؤثر في نظام لغة ما ، وقد تؤدي الى الاخلال به وافساده .

\* يقول فندريس : لندع جانبا استعارة المفردات التي تتبادلها اللغات فيما بينها ، فمن خصائص هذه المستعارات انها لا تحتم كون المتكلم يتكلم باللغة التي استعيرت منها ، او حتى معرفته بها ... فاستعارة المفردات مهما اشد تأثيرها يمكن ان تظل مسألة خارجة عن اللغة (53) .

فنقل الكلمات من لغة الى اخرى امر عادي كثير الحدوث يترتب على الاتصال الاجتماعي بمظاهره المختلفة من التجارة او الثقافة او الحروب او انتقال العادات والتقاليد ، وذلك بالتعرف على انواع من النبات والحيوان والماكول والمشروب والملابس والمعادن وآلات الحرب والطرب والكلمات العلمية والفنية . ويتم ذلك كله في غالب الاحيان من الناطقين باللغة انفسهم بطريقة تلقائية تدعو اليها ضرورة الاستعمال ، ويتوقف انتشارها على العرف اللغوي في البيئة التي نقل اليها ، ومن الطبيعي ان هذه الكلمات الاجنبية المنقولة تتوقف صحة نطقها - كما هي في لغتها الاصلية - على ظروف اخرى تتعلق بالناطقين انفسهم ، سواء من نطقوها اولا ام من استعمالوها بعد ذلك ، تبعا لاجادة اللغة التي نقلت منها الكلمة ، او دقة السماع لها ، ويبقى الاختلاف في نطقها موجودا حتى بعد انتشار استعمالها في البيئة الجديدة .

ان الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تحديد مسلك الصيغة هي حالة التعريب المتعمد ، حين تدعو الحاجة العلمية او الفنية لاستخدام مصطلحات جديدة تدعو اليها الضرورة ، ففي هذه الحالة يتصور خضوع نقل الكلمات من اللغات الاجنبية لطريقة موحدة سواء انقلّت دون تصرف فيها على الاطلاق ام نقلت مع التصرف في صيغتها او حروفها او حركاتها ، هنا فقط يمكن ان يتدخل علماء اللغة بالتحديد والتقنين ، او بعبارة اخرى : يمكن فرض مسلك اللغة المنقول اليها على الكلمات المنقولة ، كما يمكن التدخل في ضبط كمية الالفاظ المنقولة حسبما تدعو الضرورة ، اما منعه مطلقا فامر بعيد وغير عملي ، لانه يتنافى مع الحاجات العلمية والفنية المتجددة في كل العصور . اما استعمال الكلمات الاجنبية بين الناطقين انفسهم ، فان التدخل في تحديد كتبه او اخضاعه

لنظام اللغة التي نقل اليها لن يؤدي الى نتائج مفيدة مطردة ، اذ تقصر هذه النتائج عن الاحاطة بها ، او اخضاع الناطقين لها ، لان الناطقين - مع تعددهم وقدراتهم - يتعذر اخضاع نطقهم لقوانين محددة حين النقل او الاستعمال ، واللغات التي ينقلون عنها ذات نظم خاصة بها في الصيغ والحروف يتعذر معها فرض نظام آخر عليها ، فاذا اضيف لذلك ان النقل يكون من لغات متعددة - كما حدث في العربية قديما ويحدث الآن - بدا الامر حينئذ اشد عسرا ، ومع ذلك فانه لا يدعو للجزع ، لان الامر كما قال : « فندريس » ان استعارة المفردات مهما اشد تأثيرها يمكن اذن ان تظل مسألة خارجة عن اللغة .

وفي ضوء ما سبق يمكن تقويم موقف النحاة العرب من المعرب نظرا ودراسة بما يلي :

اولا : ان قصر النحاة التعريب على عصر الاستشهاد باللغة في الحضر ، وتخصيصه بالسماع زيادة في الاحتياط قد خضع لوجهة نظرهم في تقييد عصر الاستشهاد باللغة عموما ، واختص بشدة الاحتياط منهم تجاهه ، حيث وثقوا نقل الكلمات الاجنبية الواردة عن هذا العصر ودرسوها ، مع الإنصراف عما نقل في غيره قياسا عليه ، وهذا مسلك لا يتفق مع الحاجة الاجتماعية المتجددة على مدى العصور ، وما يحدث فعلا بين اللغات من تأثير وتأثر لا ينقطع ، يتبعه بالضرورة انتقال الكلمات من لغة لاخرى ، واستعمال الناس لها ، كما لا يتفق مع الحاجات العلمية المتجددة - خصوصا في عصرنا الحاضر - لاستخدام مصطلحات تحتم ظروف العلوم احيانا ان تكون عالمية ، وقد لا يتيسر الوفاء بها عن طريق الترجمة او الاشتقاق او تطوير دلالة الكلمات .

ثانيا : ان اخضاع كل ما ينقل من لغات اجنبية في عصر الاستشهاد لمسلك الصيغ العربية امر لم يتوافق تماما مع الواقع ، ومستندنا في ذلك القواعد التي توصل لها النحاة انفسهم عن المعرب حيث يبدو فيها العموم وسوق الاحتمالات والتحرز في الرأي ، سواء في ذلك ما ذكره عن الحاقها بالصيغ العربية او التمييز فيها او علاماتها المميزة لها ، كما يدل على ذلك ايضا الاطلاع على احد كتب المتأخرين عن التعريب - راجع جدولها في الباب الاول - وما ضمه من كلمات معربة ، اذ يتبين - حتى بالنظرة السريعة -

الفردى ، ثم القبول العام من الجماعة ، وحينئذ لا يكون من حق أحد رده ، بل يجب استقراؤه ودراسته ، فما أسماه النحاة « بالحن » هو فى واقع الامر تفسير وتطور ، ومن ثم يجب دراسته بهذا الاعتبار ، ليؤدى دوره فى بيان تاريخ العربية وتطورها .

**ثانياً :** لا تتطابق الكتابة تماماً - لاية لغة - مع نطق هذه اللغة ، فنحن - كما يقول فندريس - لا نكتب كما نتكلم ، بل نكتب كما يكتب غيرنا ، فالرسم من العادات العرفية التي يترتب على تغييرها مشاكل فى غاية الخطورة - ثقافية واجتماعية ونفسية - من العسير تحملها وتحمل نتائجها ، ويصدق على الرسم العربي ما يصدق على غيره فى اللغات الاخرى ، أما ما يترتب عليه من تصحيف وتحريف فمن المفيد الاخذ بمسلك علمائنا الاقدمين تجاهه من ضبط النطق وجمع الاخطاء وتنقيتها ، ما دامت تلك الاخطاء تترتب على الرسم ، وهو مما يتعذر تغييره .

**ثالثاً :** ان تغير الظروف الاجتماعية ينعكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدوث الآخر واستعماله ، تماماً كما يتم التغير فى المظاهر الاجتماعية الاخرى ، وينبغي ان تتفق النظرة الى الالفاظ الجديدة مع هذا الفهم السابق دون فرض ظروف خارجة عن ذلك تعود الى سلطة الدارسين أو العصر أو العنصر ، والتوليد فى الالفاظ العربية مظهر للتجديد فى الالفاظ بطرق مشروعة ، وقد لجأ اليها الناطقون لسد حاجتهم فى الاستعمال - ومن حقنا الآن الافادة منها - وهو بذلك جدير بالدراسة لمعرفة ما جد من تطور على الصيغ العربية بسببه .

**رابعاً :** من راي المحدثين ان نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية يخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، كما يخضع فى أحد مظاهره للحاجات العلمية والفنية ، وأن انتقال الالفاظ بين اللغات امر عادي لا خطر فيه ولا خوف منه ، ولا يتصور فى هذا النقل أن يقتصر على عصر دون آخر ومحاولة اخضاعه لمسلك الصيغ فى اللغة التي نقل اليها يتعذر ضبطه بدقة ، لاختلاف قدرات من ينقلون الالفاظ مضافا اليه اختلاف اللغات التي حدث منها النقل وتعددتها ، والحالة الوحيدة التي يمكن التدخل فيها لتحديد بنية الكلمات هي النقل المتعمد الذي تدعو اليه الضرورة فى المصطلحات العلمية والادبية والفنية ، وفى هذه الحالة الاخيرة يمكن حقا الافادة من جهود النحاة العرب فى دراسة التعريب .

انها لا تتوافق تماماً مع قواعد النحاة عن التعريب ، وهذا طبيعى ، لان التعريب يخضع لظروف الناطقين وقدراتهم وهي غير موحدة ، كما يخضع لظروف اللغات الاصلية التي حدث النقل منها ، وهي لا تخضع تماماً لفرض نظام لغة اخرى عليها .

والرأى - فى فهمي - أن يدرس هذا الموضوع بطريقة مستقلة ، باستقراء الكلمات المعربة الى العربية مما نصت عليه مؤلفات التعريب الخاصة ومما ورد فى نصوص موثقة ، وذلك لحصرها ، ومعرفة العوامل الاجتماعية التي أدت الى نقلها ، ومدى تأثير الفصحى بها على مدى العصور ، وذلك أكثر فائدة لنا ولها من محاولة مصادرتها أو اخضاعها لقواعد محددة لا تتوافق معها تماماً .

**ثالثاً :** انه يمكن الافادة من قواعد النحاة للتعريب فى حاجة العلوم والآداب فى الوقت الحاضر للمصطلحات والكلمات التي لا تفي بها وسيلة اخرى ، وفى هذا النوع من التعريب المتعمد يمكن استخدام الكلمات الاجنبية بنصها أو التصرف فيها فى ضوء جهود النحاة عن هذا الموضوع ، مع كتابة المقابل الاجنبى بجوارها ، وهذا ما يفهم من قرار المجمع اللغوي الذي نص على انه « يجوز أن تستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم » حيث قيد استعمال الكلمات الاجنبية بالضرورة ، وهي لا تتحقق الا فى هذا النوع المتعمد ، أما الاستعمال العام ، فلا ينتظر قراراً أو اجازة ، ولا يبحث عن ضرورة أو رخصة .

### استخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة

من العرض السابق لوجهة النظر الحديثة فى أسس الصواب والخطأ عن العوامل الطارئة على اللغة - بمناقشتها وبيان الراى فيها - تلخص نظرة المحدثين فيما يلى :

**أولاً :** اعتبار التطور فى اللغة من أسس النظرية الحديثة للمستوى الصوابي ، ومفهوم هذا التطور - كما يرى جيسبرسن - هو التغير المستمر فى عناصر اللغة ، والمرجع فيه استعمال الناطقين انفسهم دون حكم عليه بأنه تقدم أو تقهقر ودون تحكيم معايير مسبقة فيه ، فما وافقها كان صواباً ، وما خالفها كان لحناً وخطأ ، وهذا التغير يتم وفقاً لاتجاه منظم فى الاستعمال ، اذ يمر أولاً بمرحلة الابداع والتجديد

## مصادر البحث

### أولا : المصادر العربية المطبوعة

#### 1 — أدب الكاتب

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة  
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد  
مطبعة السعادة — القاهرة — الطبعة الرابعة  
سنة 1962 م

#### 2 — الاشتقاق والتعريب

عبد القادر المغربي  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة  
الطبعة الثانية سنة 1947 م

#### 3 — اصلاح المنطق

لابي يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت  
تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون  
دار المعارف — القاهرة سنة 1952 م

#### 4 — الاغانى

لابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني  
تصحيح : الشيخ أحمد الشنقيطي  
مطبعة التقدم — القاهرة ( دون تاريخ )

#### 5 — امالي الزجاجي

لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي  
تحقيق : عبد السلام هارون  
طبع المؤسسة العربية الحديثة — القاهرة  
سنة 1382 هـ .

#### 6 — امالي المرتضى

للشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي  
الملوي

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم  
طبع دار احياء الكتب العربية — القاهرة  
سنة 1954 م

#### 7 — انباه الرواه على انباه النحاة

تأليف : علي بن يوسف القفطي

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم  
مطبعة دار الكتب — القاهرة سنة 1950 — 1955

#### 8 — بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي  
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم  
مطبعة الحلبي — القاهرة سنة 1965 م

#### 9 — بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

محمود شكري الالوسي  
المطبعة الرحمانية — القاهرة — الطبعة الثانية  
سنة 1925 م

#### 10 — البيان والتبيين

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ  
تحقيق : عبد السلام هارون  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة  
سنة 1948 — 1950

#### 11 — تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي  
المطبعة الميمنية — القاهرة — سنة 1305 هـ

#### 12 — التطور النحوي

تأليف : برجستراسر  
طبع القاهرة سنة 1929 م

#### 13 — التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه

تأليف : ابن كمال باشا  
تحقيق : عبد القادر المغربي  
طبع دمشق سنة 1344 هـ

#### 14 — الحيوان

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ  
تحقيق : عبد السلام هارون  
مطبعة الحلبي — القاهرة — سنة 1938 — 1945 م

#### 15 — درة الفواص في اوهام الخواص

لابي محمد القاسم بن علي الحريري  
طبع بغداد ( عن ليبزج ) سنة 1871 م

- 16 — دليل لفة العرب  
تأليف : محمد أمر الله  
مطبعة السعادة — القاهرة — سنة 1345 م
- 17 — دور الكلمة في اللفة  
تأليف : ستيفن اولمان  
ترجمة : دكتور كمال بشر  
طبع القاهرة سنة 1962 م
- 18 — ذيل الفصح  
لابى محمد عبد اللطيف البغدادي  
مطبعة السعادة — القاهرة — سنة 1325 هـ
- 19 — شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف  
لابى أحمد الحسن بن عبد الله العسكري  
تحقيق : عبد العزيز أحمد  
طبع الحلبي — القاهرة — سنة 1963 م
- 20 — شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل  
شهاب الدين أحمد الخفاجي  
مطبعة السعادة — القاهرة — سنة 1325 هـ
- 21 — صبح الأعشي في صناعة الانشا  
لابى العباس أحمد القلقشندي  
المطبعة الاميرية — القاهرة — سنة 1331 هـ
- 22 — طبقات فحول الشعراء  
محمد بن سلام الجمحي  
تحقيق : محمود محمد شاكر  
دار المعارف — القاهرة — سنة 1955 م
- 23 — الطراز المذهب في الدخيل والمعرّب  
تأليف : محمد نهاني
- 24 — العمدة في صناعة الشعر ونقده  
لابى علي الحسن بن رشيقي القيرواني  
مطبعة ابن هندبة — القاهرة — سنة 1925 م
- 25 — الفاخر فيما تلحن فيه العامة  
لابى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم  
تحقيق : عبد المليم الطحاوي  
طبع دار الكتب العربية — القاهرة — سنة 1960 م
- 26 — فحولة الشعراء  
لابى محمد عبد الملك بن قريب الاصمعي  
تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي  
المطبعة المنيرية — القاهرة — سنة 1953 م
- 27 — كتاب سيبويه  
لابى بشر عمرو بن قنبر الملقب « سيبويه »  
المطبعة الاميرية — القاهرة 1316 هـ
- 28 — لحن العوام  
لابى بكر محمد بن الحسن الزبيدي  
تحقيق : دكتور رمضان عبد التواب  
المطبعة الكمالية — القاهرة — سنة 1964 م
- 29 — اللفة  
تأليف : ج. قنديرس  
ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص  
طبع لجنة البيان العربي — القاهرة سنة — 1950
- 30 — ما تلحن فيه العوام  
علي بن حمزة الكسائي  
تحقيق : عبد العزيز الميمني  
المطبعة السلفية — القاهرة — سنة 1344 هـ
- 31 — مجالس ثعلب  
لابى العباس أحمد بن يحيى ثعلب  
تحقيق : عبد السلام هارون  
طبع دار المعارف — القاهرة سنة 1948 — 1960
- 32 — مجالس العلماء  
لابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي  
تحقيق : عبد السلام هارون  
طبع الكويت سنة 1962 م

33 — محاضرات الأدباء

لابى القاسم حسين بن محمد الاصبهاني  
مطبعة الموليحي - القاهرة - سنة 1387 هـ

34 — مراتب النحويين

لابى الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي  
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم  
مطبعة نهضة مصر - القاهرة - سنة 1955 م

35 — المزهرة في علوم اللغة

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي  
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين  
دار احياء الكتب العربية - القاهرة (بدون تاريخ)

36 — مصادر الشعر الجاهلي

دكتور ناصر الدين الأسد  
طبع دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثانية  
سنة 1962 م

37 — معجم الادباء

تأليف : ياقوت الحموي  
طبع دار المأمون - القاهرة - سنة 1938 م

38 — المغرب من الكلام الأعجمي

لابى منصور موهوب بن أحمد الجواليقي  
تحقيق : أحمد محمد شاكر  
طبع دار الكتب - القاهرة - سنة 1361 هـ

39 — مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب

لابى محمد عبد الله بن يوسف بن هشام  
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد  
مطبعة المدني - القاهرة - ( بدون تاريخ )

40 — الملاحن

لابى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي  
تحقيق : ابراهيم اطفين الجزائري  
المطبعة السلفية - القاهرة سنة 1347 هـ

41 — من أسرار اللغة

دكتور ابراهيم انيس  
المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - الطبعة الثانية  
سنة 1966

42 — منهج البحث في الادب واللغة

تأليف : لانسون وماييه  
ترجمة : دكتور محمد مندور  
طبع بيروت سنة 1946 م

43 — الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء

لابى عبيد الله محمد بن عمران المرزباني  
المطبعة السلفية - القاهرة - سنة 1343 هـ



ثانيا : المصادر العربية المخطوطة والمصورة

44 — ارتشاف الضرب من كلام العرب

لابى حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان  
مخطوط - دار الكتب - 1106 نحو

45 — تصحيح التصحيف وتحرير التحريف

لابى الصفا صلاح الدين خليل الصفوي  
مصور - دار الكتب - 37 - 38 الزكية

46 — تصحيف المحدثين

لابى أحمد الحسن بن عبد الله العسكري  
مخطوط - دار الكتب - 2 من حديث

47 — تقويم اللسان

لابى الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي  
مصور - دار الكتب - 427 لغة طلعت

48 — التنبيه على حدوث التصحيف

حمزة بن الحسن الاصبهاني  
مصور - دار الكتب - 896 أدب تيمور

49 — رسالة فى اغلاط العوام

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي  
مخطوط - دار الكتب - 348 لغة طلعت



54 — منح المفيث في جواز اللحن في الحديث

لابي عبد الله الافراني المراكشي  
مخطوط — دار الكتب — 176 مجاميع تيمور

— ♦ —

ثالثا : المصادر الاجنبية

— 55

Course in General Linguistics, F. De Saussure,  
London, 1959.

— 56

Language, its Nature, Development and Origin,  
O. Jespersen, London, 1947

50 — سهم الالحاظ في وهم الالفاظ

محمد بن ابراهيم بن الحنبلي الربيعي  
مخطوط — دار الكتب — 254 لفة

51 — قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل

محمد الامين المحببي  
مخطوط — دار الكتب — 295 لفة تيمور

52 — المتوكلي فيما في القرآن من المعرب

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوط  
مخطوط — دار الكتب 5706 هـ

53 — المعرب في القرآن الكريم

تأليف : أحمد القوصي  
مخطوط — دار الكتب — 465 لفة تيمور



# اللغة الإنسانية

## نشأتها. فلسفتها. مفهوما. تطورها

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح - جامع الأزهر

واللغة : فى اللغة : فعلة ، من « لفوت » أي تكلمت وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات ، لقولهم : كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولان ثبة كانها من مقلوب تاب يثوب .

وقالوا فيها : لغات ولفون ككرات وكرون وقيل منها : لفى يلفى ، اذا هدى قال :

ورب اسراب حبيج كظم  
عن اللقا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أي بالباطل . وفى الحديث من قال فى الجمعة صه فقد لغا : أي تكلم ( 2 ) .

واللغة : فى اصطلاح اهل اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . وهذا التعريف يشمل معناها الخاص .

أما معناها العام فهو : مجموعة الوسائل المعبر بها عن المعاني والدالة على نفس المعاني لدى الآخرين سواء كانت تلك الوسائل فطرية أم اصطلاحية ( 3 ) .

وقد يصعب على الباحث معرفة متى وأين وكيف بدأت اللغة ؟

الا اننا لا نعدو الصواب ، اذا قلنا : انها بدأت عند ما تكونت أول جماعة انسانية فى هذا الوجود ، ولا نعدو الصواب ايضا ، اذا قلنا ان الجماعة الانسانية الأولى أيا كان طابعها - عندما تكونت أصبحت معها

اللغة ظاهرة اجتماعية اقتضتها حياة بني الانسان ، لان الله خلق هذا النوع أضعف قوة من كثير من أنواع الحيوانات الأخرى ، التي تعيش معه على الأرض ولكن الله عوض الانسان عن قوة الجسم والسلاح ، قوة العقل ومنحه الاستعداد للتفاهم والكلام .

فدعا بعض أفراد الانسان بعضا للتفاهم والتعاون على اتقاء عادية الحيوان وعلى جلب المنافع وتحصيل المرافق ، واضطره ذلك الى سكنى المدن وإنشاء المجتمعات ، ولذلك قال فلاسفة الاجتماع « الانسان مدني بطبعه » أي انه مضطر الى سكنى المدن ، وإنشاء المجتمعات - ليتم فيها التعاون والتبادل والقدرة على استغلال ما أعد له فى هذه الدنيا من مقومات حياته .

وكانت اللغة هي : الاداة التي تكشف لبعض الأفراد عما فى نفوس الآخرين وقد كان التفاهم الانساني فى أول الامر بالإشارات التي لا يزال بعضها فى لغة الجماعات البدائية والتي تظهر فى الطفل قبل ان يتعلم الكلام ثم حصل التفاهم بالأصوات التي تآلفت منها الكلمات فى اللغات المختلفة ( 1 ) .

فاللغات : أصلا : أصوات وليست كلمات وإن الكلمة صوت يرمز الى معنى وكتابة الكلمة رسم يرمز الى هذا الصوت ، والصوت : هو الأصل والصوت يصنعه الهواء يخرج من رئة الانسان وتقوم الحنجرة ويقوم اللسان ويقوم الفم وحتى الانف بإعطائه شكلا خاصا . هو الكلمة المسموعة .

مشاكلها الخاصة الناتجة عن علاقات الافراد بعضهم ببعض والناتجة عن علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وفي سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة في نوعها : تولد النشاط الانساني في استخدام الصوت ، لتكوين الفاظ لغوية بدائية الطابع ، والانصات لتلك الاصوات بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي ، عن طريق الاذن .

تجسد هذا النشاط الانساني المتميز عن كائنات الطبيعة الاخرى في صيحات موسيقية توحى بمعان سحرية ، تختلف في دلالتها باختلاف موسيقاها ، بذلك تكون العنصر الاساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالانسان وحده ، فاللغة بظهورها - كمرحلة عليا في مجريات التطور - خارجة خروجاً تلقائياً من صور سبقتها للنشاط الحيواني كان رد فعلها الحتمي : هو تحويل تلك الصور والضروب التي كان السلوك الجماعي يجرى على غرارها يضيف بعداً جديداً ، الى ابعاد الخبرة الانسانية ما نطلق عليه : انسانية الوجود ، فالتعبير الرمزي عن الاشياء ، يحولها من اشياء قائمة بذاتها منفصلة عن الوجود الانساني الى جزء من هذا الوجود .

فمثلاً : تسمية الساق الخشبية المُنْبَثْقَة من الارض والمنتھية بأفرع وورقات خضراء ، بلفظ شجرة هو بمثابة اذابتها في الوجود الانساني ، تقع تحت سيطرته وتفقد معنى وجودها بدونه ، وعلى هذا تسمية الشيء أي اطلاق لفظ لغوي عليه هو الخطوة الاولى للسيطرة على وجوده ومزجه بالوجود الانساني بعد المعرفة السابقة له ، كشيء منفصل عن هذا الوجود . والقوة في التعبير الرمزي عن الشيء بلفظ لغوي عليه تكمن في انبثاق مواضع من هذا الرمز لا تمت للشيء المرموز به اصلاً ، بصلة مباشرة وان كان هذا لا يتم الا بعد عدة مراحل من التطور اللغوي ، ومن هنا يتبين الفرق الاساسي بين التعبير الرمزي عن الاشياء والافعال برسماها ، والتعبير الحركي - الرقص - الذي من الصعب ان يتولد عنه شيء آخر بخلاف اللفظ اللغوي الذي يملك تلك الامكانية ، وليست على هذا الاساس البيئة التي يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ، « مادية » فقط بل ثقافية كذلك فافعال الانسان وكيفية آدائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوي لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبثق في التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات

التي تحملها الالفاظ اللغوية في طيها وتوحى بها ، والمشكلات التي تبعث على التقصي والبحث انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ولا تقتصر الاعضاء التي تختص بهذه العلاقات على العين والاذن ، واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعاني المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافي .

تحتل اللغة اذن : في مركب العناصر التي يتألف منها المحيط الثقافي للانسان مكانا ذا دلالة خاصة وهي تؤدي وظيفة ذات دلالة خاصة ايضا فهي في حد ذاتها نظام ثقافي وان شئت بعبارة ادق فقل هي :

ا - الاداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة .

ب - والالفاظ التي تتغفل خلال الصور ومضموناتها في آن واحد معا اعني الانظمة الثقافية الاخرى ومضموناتها .

ج - وتتميز بتركيب خاص بهالة قابلية التجريد باعتبار اللغة « صورة » من الصور ولهذا التركيب اذا ما تجرد في صورة تأثير حاسم من الوجهة التاريخية .

واللغة التي جاءت بهذا الوضع هي اللغة بأوسع ما اريد لها من معنى ، فاللغة في هذا المعنى المتوسع هي الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى ، وعن طريقها تنتقل وهي ذلك التدوين الذي يديم بقاء الحوادث ويجعلها في متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى فان الافكار او المعاني لا وجود لها الا في رموز يستحيل فهمها ، دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل الرموز نوعا من البقاء الضروري لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم النفساني والعالم الخارجي تنسجم في التعابير المختلفة ، توجد بوجودها وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات ، اي المفعول والفاعل يلتقيان في الشعور الفردي ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسية ، ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة : فن تقني « لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها » ولكن حقيقتها تندمج في حقيقة تاريخية : التاريخ الفكري والنفساني والصناعي والجغرافي

للأمة أو للامم المتكلمة بهذه اللغة . وتقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعا ، ولكنه ماض يسترسل في الحاضر مع التأكيد بأن الحاضر لا ينحصر في الحال بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » أي الحال والمستقبل لأن ما يقوم به الإنسان في الحاضر إنما هو إنجاز لما يريد أن يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس مرادفا للبعد ، كما أن الحاضر ليس منحصرًا فيما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة بل اسم فاعل أي أنه الزمن الذي يقع فيه فعل فعليا .

فالحاضر يختلف عن الماضي لأن الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ولم يبق إلا في إشارة أو في ذاكرة . وبخلاف أيضا المستقبل لأن المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لأسسها ومصطلحاتها كي يفهم ، فالكلام أداة للتفاهم لا غاية في ذاته ، أن المتكلم يرمي من وراء الكلام أن يفهم المستمع أنه يريد تواصلًا .

لكن خلافا لما يمكن أن نظنه أن الإنسان الأول لم يتكلم ليعبر عن مفاهيم وافكار ولم يتكلم لأنه كان له شيء يجب أن يقال بل على العكس لقد فهم وفكر وأنهم لأنه تحدث حيث أن ما راج في خاطره قبل أن يتكلم لم يكن في شكل أولي يرمي إلى قصد وإني له أن يقصد الإفهام قبل أن يحصل عنده فهم هو نفسه ؟

أن التفكير واللغة : وجهان لواقع واحد ، أن الجد الأول للإنسان لم يعبر عما فكر فيه لأنه كان يفكر بل فكر لأنه تكلم وهو لم يتحدث إلا بعد أن انتهى من الحركة ، فللافعال أي ما يقابل الأسماء السابقة والمكان الأول والأفعال آخر ما يضيع من الذاكرة ، أن اللعب وهو عمل جماعي من أول الحركات التي يقوم بها الطفل فكل لعب في الحقيقة ملاعبة ، وأداة اللعب بالنسبة للصبي غالبا ما تكون : هو من يلعب معه من أقرانه أو من الكبار ، فالانصال الأولي بين الصبي وعالم الأحياء هو الثدي وعند الفطام تلهيه بثدي لا لبن له أو بأشياء جامدة . فاللعب عالم مصطنع بين الواقع واللاواقع أي حركات رامزة يتعدى الرمز عند الطفل دور الوساطة ويصبح غاية في ذاته ، نعني أن الرمز في الشعور كأنه الواقع وبصير الواقع شيئا أجنيا (5) .

وإن أول أداة للتعبير اخترعها الإنسان هي الآلة مثل : الحجر والعصا وهذه الأدوات أن هي إلا أفعال مجسمة : فالمفعول شيء مشترك بين الإنسان

والحيوان ، يقطع « الشبانزي » غصنا من الشجرة ليستعمله كما يستعمل الإنسان : العصا ، لكن الفرق هنا هو أن القرد يستعمل آتته في الحالة الحاضرة في حين أن الإنسان يخلق بينه وبين الآلة صلات يملكها فيقول : هي لي . هي لك . هي لنا . فيدخرها ثم ينقحها ويطورها ومن هنا يكسبها معاني جديدة وكرد فعل لذلك تكسبه هي بدورها كلمات جديدة أفعالا وأسماء « فهناك » « دياليتيك » للتطور الإنساني في علاقاته بالأدوات ، يؤثر بها ثم فيها ، وهي بدورها تؤثر فيه ، فالإنسان يتطور بقدر ما يتطور أدوات العمل .

فالإنسان يمتاز عن الحيوان في علاقاته بالآلات في كونه يستعملها ، وقد استعملها أمس ويستعملها الآن ، ويحتفظ بها لما بعد وبمجرد ما أصبحت الآلة مصاحبة للإنسان متصلة بالتاريخ تكونت حولها ، عادات جماعية نعني أعرافا تقنية تتوارثها الأجيال « صنع الآلة وكيفية استعمالها وإصلاحها » والاستعمال مجموعة عمليات تنشأ عنها نتائج يرجوها العامل لفائدة مباشرة أو للمبادلة أي الآلة أول واسطة بين الإنسان والعالم ، بين الإنسان والمجتمع ، فاللغة لا تنتعش إلا في البيئات الفنية بالآلات ، بالأشياء المصنوعة والمكتشفة ، لأن كل لغة إنما هي أدوات حضارية وأن الجد الأول للإنسان ، قد استعمل العصا في الصيد ، وقلد صوت الحيوان ثم تلفظ بمسميات للعصا وللصيد وللصوت وللطير ، فالحياة تدور حول أشباع الحاجيات ، هذا الأشباع يدفع إلى العمل والعمل يدفع إلى اكتشاف الآلات أو إلى صنعها ثم ترقيتها .

هكذا تكثر الاتصالات المجتمعة حول أعمال مشتركة فتتجلى مختلف التعبيرات من علامات وإشارات ولفات ورموز .

من هذا التحليل نصل إلى أصل المعرفة وأصل الأحداث التاريخية وأصل المجتمع الإنساني ، وبالتالي هنا : يبدأ التفكير الفلسفي : أن الفلسفة بطبيعتها وظيفتها تشتغل بمعرفة الإنسان والعالم وعلاقاتهما ، فهي تبحث فيهما ، والبحث حديث ، والحديث نقاش كلامي ، والإنسان هو الحيوان الذي يتكلم أي يصنع العالم بالألفاظ فتصبح كل لفظة أما مفتاحا لفهم أو أداة مواصلة واتجاه وأما تحديدا لسلوك فردي أو جماعي ، فالكلمات كالأوراق النقدية والأسلحة أو الخاتم السحري « يكفيه أن ينطق ليحدث شيئا في شعوره ورد فعل في شعور الآخرين ومن هذا التجاوب

الشعوري ينتج صدى ، يحرك الطبيعة الخارجية .  
فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا  
واحيانا اصلاحا ، واذا لم يتسبب عنها شيء محسوس  
عند المتكلم ، ربما حصل ذلك عند المستمعين او عند  
متكلم آخر مرة أخرى فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ  
بقيمتها التداولية ، سواء انتقل الى بائع والى مشتر  
او لم ينتقل ، « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة  
طيبة » فالبحت في الكلمات من حيث تركيبها المادي،  
ومدلولاتها المحسوسة وآثارها النفسانية : يلتقي في  
ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الإنسان وحول  
المعرفة ومن هنا كان التأمل في اللغة فلسفة وعلم  
وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز ،  
اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير هكذا نرى  
اللغة في نفس الوقت مادة للبحث واداة له اذ انها  
تأمل ينمكس على ذاته .

واللغة ليست شيئا خاصا بفرد بل ملكا مشتركا  
انها « بين » بين المرء وشعوره وبين الشعور كحالات  
واحساسات وبين ابرازها كاحداث ، بين المعنويات  
والماديات ، بين الانا والآخرين ، بين الانسان والعالم .  
اللغة هي الوساطة العظمى والصفري ، في  
الغيباب والحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما  
سيكون .

اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين اي دعوة  
ودعاء للمرء يعطي كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام  
نفسه وامام المجتمع ، ويقيد سلوكه ، ويفرض عليه  
مسئولية ، ورجل لا كلمة له رجل ينقصه الضمير نعني  
ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة  
التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجية » وربما  
استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (6) .

بعد هذه الفذلكة الفلسفية في الكلمة والمفهوم  
والتعبير ، نعود الى جوانب هامة من اللغة لها ثقلها في  
الموضوع فاذا اردنا ان نعرف اهداف اللغة المكتوبة  
والمتكلم بها قال عنها ابن جنى في الخصائص  
والجرجاني في التعريفات : انها اصوات يعبر بها كل  
قوم عن اغراضهم وجدنا انها :

1 - اداة التفكير الانساني فالقاموس اللغوي الذاتي  
يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهه .

2 - نقل الافكار والمشاعر من انسان الى آخر .

وهذان الهدفان ينبعثان من ذات الانسان كوجود  
مستقل ، ويتجهان اثر ذلك اتجاهين متضادين احدهما :

الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية نقل الافكار  
والمشاعر ، والآخر الى داخل ذات الانسان حيث  
يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمحصلة لهذين  
الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف  
الثالث وهو الهدف الاجتماعي والترابط الانساني  
والتفاهم البشري (7) .

وقد لخص العالم العلامة « اولبرت » وظائف  
اللغة الاجتماعية فقال :

1 - انها تجعل للمعارف والافكار البشرية قيمة  
اجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة بقصد  
الدلالة على افكاره وتجاربته .

2 - وانها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد  
الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 - وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على  
تكييف سلوكه ، وضبطه حتى يلائم هذا  
السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 - وانها تزود الفرد بأدوات التفكير وما كان  
المجتمع البشري البصير الى ما هو عليه الآن بدون  
التعاون الفكري لتنظيم حياته . ولا يتأتى هذا التعاون  
الفكري الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ،  
والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم  
هي : لغة الكلام ، وبدونها ينحط التفاهم الى مستوى  
التعبير عن المدركات المحسوسة والانفعالات الأولية (8)

فاللغة اهم مظهر لوجود الجماعة - والمحافظة  
على كيانها واذا تدرجنا الى مستويات المجتمعات  
الحضارية نجد ان اللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك  
وحدات هذا المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو  
الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال وعناصر  
الوجود المختلفة تتجسد في صورة لفظ واحد مشترك  
يدل على هذا الشيء او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ  
اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد  
مجتمع اللغة الواحدة .

فاللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع  
انما تقع في كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجي  
الخصيص بأدق المعاني ناشئا تلقائيا من المناشئ  
العضوية الاولى ، وفي كونها في الوقت نفسه من جهة  
أخرى تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ، ان يلتزم  
بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور  
وان يجري عليها البحث من زاوية لا تقتصر على  
فردية الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم

التخصيص تبدو في وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن أن يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا في وقت واحد .

ومن هناك كان على الفرد ان يعتمد في اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم ، لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم ولا بد للتفاهم من لغة . ولو راقب المرء نفسه يوما واحدا في حقل الاستعمال اللغوي ، لراى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثاني من وظيفة اللغة : وهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية .

فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك اذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة او فكر بدونها او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها ، ان الشركة في كل اولئك هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (11).

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر القائمة التي تمتاز بما لها من أهمية وخطورة بالفتين . وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة التي تتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضح معالمها ونعت مظاهرها هي اللغة ، فمهمة اللغة هي تمثيل العالم على مرآة تمكسه وفلسفة اللغة تنطوي على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للمعاني ، ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

فاللغة مجلّى للفكر وترجمان له (12). وهي سبيلنا الى استكشاف جواني الامة التي تتكلمها واستكناه خصائص روحها التي تكمن وراء برانيها (13) .

ومما يذكر ان انظار العلماء والباحثين اختلفت في تعريف جامع مانع للغة طبقا للمناهج التي يدرسونها . ولذلك نرى فريقا يعرفها على أساس عقلي او نفسي ويمثل هذه المدارس ذلك التعريف الذي يقول ان اللغة استعمال رموز صوتية ، للتعبير

باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة وان شئت فهي مشروع مشترك - لا شك - قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجه ، والهدف لنشوء اللغة ، ولكن الذي لا شك فيه ايضا انها تهتم اول ما تهتم شخصا آخر هو المستمع او اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم الحديث فوسيلة التفاهم بين المتكلم والمستمع تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (9) .

واذا اردنا ان نعرف اللغة تعريفا جامعا مانعا - كما يقول علماء المنطق والاصول - على ضوء تحديد ماهيتها فاننا نجد ذلك في منتهى الصعوبة ولو تحقق الوصول الى تعريف جامع مانع فسنجد اننا انتهينا الى نص لا يمكن ان يكون تعريفا ابدا لان تعدد مظاهر اللغة، من صوتية الى كتابية الى اشارية حركية الى اشارية ضوئية ، الى لغة باللمس على طريقة المكفوفين ، الى غير ذلك ، لا بد ان يفرض على نص التعريف الذي نحاوله ان يطول حتى لا يعود تعريفا اذ يصبح وصفا مسهبا لعدة امور كل منها « لغة » ويبقى بعد ذلك ان يلجأ العلماء في تعريف اللغة الى بيان وظيفتها (10) .

وقد قال في محاولة التعريف بعض العلماء : ان اللغة وسيلة لايضاح الافكار وقد رد العالم « تاليران » على ذلك ، بأن اللغة وسيلة لاختفاء الافكار لا لايضاحها

وقد قال علماء آخرون : ان اللغة وسيلة للتعبير . وقد اعترض على هذا التعريف بان المرء قد يتكلم الى نفسه احيانا ، حتى لا يكون بحاجة الى التعبير عن افكاره اذ يكون قد عرفها فعلا وادركها ادراكا اعمق مما تستطيع كلماته ان تعبر عنه .

وقال بعض العلماء : ان اللغة افراز حركي ضروري للفرد ، وصالح لان يكتيف بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا يمكننا ان نفسر كلام المرء الى نفسه وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : اللغة هي دالة الفكر .

والحقيقة ان اللغة في عمومها ذات وظيفة هامة جدا ، يمكن ان تلخص في امرين :

- 1) امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع .
- 2) امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة



عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ومن مؤيدي هذه المدرسة العالم الأمريكي : ساير .

وينظر علماء المنطق والفلسفة الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار فيقول الاستاذ « جفونز » في كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان اللغة ثلاث وظائف :

١ - كونها وسيطة للتوصيل .

ب - كونها مساعدا آليا للتفكير .

ج - كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع الى اللغة باعتبار وظيفتها في المجتمع فيعرفها العالم اللغوي الأمريكي « ادجار ستيرتفنت » بأنها : نظام من رموز ملفوظة عرقية بوساطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المميّنة .

ومن التأمل في هذه المجموعة من آراء العلماء يتبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع الانساني لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ، وتوصيلها الى الاذهان كما يقول علماء المنطق ، لان ذلك يقتصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس وهم اهل الفكر حال اشتغالهم بأمر فكري .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكار ، وانما هي وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع ، فاننا نتبين كثيرا من الناس يتكلمون في موضوعات وليس يعينهم نقل افكارهم الى غيرهم وانما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية او النظر في أمور تخصهم في ادارة شؤونهم وبذلك يبدو ان رأي علماء المجتمع بتعريفها تعريفا يتناسب مع وظيفتها في المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة ، واذا كان ذلك صحيحا ، فينبغي ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (14) .

وهذا التعريف ذكره الجرجاني في التعريفات ، وابن جنى في الخصائص وابن منظور في اللسان ، ومن الملاحظ ان هذا التعريف ، قد تمشى مع وجهة علماء المجتمع تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هي الا الرموز الصوتية التي تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه انسان في حياته سواء كان احتياجا عاديا كشؤون الناس ، في حياتهم المتمشية مع

احتياجاتهم في كل اوقاتهم ، ام كان احتياجا ضروريا كاحتياج الباحث للتعبير عن افكار القائمة بنفسه لتوصيلها الى اذهان الدارسين .

وان اللغة ذات اثر قوي في حياة المجتمع الانساني لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس والطريق لارتباط افراد المجتمع ببعضهم ببعض ، والموصل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرفي الامم في شتى نواحيها (15) .

وقال العالم « جون لوتز » : الوجود البشري ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل لحظة وترافق المجتمعات في اطوارها التاريخية المتلاحقة فيصحبها ناموس التغير الحتمي الذي يجعلها اداة صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعبرا دقيقا لرفيها وانحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

واللغة لذلك لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل قدرة كاملة وهي لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبنائها او من ناحية معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر او تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التي تنطق بها واللغة والتطور عنصران مترابطان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل الى تفضيل لغة على اخرى وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واغناء تراثها التعبيري .

الامة ابدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ومفتقرة الى عديد من الالفاظ التي تؤدي المعاني الحسية والمجردة ؟ فهي تقتصر على التعبير عن تفكير هذه الامة ووسائلها الثقافية المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافة ونموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظا مناسباً ، ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته البيولوجية خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة امرا ممكنا ، وقد اتاح العلم الحديث للغة إمكانات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية في صورها النظرية والتطبيقية كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة انطلاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الادب والفنون ، غنية بالايحاءات التي

تعمقت أغوار النفس البشرية حتى صار عدد من الفاظ اللغة : عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق السعاني المجردة واعمقها (16) .

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب ثبتت في وضوح ان اللغة على الاطلاق هي 'قوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوي « ادوارد سابير » الى ان اللغة هي على الأرجح ، اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الرأي امران : الاول ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري ، لا يتيسر حصوله بدون اللغة . والامر الثاني : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا فريدا للتضامن بين افراد المتكلمين بها (17) .

وقال الفيلسوف « فشته » : ان اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى اخص رغباته وخطراته انها تجعل من الامة الناطقة بها كلاما متراسا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقة بين عالم الاجسام وعالم الازهان (18) .

ولنتعمق في مفهوم اللغة فاذا هي اهم واعز ما ملكته النفس البشرية من حيث جريانها في عروق الانسان مجرى الدم ، حتى أن كل تعدد خيالها يعتبر تعديا خيال الشخصية الانسانية ، وهناك من الفلاسفة علماء اجلاء حاولوا تفسير اللغة باصطلاحات فلسفية دقيقة فمن قائل : انها ليست الا مجموعة اختلقها الفكر البشري وامكن تعديلها حسب المبادئ الموضوعة من قبل وقد بذلت جهود جبارة في سبيل ابداع لغات مصطنعة الا انها باءت بالفشل كما شهد بذلك تاريخ الانسانية وكثير من علماء اللغة ، يرون ان نشأة اللغة وازدهارها راجع الى العواطف الانسانية وهذا هو الاقرب الى الصواب ، لان اول مدرسة يرى فيها الطفل هي : مدرسة الامومة وفيها يرضع الطفل من امه اللغة كما يمتص خصائصها الذاتية تماما بتمام .

ويمتاز لسان الانسان بقدرته على التعبير عن الاحاسيس والمشاعر تعبيرا ذا قوة ودلالة ، والفكر الانساني له الاهمية العظيمة في سبيل تقدم اللغة ونموها وازدهارها . فاللغة هي الصق الاشياء بالانسان واعسرها انفكاكا عنه ، وهي الرابطة التي تربط بين انسان ومعاني الحياة والكون والمجتمع .

جاء في « الابنيشد (19) (\*) » ان لم يكن النطق موجودا لم نهتد سبيلا الى معرفة الحق ولا الباطل ولا الصدق ولا الكذب ، ولا الفرح ولا السرور ، والفضل لفهمنا لمعنى هذه المظاهر وادراك مفهوم هذه المشاعر يرجع الى النطق ولذلك حق لنا ان نتبصر في النطق ونتعمق فيه (20) .

وقال العالم الهندي « همايون كبير » لعمري ان ذلك - النطق - من الآلاء التي خصص الله بها الانسان دون سائر خلقه من انه يقدر على تحليل الموقف وتفكيكه ، فاقتباسه منه النتائج الممتعة ثم تطبيقها في ظروف اخرى ملائمة حيث دعت الحاجة الى ذلك . ولا شك ان معظم الفضل في ذلك عائد الى لسان الانسان ، وان التقدم في اللغة يدل على مدى التقدم الذي احرزه المجتمع او افراده ونخرج من كل هذا الى ان اساس اللغة ينبعث عن التأثيرات العاطفية وتقدمها وريقها ، ويرد الى التفسح في الفكر وتقلب البشر العلمي على العالم ، الا انها قد تتسامى فتجاوز حدود العواطف والفكر كليهما ، حيث انها تنشئ رباطا يربطها فترتد وسيطا ومحيطا معا وهي ولا شك اوسع نطاقا وافصح مجالا فان الكل في مجموعته اوسع واكبر من اجزائه (21) فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع أي مجتمع وهي مشروع مشترك قد يكون عنصر من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجة والهدف لنشوء اللغة واللغة تهم اول ما تهم شخصا آخر هو المستمع ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من اشتراك يربط بين المتكلم والمخاطب تصبح اللغة عامة وموضوعية .

واللغات في تصنيف بعض علماءها تنقسم على حسب الاجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الامم في لغة واحدة او عائلة لغوية واحدة مع انتمائها الى اصول متباعدة وخير منه ان تقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها ، وعوامل التصريف في مفرداتها وتراكيبها ، وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار في تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين : الى لغات التحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق ، لغات النحت هي التي تتكون فيها الاسماء والافعال والصفات

(\*) الابنيشد : مجموعة كتب هندية في الفقه الهندوسي .

واكمل اللغات على سنة التطور والتقدم تلك  
اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologic  
وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التركيب  
والعبارات .

ثم يضاف الى الظواهر الصوتية فى قياس تطور  
اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص فى الصفات اجمالا  
وفى المفردات على التعميم كالتمييز بين المذكر والمؤنث  
والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع  
القلة وجمع الكثرة وبين الصفات العارضة والصفات  
اللازمة وهي جميعا من المزايا التي تمت للغة العربية  
على مثال لم تسبقها اليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها  
السبق على لغات الارتجال الجراف ، فى وضع  
الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية ، او بالتكرار على  
غير قياس وشيوع القاعدة فى فعل كل مادة وفى  
الاسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير فى  
التعبير ، وتعميمه على الاحداث والمعاني غير موقوف  
على اصوات الانفعال والمحاكاة ويتبع ذلك شيوع  
الاستعارة وامكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع  
المجازي فى كلام المتكلم لتوسيع المعاني وبناء  
الكلمات على المضاهاة بين المدلولات (22) .

وعلماء اللغات : صنفوا اللغات وبوبوها وحللوها  
فوجدوا بينها اشباها ، استطاعوا بناء عليها ان يصفوها  
ثلاثة اصناف على قدر الامكان وهي صنوف ليست  
متميزة بعضها عن بعض كل التميز ، ولا متفصلة كل  
التفاصيل .

1 - الصنف الاول : اللغات العازلة : وهي  
لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة لا تشتق منها  
كلماتها : انها اسم وفعل وصفة وظرف ، فى آن واحد  
واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها  
عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها  
نغمة عالية او تنطقها نغمة منخفضة او تنطقها متطاولة  
او تنطقها متقاصرة ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة  
معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف ، فاللغة الصينية  
الكتنونية بها ست نغمات وكذا السيامية ، اما لغة برما  
فلها نغمتان . ومن اللغات العازلة Isolating  
اللغات الصينية التبتية ، ومن اللغات العازلة كثير من  
لغات افريقيا ، وهي تبلغ ما بين خمسمائة الى  
سبعمائة لغة .

بادخال المقاطع الصغيرة او الحاقها بها ، وتسمى  
لغات النحت احيانا باسم اللغات الفروية فى اصطلاح  
الاوربيين Agglutinating لان مفرداتها تلصق  
لحقا لتتويع معانيها ، كما تلصق ادوات البناء بالفراء .

ولغات التجميع هي : اللغات التي تعتمد على  
اللتصق كما تعتمد عليه اللغات الفروية ولكنها تعتمد  
قبل ذلك على « التنعيم » لتنويع المدلول ، والتمييز  
بين الصفات والظروف وبين الاوقات والاجناس ،  
وغيرها من معاني الجمع والتثنية والافراد وقد تسمى  
لغات التجميع احيانا باللغات المنفصلة Isolating  
لان الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها  
وانما يتغير المعنى بضم صيغة منها ، الى صيغة اخرى  
بترتيب متبع او بغير ترتيب يلتزم فى جميع الاحوال  
ومن فروع هذه اللغات ما تتكون اسماءه وافعاله من  
جملة تتألف من عدة مقاطع واجزاء وتسمى لذلك  
بلغات التركيب الكثير Polysynthetic اما لغات  
الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي فى  
كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين  
الاوزان بحسب معانيها ويكثر فيها اختلاف الحركة ،  
فى اواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما  
يشيع التجميع فى اللغات المغولية ولغات القبائل  
الامريكية الاصلية ، اما الاشتقاق : فهو من خصائص  
اللغات السامية وتكاد اللغة العربية من بينها ان تنفرد  
بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك اواخر الكلمات  
حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة ، عملت فى  
تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص لغة دون سائرهما  
ومن هذه القواعد العامة ان الكلمات الانفعالية التقليدية ،  
اسبق من الكلمات الارادية الفكرية ويريدون بالكلمات  
الانفعالية ما يصدر عن الانسان عفوا من الاصوات  
والصياحات التي تعبر عن الفرح او الفزع او الدهشة  
وما تكون الكلمة منه احيانا من قبيل المحاكاة الصوتية  
Onomatopoeia كاسم البلبل والكوكو والفاظ الدق  
والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الارادية الفكرية كل ما يقصده  
المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة واطلاق  
القاعدة الواحدة على التشابهات لفظا او التشابهات  
لفظا ومعنى .

ومن اللغات الهندية الاوربية - وهي غير عازلة - لغات مالت الى هذا المزاج العازل بعض الشيء لا سيما الانجليزية ، مثال ذلك لفظ Light انه اسم وفعل وصفة : النور أو ينير أو منير ويفرق بين المعانسي الثلاث موضع اللفظ من الجملة اى السياق .

2 - الصنف الثاني اللغات اللاصقة وهي التي تؤلف الكلمات فيها بالالصق فيتغير معناها ويتبدل والالصق يكون باضافة مقطعين بعضا الى بعض فتكون كلمة لها معنى جديد، او قد نصنع الكلمة من أكثر من مقطعين . وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو أكثر الصنوف الثلاثة فى اللغات عددا ، وهو يتضمن اللغة السومرية القديمة ولفة أورال والقوقاز واللغات الدرفيدية واليابانية والكورية ولغات المحيط الهادي واللغات الافريقية واللغات الوطنية لمواطني أمريكا الاصليين .

3 - الصنف الثالث : اللغات المتصرفة وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة يتغير بناؤها فتدل على جديد ، كتب ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، اكتب . وما الى ذلك ، ويدخل فى هذا الصنف اللغات الهندية الاوربية وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية وكذا الحامية ويلاحظ ان بعضا من هذه اللغات المتصرفة Inflectional ما يضيف الى الكلمة مقطعا تصدر به الكلمة فيتغير معناها Prefix اى سابقة ، او مقطعا تذيّل به الكلمة فيتغير معناها Suffix اى لاحقة او كاسحة وهذا من صفة اللغات اللاصقة ، لا « المنصرفّة » ومعنى هذا ان اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة او متصرفة خائصة ومثال اللغات المتصرفة التي مالت الى اللصق اللغة الانجليزية فنقول : Hope ومعناها « الرجا » ونقول Hopeful ومعناها « ملئء بالرجاء » ونقول Hopeless ومعناها « لا رجاء فيه » ونقول Sense ومعناها « معنى » ونقول Nonsense ومعناها « لا معنى له » وهلم جرا .

واللغات من حيث مرونة نظام ترتيب الكلمات وعدمه تنقسم الى ثلاثة اصناف :

1 - اللغات الحرة : وهي اللغات التي لا يخضع نظام ترتيب الكلمات فيها الى قواعد لازمة كالافريقية واللاتينية بل تحدّها قوانين الاسلوب والمفاضلة بين اسلوب وآخر وتخصيص اسلوب

معين بمجال من القول لا يصح معه استعمال غير هذا الاسلوب او هذا الترتيب وعليه فمثل هذه اللغات لا تخضع لنظام لازم فى ترتيب الكلمات ، لتأليف الكلام ، وانما يفاضل بين نظام ونظام من حيث البلاغة ، ويخصص نظام بمجال يختلف عما يخصص للمجال الآخر من دون ان تكون هناك قواعد لازمة .

2 - اللغات المستقرة : وهي اللغات التي تتبع فى ترتيب الكلمات لتأليف الكلام نظاما مستقرا كالانجليزية والفرنسية استقرارا يكاد يقرب من الجمود فليس للمتكلم باحدى هاتين اللغتين ان ينتقل بالكلمة من مكانها المعين فى الجملة . واللغات غير المعربة غالبا تتصف أكثر من اللغات المعربة بصفة الاستقرار فى نظام ترتيب الكلمات ليمكن تبين العلاقة والصلة بين الكلمة والتي تليها للفعل موضع وللفعّل آخر وللفعول ثالث وهكذا .

3 - اللغات الوسط : وهي اللغات التي لا يكون نظام ترتيب الكلمات فيها حرا ، كما فى اللغة الافريقية واللاتينية ولا مقيدا ثابتا ، كما فى اللغة الانجليزية والفرنسية ومن هذه اللغات الوسط اللغة العربية اذ ان نظام ترتيب الكلمات فيها على ثلاثة اضرب ، أحدها : ما عينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفة مخطئا ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الاسلوب العربي كتأخير التمييز عن المميز ، والمضاف اليه عن المضاف ، ثانيهما : ما عينه الواضع ايضا ولكنه قضى به على وجه الاصالّة واعتبار ما هو الاول ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من مصدر الفعل على اسم الذات الواقع عليها والبحث عن اسرار ما كان من قبيل هذين الضربين مثبتا فى مدارج علم النحو ، ثالثها : ما لا يقتضيه الوضع على التعمين وجعل امره دائرا على رعاية ما يناسب المقام وتعينه بحسب التراكيب المخصوصة موكول الى المعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفاعل لانفاذ اختصاصه به وعدم تعلقه بغيره والبحث فى هذا القسم ووجوه المناسبة متدرج فى موضوع علم البيان (24) .

ينطق الاحفاد بعض الاصوات بطريقة مخالفة لما فعل  
اجدادهم واليوم نستطيع ضبط نطق الاصوات بواسطة  
آلات مدققة مثل الحاكي Gramophone وماغنتوفون .

وعلاوة على العوامل الطبيعية ، وجد عامل تاريخي  
مؤثر في النطق كاختلاط العناصر والشعوب بعضها  
ببعض واذا حللنا اسباب اختلاف اللغات وصلنا : الى  
نتائج طريفة فاللغات الهندية الآرية ذات الفروع  
المتشعبة يختلف بعضها عن بعض الى حد يجعلها تبدو  
لاول وهلة غريبة بعضها عن بعض .

فاللغة اليونانية القديمة على كراهيتها للحروف  
السكنة المركبة واللغات الصقلية ( الصلاوية ) ذات  
الحروف السكنة المزدوجة والمثلثة منحدره من  
نفس الاصوات الآرية .

واللغة الطاليانية ذات النغمات الموسيقية واللغة  
الابانية المحشوة ابتنا عمومة ومن اليسير علينا  
كشف هذه العلاقة في كلمتي Inpret الابانية  
و Imperafor اللاتينية .

وما هو السبب الذي جعل تلك اللغات تسير في  
هذه الطرق المتباينة ؟ اذا عرفنا الظروف المادية التي  
كانت تعيش فيها الشعوب القديمة استطعنا تفسير  
هذه الظاهرة .

فالكتشافات الفنية الآلية ساعدت الإنسانية  
فأنقذتها من المضار الناشئة من الطبيعة . لقد كانت  
الجماعات البدائية اكثر تعرضا لقوى الطبيعة من نحن  
عليه حيث نتمتع بالتدفئة المكيفة والمذيع والطبابة  
النافثة الى آخره .

واللغات التي انفصلت عن اصلها المشترك في  
العصور القديمة ما لبثت ان منيت بتغييرات اساسية  
نشأت عنها لهجات متباينة ، لقد اصدر «دانيال ويست»  
في معجمه العظيم منذ أكثر من قرن حكمه على اللغة  
الانجليزية فتنبا أن اللغة الانجليزية في أمريكا ستنفصل  
عن أمها - أي اللغة الانجليزية القسح - الى حد ان  
الانجليز والأمريكيين سيكتبون ويتكلمون لغتين  
مختلفتين فلا يستطيعون التفاهم .

بيد أن هذا التنبؤ كان مخطئا ؟ ففي خلال ذلك  
اخترع البخار والكهرباء والإذاعة وتقدمت الصحافة  
فربطت بميثاق من حديد ، ضفتي المحيط الاطلسي  
وما زال الشعبان متفاهمين كسابق عهدهما .

وقديما كان مسلك اللسانيات ، تشبيه الكلمات  
مع الأخرى يلاحظ بلا نظر الى السلسلة التاريخية  
واسباب التطور التي وقعت في مضي الزمن وغبرت  
مظاهر اللغات . لكن العلم الجديد يعتبر تطور الاصوات  
واسبابه بين اللغات المختلفة لأجل تقربها وتصنيفها .  
التشابه الظاهري وحده لا يدل على قرابة اللغات فقط ،  
انا اضرب مثلا واحدا واعتقد انه يقنع في هذا الصدد  
والكلمة الفرنسية Larmes الدموع ، والكلمة الالمانية  
Zahre لا تشابهان مع أنهما من أصل واحد وتطورت  
الاغريقية واللاتينية Dakinuma عبر القوطية  
والالمانية القديمة الى جديدها ، وعلى هذا المسلك  
ضبط اللغويون أسر اللغات الى الآرية واورال تارة  
والى السامية تارة أخرى .

واللغات الآرية منحدره أصلا من اللغة الهندية  
السانسكريتية ولذلك تسمى أحيانا الهندية الآرية  
ولهذه العائلة ميزة خاصة جديرة بالملاحظة الا وهي  
فقرها بالافعال .

وقد يبدو هذا الرأي لاول وهلة غير منطقي  
فيتساءل البعض كيف تستطيع تلك اللغات الآرية أن  
تعبّر عن جميع اساليب الافعال ، والجواب بأنها  
تستطيع ذلك ولكن باستعمال حروف مستقلة لكل منها  
صوت وتكوين مختلف تربط بعضها وساطة مقاطع  
شتى تكتب امام أصل الفعل وقد امتازت اللغتان  
اليونانية واللاتينية القديمتان بمعين لا ينضب من  
الكلمات ، اشتقت منها جميع المصطلحات العلمية في  
الحياة الحديثة مع فقرهما في الافعال وكيف حدث  
ذلك ؟ لنورد الآن مثلا :

فكلمة نفخ باللاتينية Spirare قد اضيف  
امامها مقطع Con ، ومعناها يساوي الحرف « مع »  
فأصبحت Conspirare نفخ معه يعني : مؤامرة  
واذا اضيف امامها مقطع In ومعناها يساوي  
الحرف « في » أصبحت Inspirare ومعناها  
« الهم » . واذا اضيف امامها مقطع Ad يعني « الى »  
أصبحت Adspirare يعني طمح . هكذا يمكن  
استنباط كلمات كثيرة من أصل واحد واللغات المنحدرة  
من اللاتينية : الطاليانية والفرنسية والاسبانية وأخرى  
ورثت هذا النظام اللغوي (25) .

نسال الان : لم كانت أسباب اختلاف اللغات  
المنحدرة من أصل واحد ، وجوابنا انه يرجع الى تغيير  
البيئة مع عوامل طبيعية « فيزولوجية » وكثيرا ما

ط - اليونانية . هذه هي شجرة اللغات  
الاوربية الهندية .

( 6 ) اليابان : كوريا .

( 7 ) الاورال وما اليها .

( 8 ) منغوليا .

( 9 ) الصين وتبت «الهند الصينية» وهي : الصينية،  
تيلاندية ، برماوية ، وما اليها (27) .

هذه اصول لغات العالم وهي تعطي فكرة عامة  
عن عائلات لغات الارض المختلفة وما تفرع منها ،  
والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ولا شك ان جذورا نشأت منها اللغات ، لكن  
التاريخ طواها وهي اليوم ترقد في اعماقه يعجز  
الانسان عن استشفافها وليس للانسان الا الحاضر من  
هذه اللغات وهذه اللغات الحاضرة انما هي انسال تلك  
اللغات البعيدة الغابرة والولد كثيرا ما يحمل من  
اجداده سمات تدل عليهم مهما طال الزمن ، بل كل  
الكائنات الحية تحمل الخصائص الذاتية لآبائها تبعاً  
لقانون الوراثة مع موافقة قانون التطور العام كذلك  
اللغات تطورت مع الزمن تبعاً للقانون العام ، الا ان  
الخصائص الوراثة تدل على الاصل او ترشد اليه .

واللغة تراث اجتماعي يرثه الجيل اللاحق من  
الجيل السابق فهي تراث اجتماعي تقليدي مورث يرثه  
ويتطبع عليه ويحاول ان يسير على وفقه كل متكلم لاية  
لغة او لهجة .

ولما كانت اللغات هي : مجموعة من الرموز  
الاصطلاحية من حيث المفردات ومجموعة من القواعد  
النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات  
ومجموعة من النظم الاتفاقية التقليدية ايضاً - من  
حيث تأليف وتركيب تلك المفردات ، فهي لهذا لا تخضع  
لمنطق عقلي عام . لانها اصطلاحية ، اتفاقية ، تقليدية،  
موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية  
والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين  
الناس جميعاً الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر، اما اذا فقد  
عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية  
التقليدية غير المتفق عليها بين الناس لهذا اختلفت  
اللغات ، فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقواعدها  
ونظمها ، واللغة لشدة التأثير بها والتطبع عليها تبدو

نعم ان بينهما بعض الفروق في النطق والاسلوب  
لكنهما نتيجة التطور التاريخي . ويمكن ان نفرض انه  
لولا المخترعات الآلية لانفصلت امريكا عن انجلترا  
قبل التاريخ المعروف (26) .

واذا اردنا ان نعرف اصول اللغات وهل هي من  
اصل واحد ام من اصول متعددة وجدنا ذلك في منتهى  
الصعوبة ، فاعلم لم يكشف الآن اصول اللغات الاولى ولم  
يعرف اي الاصول من اللغات التي توصل اليها اصل  
الا انه مما لا يسوغ انكاره ان العلم لم يعرف الكلمة  
الاخيرة في هذا الموضوع ولعله ياتي بجديد يوصل  
الى قديم ، ممتدة جذوره في الماضي السحيق ، ولغات  
العالم التي هي من اصول غير معروفة نذكرها فيما يلي:

( 1 ) السامية وفروعها وهي : العربية والحبشية  
والحامية والعبرانية والبابلية .

( 2 ) الملاي والبولينيز

( 3 ) الدرافيدية

( 4 ) البنتو -

( 5 ) الاوربية الهندية وهذه تفرع الى :

ا - الايرانية الهندية وهي : الافغانية الاردو،  
الهندستانية ، البنغالية ، الكردية -  
السيلاية ، الفارسية ، السنسكريت .

ب - السلتية وهي : الويلزية ، الارلندية ،  
البريتونية .

ج - الالبانية .

د - الجرمانية التيتونية وهي : الدنمركية  
الانجليزية ، والالمانية ، السويدية ،  
الايسلندية ، النرويجية .

هـ - البلطيك : وهي : اللوانية والليتية .

و - السلافية وهي : البولندية ، والروسية،  
البلفارية ، التشيكية ، السلوفاك ،  
السلوفين .

ز - الارمنية .

ح - ا - اللاتينية : ب - الايطالية الرومانية  
وهي : الرومانية البرتغالية ، الاسبانية،  
الفرنسية ، الطليانية .



لتكلمها وكأنها من الأمور الطبيعية . ويبدو ما يخالفها شاذاً غريباً لا يقبلونه إلا في حدود معينة (28) .

## النمو والتطور :

حياة الإنسان لا تستقر على حال : علومه تتطور وأفكاره تتسع ، وحضارته تتقدم ، وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الأخرى تتطور وتتقدم ، وهذا يعني أنه في حياة الإنسان الجديد من المعاني التي تتطلب وضع الفاظ لها ، لهذا يلجأ الإنسان إلى لفته ، بمفرداتها وقواعدها ، يستعين بها يضع لهذه المعاني الفاظاً أو ينقل الفاظاً من معانيها التي وضعت لها إلى هذه المعاني الجديدة لتدل عليها فإن لم يجد الإنسان في لفته ما يسعفه لجأ إلى الاقتراض من لغات أخرى ، وقد يصقل ما يقترض بمصقل لفته لينتظم فيها وكأنه منها ، ولا يقتصر الأمر على الالفاظ بل يتعداها إلى الأساليب فهي الأخرى تنمو وتتطور . فإذا بأساليب لا تعرفها اللغة في زمانها السابق تدخل في زمان لاحق كل ذلك لأن حياة الإنسان تنمو وتتطور ، واللغة أداة وسيلة فلا بد لها من أن تسير تطور الإنسان والا ماتت لأن حياتها بوفائها .

والذي يرجع منا إلى صورته وهو طفل وصورته وهو شيخ طاعن في السن وصورته وهو شاب أو صبي أو كهل يرى التغير والتبدل الذي أصاب كيانه وأضحاً فيما تنطق به الصور ولكن الإنسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو في يومه ويعلق في ذهنه عن أمسه بعضه لا كله واللغات شأنها شأن الإنسان ، فهي تتطور وتتغير وتتبدل وكل هذا يحدث في البنية اللغوية في الأمس الغابر واليوم المائل .

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الإنسان ، إذ منها ما بين مولدها وعصرنا المئات من السنين فنصفها بأنها حديثة وما هي بالحديثة . وأخرى ما بين مولدها وعصرنا الألوف من السنين ونصفها بأنها قديمة وما هي بالقديمة ، لأننا إذا رجعنا إلى أصولها أو إلى أصل الأصول كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بل الملايين منها ، فهل يمكن أن يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل في هذا الامتداد الزمني ؟ الحقيقة لا ، أما لماذا ؟ فالأسباب :

أن اللغة الأم لم تخلف لنا الآثار ما يدل عليها ويتطور الإنسان تطورت لفته إلى لغات وكان التطور

تدريجياً . ففسي الإنسان أمس لفته وعاش حاضرها فانقرض ما انقرض وعفى الزمان على ما انقرض ففسيته الأجيال ، أما بالنسبة لأصول لغات عالمنا الحديث فالتى ولدتها أم وكانت ولادتها حديثة . عرف أصلها أي أمها كاللغات المولودة من اللاتينية ، أما ما كانت ولادتها قديمة ، فقد نسيت أمها . ومن اللغات ما دونت مفرداتها وقواعدها ونظمها اللغوية في الأسفار . ومنها ما خلف أمها آثاراً فأمكن أن نتبين بعض - لا كل - صور تطورها وتغيرها وتبدلها . ومنها ما لم يدون في الأسفار ولم يخلف أمها الآثار . فلا تعرف عنها إلا صورتها الحاضرة أن لم تكن قد انقرضت . ونعود إلى لغات العالم التي تحتفظ بصور تغيرها وتبدلها وتطورها ونسأل هل تعطي هذه الصور واقعاً يطابق واقع اللغة وهي تتطور وتتبدل في الامتداد الزمني لهذا التطور والتبدل ، الحقيقة لا : لأن هذه الصور نسبية تماماً كصورة الشيء لا تعني أنها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته فك من الالفاظ بادت . وكمن من الأساليب عفى عليها الزمن . وكمن من القواعد والنظم لم تصل إليها أجهزة المصور اللغوي فأنساها الزمن .

وسؤال آخر يقفز إلى الذهن ويتطلب الجواب !

ما هي أسباب النمو والتطور والتبدل والتغير والانتقراض في اللغات ؟ والجواب على ذلك أننا نجد أهم تلك الأسباب فيما يأتي :

(1) النمو والتطور والتغير والتبدل في حياة الإنسان نفسه وهذا يدفعه إلى أن يضع لما يجد من جديد الفاظاً وأساليب ونظماً لغوية .

(2) نقل الالفاظ الموضوعية للمعاني ، فتطاول الزمان يدعو إلى وضع الفاظ جديدة .

(3) من المعاني ما يرتبط بعصر من العصور فإذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكري والحضاري للجيل اللاحق فتهمل ثم تنسى باهمال الفاظها .

(4) عدم وفاء اللغة بحاجة الإنسان إلى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكري والعلمي والأدبي وإزاء ذلك يضطر الإنسان إلى أن يغير ويبدل أو يهجر لفته .

(5) التحريف والتغيير والتبديل في اللغة قد يستقر في دلالاته فيخرج الأصل حتى ينسى .

(3) اقتراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة ولا يكون ذلك عن عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .

(4) استعارة اساليب او تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك فى اللغة العربية ذر الرماد فى العيون ، وعاش ستة عشر ربيعاً ، وضع المسألة على بساط البحث ، ولا جديد تحست الشمس وساد الامن فى البلاد .

ومن امثلة ذلك ايضا الاصطلاحات الفنية والادارية : كهياة المحكمة وتشكيل المحاكم وانقذت المحاكم ، وتعريف الرسوم ، والاسلحي والانهاى .

(5) تبدلات فرعية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس او سماع .

### مقياس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بأنها : حية ، ومنها ما توصف بأنها : ميتة ، والميتة هي اللغة التي تشتت الشعب الذي يتكلمها فخالط امما وشعوبا مختلفة اللغات ، وكان ان مسخت لغة الشعب الميتة . وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها وذاتيتها ويتكلمها الملايين وهذا الذي هو يدعونا الى التساؤل . ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

مما يجاب على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون فى المقاييس التي تعتبر اللغة : لغة حية ولاختلاف اسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، اللغة التي يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها واساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية ، لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين ، هي وسيلة للتعبير والتفاهم . وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التي يرتضيها . ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر فى اللغة بالاضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهو ان تكون اللغة سهلة فى قواعدها مرنة فى اساليبها ونظمها ، وعلى اساس هذا المقياس للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل فى اللغة ما شاء الا فى حدود ضيقة كأن يجري تأليف وترتيب

(6) ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة . لهذا قد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات او اللهجات المولدة ، وتهجر اللغة الام .

(7) تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .

(8) تجاوز الامم واختلاط الشعوب سبب من اسباب تطور اللغة ونموها فتتعرض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقتضى مما ليس موجودا فيها .

(9) تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، او تتأثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .

(10) اقتراض الامم والشعوب يؤدي الى اقتراض لغاتها لان اللغات ترتبط بمتكلمها فاذا انقرضوا انقرضت .

(11) تشتت الامة والشعب يؤدي الى تاثر لغتها او لغته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتقة .

(12) بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها ومرونة اساليبها وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر لغاتها اذا كانت قواعدها واساليبها شديدة التعقيد .

### نواحي التطور والتغير اللغوي :

(1) التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك بأن يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ فى لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه فى مصر وفيهما فى العراق وكذلك فى مصر نفسها حرف الجيم يلفظ فى الصعيد بصوت يختلف عنه فى القاهرة كذا حرف القاف والضاد ، او ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .

(2) توسيع القاعدة اللغوية وذلك بأن يخضع اهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم او توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام المؤلف منها  
معناه العام .

ان الحياة تتطور وفي تطور مستمر واللغة ينبغي  
لها ان تسير هذا وهي وسيلة للمجتمع ان يختار تلك  
الوسيلة . ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع  
وتقف حجر عثرة امام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس ، بل  
يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم  
وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية ،  
والمقاييس هو المقياس .

فاللغة التي تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء  
العلماء لاممهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا في لغتهم  
كيفما شاءوا . بل لا بد ان يكون التطور والتغيير في  
اللغة يجري على اساس من قواعدها واساليبها اللازمة  
الاتباع . وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم  
العلمي والفكري والادبي والحضاري ، ويربطون بينها  
وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم واهدافهم  
في الحياة (29) .

### نشأة اللغة الإنسانية :

قد كثر القائلون والباحثون في نشأة اللغة  
الانسانية وأصلها منذ أقدم العصور - ولا زال علماء  
اللغات يدرسون ويبحثون - ولقد عالجها فلاسفة  
اليونان وعلماء اللغة العربية والإسلام ، واهتم بها  
الباحثون من الأوروبيين ومضى على آثارهم كثير ممن  
أخذ عنهم وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم  
وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات  
كثيرة منها .

### المذهب الاول :

ان اللغة الهام وتعليم من الله : بمعنى ان الواضع  
للغات هو الله سبحانه وتعالى ، وقد بلغها الانسان  
بطريق الوحي والالهام او بابداع ذلك في طباعه .

(1) وذهب الى هذا الرأي جماعة من المفسرين  
وقد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين في تفسير  
الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم  
آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية  
والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك

من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم ان  
ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت  
عليه واضمحل عما سواها لبعدهم عنها واذا كان  
الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده  
والانطواء على القول به (30) .

وعن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء  
كلها ، وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة  
وارض وسهل وجبل وحمل وحمار واشباه ذلك من  
الامم وغيرها . وعن مجاهد انه قال : علمه اسم كل  
شيء . وقال غيرهما : انما علمه أسماء الملائكة . وقال  
آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين .

(2) ومن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال  
الآمدي حاكيا آراء العلماء في ذلك : اختلف الاصوليون  
فذهب الاشعري واهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى  
ان الواضع هو الله ووضعه لنا متلقى من جهة التوقيف  
اما بالوحي او بان يخلق الله الاصوات والحروف  
ويسمعها لواحد او لجماعة ويخلق له أولهم : العلم  
الضروري بانها قصدت للدلالة على المعاني محتجين  
على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء  
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء  
ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما  
علمتنا » وهذا يدل على ان آدم ، والملائكة لا يعلمون  
الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرا باسم  
ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك  
الاکرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »  
واللغات داخلة في هذه المعلومات ومنها قوله تعالى :  
« ان هي الا اسماء سميتوها انتم وآباؤكم ، ما انزل الله  
بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير  
توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات  
والارض واختلاف السننكم » . المراد به اللغات لا  
نفس اختلاف هيئات الجوارح من الالسنة لان اختلاف  
اللغات ابلغ في مقصود الآية (31) .

(3) وذهبت طائفة من علماء اللغة الى مثل ما ذهب اليه  
المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى في الخصائص  
عن استاذة ابي علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال :  
ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله  
واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » (32) .

وايد ابن جنى هذا الرأي فقد جاء عنه في  
الخصائص : واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت  
دائم التنقيح والبحث عن هذا الوضع فأجد الدواعي  
والخوارج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التفول على

فكري وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والركة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به وانضاف الى ذلك ، وأرد الاخبار الماثورة بأنها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (33) .

(4) وقال أبو الحسين أحمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف واستدل بالآية : « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن أبو الحسين بعد ان أطلق كلامه هذا الاطلاق ، رجع فخصص ما عم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد ، وليس الامر كذلك بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ، ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم - فاتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (34) .

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متمم ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولقد بلغنا عن أبي الاسود ان امرا كلمه ببعض ما انكره أبو الاسود ، فسأله أبو الاسود عنه فقال هذه لغة لم تبلغك . فقال أبو الاسود يا ابن اخي لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (35) .

وقد كان في الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة او احداث لفظ لم تتقدمهم .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي ان اكثر ما استدلل به اصحاب هذا المذهب أدلة دينية مع ان البحث نظري عقلي لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها . على ان الآية الاولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا

في الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل اكثر من وجه ، فقد يمكن تأويلها : بان الله اقدر آدم على ان واضع عليها . قال ابن جنى في الخصائص بعد ان اورد الآية : وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان أبو علي رحمه الله ايضا قال به في بعض كلامه وليس يعني ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جنى وخلاصته انه رأى في احكام اللغة ودقة تنظيمها ما جعله يمتقد ان ذلك الاحكام لا يتأتى من غير الله . وهذا الدليل ان لم يكن صريحا في التدين ، فهو مقنع بقناع الدين ، فان كثيرا من اعمال القدماء كالاھرام وغيرها آية في دقة الصنع فهل تقول ان صانعها هو الله من اجل اتقانها ، على ان ابن جنى نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سقناه لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله : كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه عنا ، من هم الطف منا اذهانا وأسرع خواطر واجرا جنانا فأقف بين الخلتين حيزا واكثرهما فانكفىء مكثورا ، وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها ، قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام أبي الحسين أحمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة ، وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدغوى ، واما انكاره على العرب انهم اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء ، مصطلحين عليه فيكفي في رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان رؤية العجاج وجريرا وابن احمر الباهلي ، انعرد كل منهم بالفاظ لم يقلها غيره من العرب وأنهم كانوا يرتجلون اللغة احيانا . فهذا دليل على استمرار نهر اللغة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان تسيل سيول المعجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر في العصر العباسي وليست المواضع والاصطلاح والتواطؤ الذي يريده القائلون به الا ان يخترع اللفظ مخترع فيقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بان اصل اللغة توقيف ووحى يعوزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين أيديهم من فروض واحتمالات .

واستأذنه أبو علي الفارسي منهم كما ذكر السيوطي في كتاب المزهر .

1 - حكى أبو الحسن علي بن محمد الأمدي في كتاب الأحكام أن البهشية وجماعة من المتكلمين ذهبوا إلى أن ذلك من وضع أهل اللغات واصطلاحهم وأن واحدا أو جماعة انبعت داعيته أو داعيتهم إلى وضع هذه الألفاظ بازاء معانيها ، ثم حصل تعريف الباقيين بالإشارة والتكرار كما يفعل الوالد بالولد الرضيع وكما يعرف الإخرس ما في ضميره بالإشارة والتكرار مرة بعد أخرى محتجين على ذلك بقوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (40) .

2 - وزاد ابن جني على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا ، فإذا ذكر عرف به ما سماه ليمتاز عن غيره وليفنى بذكره عن احضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف احضاره لبلوغ الغرض في إبانة حالة بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن احضاره ، ولا ادناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جاز في الاستحالة والبعد مجرأ . فكانهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومئوا إليه وقالوا : « إنسان إنسان إنسان » فأى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق وأن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يد عين رأس قدم أو نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف ثم لك بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول الذي إنسان فليجعل مكانه مرد والذي اسمه : رأس فليجعل مكانه سر . وعلى هذا بقية الكلام . وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز أن تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما . وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائهم من الأسماء كالنجارة والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح ، قالوا : ولكن لا بد لأولها من أن يكون متواضعا بالمشاهدة والإيماء (41) .

وعلى ذلك اختلفت أقلام ذوي اللغات ، كما اختلفت أنفس الأصوات المرتبة على مذاهبهم في

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الأدبيين المحدثين طائفة على رأسهم الأب « لامي » في كتابه « فن الكلام » ويستند إلى نص الفقرتين 19 ، 20 من الأصحاح الثاني من سفر التكوين وهما : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»

وهذا الدليل فوق أنه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على أصل الدعوى وقد بان من هذا ومما تقدم أن هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الأدلة الثقيلة التي ليست نصا في الموضوع (37) .

ولكن بعض العلماء توصل إلى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الأدلة الثقيلة وهذا الدليل أن الإنسان الأول لما كان نبيا - فهو لا بد له ، لكي يفهم ما يوحى إليه ولإبلاغ رسالته من لغة يستطيع بها تفهم وإبلاغ رسالته، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق أبا البشر وأصل الخليقة آدم عليه السلام وأسكنه وزوجته الجنة ، وأوحى إليه هو وزوجه أن يأكلا من الجنة حيث شاءا - وأن لا يقربا شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به ، فلا بد من غير شك أنه علمهم معاني ما خاطبهما به ، وما أوحى به إليهما بل الظاهر أنه سبحانه علمهما ما يتخاطبا به فيما بينهما أو مع الملائكة وذلك لاتمام النعمة عليهما في الجنة .

نعم من الجائز أن الله أودع في آدم وذريته الأولين قوة توسيع اللغة الأصلية ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية في أقطار المعمورة فكان لكل كتلة منهم لغتها ولهجتها ونفعتها الخاصة (38)

### المذهب الثاني :

أن اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب أن الواضع للغة هو الإنسان وأن وضعه لها كان على مراحل . ولقد ذهب إلى هذا المذهب أكثر أهل النظر كما قال ابن جني في الخصائص : هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن اللغة إنما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف (39)

ولعل المراد بأهل النظر في كلام ابن جني المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكان ابن جني

المواضع . وتوسط قوم بين المذهبين فذهب ابو اسحاق الاسفرايني . الى ان القدر الذي يدعو به الانسان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلو كان بالاصطلاح ، فالاصطلاح عليه متوقف على ما يدعو به الانسان غيره الى الاصطلاح على ذلك الامر . فان كان باصطلاح لزم التسلسل وهو ممنوع ، فلم يبق غير التوقيف . وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقين (42) .

وخلاصة الرد على اصحاب هذا المذهب : في ان قولهم : باجتماع حكيمين او ثلاثة فصاعدا ليضعوا لكل شيء سمة ولفظا ليس الا مجرد خيال وحس وظن لا يفني من الحق شيئا ، ذلك الى ان القول بان الانسان وضع من اول الامر كلمات ذات مقاطع مركبة يجافى طبائع الاشياء اذ ان التدرج والترقي من البسيط الى المركب هو القانون الملحوظ في نشأة الظواهر الاجتماعية التي من أهمها ظاهرة اللغة كما يلاحظ ذلك في نشأة لغة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل لانه يجوز ان يكون التوقيف الذي قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللغة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية في مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين فذهب القاضي : ابو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق ، الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه ، لم يلزم عنه محال لذاته واما وقوع البعض دون البعض فليس عليه دليل قاطع والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التعيين - ولذلك ايضا قال الامدي : والحق ان يقال ان كان المطلوب في هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب ، فالحق ما قاله ابو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها (43) .

### المذهب الثالث :

ان اللغة نشأت من الاصوات ويرى هذا العلماء الاوربيون المحدثون ، وسبق اليه علماء اللغة العربية قال ابن جني في الخصائص : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات . كدوي الريح وحين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونقيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي - صوت

تيس الطباء عند السفاد - ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد (44) . ويقول ابن جني : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل (45) .

ويرى الاب انتاس ماري الكرملتي نفس هذا الرأي ويقول : الكلم وضعت في اول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة الاصوات الطبيعية (46) .

وهذا المذهب قال به جماعة من المتأخرين مثل : « ادم سميث » و « دوكلر ستيورت » ونقل عنهم ان الانسان كان يعبر عما في ضميره بالاشارات والحركات حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التي يسمعها فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال : غاق ، ولما وجد حكاية الاصوات هذه تفي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها اصوات اللغة ، ثم طرا عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتألفت سائر الفاظ اللغة عن كل خاطر يخطر في النفس (47) .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا اراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه « عو عو » وهكذا . واذا اراد الدلالة على معنى قطع الفصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قضى » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة . وقد قال الخليل : كأنهم توهمو في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : « صر » وتوهمو في صوت البازي تقطيعا فقالوا : « صر صر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم في هذا الطور الاول بكلمات مقطعة لا بجمل وان هذه الكلمات كانت حكاية لاصوات الاشياء او حكاية أفعال اما الحرف التي تربط بين الكلمات في الجمل ، فلم تكن نشأت بعد (48) .

فانت ترى ان اللغة نشأت بمحاكاة الانسان لاصوات الطبيعة وكانت المحاكاة في اول أمرها عضوية . أي لم يقصد بالاصوات الحكاية التعبير عن المعاني المحكي عنها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز في اول الامر . ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة ونافعة وسهلة في دلالتها على المعاني ، لهذا أصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لاصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللاتصال بالغير ، فمعنى هذا ان استعمال الانسان لاصوات الحكاية أصبح استعمالا لا شعوريا اراديا هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة ثم طرا على الاصوات الحكاية الدالة : التركيب والنحت والحذف



ووسوسة النقود والحلى وصرير الابواب وصلصلة  
الاجراس وما أشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التي  
اخترعها الانسان لدعاء الحيوان او لجزره ، وتنقسم  
الاصوات من حيث صفاتها الى اصوات ساذجة وهي  
التي تمتد في استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة  
الانذار عند انتهاء الفارات وكصفير الحيوان او الانسان  
من غير ترجيع ولا تكرير . وهذا النوع ليس موضوع  
بحث اللغويين ، والى اصوات مقطعة كالحروف التي  
يلفظها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج  
وكالاصوات الطبيعية التي سقت الإشارة إليها فانها  
وان صدرت عن أشياء لا مقاطع لها كمقاطع الانسان فقد  
تمكن حكايتها بالالفاظ الانسانية المؤلفة من الحروف ،  
فلما أشبهت الاصوات اللغوية الانسانية ذات المقاطع  
والحروف جرت عليها احكامها (50) .

وهناك من العلماء من يقرر أن أصل اللغة الانفعالية  
للانسان ، التي كان يطلقها الانسان في ظروف حياته  
البدائية وهي تختلف باختلاف حالاته النفسية  
والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به . وكانت  
تلك الاصوات في بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال  
بالغير ، بل هي مجرد اصوات تصدر عنه كتعبير عن  
حالة من حالاته الانفعالية ولما ارتبطت هذه الاصوات  
بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكرارها ، عند تعرضه  
لها انتبه الى أهمية هذه الاصوات وفائدتها ، فآخذ  
يستعملها للاتصال بالغير وبهذا أصبح الصوت يخدم  
غرضاً اجتماعياً وكان أن وسع مجال الصوت في  
الدلالة على الأشياء تدريجياً وهكذا نشأت اللغة (51) .

#### المذهب الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدثين أن أصل اللغة  
يرجع الى جذور نفسية وفي هذا عدة نظريات :

(1) أصل اللغة رغبة الانسان في أن يرى الواقع  
مرموزاً اليه . وفي ذلك نجد الاستاذ سابر  
يرى أن الحاجة الى التفاهم أنشأت اللغة ، بل  
Sapir وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا  
يرى أن منشأها رغبة الانسان في أن يرى الواقع  
مرموزاً اليه او معبراً عنه بالرموز ، ثم اكتشف  
مصادفة أن ذلك خير وسيلة للتفاهم (52) .

(2) أصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

والزيادة والقلب والإبدال ، ليدل الانسان على معاني  
جديدة بأصوات متميزة . بعد أن التفت الى أهمية  
وفائدة الرموز الصوتية في الدلالة على المعاني  
الصوتية وغير الصوتية المادية وغير المادية ، وكان  
هذا على مراحل . ثم ان التصرف في الاصوات  
الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد  
والقبائل والبيئات الاجتماعية ثم اقرت هذه الاصوات  
المتصرف بها مع الزمن فبعد كثير منها عن أصله وهو  
الصوت الذي حاكى به الانسان الاصوات الطبيعية  
وهكذا نشأت اللغة (49) .

ويستدل أصحاب هذا المذهب على صحته :

(1) بأنه اقرب المذاهب الى البساطة التي تقتضيها  
حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور  
الذي تقتضي به طبائع الأشياء والذي يلحظ في  
نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

(2) وبأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما  
تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر في لفات  
الاسم الاولى .

(3) وبأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التي تتدرج من  
الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات  
المقطعة ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع  
المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد على  
المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب  
الى العقل وان لم يوصل الى اليقين في نشأة اللغات  
وقد ارتضاه ابن جنى في كتابه الخصائص حين قال :  
وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذي  
ينتقل بالهواء الى حاسة السمع . وتنقسم هذه  
الاصوات بحسب المصدر الذي تنبعث عنه . الى  
قسمين : الاول : الاصوات الطبيعية كصوت الريح او  
الرعد او النار ، او جري المياه وانصبابها من علو الى  
اسفل ، وكاصوات الحيوان والطيور والاصوات التي  
تسمع من الانسان في احوال الانفعال كالانين والصراخ  
والعويل وكاصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الاصوات غير الطبيعية كاصوات  
الحركات والانفعال التي يفعلها الانسان واصوات  
الآلات والادوات التي يستعملها كآزيز الطائرات  
وجمجمة الطواحين وصوت المنشار في الخشب

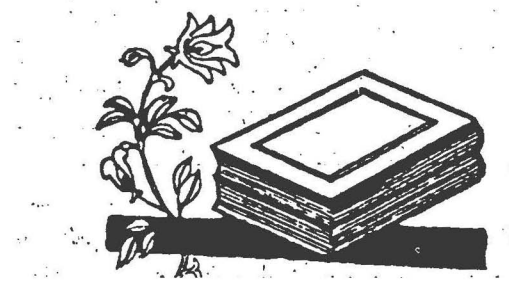
يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك وكن ان  
وسع من نطاقها وظواهرها لتخدم اغراضه التي يمكن  
ان تؤديها .

### المذهب الخامس :

الاصل الاجتماعي وخلصته : ان اللغة نشأت  
بظهور البذرة الاولى لتكون المجتمع وان الانسان كان  
مضطرا لان يتفاهم مع الآخرين لاسباب ودوافع كثيرة  
لهذا كان يطلق اصواتا في حالات مختلفة ثم اكتسبت  
هذه الاصوات صفة التباين النسبي حتى اصبحت  
لها دلالتها على معان معينة (54) . فآخذ يستعملها  
للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما فنشأة  
المجتمع هي سبب نشأة اللغة .

(3) اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفي هذا  
يقول « ماكسي » وهو من أشهر من قال بهذه النظرية  
في القرن الماضي 1863 م « في الانسان قوة من  
شأنها التعبير عما في ضميره بكلمات ملفوظة فكان  
الفكر اول ما يجول في دماغه ، كانه يقرع تلك القوة  
فتصوت بالفاظ يفهم الفكر منها . وهذه الفاظ هي  
اصول اللغة ثم تقلبت عليها اطوار التعبير والتركيب  
فتألفت مفردات اللغة ولما تم الاستنباط درج عليها  
الاستعمال ولم يبق لهذه القوة من حاجة فاهملت  
وتضعفت ولم تعد تحس كما يضعف السمع والبصر  
لقلة الاستعمال (53) .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب عوامل  
ودوافع نفسية بته ثم وجد الانسان الاول ان اللغة



# نشأة اللغة العربية ومصادرها

والقاربة بين اللغات السامية واضحة بينة وهي أوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندوأوروبية » أو الهند جرمانية على حد تعبير بعض العلماء .

وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية ولقد أدرك مستشرقوا القرن السابع عشر من أمثال هوتنكر Hottinger ( 1620 - 1667 ) وبخارت

Bochart والبرت سولتنس Albert Schultens ( 1686 - 1750 م ) ولودلف Ludolf وكاسل Edmcastell ( 1606 - 1685 ) بسهولة الوشائج

التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات وأشاروا إليها ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها ، بل لقد سبقهم إلى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم إلى اكتشاف تلك الوشائج وإلى التنويه بها فقد تحدث عالم يهودي اسمه يهودا بن قريش lehuda ben Koraish وهو ممن عاشوا في أوائل القرن العاشر تحدث عن القاربة التي تجمع بين اللغات السامية وعن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك اللسان . كما أبدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة عن الأسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات (2) .

ولقد جاء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية في قدم لغات أبناء سام فتعصبوا لفئتهم وحملهم تعصبهم هذا وتقديسهم لفئتهم على تفضيلهم لفئتهم هذه على سائر لغات أبناء آدم بل لم يقبل بعضهم ذلك أيضا فوجدوه قليلا لا يليق بجلال لفته فجعل لفته لغة آدم في الجنة ولغة البشر بعد الموت ، ولغة السماء ، وهكذا صارت العبرانية سيدة اللغات وأرقاها ولغة الوحي ولغة آدم في كتب الإخبار ، وهكذا صارت

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب هي فروع من مجموعة لغات ، عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد ألع بعض المستشرقين بدراسة هذه اللغات ، فآلفوا فيها كتباً وأبحاثاً وأنشأوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسمون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات Semitistik وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية تتناولها بفض النظر عن وجود اللغة أو عدم وجودها في هذا العصر . فالبحت علم والعلوم تبحث عن المعرفة دون تقييد بزمان أو بمكان وينفق علماء الساميات مجهودا كبيرا في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة وما بينها وما بين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه .

وترجع تسمية السامية إلى عالم ألماني اسمه شلوتسر Schlotzer فهو أول من استعمل السامية في بحوثه في تاريخ الروم القديم ، ويمسود فضل إيجاده إلى شجرة انساب الأمم الواردة في التوراة والتي ترجع انساب البشر إلى أبناء نوح الثلاثة: سام وحام ويافث « سفر التكوين . الأصحاح العاشر »

فاطلق العالم شلوتسر لفظ السامية على جملة شعوب رجعت التوراة نسبها إلى سام بن نوح وشاعت التسمية منذ ذلك الحين وخاصة باستعمال المستشرق الألماني ايسن هورن Eichhorn وأدخله أياها في مؤلفاته وبحوثه واستعملها غيره من العلماء الألمان والإنجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ذا مدلول معين مفهوم ثم وجد هذا المصطلح سبيله إلى الأمم المنتشرة في آسيا وأفريقيا (1) .

ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركة  
فى بلاد الشام (5) .

واللغات السامية الشرقية او الشمالية الشرقية  
وتسمى ايضا باللغة الاكدي نسبة الى بلاد اكّد فى  
وسط العراق من حدود 2500 ق. م الى القرون  
الاخيرة ق. م .

1 - اللغة البابلية : القديمة والوسيلة  
والحدثة 2000 ق. م الى القرون الاخيرة ق. م .

ب - اللغة الاشورية : القديمة والوسيلة  
والحدثة 2000 ق. م الى 600 ق. م .

واللغات السامية الغربية او الشمالية الغربية  
منذ منتصف الالف الثاني ق. م . وهى : السريانية  
والارامية والبابلية والمندائية - لغة الصابئة -  
والكنعانية والاخلامية والفينيقية والبونية والنبطية  
والموابة والامورية والاوغاريتية ، ومن لهجات اخرى  
محلية .

اما المجموعة الجنوبية : فتتألف من اللهجات  
العربية بأنواعها ومن بعض اللغات الافريقية التي يطلق  
عليها العلماء اسم اللغة الحبشية او المجموعة الحبشية .  
ويراد باللهجات العربية عربية القرآن والصفوية  
والنمودية والحيانية وهى لهجات عربية شمالية وردت  
بها نصوص جاهلية .

ثم اللهجات العربية الجنوبية التي عثر على نصوص  
مدونة بها يرجع تاريخ عدد كبير منها الى ما قبل الميلاد  
وهى : المعينية والسبئية والقبتانية والاسوانية  
والحضرية والحميرية (6) .

ولقد توصل الباحثون وعلماء مقارنة اللغات الى  
خصائص اللغات السامية التي تميزت بها وهى :

1 - اعتماد مجموعة اللغات السامية على الحروف  
الصامتة - Konsonant - اكثر من اعتمادها  
على الاصوات - Vokale - فنرى ان اغلب كلماتها تتألف  
من اجتماع ثلاثة احرف صامتة . اما الاصوات فلا نجد  
لها حروفا تمثلها فى اللغات السامية وهى بذلك على  
عكس اللغات الآرية التي اهتمت بالاصوات فدونتها مع  
الحروف الصامتة وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة  
لذلك الى الاستزادة من الحروف فزادت فى عدادها  
عن العدد المألوف فى اللغات الآرية وأوجدت لها  
حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق وإبراز الاسنان  
والضغط على الحلق .

لغة بني آرم عند علماء بني آرم والمتعصبين لها : لغة  
آدم ، وأقدم اللغات على الاطلاق ، وسرت هذه النظرية  
الى غيرهم من الناس ، ونظرة مثل هذا لا تقبل بالطبع  
وبأي حال من الاحوال (3) .

وللمستشرقين آراء فى اقرب اللغات السامية  
الى الاصل . فذهب بعضهم الى ان العبرانية هي اكثر  
تلك اللغات شبيها بالسامية الاولى - وهى لذلك اقرب  
بنات سام اليها .

وذهب آخرون الى تقديم لغة الآراميين على غيرها ،  
جاعليها البنت الاولى التي اجتمعت فيها الخصائص  
السامية الاصلية اكثر من اجتماعها فى اى لغة اخرى ،  
ولهذا استحققت فى رأيهم هذا التكريم والتقديم ،  
وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات  
الاخرى لمحافظة اكثر من بقية اللغات السامية على  
الخصائص السامية الاولى وعدم تنصلها منها وتركها  
لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة  
ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت بقواعد بقية  
اللغات .

غير أن هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع  
بها هذه اللغة يقابلها من جهة أخرى مميزات فى  
العربية لا نجدها فى اللهجات السامية الباقية ، مما  
يبعث على الظن انها طرات عليها فيما بعد وان اللغة  
العربية قد مرت بأطوار .

والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الاصل  
ثم اننا نجد فى العبرانية وفى لغة بني آرم قطعاً من  
الكلام اقدم عهداً من اللغة العربية ، غير أننا لا نستطيع  
مع ذلك أن ننكر أن معرفتنا واحاطتنا باللغة العربية لا  
تكاد تدانيها معرفتنا واحاطتنا بلغة اللغات السامية .  
ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلاً  
مهما لاجراء التجارب والاختبارات فى ميدان مقارنات  
اللغة السامية ودراساتها . وقد ذهب المستشرق  
« نولدكه » الى أن من الضروري فى دراسة مقارنات  
اللغات السامية البدء باللغة العربية وذلك بأن نأخذ فى  
تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق  
بها وما الى ذلك (4) .

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى  
قسمين : لغات سامية شمالية ولغات سامية جنوبية  
ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين :  
مجموعة شرقية ومجموعة غربية ويقصدون بالمجموعة  
الشرقية : اللغات السامية المتركة فى العراق

2 - ويتولد في اللغات السامية من تغيير حركات الاحرف الثلاثة الصامتة وتبديلها معان جديدة ولهذا كان من اهم واجبات الاصوات السامية ، تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة فالاحرف الثلاثة الصامتة اذن هي : التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ولكن مفاهيم هذه الاصول الثلاثة لا تبقى على حالها ، متى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 - ومن الممكن احداث معان جديدة في اللغات السامية وذلك باضافة زوائد تتألف من حرف او اكثر الى الاصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الاصل .

4 - وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات اى وصل كلمة باخرى لتتكون من كلمتين كلمة واحدة يكون لها معنى مركب ، من معنى الكلمتين المستقلتين كما في اللغات الآرية ، واما ما نراه من عد كلمتين مضافتين كلمة واحدة تؤدي معنى واحدا فان هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد في اللغات السامية لم يكن معروفا عند اجدادهم القدماء .

5 - وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية . ويذهب العلماء الى ان الاعراب كان موجودا في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من اكثر تلك اللغات . ونرى له اثرا يدل عليه في العبرانية في حالتها المفعول به وفي ضمير التبعية وفي السريانية البابلية في ضمير التبعية فان هاتين الحالتين تدلان على وجود الاعراب في اصولها القديمة .

6 - ويرى العلماء ان الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة وان ما نعرفه من تقسيم الافعال الى ماض ومضارع وامر لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين (7) .

اذن مما سبق بيانه وضع لنا ان اللغة العربية من اللغات السامية - الآرية والكنعانية والكلدانية والسريانية والاشورية والعبرانية وغيرها - التي نشأت فيما يسمى الآن منطقة الشرق الاوسط .

وقد ظلت الآراء مضطربة ومختلفة في الاصل المشترك للغات السامية والعلم على اى حال لم يعرف الكلمة الاخيرة . ودائما يزيدنا العلم معرفة وقربا .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الام « السامية » الامر الذي مكنها ان تاخذ ما في السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد

كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال .

وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية وما اعتراهما من تحوير وتجديد فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين بمعنى ان بداية العربية جاءت اقرب الى النضج والاكتمال من شقيقتها فكانت بحق بداية جديدة بان تقود الى نتيجة هي اكر نضجا واستقرارا وسعة .

والمراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية هي : اليمن والحجاز ، اما في اليمن فكانت العربية اكثر اتصالا بالاكديّة والحشية من اي لغة اخرى ، على ان الهجرات الجنوبية الى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر الى حد بعيد في هذه المناطق ، واما في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية وهكذا فان هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالعدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة .

ومما لا يسوغ انكاره ان هجرات اليمانيين الى الشام وعدم وجود حكومة عربية ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على المقومات القبلية لم يكن من شأنه الا ان يوسع دائرة اللغة العربية بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد ، اذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة وبدون ان يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها ، واذا كان من الصعب الآن ان نعرف متى نشأت العربية الا انه من المعلوم انه قد مر اكثر من قرن قبل ظهور الاسلام وقبل ان تصل اللغة العربية الى درجة الاتقان .

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة وحدها كموطن لسكانهم ومعيشتهم بل هاجر كثير منهم الى البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرون .

ولما كانت هذه البلاد المجاورة نفسها موطننا لاناس بينهم وبين العرب صلة شديدة القوة كالانباط والاشوريين والكلدانيين فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد وكونوا في ظل الحكم الروماني والفارسي بعض الممالك التي اشتهر منها مملكة الحيرة في القرن الخامس قبل الميلاد ومملكة غسان في القرن السادس قبل الميلاد .

فلم يكن العرب منكمشين على انفسهم بل كانت لهم علاقات وطيدة بمدينة الفرس والروم وهذا ينطبق ايضا على سكان الحجاز وعرب الشام والعراق .

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسعة مع الفرس والرومان وبعبارة أدق مع العراق والشام ، وكان يحتكر التجارة في الحجاز قريش لان قريشا كانت تقطن مكة وهي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب .

والتجار يحتاجون الى تعلم لغة البلاد التي لهم بها علاقة تجارية ، ومن ثم كان لا بد ان تدخل الفاظ كثيرة الى اللغة العربية من الفارسية والرومانية وهذه الالفاظ حضارية .

ولغة العرب ظلت ترتبط في الجاهلية الى حد ما بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي ، ويوضح ذلك الشعر العربي العريق وتجد ذلك ايضا في المعلقات العشر ولكن الذي يثير انتباه الباحث هو ان كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة في حدود شبه الجزيرة العربية يمثل ثروة لغوية لا تقدر .

واذا كانت قريش زعيمة قبائل العرب طالما كانت تتولى امور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز فان لهجاتها استطاعت في النهاية ان تصهر كل اللهجات العربية في بوتقتها لتخلق منها لغة مشتركة (8) . قال جماعة من الباحثين ان قريشا افصح العرب ولسانها نزل القرآن الكريم وذلك لانها كانت تختار افضل لغات العرب وهذا الراي منسوب الى قتادة المتوفى 117 هـ .

وللفراء المتوفى سنة 207 هـ راى يشبهه قال : كانت العرب تحضر المواسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش تسمع لغات العرب فخلت لفتحهم من مستبشع اللغات ومستقبج الالفاظ (9) .

وقال احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ نقلنا عن اسماعيل بن ابي عبيدة ، اجمع علماؤنا بكلام الرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وايامهم ومجالسهم ان قريشا افصح العرب السنة واصفاهم لغة وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من بين جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدا فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون الى مكة للحج ، يتحاكمون الى قريش في امورهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة لسانها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (10) .

وجاء في مقدمة ابن خلدون : كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد المعجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني اسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واباد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لفتحهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند اهل الصناعة العربية (11) .

وقد توسع العلماء المتحدثون في اثر ما كان لمعكاز في تثقيف قريش وفي تاثر من كان يحضر فيه من الشعراء والادباء بلغة قريش ومن هؤلاء سليمان البستاني والدكتور طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وعدد كبير من المستشرقين فلهجة قريش على راى هذا الفريق من العلماء هي افصح اللغات (12) .

وهناك روايات تصف لهجات اخرى بالفصاحة ، قال ابو عمر بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (13) .

ووصفت بالفصاحة هذيل وثقيف وجرهم ونصر قعين وجاء في اللسان لابن منظور ان بعض العلماء سئل اى العرب افصح فقال : نصر قعين .

ووصفت بالفصاحة قيس وتميم واسد والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف (14) .

وقال ابو عبيدة : واحسب افصح هؤلاء بنى سعد بن بكر وذلك لقول الرسول « انا افصح العرب بيد انى من قريش واني نشأت في بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين يقول فيهم عمرو بن العلاء : افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم (15) .

وقد عدت هوازن وتميم واسد من افصح القبائل في الاسلام ولذلك رحل اليها علماء اللغة للاخذ منها مثل الخليل والكسائي والازهري وامثالهم من العلماء .

جاء في كتاب المزهري : ان ابا نصر الفارابي في اول كتابه المسمى « بالالفاظ والحروف » قال : كانت قريش اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا واينها ابانة عما في النفس والذين نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :



قيس وتميم واسد فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم (16) .

قال الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي: والقائلون بأن العربية الفصحى هي لسان قريش متأثرون بكون الرسول من قريش وبأن القرآن الكريم نزل بين قريش فهو إذن بلغة قريش وبما أورده علماء اللغة من انتقاء قريش لأدق الالفاظ واعذبها وكقصص سوق عكاظ ، اما ان الرسول من قريش ، فهذا أمر مفروغ منه واما ان القرآن الكريم بلسان قريش فمسألة فيها نظر وقضية تحتاج الى بحث .

فلو كان القرآن بلسان قريش لم سأل رجال منهم في تفسير كلمات من كلام الله ؟ ولم لجأ المفسرون الى الاستشهاد بشعر غير قرشي وبلغات قبائل أخرى لتفسير كلمة من كلام الله ؟ ولم ندر الشعر في قريش ؟ وقد ورد ان قريشا كانت أقل العرب شعرا في الجاهلية فاضطرها ذلك الى ان تكون أكثر العرب انتحالا للشعر في الاسلام وورد أيضا ان العرب كانت تقرأ بالتقدم لقريش في كل شيء إلا في الشعر فانها كانت لا تقرأ لها به حتى كان عمر بن ابي ربيعة فأقرت له الشعراء بالشعر أيضا ولم تنازعها .

ولم استشهد العلماء في اللغة بأبيات من الشعر وبكلام الاعراب بدلا من الاستشهاد بلغة قريش ثم من يثبت مقالة من قال ان قريشا كانت تتخير الكلام فتنتقي منه أعذبه وأصفاه وليس لديهم دليل جاهلي مكتوب ولا اثر عتيق يمكن الاعتماد عليه ؟ ثم ما قولنا في حديث طال بحث الطمء فيه وهو « انزل القرآن على سبعة أحرف » وقد قيل ان خمسة منها لعجوز هوزان واثنين منها لقريش وخزاعة . وهو حديث في أمره نظر .

على كل حال ينسب الى عبد الله بن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك ان الذي روى عنه - ان خمسة منها من لسان العجز من هوزان - الكلبي عن ابي صالح وان الذي روى عنه - ان اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة - قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه « كما في تفسير الطبري ج 1 ص 23 » والعجز من هوزان: سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف .

وقيل : ان القرآن الكريم جاء بلسان قريش ولسان خزاعة لان الدار واحدة وقد اجمل الطبري في تفسيره ج 1 ص 25 رايه في لغة القرآن بقوله : « ان القرآن كله عربي وانه نزل بالسن بعض العرب دون السن جميعها وان قراءة المسلمين اليوم ومصافحهم التي بين اظهورهم ببعض اللسان التي نزل بها القرآن دون جميعها .

وذهب أبو عبيدة المتوفى سنة 223 هـ الى ان في القرآن لهجات : لهجة قريش ولهجة هذيل ولهجة هوزان ولهجة يمن ولبعضها نصيب كبير فيه « كما في الاتقان للسيوطي » .

وذكر أبو بكر الواسطي : ان في القرآن خمسين لهجة « الاتقان للسيوطي » .

وذهب ابن عبد البر المتوفى سنة 463 هـ الى ان في بعض مواضع من القرآن ما يعارض ما نعرفه من لهجة قريش ومن جعلتها الهمزة « الاتقان » .

وذكر ابن النقيب ان القرآن الكريم تضمن مفردات من جميع لهجات القبائل وكذلك مفردات من الاغريقية والفارسية والحبشية « الاتقان للسيوطي »

وجاء أيضا ان الخليفة عثمان بن عفان كان يفضل ان يكون المولى من هذيل والكاتب من ثقيف وورد انه قال : اجعلوا المولى من هذيل والكاتب من ثقيف .

وجاء ان الخليفة عمر قال : لا يملين في مصاحفنا الاغلمان قريش وثقيف .

وقال الصحابي : قال أبو عبيدة واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا افصح العرب بيداني من قريش وانسي نشأت في بني سعد بن بكر وكان مسترضعا فيهم وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء افصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم .

وفي كل هذا دليل على ان الفصحاة والعربية لم تكن خاصة في قريش والقرآن الكريم لم يكن بعرييتها حسب (17) .

قال الدكتور جواد علي : ان لسيادة لهجة ما من بين لهجات عديدة ، شروطا منها : نبوغ شاعر او شعراء او كاتب او كتاب في تلك اللهجة ، غاية في البلاغة والفصحاة والصناعة فتنشر آثارهم بين الناس .

« زمزم » ينفجر حولها فأقاموا بجوارها وكانوا أول من كونوا بلدا عرف من بعد باسم « مكة » ومن ولد اسماعيل هذا كانت القبائل العدنانية التي منها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، وكانت مساكنهم مكة وما حولها من الحجاز وتهامة . ومن عدنان هذا حفظت العرب العدنانية أنسابها ويقال لبطن هذا الشعب العدنانية النزارية .

وتشعبت عدنان هذه الى قبائل أشهرها قريش ويسمى « فورا » . وهو الجد الحادي عشر للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأصل معنى الفهر « الحجر الصلب » .

وانقسمت قريش الى بطون منها بنو هاشم أسرة النبي ، ومنها بنو مخزوم الذين منهم الوليد بن المغيرة ، ومنها تميم ومن تميم أبو بكر الصديق ، ومنها عدي ، ومن عدي عمر بن الخطاب ، ومنها أمية ، ومنهم أبو سفيان بن حرب والد معاوية ، وكان لبطن قريش الشرف في الجاهلية والإسلام عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينهض الا بجناحين (20)

وكان سبب اعتزاز قريش بنفسها ما هياه الله لها من اسكانها بجوار بيته حتى كانت تسميهم العرب جيران الله وآل الله ، وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلوات الله عليه وسلامه :

نحن آل الله في ذمتـه  
لم نزل فيها على عهد القدم

ان البيت لربا مانعا  
من يرد فيه باثم يخترم  
لم نزل لله فينا حرمة  
يدفع الله بها عنا النقم

وكان من تدبير الحكمة الالهية لرفع ذكر هذه الامة : ان الهم احد زعمائها وهو قص بن كلاب من اولاد فهر « قريش » عندما رأى ان كثيرا من بطون قريش تفرقت ورأى المرعى والماء الكثير حتى وصل بعضهم بلاد البحرين رأى عند ذلك بالهام ان يجمعهم حول هذا البيت العتيق الذي كرمه الله واكرم من يجاوره . وكان من نتيجة ذلك انه سبحانه سخر بيوتا منها لعمارة بيته ولسقاية حجاجه وهم بنو هاشم ، ومنها من جعله الله مرجع العرب في الراى والمشورة ومنهم من امتاز في الحروب وكانت له الراية فيها . ومنهم من كانت له الرفادة وهي ما كانت تخرجه من

ويحاكيهم غيرهم في ذلك ، ويكون ذلك سببا في انتشار اللهجة وتفوقها كما حدث عند اليونان في الشعر القصصي الذي بلغ كماله في الياذة «هوميروس» المنظومة بلغة اليونانيين في القرن التاسع قبل الميلاد ، وفي الشعر الفنائي المنظوم بلغة الايوليين احدى اللهجات اليونانية وذلك لسبق الايوليين غيرهم بهذا الفن ، فلم يقل بعدهم سائر اليونان هذا النوع من القريض الا بهذه اللهجة . وكذلك حدث ايضا في الشعر الخورسي المنظوم باللهجة الدورية عند عموم اليونان . ومن اسباب تفوق لهجة على اخرى سبقها في مضمار التأليف او اتخاذها لغة رسمية في دوائر حكومة قوية لها كيان وسلطان او جعلها لغة دينية او تأليف الكتب الدينية بها كما حدث في الالمانية حيث صارت اللهجة التي ترجم بها « مارتن لوتر » الكتاب المقدس في القرن السادس عشر ، لغة الادب نظرا لمحاكاة الشعراء والادباء اياه في استعمالها للتعبير من آرائهم ، او السيادة السياسية والاقتصادية وأمثال ذلك من عوامل بسطها العلماء المتبحرون في اللغات ولم يرد في كل الروايات ان قريشا كانت تمتلك هذه الاسباب ليجوز لنا القول ان لغتها كانت لغة الادب والشعر في جزيرة العرب قبل الاسلام (18) .

وانني ارى ان لغة قريش لها من المقومات ما جعلها تصهر في بوتقتها اللهجات الاخرى وتتفاعل معها تفاعلا ادى في النهاية الى تفوقها وجمعها شمل لهجات العرب في لغة عربية اصيلة .

والعرب امة ككل الامم الموجودة الآن يرجع نسبها الاعلى الى نبي الله نوح عليه السلام لانه كما يسميه العلماء آدم الصغير ، وجاء ذلك في القرآن صريحا في قوله تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » (19) .

ويقسم النسابون : العرب قديما الى ثلاث طوائف :

الاولى : عرب بائدة وهم عاد الاولى وثمود وطسم وجديس وجرهم الاولى وهؤلاء بادوا ، وانقطعت اخبارهم الا قليلا .

الثانية : عرب عاربة ومنهم سبا وقحطان وجرهم الثانية .

الثالثة : عرب مستعربة ، وهم اولاد اسماعيل ابن خليل الله ابراهيم عليهما السلام وأهمهم من جرهم حيث جاور قومها اسماعيل وهو في مهده وراوا الماء

أموالها وتعطي منه من انتقطعت به الطريق من الحجاج ، ومنهم من كانت سدانة الكعبة في بيته أي خدمتها وحفظ مفاتيحها ، ومنهم من كان عليه دفع الديبات والمغارم عن المحتاجين كبيت أبي بكر الصديق .

ومنهم من كان مختصا بالسفارة بين قريش وغيرها إذا وقعت حروب أو نزلت نوازل وهم بيت عمر ابن الخطاب .

ولما جاء الإسلام ، أقر كل ذلك لأنه من مكارم الأخلاق ، ومن أعظم أسباب احترام عرب الجزيرة وما حولها لهم أن الله هيا لهم سكنا جوار البيت العتيق ، وضمن لهم أمنهم وقوتهم ، وجعل من دخله كان في حرام الله وأمانه حتى أن الرجل منهم يلقي قاتل أبيه أو أخيه أو ابنه فلا يمسه بسوء ما دام في حرم الله ، أقرأ ذلك فيما حكاه الله سبحانه عن أبيهم إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » إلى أن قال : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » (21)

وكان لقريش رحلتان هامتان لجلب ما يحتاجون وتصريف ما يستفنون عنه من انعامهم ومنتجاتها : رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة ورحلة في الصيف إلى الشام وهم في كلتا الرحلتين آمنون مطمئنون لأنهم جيران الله ، قال الله سبحانه وتعالى : « لا يلاف قريش إلا أنهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (22)

وقال تعالى ممثنا عليهم بذلك « أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » . (23)

وقال تعالى مشيرا إلى أن هذه الميزة خصهم بها دون من حولهم من العرب : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » . (24)

وكانت قريش تنتهز فرصة اجتماع القبائل العربية الكثيرة في مكة وذلك في موسم الحج وقيمون أسواقا يقصدون بها أغراضا شتى منها التجارة ومنها أن تفخر كل قبيلة بمن ينبع فيها من شاعر أو خطيب . حتى كانت القبيلة التي ينبع فيها شاعر وخطيب تقيم الأفراح الليالي والشهور لأنه رفع ذكرها ، وسجل تاريخها بين العرب . وكان من نتيجة ذلك أن اللغة

العربية القرشية اتسعت أساليبها وغزرت مفرداتها ، وتنوعت مواردها وتوفرت لها أسباب النمو من المجازات المختلفة التي تساند الحقيقة في تأدية المراد .

قال علماء الأدب : رأت قريش أن تحمل العرب على توحيد أساليبهم وأن تكون لغة قريش هي السائدة ولم تزل تهذب فيها وتسيرها في الألفاظ على السنة الشعراء والخطباء حتى عرفها من لم يكن قريشا فوصلت قريش بذلك ذروة النفوذ الأدبي والسيادة على جهمرة القبائل العربية وصارت لغتها ممتازة بصفاء التركيب وعذوبة اللفظ مما جعل العرب يقبلون على محاكاتها حتى انتهى الأمر إلى ذلك الإصلاح القرشي بظهور الأسواق الأدبية التي كان لقريش فيها الفضل الأول فكان العرب يحاكون أساليبها ويتأثرون لعذوبة ألفاظها فيما يقولون شعرا ونثرا .

وكان العرب يأتون لهذه الأماكن من كل فج عميق ليؤدوا مناسك الحج ويتجروا بأسواقهم ، وكان المعروف من هذه الأسواق عندهم : ثلاثة أسواق : سوق عكاظ وهي موضع قريب من الطائف ، وكانت تقوم من أول ذي القعدة إلى عشرين يوما منه ثم ينتقل العرب منها إلى سوق « مجنة » بكسر الميم ، وفتح الجيم وتشديد النون المفتوحة وهي موضع قرب مكة يمر الظهران ثم منها إلى سوق ذي المجاز وهي سوق على بعد نحو خمسة كيلومترات من عرفة ويمكثون بها إلى أيام الحج .

يقضون في هذه الاجتماعات نحو شهرين يتعارفون فيها ويتناشدون الأشعار والخطب وكانت اللغة السائدة في هذه المجمع هي لغة قريش (25) .

ومن الواضح أنه لم يكن المتكلمون بالعربية طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب ولكنهم كانوا قبائل متفرقة في أنحاء الجزيرة ، وقد اضطرت هذه القبائل إلى الاتصال ببعضها لتبادل المنافع من تجارة وغيرها ، فاجتمعت في الأسواق واتصلت عند شتى الغارات والحروب . وهذه الاتصالات أوجدت سبيلا للتصارع بين اللهجات فباد الضعيف وازداد القوي قوة وما زالت اللهجات تتصارع حتى كتب للقرشية التفوق والتغلب لأسباب ، عديدة :

(1) النفوذ الديني : فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام الذي يفدون إليه لتقديم قرابينهم ، وتقديس آلهتهم وشهود منافع لهم فكانوا لذلك موضع تقديس العرب جميعا .

(2) النفوذ التجاري : وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير ، فقد كان زمام التجارة بأيديهم فيجلبون البضائع من الشام صيفا ومن اليمن شتاء ويوزعونها على القبائل العربية فأصبحوا قبلة الانظار العربية .

(3) النفوذ السياسي : وقد تهيأ قريش مكانة سامية بفضل ما أوتوا من نفوذ ديني واقتصادي وما حبوا به من حضارة ومجد فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ، ويرشدنا الى ذلك ما قاله أبو بكر الصديق في رده على الانصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تدن العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفوسوا على اخوانكم » .

(4) النفوذ اللغوي : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فاضافوا اليها ما هي في مسيس الحاجة اليه وما رواه اخف على اسماعهم وأيسر على السنتهم . فهذه العوامل قد هيأت للقرشية سبيل النجاح ومكنتها من ان تصبح اللغة العربية السائدة ذات الاصاله والعمق . فانت ترى ان قريشا أفردت بعلو الكلمة وسمة الزعامة وسعة الجاه ووفرة السلطان وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب لما تواتي لهم من ثقافة وخبرة وحكمة .

والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز عن لغة قريش سواء في التصريف ام في الاعراب ام في الأسلوب . بل ان اكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة ، فلفظ « انطى » في لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند قريش والكتع عند الاولين هو الذنب عند الآخرين ، والشناتر عند حمير ، هي الاصابع عند قريش ، وسامدون في لغة حمير هي الفناء في لهجة قريش الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر كالسدة فهي الظلمة عند تميم والضوء في لغة قريش (26) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الأخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وقد استفادت القرشية من صراعتها مع اللهجات الأخرى امورا كثيرة أهمها :

(1) استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولا سيما التي كانت تنقصها فتنوعت فنون القول وتمكنت

من التعبير عن جميع الاغراض ، وقد غنيت بالمترادف والمشتراك والمتضاد وغيرها من الامور التي كانت كبيرة الاثر في نمو اللغة وسعتها

(2) صيرورتها اللغة القومية للعرب جميعا ، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز اتجه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت القرشية لغة الشعراء في اشعارهم والخطباء في خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ورد اليها شعرهم بلغة موحدة الا في القليل النادر وهو الذي كان عليه الاعتماد في تعرف البقية من لهجاتهم (27) .

وانت ترى بعد هذا ، ان احتكاك اللهجات العربية أدى في نهاية الامر الى تزعم القرشية وصرعها جميع اللهجات الا انه قد بقي لكل قبيل بعض الالفاظ التي كانوا يستعملونها في مخاطبتهم وفي النادر من اشعارهم ، والذي يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول : القراءات التي رويت في القرآن الكريم عن ائمة القراء الموثوق بهم والذين نقلت اليها قراءاتهم من طرق لا يتسرب الشك اليها ، وقد روى عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفتني في القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من اقراك ؟ قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء رجل فقام يصلي فقرأ فخالفتني وخالف صاحبي ، فلما انفتل ، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما الى النبي فقلت : استقرئ هذين فاستقرأ احدهما : وقال احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه في الجاهلية . ثم استقرأ الآخر وقال احسنت فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت عليه في الجاهلية .

فضرب رسول الله صدري بيده وقال اعيذك بالله يا ابي من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السلام اتاني فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت اللهم خفف عن امتي . فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرفين فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة احرف .

فهذا التحديث صحيح في اجازة النبي القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقة في كتب النحو والادب واللغة والتاريخ من آثار لتلك اللهجات ومما يذكر استطرادا : ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف وتارة أخرى يكون عن تباين الحركات . وثالثة من اختلاف حركات الاعراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة النطق .

وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلافها فيما يلي :

- 1 ( ابدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .
- 2 ( التصحيح والاعلال .
- 3 ( الاختلاف في الاعراب .
- 4 ( التردد بين الاعراب والبناء .
- 5 ( الزيادة والنقصان .
- 6 ( الفسك والادغام .
- 7 ( هيئة النطق : وهي تشمل : الامالة والترقيق والتفخيم والاخفاء والظهار .
- 8 ( تقديم بعض حروف الكلمة على بعض وهو : القلب المكاني .
- 9 ( دلالة اللفظ على معنيين فاكثر وهو المشترك والمتضاد .
- 10 ( دلالة عدة الفاظ على معنى واحد وهو المترادف (28)

واما المستشرقون فأراؤهم في اللغة الفصحى مختلفة كذلك . يرى « نولدكه » ان الفروق بين اللهجات في الاقسام الرئيسية من جزيرة العرب - مثل الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات - لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويرى غويدي : ان اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها اهل نجد والمناطق المجاورة لها ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

اما المستشرق « تليو » فيرى ان اللغة الفصحى وهي لغة انشعر الجاهلي هي لغة القبائل التي

اشتهرت بالبراعة في نظم القصيد والتي تردد اليها النحاة وعلماء اللغة في الاسلام ليتعلموا من اهلها صحة النطق بالحروف او المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو وهي قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد ، ويرى ان هذه اللهجة تولدت من احدى اللهجات النجدية وتهذيب في مملكة « كندة » وفي ايامها فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب .

ويرى فيشر Fischer ان العربية الفصحى هي لهجة معينة ولكن فيشر لم يعين هذه اللهجة . اما راي هارتمن Hartmann وفولرس Vollers فخلاصته : ان العربية الفصحى هي لهجة اعراب نجد واليمامة ، غير ان الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، اما الاجزاء الباقية من الجزيرة فكانت تتكلم بلهجات أخرى .

ومن راي بروكلمان Brockelman وويتزشتاين Wetzstein وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذي نعرفه ولم يشرح « بروكلمان » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

ويرى « لندبرج » Landburg ان قواعد هذه اللهجة انما هي من وضع الشعراء فمن شعرهم استخرجت القواعد ومن قصائدهم استنبطت (29) .

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة في المقارنة والعمق والاصالة الجاهدة . ومع انها آراء تبدو مختلفة الا انها في جملتها ومضمونها العام تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها .

ومما يرجى ذكره : ان العلماء لم يتفقوا على اول ناطق « لاهج » بالعربية ، فافترق الباحثون حسب ما بدا لهم من أدلة أساسها الحدس والتخمين .

فيرى فريق من باحثي اللغات : ان العربية نشأت على يد القبائل البائدة التي لم يشملها الفناء والهلاك كطسم وجديس ويستند اصحاب هذه الفكرة الى التوافق بين النقوش المعثور عليها والاصوات التي امتازت بها السامية كالضاد والغين .

ويتجه آخرون : الى ان يعرب بن قحطان هو اول متكلم بالعربية ويؤيدهم كثيرون من العلماء محتجين

بأن العرب البائدة قد ذهبت أدراج الرياح فليس لها أثر محقق سوى المروي من قصصها في الكتب السماوية والمنقوش على الآثار المعثور عليها . وهذا الرأي منسوب إلى اليمانيين الذين يرون أنهم أصل العرب .

وينتج جماعة : إلى أن اسماعيل هو أول متكلم بالعربية مستدلين بما ورد في الأثر من أن أول من فتق لسانه بالعربية اسماعيل .

وجاء في المزهري : أن أول من تكلم بالعربية ونسب لسان أبيه اسماعيل عليه السلام (30). ويرى بعض العلماء : أن العربية هي لغة العرب العاربة ومنها انتقلت إلى القحطانيين فالعدنانيين ، وقال فريق : أن لسان جميع من كان في سفينة « نوح » هو السريانية إلا واحدا منهم هو « جرهم » فكان لسان العرب الأول . فلما خرجوا من السفينة تزوج أرم بن سام بعض بناته فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوض أبي عاد وعييل وجاثر أبي ثمود وجديس .

تلك آراء العلماء وقد عززت بالأدلة التي وضحت لأصحابها .

ومن النظر البين فيها تتجه النفس إلى أن العربية أخذت من بقايا القبائل البائدة فليس هلاكها مؤثرا في لغتها فهناك قبائل بقيت كطسم وجديس .

ولأنه من غير المقبول أن يكون « يعرب » أول لاهج بها . لأنه وفد من العراق متكلمًا بلغته التي تفاهم بها في وطنه الذي ارتحل عنه وهي غير عربية قطعا ، فترك يعرب للغته التي تعودها منذ نعومة أظفاره ليتكلم بلسان جديد هو العربية منافع للمالوف ومخالف للمعسروف .

كذلك لا يمكن القول بأن اسماعيل العبري أول لاهج بها . بناء على أثر نبوي فالظن في هذا الحديث بناء على حال اسماعيل قوي ولكننا نقبله ونفسره بما يساير الواقع ويتفق مع الحاصل وهو أن اسماعيل أول ناطق بالعربية من العدنانيين بعد أن تعلمها من مخالطة الجراهمة التي هي فرع قحطاني عند نزوله مع أمه بطن مكة سنة ألف وسبعماية قبل الميلاد . وعلى ذلك فلا تنافي بين الأثر والواقع .

والقحطانيون وقد تلقوا لغتهم من بقايا العرب البائدة لم يكن لهم لسان موحد في شتى العصور لأن العوامل اللغوية فعلت فعلها فكانت اللهجات المختلفة .

**اللهجة المعينية :** وهي منسوبة إلى المعينيين الذين أسسوا أقدم مملكة في بلاد اليمن وقد اتخذوا « قرنا » عاصمة لهم وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد غالبا .

**اللهجة السبئية :** وتنسب إلى السبئيين الذين قامت دولتهم القوية على انقراض الدولة المعينة واتخذوا « سارب » عاصمة لهم .

**اللهجة الحميرية :** وهي منسوبة إلى الحميريين الذين نازعوا السبئيين الحكم أمدا طويلا .

**اللهجة القتبائية :** وتنسب إلى قبائل قتبان التي أنشأت مملكتها في المنطقة الساحلية شمال عدن .

**اللهجة الحضرمية :** وهي منسوبة إلى قبائل حضرموت وقد أنشأت مملكة قوية نازعت سبأ السلطان .

فالقحطانيون تلقوا هذه اللغة عن بقايا القبائل العربية البائدة وقد توسعوا فيها حسب مطالب الحياة وأخذها العدنانيون عنهم لجوارهم لفرع قحطاني وهو « جرهم » (31) .

فالعربية عريقة في القدم - ممتدة في جذور التاريخ العميق . ولها تاريخ ممتد في الزمن الماضي وإن التاريخ الطويل للغة يعطيها فاعلية أكثر وتبلورا وتناسقا مع مقتضيات كل زمان .

**وللعربية مصادر أصيلة وركائز أساسية اعتمدت عليها في تفاعلها مع الزمن وهذه المصادر يمكن أن نستقيها من: القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص.**

أما القرآن : ففضلا عن كونه أحدث تغييرا جذريا في التفكير العربي في جميع مناحي الحياة ، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي اغناها بمصطلحات كثيرة أو بأسلوب جديد ، وكثير من هذه المصطلحات أو الأساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقائد والعبادات والمعاملات .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقدم هذا الأسلوب المنزل في صورة وحي كأخبار أو جواب عن أسئلة يثيرها العرب « يسألونك عن الأهلّة - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك ماذا ينفقون - يسألونك عن النبا العظيم » الخ .



والحديث الشريف لم يخط بمثل هذه الخطوة ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصدا او ضمنا في احاديث النبي حتى قيل انها لم تسمع عن غيره من قبل ومنها: « مات حتف انفه - الحرب خدعة - لا يندغ المؤمن من جحر مرتين » .

**واما الشعر:** فمصدر بالغ الاهمية للغة حتى قيل: انه لولا الشعر لضاع نصف اللغة ، وانما ظل الشعر مصدرا للغة لسهولة حفظه وروايته ولانه لا يحتمل المكذوب والندسوس مثلما يحتمله النشر ، واذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحال ، فان بعض الادياء عمدوا الى جمع كثير منه كتابة في وقت متأخر نسبيا كابي تمام في كتاب « الحماسة » وابو فرج الاصبهاني في كتاب « الأغاني » والذين قصدوا جمع مواد اللغة للتأليف في هذا الباب عمدوا الى الاستشهاد بالشعر كما فعل النحاة أيضا . وهكذا استشهدوا بالشعر التالي على ان « عزب » تطلق على الذكر والانثى

يا من يدل عزبا على عزب

كما استشهدوا في مخاطبة الواحد بلفظ التثنية بقول سويد بن كراع :

فان تزجراني يابن عفان انزجر

وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وقس على هذه الامثلة وقد كان ابن عباس يقول: اذا قرأت شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب (33) .

قال ابو حاتم الرازي المتوفى في سنة 322 هـ ان لغة العربية ديوانا ليس لسائر لغات الامم وهو الشعر الذي قد قيدوا به المعاني الغربية والالفاظ الشاردة فاذا احوجوا الى معرفة حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم متفق عليه مرضي بحكمه مجمع على صحة معانيه واحكام اصوله محتج به على ما اختلف فيه من معاني الالفاظ واصول اللغة .

**والشعر :** هو الكلام الموزون على روي واحد ، المقوم على حدو واحد حتى لا يخالف بعضه بعضا في الوزن والروي وسموه شعرا : لانه الفطنة بالفواض من الاسباب وسعوا الشاعر شاعرا لانه كان يظن لما لا يظن له غيره من معاني الكلام واوزانه وتآليف المعاني واحكامه وتثقيفه ، فكان لا يفوته من هذه الاسباب كلها شيء . قال عنتره :

وفي عهد الرسول لم تثر اسئلة كثيرة لتأويل عدد من نصوص القرآن فكان على الصحاب ان يأخذوا على انفسهم ثقل هذه المسئولية فلم يقدم على ذلك الا قليل منهم كمكرمة وابن عباس الذين تصديا للجواب على كثير من الاسئلة التي اثارها المستفسرون .

واثار الخلاف في قراءة القرآن مشكلة ظهور عدة روايات تنوقلت عن جماعة معينة من القراء واحتفت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية ، وانما كان الخلاف يتعلق بالحركات لا بجوهر اللفظ نفسه . ومهما يكن من شيء فان القرآن كان مرجعا أساسيا لرواة اللغة الذين اعتمدوه كنقطة استقرار واستنتاج وقد حفظ عدد من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جارية في الاسلوب العربي مثل : « ان هذان لساحران » قال رب ارجعون « « والارض فرشناها - فقد صفت قلوبكما » وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد بها للتدليل على صحة ما يقابلها من غير القرآن . قال المستشرق بروكلمان Brockelmann بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اى لغة أخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بان العربية هي وحدها اللسان الذي احل لهم ان يستعملوه في صلاتهم . وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

وقال الدكتور ستينجاس : ولنسائل انفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية ولو لم يكن محمد ولو لم يكن القرآن ؟ ونحن لا ننكر ان اللغة العربية انتجت قبل الاسلام الوانا عديدة من الشعر هي غايبة في الحسن والرفعة الا انها كانت كلها محفوظة في اذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك ان الشعر العربي ليس هو الادب كله .

وقال الدكتور « جورج سارطون George Sarton » وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على ان تدون الوحي الالهي احسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولفئاته ، وان تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة . وهكذا يساعده القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى في التعبير عن المقاصد . الا ان هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متعددة للتخاطب العادي وخصوصا حينما أصبح أبناء الامم المختلفة يتكلمون العربية ولكن القرآن الكريم جعل من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن اسمى مقتضيات الحياة (32) .

الرواة عنهم كثيرا من ذلك الشعر ودونوه ورواه السلف للخلف وعرفوا به اختلاف لغات القبائل (35) .

وأما الأمثال : فتعد أيضا من المصادر الأصيلة للغة العربية حيث أنها ذات أهمية بالغة من حيث ارتباطها اجتماعيا وأدبيا بحياة العرب . وهي من آداب العرب الهامة ، لأنها تجري على سنتهم مجرى الشعر وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح .

قال أبو عبيد : الأمثال من حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال إيجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه (36) .

والعرب تضمن اشعارها وأقوالها الأمثال والحكم فتزينها كقول أبي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي به دفنت

حديدة حتف ثم أمسى بشيرها (37)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الأمثال كأرجوزة أبي العتاهية التي سماها ذات الأمثال (38) ولا تخلو أمة من الأمثال المتوارثة في الأعقاب . لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث لأن الأمثال عندهم نوعان :

1 - أمثال حكيمة كقولهم : الجار قبل الدار، والحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل العقاب ، ونحوها مما يتناقله الناس في الأعقاب وتروىها الأمم بعضها عن بعض ، وأقدم مجموع لها أمثال سليمان وأكثر الأمم أخذت عنها .

2 - الأمثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم لأن الحوادث جرت لهم كقولهم : « وافق شبن طبقة » و « قطعت جهيزة قول كل خطيب » و « الصيف ضيبت اللبن » و « سبق السيف العذل » وهم يؤثرون تلك الأمثال عن قائلها وقد يروون عشرات من الأمثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما روى في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الأبرش (39) فذكروا في أثناء هذه الحادثة عشرات من الأقوال ذهبت مثلا منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله « رايك في الكن لا في الضح » وما ضل من تجري به العصا » وقول الزباء « لامر ما جدع قصير أنه » وبيدي لا بيد عمرو » ونحو ذلك ، وهذه الأمثال واشباهها كثيرة في أقوال الجاهلية .

هل غادر الشعراء من متردم  
أم هل عرفت الدار بعد توهم

بمعنى أن الشعراء لم يدعوا شيئا إلا وفطنوا له يقال شعرت بالشيء إذا فطنت له ، قال الكسائي في قوله تعالى « ولكن لا تشعرون » شعرت بالشيء شعرا وشعورا وبعضهم يقول مشعورة ، وقال أبو سعيدة : هو شعره فحذفوا الهاء قال : وهو مثل الدرية والفطنة وهو على وزن « فعلة » قال : وقيل شاعر لأنه يشعر بالشيء ويفطن له ، قال : ومنه قولهم ليت شعري أي ليتني أشعر به .

وسموا الكلمات المنظومة المؤلف بعضها الى بعض « قافية وجمعها » « قواف » قال النابغة :

قواف كالسلام اذا استمرت

فليس يرد مذهبها التظنسي

يعنون بالقوافي الكلام الذي يقفو بعضه بعضا على مثال واحد ثم سموا اجتماع القوافي قصيدة . قال جرير :

في ليتين اذا حدوت قصيدة

بلغت عمان وطىء الأجيال

يعني بالقصيدة : الكلمة التي ملئت بالمعاني وكثرت فيها الالفاظ المستحسنة يقال ناقة قصيدة أي ممثلة كثيرة اللحم سمينة فكانهم شبهوا القصيدة بذلك ، قال الشاعر :

قطعت وصاحبي سرح كناز

ركن الرعن ذعلبة قصيد (34)

فالعرب تكلموا بالشعر الرصين المحكم المعاني الموزون بالعروض المقوم بالانحاء من غير أن يعرفوا عروضاً أو نحواً وإبرزوه في ألفاظ حسنة ومعان متقنة وقواف موزونة ومصاريع مستوية فرواه أهل اللب والادب منهم وقبل أهل الشرف والحسب عنهم وجعلوا رويه في ذكر الاحساب والمآثر ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس ، وفي ذكر المثالب والسباب وهجاء أهل الضغائن والاحقاد ، وفي ذكر الوقائع والحروب ونشر كل شاعر محاسن أيام قبيلته ومفاخرها ومساوىء أهل الشنآن والبغضاء واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب وبسطوه بصفات الديار والقفار والنجع والأمطار ، ونعت الخيل والابل والوحش وغير ذلك مما يطول الشرح به ، ويكثر الكلام بذكر علله فتقيدت به الالفاظ الغريبة والمعاني اللطيفة وحفظ

وقد عني العرب بجمع الأمثال لأنها من جملة ما احتاجوا إليه في تحقيق الفاظ اللغة ، ذكر ابن النديم أن عبيد بن شربة من أهل اليمن ألف كتابا في الأمثال في خمسين ورقة بأواخر القرن الأول الهجري وهـو أول من فعل ذلك وقد ضاع هذا الكتاب .

واشتغل كثيرون من أدباء البصرة والكوفة في إبان التمدن الإسلامي بجمع أمثال العرب منهم صحر العبدى كان معاصرا لابن شربة وبونس النحوي المتوفى سنة 182 هـ وأبو عبيدة سنة 211 هـ وثعلب سنة 291 هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة 223 هـ والمفضل النضبي وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الأعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحمزة الأصفهاني وغيرهم .

وقد شرح هذه الكتب كثيرون وأضافوا إليها من الأمثال الحادثة في الإسلام ، وأهم هذه الكتب الباقية إلى الآن كتاب « المستقصى » للزمخشري « توفى سنة 538 هـ » ومجمع الأمثال للميداني « توفى سنة 518 هـ » وفي مجمع الأمثال نخبة مما احتوته كتب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا في الأمثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن أضاف إليه أمثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الأمثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مرارا في مصر وغيرها ، أما المستقصى للزمخشري فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالآستانة ودار الكتب المصرية .

أما كتب الأمثال الأصلية التي أخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل : أهمها كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن سنة 1836 هـ وأمثال العرب للنضبي طبع في الآستانة سنة 1300 هـ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري طبعت في الهند سنة 1307 هـ وأمثال لقمان طبعت مرارا في أوربا ومصر ومنها طبعة في باريس سنة 1847 مع ترجمة فرنسية ، وتجد كثيرا من أمثال العرب في كتاب الأماي لأبي علي القالي ، وكتب اللغة وكتب الأدب ونحوها (40) .

**وأما القصص :** فوراء كل مثل قصة حفظت كتب الأمثال السابق ذكرها كثيرا منها وخصوصا مجمع الأمثال للميداني 518 هـ والقصص تمثل بدورها نماذج

صادقة من تفكير العرب وآدابهم وأهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الأسلوب وأحسن مرجع لها هو كتاب « الأماي لأبي علي القالي وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وكتاب البيان والتبيين للجاحظ » .

وخلاصة القول : أن القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص قد أدت دورا بارزا في حفظ اللغة العربية وتقويمها . إلا أن جميع الدراسات اللغوية أثبتت في قوة أن سبب نشأة اللغة العربية ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها ، هو القرآن الكريم قبل غيره وذلك أن الفاظا كثيرة يرددها القرآن كانت ماثرا أسئلة المسلمين منذ عهد الرسول ، وكان بين هذه الألفاظ ما هو غير عربي ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الأقدام على التأويل الشرعي فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات في قراءة القرآن . فنشأ عن ذلك علم القراءات التي كانت ذات ارتباط وثيق بالنحو . وأخيرا فإن وضع قواعد النحو كان ضروريا لحفظ آيات القرآن على صورتها الأصلية بقطع النظر عن تعدد القراءات ولحسن الحظ ، فقد كان العرب يفتنون إلى ضرورة تدوين أكثر ما يمكن من الأشياء التي يخشون ضياعها بسرعة كما فعلوا في تدوين المصحف مثلا فقد بدأوا في ذلك منذ عهد أبي بكر الصديق . وهذا يدل على أن العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة والقراءة . بل يمكن أن يفهم من تعليم أسرى مكة لصبيان المدينة اثر وقعة بدر الكبرى أن الكتابة والقراءة كانتا تنتشران بمكة التي عرفت قبل المدينة ومن ثم فتدوين العلوم المتصلة بالقرآن قد سبق تدوين غيرها من العلوم .

وبالرغم من أن الكتابة كادت تكون مجهولة في باقي أجزاء شبه الجزيرة العربية فإن الألفاظ اللغوية التي حفظتها القصائد تشكل ثروة هائلة ، ولقد كانت لغة الشعراء كما يقول « بروكلمان » أشبه ما تكون بنهر جداوله هي اللهجات للقبائل التي اشتقت من العيس نفسها .

وإذا كان للقرآن الكريم فضل في انتشار العربية بشكل لم تكده لغة أخرى في العالم فإن الموارد الأخرى التي استقى منها الرواة ودارسو اللغة الأولون قد أدت بدورها خدمة للعربية لا تنكر .

والى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال فى تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من فاسدها وغريبها من مستعملها ، وان كان الكوفيون قد ساهموا بدورهم فى هذا الميدان الا ان مؤلفاتهم على العموم لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذبوع والانتشار (41) .

وقد ظلت اللغة العربية على متانتها وقوتها فى عهد الرسول وفى ايام الخلفاء الراشدين وما سجل من الهفوات واللحن على بعض العرب آنذاك لم يكن شيئاً يذكر بالقياس الى ما ابلفته العربية من فوضى شيئاً يذكر بالقياس الى ما ابلفته العربية من فوضى



## عوامل ذاتية وثار يخيّة ودينية

اللغتان هما : اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .  
فقد كانت اللغة اللاتينية تستعمل من « كمبانيا » في  
إيطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية، ومن نهر « الراين »  
الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي « صقلية » الى  
« شاطئ دجلة » ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة .  
لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قابلناه بانتشار  
العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط  
الاستواء وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد  
التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع  
انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امست اليونانية واللاتينية في صف اللغات  
الميتة منذ هبطت مدنيتهما . فما الذي حفظ اللغة  
العربية حية بعد زوال مدينة العرب بقرون سبعة .

تشير الكاتبة « مي » الى أن الذي كان باعنا على  
قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال  
حافظها الى اليوم وهو القرآن . لقد كان الاسلام يرمي  
الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة ،  
والعربية لغة الاسلام .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا،  
فمن الذي لا يعرف للقرآن فضله في بقاء العربية حية  
ومن الذي يجهل أن اللغة العربية باقية ما بقي  
الاسلام ؟ (1) .

من ذا الذي لا يعترف بما أدته هذه اللغة من خدمة  
للانسانية وبأنها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات  
الماضي وحضارات اليوم . لقد اندثرت جميع اخواتها  
السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية  
وأشورية وعبرانية قديمة وغيرها . في حين بقيت هي

اللغة العربية من اعرق اللغات العالمية منبتا ،  
واعزها جانبا ، واقواها جلادة وأبلغها عبارة وأغزرها  
مادة وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما  
يجول في النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق  
وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب .

نزل القرآن الكريم بها ، فجعلها أكثر رسوخا ،  
وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل القرآن طارت  
العربية أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها على  
النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي  
يعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام أن تتسع  
لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصعد  
أرقى اختلاجات النفس فليس هناك معنى من المعاني  
ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من  
النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف  
والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع بارز القسامات  
واضح السمات ، هذه اللغة العريقة فتحت صدرها  
لتراث الانسانية الخالد ومعارف البشرية الراقية  
الرائقة كما اتسعت لمقامات الامة الاسلامية التي  
شرقت بالحضارة وغربت .

برزت في اواسط القرن السادس الميلادي بفتة  
تتمتع بقوة لغة بالغة أشدها فما عرف التاريخ لها  
طفولة ، وما بدت الا لتكون لسان الحضارة والعلوم  
فانتقلت من شبه الجزيرة العربية الى الامصار القصية  
بمفرداتها ومميزاتها .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان أخريان  
بكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية وعقائدية ومذاهب  
سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة ، وهاتان

على رغم ما مر بها من عصور الركود . وما فتئت تفيض قوة وحيوية انها الحصن المنيع الذي يحمي من طغيان العامية ، وانها الرابطة النفسية القوية التي تجمع بين اهل البلاد المتباعدة وهي الصيغة الجميلة النابضة بالاحساس والتي نودعها مكنونات العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسعت مبادئ ومثلا سماوية لم تفرق بها ولم تنكز عن احتمال اعيانها بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها ، وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعمقت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وطوت في دورانها القوي كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها عن التحليق ، واستطاعت بقوتها الذاتية ان تقشع سحب اللهجات الفاضية وتخرج من كل جولة - جاليتها في صراع - بفذاء مفيد ودماء جديدة وقدره فائقة وطاقة خلاقة معطاءة .

هذه اللغة التي زادها القرآن دعما وتأصيلا اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في اقطار الارض ، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط « آسيا » حتى جبال « البرانس » في شمال « اسبانيا » ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القرآن . وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات . ومهما تكن الاسباب فانها أصبحت لغة قومية لأمم وشعوب قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها . فهي جميعا تنضوي تحت لوائها وتتلقي لسانها ، وتعبد من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث ان تعيش لها وبها ، وتحب فيها حياتها المعنوية الادبية والعقلية وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل ضوءها الى كل مكان حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في مجلاتها وآثارها الادبية .

والعربية اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد امت بها خطوط كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلم بها ثم يزايلها . وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة ، بحكم ما التقت به من ثقافات .

وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرنس واليونان والهند واسبانيا اللاتينية فوسعتها جميعا ، وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكانما أصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود ، بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت اللغة العربية بين هذه الشعوب والامم ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ومهما شرقت او غربت (2) .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول في البقاع الشاسعة من الجزيرة العربية واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرفه والادراك النافذ . لغة كاملة معجبة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس ، تكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ ونبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب وبسمات الحياة ، فالمعاني المحسة والمعقولة مبنية في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم ، واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه وانفه وفمه واسنانه وغيرها بأسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم انظر الى هذا الاحساس الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه الكلمة . فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم والآخرى لها الفتح والجهر ، وما ارى هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه .

واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة . فيها مادة ووزن . فخذ المادة او اخلقها او استعرها من لغة اخرى ثم صيها في قالب من قوالب الاسماء والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان . فمن سمع فاعلا او مفعولا ، ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلزمه في المواد كلها . وبهذا



امتازت اللغة العربية واستبانَت خصائصها حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها . للأسماء أوزان وللأفعال أوزان فما لا تزنه هذه الأوزان فهو أجنبي ، وبهذا بقيت على الدهر المتناول خالصة نقية صحيحة قوية .

وقد امتحنت هذه اللغة العريقة واختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تضق بكل ما أدركه الإنسان من علم وثقفة من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والأمم المختلفة غير كارهة ولا مكروهة، وقد أراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات وآيات . وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للإنسان عقل وقلب . وما استقام له احساس وأدراك .

وتقلب الزمن وتوالى المحن واثارت الفتن وهي ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين الله وروعة كواكبه محيت لغات وخلقت لغات وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تغير ولم تبدل . ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق هذه العربية لغة العرب وحدهم بل وثقفتها الأمم الأخرى وأولتها من العناية والحفاوة أكثر مما أولت لغاتها أحيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقبا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق . ولا تزال على تبدل الأحوال وتوالي الغير لغة أدب وعلم في الأمم الإسلامية غير العربية وما تزال لغات هذه الأمم مترعة بألفاظها . وما تزال تستمد العربية . وقد حوت على مر العصور أدبا لا تحويه لغة أخرى أدبا موطنه ما بين الصين إلى بحر الظلمات وزمانه أربعة عشر قرنا ولا تعرف في آداب العالم قديمها وحديثها أدبا اتسمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الأعصار هذا الامتداد .

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها العربية بقرآنها خالدة باقية على الخطوب والعصور لغة دين وعلم وأدب وحضارة وإنسانية (3) .

ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت مبلغ اللغة العربية من القوة والأيد ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه .

وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى، انتشرت في الشرق وسيطرت على سياسته وإدارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في أي وقت من الأوقات

أعماق الشعوب الشرقية ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم وإنما فرضت نفسها هذا الفرض السياسي المعروف فكانت لغة الحكام ولغة الإدارة ولغة الثقافة الرسمية .

وظلت الشعوب مع ذلك تتكلم لغاتها الخاصة وتوارث آدابها الخاصة . فالأمة اليونانية فرضت لغتها على انشراق عشرة قرون . منذ عهد الاسكندر إلى الفتوح العربية وكان الحكام في أول أمرهم من اليونانيين وكانت إدارة البلاد الشرقية ولا سيما مصر والشام وما اليهما كانت الإدارة فيها يونانية وكانت اللغة الإدارية والسياسية هي اللغة اليونانية . وكانت لغة الثقافة الرسمية في المدارس وفي المعاهد وفي الإدارة - بعد انتشار المسيحية - هي اللغة اليونانية ولكن الشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد الشرقية ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة فكان المصريون محتفظين بلغتهم القبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بلغاتهم السامية والآرامية وما يتفرع منها ولم تستطع هذه اللغة اليونانية أن تؤثر في هذه اللغات ، ولا أن تحول الشعوب عن لغاتها بحال من الأحوال .

وجاء الرومان بعد اليونان وحاولوا فرض لغتهم ومع ذلك فقد ظلت الشعوب محافظة على لغاتها الموروثة وآدابها الموروثة وعلى تقاليدها كلها إلى أن جاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي ودون أن يتخذ السلطان العربي أي قوة لفرض هذه اللغة ودون أن تتخذ الحكومات العربية على اختلافها أي إجراء لحمل الشعوب على أن تتكلم اللغة العربية . ننظر فإذا هذه اللغة العربية تنتشر شيئا فشيئا وبسرعة مدهشة ولا تلبث أن تصبح ، هي العامة لكل البلاد التي فتحها المسلمون في شرق الدولة الإسلامية وغربها .

في شرق الدولة الإسلامية في بلاد إيران وفي جزء من بلاد الهند . كل هذا القسم كان يتكلم اللغة العربية ويكتب بها ويحاول أن يغالب العرب عليها وفي المغرب وفي الشام وفي مصر وشمال أفريقيا وفي الأندلس كذلك غلبت اللغة العربية كل اللغات التي كانت منتشرة في كل هذه البلاد وأصبحت هي لغة الحديث وهي لغة الإدارة وهي لغة الثقافة وهي لغة الدين .

فاللغة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الإسلام وقوة القرآن الكريم ، وبهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة عالمية لأول مرة

فى التاريخ الانسانى . لغة عالمية . بأوسع معاني هذه الكلمة .

ولاول مرة فى التاريخ نجد لغة تنتشر الى هذا الحد . فقد انتشرت اليونانية فى جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة فى تلك الايام فى بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات ، غلبتها وتممقت شعوبها ووصلت الى اعماق الشعوب وحولت الالسنه عن اللغة القديمة الموروثة الى هذه اللغة نفسها ، لغة العرب ، لغة القرآن ، والرومانيون استطاعوا ان ينشروا لاتينيتهم فى الغرب الأوربي فى فرنسا وفى بريطانيا وفى اسبانيا وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة فى شمال افريقيا فلم يفلحوا الا قليلا ولكن اللغة العربية استطاعت ان تقهر اليونانية فى الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة فى هذه البلاد الشرقية وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ثم ان تقهر اللغة اللاتينية فى المغرب العربي وفى الاندلس وان تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس فى الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة دين ، وكانت فى الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري . وفى اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسيغ كل الثقافات التي كانت معروفة فى العصور القديمة .

اساغت ثقافة اليونان على سعتها وصعوبتها وعلى عمقها واساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهم العملية ايضا . واساغت ثقافة الفرس وثقافة الهند . واساغت بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بين الامم السامية والثقافات التي نشأت عن التقاء الساميين بالامم المختلفة والتي نشأت عن توارث التوراة والانجيل بين تلك الامم المسيحية فى هذه البلاد الشرقية والغربية . وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى وهي ان هذه اللغة العربية قد انتشرت بطريقة مذهلة واساغت كل الثقافات بهذه الطريقة المدهشة ايضا (4) .

فهي بلا شك افصح اللغات واكملها واتمها واعذبها نقل الناس اليها الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية الى العربية . ونقلوا اليها ايضا ما قالته حكماء العجم

باللغة الفارسية . وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب باللغات اليونانية او الهندية (5) .

ولهذا كله اسباب منها التاريخي ومنها الذاتي ومنها الديني .

فالاسباب التاريخية ترجع الى كون اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الام السامية الامر الذي مكنها من ان تأخذ ما فى السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد كثيرا من مزالق مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية فى الانفصال عن السامية الام .

ومما هو معروف مما تقدم ان اللغة العربية تنتمي الى طائفة اللغات السامية فهي على حد قول الكاتبة العربية « مي » ان اللغة العربية ثالث اصول جوهرية ثلاثة - الارامية والكنعانية والعربية - فالارامية تشمل الكلدانية والسريانية والاشورية « الميتة منذ زمن بعيد » وهي لغة عامية يقال ان السيد المسيح كان يخاطب بها تلاميذه . انشعبت الكنعانية من العبرية والفينيقية . فالعبرية لغة اليهود المقدسة ومع انها تختلف اليوم كثيرا عن العبرانية الاصلية ، فانها ما زالت مستعملة عندهم فى الطقوس الدينية . ولهجة من الفينيقية وهي البونيقية استعملت فى قرطاجنة وعلى شواطئ اسبانيا مدة طويلة .

اما العربية فتشمل العربية الفصحى ، ولهجات مختلفة تكلمتها القبائل القاطنة فى جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وغيرها ، وهي اللغة التي سمعت بنصيب البقاء على حين ان اخواتها وبنات عمها دخان فى عالم النسيان منذ امد بعيد ، وبعض خصائصها اللغوية كجمع التكسير مثلا يميزها عن العبرية والارامية فيجعلها اوسع منهما معنى واتم نظاما (6) .

اما السبب الذاتي : فهو نابع من صميم العربية ، من طبيعتها صوتيا وحرفا او حركة وحرفا اذ ان لهذه الطبيعة مجالا ارحب ، وشمولا اوسع ارتضته او ارتضاه لها الناطقون بها أعني به المجاز والمرادف والاشتقاق .

فالحرف العربي حرف مرن مطواع يمكن تركيبه على صور وهيئات تخرج منها الالفاظ والكلمات ، وقد نمت هذه المرونة والطواعية منذ نشأة اللغة .

والشكل وهو حرف صغير يتغير موضعه من اللفظ فيحدث تلفظا جديدا يحمل معاني جديدة .

والفاظ عشرة بل لعل المعاني في حقيقتها تفوق العشرة .

وهذا كله غير تصريح الفعل الذي لم نذكره لانه ليس من الاشتقاق وهو التصريف الذي يتناول اثنتي عشر صيغة موزعة على الضمائر .

والمرادف : وهو اللفظ الذي يؤدي نفس المعنى ويختلف عن مرادفه في النطق والحرف اختلافا قد يكون كلياً وهو باب واسع من اوسع ابواب اللغة العربية . وليس ادل على ذلك مما صنعه بعض المؤلفين القدامى مثل عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى عام 320 هـ في كتابه « الالفاظ الكتابية » والذي جعله في ثلاثمائة وستين باباً . جمع في كل باب من الالفاظ المختلفة حرفاً المتقاربة معنى ما يعسر حصره ، وعلى سبيل المثال نذكر باب حسن المنظر : منظر حسن . نظير . بهيج . بهي . رائع . زاهر . رائع . قسيم . وسيم . مرونق . ففي هذه الالفاظ المترادفة وصفنا منظراً حسناً .

اما جمال العربية فانه ناجم عن الدقة والجرس وتجانس التركيب والاستعارة والتجنيس والطباق والاعجاز والالتفات والتمام والاستطراد وحسن التضمين وتجاهل العارف والكتابة والتشبيه والمساواة والاشارة والاراداف والتتبع واثلاف اللفظ مع المعنى واثلاف اللفظ مع الوزن ، واثلاف المعنى مع الوزن واثلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت والتوشيح والترشيح والتوشيع والايغال والاحتراس والمواربة والترديد والتعطف والتفويف والتسهييم والتورية والاستخدام والتغاير والتسميط والمائلة والتجزئة والتسجيع والترصيع والتصريع والتشطير والتعليل والتطريز والعكس والتبديل والاغراق والفلو والاطراد والتوهيم والتكميل والمناسبة والتفريغ والتكرار والايذاء والاستعانة والموازنة والتذليل والمشاكلة والتعذيب والتأذيب والحل والانسجام والعقد والتعليق والادماج والازدواج والاتساع والمجاز والايجاز والتوليد والتنكيب والاتفاق والالتزام والتدبيج والتمزيج والاستقصاء والبسط والايضاح والتشكيك والعفوان والحيدة والانتقال والفرائد والنزاهة والافتنان والمراجعة والمقارنة والمناقضة والانفصال والابداع والابهام والسلب والايجاب وغير ذلك كثير مما عني به علماء البلاغة وقد يكون من السهل ايراد الشواهد على هذه العناوين الجمالية في اللغة العربية وقد يكون من الاسهل تحديد هذه الصفات التي ترد تحت الوصف

اما المجاز والاشتقاق والمرادف فانها منابع رئيسية لمرونة اللغة العربية كما انها ثروة رائعة من الجمال الذي تتحلّى به ، فالمجاز وهو استخدام اللفظ لغير ما وضع له بسبب علاقة ذات قرينة من ان يفهم اللفظ بمعناه الاصلي ، وجاء ان المجاز عبارة عن تجاوز الحقيقة . بحيث يأتي المتكلم باسم موضوع لمعنى فيختصره اما بان يجعله مفرداً بعد ان كان مركباً او غير ذلك من وجوه الاختصار ، واما ان يذكر ما هو متعلق به او كان من سببه لفائدة .

والمجاز جنس يشتمل على انواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والاشارة والارواق ، والتشبيه والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد (7) .

هذا انما هو قد فسح للعربية ميداناً خصباً لا يحد بسهولة ، فلو قلت ان محمداً يلقي الدرر ادرك السامع مرادك وهو ان محمداً يتكلم كلاماً فصيحاً بليغاً جميلاً ولو قلت : لقد جادت السماء ولبست الارض حلة قشبية ادرك السامع ان مطراً قد هطل ونباتاً ظهر . ومثل قول جرير .

اذا نزل السماء بارض قوم  
رعيناه مذان كانوا غضاباً

يريد اذا نزل مطر السماء رعينا ما ينبتة هذا المطر النازل (8) .

والاشتقاق : هو اخذ كلمة من اخرى تشابه فيها بعض الحروف ، فاذا تشابهت الحروف الاصلية اسفرت عن معاني قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة عن المعنى الاصلي وهذا الاشتقاق قد اضاف الى اللغة العربية ما اضافته المجاز فلفظة « بصر » التي تفيد النظر والرؤية وكذلك الخبرة والدراية لك ان تشتق منها فوق قواعد الاشتقاق افعالا واسماء لكل منها معناها الخاص فانك تشتق منها « بصر » باصرة . مبصر . بصير . متبصر . مستبصر .

وكل هذه اسماء تختلف فيما بينها اختلافا معنوياً واضحاً . اما الافعال فهي لا تقل عن هذه الاسماء كثرة وتنوعاً ، فلك ان تقول : يبصر . يتبصر . يتباصر . يستبصر . ولكل منها معنى يختلف اختلافاً عن معنى الفعل الآخر . فالاول ينظر ويرى ، والثاني يستعلم ويتحقق ، والثالث يدعى الرؤية او الخبرة ، والرابع يحاول النظر او الإدراك . فلو احصينا ما اشتقنا من اللفظة « بصر » لوجدناها عشرة الفاظ ، لها معان عشر

صورتها اللغة العربية تصويرا هو من جمال القوة في  
الذكورة (9) .

واذا اردنا المزيد من التدليل على جمال العربية  
فالشواهد ميسورة في كل ضرب من ضروب الكلام في  
الشعر والنثر والحكمة والخطابة . قال المتنبي يصف  
جيش سيف الدولة الحمداني :

خميس يشوق الأرض والغرب زحفه  
وفى اذن الجوزاء منه زمام

تجمع فيه كل لين وامنة  
فما تفهم الحداث الا التراجم

وقال البحري يصف الربيع :

اناك الربيع الطلق يختال ضاحكا  
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى  
اوائل ورد كن بالامس نوما

يفتحها قطر الندى فكانما  
يبث حديثا كان قبل مكتما

هاتان صورتان من صور التعبير الشعري : في  
الاولى تجد الفخامة والقوة والسبك ، وفي الثانية تجد  
الركة والمذوية والرخامة .

صورت اللغة في الفاظها ما اراده الشاعران او  
صور الشاعران في كل منهما ما اراده تصويرا تمازجت  
فيه الالفاظ بالمعنى فكانت روعة التعبير في الصورتين  
اللتين رسمتا موضوعين مختلفين ، احدهما الجيش  
وضخامته وجلبته ، والثاني : الربيع ونعومته ورقته  
وبهاء (10) .

ولا بأس من ايراد شاهدين آخرين وليكونا في  
موضوع واحد هو الرثاء اجاد فيه كل من الشاعرين  
اللذين رسما صورة للحزن على الفريد ومكانته .

قال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي ، وقد  
قتل في معركة فر فيها جنده وبقي هو في وجه عدوه  
« بابك الخرمي » :

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة  
تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وقد كان فوت الموت سهلا فردده  
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر

لشيء واحد مثل « منظر حسن » ولكن الصعوبة تكمن  
في تصوير الصفات للسامع . تصويرا ماديا يمسك  
بالانامل . ونمل هذا التصوير المادي ليس من متطلبات  
التدليل على جمال اللغة - اية لغة كانت - والقول في  
جمال لغة ما عند اهل تلك اللغة يعتمد مقاييس ذوقية  
ومادية تنظمها مشاعر وقواعد ، فالمشاعر هي وليدة  
الحس الذي يقرع العقل والقواعد هي الادوات المصنوعة  
لاجزاء القياس ونحن حين نطبق هذه المقاييس على  
جمال لغة العرب نخرج بنتائج مذهشة رائعة .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « والنجم اذا  
هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان  
هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة  
فاستوى وهو بالا فاق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب  
قوسين او ادنى » .

جرس ساحر آخاذ في تقطيع لفظي عجيب  
يصوران موضوعا جليلا ببراعة معجزة بدأت الآية  
الكريمة بالقسم بالنجم الذي كان بعض العرب يحلونه  
محل الاله ولكن القسم ليس بالاله المزعوم فحسب بل  
به حين يهوي ويهبط من عليائه التي خدعت بعض  
الناس فجعلوا منه الها غير الله . فهذا السقوط الذي  
يجرح الالهية والذي اورده القرآن الكريم مع  
القسم له ابعاد معنوية خارقة . ثم نفت الآية الكريمة  
عن الرسول العربي صفة الضلال التي اتهمه بها  
الجاحدون اولئك الذين بلغ الضلال بهم ان عبدوا النجم  
الذي ليست له مناعة ضد السقوط ، ومضت الآية  
الكريمة في تنزيه القرآن الذي نزل على الرسول الامين  
عن الهوى والعاطفة ، وقال فيه انه وحي من الله  
الخالق القوي الذي امر الرسول بحمل رسالة القرآن  
فصدع بالامر ونهض يبشر قومه بهداه وينذرهم في  
تنكرهم لرشاده . ولم يكن هذا الوحي في ذلك يدعو  
الى التشكك او التشكيك بل كان والرسول الكريم  
اقرب ما يكون الى ربه سبحانه وتعالى . انه كان على  
بعد ما بين طرفي القوس والمغرب يعرفون قصر  
المسافة بينهما حق المعرفة لان القوس تمشي بين  
ايديهم وتصحبهم طول الوقت .

هكذا استطاعت اللغة العربية ان تقسم بالقدس  
جهلا وضلالة وتجرح تقديسه وتنفي عن الرسول  
مزامم المشركين وتسمي الوحي وتصنف قرب  
النبي في حالة الوحي وتبين ان الدعوة ليست من هوى  
وعاطفة انسان بل ارادة ربانية . كل هذه المعاني

فأثبت في مستنقع الموت رجله  
وقال لها من تحت اخمصك الحشر .

كان بني نهبان يوم وفاته  
نجوم سماء خر من بينها البدر

### اما جرير فقد رثى زوجته فقال :

لولا الحياء لهاجنى استعمار  
ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولمت قلبي اذ علتني كبرة  
وذوو التمائم من بنيك صفار

واذا سريت رايت نارك نورت  
وجها اغر يزينه الاسفار

كان الخليط هم الخليط فاصحوا  
متبدلين وبالديار ديار

لا شك انك حين سمعت ابيات ابي تمام في رثاء الطوسي استشعرت الابهاء والجلد والأنفة والشجاعة وحين سمعت رثاء جرير زوجته أحسست بالأسى واللوعة والألم ، وكلتا الصورتين الشعريتين لمصور واحد هو الرثاء ، وان استخدمت الريشة من قبل رسامين هما الشاعران الرائيان .

ومن جمال اللغة العربية الذاتي غناها بالالفاظ والكلمات التي تتشابه في اللفظ وتختلف في المعنى .  
ومن ذلك ما جاء في البقعة الحلبية للحريري .

اما السبب الديني فهو في القرآن العظيم واسلوبه المعجز . واللغة العربية بفضل القرآن الكريم صارت أبعد اللغات مدى وأبلغها عبارة وأغزرها مادة وأقواها جلادة وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول في النفس تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر وتصعد حتى تصل أرقى اختلاجات النفس والضمير واسعة سعة السماء، عميقة عمق البحر (11).

قال م. فنتيجوا مؤلف كتاب «المعجزة العربية» :  
ان سرعة انتشار اللغة العربية ترجع الى الثمار المادية والروحية التي جنتها من الاسلام أكثر منها الى القرار الذي اتخذته الامويون بجعل العربية اجبارية في الوثائق الرسمية . وخلال القرن الثاني الهجري بدا انحلال مراكز الثقافة اليونانية في الشرق الأدنى وتمخض هذا الانحلال عن اكبر فوزى في اللغات والادبان فقد بدأت شعوب عريقة في الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها

بالعرب معتقداتهم واعرافهم وعوائلهم . ان العربية أمست في فارس اللغة الرسمية واتخذها الشعراء انفسهم أداة لصياغة القريض في حين ظلت اللهجة البهلوية مستعملة في الجبل ، وقد استمر نفوذ العربية في القرون التالية بل صارت العنصر الجوهرى في الاوردية التي هي لغة الثقافة عند الهندوس والتي يعتبر نصف مرداتها تقريبا من اصل عربي (12) .

قال جورج ريفوار : لقد ظل نفوذ اتباع محمد لأبناء لم يتغير ، ففي نواحي افريقيا وآسيا التي دخلوها من المغرب الى الهند تغلغل ذلك النفوذ في الاعماق الى الابد ولم يستطع فاتحون جدد استقصاء دين العرب ولغتهم (13) .

ان اللغة العربية التي بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة في العهد الجاهلي كأداة للتخاطب وكمصهر لصفل التعبير عن أدق الاحساسات وأرق العواطف ادركت في القرن الرابع الهجري في عنفوان العصر العباسي أوج كمالها .

وقد وصف زكي مبارك روعة النثر الفني العربي في القرن الرابع الهجري ، ووصف فيكتور بيرار اللغة العربية في ذلك العصر بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة ، فهي كنز يزخر بالمفاتيح ويعيش بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب ، رائع التصوير ، وأعجب ما في الامر - وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الاخرى - ان البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر وجهابذة النثر العربي جبلة وطبعا ومنهم استمد كل الشعراء تراثهم اللغوي وعبقريتهم في القريض (14) .

هذا وقد عربت أهم المصنفات اليونانية في عهد الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب والعلماء على دراسة الاداب الاجنبية بحماس شديد وقد خضعت العربية لمقتضيات الاصلاح الجديد ، فانتشرت في مجموع انحاء آسيا ، واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة وقضت على اللاتينية في شبه الجزيرة الايبيرية ( اسبانيا والاندلس ) .

ان نفوذ اللغة العربية اصبح بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية ايقن بنفوذ العربية وأوضح ( جورج ريفوار ) ان زجال الكنيسة - في اوربا الجنوبية اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الاسبانية ، وان « جان سيفيل » وجد نفسه مضطرا الى ان يحرق بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس .

اما في فرنسا فقد أكد ( جوستاف لوبون ) في كتابه « حضارة العرب » ان للعربية آثارا مهمة في فرنسا نفسها . وقد لاحظ المؤرخ الفرنسي « سديو » عن حق ان لهجة ناحيتي : أوفيرني وليموزان زاخرة بالالفاظ العربية ، وان الاعلام تنسم في كل مكان بالطابع العربي .

وكان من الطبيعي أن يزود العرب كلا من فرنسا وإيطاليا - في القرن الثامن الميلادي - بمعظم مصطلحاتها البحرية على أنها تركت أثرها في مصطلحات الجيش والإدارة والصيد والعلوم وغيرها . وقد لوحظ نفس التأثير في صقلية .

ومما يجدر ذكره ان أول اتجاهات أوربا من الاقتباس العربي كان في الميدان العلمي ، ولقد قال المستشرق « ماسينيون » ان المنهج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ، ومن خلال العربية في الحضارة الاوربية ، وان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي ، وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم .

وقد أوضح « جوستاف لوبون » ان العربية أصبحت ائلفة العالمية في جميع الاقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية .

وقال المستشرق ماسينيون ان العربية بقيمتها الجدلية وإنفسية والصوفية استطاعت ان تضيء سربال الفتوة على التفكير العربي .

ومما لا يسوغ انكاره ان الكثير من المصطلحات في انواع الفنون المختلفة - في أوربا - تستمد عناصرها

من اللغة العربية مثل الكحول والاكسير والجبر . وقد ذكر ليفي بروفنسال ، ان الاسبان استمدوا معظم اسماء الرياحين والازهار من اللغة العربية ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين وألقطن والزعفران ومجموعة مصطلحات الراي تقريبا - كما قال الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه « معطيات الحضارة » - هي من اصل عربي كما تحمل الحل في اسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير في الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

وقد لاحظ عالم ايطالي كبير ان معظم التعابير العربية التي تغفلت بكيفية مدهشة في لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعماري ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافي (15) .

وان اللغة العربية هي بلا شك اداة الفكر . وهي تعتمد على المناخ الفكري لاداء المعاني الحضارية اذ ان الحضارة والمدنية والثقافة لا بد لها من الاداة ، وان المقومات الثقافية لاي امة من الامم تتمثل في اللغة التي تستوعب الفاظها ومدلولاتها وكلماتها والعبارات المستعملة فيها القيم العليا وقضايا المعرفة .

وهذه القيم وهذه القضايا هي التي توجه الافراد وتحدد علاقة بعضهم ببعض كما تحدد علاقتهم بالمجتمع سواء المجتمع القومي او المجتمع الانساني .

ان حضارتنا العربية وليدة اللغة العربية ، واللغة العربية وليدة الحضارة العربية ، والحضارة العربية هدفت الى الخير والمعرفة وافادت الانسانية .



# الدلالة المعنوية

وما كان على أفعل دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر وأزرق ، وكذلك العيوب تكون على أفعل نحو أحول وأعور وأقرع وأقطع وأعرج وأخيف ، وتكون الادواء على فعال كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على فاعل كالضجيج والهرير والهدبر والصهيل والنهيق والزئير والضعيف والنعيق والنميب والخرير والصرير . وحكاية الاصوات على فعلة كالصرصرة والقرقرة والفرغرة والققعقة والخشخشة ، واطعمة العرب على فعيلة كالسبخة والعصيدة واللقيطة والحريرة والنعيمية والمققة ، واكثر الادوية على فعول كاللوق والسعوط والوجود واللدود والذرور والقطور والنطول ، واكثر المعدات فى الاستكثار على ( مفعال ) نحو مطعمان ومطعم ومضرب ومضيف ومكثار ومهذار وامرأة معطار ومذكار ومثناة ومثام (2) ، وصيغة الافعال واوزانها فى اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة فى اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة ، قال الشعالي فى الاكثر الاغلب ( فعل ) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » ، وقوله : « يذبجون ابناءكم » ، وفعل يكون بمعنى افعل نحو خير واخبر وكرم واكرم ونزل وانزل ، ويكون مضادا له نحو افرط اذا جاوز الحد وفرط اذا قصر ، قال الشاعر :

لا خير فى الافراط والتفريط  
كلاهما عندي من التخليط

وللغة العربية خصائص ومميزات بزت بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات ، فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المأنوسة قطعاً تسحر الالباب وتأخذ بالافهام وتتألق بالمقول فى عالم السمو والسحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لذات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيم له الحالة النفسية التي تحفزه الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود فى ثوب مغوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الالفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسية .

قال جورج زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاصل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو مأخوذ من عقل الناقة أى ربطها ، والفعل أدرك الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان أدرك القطار أى لحقه ، والفعل « بلغ » وضع أصلاً للدلالة على الوصول الحسي فى المكان والزمان ، بل ان الاصل فى معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهب رغوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضح ، « والرأى » اصله من « رأي » أى شهد بعينه (1) .

وفى العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على فعلان دل على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان والهبجان . وما كان على فعلان دل على صفات تقع من احوال كالعطشان والفرثان والشبعان والريان والفضبان ،

الفاظها - العربية - وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحسينه وتزيينه وتقديسه وانما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعي عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه (4) .

وذلك ان العرب كما تعني بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلتزمها وتكلف استمرارها ، فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرا في نفوسها فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها وربوها وبالقوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد (5) .

فكان العرب انما تحلي الفاظها وتدبجها وتوشيحها وتزخرفها عناية بالمعنى التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا رسلنا الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم لا شك اشرف من الخادم ، والاخبار في التلطف بعدوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتي عليها او يجشم للحال تعب بها (6) .

واعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها محصلة عنيت العرب بها فاولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (7) ، وشيء آخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة في الواقع من غيرها . وهو انها اكثر اللغات قبولا للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة ، والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان في تنويع المعنى الاصلي وتلوينه اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبيع ومبالغة وتعمدية ومطابقة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الاربعة مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط الممل ، والتفريط المخل .

و ( افعل ) يكون بمعنى فعل نحو اسقى وسقى وامحضه الود ومحضه وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

( وفاعل ) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وحاربه وقاتله ، ويكون بمعنى فعل كقولـه عز وجل : « قاتلهم الله » اي قتلهم .

( وتفاعل ) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى له ، ويكون بمعنى اظهر نحو : تفاعل وتجاهل وتعارض وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا ، وليس بغافل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

( وتفعّل ) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الفسي منعمـا

وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال : عمرو بن كلثوم :

تهددنا واوعدنا رويـدا

متى كنا لامك مقتوينـا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ، ويكون لاخذ الشيء نحو : تأدب وتفقه وتعلم ، ويكون تفعّل بمعنى : افعّل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير

وان لهذه الفهم انقضاء

اي : اعلم

( واستفعل ) يكون بمعنى التكلف نحو استعصم اي تعظم واستكبر اي تكبر ، ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استطعم واستسقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اي قر، ويكون بمعنى صار، نحو استنوق الجمل واستنسر البقـاث .

( وافتعل ) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اي شوى واقتنى اي قنى اي كسب ، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر وافتتن ، واما انفعّل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرتـه فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته فانقلب (3) ، قال ابن جني : « فاذا رايت العرب اصلحوا

حركة فى الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسى كرادوفو الى هذه الظاهرة فلم يسهه الا أن ينوه بها فى كتابه عن الغزالي فقال : « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلى » والكبر الخارجى . الداخلى هو استعداد فى النفس ، والخارجى ناتج من أفعال الجوارح ، واللفظ الفرنسى الذى يدل على معنى الكبر هو Orgueil أما التكبر فأولى أن يكون مرادفه الفرنسى Superbe

ولاحظ كرادوفو أيضا أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التى تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها فى لفظ واحد الى اللغات الأخرى وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفى العميق ، ما دام أن أحداث تغيير طفيف فى بنية اللفظ العربى يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التى تطابقها (8) . ولا نزاع فى أن منهج اللغة العربية الفريدة فى الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل ادائها فى اللغات الأخرى فى نطاق التركيز الجوانى الذى هو شيمة الأسلوب العربى الأصيل ، وقد لاحظ السيوطى هذه الزيادة فى المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بأنه أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا أو هيئة (9) .

وجلى أن : هذه الطريقة فى توليد الألفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة وتغنى عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التى كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق ، وأن هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذى يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهى الحروف أو الأصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء ماديا ظاهرا أو مختفيا مستترا خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوى وأن طريقها حيوية توليدية وليست آلية جامدة (10) .

قال الدكتور عثمان أمين : وإذا أردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية . فهو يرى فى كلمة مثل « صهر » أى آذاب الجسم بالنار أنه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور (11) . وفى العربية منهج آخر مخالف للغات الأخرى ، فإن العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة . من غير أن تكون تلك الحركات اثرا لمقطع أو بقية من أداة فيكون ذلك فى وسط الكلمة وأولها وآخرها . فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول فى مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول ، نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر فى مثل علم وعلم ، وبين الوصف والمصدر فى مثل فرح وفرح ، وبين المفرد والجمع فى مثل أسد وأسد ، وبين الفعل والفعل فى مثل قدم وقدم ، وبين الاسم والاسم فى مثل : سحور وسحور .

## المصادر

- 1 — انظر الفلسفة اللغوية جرجي زيدان ، ص 110 الطبعة الثالثة القاهرة 1923 .
- 2 — فقه اللغة للثعالبي ، ص 553 - 555 ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .
- 3 — المرجع السابق ، ص 549 - 553 .
- 4 — الخصائص لابن جني ، ج 1 ، ص 225 ، طبعة الهلال 1913 القاهرة .
- 5 — الخصائص لابن جني ، ص 223 .
- 6 — نفس المصدر السابق ، ص 228 .
- 7 — المصدر السابق ، ص 317 .
- 8 — فلسفة اللغة العربية ، الدكتور عثمان أمين ، المكتبة الثقافية 144 .
- 9 — الزهر للسيوطي ، طبعة دار احياء الكتب العربية .
- 10 — فقه اللغة محمد المبارك ، دمشق ، ص 61 .
- 11 — فلسفة اللغة العربية عثمان أمين ، ص 48 .
- 12 — احياء النحو ابراهيم مصطفى ، 136 ، القاهرة ، ص 45 .

# العربية وفلسفة الإعراب

وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا اذا بزغته .  
وذلك بأن تنسف اسفل حافره .

ومعناه : انه قد بان بذلك ما كان خفيا من امره  
لظهوره الى مرآة العين بعد ما كان مستورا وبذلك  
تعرف حاله أصلب هو أم رخو ، أصحیح هو أم سقيم ،  
وغير ذلك .

وأصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما  
يعزى اليه من الفصاحة والإعراب والبيان ، ومنه  
قولهم في الحديث : « الشيب تعرب عن نفسها » .

والمعرب صاحب الخيل العراب وعليه قول  
الشاعر :

ويصل في مثل جوف الطوى

صهلا تبين للمعرب

أى اذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم  
انه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة ، وذلك  
أن يوم الجمعة أظهر أمرا من بقية الاسبوع لما فيه من  
التأهب لها والتوجه اليها وقوة الأشعار بها ، قال  
الشاعر العربي القديم :

يوأثم رهطاً للعروبة صيما

ولما كانت معاني المسمين مختلفة كان الإعراب  
الدال عليها مختلفا أيضا . وكأنه من قولهم : « عربت  
معدته » أى فسدت . كأنها استحالته من حال الى  
حال ، كاستحالة الإعراب من صورة الى صورة .

الإعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى  
بعض الباحثين والدارسين من علماء مقارنة اللغات أن  
الإعراب أرقى ما وصلت اليه اللغات في الوضوح

اللغة العربية : من اللغات العريقة المنبست  
الواسعة الأفق اتسعت فاحاطت بأبعد انطلاقات الفكر  
وارتفعت حتى صعدت أرقى اختلاجات النفس .

ولقد زادت مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة  
على النهوض بنبعاتها الحضارية عبر التطور الذي  
تميشه الإنسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصاله الجاهدة المولدة  
المعطاء والميزات المطوعة المتطورة .

وانك لتحسن هذا في كلماتها التي تمثل خطرات  
النفوس ونبضات القلوب ، وكل كلمة لها في الجملة  
مكان يحسن بها المتكلم أو تحسن بها الكلمة نفسها .

ولهذا صارت - بفعل عوامل مختلفة - لغة حية  
بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وإبانة  
وافصاحا عن المعاني : الإعراب .

والعربية لغة تتوخى الإيضاح والاصالة والإعراب  
باحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غاية الإيضاح  
والإفصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ،  
وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفى اللغات الخالية من الإعراب يعتمد أهل اللغة  
على القرائن وعلى اضافة كلمات الى الجملة لفهم  
المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا  
يطرد - كما يقول صاحب الطراز - فأوجب العربية  
التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس والإبهام .

والإعراب : مصدر أعربت عن الشيء اذا أوضحت  
عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه أى مبين له

والإبانة وهذه المرتبة قد بلغت العربية الفصحى ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة إلا الألمانية .

أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات أوروبا الحديثة - فقد خلت من حالات الإعراب ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر وإنما يقوم مقامها الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها مما لا يخرج عن الوضع ، الخارجي في المكان هذا ، في حين أن اللغة العربية قد استلزمت من أول الأمر - ما دام الإعراب مرعياً - أن يكون الفكر الواعي محددا للوضع الخارجي وأن يكون النظر إلى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير وتأکید الإسناد وغير ذلك ، ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيد أباه وشكر سعيد أبوه . علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالإعراب يعرف الخبر من الإنشاء والمفعول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والتعجب من الاستفهام والنعت من الحال إلى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز أغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الإعراب ، فالإعراب في مثل ( ما أحسن زيد يفرق بين الأغراض الثلاثة المثلة فيه ، فإذا قلت : ما أحسن زيد « بفتح نون أحسن وضم دال زيد » كانت « ما » نافية ، وأنت تريد أن زيدا لم يحصل منه إحسان .

وإذا قلت « ما أحسن زيدا » بفتح النون والدال كانت « ما » تعجبية ، وأنت تريد أن شيئاً عجيباً جعل زيدا حسناً .

وإذا قلت « ما أحسن زيد » بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية ، وأنت تريد معرفة أي شيء حسن في زيد علمه أم أدبه أم أخلاقه . الخ .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز فبالحركة يقولون : مفتاح لالة بكسر الميم وفتح التاء و « مفتاح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز ببناء التأنيث وعدمها : فيقولون امرأة طاهر بدون التاء إذا أرادوا طاهرة من الحيض ، لأن الرجل لا يشاركها فيه ، وإذا أرادوا طهارتها من العيوب الخلقية ، قالوا امرأة طاهرة ، لأن الرجل يشاركها فيها ، فيحتاجون إلى التمييز بينهما ، ومثله امرأة قاعد إذا أنقلها الجبل

وقاعدة من القعود ، أي جالسة لأن الرجل يشاركها فيه فيقال : رجل قاعد ويروى أن رجلاً دخل على أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - فقال له : من غير أعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له أمير المؤمنين : « بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت أبي الأسود الدؤلي وقفت مرة تشاهد السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لابيها : « ما أحسن السماء » ، فقال أبوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا أسأل وإنما أنا أتعجب » فقال لها اذن قولي « ما أحسن السماء » وافتحي فاك . وسمع أبو الأسود قارئاً يقرأ قوله تعالى : « ان الله برئ من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله ، فأكره أبو الأسود ذلك وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

وكان هذا سبباً في وضع علامات الإعراب للمصحف بأمر زياد .

ويروى ابن قتيبة أن رجلاً من الخوارج مدح رئيسهم شبيباً بن يزيد الخارجي بقصيدة جاء في بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقنعب  
ومنا أمير المؤمنين شبيب

فأخذه عبد الملك بن مروان وسأله وهو يحاكمه عن هذا البيت فقال لم أقل هذا بل قلت : ومنا أمير المؤمنين شبيب « بفتح الراء في أمير أي يا أمير المؤمنين ، فأمر بتخية سبيله .

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى الإعراب عند العرب فقال : أن كلامهم - أي العرب - واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة ، ألا ترى أن قولهم : زيد جاء في مغاير لقولهم : جاءني زيد . من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم .

فمن قال : زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة ، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم وأن زيدا قائم وأن زيدا لقائم ، متفابرة كلها في الأدلة ، وأن استوت من طريق الإعراب فإن الأول الماري عن التأكيد إنما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .



من الاعراب يضع أمام الابصار مشهدا فلسفيا ذا روعة  
واصله .

فاللغة العربية لها من الخصائص لفهام المعاني  
الدقيقة وانمعاني الثانوية التي تصل الى نهاية الابداع  
وكمال الصنع ما يملك على السامع مشاعره ويستخدم  
حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والاعراب في ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء  
في مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل  
وضوح وابانة وهدى وافصاح .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات .  
نوهوا بخصيصة الاعراب في العربية ، قال العلامة :  
« بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بشروعة عظيمة  
من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن  
علامات الاعراب والنحو ذروة التطور في اللغات  
السامية .

وقال البحائة : « لوى مسينيون » في حين ان  
اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية  
تقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء ضخما



# الأضداد في اللغة

الأستاذ حسيه محمد (القاهرة)

- 2 -

والهدف الذي كان يطمح في « الاتيان على الاضداد كلها » عند قطرب ، تواضع عند أبي حاتم واقتصر على « ما حضر منها » . وبدلنا هذا على ان المؤلفات في الاضداد كثرت ، واختلفت مادتها ، فجعلت ابا حاتم ينظر اليها نظرة تختلف عن المؤلفين السابقين عليه ، الذين لم تكن بين ايديهم كتب تكشف عن قدر المادة ، فظنوا انهم قادرون في يسر على حصرها واستقصائها .

وتغير السبب مرة اخرى في الجيل التالي ، فصار الدفاع عن اللغة العربية ، والرد على مطاعن الشعوبيين ، كما نفهم من النص الذي أوردته في فصل سابق من كتاب ابن الانباري ، ووصف من رد عليهم « بأهل البدع والزيغ والأزراء بالعرب » .

أما الهدف فعاد كما بدأ مرة اخرى : استيعاب الجمع ، غير ان مؤلفي هذا الجيل كانوا يتطلعون الى هذا الجمع في ثقة دونها ثقة الاولين ، اذ وجدوا بين ايديهم ما ييسر عليهم السبل الى هدفهم . وكان مفهوم الجمع عندهم مختلفا عن مفهومه عند قطرب . فقد كان هذا يستهدف جمع الاضداد التي في اللغة العربية اما مؤلفوا هذا الجيل فكانوا يستهدفون جمع الاضداد المدونة فيما الف السابقون عليهم .

واضاف ابن الانباري الى الجمع أهدافا أخرى تتصل بطريقته في عرض مادة كتابه : قال (1) :

كان الاستلطاف سببا في ظهور اول كتاب خاص بالاضداد ، فقد اعلن قطرب في صدر كتابه : « وانما خصصناه بالاخبار عنه لقيته في كلامهم ولظرافته » . وكان لهذا السبب اثره الكبير في الهدف الذي نصبه المؤلفون امام أعينهم . فقد كان الجمع المستقصى ، والشمول التام هدفا لهم ، منذ الكتاب الاول ايضا . قال قطرب : « وسنأتي عليه كله ان شاء الله » .

وسرعان ما تغير هذا السبب ، اذ تحول عند الجيل التالي الى سبب ديني . قال ابو حاتم السجستاني : « حملنا على تأليفه انا وجدنا من الاضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا ، فأوضحنا ما حضرنا منه ، اذ كان يجيء في القرآن الظن يقينا وشكا ، والرجاء خوفا وطمعا . وهو مشهور في كلام العرب ... فأردنا ان يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب ان الله عز وجل حين قال : ( وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون .. ) مدح الشاكين في لقاء ربهم وانما المعنى يستيقنون ... واما قوله : ( قلتم ما ندري ما الساعة ، ان نظن الا ظنا ) فهو لاء شكاك كفار » .

وتضع هذه العبارة ايدنا على اشياء من التفسير عرضت للتأليف في الاضداد غير السبب ايضا . فالاضداد التي اتسمت « بالقلّة والظرافة » عند قطرب ، صارت عند أبي حاتم « شيئا كثيرا » .

(1) 13 .

اسما الاضداد اسمى ما يعين ادير  
با رام تانيق او ترنيق ما نظما

بها يحلى بتجنيس وتورية  
نظما ونثرا ، ويجلي الهم والغمما

ونستبين من هذا ان الدافع الذي حمل  
اللغويين على تدوين الاضداد لم يثبت على مر  
العصور ، بل تغير من جيل الى آخر . فقد بدا هواية  
في القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على ازالة ما  
قد يعترى بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ،  
ثم تحول الى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم امام  
الدعوى الشعبية في اوائل القرن الرابع ، وحب  
المعرفة المجرد في ذلك القرن ايضا ، وانتهى الى  
الرغبة في منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة  
لفوية جديدة في العصور المتأخرة . وتغير الهدف  
الذي سعى اليه كل من هؤلاء المؤلفين . فبينما كان  
اولهم قطرب يسعى الى استقصاء الاضداد من نهر  
اللغة مباشرة ، استكثر هذا ابو حاتم ووجد الاسبيل  
اليه واقتصر على التطلع الى جمع ما أمكن . ثم  
سعى ابن الانباري الى «الجمع» ، ولكن من الكتب  
المؤلفة قبله ، وازافة بعض الشواهد والعلل .  
وسعى ابو الطيب الى ذلك ، مع التمهيص والنقد .  
ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

### بواكير جمع الاضداد

تجلى لنا ان الحديث عن الاضداد بدأ مبكرا  
في اللغة العربية ، وان كثيرا من اللغويين الاولين  
خاضوا فيه . فكان منهم من التقط اللفظ بعد اللفظ ،  
ونبه الى انه من الاضداد مثل أبي عمرو بن العلاء .  
وكان منهم من عقد للالفاظ واحدا من فصول أحد  
كتبه ، مثل ابن قتيبة . وكان منهم من افرد  
للاضداد كتابا مستقلا ، مثل قطرب .

واقدم من عثرت على اشارات منه الى الاضداد  
الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفى حوالي سنة  
170 هـ ، وكان يعد الاضداد « من عجائب الكلام  
ووسع العربية (3) » . فأشار الى قدر منها في  
كتابه « العين » ، غير ان ابن سيده الوحيد ممن عالج  
الاضداد ونقل واحدا منها عنه ، قال في

« وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ،  
وصنفوا في احصائها كتباً ، نظرت فيها فوجدت كل  
واحد منهم اتى من الحروف بجزء ، واسقط منها  
جزءاً ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرأيت  
ان اجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ  
علمي ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة  
المؤلفة في مثل معناه . اذ اشتمل على جميع ما  
فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ،  
واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ونجد كل هذه الاهداف او اغلبها عند ابي  
الطيب ، ثم اضاف اليها تمحيص مادة الكتب السابقة  
وتقدها . قال (2) : « تحرينا في تأليفه - بعدما  
سبق من كتب السلف في معناه - احكام تصنيفه ،  
واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ،  
والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائلين  
به ، ويضعف قول النافين له » .

وجاءت الاجيال التالية ، فوجدت اهل القرن  
الرابع فرغوا من جمع الاضداد المتفرقة في الكتب  
الكثيرة ، ومن تمحيصها وتقدها ، ومن جمع  
الشواهد عليها . وكانت الغايات التعليمية قد غلبت  
عليهم ، فاستهدفوا التيسير على تلاميذهم ، وتمهيد  
السبل امامهم ليحفظوا علومهم . فجعلوا من كثير من  
المواد قوائم عارية . وذلك ما نراه عند ابن الدهان  
في قوله : « فانه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد  
من الالفاظ المتضادة المعاني من العرب ورأيت في بعض  
كتبهم أشياء لا يجب ذكرها ، وفي بعضها اختلالا  
فيما يجب ذكره ، ورأيت بعضها مشحونة  
بالاستشهادات ، بأمثلة وآيات ، احببت ان اجمع ما  
ورد فيها مختصرا ، معرى من الاستشهادات » .

وانقضت قرون لم تصل اليها منها كتب في  
الاضداد ، الى ان كان القرن الثالث عشر آخر  
قرون التأخر الادبي ، والشغف بالمحسنات اللفظية . فكان  
تيسير الوصول الى هذه المحسنات سببا في عودة  
التأليف في الاضداد . قال السيد عبد الهادي نجا  
الابباري صاحب ارجوزة « دورق الانداد في نظم اسماء  
الاضداد » المؤلفة قريبا من عام 1297 هـ ، عما  
دفعه الى هذا النوع من التأليف :

(2) 1 - 2 .

(3) العين : مادة شعب .

المخصص (4) : « صاحب العين : حصباء الحصى : صفارها وكبارها » . وكان يجدر به ان يعرف الحصباء بالحصى مجردا ، ومهما كان حجمه ، كما فعل صاحب القاموس المحيط ، فتخرج الكلمة عن الاضداد .

وروى قطرب واحدا من الاضداد عن يونس بن حبيب ، المتوفى حوالي 182 هـ ، قال (5) : « قال يونس : الرغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت في معنى مرغوث ، والولد ايضا رغوث ، والمعنى انه راغث لها ، فصار رغوث للمفعول والفاعل » .

كذلك أورد أبو الطيب ضدا آخر عنه ، قال (6) : « عن يونس قال : سمعت اعرابيا يذكر مصدقا لهم ، فقال في كلامه : فتمقه بعد ما نمقه : اي محاه بعد ما كتبه » .

والنص الاخير صريح ان يونس التفت الى المعنيين المتضادين وفسرهما ، الا ان النص الاول لا يدل بهذه الصراحة على ان الكلام كله عن يونس . فمحتمل ان يكون أورد واحدا من المعنيين وأورد قطرب الآخر .

وروى أبو عبيد في الفريب المصنف ثلاثة اضداد عن الكسائي ، المتوفى حوالي 189 هـ أورد أبو حاتم اثنين منهما في المجموعة التي شك فيها ، وهما افاد وأودع . وقد أورد ابن الأنباري وأبو ابن الأنباري ، وعقب أبو الطيب عليه بشك أبي حاتم الطيب الاول منهما دون تعليق . اما الثاني فتركه فيه . ولم يورد الثالث منها غير أبي عبيد : « الكسائي : غبيت الكلام ، وغبي غني » . وينسب ضد واحد او ضدان الى مجموعة اخرى معاصرة من اللغويين مثل أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، المتوفى 202 هـ ، وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي .

فاذا استثنينا الخليل - بسبب معجمه - لم

نجد لغويا من هذا الجيل تروى عنه اضداد كثيرة ، وانما هي كلمات قلائل ، ترد عليه عارضة في اثناء دروسه ، فيتنبه اليها فينبه عليها ، اولا يتنبه ويكتفي بالتفسير . فتعلق في ذهن احد التلاميذ ويفطن الى ما فيها من تضاد فيدونها في كتابه . ثم تكثر الاضداد عند لغويي الجيل التالي ، على تفاوت بينهم .

فما ينسب الى الفراء المتوفى في 207 هـ يماثل ما نسب الى الجيل السابق ندرة ، لا يتعدى الضد او الاثنين . قال محمد بن النجهم ، عن لفظ ( تحنث ) (7) : « فسألت الفراء عنه ففكر ساعة ، ثم قال : يتحنث : يتجنب الحنث ، يقال : قد تحنث الرجل : اذا تجنب الحنث ، واذا اتاه ايضا ، كما يقال : قد تأثم اذا اتى المأثم ، واذا تجنبه » .

وتكثر الاضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني ، المتوفى في 206 او 210 هـ . فقد نسب اليه أبو الطيب ما اقتصر فيه على الاضداد دون شواهد ، مثل (8) : « أبو عمرو الشيباني : يقال : قد تباجروا على الطريق : اي تبع بعضهم بعضا على الطريق . وتباجروا عن الطريق ، اي عدلوا عنه » . ونسب اليه ما عني فيه بالشواهد ، مثل (9) : « قال أبو عمرو الشيباني : المائل القائم ، والمائل اللاطيء بالارض . وانشد : « خلقا كئالمة المحاق المائل »

وعثرت على مجموعة من الاضداد صرح جامعوها انهم رووها عن ( أبي عمرو ) ، دون ان يبينوا يريدون الشيباني أم ابن العلاء . وقد حاولت أن اميز بينها على أساس من المدرسة اللغوية التي تخرج الراوية فيها ، فاذا كان كوفيا كان يروى عن الشيباني ، واذا كان بصريا كان راويا عن ابن العلاء . ولكن المحاولة اخفقت ، لان اكبر كتابين في الاضداد - كتابي ابن الأنباري وأبي الطيب - من انتاج كوفيين ، ولكن الرجلين ادخلا في كتابيهما كل ما أورده البصريون من الاضداد ، فاختلط عندهما التراث البصري والكوفي . وحاولت ان اعتمد على

(4) المخصص 13 : 266

(5) 17 . وأورده ابن الأنباري 243 ، وأبو الطيب 308 .

(6) 649 .

(7) 111 .

(8) 687 .

(9) 626 . وأورده ابن الأنباري 184 ، وابن الدهان 19 .

الكتب القديمة فى الاضداد . فوجدت الظاهرة نفسها متمثلة فيها . فاضداد الاصمعي نفسه تحتوي على ما ينسب الى ابي عمرو الشيباني صراحة ، مثل المائل التى اوردها ، ومثل (10) : « قال ابو عمرو الشيباني : الجبل : الصغير ، والجبل : العظيم . ولا اعرف الجبل فى معنى العظيم » . وحاولت ان اعتد على ما يشيع بين الناس ان القدماء اذا ارادوا الشيباني ذكروا لقبه لا محالة ، ولم يتحروا ذلك مع ابن العلاء ، فان قالوا : « ابو عمرو » فقط ، كان المراد ابن العلاء ، فاخفقت المحاولة ايضا . فقد جاء فى اضداد الاصمعي (11) وابي الطيب : « حكى ابو عمرو : الخجل : المرح . والخجل : الكسل ، وانشد :

اذا دعا الصارخ غير متصل

مرا امرت كل منشور خجل

مرا : جمع مرة ، اراد مرة بعد مرة . منشورا : اي منشرا امره » . واورد ابن السكيت كل هذا ونسبه صراحة الى الشيباني .

لهذه الاسباب اميل الى ان المراد بأبي عمرو هنا هو الشيباني . وتكشف هذه الاضداد ان ابا عمرو اورد اضدادا من اللغات العربية ، واضدادا مجازية ، وما يندرج تحت صيغة فعول .

ثم تكثر الاضداد وتنوع عند ابي زيد الانصاري ، المتوفى سنة 215 ، وعاصر التأليف فى الاضداد . فنجد عنده من الاضداد ما لم يستشهد عليه ، مثل قوله (12) : « يقال : جمل سهو بين السهاوة : اذا كان بطيئا ودابة سهوة : خفيفة سهلة السير » . ونجد ما استشهد عليه مثل (13) : « قال ابو زيد : الشفيف من الاضداد . يكون لهب الحر ، ويكون برد الريح . وانشد فى لهب الحر :

جاءت تشكي لهب الشفيف

وانشد فى البرد :  
فالجها الى ناري الشفيف »

وروي من الاضداد ما قبله اللغويون بعده فادخلوه فى كتبهم ، وروي ما ضعفوه ايضا مثل (14) : قال ابو زيد : يقال : تصدق الرجل يتصدق تصدقا : اذا اعطى صدقته . قال : وبعض العرب يقولون : تصدق يتصدق : اذا سأل ان يتصدق عليه . قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق اذا اعطى الصدقة » .

واورد منها ما يمكن رد تفسيره الى معنى واحد لا تضاد فيه ، مثل (15) : « قال ابو زيد الفلد : العطاء القليل والعطاء الكثير . قال الشاعر فى القليل :

تكفيه فلذة لحم ان الم بها  
من الشواء ويروي شربه الفمر

وقال العجاج فى الكثرة :

فلذ العطاء فى السنين البزل

« وكان جديرا بأبي زيد ان يعرف الفلد بانه العطاء مجردا من الوصف بالقليل او الكثير ، فيخرج اللفظ من زمرة الاضداد .

واورد اضداد المتعلقة . قيل فى اضداد الاصمعي (16) : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك . وطلعت عليهم : اذا اقبلت عليهم حتى يروك » . وقد خضعت هذه العبارة لبعض التشويه ، يكشف عنه قول ابي حاتم : « يقال : طلعت فى الجبل : اذا اقبلت فيه او ادبرت . وطلعت على صاحبي : اقبلت عليه . وطلعت عنه : ادبرت . والمصدر الطلوع » فالتضاد آت من الحرف لا من الفعل .

- (10) 6. واورده ابن الانباري 52 ، وابن الدهان 8 ، ونسبه ابو الطيب الى الشيباني ايضا 150 .
- (11) 12 . واورده ابو الطيب 250 . وابن السكيت 287 .
- (12) ابو الطيب 378 .
- (13) ابو الطيب 415 .
- (14) ابو الطيب 437 .
- (15) ابو حاتم 243 . ابن الانباري 348 . ابو الطيب 554 .
- (16) 49 . ابو حاتم 234 . ابن الانباري 203 ، 309 . ابو الطيب 458 .

... قال : ويقال للرجل ، مشمول الخلائق .  
اي كريم الاخلاق » . وروى ابن الانباري هذا اللفظ  
دون ان ينسبه الى احد .

### — ◆ — كتاب الاضداد

لم تصل الينا اخبار يقينية عن اول من الف  
في الاضداد ، ولا نستطيع الجزم بذلك ، لان هذا  
النوع من التأليف ظهر على يد ثلاثة من اللغويين  
المتعاصرين : هم قطرب المتوفى عام 206 ، وابو عبيدة  
المتوفى عام 210 هـ ، والاصمعي المتوفى حوالي  
عام 213 .

ومن الطبيعي ليس من العدل الاعتماد على  
تاريخ وفاتهم ، لان الاخير منهم في الوفاة قد يكون  
اولهم في التأليف ، اذ ليس الفرق بين وفياتهم  
بأكثر من سبع سنوات . ولكننا نسير في علاج كتبهم ،  
وفقا لترتيب وفياتهم ، اضطرابا . ويطمئنا الى  
هذا الترتيب قول الصغاني في مقدمة اضراده :  
« هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة  
في الاضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير الى  
زمان ... » . فهذه العبارة تجعل المرء يشعر بأن  
قطريا اول من الف في الاضداد .

وقد عثرت في اثناء بحثي عن الاضداد على  
اسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها . وهاك هذه  
الاسماء مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها :

1 - اضراد قطرب المتوفى عام 206 هـ : طبعه  
هانز كوفلر Hans Kofler في مجلة  
اسلاميات ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ،  
ص 241 ، وترجمه وعاق عليه  
Islamic : Das Kitab Al-Addad von Abu Ali  
في العدد الرابع ص 385 من نفس المجلد  
Muhammed Qutrub ibn Al-mustanir. Vol. 5. Fasc.  
3, p. 241, S. fasc. 4, p. 385

2 - اضراد ابي عبيدة المتوفى عام 210 هـ :  
مفقود .

واورد من الاضداد المجازية ما مثاله (17) :  
« الظعينة : المرأة على البعير ، ويجوز ان تكون في  
بيتها . قال ابو زيد : الطعائن : الهوادج ، وانما  
سميت النساء طعائن لانهن يكن فيها » .

وروى له ضد من اضراد التفاؤل ، قيل في  
اضراد الاصمعي (18) : « قال ابو زيد : الناهل في  
كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذي قد شرب  
حتى روي .. وعلق ابو حاتم على هذا القول بقوله :  
« فانما قيل للعطشان ناهل على التفاؤل ، كما يقال :  
الغاية للمهلكة على التفاؤل ، ويقال للعطشان :  
ريان ، وللعلدوغ : سليم . اي سيسلم  
وسيروى ونحو ذلك .

وروي له من اضراد اللغات عدة الفاظ ، امثل  
لها بقوله (19) : « قيس تجعل من لم يدرك من  
الصبيان فرطا ولا يقولون للكبار فرطا ، وغيرهم  
يجعلونه واحدا » .

ونسب ابو حاتم ضدا لابي زيد ، ات عن  
اختلاف الاصلين المشتق منهما معنيهما ، قال (20):  
« قال ابو زيد : يقال : اضعف الرجل : اذا كثرت  
ابله ونشت ضيعته وانتشرت واضعف : اذا كانت  
ابنه ضعافا مهزليل » . فالمعنى الاول من الضعف  
بكسر الضاد بمعنى المثلين ، والثاني من الضعف  
- بفتح الضاد - اي الهزال .

وبقي بعض الناس يوردون اضرادا ، بعد عهد  
التأليف فيها ، دون ان يشاركوا هم في تدوينها في  
كتب خاصة بها . فاقتبس المؤلفون في الاضداد  
بعدهم اقوالهم وادخلوها في كتبهم . وعلى هذه  
الصورة كثيرا ما ظهر اسم ابن الاعرابي في كتب  
الاضداد ، مثل (21) :

« قال : « ابن الاعرابي : يقال : اخلاق  
مشمولة ، اي اخلاق سوء ، وانشد :

ولتعرفن خلائقا مشمولة  
ولتندمن ولات ساعة مندم

- 
- (17) الاصمعي 68 . ابن السكيت 342 . ابن الانباري 100 .  
(18) 45 . ابو حاتم 135 . ابن الانباري 65 . ابو الطيب 637 .  
(19) ابو الطيب 547 .  
(20) ابو حاتم 166 . ابو الطيب 451 .  
(21) الاصمعي 18 . ابن السكيت 290 . ابو الطيب 413 . وانظر ابن الانباري 104 .



16 - مختصر اضرار ابن الانباري لتقي الدين  
عبد القادر التميمي المصري المتوفى عام  
1009 هـ : مفقود .

17 - ترتيب المختصر السابق ، لابن المختصر ملا  
حسن : مفقود .

18 - دورق الانداد في نظم أسماء الاضرار للسيد  
عبد الهادي نجا الايباري المتوفى عام 1305  
هـ : مصور بدار الكتب المصرية ، تحت رقم  
844 لفة .

19 - الرنوق على الدورق : للمؤلف نفسه ، شرح  
فيه دورق الانداد : مفقود .

20 - الكاس المروق على الدورق ، للسيد احمد بن  
احمد بن اسماعيل الحلواني .  
شرح لدورق الانداد الفه عام 1302 هـ تقريبا:  
مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم 844  
لفة .

21 - رسالة في ذكر بعض الالفاظ المستعملة في  
الضدين الموجودة في القاموس لعبد الله ابن  
محمد وهو مجهول ولكنه محدث : مخطوط  
بدار الكتب المصرية تحت رقم 241 مجاميع .

22 - منبه الرقاد في ذكر جملة من الاضرار لمؤلف  
مجهول ، ولكنه حديث : مخطوط بدار الكتب  
المصرية تحت رقم 329 لفة .

23 - الاضرار ، للشيخ محمد المدني ، مخطوط  
بمكتبة السيامية بالاسكندرية تحت رقم 1041

### كتاب قطرب

واذن فالمؤلف الاول في الاضرار هو ابو علي  
محمد بن المستنير المعروف بقطرب تلميذ سيبويه .  
وقد درسنا انواع الاضرار عنده ، وعند غيره ،  
من المؤلفين في الاضرار خاصة وما زاده كل  
منهم على سابقه ، فلا نعيد القول عن ذلك ، ونعني  
بابراز صور تمثل كتبهم ، وتوضح طرق تناولهم .

صدر قطرب كتابه بمقدمة قصيرة : افتتحها  
بتقسيم كلام العرب الى الواجه الثلاثة المتقدمة في اول  
الكلام عن الاضرار ، واختتمها بإشارة الى  
استقصائه جميع الاضرار كلها ثم انتقل الى الاضرار  
نفسها .

3 - اضرار الاصمعي المتوفى عام 213 هـ : نشره  
الدكتور أوغست هافنر Dr August Haffner  
استاذ العربية في كلية انسبروك ، بالمطبعة  
الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، في بيروت  
عام 1913 مع اضرار السجستاني وابن  
السكيت والصفاني في مجلد واحد . ( واشك  
في كونه للاصمعي ) .

4 - اضرار التوزي المتوفى عام 233 هـ : مفقود .

5 - اضرار يعقوب بن السكيت المتوفى عام 246  
هـ : انظر اضرار الاصمعي .

6 - اضرار ابي حاتم السجستاني المتوفى عام  
255 هـ : انظر اضرار الاصمعي .

7 - اضرار عبيد بن ذكوان من معاصري المبرد :  
مفقود .

8 - اضرار ابي بكر محمد بن القاسم الانباري  
المتوفى عام 328 هـ : نشره هوتسما  
Th. Houtsma في لندن عام 1881 ، ثم  
الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرافعي  
مع الشيخ احمد الشنقيطي بالمطبعة  
الحسنية المصرية عام 1325 هـ ، ثم  
محمد ابو الفضل ابراهيم في سلسلة التراث  
العربي التي تصدرها الكويت 1960 م .

9 - اضرار ابن درستويه المتوفى عام 347 هـ :  
مفقود .

10 - اضرار ابي الطيب اللغوي المتوفى عام 351  
هـ : نشره الدكتور عزة حسن في دمشق  
1382 / 1963 .

11 - اضرار الامدي المتوفى عام 371 هـ : مفقود .

12 - اضرار احمد بن فارس المتوفى عام  
395 هـ : مفقود .

13 - اضرار سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان  
المتوفى عام 569 هـ : نشره محمد حسن آل  
ياسين في نفائس المخطوطات بالنجف 1952 .

14 - اضرار ابي البركات عبد الرحمن بن محمد  
الانباري المتوفى عام 577 هـ : مفقود .

15 - اضرار الحسن بن محمد الصفاني المتوفى عام  
650 هـ : انظر اضرار الاصمعي .

وقال ليبد :

وارى أربد قد فارقني

ومن الارزاء رزء ذو جلل

غير عظيم . وقال : يجوز ان يكون غير هين وغير شديد ... » .

وكان فى بعض الاضداد يتفاضى عن هذه العادة، ويبدأ بمعان غير متضادة ، او بأمثلة ، او يدخل ضدين فى بعضهما . قال مثلاً (23) : « والنهيك : وهو الشجاع . ويقال قد نهكه المرض ونهكه لفتان ، ونهكت الرجل نهكة ونهكة : قهرته . ويقال ايضاً : نهك الرجل اذا قوى واشتد » فالقوة والضعف هما المعنيان المتضادان ، اما الشجاعة فأمر آخر .

وقال (24) : « ومنه ايضاً : الاستجمار : هو الاستنجاء بالحجر ، وكانت قريش تجمر نساءها ، وذلك ان تجعل لها كالتزعيتين من نفت وحلق وما اشبه ذلك . وقال : لا تجمروا جنودكم : اي لا تحبسوهم . قال ابو محمد : يقال : جمرت المرأة شعرها : اذا جمعته ويقال : لا تجمروا جنودكم : اي لا تقطعوا نسلهم . وفى المغازي : « تقطعوا نسلكم » . ويقال للذؤابة : جمار ، ، ولها جماران ، وهي كالصفيرة التى تقبل على الوجه » . خلط المعاني ، ولم يبين اي اثنين منها متضادين ، وليس فيها معان متضادة . وانظر ما فعله فى عسى وظن اللتين خلطهما كل الخلط (25) .

وكثيرا ما كان لا يذكر فى الضد الا معنى واحدا . قال مثلاً (26) : الفنوز : التى لا تدر حتى يغمز ضرعها » وقال (27) : « يقال ناقة ظئور : تعطف على ولد غيرها » . وغير ذلك من صيغة فعول .

وكثيرا ما كان قطرب يلتفت الى المشتقات فى الضد الذى يعالجه ، فيشير اليها . وقد مرت بنا

والف قطرب فى معالجة اضداده، ان يبدأ بذكر المعنيين المتضادين ، ثم يذكر الشواهد وما اليها، فيقول مثلاً (22) : « ومن الاضداد ايضاً السامد . والسامد بلفة طيء : الحزين ، وبلغة اهل اليمن : اللاهي ، والسامد : اللاعب ، وهذا ضد الحزين . وقالوا ايضاً : السامد : المطرق . وقالوا : سمد الرجل يسمد سموداً : اذا لعب . وقال : المسمود : الطائح الطرف . وقالوا : المسمود : المفمي عليه . وقال الله جل ثناؤه : ( وانتم سامدون ) .

قال ابن عباس : على اللفة اليمانية ، التى ذكرناها . وقال الكلبي : سامدون مهتمون على لفة طيء ، سمعنا من ينشد :

قيل قم فانظر اليهم  
ثم دع عنك السمودا

وقال رؤبة :

ما زال اساد المطايا سمداً  
تستلب السير استلاباً سمداً

قال ابو زيد :

وتخال العزيف فيها غناء  
لندامى من شارب مسمود

وقال ذو الرمة :

يصبحن بعد الطلق التجريد  
وبعد سمد القرب المسمود

... ومن الاضداد ايضاً : أمر جلل : هين ، وامر جلل : اي شديد ، وقال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم  
الا كل شيء سواه جلل

وقال الآخر :

رسم دار وقفت فى ظلله  
كدت اقضى الغداة من جلله

(22) 3 ، 4 .

(23) 62 .

(24) 74 .

(25) 1 ، 2 .

(26) 19 .

(27) 24 .

امثلة لذلك ، وهذه امثلة اخرى : قال (28) :  
« يقال ايضا : اهدم الثوب يهدم همودا بلي . واهمد :  
اسرع . واهمد : سكن . والاهماد : السرعة فى السير .  
والاهماد : الإقامة .. » .

ولم يسر قطرب فى شواهد على طريقة  
واحدة . فكان فى كثير من الاضداد لا يستشهد  
البتة . قال مثلا (29) : « ومنه : البعل ، يا هذا :  
لما سقت السماء ، وقالوا : البعل ايضا لما يشرب  
يعروقه - والبعل : الزوج » . وقال (30) : « ومنه  
البحتر : للقصير ، والبحتر : للعظيم » .

وكان فى احيان اخرى يستشهد على أحد  
المعنيين المتضادين ، ويهمل الآخر . نرى مثال ذلك  
فى قوله (31) : « ومنه ايضا : السليم . فالسليم :  
السليم ، والسليم : الملدوغ .. قال النابغة :

يسهد من نوم العشاء سليمها  
لحلي النساء فى يديه قعاقع

وقال الآخر :

الاقى من تذكر آل لىلى  
كما يلقى السليم من العداد

الانتظار .

ويفعل ذلك فى غيره من الاضداد ، مثل  
الناهل ، والاعور ، والخل ، وارم ، وجربة والفوارض ،  
والتفشمير ، وهجد .

وفى مواضع اخرى استشهد على المعنيين معا .  
قال مثلا (32) : « ومنه التلعة : مسيل الماء من  
الجبل الى الوادي ، والتلعة : الارتفاع من الارض .  
وقال الراعى :

رآني ذوو الاحلام خيرا خلافة  
من الراتمين فى التلاع الدواحل

وقال زهير :

واني متى اهبط من الارض تلعة  
اجد اثرا قبلي جديدا وعائيا »

وانظر افرع ، والرهوة ، والمقتوى ، وبهوى ،  
وعسمس ، والمئة وغيرها . وكان احيانا يستشهد  
على المعنى الواحد باكثر من شاهد ..

وتنوعت الشواهد عنده : ما يبين شعرية  
رأبناها فيما سبق ، وقرآنية فى قوله (33) :  
« فمن الاضداد : عسى : تكون يقينا مرة ، وشكا  
اخرى ، قال الله جل ثناؤه : ( عسى ربكم ان  
يرحكم ) وعسى فى القرآن واجبة » . وقال (34) :  
« يكون الظن شكا او يقينا ... وقال الله جل ثناؤه :  
( الذين يظنون انهم ملاقو ربهم ) وقال فى آية  
اخرى : ( ظننت اني ملاق حساييه ) فهذا يقين ،  
ولو كان ذلك شكا لم يجز فى المعنى وكان كفرا  
ولكنه يقين .. » . وانظر سمد ، وعاصم ، وراضية ،  
وخفى ، واسر ، ورجا ، وشرى ، وقبل ، وغيرها .  
وامثال نراها فى قوله (35) : « وفى مثل : الحق ابلج  
والباطل لجلج . والابلج : المضيء المستنير . والجلج :  
الذي ليس بمستقيم .

وقال الراجز :

وانعدل النجم عن المجرة  
وانبلج الصبح لام برت

باتت على مخافة وظلت »

وكان قطرب فى اضداده ميالا الى التنظيم ،  
فوضع جميع المواد التى تنضوي تحت صيغة فعول  
للفاعل والمفعول به فى موضع واحد من (13 - 32)  
ونبه على هذه الصفة التى توحد بينها فى آخرها ، اذ  
قال : « هذا كله الذى ذكرنا اضداد على فاعل  
ومفعول » . ولم يفصل بينها الا بصيغة واحدة  
« فاطم » التى لا تدخل فى هذه الصيغة .

(28) 7 .

(29) 48 .

(30) 49 .

(31) 8 .

(32) 1 2 .

(33) 1 .

(34) 2 .

(35) 216 .

ونظم صيغة فاعل ايضا ، وجمع موادها في موضع واحد من (33-44) ونبه عليها في اولها في قوله : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا . » . ولم يشد عنه الا الصيغة السابق ذكرها ، التي اتت في وسط امثلة صيغة « فاعول » اضطرابا .

اما اضداد صيغة فاعل التي تأتي للفاعل والمفعول فلم ينتبه اليها ولم يفعل فيها ما فعله مع اختيها ، ففرقتها في ( 70 ، 71 ، 74 ، 75 ، 87 )

وهناك ظواهر أخرى قليلة الاهمية في اضرار قطرب ، لانها لم تبلغ مبلغ الظواهر السابقة في الظهور والبروز . ومن هذه الظواهر رجوعه الى من قبله من اللغويين ، واكثرهم ظهورا يونس بن حبيب (15 ، 17 ، 32) فأبو عمرو بن العلاء (7 ، 167) فالكلبي (163)

ورجوعه الى الاعراب مثل ابي طفيلة الحرمازي (16) وأبي عون الحرمازي (119) وأبي خيرة العدوي (162) . واكثر في تفسير الآيات من الرجوع الى ابن عباس (162 ، 163 ، 164 وغيرها كثير) .

ومنها التفاته الى الروايات الشعرية ، كما نرى في (5 ، 146 مثلا) والى اللغات كما في (45 ، 59 ، 62 ، 92 ، 162 ، 197 ، 200) ، والى المعرب (7 ، 13) وبعض القواعد النحوية اللغوية (32) .

ومن الظواهر البارزة في اضرار قطرب ، انها لم تعرف الاضداد تعريفا دقيقا ، ووسعت مدلولها جدا ، فادخلت كثيرا من الالفاظ التي تقدها القدماء انفسهم ، وخاصة ابن الأنباري وذكرنا من ذلك امثلة كثيرة . بل بلغ من حبه لإيراد الالفاظ ان ادخل بعض الالفاظ العامية ، على علم منه بها . قال ابن الأنباري (235) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد أحرف الرجل أحرافا : اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس : الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب ، انما تقولها العامة » . وكان السبب في هذا رمية الى استقصاء الاضداد كلها ، والاكتثار منها ، حتى اوقعه ذلك في التزيد .

ومما يؤخذ عليه ايضا - الى جانب هذا - خلطه بعض الاضداد ببعض ، كما فعل في عسى وظن (1 ، 2) فأورد ثانيتهما في وسط كلام عن الاولى .

ويلام على عدم انتهاجه خطة موحدة في معالجة الاضداد ، فقد كان من الواجب عليه افتتاح الضد

بذكر معنييه المتضادين ، ثم تناول ما يعن له . فكان هذا يوضح له الالفاظ التي لا تشتمل على معنيين متضادين فيطرحها من كتابه ، ويعرفنا الضدين منذ النظرة الاولى . كما قد تلوم على استطراده الى المعاني الاخرى في الاضداد التي نستطيع الحصول عليها من الرسائل اللغوية الاخرى ، وعلى افلات التنظيم منه احيانا . وتكرير بعض الاضداد مثل زعوم (28 ، 171) واضب (110 ، 215) وبطائن (130 ، 182) وذفر (116 ، 217) وجون (79 ، 94) ، يضاف الى ذلك تفرقه الاضداد المشتقة من اصل واحد كظهر وظهر وظاهر (149 ، 179 ، 188) ، وخفي واستخفي (45 ، 135) وبعل (بمعنيين مختلفين 48 ، 189) .

وجميع هذه الظواهر والماخذ - كبيرها وصغيرها - على قدر كبير من الاهمية ، لانها تسربت من كتاب قطرب الى جميع كتب الاضداد المؤلفة بعده ، فسارت عليها دون كبير تمحيص . فما تخلص منها غير القليل ، حتى ان ابن الأنباري كرر (زعوم) لتكرير قطرب اياه .

ومجمل القول في اضرار قطرب انه اشتمل على 218 ضدا ، تكرر منها خمسة ، اي مجموع ما فيه منها 213 ، انفرد قطرب بثمانية منها لم يتابعه أحد فيها ، هي (21 - 30 - 31 - 38 - 47 - 100 - 105 - 184) ، والثلاثة الاولى من صيغة فاعول ، والرابعة من صيغة فاعل . ولعل ذلك سبب عدم ذكرها ، اما بقيتها فربما كان الشك فيها هو الذي دفع الى اهمالها .

واشترك قطرب مع ابن السكيت وأبي حاتم وابن الأنباري في 54 ضدا ، غير ان الكثرة الفارقة رواها الاصمعي او ابو عبيدة او ابو زيد بالإضافة اليه . وحذف ابن السكيت وأبو حاتم من اضرار قطرب في كتابيهما 86 ضدا . واتفق ابن السكيت وابن الأنباري على حذف ثلاثة اضرار (77 - 80 - 164) وانفرد ابن السكيت بحذف 59 ضدا . وانفرد أبو حاتم بحذف ثمانية اضرار (86 - 91 - 98 - 103 - 108 - 129 - 177) .

وجلي ان ابن السكيت ترك من اضرار قطرب 156 ضدا ، اي حوالي ثلثها ، وأورد منها الثلث الباقي الذي شارك قطربا في روايته المؤلفون الاولون ، عدا ثمانية اضرار . وتدعم هذه النتيجة القول المذكور في البغية (104) : « قال ابن السكيت :

كتبت عن قطرب قمطرا ثم تبينت انه يكذب في اللغة ، فلم اذكر عنه شيئا » .

وهذه النسخة التي حققها كوفلر من رواية المكنى « ابا محمد » المذكور كثيرا في تضاعيف الكلام عن الاضداد . ولم يشتهر بهذه الكنية في عصر تلاميذ قطرب غير اثنين ، هما : ابو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلی المتوفى عام 235 و ابو محمد عبد الله بن محمد التوزي المتوفى عام 238 هـ . اما الموصلی فقد اخذ « عن الاصمعي وابي عبيدة وغيرهما ( النزهة 227 ) ولكن لم يصرح احد بمقابلته لقطرب ، وروايته اضداده . واما التوزي فقد « اخذ عن ابي عبيدة والاصمعي والجرمي » ( النزهة 232 ) ولم يصرح احد بمقابلته قطربا . ولكن له كتاب في الاضداد اقتطف منه المبرد ضدین ، لم اجد احدهما في نسخة قطرب ، والثانية مختلفة عن مثيلتها فيه . واذن فهذا الكتاب ليس للتوزي . ومع ذلك ، لا يمنع هذا ان يكون رواه التوزي .

وكان ابو محمد يروي تعليقاته عن الاصمعي ( 2 - 4 - 118 ) وابي عبيدة ( 2 - 118 - 131 ) وابي عمرو الشيباني ( 173 ) ولم يرو كثيرا منها عن احد ، كما سيبين فيما يلي .

وكان قدر كبير من تعليقات ابي محمد موجها الى شرح الشواهد . وابتدا هذا الشرح منذ المقدمة : فقد استشهد فيها قطرب بالآية : ( ان ابراهيم كان امة قانتا لله ) فقال « ابو محمد : الامة : الرجل وحده يؤتم به » . وهالك مثالا آخر . قيل ( 1 ) : « قال ابن مقبل :

ظن بهم كعسى وهم بتنوفة

يتنازعون جوائز الامثال

قوله : ظن بهم : اي يقين بهم ، فذلك ضد ايضا : يكون الظن شكا او يقينا . قال ابو محمد : وقال الاصمعي : وعسى في بيت ابن مقبل ليست بواجبة ، وقال ابو عبيدة : هي واجبة .. » .

يليه في الكثرة تعليقاته التي تنكر الضد ، مثل ما قيل في ( 125 ) : « الشجاع القوي والشجاع الضعيف . قال ابو محمد : ما سمعنا في الضعف شيئا » . ونرى امثال هذا النقد في ( 161 - 171 - 173 - 192 - 167 ) .

ثم تعليقات في تصحيح بعض المعاني التي ذكرها قطرب ، كما في قوله ( 136 ) : « سارب

بالنهار : متوار ، سمعنا ذلك . وقالوا : انسرب الوحش في الجحر : دخل . وقال ابو محمد سارب : منتشر » .

ثم تعليقات توضح الضد ومعناه ، مثل قوله ( 139 ) : « قالوا : الصريم : الليل ، والصريم : الصبح . وقال بعضهم : الصريم : الليل وآخره ... قال ابو محمد : كل ما انجلى من شيء فهو صريم ، كالليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل . ومن ذلك يقال : صريم الزمان اي منقطع من معظمه . ومنه يقال : الصرمة من البيوت : اي القطعة ، ومنه يقال : صرمة من الابل ، ومنه يقال : صرم ما بيني وبينه : اي قطعه . ومنه يقال : سيف صارم ، ومنه يقال : صرم الناس النخل . ومنه يقال : صريمتي : اي بذمي وقطعي الامر » ، وقوله ( 157 ) : « قالوا الماتم : الجماعة من النساء في الحزن ، والماتم في الفرح .. وقال ابو محمد : كل جماعة من رجال ونساء فهو ماتم » . ومن الواضح ان نتيجة توضيحه توجب رفض الضد ، ولكنه لم يرفضه صراحة .

ويمائلها في العدد تعليقاته التي تبين مشتقات الضد ، وبعض الالفاظ الواردة في تفسيره كقوله ( 49 ) : « ومنه البحتر للقصير ، والبحتر للعظيم . قال ابو محمد : رجل بحتر ، وامراة بحتر ، وبهتر وبهتر للقصير » .

ومثلها تعليقاته التي يأتي فيها بالشواهد مثل قوله ( 2 ) : « قال ابو محمد : انشدنا ابو عبيدة :

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج

سراتهم في الفارسي المعرد

اي يتقنوا » .

وذكر في بعض تعليقاته رواية لشاهد . مثل ( 115 ) : « قال عمرو بن كلثوم :

نصبنا رهوة من ذات عرف

محافظة وكنا المقدمينا

وانشدنا ابو محمد :

نصبنا مثل رهوة ذات حد

محافظة وكنا المقدمينا

اي كتيبة ذات حد ... » .

وضعف في تعليقه الشاهد . روى قطرب ( 2 ) بيت ابي دواد :

رب هم فرجته بعزيم  
وغيوب كشتها بظنون

فقال ابو محمد : قرات على الاصمعي بيت ابي  
دواد ، فقال : هو لخلف الاحمر .

ووثق معنى ضد بان العلماء روه ايضا ، قيل  
( 156 ) : « قالوا : اعبل الشجر : اذا سقط ورقه ،  
واعبل ايضا : اخرج ثمرته ... وقال ابو محمد :  
اعبل اذا سقط ورقه قول الاصمعي والعلماء . والتفت  
مرة الى ما يحدث في الضد من ابدال ، كما رأينا في  
بحتر ..



### كتاب ابي عبيدة

نستخلص الظواهر التي سادت كتاب ابي عبيدة  
من المقتطفات الباقية منه . وتدلنا هذه المقتطفات  
على انه احتوى على عدة انواع من الاضداد ، مثل  
المجازية ، والتغاولية ، واضداد اللغات وفعل وافعل  
وغيرها . وتبين لنا ايضا انه اختلف بعض الشيء  
عن قطرب في الشواهد فهي عنده اكثر مما عند  
قطرب . ولذلك كثيرا ما نراه يستشهد بأكثر من  
شاهد على المعنى الواحد . مثل قوله (36) : « امر  
جلل : اي جليل ، وامر جلل : اي هين يسير  
صغير ، قال جميل في الجليل :

رسم دار وقفت في طئله

كدت أقضي الفداة من جلله

اي من عظمه في عيني او قلبي . وقال بعضهم ،  
من اجله . وقال آخر :

فلئن عفوت لاعفون جللا

ولئن سطوت لاهتن عظمي

وقال في الهين الحارث بن خالد المخزومي :

قلت للرنه لما اقبلت

كل شيء ما خلا عمرا جلل

اي هين . وقال لبيد :

(36) اضداد ابي حاتم 112 .

(37) 7 .

(38) الاصمعي 67 . ابن السكيت 341 . ابن الانباري 98 .

(39) الاصمعي 19 . ابن السكيت 291 . ابو الطيب 414 .

وأرى أربد قد فارقتني

ومن الأرزاء رزء ذو جلل

وخالف ابو عبيدة قطربا ايضا . فعلق على اكثر  
شواهده بكلمة توضح موضع الشاهد ، او تربطه  
بالمادة التي أتى به من اجلها ، ولم يفعل ذلك قطرب .  
قيل في اضداد الاصمعي (37) « وقال ابو عبيدة :  
يقال : عسس الليل : اذا اقبل . وعسس : ادبر .  
وانشد :

مدرعات الليل لما عسسا

اي اقبل .

ثم مائل قطربا فيما عدا ذلك من عدم استشهد  
احيانا ، واستشهد على معنى واحد احيانا اخرى ،  
واستشهد على المعنيين كليهما مرة ثالثة ، وشرح  
للشواهد مرات معدودة واستشهد بالقرآن والشعر  
والاقوال والأمثال . وهاك امثلة من كل ذلك : « قال  
ابو عبيدة (38) : الكأس : الاناء الذي يشرب فيه ،  
والكأس ما فيه من الشراب . وقال : « يقال :  
قعات الماشية تما : اذا سمعت . ويقال : صفر  
فلان وقمؤ قماءة ، قال ابن احمر في الاول :

وجرد طار باطلها نسيلا

واحدث قمؤها شعرا قصارا »

وقال (39) : « شراة المال : بمنزلة شراة  
المال ، اي رذال المال ، والجميع شري ، كقوله :

مفادرات بالشري المحسل

اي المنفى المتروك .

والشراة في لغة بعضهم : خيار مسان من  
الابل وكرائنها ، كقوله :

من الشراة روقة الاموال »

وقال : « المنة : القوة ، والمنة : الضعف .

ومنه جبل منين : اي ضعيف . وقال ذو الرمة :

تري الناشيء الفريد يضحى كانه

على الرجل مما منه السير عاصد



اي مما اضعفه. والعاصد: الذي يلوي عنقه...». « وقال : ( فظلمت تفكهون ) اي تندمون . وقالوا : القوم يتفكهون : من الفكاهة ، اي الضحك والمزاحة. ويتفكهون من الفكاهة » وقال : « الزبية : حفرة تحفر للاسد ، والزبية ، جمعها زبي : اماكن مرتفعة . ويقال في المثل : علا الماء الزبي ، اي بلغ الامر اقصاه . قال العجاج :

وقد علا الماء الزبي فلا غير (40) »

وخالف ابو عبيدة قطربا في عنايته بايراد المعاني الاخرى للاضداد ، التي لا تندرج تحت المعنيين الضدين . قيل في اضداد الاصمعي (41) : «المولى: المنعم ، والمولى : المنعم عليه . قال ابو عبيدة : وللمولى سبعة مواضع : المولى ذو النعمة من فوق. والمولى : المنعم عليه من اسفل . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : ( فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ) . والمولى في الدين : من الموالاة ، وهو الولي ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ( ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ، وان الكافرين لا مولى لهم ) .. والمولى : ابن العم ، وفي كتاب الله تبارك وتعالى : ( يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ) اي ابن العم عن ابن العم .. والمولى : الجار ، قال سريع بن وعوة الكلابي ، وجاور بني كليب - كليب ابن يربوع - فاحمد جوارهم :

جزى الله ربي والجزاء بكفه

كليب بن يربوع وزادهم حمدا

والمولى : الحليف ... »

وعني بالمشتقات المتصلة بالاضداد اكثر من عناية قطرب بها ، كما رأينا ، ونرى في قرء ، قيل في اضداد الاصمعي (42) : « قال ابو عبيدة : يقال أقرات النجوم بالالف معناه غابت ، ومنه قرء المرأة في قول من زعم انه طهرها لانها خرجت من الحيض الى الطهر كما خرجت النجوم من الطلوع الى المغيب . ويقال : هذه ناقة ما قرأت سلى قط ، بغير الف :

اي ما حملت ملقوحا ولا غيبت في بطنها ولدا » . كذلك عنى اكثر منه باللفات فيما يورده من الفاظ . قال (43) : « امدان : مثل السبخة يقال: ماؤه امدان، وبعضهم يقول : مدان » وقال (44): يقال : سبد شعره وسبت لفة ، في الحلق والتطويل .

وفي آخر الامر اعود الى الاشارة الى ان هذه الظواهر افتراضية ، لانها مبنية على مقتطفات الكتب الباقية من أبي عبيدة . وربما غيرت هذه الكتب في عبارته وفي شواهد ، وفي غير ذلك من الامور ، وربما زادت في عبارته ، وربما نقصت منها . وقد حدث ذلك . كما نرى في قول ابي حاتم (45) : « قال ابو عبيدة : مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة ، قال ابو حاتم : لا اظنهم قالوا للجميلة شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين ، كما قالوا للفراب : اعور ، لحدة بصره » . على حين قيل في اضداد الاصمعي وابن السكيت (46) : « قال ابو عبيدة : يقال: فرس شوهاء : اي حسنة . ولا يقال للذكر من هذا شيء ، ويقال : لا تشوه علي : اي لا تقل ما افصحك ( او ما احسنتك ) فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها الا في هذين الحرفين ، واما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ، ورجل أشوه وامرأة شوهاء ، قال الخطيب :

أرى ثم وجهاً شوه الله خلقه

فقبح من وجهه وقبح حامله

وقال ابو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالجوالق فوها

مستجاف يضل فيه الشكيم »

ويتضح من هذا ان ابا حاتم حذف الكثير من عبارة أبي عبيدة .

وكان كثير من اقوال أبي عبيدة موضع نقد من الاصمعي وأبي حاتم ، وخاصة ما يتعلق بتفسير الفاظ القرآن ، فقد نقده الاخير نقدا مرا . وهالك

(40) الاصمعي 86 . ابن السكيت 358 . ابو الطيب 330 .

(41) 33 . ابن السكيت 305 . وابو الطيب 660 .

(42) 1 .

(43) الاصمعي 13 .

(44) ابو حاتم 121 .

(45) 220 .

(46) 38 ، 311 .

( 3 - 8 - 19 - 38 - 53 - 60 - 67 - 71 - 72 - 86 - 95 ) نستطيع ان نضيف اليها ثلاثة اخرى ، معطوفة على اعداد له ، فيرجح انها له ايضا ( 9 - 20 - 54 ) . وينسب لابي عمرو الشيباني ( فى الغالب ؟ ) خمسة اعداد ( 12 - 14 - 16 - 37 - 64 ) نضيف اليها اثنين آخرين لنفس الظاهرة التى رايناها فى اعداد ابي عبيدة ( 13 - 17 ) . وينسب لابي زيد الانصاري ثلاثة ( 43 - 45 - 49 ) ، وواحدة لكل من ابن الاعرابي ( 18 ) والاموي ( 62 ) ، اما بقية الاعداد فبعضها من مؤلفين مختلطين مثل قرا وجون ( - 44 ) ، خلطت فيهما اقوال الاصمعي بابي عبيدة ( وغيرهما ايضا ) ، وباع ( 36 ) خلطت فيها اقوال ابي زيد بابي عبيدة ، واكثرها لم يصرح بقائله . ومن الممكن نسبة بعض هذا المجهول الى الاصمعي ، مثل الشيخ ( 48 ) التى نسبها اليه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، وبعضها الآخر الى ابي عبيدة ، مثل أسر وبشر ( 27 - 41 ) اللتين نسبهما اليه ابو حاتم ( 168 - 229 ) ، وغيرهما لابي زيد ، مثل لمق ( 50 ) . نسبها اليه ابو حاتم ايضا ( 137 ) ، وغير ذلك لابي عمرو ، مثل خل ( 56 ) نسبها اليه ابن السكيت ( 330 ) . ومن الممكن نسبة كثير من هذه الاعداد المهمة الى ابن الاعرابي بفضل مضاهاته بما يرويه ابن منظور فى لسان العرب لهذا العالم من الاعداد ، مثل ارقام 4 - 5 - 22 وغيرها

وقد وردت أسماء بعض هؤلاء العلماء فى تضاعيف الكلام عن الاعداد أحيانا ، فربما كان هذا إيذانا بأنها لمن يرد ذكرهم فيها .

وخلاصة القول ان الكتاب ليس خالصا للاصمعي، بل يشاركه فيه كثير غيره . حتى لو اضعفنا اليه جميع الاعداد المهمة التى لم نستطع معرفة قائلها ، يضاف الى ذلك انه لا يحتوي على جميع اعداد الاصمعي ، فقد روى ابو حاتم ضدين له ، لم يردا فيه ، هما نصف وحميم ( 271 - 267 ) الا انهما يشك فى صحة نسبتها اليه .

كل ذلك يجعلنا نميل الى الاطمئنان بان هذا الكتاب الذى لدينا ملفق من اعداد مختلفة وليس للاصمعي وحده ، اعني انه يجمع اعداد عدد من

امثلة ذلك : قال ابو حاتم ( 47 ) « قال ابو عبيدة : ماء بشر : كثير ، وماء بشر : قليل . وانشد فى هذا - زعم - للهدلي :

فافتنهن من السواء وماؤه

بشر وعارضه طريق مهيع

وقال الاصمعي : انما بشر اسم ماء بعينه ، وليس ما قال ابو عبيدة بشيء . وقال ابو حاتم ايضا ( 48 ) : « قال ابو عبيدة : «والليل اذا عسعس» : اقبل ، ويقال : ادبر . وانشد لعلقة بن قرط التيمي فجعله اقبالا :

مدرعات الليل لما عسعسا

وادرعت منه بهيما حندسا

البهيم : الاسود : الذى لا يخالطه بياض . والحنديس : الشديد السواد . قال : زعموا ان ابن عباس رحمه الله قال : عسعس : ادبر ، والله اعلم . قال ابو عبيدة : وقال الزبرقان فى الادبار :

وماء قديم عهده ما يرى به

سوى الطير قد باكرن ورد المغلس

وردت بافراس عتاق وفتية

فوارط فى اعجاز ليل معسعس

قال ابو حاتم : قد تقلد ابو عبيدة امرا عظيما . ولا اظن ههنا معنى اكثر من الاسوداد عسعس : اظلم واسود فى جميع ما ذكر ، وكل شيء من ذا الباب فى القرآن فتفسيره يتقى ، وما لم يكن فى القرآن فهو ايسر خطبا . ولكن ابا الطيب لم يقبل تقد ابي حاتم ورد عليه ( 49 ) .

### كتاب الاصمعي

يحتوي كتاب « اعداد الاصمعي » ، على 105 كلمة من الاعداد . ولكنها ليست جميعا عن الاصمعي . لان الكتاب ليس خالصا له ، بل جامعا لشتات من الاعداد . ولا شك ان المقتطفات السابقة منه تدل على ذلك دلالة واضحة . فهو لا ينسب للاصمعي صراحة غير خمسة اعداد ( 2 - 10 - 15 - 35 - 63 ) ، على حين ينسب لابي عبيدة احد عشر ضدا :

( 47 ) 229 .

( 48 ) 131 .

( 49 ) 491 .

واللغويين : أهمهم أبو عبيدة والاصمعي وابن الاعرابي . وقد حاولت ان اعرف من الذي فعل ذلك بالكتاب ، فوجدت بعض العبارات التي قد تنير الطريق امامنا . وجدت في « ناء » عبارة : « وقال الاثرم : اخبرني أبو عبيدة قال : يقال : نؤت بالحمى : اذا نهضت مثقلا ... » . واذن فالراوي عن ابي عبيدة هو الاثرم . اما كلمة « الاثرم » فمحرقة عن « الاثرم » وهو علي بن المغيرة الاثرم المتوفى عام 232 هـ ، وكان تلميذا لابن عبيدة وللاصمعي ايضا . فهل الاثرم هو الذي جمع اضداد الاصمعي وابي عبيدة معا ؟ ليس الامر ببعيد . ولكن هل هو ايضا الذي وضع معها اضداد ابن الاعرابي وابي عمرو الشيباني ؟ ليس من البعيد ان يروى عن الشيباني المتوفى 206 تقريبا ، ولكن هل يروى عن ابن الاعرابي المتوفى بين عامي 230 ، 233 ؟ هما متعاصران وفي سن واحدة ، فلا مانع من رواية احدهما من الآخر ولكن ذلك نادر في اللغة خاصة ، ولم ينص عليه احد في ترجمة الاثرم . وقد يكون احد تلاميذ الاثرم هو الذي اتى بما رواه هذا من اضداد الاصمعي وابي عبيدة . واضاف اليه اضداد ابن الاعرابي وابي عمرو الشيباني وابي زيد ، وهو الذي يقول : « قال الاثرم » كما في العبارة المذكورة فمن هو هذا التلميذ ؟ لا يبعد ان يكون : يعقوب بن السكيت الذي « اخذ عن البصريين والكوفيين كالفراء وابي عمرو الشيباني والاثرم وابن الاعرابي (50) » ، اولئك العلماء المذكورون في الاضداد . وقد روى ابن السكيت عن الاثرم في الاضداد المنسوبة اليه صراحة قال (51) : « اخبرني الاثرم هذا الحرف عن ابي عبيدة » . واذن فهذه النسخة من الاضداد التي وصلت الينا هي اضداد ابن السكيت ، فما الشأن في الاضداد الاخرى المنسوبة اليه صراحة ؟ انها - بكل يقين - رواية اخرى من اضداد ابن السكيت ، لاتفاقهما الذي يكاد يكون تاما في العبارة والاضداد ، حتى اضطر الناشر الى ان يقول عن اضداد ابن السكيت (52) : « يتضح من مطالعة كتاب الاضداد لابن السكيت انه تتبع كتاب الاضداد للاصمعي الا فيما ندر ، فيورد العبارات ذاتها ،

وبالترتيب ذاته ، ويرفع الى الاصمعي ما يورده عنه قائلا : « قال ابو سعيد » او « قال الاصمعي » او « الاصمعي » مكتفيا بذكر اسمه في بدء ما ينقله عنه . ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الاضداد لابن السكيت كرواية ثانية للاصمعي » .

اما سياق العبارة فلا يختلف الا قليلا جدا في النادر . ويفسر لنا هذا وجود اضداد للاصمعي في كتب اخرى ، غير موجودة في هذه النسخة ، لان ابن السكيت - فيما يبدو - كان يختار من اضداد الاصمعي ، ولم يرم الى ذكرها جملة .. وتبين لنا دراسة الاضداد المنسوبة الى الاصمعي في هذه النسخة وعند ابي حاتم وفي النسخة الاخرى من اضداد ابن السكيت ، ان هذا العالم لم يختلف كثيرا عن قطرب وابي عبيدة في خطئه في التأليف في الاضداد . فقد وافقوا في عدم الاستشهاد مرة ، والاستشهاد على معنى واحد اخرى ، والاستشهاد على المعنيين مرة ثالثة ، والاستشهاد بأكثر من شاهد واحد ، وشرح الشواهد . وهاك الامثلة على ذلك : قال ابو حاتم (53) : « قال لي الاصمعي : النعف . ما ارتفع عن بطن المسيل . والنعف : ما انخفض عن الجبل » . وقال ابو حاتم (54) : « الريح الطبية يقال لها : الذفر : ومسك اذفر ، وروضة ذفراء . ويقال للريح المنتنة : الذفر ايضا . ويقال : فلان اظفر اذفر ، اي وافى الاظفار منتن الريح كريح القيس ، قال امرؤ القيس في الطيب :

وربح سنا في جفة حميرية  
تشاب بمفروك من المسك اذفرا

وفي نسخة الاضداد المنسوبة الى الاصمعي شاهد واحد على المعنى الآخر للذفر ، دون ان يورد الشاهد الذي رواه ابو حاتم ، ودون ان تنسب المادة الى احد ، ومن الطبيعي ان نميل الى ما أورده ابو حاتم ، اذ نسبته صراحة الى الاصمعي .

وقال الاصمعي (55) : قد صرى الماء تصرية :

- (50) البغية 418 .  
(51) 345 .  
(52) ص 163 .  
(53) 271 .  
(54) 130 .  
(55) الاصمعي 10 . ابن السكيت 289 .

إذا جمعه ، وشاة مصراة : وهي التي يترك لبنها في  
ضربها يوما أو يومين لا تحلب . وانشد :

رب غلام قد صرى في فقرته

ماء الشباب عنفوان سنبتة

عنفوان : يعني اول شبابه . والسنبه والسنب:  
الدهر . ويقال : صرى يصري : اذا قطع . يقال :  
صرى ما بينهما : اي قطع . وجاء في الحديث :  
« ما يصريني عنك » اي ما يقطع مسالك عني .  
وصرى ايضا : نجى . قال الشاعر :

صرى الفحل مني ان ضئيل سنامه

ولم يصر ذات النسي مني بروعها

يقول : نجى الفحل مني هزاله . ويقال :  
صرى الله عنك شر ذلك الامر : اي دفعه وانشد  
للاعي وذكر صقرا :

وظل بالاكم ما يصري ارانبها

من حد أظفاره الحجران والقلع

اي لا يدفعه ولا يصرفه . والحجران : جمع  
حاجر ، وهو المكان ترتفع نواحيه ويطنن وسطه له  
حروف تمنع الماء ان ينبثق . ولكنه اختلف عن  
قطرب وابي عبيدة في ابراده شواهد من الحديث ،  
ولم نر ذلك فيما بقي من ابي عبيدة . وكان هذا اورد  
شاهد من القرآن الكريم . ولم نر ذلك فيما روي عن  
الاصمعي . وربما لو وصل البنا اكثر مما وصل  
تغيرت هذه الفروق ..

واتفق الاصمعي وقطرب وابو عبيدة في  
الالتفات الى التفات والمعاني الاخرى للاضداد ، قال  
الاصمعي : « اقرات الريح : اذا جاءت لوقتها .  
ويقال : ذهبت عنك القرعة - خفيفة . يريد وقت  
المرض ، وذلك اذا صرت الى بلد غير البلد الذي  
انت فيه ، فمكثت فيه خمس عشرة ليلة ، فقد  
ذهبت عنك قرعة البلد التي تحولت عنها ، واهل  
الحجاز يقولون : قرعة بغير همز ، يعني انك ان  
مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة ، وقوله  
العقر واهل الحجاز يقولون : عقر الدار ، واهل نجد:  
عقر الدار ، واهل الحجاز يضمون العين والعقر :

(56) 45 .

(57) 267 .

(58) 104 . وانظر 186 ، 240 ، 296 ، 426 ، 490 ، 523 .

(59) 290 .

اصل الدار » . وظهر اهتمامه بالمعاني الاخرى في  
كلمة ( صرى ) التي نقلتها آتفا .

ويبدو ان الاصمعي عنى بالاشتقاقات المتصلة  
بالاضداد اكثر من عناية ابي عبيدة بها . ظهر هذا في  
« ذفر » و « قرء » و « صرى » ، ويظهر ايضا  
في قوله في مادة « ناهل (56) » : « الانثى ناهلة ،  
والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ، وابسل  
نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش ،  
فيقولون : هذه ابل ناهلة ، والنهل : الشرب الاول ،  
يقال للذي شرب اول شربة ولم يعد : نهل ينهل ،  
وانهل الرجل ابله » .

ويبدو كذلك انه اورد بعض الاخبار في اضداده،  
كقصة الرجل العربي مع الملك الحميري الذي قال  
له : تب ، فالتقي بنفسه من الجبل . وهي معروفة  
فلا داعي لذكرها . ( اضداد الاصمعي 63 ) .

وشك ابو حاتم في ضدين للاصمعي ،  
فاوردهما في المجموعة المرببة عنده ، هما نصف  
والحميم . وقد ذكرنا ما قاله الاصمعي في « النصف »  
والحق انه « الارض فيها غلظ وانحدار » فالكلمة لا  
تعني الانحدار وحده ، ولا الارتفاع وحده ، فلا تضاد  
فيها . وقال ابو حاتم في الثانية (57) : « زعموا ان  
الاصمعي قال : الحميم : الماء الحار والماء البارد . ولا  
اعرفه » . وابو حاتم نفسه يضعف هذه النسبة ،  
وقد وجدت الكلمة منسوبة الى ابن الاعرابي في  
لسان العرب ( حم ) .

### كتاب التوزي

وروي ابو الطيب اللغوي عن التوزي عدة اضداد،  
كشفت عن ظواهر متعددة غلبت عليها . فقد ابانت ان  
التوزي نقل كثيرا من اضداده عن ابي عبيدة ، مثل  
قوله (58) : « قال التوزي عن الاصمعي : اذا صفر  
المسيل عن التعلقة فهي الشعبة ، فاذا عظم حتى يكون  
ثنثي الوادي او نصفه فهو ميثاء ، فاذا زاد على ذلك  
فهو ميثاء جلواخ . قال : وقال ابو عبيدة : المرتجل  
الذي يطبخ رجلا من جراد ، اي قطعة منه ، والارتجال  
الطبخ ، يقال : ارتجلت شيئا اي طبخته » . ويدعم  
ذلك ما جاء في البقية (59) . وري مرة عن كل من  
الاصمعي ، وكيسان معرف ابن درهم وابي زيد وابي

عبدة (60) . وربما كان الاسم الاخير محرفا عن ابي عبدة .

وادی اعتماده على ابي عبدة الى انتقال الظواهر الموجودة في كتابه الى كتاب التوزي . فنجد فيه الاضداد التي يظهر التضاد في معنيهما جليبا ، مثل (61) : « قال التوزي : يقال : ثوب يدي اذا كان ضيق الكم ، وثوب يدي اذا كان واسع الكم » . والاضداد المأخوذة من أسماء اجناس ، مثل (62) : « قال التوزي : اسد الرجل اذا فزع من الاسد ، واسد ايضا اذا صار اسدا ، من الشجاعة » . واضداد فصول ، مثل (63) : « قال التوزي : الاكولة الفاعل - يريد قولك : رجل اكولة ، والهاء للمبالغة - والاكولة الشاة يربيهما الراعي ، والرجل يربيهما لنفسه لياكلها » . واضداد فعل ، مثل (64) : « قال التوزي : التببع التابع ، والتببع التبوع » وفعل وافعل ، مثل (65) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل ، اذا أعطيته من الثواب ، واثبته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » . والاضداد الناتجة عن تصريف مختلف ، مثل الذي رواه المبرد (66) في شرحه لبنت حسان ابن ثابت :

لقد رميت بها شمعاء فاضحة

يظل منها صحيح القوم كالمودي

قال : فالمودي في هذا الموضع الهالك . وللمودي موضع آخر يكون فيه القوي الجاد . حدثني بذلك التوزي في كتاب الاضداد ، وانشدني :

مودون يحمون السبيل السابلا

المودي بالهمز : التام الاداة والسلاح ، وبغير

الهمز : الهالك » .

واورد غير ذلك من الاضداد ، بل اورد الفاظا من المشترك لا تضاد فيها ، مثل (67) : « قال ابو حاتم والتوزي : الزاهق الميت . يقال : زهقت نفسه تزهق زهقا ، وفي التنزيل ( وتزهق انفسهم ) والزاهق : السمين ... » .

وتعددت الشواهد عنده . فكان منها القرآن ، مثل (68) : « قال التوزي : خفيت الشيء واخفيتها لفتان في الاظهار والكتمان جميعا . قال : ومن ذلك قول الله جل وعز : ( اكاد أخفيها ) يقرأ بالضم والفتح » . وكان منها الامثال ، مثل ما ذكره ابو الطيب في حزور (69) : « وقال آخر في مثل ذلك :

ان احق الناس بالنيه

حزور ليست له ذريه

قال : اراد ها هنا رجلا ضعيفا لا نسل له . وقال التوزي : هذا مثل تمثل به الاحنف ابن قيس ، واراد بالحزور الغلام الحديث السن » . وكان منها الاقوال الفصيحة كالاتباع في « شحيح نحيج » (70) .

وكان بطبيعة الحال الشعر ، الذي اختلفت معالجته له اختلافا كبيرا . فاكتفى بابرأد الشاهد حيناً ، وعلق عليه حيناً آخر . مثل (71) : « انشد قطرب وابو حاتم والتوزي في البسل بمعنى الحلال بيت عبد الله بن همام السلولي :

ايثبت ما زدتهم وتلفى زيادتي

دمي - ان اسيفت هذه - لكم بسل

قال التوزي : هذا رجل كان له زيادة في ديوان ، فقال : ان الفيت زيادتي فدمي لكم حلال ، اي لا ادعها لكم . الا ترى ان قبل هذا البيت :

(60) 55 ، 103 ، 646 . كامل المبرد 569 .

(61) 686 .

(62) 16 .

(63) 24 .

(64) 101 .

(65) 124 .

(66) الكامل 144 .

(67) 333 .

(68) 237 . وانظر 360 ، 560 ، 569 ، 680 .

(69) 188 .

(70) 650 .

(71) 34 . وانظر 25 ، 53 - 55 ، 65 ، 348 ، 399 ، 474 ، 534 .

زيادتنا نعمان لا تحرمنا

تق الله فينا والكتاب الذي تتلو «

وكثيرا ما نسب هذه الشواهد الى من انشده  
اياها مثل (72) : « قال التوزي : وأنشدني أبو مالك  
وابو عبيدة :

ولما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان أضمر

أي أظهر . قال : وأنشد غيرهما :

أسر الحروري الذي كان مظهرا «

فلذكر رواية أخرى في البيت .

واخطأ في بعض الأبيات ، فأوردها ولا شاهد  
فيها على ما يقوله ، كما فعل في حديثه عن (بيضة  
البلد) ، إذ قيل في أضداد أبي الطيب (73) :  
« وأنشد التوزي في المدح :

كانت قريش بيضة فتفلقت

فالمح خالصه لعبد مناف

قال أبو حاتم : ليس هذا من هذا الباب . قال  
أبو الطيب : وهو كما قال :

« واعتاد في حديثه عن الأضداد أن يذكر  
كثيرا من مشتقات الضد ، مثل (74) : « من  
الأضداد قال التوزي : يقال حرس فلان الشيء  
بحرسه حرسا وحراسة وحرسا ومحرسا ، إذا  
حفظه وكلاه ، والشيء محروس وحريس » .

— ♦ —

### كتاب ابن السكيت

من الطبيعي الآن ، أننا حين ننتقل الى الكلام  
من نسخة الأضداد المنسوبة الى ابن السكيت صراحة ،  
نراها تجمع بين ما قلنا عن الأصمعي ، وعن أبي عبيدة ،  
بل ربما كان أغلب الظواهر التي نسبناها الى هذين

(72) 353 . وانظر 356 ، 365 .

(73) 55 .

(74) 225 . وانظر 403 ، 412 ، 485 ، 534 ، 539 ، 546 وغيرها .

(75) 281 .

(76) 279 .

العالمين ، هي في حقيقة امرها من عمل ابن  
السكيت . ولم يقدم هذا المؤلف بين يدي كتابه  
مقدمة يبين فيها اسباب اهتمامه بهذا النوع من  
التأليف كالحال في نسخته الأخرى التي نسبت الى  
الأصمعي . ويحتوي كتابه هذا على 94 ضدا ،  
كلها للعلماء الذين سبق ذكرهم ، وعلى رأسهم : أبو  
عبيدة ، فالأصمعي فابن الأعرابي فابو عمرو  
الشيباري . وليس هناك من دليل على أن المؤلف  
أتى بشيء من عنده ، اللهم الا إذا كان فيما أهمل  
نسبته ما هو من جمعه .

وما دام الأمر كذلك فنحن في غنى عن الإطالة  
في الكلام عنه اكتفاء بما قلناه آنفا . ولكننا نشير  
الى بعض المعالم الكبرى فيه .

أخطأ ابن السكيت لنفسه خطة واضحة . هي  
أن يورد المادة أولا ، ثم يعقبها بمعنيها ، ثم يورد  
الأمثلة . قال (75) : « جل . . والجل : الهين ،  
والجلل : العظيم . فقد جلت مصيبتهم أي عظمت :  
وأنشد :

كل شيء ما خلا الموت جليل

والفتى يسمى ويليه الأمل

وقال الآخر في العظيم :

فلئن عفوت لأعفون جليلا

ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وكان أحيانا أخرى لا يراعي هذه الخطة  
فيورد المادة ، ثم أحد معنيها أو يستشهد له ، ثم  
المعنى الآخر وشواهد . قال (76) : « اقوى  
والمقوي : الذي لا زاد معه ولا مال له ، وكذلك  
الدار التي قد اقوت من أهلها ، قال الله تبارك  
وتعالى : ( ومتاعا للمقوين ) . وفي موضع آخر  
المقوي : الكثير المال . يقال : أكثر من أتيان فلان  
فانه مقو . والمقوي أيضا : الذي ظهره قوي » .



منها كثيرا ، ولذلك اشير الى بعض مواطن الإستشهاد بها : ( 89 - 300 - 305 - 308 - 311 ) . وكل هذه الامور : من منهج وظواهر ، وأيناه في اضرار قطرب ، واذن فابن السكيت سار على الدرب الذي مهده هذا المؤلف الاول ، وربما شابهه فيه الاصمعي وابو عبيدة . ولكن ابن السكيت لم يخضع لقطرب في مواده ، بل حذف منها قريبا من ثلثيها لشكه فيها .

وكان يلتفت احيانا الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والمعاني الاخرى لها التي لا تدخل في الضدين . وتنوعت الشواهد عنده : بين القرآن ، والحديث ، والشعر ، والأمثال . وسلك طرقا مختلفة في الاستشهاد : كثرة وقلة ، واستشهادا على معنى واحد او اثنين او عدم استشهاد البتة . وكل ذلك رأيناه في كلامنا السابق ، غير ان الاحاديث لم نر



# دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبدالحق فاضل

- 3 -

## الحرب

هنا صار الحرب والتخريب يعنيان أنواعا من الفساد والافساد منها حرب الدار : سرقها ، والاصل نقبها . وحرب الرجل : صار خارباً أي لصاً ، والجمع خراب - زنة عشاق .

ونطقوها بالحاء المهملة أيضا ف قيل : حرب الرجل : سلبته ماله . والحربية : المال السليب . والحرب ( بفتحين ) : الويل ، ومن ذلك : واحرباه : وأويلاه . والخلاصة انه صار للصيغة الحائية كل ما للخراب والتخريب من معاني السوء وزيادة ، ومنها ( الحرب ) - زنة الدرب - التي تشمل معاني الصيغتين الارميتين الانفتين . اما معنى السيف في الارمية فتقابلة ( الحرب ) وهي سلاح دون الرمح . وتوجد في اللاتينية بصورة ( هربه harpe ) السيف المنحني ، وكانما هو السيف العربي بذاته .

## الحرذون ( زنة البرذون )

: الضب . أر : ( حردونو hardono ) .  
يخيل لنا ان اثلها العربي هو قولهم حرش الضب واحترشه : اصطاده . وهذه اثلها حاش الصيد : جاء من حواليه ليدفعه الى الحباله . وبهذا المعنى يقال

: في الارمية : ( حربو - harbo ) : سيف ، تدمير ، حرب . وهي من : ( حرب - hrab )  
حرب ، حارب ، قتل .

نقت الدجاجة نقيقا : صوت . وكذلك الضفدعة والحجلة والرخمة . الخ . ونعتقد ان الاصل هو صوت الدجاجة ثم شمل اصوات غيرها من الحيوانات ، لانها هي التي تقول : نق نق نق . ونشأت من ( نق ) افعال منها : نقر ونقد بمعنى ، لان المنقاد هو المنقار . وكذلك : نقب ونقت ونقث ونقح ونقخ . الخ الى غير ذلك من الالفاظ التي تدل على خصب نقنقة الدجاجة هذه ووفرة عطاءاتها في العربية .

ومن ( نقب ) نشأ فعل ( نخب ) ، ومن ( نقر ) نشأ ( نخر ) ، ومنهما أو من أحدهما نشأ ( نخرب ينخرب ) بمعنى : نقب . والنخارب هي الثقوب ، ومنها نخارب النحل .

ومن ( نخرب ) نشأ فعل ( خرب ) بمعنى الثقب أيضا . ومن بقايا هذا المعنى في العربية قولهم خرب الرجل : صار مثقوب الاذن . ومن الخرب صاغوا ( الخرم ) في الاذن وغيرها . ثم صار قولك خربت الشيء : يعني ثقبته أو شققته أو دمرته . ومن

## الحزاز

: نبات . أر : ( حزوزيتو hazozito ) .

الكلمة من ( الحز ) أي القطع الذي من معناه صيغت أسماء بعض النباتات مثل : الجزر والخس والقثاء والقت والحشيش . ويلاحظ أن بعض أجزاء الشجرة كالجدع والجدل والجذر والجذمو والجذمار، قد صيغت من معنى القطع أيضا .

## الحازي والحزاء ( زنة الجزار )

: الناظر الى الوجه أو الاعضاء ليتكهن . الخبير بالامور . أر : ( حزيو - hazoyo )  
الناظر . الحكيم .

في العربية حذو القلب : ذكاؤه وسرعة ادراكه . والقلب الاحذ : الذكي . وأصل معنى الحذ هو القطع، ومثله الحز . والرجل الحزير والحزازي : السريع العمل . وكما صاغوا حذق يحذق من الحذ ، صاغوا حزر يحزر من الحز . ومنه الحزم أيضا . وليس ثمة ما يرجح أئالة الارمية في هذه الكلمة .

## الحازر

: دقيق الشعير . أر : ( حزرو - hezro )  
الدقيق .

في القاموس انه دقيق الشعير وله ربح ليست بطيبة . وهذه الزيادة في المعنى ترشدنا الى أصل التسمية . لان فعل حزر يدل على الحموضة والمرارة ، فالحزرة شجرة حامضة ، وهي كذلك النبتة المرة . والحازر بالاضافة الى معناه السابق يدل على الحامض من اللبن والنبيد . ومن هنا أطلق العرب الكلمة على دقيق الشعير الذي خبثت ريحه ومن ثم تغير طعمه أيضا ، فكان خامضا او مرا . وعندما اقتبست الارمية الكلمة اطلقتها على عموم الدقيق من باب تعميم الخاص .

## حزيران

: الشهر السادس بالتقويم الميلادي . أر :  
( حزيرون - hzeron ) .

بالدارجة المراقية حاده وحاوده ، وأحسبها فصيحة مضاعة أهملها جامعو اللغة مذ حسبوها عامية أو مولدة لانهم لم يجدوها في مظانهم التي اقتصروا عليها . ومنها في الفصحى حاوته : راوغه وخادعه كالحوث في الماء ، وإنما سمي ( الحوث ) لحوثانه ، أي لحيدانه من ناحية الى ناحية .

ويقرب من مادة الحردون ( الحرث ) - زنة الكرم : نوع من السمك . وربما سمي الحرث والحردون من الحرش والاحتراش ، أو من فعلي الحرث والحرد المتقرضين .

## الحريف ( زنة السكر )

: لاذع الطعم . أر : ( حريفو hrifo )  
حاد ، لاذع الطعم .

أصل الكلمة في العربية هو فعل حر : ضد برد . ومن أسرة الكلمة : حرق ، حرج ، حرش ( بمعنى خدش ) ، حرض ، حرك . وحرافة الطعم حرارته بطبيعة الحال ، وفي العراق يقولون ( حار ) بمعنى ( حريف ) .

## الحراق ( زنة الدكان )

: الماء الشديد الملوحة . أر : ( حركو herko ) .  
واضح أن الكلمة من الحرق ، لان الماء الاجاج يزيد حرقة العطش . ومن ذلك أيضا كانت الحرة ( بفتح الحاء أو كسرهما ) تعني العطش ، والحران : الشديد العطش . ومن هذا الحر صيغ ( البحر ) لان ماءه الملح يجعل الشارب حران ، لذلك قالوا بحر المرء ( من باب علم يعلم ) بمعنى اشتد عطشه فلم يرو من الماء . وفي الموصل يقولون ( انحمر ) بهذا المعنى ، وهي مشتقة من الحر أيضا .

## الحرم ( زنة البئر )

: طرد الكنيسة شخصا من شركة المؤمنين .  
أر : ( حرمو - hermo ) .

هنا أيضا واضح أن الكلمة من فعل الجرم والتحرير والحرمان . ولما كان المعنى دينيا كنسيا يمكن القول بكثير من الاطمئنان انه من وضع الارمية . ومادة الكلمة عربية .

يقال في هذا ما سبق قوله في اسماء الاشهر البابلية الاخرى التي انتقلت الى العربية راسا ، او عن طريق الارمية .

### الحسبان ( زنة الففران )

: العد . ار : ( حوشبونو - houchbono ) .

ان مصدر فعل حسب يحسب بالعربية هو : الحسب ( كالكسب ) ، والحساب ، والحسبة ( كالفكرة ) ، والحسابة ( كالحساب ) ، والحسبان ( كالعرفان ) ، بالاضافة الى الحسبان ( كالففران ) .

والظاهر انهم اعتبروا هذا الاخير ( الحسبان ) وحده الدخيل في العربية لوجود ما يقاربه في الارمية اي ( حوشبونو ) ، واهملوا المصادر الخمسة الاخرى لعدم وجود ما يقابلها او يقاربها في الارمية . اي ان المصادر الخمسة اثيلة في العربية على ما يستنتج من قولهم ، والحسبان ( بالضم ) وحده هو الدخيل .

ان اثل الحساب والحسبان فيما نظن هو الحسبة ( كالقصة ) اي الحصة وجمعها الحصباء ، واثلهما ايضا هو الحصة والحصى . ذلك انهم كانوا يعدون الاشياء المتكررة ولاسيما الايام ، اي يحسبونها ، بالحصى فيضعون حصة في وعاء كلما تكرر الامر دفعة واحدة . ومن ذلك قالوا احصى يحصى بمعنى حسب يحسب وعد يعد . ومن الطريف ان calculate بالانكليزية و calculer

بالفرنسية اللتين تعنيان العد والاحصاء ايضا ترجمان الى نفس الارومة العريقة اي الحصى ، فان اثلهما هو calculus اللاتينية التي تعني الحصة والاحصاء !

ذلك ان اللاتين ايضا كانوا يعدون بالحصى وقد اشتقوا منه الاحصاء كالعرب : ولعل هذا من جملة الادلة التي تنم عن عروبة اصلهم . ولعل calculus

ايضا عربية اثلا من القلقل ( بكسرتين ) او القلقلان ( بضميتين ) او القلاقل ( بضمة وكسرة ) . وثلاثتها اسم لشجر يحمل حبا اسود املس . ولا يستبعد ان يكون بعض العرب أطلقوا احد اسماء هذا الشجر على دقاق الحصى تشبيها بحبوه ، وبقي اثر ذلك في اللاتينية .

### الحشرة

يقول انها : على الأرجح من ( رحشو - rahcho ) حيوان من الهوام اي الحيوانات الزاحفة ، من : ( رحش - rhach ) : زحف .

نظن الاثل العربي للحشرة هو هل خشير خشرا . فالخشار والخشارة ( كلاهما بدم الخاء ) : الرديء من كل شيء ، وسفلة الناس . ويلاحظ ان الخاء ابدلت حاء في ( خشارة الناس ) ايضا ، اي ( خشارتهم ) : رعاهم . ويبدو ان التسمية اصابته الحشرات لسفول قدرها وهوانها بين الحيوانات .

ومثل الخشارة والخشار : ( الخشاش ) - بكسر الخاء - التي تعني حشرات الارض وما لا دماغ له مما يدب على الارض او يطير في الهواء ، كما تعني العصافير ونحوها من ضعاف الطيور .

والحلقة المفقودة بين الخشارة والحشرة هي ( الخرشة ) - زنة الحشرة - التي ما زالت تعني الذبابة في المعجم ، والظاهر ان الحشرة تكونت منها بقلب وابدال . وقلب آخر ظهرت في الارمية صيغة ( رحشو ) بمعنى الواحدة من الهوام الزاحفة ، ومن هذه نشأ معنى الزحف لفعل ( رحش ) . اي ان معنى الزحف نشأ من الهوام الزاحفة ، لا العكس .

### حصد

ار : ( حصد - hsad ) ، اي كما ينطقها المفاربة بتسكين اولها . وبتعبير آخر ان هذا النطق الارمي الذي نلاحظه في الافعال المماثلة اثيل في العربية بقيت اثارة منه في المفربية والارمية .

ان فعل حصد واحد من افعال القطع الكثيرة ، التي لا تكاد تحصى . وقد تطرقنا اليها ونوهنا بخصبها وتنوع مجالات نشاطها في كلمة لنا بعنوان ( قط وبناتها ) - ( اللسان العربي - المعداد 8 - ج 3 ) . واثل الحصد هو الحص اي القطع ، ومن ذلك قالوا حص الشعر : حلقه . وقالوا تشبيها بذلك حصد الزرع ، وكأنما قصدوا حلقه . ومن اخواتها خصد الشجر : قطع شوكه ، وخصد الشيء ( بالتشديد ) : قطعه ( بالتشديد ايضا ) .

وهذه كلمة اخرى جنى عليها كونها زراعية فظنوا العربية قد اقتبستها من الارمية ، بدلا من ان يظنوا العكس ، او بدلا من ان يظنوا انها كانت في الارمية قبل انسلاخها من العربية .

### الحصن ( زنة الفكر )

: المكان المحمي النيع . ار : ( حصنو - hesno ) ، من ( حصن - hsen ) : كان قويا .

وهو من فعل حصن يحصن ( ككرم يكرم ) بمعنى كان منيعا . ومن ذلك حصنت المرأة : كانت عفيفة أي منيعة على من يرومها ، فهي محصنة (بفتح الصاد) وحصان (كصلاح).

ونخال أثل الكلمة هو الحصر . ومن ذلك كان ( الحصار ) يعني السجن أولا و ( حصنا ) باليمن ثانيا . وقد جاء المعنى من حصر السجين في مكان من جهة ، والحصار الحربي للمدن والقلاع من جهة .

ومما يؤيد تأثيل الحصن من الحصر أن الحصور: من لا يأتي النساء ، أي كالمحصن والحصان . وكثيرا ما تبادل النون والراء مكانهما في العربية في مثل : ارفض وانفض ، زبر وزبن (منع) ، الزور والزون ( ما يعبد من دون الله ) ...

فهذا يدل على أن فعل ( حصن ) أي كان قويا ، بالارمية ، هو الذي نشأ من ( حصنو ) أي الحصن ، خلافا لما يذهبون إليه - لأن أصل المعنى نشأ في العربية من الحصر والمنع ثم صار يعني القوة .

#### المحيط ( زنة المجن )

: خشبة أو حديدة لتقش الجلد وصقله . ار : ( محطو mhato ) : أبرة ، من : ( حاط - hat ) : خاط ، حفر .

الذي نعتده أن المحيط ( بالخاء المهملة ) من معنى الخط والتخطيط لا من الخياطة . وأئله الصريح هو المخط ( بالخاء المنقوطة ) وهو عود يخط الحائك به الثوب .

أما في الارمية فإن محطو (أبرة) وحاط (خاط) قد نشأ أصل معناه من الخيط والخياطة ، ولا علاقة لهما بالمحيط . انظر ( الخياط ) في موضعها .

#### الحكيم

: العالم . ار : ( حكيمو - hakimo ) من : ( حكم - hkam ) : علم ( من باب فرح ) . الحكيم والحكمة والتحكم والمحاكمة .. كلها من الحكمة ( زنة سمكة ) وهي ما أحاط بحتكي الفرس من لجامه . وأئله ( الحنك ) الذي منه قالوا

احتنكت الفرس : جعلت في فمه ( أي حنكه ) الرسن . ومن الحناك والتحنك صيغت ( الحنكة ) - زنة الزبدة - أي الخبرة والتجربة . وكثيرا ما استعملوا المادتين مترادفتين في مثل قولهم حنك الشيء : فهمه ، وحنكته السن : أحكمته التجارب ، والحنك : من جعلته التجارب خبيرا حكيما . وإنما نشأ معنى الحنكة والحكمة من رباط الحنك لأن الدابة المحنكة - المربوطة من حنكها - أقوم سيرا وأطوع لسيطرة الراكب . وقد شرحنا ذلك بتفصيل في كتابنا « مفامرات لغوية » ( ص 74 - 77 ) ( وفي عدد سابق من اللسان العربي ) . وواضح بعد كل هذا أن الارمية اقتبست المعنى المذكور جاهزا بعد أن جرت عليه في العربية تطورات مختلفة متشابهة .

#### الطلة ( زنة الجبة )

: ثوب يستر كل الجسم . ار : ( حيلو - helo ) : ثوب نسائي طويل .

يخيل لنا أن أثل الكلمة هو ( الظلة ) - بالضم - أي المظلة وكل ما تستظل به من حر أو برد أو مطر . ومن أسرة الكلمة الجل ( بفتح الجيم أو ضمه ) وهو من الدابة بمثابة الثوب من الإنسان ، والكلية وهي الستر الرقيق الذي يجلل السريير للوقاية من البعوض . أما أثل الظلة فهو الظل .. الخ . وقد سبق التنويه بها عند الكلام عن الاكليل والجل ( في العدد السابق من اللسان العربي ) .

#### الحلفاء ( زنة الحسناء )

: نبات . ار : ( حلفو - halfo ) .

للكلمة صيغة أخرى في العربية هي الحلفة ( زنة السمكة ) وجمعها الحلف ( كالسمك ) ولعلها الأثل . ويخيل لنا أن أثل الحلف هو العلف وهو طعام الدواب ، لأن أوراق هذا النبات كالحشيش الذي تعلفه الدواب . ومن أسرة الكلمة : العلك والعلينة : البر المخلوط بالشمير ، والعلس ( زنة العكس ) والعلاس ( كالقواد ) والعلوس ( كالحنون ) : الطعام ، والعلاق ( كالسماء ) : ما تتبلغ به الماشية من الشجر ، والعليق ( كالعميق ) : علف الدابة ، والملك ( كالشرق ) : المضغ ، والملك ( كالصدق ) : كل صمغ يملك .. الخ . فلا يظهر أن ثمة ما يدعو إلى الظن أن الكلمة ليست بالعربية أثلا .

## حمم الماء

: سخنه . ار : ( حمم - hamem ) .

لا نعرف وجهها لاعتبار الكلمة من الارمية فان فعل حم له في العربية اشتقاقات كثيرة ، ذكروا منها ثلاثة باعتبارها من الارمية هي : حمم الماء ، وحم الظهيرة ، والحمى .. ولا نعلم ما قولهم في الصيغ الاخرى مثل الحمّة ( زنة العمّة ) : العين الحار مأؤها : والحمّة ( زنة القبة ) : السواد - وتنطق الحوة ايضا ، والحمم : الفحم ، والحمام ( بالتشديد ) ، والحميم : الماء الحار ، واليحموم : الاسود أو الدخان .. الخ . فهل هذه الصيغ ايضا من الارمية وهي من نفس المادة ، أم لا ؟ ولماذا تكون الصيغ الثلاث الآتية من الارمية بينما بقية الاشتقاقات عربية ؟

مهما يكن فان من اسرة حم : حمي (زنة خشي)، حمش ( ومنها الحبش ) ، حمس ، حمص ، حمق ، احمر ...

## حم الظهيرة

: وسط النهار . شدة حرها . ار : ( حومو - houmo ) : حر الشمس وغيرها .  
نوهنا بها توا في ( حمم الماء ) .

## الحمى

: ارتفاع حرارة الجسم . ار : ( حمتو - hamto ) : حرارة .  
انظر ( حمم الماء ) آنفا .

## الحمص

: الحب المعروف . ار : ( حمصو - hemso ) .

نعتقد انه سمي بذلك من التحميص لانه كما يؤكل مطبوخا يؤكل محمصا . وتأثيل الكلمة قد ورد في ( حمم الماء ) .

## الحماض ( زنة الدكان )

: نبات . ار : ( حموعتو - hmou'to ) .

الكلمة في العربية تطلق على عشبة كالهندباء ورقها حامض ، ومنها نوع مر . وواضح ان التسمية جاءت من الحموضة وهي كلمة عربية لا شك فيها . ائلها : حمز الشراب : حمض ، وهذا من مز : صار مزاً ، اي كان طعمه بين الحموضة والحلاوة . اما فعل ( مز ) فمنشؤه من محاكاة صوت التمزمز الذي يحدثه الانسان عندما يطعم شيئاً حامضاً .

## الحنان

: الرحمة . ار : ( حنوو - hnono ) .

ان فعل ( حن ) له مشتقات كثيرة في العربية منها الحنين والحنون والتحنن والتحنان .. وليس ثمة ما يدل على ان صيغة الحنان وحدها المقتبسة من الارمية . ونظن ائل الحنين ورسه هو الانين ، فقد قالوا ( حن ) الرجل بمعنى صات ولا سيما من طرب فرحاً أو حزناً . وحنين النيب ( النوق ) الى اولادها مضرب المثل ، اي صوتها الشبيه بالانين . ومن ذلك صار الحنين يعني الشوق ثم الشفقة .. ومنه نشأ ( الحنوو ) .

فوجود ( حنوو ) في الارمية ادل على انها المقتبسة .

## الحنوط ( زنة الففور )

: ما تحنط به جثة الميت . ار ( حونطو - hountto ) .

ان الحنوط في العربية من مادة الحنطة .. ونظن ان سبب اجتماع هذين المعنيين المختلفين في هذه المادة اللغوية الواحدة هو ان ائلهما مشترك وهو الطحن ، فالحنيط بلفة الموصّل يعني الحنطة او الكثير منها ، وائله الطحين . والظاهر ان الحنوط ايضا سمي بذلك لانه كان يتخذ من مواد مطحونة . ولصيغة ( الطحون ) معان منها الحرب التي تطحن الناس ، وكان صيغة ( الحنوط ) مقلوبة منها .

## تحوب ( زنة تصور )

: تجنب الذنب . ار : ( اتحيب - ethayab ) : اذنب .



ومثلها الحي ( زنة الزي ) . ثم أطلقت صيغة الحيوان  
بالإضافة الى ذلك على كل ذي حياة .

ويظهر ان ( حيوتونو ) الأرمية محصورة من  
( الحيوية ) أو من إحدى الصيغ العربية الأخرى الباقية  
أو المنقرضة .

### الخان

: هو الحانوت ، أو محل نزول المسافرين . وهو  
أصل الخان . أر : ( حونو - honou ) .

تلاحظ انه يسمى كذلك النزل - بضمين ، وأن  
البيت يسمى ( المنزل ) ، وكلاهما من النزول أي نزول  
المسافرين عن ظهور المطايا . كما ان ( البيت ) سمي  
بذلك من المبيت ، والأغلب انه مبيت المسافرين أيضا .  
ومثل ذلك المحل والمحلة ، من معنى الحل - بفتح الحاء  
أي حل الرجال عن الأبل ، وهو خاص بالمسافرين  
والمطايا أيضا .

ثم تلاحظ ان المناخ يعني محل الإقامة ، وهو من  
معنى « مبرك الأبل أي الموضع الذي تنأخ فيه » . ومنه  
صاغوا فعل تنخ بالمكان : أقام . والتنوخ - زنة  
الوقوف - هو الإقامة .

هذه الوشائج بين المنازل من جهة والسفر  
والأبل من جهة توحى لنا أن ( الخان ) صيغة مشتقة من  
الإناخة أو المناخ . . وهي قرائن لا ترقى إلى مرتبة  
الدليل القاطع لكنها تدعو إلى التأمل .  
ومن الخان نشأت صيغة الخان والحانوت .

### الخبل ( زنة العمل )

خبله الحزن : أفسد عقله . أر : ( حبل - hbal )  
: أفسد .

ان أثل الخبل هو الهبل . فان قولهم أهبل الرجل  
يعني فقد العقل والتمييز ، فهو أهبل ، وحالته الهبالة .  
وأما أثل ( الهبل ) فهو ( البله ) وكان الهبالة هي البلاهة ،  
وهذه من البلادة ، وهذه من فعل بلد ، وهذه من لبد  
. الخ .

### الخايبه

أر : ( حوبيتو - hobito ) .

ان فعل خبا يعني فى العربية أخفى . والخباء :  
بيت الشعر أو نحوه لانه مخبأ أصحابه . والخايبه ،

الذي يقابل الكلمة الأرمية فى المعنى هو فعل  
حاب يحوب فى العربية ، أي أذنب . لكنهم تصدوا  
لصيغة فعل ( تحوب ) الذي يعنى عكس المعنى أي  
تجنب الذنب لقرب الفعل الأرمي منه لفظا .

وأثل الكلمة فى العربية كما نظن هو ( تهبب ) ،  
مما يؤيد ان أصل المعنى هو كما فى العربية أي  
الامتناع عن الذنب ، ثم نشأت صيغ أخرى صارت  
تعنى اتيان الذنب .

وواضح ان صيغة ( اتحيب ) الأرمية أقرب من  
( تحوب ) العربية الى الأثل ( تهبب ) . لهذا يظهر ان  
العرب قالوا أول الامر ( تحيب ) ثم صاروا ينطقونها :  
تحوب . وانما نقول ان العربية هي الأثل بالرغم من  
كون ( الصيغة ) الأرمية أثل لان معناها هو الاحداث ،  
أي ان الأرمية اقتبست الكلمة منذ كان العرب  
ينطقونها ( تحيب ) .

### الحيوان ( زنة الطيران )

أر : ( حيوتونو - hayotono ) .

أصل معنى الحياة هو الحرارة لذلك كانت الحوة  
( زنة القوة ) تعنى السواد مثل الحرة ( زنة الجرة )  
التي تعنى الأرض ذات الحجارة السوداء كأنها أحرقت  
بالنار . ونعتقد أنهم أطلقوا على النار أولا لفظة ( حو )  
- زنة جو - وهي ما تزال فى لغة الطفل بالدارجة  
المراقية تعنى النار أو التحذير من الاكتواء بها أو بأي  
شيء حار . و ( الحو ) يعنى السم كذلك بالدارجة  
المراقية فى قولهم من باب الدعاء بالشر : يا كل حو !  
وستأتي وشيكا أهمية معنى السم فى هذه الكلمة .

وبنتيجة تفاعلات الواو والياء التي لا نريد  
التبسط فيها ، أطلقت كلمة ( حبة ) على النار التي ما  
تزال كامنة تحت الرماد ، أي ضد النار الخامدة . وهي  
فيما يظهر مؤنث ( الحو ) ، لان ( الحبة ) أصل اشتقاقها  
( الحوية ) - زنة الموجة . لذلك كانت الحبة من أسماء  
الافعى لان لدغتها كالنار . ومن هنا جاء معنى السم  
فى ( الحو ) بالدارجة المراقية . ومن ( الحبة ) قالوا  
تحوى الجبل مثلا أي تلوى كالحبة . والحاوي والحواء :  
من يجمع الحبات أو يرقى منها .

ومن النار الحبة أيضا ، أي ضد الخامدة أو  
الميتة ، صيغت الحياة وجمعها الحيوانات ( زنة الطلوات ) .  
ومن صيغ الحياة ( الحيوية ) - زنة القبول - والحيوان ،

وتنطق بالهمزة ( الخابئة ) أيضا ، هي الجرة الضخمة  
يخبأ ما يخبأ فيها . فاشتقاق صيغتها من معناها واضح  
كل وضوح .

#### الخاتم (زنة القالب)

ار : ( حوتمو - hotmo ) .

نعتقد ان اثل الختم هو عملية كسر الطين الذي  
يسدون به فم الجرة ، ثم انتقل المعنى الى الطين  
نفسه الذي سمي الختام . ومنه الآية « ختامها مسك » .  
ومن اخوات الختم بمعنى الكسر ونحوه : خت ، ختا ،  
ختوب .. قت ، حت ، جت ، .. الخ . ثم لما صاروا  
يسدون الرسائل بطين يطبعون عليه اسماءهم بعيسم  
خاص صار الختم يطلق على رسم الطين بذلك العيسم ،  
ثم صار العيسم نفسه يسمى خاتما . ولما كانت  
الرسائل انما تختم بعد انتهائها صار الختام يعني  
النهاية او الانتهاء . ومن هنا قالوا « مسك الختام » لان  
العلية كانوا يخلطون طين الختم بالمسك . وليلاحظ  
القارئ الفرق بين « ختامها مسك » الذي يعني المسك  
بدل طين السداد ، و « مسك الختام » الخاص  
بالرسائل ، فان العادة التجارية الا يفرق الاكثرون ان لم  
نقل الاجمعون بينهما :

فهذه التطورات تنبئ ان الخاتم هو منشأ  
( حوتمو ) بالآرامية .

#### الختن (زنة الوطن)

زوج البنت . ار : ( حتنو - hatno ) : زوج .

ان فعل ( ختن ) معناه القطع ، واثله الخت الذي  
كان ولا بد يعني القطع أيضا ثم صار يعني الطعن .  
ومنه ختن الصبي : قطع قلفته . ومن هذا المعنى  
نشأ معنى المصاهرة فصار قولك ختنه وخاتنه يعني  
صاهره . وربما كان أصل معنى المخاتنة هو تبادل  
الرجلين اخواتهما اي يتزوج كل منهما اخت الآخر .  
او ربما جاء من ختن البنت كما لا يزالون يفعلون في  
بعض الاقطار ، فكانما قالوا ختن البنت لفلان او ختن  
الصبي لفلانة ، كنوع من الخطبة التي كانوا يعقدونها  
لأولادهم منذ الطفولة .

وبعد ان صار الختن يعني في العربية زوج البنت  
صار في الآرامية يعني الزوج تعميما .

#### خاتنه

: صاهره . ار : ( حتن - haten ) : تزوج .

راجع ( الختن ) .

#### الخروب (زنة التنور)

ومثله الخرنوب . ار : ( حروبو - haroubu ) .

والخرنوب هو الاثل منها ، وهو شجر كبير له  
ثمر يؤكل او يسف دقيقه او يشرب مائه . وفي  
العراق يطلقون الخرنوب على نبات بري صغير الحجم  
موسمي ، اي يظهر في الربيع ويموت في الصيف ، وله  
ثمر يؤكل أخضر بعد كشط جلده المفص الطعم . وفي  
الموصل يسمونه الخيضر . واذا جف كان لبذوره  
صوت عند تحريك ثمرته ومن هنا سموه في الموصل  
( البجنجل ) من صوته ، ويبدو ان الاثل ( أبو جلجل ) .  
وصفة القول ان الخرنوب الجاف منخرّب ، اي فيه  
نخاريب ( تجاويف ) للبذور ، ومن هذه النخاريب جاء  
اسمه ( الخرنوب ) - وربما كان اسمه الاول  
( النخروب ) - ثم اصلق على الشجر المذكور لمشابهة  
ثمره بثمره .

اي ان تسميته ( الخرنوب ) بالنون سقت صفة  
( الخروب ) بتشديد الراء وهذه ظهرت في الآرامية  
بشكل ( حروبو ) .

#### خربق النبات

: اتصل بعضه ببعض . ار : ( حريق harbeq ) :  
شبك . عقل .

أصل معنى الكلمة هو التقطيع ، ومن ذلك ظهر  
معنى الافساد حيث قالوا خربق العمل : افسده .  
ومثل ذلك خربش الكتاب او خرفشه : افسده .  
ومثله أيضا : شريق الثوب وشبرقه وشرقه وخرقه  
وشرزه وشرطه (والاربعة الاخيرة كلها بتشديد الراء) .  
ويظهر فعل ( شريق ) في الدارجة العراقية بشكل  
( شريك الشيء ) اي جعله يشبك ويتداخل بعضه في  
بعض ، وهي من الالفاظ الاثيلة المضاعة ، فيما نعتقد ،  
فمنها نشأ فعل تشبك وتشبص ، في الفصحى .

ومن كل هذا ، ولا سيما فعلي شريق وخرق  
- بتشديد الراء - نشأ فعل خربق بمعنى التشابك ،

فقالوا ( خريق النبات ) بمعنى اتصل بمضه ببعض ،  
اي تشابك ، ومن ثم ظهر فى الاربمية فعل ( خريق ) .

### الخُرْزُ ( زنة النظر )

: ما ينظم فى سلك من لؤلؤ ونحوه . ار :  
( خرز - hraz ) : رتب . ادخل .

الخرز فى العربية هو الحب المثقوب من زجاج  
او جرز او خشب او اية مادة صلبة من الجواهر  
الغالية او الحجارة الرخيصة . وسبب التسمية هو  
كونه مثقوبا ، لان خرزت الجلد تعني ثقبته ، والمخرز:  
اداة الثقب . ومن اسرة الكلمة : خرم ، خرق ، خرت ،  
خرب .

ولما كان الخرز ينظم فى سلك صار فعل خرز  
يخرز خرزا ( من باب فرح ) يعني احكم امره ، كما  
اشتقوا النظام والتنظيم من معنى نظم الخرز ايضا .  
ومن ثم ظهرت فى الاربمية صيغة ( خرز ) بمعنى رتب  
وادخل ، اي بمعنى نظم بالتشديد ونظم بالتخفيف .

### الخردل

: النبات ذو الحب الدقيق الحريف المعروف .  
ار : ( خردلو - hardlo ) .

اثله من فعل ( خرد ) الذي يعني القطع . ولا  
شان لنا بمعانيه المعجمية الان ، لكن مما يدل على ذلك  
ان فعل خردل نفسه ما زال يعني القطع فى المعجم ،  
والخردال : القطع من اللحم . ولعل قولهم خردل  
اللحم بمعنى قطعه وفرقه هو الذي ادى الى اختصاص  
الكلمة بالقطع الصغيرة من كل شيء ، ثم تخصص بهذا  
الخردل .

### الخرطوم

: انف الفيل . ار : ( خرطومو - hartoumo )  
: أنف ، خرطوم .

نعتقد ان اثل الخرطوم هو الخطم وهو من الدابة  
مقدم انفها وفمها ، ثم اطلق على الانسان مجازا بمعنى  
الانف . وصياغة الخرطوم من الخطم له امثال فى  
العربية تكتفى منها بالعروق من العقب والفرطيسة من  
القطس . واثل الخطم على كل حال هو الخزم ، فقولاك  
خزمت البعير يعني وضعت فى انفه الخزام او الخزامة

وهي حلقة يشد فيها الزمام . واصل معنى خزمت  
البعير هو ثقتب انفه .

وربما تكونت كلمة ( الخرطوم ) منذ كانت المعربة  
غابة تعيش فيها الفيلة ، قبل خروج الاربيين منها  
بالوف السنين .

### الخزف ( زنة الهدف )

: الفخار . ار : ( حففو - hesfo ) : اناء من  
خزف .

اصل المعنى القطع ايضا . خزف الثوب : شقه .  
وقد اطلق على الفخار فيما يظهر لسهولة تكسيه ، كما  
سميت كسراته الشقف والمفرد الشقفة ، بينما الشقفة  
تعني بالسورية : الكسرة او القطعة الصغيرة من اى  
شيء ، وهو فيما نعتقد اصل المعنى .

### الخص ( زنة اللب )

: البيت من قصب او شجر . ار : ( حوصو -  
houso ) : خوص .

الكوخ هو البيت القروي فى الاستعمال اللغوي  
الرائج وان كان يعني فى المعاجم : البيت بلا كوة .  
والاستعمال الشائع هو الاصل لان اسم الكوخ نفسه  
متطور من الكوة ! ومن الكوخ نشأت صيغة الكاخ بنفس  
المعنى ، ومنها فى اللاتينية casa . وكما نشأت من  
الكاخ صيغة ( كاسا ) التي اندثرت فى العربية وظهرت  
فى اللاتينية ، نشأت من الكوخ صيغة ( خوص ) و  
( خص ) - بضم الخاء .

ولما كان بعض الاكواخ البدائية يبنى من سعف  
النخل فقد تخصصت صيغة ( الخوص ) بالسعف و  
( الخص ) بالبيت المبني منه او من القصب او الشجر .

ويلاحظ ان ( حوصو ) الاربمية تعني الخوص  
بمعناه العربي اي السعف ، لا ( الخص ) المبني منه .  
( انظر كلامنا عن الكوخ وتطوراته فى الاربيات فى كتابنا  
« مقارنات لغوية » ) .

### خطر ( من باب كرم )

: صار رفيع المقام . ار : ( حطر - hatar )  
: تكبر .

وقالوا خلف الطعام : تغير طعمه ورائحته ، لان هذا شأن الطعام المتخلف . ومن تغير الطعم ظهر معنى التغير عامة . وثمة الخلف ( كالشكر ) والاختلاف ( كالاخصان ) والاختلاف والمخالفة ، فكها تعني التغير او التغير . ونقول بالمناسبة انهم يسمون المعارضة السياسية بالفارسية ( مخالفت ) والمعارضين ( مخالفين ) .

فاذا قال العرب : خلف الرجل عن خلق اييه بمعنى تغير اي اختلف ، فلا يدل ذلك الا على ان فعل ( حلف ) بالارمية هو المقتبس .

### الخمر

ار : ( حمرو - hamro ) .

قالوا في العربية : خم اللبن : فسد ، ومنه خم اللحم : اتن ، ومثل ذلك خمج . ومن باب التضاد قالوا : خمط اللبن او الخمر : تغيرت ريحه او طابت . ومن معنى تغير الطعم قالوا : خمرت العجين : وضعت فيه خميرا ، واختمر العجين : صار خميرا ، واختمر العصير : صار خمرا ، او خمرة .

### الخمير

ار : ( حميرو - hmiro ) .

انظر ( الخمر ) آنفا .

### الخميلة

: دثار مخمل . ار : ( حميلتو - hmlito ) غطاء .

أصل معنى الخمول هو الخفاء ، والخامل الذكر هو المغموره ، وأثل خمل هو غمل الشيء : ستره . ومن أسرة الكلمة : غمر وغمن وغمي وغم . ومن معنى الخفاء اطلقوا ( الخميلة ) على الشجر الكثيف الملتف والموضع الكثير الشجر - كما اطلقوا الجنة والغابة لنفس السبب . ومن معنى الشجر اطلق الخمل على هذب القטיפه ونحوها من الانسجة المخملة ، ثم على القטיפه نفسها . والمخمل ( زنة المكتب ) بلغة الموصل : منشفة الحمام .

ثم صارت الخميلة تعني الدثار المخمل ، ثم عم معناها في الارمية فصارت ( حميلتو ) تعني الغطاء .

اثل الفعل : خطأ يخطو ، ومن ذلك قيل تخطرت وتخطرت : تخطيته . ثم صار فعل خطر ( كجلس ) يعني المشي مع تحريك اليدين . ومن هذا نشأ فعل ( تمخطر ) بالدارجة المصرية الذي أدى الى نشوء ( تبخر ) في الفصحى . نعي ان التمخطر صيغة عربية قديمة لكن جامعي اللغة لم يأخذوا بها لمخالفتها الصيغة ( الفصيحة ) الرائجة التي كان يجب ان تكون ( التخطر ) . و ( التمخطر ) باليم - كان لغة بعض العرب ضعف شأنها عند نشوء الفصحى في الجاهلية ، وقد أحيها بعض المتأخرين في مثل ( التمعني ) ، وفي جيلنا ( التمهذ ) .

ولما كان التبخر من شأن ذوي الاقدار صار ( الخطر ) يعني الشرف وارتفاع القدر ، وصار فعل خطر ( ككرم ) يعني : ارتفع قدره . ومن ثم ظهر في الارمية بصيغة ( حطر ) : تكبر .

### الخطر ( زنة الفكر )

: الفصن . ار : ( حوطرو - hawtro ) : قضيب ، عصا .

ان تمايل المتبخر في سيره جعلهم يقولون مجازا : خطر الرمح : اهتز ، ومن هنا سموه الخطار ( بالتشديد ) . وقالوا : خطر بسيفه او رمحه : هزه ، وخطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه . فمن هذه الحركة وذلك الاهتزاز سمي الفصن ( خطرا ) .

### الاختطاف

: كون النفس مخطوفة في رؤيا او نحوها . ار : ( حطيفوتو - htifouto ) .

ربما كان تخريج هذا المعني ارميا ، لكن الكلمة بمختلف صيغها عربية .

### خلف - تلافيا وخلوفا

عن خلق اييه : تغير . ار : ( حلف - hlaf ) : تغير .

صيغ الكلمة كثيرة جدا في العربية ، وانما اختاروا فعل خلف بمعنى تغير لانه الصيغة التي وجدوا لها مثيلا في الارمية . وأصل معنى الفعل هو التخلف ، فقولك فلان خلف فلانا يعني : تلاه ، اي جاء خلفه .

## الخنزير

ار : ( حزيرو - hziro ) .

كنزت الشيء: ادخرته وحفظته. ومنه نشأ فعل ( خنز ) الذي كان له نفس المعنى أولا بدليل أن مقلوبه ( خزن ) له نفس المعنى . الا ان فعل ( خنز اللحم ) صار يعني انتن ، لان ذلك مصير اللحم المخزون ( لم تكن لديهم تلاجات ) ، والمقاربة يستعملون الكلمة في لفهم الدارجة بمعناها هذا الفصح بينما هي مجهولة عند المشاركة حتى في الفصحى . و ( الخنز ) - بكسرتين - هو المنتن في المغربية . ومن هنا جاءت تسمية ( الخنزير ) ، فيما نعتقد .

اما في الارمية فان حذف النون من الاسم ، وهو تطور لفظي متاخر مع بقاء المعنى على حاله ، يدل على ان صيغة ( حزيرو ) الارمية هي المستحدثة المقتبسة .

## الخنزير

: غدد صلبة في المنق على سطحها درن شبيهة بالمعد . ار : حزيروت - hazirot ) .

هذه التسمية من الخنزير على كل حال ، ولا نرى ما يرجح انتماءها الى اية من اللغتين ، لكن المادة عربية . اما حذف النون من الكلمة فقد تكون له نفس الدلالة هنا ايضا ، وقد لا تكون .

## الخنوص ( زنة السنور )

: ولد الخنزير . ار : ( حونوصو - honouiso ) .

يبدو أن الاسم من نفس مادة الخنزير ، أي الخنز . ولعلمهم سموه اول الامر ( الخنوز ) ثم صار ( الخنوص ) ، وعلى هذا قد يكون هو ائل ( الخنزير ) ، ثم تخصصت صيغة ( الخنوص ) بولد الخنزير : النتن الصغير .

## الخنفساء

ار : ( حرفوشتو - harfouchto ) : خنفساء سوداء .

من اوصاف الخنفساء في المعجم العربي انها كريهة الرائحة ، وهذا يرشدنا الى ان التسمية جاءت في

الاصل من الخنز ، وربما من الخنوص خاصة ، فلا يخفى أن بعض اللغات تنطق الواو فاء مخففة (V) ونعتقد انها احدى اللهجات العربية القدي تسربت الى اللغات المتولدة منها . ومن أسماء الخنفساء أيضا : الخنفس ( بضمتين ) والخنفس ( بضممة وفتح ) والخنفس ( بكسرتين ) والخنفس ( بضميتين ) .. الخ . ما اكثر اسماءها على هوان قدرها بين مخلوقات الله . وكلها قريب النطق من ( الخنوص ) اذا ابدلنا واوه فاء . وتسمى في بعض الدارجات ( الخنفوس ) ويظهر انها صيغة أثيلة في العربية فمنها صاغت الارمية ( حرفوشتو ) ببدال الخاء حاء كما رأينا في الالفاظ العربية السابقة المبدوءة بالحاء ومنها ( الخنوص ) نفسه . واما ابدال النون راء فعادة ارمية اخرى تظهر في الكثير من الالفاظ مثل ترتين ( = ثنتين ) وبرتا ( = بنت ) . وهي فيما يبدو عادة عربية كانت عند بعض القبائل بقي أثرها في الارمية وربما في بعض اللهجات الحية الاخرى ايضا .

فمن ابدال واو الخنوص فاء نشأت ( الخنفس ) باحدى صيغها الموجودة أو المنقرضة ، ومن ابدال خاء ( الخنفوس ) حاء ونونها راء نشأت ( حرفوشتو )

## الخناق ( زنة البكاء )

: مرض يتعسر معه التنفس . ار : ( حونوقو - honouqo ) .

الكلمة توحى بانها عربية معنى ومبنى . فالمعنى من الاختناق والمعنى من صيغة الفعال السدال على الامراض كالسعال والفواق والزكام والجذام والكرزاز . ولا ندري ما الذي جعل اللغويين يظنونها مقتبسة من ( حونوقو ) الا توهمهم بأن تسمية الامراض من الشؤون الحضارية ، فيما يظهر .

## الخنوخ

: شجر . ار : ( حوحو - houho ) .

الخنوخة هي الثمرة المعروفة ، وقد سميت بذلك لاستدارتها فيما يبدو ، لان للخنوخة معنى آخر هو : الكوة التي تؤدي الضوء الى البيت ، أي ان ائلها هو ( الكوة ) نفسها ، التي هي ائل ( الكوخ ) ايضا . ومن هنا كان ( الخوخ ) يشبه الكوة شكلا والكوخ لفظا . فعلى هذا تكون العربية هي الائل .

ونظن ان منها كذلك ( الكوكب ) وهو النجم  
السيار ، اي الدوار .

### الخصوص ( زنة البوق )

: ورق النخيل . ار : ( حوصو - houso ) .

نوهنا بمنشأ الكلمة في العربية عند الكلام على  
( الخصص ) .

### الخياط

ار : ( حيوطو - hayoto ) .

صفة الفعال هي المألوفة في العربية للدلالة  
على صاحب الحرفة ، وهي هنا صيغة المبالغة من  
الخائط أي فاعل الخياطة . والائل هو الخط ، ومنه  
الخطوط ( كالخصوص ) : القضيبي والقصن الناعم .  
وكانوا يستعملون العيدان لتشريح طرفي نسيج او  
شقي غرارة او نحو ذلك ، ومن هنا نشأت من الخطوط  
صيغة ( خاط الثوب ) : ضم بعض أجزائه الى بعض .  
ثم نشأ الخيط والمخيطة والخياطة . كلمة حضارية  
أخرى يدل التأثيل على ان الارمية هي المقتبسة لها  
من العربية .

### الدار

: البيت . ار : ( ديرو - dayro ) : مسكن .  
من : ( دور - dor ) : سكن .

ان الدار في العربية من الدور اي دوران الجدار  
حول المسكن ، ومثل ذلك ( الحائط ) اي البستان من  
معنى الجدار المحيط به . وفي الفارسية يسمون  
باحة الدار ( خياط ) . فاصل المعنى ليس من السكن  
اذن بل من الدوران ، وانما نشأ معنى السكن بعد ذلك  
حين استقر معنى ( الدار ) للمسكن .

ومما يؤيد ان الدوران اصل معنى الدار هو ان  
( دور - dour ) تعني في بعض الساميات السور  
الذي يحيط بالمدينة ، ثم صارت تعني المدينة ومن  
ذلك ( دور شروكين - Dour Charroukin )  
اي مدينة شروكين (1) الواقعة انقاضها شرقي الموصل .

(1) هو الاثل الصحيح للاسم الشائع : سرجون .

وفي العربية أيضا صارت ( الدور ) تعني مجموعة  
البيوت ، اي جمع الدار .

ومن ( الدور ) بمعنى الدوران نشأ ( السور ) ،  
ومن هذا نشأ ( السوار ) الذي يحيط بالمعصم . ومن  
السور قالوا ( تسور الجدار ) أي ارتقاه . وربما من  
هذا المعنى قيل في الفارسية ( سوار ) بمعنى فارس  
لانه يرتقي الفرس ، كمن يتسور الجدار .

### الدبس ( زنة الفكر )

: غسل النحل ، غسل التمر أو نحوه . ار :  
( دبشو - debcho ) .

يبدو أن اصل معنى الدبس هو السواد ، ذلك  
ان الدبس ( زنة الدرس ) هو الاسود من كل شيء .  
وأكبست الارض : اخرجت نباتها عندما يظهر اول  
سواده . ومن هذا المعنى اطلقوا ( دبس ) بتشديد  
الباء - فعلا لازما ومتعديا بمعنى اختفى أو أخفى .  
لهذا يظهر أن أثله دمس الليل أو الظلام : اشتد  
سواده ، فهو دامس .

وبعض انواع الدبس كدبس العنب : أسود .  
فلعلمهم أطلقوه أولا على الدبس الاسود تمييزا له من  
الانواع الاخرى ، ثم اطلق على كل أنواعه من باب  
التعميم ، ثم عمموا كرة أخرى فشمل غسل النحل  
أيضا . لكنهم في العراق لا يطلقون الدبس على غسل  
النحل بل على العسل الصناعي من عصير الثمار .

### دبيق بكذا

: التصق . ار : ( دبق - dbeq ) .

يبدو لنا ان ( دبق ) أثله ( الدبس ) صيغ منه  
بسبب لزوجه .

### الدابوق والدبق ( زنة الفكر )

ار : ( دويقو - doubqo ) .

غراء اخضر يطلون به قضباناً توضع في الاشجار  
فيلتصق بها ما يقف عليها من الطير فيصيدونه .  
ويجوز أن يكون هذا المعنى من صنع ابة من اللغتين ،  
لكن هاتين الصيغتين عربيتان من حيث اشتقاقهما



## دحل

: خاف . ار : ( دحل - dhel ) .

أصل معنى الدحل هو الستر ، أي قريب من معنى الدجل : التغطية . وائل الدحل هو الدح : الدس . من ذلك قولهم دح الشيء في الأرض : دسه وأخفاه . ومن هنا قيل : دحل الرجل : استتر وتباعد ، أي هرب ، وهذا معناه الخوف بطبيعة الأمر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الخوف ، وعندئذ ظهرت في الأرامية .

## دخسه في الرماد

: دسه . ار : ( دكش - dkach ) .

هذه الكلمة من أسرة : دح ، دحس ، دحل ، دخل .. وائلها جميعا : دس . ومنها : دسر ، دسع ، دسا يدسو . ومن أسرتها أيضا دكست الشيء : حشوته ، ويظهر أن هذه هي الأئلل المباشر أو القريب لصيغة ( دكش ) الأرامية . — يتبع —

فالدبق من صيغة ( العلك ) مثلا والدابوق من صيغة اليافوخ . يضاف إلى ذلك أن في العربية صيغة ثالثة للكلمة هي الدبوقاء . ولم تخل المعربة من شجر وطير وصيد وغراء ، حتى اليوم ، بدليل وجود هذه الألفاظ الأئيلة في لغتها .

## دجل

: كذب . ار : ( دكل - dguel ) .

أصل معنى الدجل هو الظلمة والتغطية ، ومن أسرة الكلمة: الدجى والدجن والدجم والديجور . ومن معنى التغطية قولهم دجلت الشيء ( بالتشديد ) : غطيته ، ودجلت البعير : طليته بالقطران ، ودجلت الإناء بالدجال ( بالتشديد ) : طليته بالذهب أي موهته . ومن هنا سمي « الدجال » لأنه يلبس الحق بالباطل ويظهر خيرا مما يضمّر . ومن ثم صارت الكلمة تعني الكذب . فتطور معاني الكلمة في العربية على هذا النحو ينبيء أن ( دكل ) التي تعني الكذب في الأرامية هي المقتبسة منها .



# الكافي في العربية

الاستاذ عبد الله كنون

فلما جاء الاسلام وغمر العرب بعقيدته وتشريعه ونظريته الشاملة للمجتمع والحياة ، اتسعت دائرة اللغة العربية لفظا وتعبرا ، وتعزز البيان العربي بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، واصبحت لغة العرب لغة دين ودولة ومجتمع متحول من حياة البداوة الى حياة المدنية التي جاءت بدعا في المدنيات لا تشبه غيرها بما لها من سمات خاصة ومثل متميزة ، فلا غرو ان يفني الاسلام هذه اللغة ويجعل دلالاتها ذات ابعاد تقصر عنها اللغات التي احتضنت الحضارة الانسانية قبلها ، فلا تملك الا ان تنقل عنها وتقتبس منها بعد ان اعتنق اهلها الدين الجديد . وكان ذلك مما حمل الاسلام لالفاظها من معان جديدة وما اتى به من تعابير لم تكن تعرفها من قبل .

وفي هذا الصدد يذكر علماءنا عبارات وجمل ما اتى في القرآن ولم تنطق به العرب قبله كجملة سقط في ايديهم او في السنة كعبارة حمي الوطيس .

ثم كان عهد الترجمة والنقل لعلوم الامم المتقدمة ومعارفها ، وما كان لذلك من تأثير في اللغة العربية سواء من حيث اقتباس المصطلحات العلمية او وضعها ، ام من حيث مجازة عبارات المؤلفين او ترجمتها ، كله معلوم للجميع فلا نطيل به .

ولا ريب ان ما جرى ويجري في عصرنا هذا هو من هذا القبيل ، فالأخذ والعطاء من سنن الحياة ، ولا غشاضة على العربية ان تتبنى الفاظا وعبارات بله الصور الكلامية التي يستحسنها الكتاب والمترجمون من لغات أخرى ، اذا كانت تنسجم مع الأسلوب

اقتبست اللغة العربية في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، وما تزال تقتبس بطريق الترجمة عن اللغات الاخرى ، عبارات وصورا كلامية كثيرة اثرت محصولها من البيان وان كان ثريا من قبل ، ولكنها زادته ، ونوعت طرق الاداء فيها وقد كانت متنوعة بدونها ، الا انها توسعت نتيجة لذلك بكيفية ملحوظة . وهذا لان اللغة كائن حي يزيد وينمو بالغذاء والتطعيم ويضوى ويضممر بترك التعهد والعناية .

ففي العهد الجاهلي كانت العربية لغة مستكملة التكوين ، تفي بالتعبير عن مقاصد اهلها ومشاعرهم ، وهي الى كونها لغة مجتمع محدود الاغراض والمصالح ، قد اضطرت الى الاقتباس من لغات اخرى مشتركة معها في الاصل او مختلفة ، فاخذت منها عديدا من الكلمات تسمى بالذخيل ، ولم يزر بها ذلك في شيء ، لا سيما وهي في حيويتها وفعاليتها قد صاغت صياغة خاصة واضفت عليها من طابعها الاصيل ما جعلها تبدو كأنها من صميم الضاد .

وهذا في الالفاظ شيء معلوم لا جدال فيه ، واما في التركيب والتعبير فغير بعيد ان يكون العرب قد تأثروا بغيرهم في بعض الصور الكلامية مما كانوا يسمونه في هذه اللغة او تلك ، بناء على عموم قاعدة الاخذ والعطاء ، ونحن نعلم ما لاحظته قدماء النقاد على عدي بن زيد العبادي واعشى قيس ومن مائلهما في الاتصال بالعجم ، من ذكرهما لاشياء لا تعرفها العرب حتى ان بعضهم توقف في الاستشهاد بهما ، فهذا من ذلك . وهو تحفظ شبيه بتحفظ بعض لغويينا ازاء كل جديد في عصرنا هذا وقبله .

العربي ولو كان هناك ما يماثلها ، فقد وضعنا الهاتف ولكننا ما نزال نقول التلفون ، ووصف الدكتور لا نجد من يتنازل عنه ولو كان من اكثر الناس تحفظا في هذا الصدد ، مع ان وصف الطبيب موجود في العربية من قديم . وهكذا نرى ان ثروة اللغة وغناها من ذاتها وبالاقتباس ، شيء واقع ومرغوب فيه ، حتى ولو ادى الى خرق بعض القواعد المقررة كما نفعل هنا في هذا المجمع أحيانا .

وما اعرضه على انظاركم اليوم هو تعبير من مئات التعابير التي دخلت العربية في العصر الحديث وجرت على الاقلام والالسن ، فلم ينكرها احد ولا اعترض عليها معترض ، بل اعتبر ذلك من التجديد للغة والتوسع في طرق البيان ، وحقا هو كذلك ، فقد اصبحت العربية بمقتضاها تسابير ركيب الحضارة الجديدة ولا تتخلف عنه في شيء ، ولا سيما في حقل الادب والفن والعلوم الانسانية والسياسة والاجتماع . ولكن هذا التعبير ما يزال توجه اليه النظرات الشذراء من رجال اللغة ، وينذه المتحفظون وان كان مما شاع وذاع وملا الاسماع كما نقول فيما حفظناه من الاسجاع .

انه التعبير الذي تدخل فيه هذه الكاف التي حجب الى ان اسمها الكاف التمثيلية ، فرقا بينها وبين كاف التشبيه ولانها تقع موقع مثل ، وهي المقابلة لـ comme الفرنسية و como الاسبانية في مثل قولنا فلان كسفير يمثل بلاده احسن تمثيل ، والوالي كأحد رجال الشرطة يجب ان يحتفظ بهيبته .

ولمزيد الايضاح ابين كيف تقع هذه الكاف في عنوان بحث كنت القيته في هذا المجمع منذ سنتين وهو ابن رشد الفقيه .

فقد كتبت هذا البحث عن الحفيد ابن رشد ، واسمه محمد وكنيته ابو الوليد مثل اسم جده وكنيته تماما ، واشتهر هو بالفلسفة كما اشتهر جده بالفقه . واردت ان يكون عنوان البحث دالا من اول وهلة على المراد ، فقلت اجعله الحفيد ابن رشد الفقيه او فقيهها ، فلم اجده يؤدي ما في نفسي بوضوح مع طوله ، وقلت اجعله الفيلسوف ابن رشد الفقيه او فقيهها ، فوجدته يقارب ولكنه ربما اوهم اني اتناوله بوصفيه الفقيه والفيلسوف في حين اني لم اتكلم الا على الناحية

الفقيهية من ترجمته . وعرض لي استعمال هذه الكاف بان اتول ابن رشد الفيلسوف او الحفيد كفقيه ، فوجدتها ادل على المراد من كل ما سبق ، ولكن استعمالها مرغوب عنه ، لا سيما وانا اعرض بحثي في مجمع اللغة العربية .

فعدت الى العنوان الذي خطر لي اول مرة ، هو ابن رشد الفقيه ، اتكالا على ان الشهرة المطبقة لهذا الاسم ، بين العرب وغيرهم ، انما هي للفيلسوف لا للفقيه . وقد ترجم ذلك البحث الى الاسبانية ونشر بمجلة الفكر التي يصدرها المعهد الاسباني للفلسفة في العصر الوسيط بعنوان Averroes Elyurista وكان واضحا اشد الوضوح ان المراد به الحفيد لا الجد . على اني في طالعة البحث بينت اني انما اعني صاحبنا الفيلسوف لا جده الفقيه .

لذا ولما قدمت من ان اقتباس التعابير اللغوية كاقتراس الالفاظ ، لا ضير فيه ، حتى لو كان هناك ما يماثلها ، فانه يعد كالمترادف ، والمترادف قلما يخلو من فرق دقيق بين معانيه ، وكذا الجمل والتراكيب ، اقول لما ذكر فكرت في ان احاول تخريج هذه الكاف وأوجه استعمالها على نحو مقبول في العربية . فرجعت الى المعاني التي يذكرها علمائنا للكاف ، فاذا هي اربعة عند ابن مالك ، كما قال في الالفة :

شبه بكاف وبها التعليل قد

يعنى وزائدا لتوكيد ورد

واستعمل اسما .

وعند ابن هشام في المعنى ستة بزيادة الاستعلاء والمبادرة .

وقد استبعدت منها هذين المعنيين الاخيرين لانهما لا ينطبقان على هذه الكاف التي نتكلم عليها . وكذلك معنى التشبيه لانه الذي يتطرق منه النقاد الى ضعف استعمال هذه الكاف فيه ، اذ كان المشبه فيها هو عين المشبه به (1) ، فان قول الشخص مثلا اننا ككاتب لا اخرج من استعمال هذا التعبير ، انما يعني نفسه . فاختلف حينئذ احد اركان التشبيه ، وان كنت انا شخصا لا ارى ذلك ضربة لازب ، فيجوز ان يعني غيره ، ويحسن ذلك قصد التواضع في حالة التكلم كما في مثالنا هذا .

(1) ولهذا سميتها الكاف التمثيلية فان التمثيل للقاعدة يكون بفرد من افرادها فهو منها ، كقولنا الفاعل مرفوع مثاله قام زيد .

بقي معنى التعليل ، وقد مثلوا له بقوله تعالى :  
( فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم )  
أي لهدايته لكم . وقيدته قوم بكون الكاف مكفوفة بما ،  
ولكن ابن هشام رد ذلك واستدل بقوله تعالى :  
( وي كانه لا يفلح الكافرون ) أي أعجب لعدم فلاحهم .  
ولا أظن ان هذا المعنى يمتنع في المثال الثاني من  
المثالين السابقين ، وهو قولنا الوالي كأحد رجال  
السلطة يجب ان يحتفظ بهيئته ، والتقدير لانه من  
رجال السلطة ، فما وافقه كان مثله كقولنا فلان كوزير  
لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة .

ثم معنى الزيادة ، ومثل له النحاة بقوله تعالى :  
( ليس كمثله شيء ) التقدير ليس شيء مثله ، اذ لو لم  
تكن زائدة للزم اثبات المثل له تعالى . وانما زيدت  
لتوكيد النفي ، وهذا هو قول ابن مالك ( وزائدا لتوكيد  
ورد ) .

والمتكلمون لا يقولون بزيادة الكاف في هذه  
الآية ، بل يعتبرونها أصلية ويجعلون الآية من باب  
الكناية ، ويقولون انها ان دلت على نفي مثل المثل  
فذلك نفي للمثل ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء اللازم .

وكذلك المفسرون . قال ابو حيان في البحر :  
تقول العرب : مثلك لا يفعل كذا ، يريدون به المخاطب ،  
كانهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفيا عن  
الشخص . وهو من باب المبالغة . ومثل الآية قول  
أوس بن حجر :

ليس كمثلي الفتى زهير

خلق يوازيه في الفضائل

وقول الآخر :

وقتل كمثلي جدوع النخيل

تفشاهم مسبل منهم

وقال آخر :

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم

ما ان كمثلهم في الناس من أحد

فجرت الآية على نهج كلام العرب من اطلاق المثل  
على نفس الشيء .

وقال الزمخشري في الكشف : قالو مثلك لا يبخل ،  
فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ،  
قصدا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكتابة ،  
لانهم اذا نفوه عن يسد مسده ، وعمن هو على أخص  
أوصافه فقد نفوه عنه . ونظيره قولك للعربي : العرب  
لا تخفر الذميمة ، كان ابلغ من قولك انت لا تخفر . ومنه قولهم

قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه .  
وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب  
نالا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته  
وطيبه . فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين  
قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء ، الا  
ما تعطيه الكناية من فائدتها . وكأنهما عبارتان معتقتان  
على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته . ونحوه  
قوله تعالى ( بل يدها مبسوطتان ) فان معناه بل هو  
جواد من غير تصوير يد ، ولا بسط لها ، لانها وقعت  
عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر ، حتى انهم  
استعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فمن  
له مثل ومن لا مثل له . ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه  
كررت للتأكيد كما كررها من قال :

وصاليات ككما يؤثفين .

ومن قال : فأصبحت مثل كعصف مأكول .

وفي التلخيص للقزويني : ومما يرى تقديمه  
كاللازم لفظ مثل وغير في نحو مثلك لا يبخل وغيرك  
لا وجود الخ قال السعد في شرحه : اذا استعملنا يعني  
مثل وغير على سبيل الكناية بأن يراد بالمثل وغير  
انسان آخر مماثل للمخاطب او غير مماثل ، بل المراد  
نفي البخل عنه على طريق الكناية ، لانه اذا نفى عمن  
كان على صفته من غير قصد الى مماثل لزم نفيه عنه  
وابتات الجود له بنفيه عن غيره .

فتلخص من هذا ان الكاف ، وهي للتشبيه ، قد  
يعني بها ما يعني بمثل أي ذات الشخص والشخص  
نفسه ، فاذا قلنا فلان كسفير يمثل بلاده احسن تمثيل  
فالمراد فلان نفسه ، وانما عدلنا الى هذا التعبير قصد  
الكناية التي هي ابلغ من التصريح .

وقد تأكد بهذه القول ما قدمته من ان كاف  
التشبيه قد تدخل هنا ، لان المشبه به اعم من ان يراد  
به المشبه نفسه .

وخامس معاني الكاف ان تكون اسمية بمعنى  
مثل ، فتعرب حينئذ بما يقتضيه المقام نحو زيد  
كالاسد . قال في المعنى : الكاف في موضع رفع  
والاسد مخفوض بالاضافة . وكثيرا ما يقع هذا في  
كتب المعربين . وعليه فاذا قلنا زيد كاديب له شهرة  
عالمية ، كان معناه زيد مثل اديب بنصب المثل على  
الحال ، ولعله ان يكون على ما تقدم ابلغ من قولنا زيد  
أديبا ، وقلت لعله ، لاني لا اجزم بهذا الحكم او لا آخذ  
بهذا النظر الذي شرحته حتى يحصل على موافقتكم :

وما انا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

# مَعَاجِمُ الْأُبْنِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

## المعاجم الجمل الكاملة

أحمد مختار عمر  
دكتوراه فقه اللغة  
(جامعة كبرديج)

- 2 -

تمهيد :

ومن المعاجم الكاملة التي وصلتنا :

- 1 - ديوان الادب للفارابي المتوفى عام 350 او 370 هـ .
- 2 - ديوان لغات الترك للكاشغري المتوفى عام 466 هـ .
- 3 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد من علماء القرن السادس الهجري .
- 4 - مقدمة الادب للزمخشري المتوفى عام 538 هـ .

وستتناولها الآن بالترتيب السابق ، ولكن لاهمية « ديوان الادب » للفارابي واثره فيما جاء بعده من معاجم سنسبسط القول فيه وفي مؤلفه :

لم يبدأ هذا النوع من المعاجم الا منذ القرن الرابع الهجري . والرائد فيه هو عالم لغوي مغمور لم يلق من الباحثين العناية الكافية وهو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ( وهو غير الفارابي الفيلسوف ) . وتلا معجمه معاجم اخرى سادت على نظام الابنية ، بعضها تأثر به ، وبعضها بعد عنه قليلا او كثيرا ، وبعضها اختلفت عنه اختلافا كبيرا . ولم يقف اثر الفارابي عند المعاجم العربية الخالصة بل تجاوزها واثّر في المعاجم المزدوجة ذات اللغتين كما يتضح في معجم « ديوان لغات الترك » للكاشغري . كذلك لم يقتصر اثره على المعاجم الكاملة بل تجاوزها الى معاجم الافعال كما سبق ان اشرنا ، وكما سنوجز الحديث فيما بعد .

## 1 - ديوان الادب للفارابي (1)

واهم ما حوته المقدمة :

1 - الاشارة بقيمة اللغة العربية وذكر فضلها على سائر اللغات .

2 - الاشارة الى مؤلفات اللغويين السابقين ونقدها نقدا اجماليا وذلك في قوله : « وقد ألف السلف رحمهم الله في جمع هذا اللسان كتباً كثيرة ، تفاضلوا فيها وقيدوا منه فيها ما قيدوا ، من موجز وغير موجز ، ومعتدل بين المذهبين من غير ان يأتوا عليه ، ومحسن ما ألفوا فعم بنفعه ، ومشير فيما صنف فخص به الطبقة العليا ، ومقصر فيما جمع فلم يعد بذلك ان عادهم في مذهبهم » .

3 - الادلال بقيمة الكتاب والفخر بتصنيفه وذلك في قوله « وقد انشأت ... كتاباً عملت فيه عمل من طب لمن حب ، مشتملاً على تأليف لم أسبق اليه ، وسابقاً بتصنيف لم ازاكم عليه »

وصفه :

قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة شغلت من احدى المخطوطات (2) ست عشرة صفحة ، تناول فيها مسائل عدة . ثم اتبعها المادة اللغوية موزعة على ابوابها بحسب ابنيته على النحو الذي شرحه في مقدمته . وذيل معظم ابواب الافعال بأحكام تصريفية . وسنتناول الآن كل ناحية من هذه النواحي بالشرح والتفصيل :

### المبحث الاول

#### المقدمة (3)

عالجت مقدمة «ديوان الادب» كثيراً من القضايا اللغوية والتصريفية كما تحدثت عن منهج المؤلف في تنظيم المادة اللغوية وترتيبها .

(1) هو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ، نسبة الى فاراب وهي مدينة وراء نهر سيحون . ولا نعرف بالتحديد سنة مولده ، ولكن اذا علمنا انه كان من اقران الازهري وعلمنا ان الازهري ولد عام 282 هـ أمكننا ان نحسب بأنه ولد في اواخر القرن الثالث الهجري او اوائل القرن الرابع على اكثر تقدير . ويبدو ان الفارابي قام برحلات علمية كثيرة بعضها الى بخارى عاصمة السامانيين وبعضها الى بغداد . ويبدو ايضا ان الطاف قد انتهى به مرة ثانية الى مسقط رأسه « فاراب » وانه جلس لتدريس معجمه « ديوان الادب » واقرائه لتلاميذه هناك . وقد اتفق المؤرخون على ان الفارابي خال الجوهري صاحب الصحاح وان الجوهري تتلمذ عليه . وذكر ياقوت ان الجوهري قرأ « ديوان الادب » على خاله بفاراب وذكر ايضا ان الجوهري كتب نسخة منه بيده .

وقد اختلف في سنة وفاته فذكر القفطي انه مات سنة 398 هـ وذكر بعضهم انه مات سنة 370 هـ وبعض آخر انه مات سنة 350 هـ . ونحن نستبعد رواية القفطي لان الجوهري مات سنة 398 هـ فلو كان الجوهري وخاله ماتا في عام واحد لكان شيئاً يستحق الذكر والاشارة اليه . ولكننا لا نملك وسائل الترجيح بين الروايتين الاخيرين .

وقد ذكر المترجمون للفارابي ثلاثة كتب له هي « ديوان الادب » و « بيان الاعراب » و « شرح ادب الكاتب » وهناك كتاب نسب اليه والى الفارابي الفيلسوف وهو « الالفاظ والحروف » . وقد ضاعت كل مؤلفات الفارابي فيما ضاع من تراثنا القديم ولم يبق لنا منها سوى « ديوان الادب » . ولقد كان الفارابي مجدوداً في كتابه هذا اذ وصلتنا منه عشرات النسخ موزعة على مكاتب كثيرة في اماكن متفرقة من العالم منها اياصوفيا وليدن وباريس ولندن واسطنبول وطهران . ويوجد بمصر وحدها ما يزيد عن عشرين نسخاً منه موزعة بين دار الكتب ومعهد المخطوطات العربية . ( انظر : « الفارابي اللغوي » مقال للمؤلف بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 7 الجزء 2 جمادى الاولى سنة 1381 )

(2) رقم 383 لفة المحفوظة بدار الكتب بمصر . وهي التي رجعت اليها ما لم انص على غيرها .

(3) انظر تحقيقاً لها بقلم المؤلف بمجلة معهد المخطوطات السابق ذكرها .



4 - وتناولت المقدمة بعد ذلك الضابط العام الذي ينتظم كل ما حواه المعجم من مادة لفوية وانه مشروط بشروط هي :

ا - ان يكون مستعملا .

ب - ان يذكره النحارير من علماء اهل الادب في كتبهم .

ج - ان يكون واردا في قرآن او حديث او شاهد من كلام العرب .

5 - ثم تحدثت المقدمة عن منهج المعجم وما سيذكر وما سيتترك على نحو ما سنتحدث عنه فيما بعد .

6 - وتخلل ذلك بعض البحوث التصريفية المرتبطة بنظام الكتاب مثل :

ا - تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف وذكر علامات كل .

ب - الحديث عن اقل الابنية واقصاها وعن حروف الزيادة ومواضعها .

ج - الحديث عن ابنية الاسماء مجردة ومزيدها واستعمالات كل بناء من حيث الاسمية او الوصفية والافراد او الجمع . كقوله عن بناء « فعل » انه يكون واحد فعول ( قلب وقلوب ) او فعال ( كلب وكلاب ) او افعال ( ثوب واثواب ) ويكون وصفا من الافعال الدالة على الطبايع ( ضخم ) ومصدرا لفعل المتعدي ( ضرب ) وجمعا لفعلة ( ثمرة ) .

واهم ما يسترعي الانتباه في هذه المقدمة حديثها التفصيلي الدقيق عن منهج الكتاب واسهابها في شرح نظامه وخطته . ويرجع ذلك الى تعدد جوانب هذا المنهج وتشعب نواحيه ، فضلا عما فيه من جدة وإبتكار .

كما انها تكشف لنا عن اعجاب المؤلف باللغة العربية وتقديسه لها وإيمانه بفضلها على سائر

اللغات واختصاصها بميزات لا توجد في غيرها . وتبين عن رايه في توقيفية اللغة ونسبة وضعها الى الله ، وهو راي نادى به من قديم كثير من اللغويين .

وهي بعد ذلك تدلنا على مقدرة الفارابي الفائقة في فن الصرف والاشتقاق ، ودرايته التامة بمسائله وتبحره في فهم أبحاثه .

## البحث الثاني

### المادة اللغوية

#### منهجه في ترتيبها :

شرح الفارابي في مقدمة معجمه - كما سبق ان ذكرنا - منهجه في الترتيب شرحا مفصلا ، ولم ينس ان يدل بنفسه ويفخر بمصنفه حيث اعتبر نفسه رائدا في هذا الميدان وسابقا بلا مزاحمة . وله الحق كل الحق في ذلك ، فلسنا نعرف احدا من علماء اللغة السابقين له سلك مسلكه في الترتيب او ألف معجما في اللغة على هذا النحو من التصنيف . كما فخر المؤلف بدقة نظام معجمه ووجود كل كلمة في مظنتها اذ يقول « ورتبت كل كلمة فجعلتها اولي بموضعها مما يقدمها او يعقبها ، ليجدها المرتاد لها في بقعتها بعينها ، رابضة من غير نص مطية او آداب نفس (4) »

اما هذا المنهج الذي اخترعه الفارابي وفخر به فتتلخص اسسه فيما يأتي :

اولا : قسم الفارابي كتابه ستة اقسام سماها كتباً ، وهي على الترتيب الآتي :

ا - كتاب السالم وعرفه بقوله « ما سلم من حروف المد واللين والتضعيف » (5)

ب - كتاب المضاعف ، وعرفه بقوله « ما كانت العين منه واللام من جنس واحد » .

ج - كتاب المثال ، وعرفه بقوله « ما كانت في اوله واو او ياء » .

(4) نص ناقلته : استخرج اقصى ما عندها من السير . والاداب : الاتعاب .

(5) كان حقه ان يقول : « والهمز » .

د - كتاب ذوات الثلاثة وعرفه بقوله « ما كانت العين منه حرفا من حروف المد واللين ( = الاجوف )

ه - كتاب ذوات الاربعة ، وعرفه بقوله « ما كانت اللام منه حرفا من حروف المد واللين » ( = الناقص )

و - كتاب المهموز

وذكر السر في افراد المهموز بكتاب فقال : « والهمزة كالحرف السالم في احتمال الحركات وانما جعلت في حروف الاعتلال لانها تلين فتلحق بها » .

ثانيا : جعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : اسماء وافعالا ، وقدم الاسماء على الافعال .

ثالثا : قسم كل شطر منهما الى ابواب بحسب التجرد والزيادة . ففي الاسماء سار على النحو الآتي :

الثلاثي المجرد ( عنب ) ثم ما لحقته الزيادة في اوله ( اصبع ومذهب ) ثم المثقل الحشو ( حمص ) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين ( طابع ) ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام ( سحاب ) ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام ( خذب ) ثم الرباعي وما الحق به ( ثعلب ) ثم الخماسي وما الحق به ( جردحل ) . وفي الافعال سار كما يلي : الثلاثي المجرد ( ثقب ) ثم ما لحقته الزيادة في اوله من غير الف وصل ( اترب ) ثم المثقل الحشو ( رتب ) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين ( جاذب ) ثم الابواب الثلاثة التي في اولها الف وصل مما له في الثلاثي اصل ( اجتذب - انسحب - استصعب ) ثم ما لحقته الزيادة في اوله - وهي التاء - مع تثقيل الحشو ( تكلم ) ثم ما لحقته الزيادة في اوله - وهي التاء - مع زيادة بين الفاء منه والعين ( تجاذب ) ثم بابا الالوان وما اشبه ذلك ( احمر واحمار ) ثم ابواب الرباعي وما الحق به او زيد فيه ( زعفر ) .

رابعا : ولما كان كل باب من هذه الابواب قد يشترك في عدة ابنية كالثلاثي المجرد من الاسماء الذي له تسعة ابنية وضع قاعدة لتقديم بعض هذه الابنية على بعض ، فابتدأ بالفتوح الاول ثم اتبعه المضموم ثم المكسور . وقدم ساكن الحشو على المتحرك الحشو . وقدم ياء التانيث على همزة التانيث وقدم همزة التانيث على النون .

خامسا : كان البناء الواحد يخضع لتقسيمات اخرى مثل بناء « فعل » الذي قسمه الى اصل هو « فعل » وفرعين هما « فعلة » ( بزيادة التاء ) وفعلي ( بزيادة النسب ) .

وراعي في كتب المعتل الثلاثة ( المثال والاجوف والناقص ) ان يقسم كل باب بالنظر الى حروف الكلمة الزائدة على الحرف المسمى باسمه الكتاب . ففي كتاب المثال بفض النظر عن الحرف الاول ثم ينظر الى الحرفين الآخرين ولذا رتبته هكذا : النوع الذي سلم فيه حرفاه الآخرين ( يقابل السالم ) ثم النوع الذي ضعف فيه حرفاه الآخرين ( يقابل المضاعف ) ثم النوع الذي اعتل اول حرفيه الآخرين ( يقابل ذا الثلاثة ) ثم النوع الذي اعتل ثاني حرفيه الآخرين ( يقابل ذا الاربعة ) (6)

اما كتاب الهمز فقد قسم ابوابه الى ثلاثة اقسام هي : المهموز الفاء ثم المهموز العين ثم المهموز اللام . ورتب كل قسم من هذه الاقسام ناظرا الى الحرفين الآخرين غير الحرف المهموز ولذا رتب المهموز الفاء كما يلي : النوع الذي سئم فيه حرفاه الآخرين ( يقابل السالم ) ثم النوع الذي ضعف فيه حرفاه الآخرين ( يقابل المضاعف ) ثم النوع الذي اعتل فيه اول حرفيه ( يقابل ذا الثلاثة ) ثم النوع الذي اعتل فيه ثاني حرفيه ( يقابل ذا الاربعة ) . اما النوع الذي همزت فيه عينه او لامه ( مع همز الفاء ) او همزت فيه عينه ولامه فقد اهمله . وقد بحث عن سر ذلك ففتشت في «الصحاح» للجوهري فلم اجد فيه كلمة همزت فاؤها وعينها او عينها ولامها ووجدت كلمتين اثنتين همزت فيهما فاؤهما ولامهما وهما « اجأ » و « آء » فلعل هذا هو السر في ترك الفارابي لهذا النوع .

(6) هذه هي القسمة العقلية ولكنها قد تتخلف فلا ترد بعض هذه الاقسام . وقد خلا المثال بجميع ابوابه من النوع الثالث وهو المعتل الفاء والعين .

**سادسا :** ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك فى الوزن الواحد، رأى ترتيب الاوزان بحسب حرفها الاخير مع اولها ووسطها . فيبدأ بالكلمات التى اواخرها الباء ثم التاء ثم الاء ... الى آخر حروف الهجاء فاذا وجدت كلمات اتحدت اواخرهن كان التقديم لما اوله اسبق فى الترتيب الهجائي فاذا وجدت كلمات اتحدت اواخرهن واوائلهن كان التقديم لما وسطه اسبق فى الترتيب الهجائي .

وقد عدل فى ترتيب الفاظ المعتل اللام او المهموزها عن اعتبار الحرف الاخير لانه واحد فى جميعها واعتبر الحرف الذى قبله مع الحرف الاول (7)

**سابعا :** التزم فى المزيد تجريده من الزوائد وترتيبه بحسب اصوله .

**ثامنا :** كان فى كثير من الابواب ولاسيما فى شطر الافعال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن بعض الاحكام العامة المتعلقة بالباب كما سنفصل فيما بعد .

**تاسعا :** فى ابواب المعتل كان يفصل الواوي من اليائي ويقدم الاول منهما .

**عاشرا :** وضع مبادئ اخرى طبقها فى معجمه واهمها :

1 - تحقيق الایجاز باستبعاد الكلمات القياسية مثل « فعل » اذا كان جمعا لفعول (غفور) او فعيل ( قضيب ) او فعال ( كتاب ) ، ومثل « فعلة » من اسماء الالوان والعيوب كالحمرة والحذبة ، ومثل اسماء الزمان والمكان ومثل « افعل » للتفضيل و « الافعال » لتذكير « الفعلى » و « الفعلى » تانيث « الافعال » ومثل « فعل » حين تكون جمعا لافعل او فعلاء .

**ب -** يكتفى بذكر اسماء البلدان والادوية والجبال والمفاوز ما لم يوجد شيء يتعلق بها فيصرح به .

**ج -** اذا جاء فى معجمه فعل بلا مصدر فذلك يحتمل احد شيئين ، اما ان مصدره قياسي فهو داخل فيما صرح - فى مقدمته - باهماله ، واما انه لم ينقل له مصدر عن الثقة .

**د -** كشف عن مواضع اللعل بتقديم اخرى اللعل بالقبول واولاها بالذكر مع ترك سائر الاقاول فيها .

**لماذا اختار الفارابي هذا النظام ؟**

عاش الفارابي فى المائة الرابعة للهجرة واخرج معجمه فى قرن عرف بقرن المعاجم ، فيه ألف اكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة وفيه اخذ المعجم الصورة المألوفة لنا ، وفيه اتجه العلماء الى ترتيب الالفاظ ترتيبا هجائيا وبدأوا ينصرفون عن الترتيب الجارى على حسب المعاني .

ولذلك كان على من يفكر فى وضع معجم فى ذلك العصر ان يقلب المسألة فى رأسه أولا ، ويتردد طويلا قبل ان يقدم ، ويحاول ان يشق بنفسه طريقا جديدا ويرسم منهاجها فيه افادة وفيه ابتكار وجدة . وحينما قلب الفارابي المسألة فى رأسه ونظر فى معاجم السابقين واهتدى الى موطن الداء فيها اراد ان يؤلف معجما يفوق معجم السابقين ويتلافى اوجه النقص فيها فالف معجمه على هذا النظام الذى شرحناه معتقدا انه بلغ الهدف واصاب الغرض ، واهتدى الى تأليف لم يسبق اليه وسبق بتصنيف لم يراحم عليه ، ومفتخرا باحكام ترتيبه ووضع كل كلمة فى موضعها المناسب حتى يجدها الشادي بدون مشقة .

(7) هذا وجه خلاف بينه وبين الجوهري الذى لم يعدل عن اعتبار الحرف الاخير حتى فى المهموز والناقص . فكلمة « البدء » تذكر فى الصحاح قبل « الخبء » لانها عنده من باب الهمز فصل الباء والثانية من باب الهمز فصل الخاء . ولكنها تذكر بعد « الخبء » فى ديوان الادب لانها من باب الدال فصل الباء وكلمة « الخبء » من باب الباء فصل الخاء .

وفى رأيه ان هذا المنهج المركب الذى اختاره الفارابي كان نتيجة لعوامل عدة اشتركت فى خلقه وتكوينه . وهذه العوامل هي :

1 - اختار ترتيب الكلمات على الترتيب الهجائي المعروف ، ولم يذهب فى ذلك مذهب الخليل بن أحمد ولم يرتب ترتيبه « ميلا الى الاشهر ، لقرب متناوله ، وسهولة مأخذه على الخاصة والعامة » .

ولكن اذا كان الفارابي قد طرح نظام الخليل لصعوبته وبعد تناوله ، واختار الترتيب الهجائي المعروف ، فلماذا رتب الفاظه على حسب الحرف الاخير ولم يرتبها بحسب حروفها الاول ؟ اغاب عن ذهنه النظام الاخير ؟ أم تعمد اغفاله وفضل عليه النظام الذى سلكه ؟ لا اعتقد انه لم يظن الى الترتيب بحسب الاوائل فهو شيء يسرع الى الذهن وبخاصة ان من علماء اللغة السابقين له من عمل به ، مثل ابي عمرو الشيباني فى كتابه « الجيم » ، وان اكتفى بهذا فلم ينظر الى الحرف الثانى او الثالث للكلمة فكان يجمع الكلمات - ايا كانت - تحت حروفها الاول دون ضابط او نظام ، ومثل ابن دريد فى « الجهرة » الذى التزم فى ترتيبه اوائل الحروف . واذن فلم يبق الا الاحتمال الثانى . وهو انه قارن بين النظامين فى ذهنه ثم استبعد احدهما واختار الآخر . فما سر اختياره ؟ سبب ذلك فى رأيه هو الميل الى الابتكار وحس السبق وارادة التفرد بمنهج جديد والرغبة فى التأليف على نظام غير مالوف وهو مع ذلك لا يعدم فائدة ولا يخلو من نفع :

1 - فاذا صادف الباحث كلمة صعب عليه ان يعرف حروفها الاخير مثل اخ واخث ودم وسنة ... كان اسهل عليه الرجوع الى معجم مرتب بحسب اوائل الكلمات مثل الجهرة . واذا صادفته كلمة عجز عن معرفة اولها او سبق اولها بحروف مزيدة كان اسهل عليه الرجوع الى معجم بحسب اواخر الكلمات مثل : يعد - ميزان - اواصل ...

ب - فضلا عن ان هذا النظام ييسر على الشعراء والكتاب النظم والنثر فى عصر

كان قد شاع فيه السجع وفشت الحسنات البديعية والتزمت القوافي ، مع قلة الحصول اللغوي .

ج - ان لام الكلمة ثابتة لا تتغير « مهما اختلفت صورة الكلمة الا فى حالات قليلة - ومتى لحقها التفتير او زيد بعدها حرف او حرفان فان الكلمة تنتقل الى اوزان اخرى ولا تعتبر من الثلاثي ، بل تصير رباعية او خماسية » فى حين ان الفاء والعين لا تثبتان فى موضع ، فالترتيب على اوائل الحروف متيها للباحث الذى لا يعرف التصريف والمنجرد والمزيد (8).

2 - ويكشف لنا القاضي نشوان بن سعيد الحميري فى مقدمة كتابه « شمس العلوم » - وهو ممن تأثروا بالفارابي فى تنظيمه - عن عامل آخر املى هذا النظام وذلك فى قوله : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك كثيرا من الكتب ... فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات ، بأمثلة قدروها واوزان ذكروها ، ولم يأت أحد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رأيت ذلك ورأيت تصنيف الكتاب والقراء .. حملني ذلك على تصنيف بأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ، ويردها الى اصلها - جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا . فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والامثلة حارسة للحركات والشكل ... فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (9) وهذا يصدق أيضا على كتاب الفارابي .

3 - وقد كان فى ذهن الفارابي فكرة حققها فى معجمه ، وهي فكرة الجمع بين نوعين من المادة اللغوية فى مكان واحد ، النوع المسموع والنوع المقيس . اما النوع الاول فكان جل معجمه ، واما النوع الآخر فقد تحدث عنه فى مقدمته وفى الفصول

(8) مقدمة الصحاح ص 122

(9) ص 2

التي ذيل بها كثيرا من أبواب كتابه ، ولاسيما في شطر الأفعال . وبذلك وضع بين أيدينا المادة اللغوية كلها ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته .

4 - أما فصله الاسماء عن الأفعال فشيء ضروري ما دام قد رتب كتابه على أساس الإبنية ونظمه أبوابا بحسب التجرد والزيادة ، فإن حروف الزيادة ومواضعها تختلف في الاسماء عنها في الأفعال ، ولكل من الاسماء والأفعال إبنيته وأوزانه الخاصة به .

5 - وأما تقسيمه للكلمات من حيث الصحة والاعتلال والتضعيف والهمز فقد أراد منه إبراز خصائص كل نوع منها . فهناك أوزان جاءت على نوع من الكلمات دون نوع ، وهناك أبواب من الأفعال اختصت ببعض الأنواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر في طريقة الاشتقاق منه ، وهو ما حرص الفارابي على الحديث عنه والإفاضة فيه .

6 - والكتاب بعد هذا يوافق روح عصره ويمكس طابعه في البحث وطريقته في الدرس :

1 - ففي ذلك العصر كان العلماء قد فرغوا من جمع اللغة وحصرها ، وتوجه همهم إلى الإحصاء والتتبع ووضع ضوابط التقصي لتسهيل الإحاطة ويمكن التحدي في المسألة وحين المناظرة . وإن مساءلة الفارسي للمتنبّي عن عدد الجموع التي جاءت على وزن فعلى وإجابة المتنبّي على الفور : حجلى وظربى ... لخير دليل على ذلك (10) .

ب - كما أن انتهاء عصر الاستشهاد جعل العلماء يبحثون عن ميدان جديد يزاوون فيه نشاطهم غير ميدان الاستقراء والتقييد . ولذلك نجد البحث اللغوي

ينصرف إلى الانتفاع بالمادة اللغوية المسجلة ، ويحاول أن يخرج منها ببحوث طريفة أو بتنظيمها تنظيما جديدا . ولذا نشأ في هذا العصر فن المداخل أو المتداخل أو المسلسل ، وذلك بأن تذكر اللفظة ثم تفسر بلفظة ثانية وتفسر الثانية بثالثة والثالثة برابعة ... وهكذا ، وهو فن لم يعرف قبل القرن الرابع ، وأمامه أبو عمر الطرز البغدادي المتوفى سنة 345 هـ . ومن أمثلته : « القلس ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب .. والشراب الخمر والخمر الخير .. والخير الخيل والخيّل الظن والظن القسم .. » (11) ونجد عالما آخر يقسم كتابه إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد الحروف المناسبة لمنازل القمر ، ويورد في كل كتاب اثني عشر بابا بعدد شهور السنة وعدد البروج الاثني عشر (12) .

ج - كما كان لشيوع السجع والمحسنات البديعية في ذلك العصر وحاجة الأدباء والمتكلمين إلى الكلمات المتحدة الحرف الأخير أو التي على وزن خاص أو من نوع معين - كان لذلك أثره في ترتيب الكلمات هذا الترتيب . ففي القرن الرابع التزم الكتاب السجع في جميع الرسائل ولم يتحرروا منه إلا إلى الأزواج ، كما ظهر التكلف والتصنع في الشعر وانطلق الشعراء ينظمون قصائد كل حروفها معجمة أو مهملة أو مهموزة أو مما لا تنطبق معها الشفتان مما أحال الشعر إلى عمل لغوي صرف ، وإذا الشاعر يصنع صنيع عمال المطابع إذ يرصون الحروف بعضها إلى بعض فتتكون صناديق من الحروف والكلمات (13) . هذا كله إلى شدة

(10) علي النجدي مقال بعنوان « في النقد اللغوي » رسالة الإسلام .

(11) مقدمة « شجر الدر » ص 18 .

(12) مقدمة « دستور اللغة » .

(13) زكي مبارك : النشر الفني في القرن الرابع ص 106 ، 113 وضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 158 .

الشيء علانية ... وقد جاء على فعالة وليس من بنائه وهو من بناء الطبايع ( يعني فعل يفعل ) .. ويجيء على فعال وذلك قولك كسد كسادا .. وعلى فعال نحو كتب كتابا .. ويجيء على فعل وهو قليل عزيز وهو قولك خنق خنقا « (15) » .

2 - بيان النعوت من كل باب وذلك كقوله في باب « فعل يفعل » : « وما كان واقعا ( اي متعديا ) من هذا الباب فان نعته على فاعل مثل قدمت البلد فانا قادم ، وركبت الدابة فانا راكب . وربما جاء على فاعل وفعل مثل قولك حذر الامر فهو حاذر وحذر قال الشاعر :

حذر امورا لا تخاف وآمن  
ما ليس منجيه من الاقدار

وما كان غير واقع فان نعته في اكثر الكلام على فعل وربما جاء على فعل وفاعل مثل قولك لبث فهو لبث ولبث، قال الله تعالى: «لابئين فيها احقابا» . وقرا بعضهم : لبئين فيها .. وقد يأتي النعت من هذا الباب على فعيل وهو مثل قولك سلم فهو سليم .. وما كان من النعوت على معنى الجوع والمطش وما قاربهما او ضادهما فهو على فعلان مثل جوعان وشبعان وعطشان وريان ... وربما جاء النعت في هذا الباب على فعل مثل قولك شكس فهو شكس وششن كفه فهو ششن الكف .. قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير ششن كأنه  
أساريع ظبي او مساويك اسحل

وقد جاء بعض النعوت على فعل وفعل جيمعا ، قالوا عجل وعجل وحذر وحذر .. « (16) » .

3 - كيفية اخذ اسم الزمان والمكان والمصدر الميمي كقوله في باب « فعل يفعل » : « والمفعول اذا اريد الموضع مكسور . وهذا مذهب يفرده به هذا الباب من بين اخواته . وذلك ان المواضع والمصادر في غير هذا الباب يرد كلها الى فتح العين .. ولم يكسر شيء فيما سوى المكسور الا في حروف معدودة

المنافسة بين الكتاب والشعراء وحاجتهم الى البحث عن الالفاظ التي تتفق مع قوانينهم وملاحظتهم للغويين لمساعدتهم في ذلك (14) .

## البحث الثالث

### التذييلات

اتبع الفارابي كثيرا من ابواب الافعال بفصول تذييلية تناول فيها بالتفصيل أنواع المشتقات ، وتعرض لكثير من الاحكام التصريفية العامة . وكان غرضه من ذلك الجمع بين المادة اللغوية المجموعة والاخرى المقيسة وبذلك يضم معجمه اكبر قدر ممكن من الفاظ اللغة ، ما لا ضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته وكيفية اشتقاقه .

وكان تركيزه في هذه التذييلات على امور :

1 - بيان المصادر من كل باب كقوله في باب فعل يفعل : « والمصدر السالم ( يعني القياس ) في هذا ما كان على الفعل او الفعول ، الفعل للمتعدي في القياس والبناء والفعول لللازم ويتبادلان . وربما اجتمعا مثل قولك سنكت سنكتا وسكوتا .. وربما جاء المصدر من هذا الباب على فعل وهو قليل ، وعلى فعل وهو ايضا في القلة مثل الاول وهما من ابنية الاسماء .. ويجيء على فعل وليس من قياس مصادر هذا الباب .. وربما جاء على الفعال وهو من ابنية الاصوات والادواء وما قاربهما .. ويجيء على فعالة اذا كان كالولاية للشيء كما تقول كتب كتابة .. وفعلة قليلة وهي جنس من الفعل والحال التي يفعل عليها يعني اسم الهيئة ) واختلطت بالمصادر في بعض الكلام كقولك رقب رقة وفطن فطنة .. وكذلك الفعلة قليلة ، وهي من بناء المرة الواحدة ، وربما جاءت في موضع المصدر كقولك الرجفة والرحمة ... ويجيء على فعلان اذا كان معناه الحركة والذهاب والمجيء كقولك خفق القلب خفقانا ... ويجيء على فعلان وهو قليل في هذا نحو كتم كتماننا ... وفعالان جد قليل نحو بطل بطلانا . وقد جاء على فعيل وهو نزر جدا .. وفعالية قليلة كقولهم هلن

(14) المعجم العربي ص 176 ، 177 .

(15) ديوان الادب ورقة 133 ، 134 .

(16) ديوان الادب ورقة 165 ، 166 .



.. وهي المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمنبت والمفرق . وقد جاء في بعضها الفتح ايضا « (17) .

4 - كيفية اخذ فعل الامر وضبط الفه في كل باب كقوله في باب « فعل » : « الامر من هذا الباب كله بغير الف لتحرك الحرف الثاني في يفعل . وتحركه لمجاورته حرفا ساكنا وهو الحرف المدغم في مثله « (18) . وقوله في باب « فعل يفعل » : « والف الامر تضم من المضموم العين في المستقبل لانها الف وصل . وانما جلبت لسكون الفاء في يفعل ، وكانت هذه الالف لا حكم لها فاتبعت العين . وكسرت في باب يفعل فرقا بين الامر والخبر .. « (19) . وقوله في باب « فعل يفعل » مما اعتلت فاؤه ولامه : « الامر بهذا الباب قه بهاء تدخلها ، لان العرب لا تنطق بحرف واحد ، وذلك ان اقل ما يحتاج اليه للبناء حرفان : حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، لان الحرف الواحد لا يحتمل ابتداء ووقفا ، لان هذا حركة وهذا سكون وهما متضادان فلا يجتمعان . فاذا وصلته بشيء ذهب الهاء استغناء عنها « (20) .

5 - معاني صيغ الزوائد ، كقوله في باب « افعل » : « هذا الباب يأتي لوجوه كثيرة . من ذلك ان يأتي « افعل » بمعنى فعل سواء مثل قولك سعه الله واسعه ونبت البقل وانبت وانشد الفراء :

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم  
طينا لهم حتى اذا انبت البقل

اي نبت . ومن ذلك قراءة من قرأ : تنبت بالدهن . ويجوز ان تكون الباء زائدة ... ومنه ان يكون « افعل » مجاوزا فعل اذا كان لازما مثل قولك اقعده فقعده واجلسه فجلس . ومنه ان يكون « افعل » : جاء بذلك كقولك الام اي اتى بما يلام عليه وأخس اي اتى بخسيس . ومنه ان يكون « افعل » بمعنى حان

منه ذلك كقولهم ألبن الرجل أي كثر عنده اللبن واتمر أي كثر عنده التمر . ومنه ان يكون « افعل » أي صار ذلك في ابنة وغنمه واصحابه وأشباه ذلك ، كقولك : اقطف الرجل صارت دابته قطوفا واخبث الرجل صار اصحابه خبيثاء . ومنه ان يكون « افعل » الشيء بمعنى وجدته كذلك ، كقولك احدثت الرجل وحدته محمودا . ومنه ان يكون « افعل » لازم فعل كقولك فطرته فافطر وبشرته فابشر . ومنه ان يكون « افعل » الرجل صار الى ذلك كقولك اقهر الرجل أي صار الى حال يقهر عليها . ومنه ان يكون « افعل » مخالفا لفعل نحو افري الاديم قطعه على جهة الافساد وفراه قطعه على جهة الاصلاح . ومنه ان يكون « افعل » بمعنى فعل سواء نحو اخبر وخبر . ومنه ان يكون « افعل » على معنى لا يراد به شيء من هذه المعاني ، انما هو بناء على حياله نحو اشفق عليه والرح في المسألة .. « (21) .

6 - احكام تخص بعض الابواب دون بعض ومن ذلك :

1 - ذكره سر المخالفة بين حركات الماضي الثلاثي ومضارعه كقوله في باب « فعل يفعل » : « وذلك ان الماضي مخالف للمستقبل في المعنى فوجب المخالفة بينهما في بناء امثلهما . فلما فتحت العين في الصدر (أي الماضي) لزم ضمها او كسرهما في التلو ( اي المضارع ) ولم يجز فتحها الا ان يعتل الحرف ( يعني ان توجد في الحرف علة معينة وذلك ان يكون احد حروف الحلق ) . ولما كسرت في الصدر وجب فتحها او ضمها في التلو ، ولم يجز كسرهما . فاستعمل من هذين المذهبين احدهما واهمل الآخر لثقل

- (17) المرجع ورقة 148 .  
(18) المرجع ورقة 200 .  
(19) المرجع ورقة 133 .  
(20) المرجع ورقة 299 .  
(21) ديوان الادب ورقة 189 .

الضمة الا فى الشاذ مثل نعم ينعم  
وفضل يفضل .. » (22)

ب - ذكره السر فى اشتمال باب « فعل  
يفعل » على أحد حروف الحلق وذلك  
قوله :

« وهذا الباب ليس من دعائم الابواب لانه  
لا يصح الا ان يكون موضع العين منه او  
اللام احد حروف الحلق ، وهي العين  
والغين والهاء والحاء والخاء والهمزة ،  
وذلك ان هذه الحروف متسفلة الخارج  
فشابوا ذلك بشيء من التصعد ليعتدل  
الكلام . وهذا فى الاصل انما هو « يفعل »  
او « يفعل » ، فلما ألحقت هذه العلة رد  
الى الفتح » (23) .

ح - ذكره كثيرا من احكام الاعلال فى ابواب  
المثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة ،  
قوله فى باب « فعل يفعل » من المثال :  
« الامر من هذا الباب ايجل واصله بالواو  
فصارت ياء لكسر ما قبلها . ولم تحذف  
الواو فى هذا الباب لانها لم تقع بين ياء  
وكسرة ولا بين فتح وكسرة » (24) .

وقوله فى باب « فعل يفعل » من  
ذوات الثلاثة : « قال كان فى الاصل  
قول وبعضهم يقول قول ، ولكل مذهب  
تطرد عليه العلل ، فلما تحركت القاف  
سكنت الواو ، ثم جرتها فتحة القاف  
اليها فصارت الفا . فاذا قلت : يقول ،  
كان فى الاصل يقول على زنة يكتب الا ان  
الواو بنيت على السكون ، فلما سكنت  
نقلت حركتها الى القاف قبلها فحركت  
بحركتها لئلا يجتمع ساكنان . فاذا امرت  
قلت : قل وكان فى الاصل : اقول  
على زنة اكتب ، الا ان القاف لما حركت  
لتلك العلة سقطت الالف لان علة اجتلاب  
الالف سكون الحرف المبتدا . وسقطت  
الواو لاجتماع الساكنين ، لان اللام  
سكنت مع سكون الواو . فاذا ثنيت قلت :  
قولا ، فاعدت الواو الى موضعها لتحرك  
اللام ، وانما تحركت لمجاورتها الف  
التثنية . وكذلك امر الجميع والمؤنث  
ومثناه . حتى اذا صرت الى جمع المؤنث  
حذفت الواو لسكون اللام .. » (25) .

(22) المرجع ورقة 132 ، 133 . ولم يرض ابن جني باعتبار هذه الامثلة ونحوها من الشاذ وانما  
عدها من تداخل اللغات وتركبها ( الخصائص 1 / 375 ) وشرح ذلك بقوله : « فنعم فى الاصل  
ماضي ينعم وينعم فى الاصل مضارع نعم ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نعم لغة من  
يقول ينعم فحدثت هناك لغة ثالثة » ( الخصائص 1 / 378 )

(23) ديوان الادب ورقة 156 .  
وتعليل الفارابي هنا مخالفة لما قاله سيبويه فى الكتاب ( 2 / 252 ) . يقول سيبويه : « وانما  
فتحوا هذه الحروف لانها سفلت فى الحلق فكروها ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع  
من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي فى حيزها وهو الالف .. وكذلك حركوهن اذا كن  
مينات . ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء ( يعنى الضمة والكسرة ) لانها من الحروف  
التي ارتفعت . والحروف المرتفعة حيز على حدة . فانما نتناول للمرتفع حركة من مرتفع وكسرة  
ان يتناول للذى قد سفل حركة من هذا الحيز » . والعبارتان تتفقان فى ان حروف الحلق  
متسفلة الخارج وان هناك ملائمة بين الفتحة وهذه الحروف ولكنهما تختلفان فى تحديد هذه الملائمة .  
فالفارابي يرى انها نتيجة خلط المتسفل بالتصعد ، وسيبويه يرى انها نتيجة اتباع المتسفل بمثله .  
والدراسات الصوتية الحديثة توافقهما على وجود هذه الملائمة ولكنها تعللها بان وضع اللسان مع  
الفتحة يتلخص فى انه يبلغ اقصى ما يمكن ان يصل اليه فى قاع الفم مما يوسع الفراغ بين  
اللسان والحنك . وهذا انوضع يناسب احرف الحلق لانها ليس لها نقطة التقاء فى الفم فيناسبها  
المجرى المتسع . ( انظر الدكتور ابراهيم انيس : من اسرار الننة ص 33 والاصوات اللغوية ص 37 )

(24) ديوان الادب ورقة 300 .

(25) ديوان الادب و 334 .

## ( تعقيب )

أهم ما نخرج به من هذه التذييلات :

1 - دلالتها على عقلية الفارابي الجدلة ومهارته في الاستدلال ولباقته في التخريج وحسن تعليله للأحكام وفقهه للغة العرب ووقوفه على أسرار تصريفاتها ، كقوله في باب فعل يفعل من المثال : « الأمر من هذا الباب : عد بحذف الواو لان الأمر أبدا يبنى على المستقبل وكان المستقبل منه حذفت واؤه . واختلفوا في علة حذفها فقال بعضهم حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانسان والواو مضادتهما . فان قال قائل فهذه قد حذفت اذا وقعت بين ياء وكسرة فما بالها تحذف اذا وقعت بين تاء وكسرة او الف وكسرة او نون وكسرة - قيل له : هذه الثلاث مبدلة من الياء ، والياء هي الاصل . والدليل على هذا الحكم ان فعلت وفعلنا مبنيات على فعل .

« وقال غير هؤلاء انما حذفت الواو ليكون ذلك فارقا بين ما يقع وبين ما لا يقع . فما وقع كان بحذف الواو ، وما لم يقع كان باثباتها .. فان قال قائل : كيف خص الواقع منهما بحذف الواو قيل لان المفعول من تمام الكلام متصل بالحديث فصارت هذه الكلمة اولى بالحذف لطولها .

« وقال غيرهم حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ، فيدخل على القائل بهذا انه يقال موقع وموضع وموعده وما أشبه ذلك .. فله ان يخرج بان يقول ان هذا في الاسماء ، وحكم الاسماء خلاف حكم الافعال لخفة الاسماء وثقل الافعال ، وكانت الاسماء لختها تحتمل ما لا تحتمله الافعال لثقلها . » (26)

2 - تكشف هذه التذييلات - بالاضافة الى المقدمة - عن مكانة الفارابي اللغوية وتبين عن غزارة محفوظاته ووفرة محصوله وسعة اطلاعه على لغة العرب وتمكنه من ناصيتها . وانت تلمس ذلك بوضوح في استقصائه لآوجه ما يعرض له من

القضايا ، وفي تلك الاحكام الحاسمة الجازمة التي يقرر بها ان العرب تستعمل هذا اللفظ ولا تستعمله ، او ان مشهوري الثقة حكوا ذلك البناء او لم يحكوه ، او ان هذا البناء مستعار من بناء آخر ، او انه خاص بالاسماء .. او نحو ذلك . انظر مثلا الى قوله في باب فعل يفعل : وبناء مصدر هذا الباب مقصور على ثلاث صور : فعالة وفعولة وفعل نحو : خطب خطابة وجعد جعودة وعظم عظما . فاما غيرهن فبناء غيره اختلط به ودخل فيه واستعير له وذلك نحو كرم كرما ، استعير له الفعل من فعل يفعل . ودخل في هذا الباب بعض امثلة الاسماء كما دخل في غيره وذلك مثل قولك جمل جمالا وسخو سخاء ... » (27)

وقوله في باب فعل يفعل من المثال : « يقال وجد يجد ، وهذه نتيجة لا اخت لها ، وهي مع ذلك لغة عامر وحدها » . (28) .

وقوله : « لا يكون في الكلام مفعول الا حرفين في قول الكسائي : مكرم ومعون » (29) .

وقوله : « واصل ضيزى . بالضم ، لانها نعت والنعت لا يكون على فعلى وانما فعلى من اينية الاسماء مثل الشعرى » (30) .

وقوله : « ليس في كلام العرب فعلاء يجمع على فعال غير نفساء وعشراء » (31) .

3 - اشتمالها - هي والمقدمة - على كثير من النظريات اللغوية ومنها ما لا يزال معترفا به حتى الآن ، كنظرية « التوهم » او ما يصرف الآن باسم القياس الخاطيء False analogy

ومن ذلك قوله في باب الافتعال من المثال كالاتزان « وقد بنيت على هذا الادغام اسماء من المثال توها ان التاء اصلية ، لان هذا الادغام لا يجوز

(26) ديوان الادب ورقة 298 ، 299

(27) المرجع ورقة 171 ، 172

(28) ديوان الادب ورقة 296 .

(29) المرجع ورقة 322 .

(30) المرجع ورقة 329 .

(31) المرجع ورقة 98 .

تحذف ، والاصلي احق بالحذف لاجتماع الساكنين .. » (34)

ج - ومن ذلك تركه عد همزة الوصل من حروف الزيادة - بخلاف السابقين - فاستفعل عنده مزيدة بالسین والتاء وافتعل مزيدة بالتاء وانفعل مزيدة بالنون .

وهذا سليم جدا لان الالف هاهنا ليست من حروف المعاني ، وانما جيء بها للتوصل الى النطق بالساكن ، دون ان يكون لها اثر في معنى الصيغة . ومما يدل على تفضله لذلك وقصده اليه قصدا انه عد الف المفاعلة من حروف الزيادة . وهذا عين الصواب ، لانها زيادة تؤثر في معنى الصيغة ، فلا بد من عدها وادخالها في الاعتبار (35) .

5 - وبخصوص حديثه عن معاني صيغ الزوائد نلاحظ انه توصل الى اشياء تحسب له وتعد من محاسنه منها :

1 - انه اهتم الى معان لم اجدها عند السابقين ، وقد ساعده على ذلك ترتيب معجمه . ومن ذلك ان صيغة « استفعل » تأتي لمعان عدة ذكرها سيبيويه في « الكتاب » وابن قتيبة في « ادب الكاتب » والمبرد في « المقتضب » وقد اضاف اليها الفارابي ورودها بمعنى ان منه ذلك مثل استرقع الثوب واستحفر النهر واستحصد الزرع (36) . كما انه ذكر لصيغة « انفعل » اربعة استعمالات وهي:

1 - استعمالها مطاوعة لفعل وهو الاصل

2 - استعمالها موافقة لفعل نحو همل الدمع وانهمل .

اظهاره في حال . فمن تلك الاسماء التهمة والتجاه والتراث والتقوى والتكلى والتكلى والتكلى (32)

ومن ذلك ايضا حديثه عن نظرية المخالفة بين حركتي الماضي والمضارع في الثلاثي المجرد كما سبق الحديث عنها .

4 - ظهور شخصيته فيها واهتدائه الى حقائق غابت عن ذهن السابقين وتعبيره عن رايه الخاص في كثير من الاحيان :

1 - كقوله بعد ان ذكر اسماء للمكان جاءت على مفعول مع ان مضارعها مفتوح او مضموم : « ونرى انه انما جاءت هذه الحروف بالكسر لانها كانت في الاصل على لفتين فبنيت هذه الاسماء على احدي اللفتين ، ثم اميتت تلك اللفة وبقي ما بني منها كهيئته . والعرب قد تميت الشيء حتى يكون مهمل لا يجوز ان ينطق به .. والعرب تقول احزنني هذا الشيء فاذا صاروا الى المستقبل قالوا : يحزنني ، قال الله تعالى : « ولا يحزنك قولهم » ... وعمل هذا على انه كان في الاصل احزن يحزن وحزن يحزن بمعنى واحد كما قالوا سلكته واسلكته وسحته الله واسحته بمعنى ، فاخذوا من هذا الصدر ومن هذا العجز واماتوا الآخرين » (33)

ب - وقوله : « واختلفوا في ياء مخيطة ، فقال بعضهم انها الياء الاصلية والذي حذف واو مفعول ليعرف الواوي من اليائي . وقال آخرون انها واو مفعول قلبت ياء والذي حذف الياء الاصلية وهذا هو القول ، لان الواو مزيدة للبناء ولا ينبغي لها ان

(32) المرجع ورقة 306 . ومن امثلة التوهم الاخرى في اللغة العربية منع « اشياء » من الصرف واشتقاق « تمسكن » من المسكين على توهم اصاله الميم . وتوجد له كذلك امثلة كثيرة في اللغات الاخرى . انظر « محاضرات في علم اللغة » للمؤلف ص 130 .

(33) ديوان الادب ورقة 148 .

(34) ديوان الادب ورقة 337 .

(35) استفدت في كتابة هذه الفكرة من رسالة الدكتوراه للدكتور محمد سالم الجرح المحفوظة بمكتبة جامعة لندن بعنوان The "Ta" Infix and prefix in Arabic Verbal forms الفصل الاول .

(36) ديوان الادب ورقة 215 .

3 - استعمالها مطاوعة لافعل نحو  
أزعمه فانزعج .

4 - استعمالها دون ان يكون لها فعل  
متعد نحو انسرب الثعلب فى  
جحره (37) .

ولم يتحدث ابن قتيبة عن هذه الصيغة ، وذكر  
لها سيبويه استعمالا واحدا (38) .

ولكننا نأخذ عليه هنا انه لم يتحرر كلية من  
تبعية السابقين فكان فى معظم ما ذكره من معاني هذه  
الصيغ ناقلا او متبعا ، وقد كان فى امكانه بعد ان  
رتب المادة اللغوية ترتيبا جديدا ان يستقل بالاجتهاد  
ويحاول ان يدرس الصيغ صيغة ويرتب معانيها  
بحسب كثرة ورودها ترتيبا تنازليا ولكنه لم  
يفعل .

#### قيمة ديوان الادب فى نظر القدماء :

عرف القدماء قيمة ديوان الادب وكانت له بينهم  
منزلة سامية . وقد استفاد منه الكثيرون ، واتخذوه  
مصدرا من مصادرهم ، من هؤلاء «الشمالي» فى «فقه  
اللسان» و«الساغاني» فى «المعاني» وفى «التكملة»  
و«السيوطي» فى كتابيه «المزهر» و«القول المجمل» فى  
الرد على المهمل» و«ابن مالك» فى «اكمال الاعلام»  
بتثليث الكلام» و«ابن الطيب الفاسي» فى «اضاءة  
الراموس» و«الفيومي» فى «المصباح المنير»  
وغيرهم .

كما أثنى عليه العلماء ووصفوه بأرفع الصفات .  
فسموه «الجامع لديوان الادب» ووصفوه بأنه «ميزان  
اللسان ومعيار العربية» وقال عنه ياقوت «المشهور  
اسمه الذائع ذكره» (39) ، وكان ابو العلاء يحفظه  
عن ظهر قلب وهو الذى اكمله لاحد الادباء اليمنيين  
حينما عثر على جزء منه وأعجبه جمعه وترتيبه (40) .  
وحينما دخل الكتاب اليمن لاقى من أهله عناية كبيرة ،  
وانكبوا عليه يقرأونه وينسخونه ويتكلمون على  
فوائده (41) .

وقد تداوله الباحثون منذ صدره واحتفلوا به  
واخذوا يقرأونه على العلماء ويتناولونه بالدرس  
والشرح . فقرأه الجوهري على مؤلفه بفاراب (42)  
ثم أعاد قراءته على أبي السرى محمد بن ابراهيم  
الاصبهاني بأصبهان (43) ثم عرضه على أستاذه أبي  
سعيد السيرافي ببغداد فقبله ولم ينكره فصار عنده  
من صحاح اللغة (44) . وقرا الحاكم بعضه على أبي  
يعقوب يوسف ابن محمد بن ابراهيم الفرغاني الذى  
قرأه كله على أبي علي الحسن بن علي بن سعد  
الزامليني الذى قرأه على الفارابي (45) . وقرأه ابو  
سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز من  
أوله الى آخره على الجوهري وصححه له (46) .  
وقراء على أبي سعد وصححه عرضا بنسخته ابو  
يوسف يعقوب بن أحمد وفرغ منه فى ذي القعدة  
سنة 429 (47) وقرأه على يعقوب ولداه علي  
والحسن . وأعاد الحسن قراءته على والده قراءة  
بحث واستقصاء من أوله الى آخره بما على حواشيه  
من الفوائد ، وشرح الايات فى شهر سنة 463 (48) .

(37) المرجع ورقة 213 .

(38) الكتاب 2 / 238 .

(39) معجم الادباء 6 / 62 .

(40) القفطي فى انباء الرواة 1 / 52 .

(41) المرجع 1 / 53 .

(42) معجم الادباء 6 / 63 .

(43) المرجع والصفحة .

(44) المرجع والصفحة .

(45) المرجع 6 / 63 - 64 .

(46) المرجع 6 / 64 .

(47) المرجع السابق .

(48) نفس المرجع .

ورواه شيخ الاسلام الشوكاني ( محمد بن علي 1172 - 1250 هـ ) عن شيوخه وذكر اسناده في كتابه « اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر » حتى وصل به الى الجوهري صاحب الصحاح الذي رواه بدوره عن المؤلف (49) .

- كما مدحه كثير من الشعراء فقال احدهم :

كتاب ديوان الادب  
احلى جنى من الضرب

حاضر من يحفظه  
خمول ذكر او نسب

يرفعه كتابنا  
اعلى الاعالي والحسب

الفه الشيخ الذي  
اضحى اماما فى الادب

واعترف الناس له  
بالفضل الا من كذب (50)

وقال القاضي نشوان بن سعيد الحميري :

نعم الكتاب كتاب ديوان الادب  
نعم الذخيرة فهمه والمكتسب

فى كل باب منه كنز دونه  
كنز اللجين ودونه كنز الذهب

ناهيك من علم شريف قدره  
يسمو بصاحبه الى اعلى الرتب

كل العلوم بها اليه خصاصة  
فى القصد والتوجيه منها والخطب

يا دفترنا جمع المحاسن كلها  
وغدا له فضل على كل الكتب

فهو المولى فى السهام اذا اعتزى  
وهو المجلي فى الجياد اذا انتسب

واذا جرت كتب الانام الى مدى  
فالسبق خالصه لديوان الادب

روض من الاداب اصبح ضائعا  
فى معشر عجم تعد من العرب

لا عيب فيه غير ان لبابه  
اضحى غريبا فى زمان مؤتشب (51)

### ديوان الادب فى الميزان :

كان ديوان الادب فتحا جديدا فى تاريخ المعاجم العربية ، ودفعة موفقة الى الامام فى ميدان البحث اللغوي . وترجع قيمته الى ما ياتي :

1 - ترتيب كلماته على الترتيب الهجائي المعروف وسيره على نظام الباب والفصل . وهو اول معجم سلك هذا النظام واخذه عنه اصحاب المعاجم من بعده وعلى راسهم تلميذه وابن اخته « الجوهري » صاحب الصحاح . ومع ذلك نجد هذه الطريقة تنسب للجوهري ونجد الباحثين يضعونه على رأس مدرسة الباب والفصل . ولو انصف الناس واعترفوا بالفضل لذويه لردوه للفارابي وجعلوه هو صاحب هذه المدرسة . وقد كان المعجميون قبل ذلك يتبعون نظام الخليل فى العين ، فجاء الفارابي واختار الترتيب الهجائي العادي « ميلا الى الاشهر لقرب متناوله وسهولة ماخذه على الخاصة والعامة » (52) .

2 - انه اول معجم عربي جامع اتبع نظام الابنية فى ترتيب الالفاظ . ولم يأخذ التأليف فى الابنية قبل الفارابي صورة المعجم الكامل الذى يتجه الى حصر المادة اللغوية وتوزيعها على الابنية فى نظام معين ، وانما اتجه بعض اللغويين الى حصر الابنية والتمثيل لها ، واتجه بعض آخر الى العناية ببعض الابنية ومحاولة حصر الفاظ كلي . اي ان عملهم جميعا كان فاقدا لاهم عنصرين من عناصر المعجم الكامل وهما الشمول والترتيب .

وميزة الترتيب على الابنية قد كشفنا عنها فيما قبل .

(49) ورقة 37 .

(50) ديوان الادب نسخة رقم 344 لفة - دار الكتب المصرية - آخر الجزء الثاني .

(51) المرجع السابق - صدر الجزء الاول .

(52) ديوان الادب ورقة 7 .



3 - طرحه نظام التقاليب الذي بداه الخليل واقتفى اثره اللغويون من بعده . وبذلك فتح الباب امام المعاجم العربية لتتخلص من طفيان شخصية الخليل وتكف عن الدوران في فلك نظامه وتبحث لها من نظام آخر اكثر بساطة واقل تعقيدا .

4 - منهج الكتاب منهج مبتكر ناضج قليل التأثير بالسابقين . وقد افتخر المؤلف في مقدمة معجمه كما سبق ان ذكرنا . كما انه حقق الدقة والنظام الى درجة كبيرة مما حدا بالمؤلف الى الادلال بنفسه في المقدمة .

5 - تركه للمقيس من الفاظ اللغة اكتفاء بذكر قاعدته في المقدمة وفي الفصول التذييلية . وبهذا اطرح كثيرا من الالفاظ القياسية التي تزحم المعجم دون فائدة تذكر ، وامكن ان يجمع فيه - مع صفر حجمه - كثيرا من المادة اللغوية .

6 - تخليصه الواوي من اليائي وافراده بالذكر كل واحد منهما . وقد افتخر الفيروزابادي في مقدمة « القاموس المحيط » بصنيع مثل هذا فقال « ومن احسن ما اختص به هذا الكتاب تخليص الواو من الباء وذلك قسم يصم المصنفين بالعمي والعمياء » .

7 - ترتيب المعجم على نظام الابنية وجمع الكلمات التي على شاكثة واحدة في صعيد واحد يفيد الصرفيين كثيرا ويطلعنا على خصائص الاوزان، وما يفيد كل بناء من الابنية ، كوزن « فعال » الذي يفيد الزيادة والكثرة ، فشيء عجاب اي عجب جدا والظراف (بالضم) اظرف من الظريف، والجمال اجل من الجميل والكرام اكرم من الكريم والحسان احسن من الحسن (53) . وكصيفة « فعيّل » التي تدل على الملازمة والمبالغة في الشيء، فالشرب المولع بالشرب والزميت اشد من الزميت والسكيت الدائم السكوت والصميت الدائم الصمات والمريح الشديد المرح والجبير الشديد التجبر والخمير الدائم الشرب للخمر والسكير الدائم السكر والفخير الكثير الفخر والنطيس الطبيب العالم بالطب والصريع

الكثير الصرع لاقرانه اذا صارع والفسيق الدائم الفسق والظنيم الكثير الظلم .. (54) . كما يقفنا على معاني صيغ الزوائد كافعل وفاعل وفعل واستفعل .. الخ .

8 - فصله بين السالم والمضاعف وانواع المعتل والمهموز يفيد الباحث اللغوي ويهديه الى خصائص كل نوع . فهناك اوزان جاءت في نوع من الكلمات دون نوع وهناك ابواب من الافعال اختصت ببعض الانواع دون بعض ، فضلا عن اختلاف كل نوع عن الآخر في طريقة الاشتقاق منه .

9 - كذلك فان فصله بين قسمي الاسماء والافعال وافراد ابنية كل نوع بالحديث يهدينا الى خصائص كل قسم . فحروف الزيادة ومواضعها تختلف في الاسماء عنها في الافعال ، ولكل منهما ابنيته واوزانه الخاصة به .

10 - من عيوب المعاجم انها كثيرا ما تهمل النص على باب الفعل الثلاثي مما يوقع الباحث في حيرة . وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الافعال على ابوابها . فليس في معجمه فعل واحد لم يرد الى بابيه . ومن امثلة ذلك قول الجوهري : « وقلبت القوم كما تقول صرفت الصبيان .. وقلبتني اي اصببت قلبه .. وقلبت النخلة اي نزعنت قلبها وقلبت البسرة اذا احمرت » ولم يذكر الباب . وقد ذكرها الفارابي في باب فعل يفعل (55) .

ومع ذلك لم يخل الكتاب من عيوب ، بعضها يختص بالمنهج ، وبعضها بتطبيقه ، وبعضها بالمادة اللغوية . وسنتناول في ايجاز شديد هذه المآخذ على هذا النحو من الترتيب .

#### 1 - اما عيوب المنهج فاهمها :

1 - منهج الكتاب معقد بشكل يرهق الباحث ويسبب له المشقة والعنت حتى يصل الى الكلمة التي يريد بها . فهو منهج لا

(53) المرجع ورقة 69 .

(54) ديوان الادب ورقة 70 .

(55) المرجع ورقة 135 .

يسعف الباحث المتعجل الذي يريد ان يكشف عن معنى كلمة فحسب لا ان يوازن بين الابنية ويكتنه خصائص كل منها.

ب - ارغمت هذه الخطة المؤلف على تمزيق الصيغ التي ترجع الى مادة واحدة ، وتوزيعها على ابواب مختلفة بحسب اوزانها ، وبذلك حرم الباحث من اخذ صورة كاملة للمادة التي يبحثها والدلالات التي تدل عليها ، الا اذا قام برحلة طويلة بحثا وراء هذه الصيغ في ابواب المعجم وكتبه . فهو يخدم الصرفيين ويمدهم بذخيرة وافرة من الالفاظ المتجانسة يستطيعون منها ان يستمدوا ما يريدون من الجانب الصرفي ولكنه لا يخدم الباحث اللغوي الذي يبحث عن الدلالة وينظر الى المادة اللغوية كلها نظرة عامة شاملة ويعقد الصلات بين صيغ المادة الواحدة ويردها كلها الى اصل واحد .

ج - اساس الاستفادة من هذا المعجم معرفة ضبط الكلمة اولا . ولهذا فهو يصلح لمن يريد ان يقف على معنى كلمة يعرف ضبطها ولكنه لا يصلح لمن اراد ان يقف على ضبط كلمة يعرف مدلولها .

3 - واما عيوب تطبيق المنهج فاهمها :

1 - اضطرابه في ترتيب الكلمات التي اجتمعت فيها صفتان كان تكون مضاعفا ومثالا معا مثل « وج » او مضاعفا ومهموزا مثل « اب » او مثالا ومهموزا مثل « وال » او مهموزا ومن ذوات الاربعة مثل « اتو » او مهموزا ومن ذوات الثلاثة مثل « اوب » .

ب - ذكره اشياء قياسية ذكر في مقدمة معجمه انه لن يذكرها مثل « طلحة واحدة الطلح » و « الثمر جمع ثمرة » و « جوع جمع جائع » و « الملحة واحدة الملح » ... وغير ذلك .

ج - عدم افراده بابا للمبني للمجهول وتوزيع ما ورد منه على الابواب فمن ذلك وضعه

«سقط في يده» في باب فعل يفعل  
و«جندت الارض» في باب فعل يفعل .

د - عدم افراده بابا للحروف ووضعه لها في ابواب الاسماء مثل قوله في باب « فعل الناقص » : « خلا حرف يخفض ما بعده » ، وفي باب « فعل » : « رب حرف خافض لا يقع الا على نكرة » ، و « ثم حرف من حروف النسق مثل الفاء الا ان الفاء تصل وثم تراخي » .

هـ - وقوعه في التكرار ووضعه الكلمة في اكثر من موضع . مثال ذلك انه عقد بابا لما جاء على وزن « مفعول » مثل مفعور ومفعود ومنخور ، ثم عاد فمقد بابا آخر تحت اسم « ومما جاء على مفعول بضم الميم شبه بفعول » وضع تحتها الكلمات السابقة .

و - وضعه الكلمة في غير موضعها مثل وضعه في السالم كلمة « تخمة » وحقها ان توضع في المثال لانها مبدلة من « وخمة » ، ووضع « التراث » في فعال السالم مع نصه على ان اصله وراث .

3 - واما ماخذ المادة اللغوية فاهمها :

1 - خطؤه في النقل كقوله : وهي الكنيسة للنصارى . والصحيح كما في « التكملة » للساغاني و « تهذيب اللغة » للزهري ان الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى .

ب - خطؤه في الضبط كقوله : القليس بناء كان ابرهة بناء باليمن . والذي في كتب اللغة القليس بالتشديد (انظر الصحاح واللسان والجمهرة) .

ج - تصحيفه بعض الكلمات كقوله : القترد الرجل الكثير الغنم . والصواب بالشاء المثناة كما صرح به ابو عمرو وابن الاعرابي وغيرهما ( انظر القاموس المحيط )

د - شرحه بعض الكلمات شرحا معيبا كقوله : « الخلع ما يجعل في القرف » والمباراة غامضة وعبارة الصحاح اوضح وهي

ديوان الادب وزاد في ابوابه وأخرجه في عشرة مجلدات ضخمة (57) .

2 - الاستفادة به في جمع المادة النغوية ، وقد شمل ذلك معظم ما جاء بعده من مؤلفات لغوية وقد سبق ان ذكرنا بعض هذه الكتب التي صرح اصحابها بنقلهم عن الفارابي . ولكن التأثير واضح في معجم منها هو « الصحاح » للجوهري . وهو تأثر لم يقف عند حد المادة اللغوية بل تعداه الى النظام كذلك (58) .

3 - التأثير بمنهجه . وهذا النوع كثير كذلك . ومن اشهر من تأثروا به « الزوزني » في كتابه « المصادر » كما صرح بذلك في مقدمة كتابه وكما هو واضح من مقارنة الكتاب بقسم الافعال من « ديوان الادب » . وكذلك ممن تأثروا به « بوجعفر » في كتابه « تاج المصادر » وقد صرح بتأثره هذا وينقله عن الفارابي في اكثر من موضع من كتابه (59) . كذلك تأثر به اثنان من اصحاب المعاجم الكاملة للابنية وهما القاضي نشوان بن سعيد الحميري والكاشفري كما سنتحدث فيما بعد .

« الخلع لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل في القرف » ( القرف نوع من الاوعية ) . وقوله «الكلف لون بين السواد والحمرة» والتعبير غير دقيق وصحته « الكلفة » . وقوله : « حسب الرجل صار حسيبا » وفي التعريف دور . ومثله قوله : « الوارس في الطعام مثل الواغل في الشراب » ثم قوله « الواغل في الشراب مثل الوارس في الطعام » .

### التأثرون بديوان الادب :

اثر ديوان الادب فيما جاء بعده من كتب اللغة . وقد اخذ هذا التأثير اتجاهات ثلاثة هي :

1 - اختصاره او تأليف الشروح عليه . ولم يصلنا من هذا النوع شيء ، وانما حفظت لنا كتب التراجم اسمي عالين قاما بها احدهما الحسن بن المظفر الذي ألف « تهذيب ديوان الادب » (56) . والآخر محمد بن جعفر بن محمد الفوري الذي اخذ

(56) قال عنه ياقوت : اديب شاعر مصنف .. مؤدب أهل خوارزم في عصره وشاعرهم ومقدمهم والمشار اليه منهم . مات في 14 رمضان سنة 442 هـ ( معجم الادباء 9 / 191 ، 192 )

(57) قال عنه ياقوت : احداثة اللغة المشهورين والاعلام في اللسان المذكورين . صنف كتاب ديوان الادب في عشرة اجلد ضخمة . اخذ كتاب ابي ابراهيم اسحق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد في ابوابه وأبرزه في ابهى اثوابه فصار أولى به منه لانه هذب وانتقاء وزاد فيه ما زينه وحلاه . ولا نعرف سنة وفاته ( 18 / 104 ، 105 )

(58) كان كرتكو اول من تنبه الى ذلك حيث قال : « ان الجوهري لم يكتف بان هب من ديوان الادب بل وجدت - قدر ما استطعت الاستقراء والمقابلة - ان الصحاح لا يحتوي على أي شيء لا يوجد في ديوان الادب » ( انظر The Beginnings of Arabic Lexicography مقال بملحق مجلة J.R.A.S. سنة 1924 . ) ولكن الاستاذ المطار ( مقدمة الصحاح ص 81 ، 82 ) لا يوافق على هذا ويقول : « ولقد اسرف الاستاذ كرتكو في دعواه ولا سند له . فديوان الادب وصحاح الجوهري موجودان والفارق بين المعجمين كبير » . وقد قمنا بدراسة تفصيلية مقارنة بين المعجمين ربما تمكنا من نشرها قريبا . وخلصنا من ذلك الى ما يأتي :

1 - ان الجوهري اخذ نظام الباب والفصل عن خاله الفارابي .  
ب - اشتراك ديوان الادب والصحاح في كثير من الاشياء مثل الشواهد والرواية وحتى الاخطاء اللغوية بل اننا نجد احيانا ان اللفظ هو اللفظ والشرح هو الشرح .  
ج - ان الصحاح اوسع مادة من ديوان الادب وفيه زيادات كثيرة . ولو ان كرتكو عكس القضية وقال : « ليس في ديوان الادب شيء الا نجده في الصحاح » لكان اقرب الى الصواب .

(59) نقل عنه في باب « فعل يفعل » وباب « فعل يفعل » وباب « افعل » .

## 2 - ديوان لغات الترك للكاشفري (60)

الكتاب معجم يشرح الالفاظ التركبة بعبارة عربية . ووجه الشبه واضح تمام الوضوح بينه وبين ديوان الادب في الترتيب وان لم يشر المؤلف الى ذلك، ولم يذكر اسم الفارابي . وليس بينهما من الاختلاف الا اختلاف تقتضيه طبيعة كل من اللغتين . ويمكن ان تلمس التأثير واضحا منذ النظرة الاولى حين تقرا في مقدمة الكتاب ( وهي باللغة العربية ) بضعة اسطر . فالمقدمة تكاد تكون هي المقدمة ، وهناك الفاظ بعينها وردت في المقدمتين . والمنهج في الترتيب هو المنهج لا يختلفان الا في اشياء يسيرة فرضها الاختلاف بين اللغتين وحتمتها طبيعة كل منهما . واليكم الان موازنة بين الكتابين ليتضح مدى تطابقهما :

### 1 - المقدمة :

#### ديوان الادب

- 1 - بداها بحمد الله والصلاة على رسوله وآله اجمعين
- 2 - ألف كتابه للشيخ أبي الحسن أحمد بن منصور ولأولاده ولجماعة المسلمين .
- 3 - قال الفارابي : رتب كل كلمة فجعلتها اولى بموضعها مما يقدمها او يعقبها ليجدها المرتاد لها في بقعة بعينها رابضة من غير نص مطية او اذآب نفس .
- 4 - قال الفارابي : جعلته ستة كتب ..
- 5 - قال الفارابي : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدمت الاسماء في امثلتها وأبوابها على الافعال ثم تلوتها بالافعال مبوبة على مراتبها ومدارجها مقدما الاحق فالاحق منها
- 6 - نبتدي بالاسماء التي في اواخرها الباء ثم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجم
- 7 - لم نذهب في ذلك. مذهب الخليل بن احمد ولم نرتب ترتيبه ميلا الى الاشهر لقرب تناوله وسهولة ماخذه على الخاصة والعامة .
- 8 - نص الفارابي على انه ذكر في كتابه ما ورد في قرآن او سنة او حديث او شعر او رجز او حكمة او سجع او مثل او نادرة .
- 9 - قال الفارابي « مشتملا على تأليف لم اسبق اليه ، وسابقا بتصنيف لم ازاحم عليه » .
- 10 - أبنت عن مواضع العلل بعلل شرحتها واوضحتها .

#### ديوان لغات الترك

- 1 - بداها كذلك وان اختلفت الفاظه عن الفاظ الفارابي
- 2 - ألف كتابه برسم الحضرة المقدسة .. سيدنا ومولانا أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله
- 3 - قال الكاشفري : انخت كل كلمة في محلها وانقضتها من عددائها ليصادفها في مبركها طالبا ويرصدها في مسلکها راغبها .
- 4 - قال الكاشفري : حصرت هذه اللغة بأسرها في ثمانية كتب ..
- 5 - قال الكاشفري : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شريحين اسماء وافعالا ، وقدمت الاسماء على الافعال ثم ففوتها بالافعال مبوبة على مراتبها الاولى فالاولى
- 6 - وضعته مرتبا على ولاء حروف المعجم
- 7 - ولقد تخالجت في صدي ان ابني الكتاب كما بنى الخليل كتاب العين واذكر المستعمل والمهمل فكانت تلك الطريقة اوعب .. الا ان هذا البناء اصوب لما ان ماخذه اقرب . فملت الى هذا الترتيب طلبا للتخفيف وتقصيرا للتأليف
- 8 - نص الكاشفري على انه وشح كتابه بحكمة او سجع او مثل او شعر او رجز او نثر .
- 9 - قال الكاشفري « برزت بتصنيف لم اسبق اليه وتأليف لم يوقف عليه »
- 10 - ادرجت الاصول بعلل اوضحتها واقيسة فيها اقترحتها .

(60) هو محمود بن الحسين بن محمد الكاشفري من اهل كاشغر على حدود الصين ، توفي سنة 466هـ ( الاعلام للزركلي )

## ديوان الادب

- 11 - استشهدت بالاشعار الصحيحة الماثورة عن العظماء .
- 12 - قال الفارابي : « والمثل ما تراضاه الخاصة والعامة .. واستدروا به المتنوع من الدر وتفرجوا به عن الكرب المكزنة وهي من ابلغ الحكمة » .
- 13 - تحدث الفارابي عن منتهى الابنية في اللغة العربية .
- 14 - تحدث الفارابي عن احرف الزيادة في الاسماء والافعال في اللغة العربية .
- 15 - قال الفارابي : نبتديء بالفتوح الاول لان الفتحة اخف الحركات ثم تتبعه المضموم ثم المكسور وتقدم ساكن الحشو على المتحرك لان السكون اخف من الحركة .
- 16 - قال الفارابي : « القول في تقديم بعض الامثلة على بعض » اولها الثلاثي المجرد ثم ما لحقته الزيادة في اوله وهي الهمزة والميم ثم المثل الحشو وهو عين الفعل ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام ثم الرباعي ثم الخماسي .
- 17 - قال الفارابي : « القول في تقديم الحروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التي في اواخرها الباء ثم نتجاوزها الى ما بعدها حتى ناتي على حروف المعجمة كلها سوى حروف الاعتلال
- 18 - اذا فرغنا من الحرف ابتدانا ما بعده بغير حرف نسق ليكون ذلك دليلا على مستأنف ما بعده .
- 19 - ذكر الفارابي الصفات التي لا تدخل في الذكر وعد انواعها وكذلك فعل بالنسبة للمصادر .
- 20 - قال الفارابي : « قول آخر فيما ذكر في الكتاب وفيما لم يذكر وغير ذلك مما لا غنى بنا عن الابانة عنه » ، وذكر تحت هذا العنوان : كل ما كان من اسماء البلدان والادوية والجبالي والمفاوز وما اشبه ذلك فذكرناه فسرنا عنه بانه اسم موضع لانه اسم عام ياتي على مالا ياتي عليه الخاص من الاسماء . الا ان يجيء امر مشهور فنضطر الى التصريح به .

## ديوان لغات الترك

- 11 - نثرت فيها شواهد من اشعارهم التي تفوهوا بها في ايدانهم بالامور واشعارهم .
- 12 - قال الكاشفري : « وكذلك الامثال التي ضربوها على مدارج الحكمة في الكربة والنعمة »
- 13 - تحدث الكاشفري عن منتهى الابنية في اللغة التركية .
- 14 - تحدث الكاشفري عن احرف الزيادة في الاسماء والافعال في اللغة التركية .
- 15 - قال الكاشفري : تقدم ساكن الحشو على المتحرك ثم المحرك الحشو في اوجه حركاتها .
- 16 - قال الكاشفري : نبتديء بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي ثم السداسي ثم ما لحقته الزيادة في اوله وهي الهمزة وما يوافقها ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء والعين في اوجه حركاتها ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام .
- 17 - قال الكاشفري : « القول في تقديم الحروف بعضها على بعض » نبتديء بالاسماء التي في اعجازها الباء ثم نمر الى ما بعدها حتى نستوفي حروف المعجم كلها اقتداء بالنسبة الادب وتشبيها في البناء بلغة العرب .
- 18 - ولم نورد في اثناء اللغات واو النسق لانه لا مدخل له في هذه اللغة فانهم .
- 19 - وكذلك فعل الكاشفري بالنسبة للغة التركية
- 20 - وقال الكاشفري : « قول آخر فيما ذكر في الكتاب او لم يذكر » وذكر تحت : ما كان من اسماء الجبال والمهامه والادوية والمياه والغدران ذكرت التي في بلاد الاسلام .. وما كان دخيلا في هذه اللغة لم يذكر .. وما كان من اسماء الرجال والنساء كذلك .

## ب - النظام:

وكما تأثر الكاشفري بالفارابي في مقدمته ، وتابعه في عناصرها وفي الموضوعات التي تناولها ، تأثر به واحتذاه في نظام الكتاب احتذاء يكاد يكون كاملا . وما بينهما من خلاف في الترتيب خلاف تافه لا يعد ابتكارا أو تجديدا ، ومنه ما أملت طبيعة الاختلاف بين اللغتين ، وحثه التباين بينهما . واليكم موازنة بين النظامين لنرى مقدار ما بينهما من تشابه :

### ديوان لغات الترك

- 1 - قسم الكاشفري كتابه الى ثمانية اقسام هي الستة السابقة + كتاب الفنة + كتاب الجمع بين الساكنين .

### ديوان الادب

- 1 - قسم الفارابي كتابه الى ستة اقسام هي السالم والمضاعف والمثال وذوات الثلاثة وذوات الاربعة والمهموز .

ومن هذا يظهر ان الكاشفري لم يكتف باخذ التقسيم عن الفارابي ، بل اخذ عنه كذلك مصطلحات الاقسام فاستعمل ايضا اصطلاحات : السالم والمضاعف والمثال وذوات الاربعة والمهموز . وقد اعترف الكاشفري بذلك فقال : « واستعرت القاب هذه الكتب والابواب من العربية اصطلاحا لمعرفة الناس بها » (61) .

وكل ما بينهما من خلاف :

- ا - ان الكاشفري بدأ بكتاب المهموز وقدمه على سائر الابواب تيمنا بكتاب الله تعالى
- ب - انه زاد كتابين هما : كتاب الفنة وكتاب الجمع بين الساكنين .
- وليس هذا في الحقيقة خلافا في المنهج ، وانما هو خلاف في التطبيق فرض الثاني منهما طبيعة اللغة التركية .

### ديوان لغات الترك

- 2 - وكذلك فعل الكاشفري
- 3 - وكذلك فعل الكاشفري
- 4 - وكذلك فعل الكاشفري (انظر المقدمة)
- 5 - وكذلك فعل الكاشفري
- 6 - وكذلك فعل الكاشفري . فقد اتبع باب الثنائي من كتاب الافعال - قسم السالم تبديل عن « العال والتصاريح وبيان الصفات ومجاري الاقيسة » تحدث فيه عن التصاريح المختلفة للافعال والمصادر والصفات وسائر المشتقات كاسماء الزمان والمكان والآلة . . وكذلك اتبع ابواب الثلاثي والرابعي والخماسي والسداسي بفصول مماثلة .

### ديوان الادب

- 2 - جعل الفارابي كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعالا وقدم الاسماء
- 3 - قسم الفارابي كل شطر من الاسماء والافعال الى اقسام بحسب التجرد والزيادة ( وقد سبق تفصيل ذلك )
- 4 - وضع الفارابي قاعدة لتقديم بعض الابنية على بعض بحسب نوع حركتها .
- 5 - ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الوزن الواحد ، رأى الفارابي ان يرتب الاوزان بحسب حرفها الاخير مع اولها ووسطها .
- 6 - كان الفارابي في كثير من الابواب ولاسيما في شطر الافعال يدلل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن احكام عامة تتعلق بالباب .

(61) ص 5. وقد كان بروكلمان اول من تنبه الى هذا التشابه الكبير بين الكتابين فقال: « كان ديوان الادب مثالا للكتاب الذي ألفه الكاشفري واسماء ديوان لغات الترك » S. 1,195



وكذلك تأثر الكاشفري بالفارابي في القواعد والاسس التي ذكرها في مقدمته وطبقها في كتابه . وقد سبق تفصيل ذلك في مقارنتنا بين مقدمتي الكتابين .

### 3 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد

واسم المعجم بالكامل « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكموم » واسم مؤلفه نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميري النحوي اللغوي الفقيه (62). وتوجد من المعجم نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب بمصر تحت رقم 30 لغة وهي في اربعة اجزاء ولكن في ثلاثة مجلدات وخطها دقيق واسطرها متزاحمة وقراءتها عسيرة . ويوجد ايضا الجزء الثالث والرابع من نسخة اخرى تجزئة اربعة اجزاء برقم 385 لغة . كما يوجد الجزء الخامس من نسخة اخرى منه برقم 598 لغة .

وقد طبع ك . و . سترستين جزءا من هذا المعجم اخرجه في مجلدين وصل فيهما الى آخر حرف الجيم . كما اخذت مطبعة الحلبي في طبعه واصدرت منه بعض اجزاء . ونتمنى الا تكمل اخراجه لانه مليء بالتحريف والتشويه .

وقد اختصره ابنه في كتاب اسماء « ضياء العلوم » ويوجد منه بمعهد المخطوطات الجزء الاول على ميكرو فيلم .

### وصفه :

يبدأ الكتاب بمقدمة ، يليها فصل في التصريف . اما المقدمة فقد بدأها بحمد الله وشهادة ان لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله . ثم تحدث عن فضل اللغة العربية على سائر اللغات ، وذكر الحاجة الى تعلمها ، لانها وسيلة لفهم القرآن الكريم والحديث . ثم شرح منهجه شرحا اجماليا ، وفخر بنظام كتابه لانه يسر على الطالب ادراك ملتسمه سريعا . ثم عدد الاشياء التي اودعها كتابه .

واما فصل التصريف فقد بين فيه اهمية علم التصريف وافتقار علم اللغة اليه . ثم شرح معنى

التصريف وقسمه الى ثلاثة اشياء : زيادة وبدل وحذف . ثم تحدث عن احرف الزيادة ومواضع زيادتها ، وتحدث عن ابدال الحروف بعضها من بعض وعن الحذف السماعي والحذف القياسي ، وعن مخارج الحروف ، وعن الادغام بين الحرفين المتجانسين والمتقاربين ، وعن حروف الاطباق وحروف الاستعلاء والاستغفال والحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة ... بما يخرج عن التداول المعروف . ثم فصل الحديث في ابنية كلام العرب ، فقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وتحدث عن كل قسم بما لا يخرج عما نجده في كتب النحو والصرف .

ثم تحدث عن اقل الابنية واقصاها ، سواء في الاسماء او الافعال ، ثم ذكر عدد الابنية في كل منهما . واخيرا تحدث عن مصادر الافعال وعن الافعال التي تشتق منها . ويشغل ذلك كله من ص 1 الى ص 29 من مطبوعة ليدن .

### نظامه :

تحدث المؤلف في مقدمة معجمه حديثا موجزا عن نظامه فقال : « وقد صنف العلماء رحمهم الله في ذلك كثيرا من الكتب ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات بامثلة قدروها واوزان ذكروها . ولم يأت احد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات .. فلما رايت ذلك ورايت تصحيف الكتاب والقراء حملني ذلك على تصنيف يأمن كاتبه وقارؤه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ويجعلها مع جنسها ويشكلها ويردها الى اصلها :

- 1 - جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا .
- 2 - ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا .
- 3 - ثم جعلت لكل باب من تلك الابواب شطرين اسماء وافعالا .

(62) من علماء القرن السادس الهجري . وهو من اهل بلدة « حوث » من بلاد حاشد شمالي صنعاء . وقد وصفه السيوطي بأنه اوجد اهل عصره واعلم اهل دهره فقها ونبلا وانه كان عارفا بالنحو واللغة والاصول والفروع والانساب . وذكر ياقوت انه استقل ببعض الاماكن واستولى على قلاع وحصون وقدمه اهل جبل « صبر » حتى صار ملكا . (انظر تفصيل ذلك في بنية الوعاة والاعلام ومعجم الادباء)

4 - ثم جعلت لكل كلمة من تلك الاسماء والافعال وزنا ومثالا .

فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط .

والامثلة حارسة للحركات والشكل .  
فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (63) .

هذا فقط هو ما ذكره القاضي نشوان بن سعيد في شرح نظامه ، وهو لا يعطي صورة واضحة لنظام الكتاب . فهناك مبادئ كثيرة غيرها التزامها ولكنه اهمل ذكرها لانها تتفق كل الاتفاق مع أسس الفارابي . أي ان القاضي نشوان كان حريصا على ان يبرز المبادئ التي استحدثها ويشرح من نظامه ما انفرد به ، وخالف فيه نظام ديوان الادب . اما ما اشترك فيه معه فقد مر على بعضه مرورا عابرا واهمل باقيه فلم يشر اليه ولم يتحدث عنه .

وسنقوم نحن بايضاح ما ابهمه ونتكفل بتفصيل ما اجمله :

1 - قسم المؤلف معجمه الى كتب على عدد حروف الهجاء مرتبة حسب الترتيب الهجائي المعروف فبدأ بكتاب الهمزة وتلاه بكتاب الباء ثم التاء ثم الشاء ... الخ .

2 - قسم كل كتاب من هذه الكتب الى جزئين ، جزء للمضاعف وجزء لغيره . وكان يبدأ كل كتاب بباب المضاعف فيجمع فيه الكلمات المضاعفة التي تبدأ بالحرف المقود باسمه الكتاب . فاذا فرغ من المضاعف شرع في غيره مع عقد باب لكل حرف مع ما يليه يحمل اسم الحرف الاول من الكلمة (وهو الحرف المقود باسمه الكتاب) مع الحرف الثاني منها ، مراهايا تقديم ما ثانيه اسبق في الترتيب الهجائي ( مع تاخير ما ثانيه همزة الى بعد ما ثانيه ياء ) . فالتقسيم المنطقي يفترض ان يكون لكل كتاب تسعة وعشرون بابا ، الباب الاول للمضاعف ، والابواب الاخرى لغير المضاعف ، لكل حرف ثان من حروف الكلمة باب ، فيكون عددها ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء . ولكن كثيرا ما تتخلف القسمة المنطقية ، فتزد في بعض الكتب بعض الابواب دون بعضها الاخر .

وكانت طريقته في ذكر عنوان الباب كالآتي :

1 - في باب المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول ( وهو اسم الكتاب ) ثم يقول : « وما بعده » .

فكتاب الهمزة يبدوه هكذا :

باب الهمزة وما بعدها من الحروف في المضاعف .

وكتاب الباء يبدوه هكذا :

باب الباء وما بعدها من الحروف في المضاعف .  
وهكذا .

ب - في غير المضاعف يعقد الباب باسم الحرف الاول المقود باسمه الكتاب ويضم اليه الحرف الثاني فيقول مثلا :

باب الهمزة والباء وما بعدهما .

باب الهمزة والتاء وما بعدهما .  
الخ .. الخ ..

3 - قسم كل جزء من هذين الجزئين الى شطرين ، شطر للاسماء وشطر للافعال وكان يبدأ بشطر الاسماء .

4 - قسم كل شطر الى اقسام بحسب التجرد والزيادة ، فكان يبدأ بالثلاثي المجرد ثم المزيد فيه ثم الرباعي ثم الخماسي .

5 - ولما كان كل قسم من هذه الاقسام يشترك في عدة ابنية راعى في المجرد الحركة في ترتيب الاوزان ، فكان يقدم ساكن الحشو على المتحرك ، وكان يبتيء بالفتوح الاول ثم يتبعه المضموم ثم المكسور . كما راعى في ترتيب ابنية المزيد مكان الزيادة ، فقدم من الابنية ما كانت زيادته اسبق مع مراعاة نوع الحركة ايضا .

6 - واحيانا يلمح بين كلمات البناء الواحد اختلافا في الصفة فنجده يقسم كل بناء الى انواع بالنظر الى صفاته (64) .

(63) شمس العلوم ص 6

(64) انظر الاصل الخامس من نظام ديوان الادب .

7 - ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الحرفين الاول والثاني ( المعنون باسمهما الباب ) وتشترك في الوزن ، رأي ان يرتب كلمات الوزن الواحد بحسب حروفها الاخير (65) فكان يقدم ما آخره اسبق في الترتيب الهجائي ، ما عدا ما كان آخره همزة فكان يؤخره الى بعد ما آخره ياء (66). ولذلك جاءت كلمة مثل « الربى » بعد « الريث » و « الريخ » و « الريز » و « الرئيس » ... (67). وكان زيادة في الضبط حريصا على ان يذكر قبل الكلمة باقي حروفها التي لم تدخل في اسم الباب ، سواء كان حرفا واحدا او اكثر . اي انه كان ينص على جميع حروف الكلمة ، فحرفها الاولان يذكرهما في اسم الباب ، وما بعدهما يضعه قبل الكلمة هكذا :

تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما	( فـهـيـل ) د .... الاصيد ل .... الاصيل
تحت باب الهمزة والصاد وما بعدهما	( فـمـلـل ) ظبل .... اصطلبل
تحت باب الباء والحاء وما بعدهما	( الفـمـلـة ) ثر .... بحثر ظل .... بحظل
تحت باب الباء والحاء وما بعدهما	( التـفـمـلـل ) صل .... التبحصل

لضبط الكلمة والنص على حركاتها وترتيب الكلمات بحسب الحروف الهجائية ليكون ذلك حارسا للنقط وان اختلف تطبيق ذلك :

8 - التزم في الكلمات الزيدة ان يحذف الزيادة في ذهنه ثم يضع الكلمة في موضعها بالنظر الى اصولها .

1 - فنجد الفارابي يقسم الكلمات الى ستة اقسام بحسب نوع حروفها في حين ان القاضي نشوان راعى فصل المضاعف فقط من غيره . ولست افهم سر افراد المضاعف فقط من غيره .

#### بين شمس العلوم وديوان الادب

اذا اردنا ان نقارن بين نظام هذا الكتاب ونظام ديوان الادب ، وجدنا اوجه التشابه واخرى للتخالف ، سواء في المنهج او في تناول المواد ومعالجة الالفاظ :

ب - ونجد الفارابي يقدم مرحلة التقسيم بحسب الابنية على مرحلة التقسيم

1 - اما في المنهج فوجه الشبه اوضح اذ أسس على فكرة واحدة وهي اتباع طريقة الابنية

- (65) سواء كان الحرف الاخير ثالثا او رابعا . ولذلك رتب كلمات البناء « فعمل » في قسم الاسماء هكذا : جلعب - جلسد - جلعد - جلمد - جلم . فوجه نظره الى حرفها الرابع ( لا الثالث ) ولذا قدم جلعب على جلسد . ولو كان ينظر الى الحرف الثالث لعكس الترتيب .
- (66) لعل سر ذلك ان الهمزة في الوسط او الآخر يكثر تسهيلها فتقلب الى حرف علة ، ولذلك كانت جديرة ان توضع بجانب الواو والياء .
- (67) شمس العلوم 2 / 203 طبعة الحلبي .

#### 4 - مقدمة الادب للزمخشري

من الكتب التي سارت على نظام الابنية « مقدمة الادب » للزمخشري المتوفى سنة 538 هـ . وقد قسمه الى خمسة اقسام :

- القسم الاول : في الاسماء .
- القسم الثاني : في الافعال .
- القسم الثالث : في الحروف .
- القسم الرابع : في تصرف الاسماء .
- القسم الخامس : في تصرف الافعال .

ولا يوجد منه بدار الكتب نسخة واحدة كاملة، وانما توجد عدة نسخ يكمل بعضها بعضا وهي :

1 - نسخة رقم 100 لفة تشتمل على قسم الاسماء وقسم الافعال .

2 - نسخة رقم 636 لفة وتشتمل كذلك على قسمي الاسماء والافعال .

3 - نسخة رقم 272 لفة تنقص قسم الاسماء فقط ، وتشتمل على الاقسام الاربعة الاخرى وكتب عليها خطأ « كتاب الافعال » .

وصفه :

( المقدمة )

يبدأ الكتاب بمقدمة صغيرة شغلت من المخطوطة نحو صفحتين ، وليس فيها ما يستدعي الوقوف عنده ، فهي خطبة افتتح بها كتابه ، ولم يتعرض فيها لمنهج الكتاب او ترتيبه . وكل ما قاله في ذلك « وهو على خمسة اقسام : القسم الاول في الاسماء والثاني في الافعال والثالث في الحروف والرابع في تصريف الاسماء والخامس في تصريف الافعال » .

بحسب الحروف في حين نجد القاضي نشوان قد شطر مرحلة التقسيم بحسب الحروف الى شطرين ، قدم اولهما (وهو اعتبار الحرف الاول والثاني) على مرحلة الابنية وآخر ثانيهما ( وهو اعتبار الحرف الاخير ) عن مرحلة الابنية .

ج - كذلك نجد الفارابي في اعتباره للحروف يرتب بحسب الحرف الاخير والاو (وهو ما يعرف بنظام الباب والفصل ) في حين ان القاضي نشوان يرتب بحسب الحرف الاول ثم الثاني ثم الاخير .

وفيما سوى ذلك نجد الاسس مشتركة فيما عدا بعض فروق طفيفة هنا او هناك .

2 - فاذا وازنا بين المعجمين في تناولهما للمواد ومعالجتهما للالفاظ وجدنا الفرق شاسعا بينهما فديوان الادب معجم مختصر وقف عند حدود المعجم فأهمل المسائل الفقهية والكلامية ونحى الاشياء الغريبة عن علم اللغة وحد من الابحاث النحوية والبلاغية في حين ان شمس العلوم لم يقف عند حدود ولم يتقيد بقيود فكان يحشد كل ما يمكن حشده من ألوان العلوم والمعارف . وهذا واضح من الاسم الذي اختاره له وهو « شمس العلوم » . ولذا جاء حجم شمس العلوم ضخما اذا قيس بديوان الادب مع نص القاضي نشوان في مقدمته على انه بلغ في هذا التصنيف من الايجاز والاختصار جهده . ولكن ماذا يعني الاختصار والكتاب مليء بأخبار الملوك ومعرفة منافع الاشجار وطبائع الاحجار والحديث في علوم القرآن والقراءات والتفسير والانساب والاعخبار والحساب والفقه والنجوم وتاويل الرؤى (68) ... الخ . ولكن اذا نحينا هذا النوع من البحوث وجدنا المادة اللغوية الخالصة تتحد او تكاد (69) . وقد وصفه أحد الباحثين بأنه « دائرة معارف على ترتيب المعاجم » (70)

(68) انظر مقدمة المعجم ص 3 ، 6 . وقد تكلم المؤلف في اكثر من صفحتين منها عن علم النجوم واهميته ومنزلته .

(69) لم يستطع القاضي نشوان باغفاله الاشارة الى «ديوان الادب» ان يقطع هذه الصلة بينهما او يمحو معالمها . وقد فطن اليها من قديم القبطي في انباء الرواة ( 1 / 53 ) وان لم يوفق حينما اعتبر شمس العلوم شرحا لديوان الادب .

(70) الاعلام للزركلي . وقال فيه د. حسين نصار « ليست قيمته فيما يحويه من لفة وانما فيما يحويه من المعارف الاخرى » ( المعجم العربي 1 / 183 ) .

## ( نظامه )

اما فى قسم الاسماء فلم يتبع نظام الابنية ولا  
اي نظام آخر ، وانما سلك سبيل المعاجم المرتبة  
بحسب الموضوعات فقسمه الى ابواب ، جمع تحت  
كل باب منها الكلمات التى تدور حول موضوع واحد ،  
وبداه بباب جمع فيه الالفاظ الدالة على الازمنة ثم  
بباب يتعلق بالسماوات وصفاتها وما فيها ، ثم باب  
فى الارض وصفاتها وما فيها من معادن واحجار ..  
ثم .. ثم ...

ولم يكن له منهج معين فى ذكر الكلمات ، بل  
كان يوردها اعتباطا دون ضابط او نظام . ولهذا  
جاءت الكلمات فى الباب الاول على هذا النحو :

وقت - حين - اجل - اوان - ايان - دهر -  
حقب ....

ولهذا فنحن نستبعد هذا القسم من دائرة  
بحثنا .

اما قسم الافعال فقد اتبع فيه نظام الابنية ،  
ويتلخص منهجه فيما ياتى :

### 1 - قسم الافعال الى ثلاثة اقسام هي :

ا - الثلاثي المجرد

ب - الثلاثي المزيد

ج - الرباعي

والحق به قسما رابعا جمع فيه ( من  
غير نظام ) الافعال غير المتصرفة .

### 2 - قسم كل قسم من الاقسام الثلاثة الاولى الى ابواب :

ا - فقسم الثلاثي المجرد بحسب ماضيه مع  
مضارع الى ستة ابواب والحق بها بابا  
سابعا للمبني للمجهول وهو باب فعل  
ينفعل .

ب - اما الثلاثي المزيد فقد قسمه احد عشر  
بابا .

ج - واما الرباعي فقد قسمه الى خمسة  
ابواب .

### 3 - قسم كل باب من هذه الابواب الى اقسام من حيث الصحة والاعتلال . وهذه الاقسام هي :

ا - الصحيح (ويشمل المهموز)

ب - المضاعف .

ج - المعتل الفاء .

د - المعتل العين .

هـ - المعتل اللام .

و - المعتل الفاء واللام .

ز - المعتل العين واللام .

واحيانا يضيف اقسام اخرى ، كان يفرد  
للمضاعف المعتل الفاء قسما ، او يفصل بين المعتل  
بالواو والمعتل بالياء .

### 4 - رتب الكلمات تحت كل قسم من هذه الاقسام ترتيبا هجائيا كترتيب الصحاح وديوان الادب .

اما فى تناوله للمواد ومعالجته لالفاظها ، فقد  
كان يعيل الى الاختصار الشديد ، وكان كل همه  
يتوجه الى اثبات اللفظ وذكر تصاريفه ، ولذلك خلت  
مواده من الشواهد تماما ، ومن التفسيرات الا نادرا ،  
وذلك كقوله « ضرب مثلا ، وضرب فى الارض ،  
وضرب فى الماء ، وضرب على اذنه ، وضربه بكدا  
ضربا ، وهي مضربة السيف والمضارب ، وضرب  
الفحل الناقة ضربا ، وضرب الجرح ضربانا »

ولهذا نرى من الاجحاف بديوان الادب او اى  
معجم آخر من معاجم الابنية ان تقارنه بهذا الكتاب  
من حيث المادة اللغوية .

فاذا اردنا ان نقارن بين « ديوان الادب »  
و « مقدمة الادب » فى النظام وجدنا بينهما تفاوت  
كبيرا وفروقا جوهرية تتلخص فيما ياتى :

1 - الخطوة الثالثة عند الزمخشري تقابل  
الخطوة الاولى عند الفارابى مع وجود خلاف فى  
التطبيق فقد ضم الزمخشري المهموز للسالم ، وافرد  
له الفارابى قسما خاصا .

2 - الخطوة الثانية فى كتاب الفارابى هي  
الخطوة الاساسية فى كتاب الزمخشري .

3 - الخطوة الثالثة فى كتاب الفارابى تقابل  
الخطوتين الاولى والثانية فى كتاب الزمخشري .

- 4 - الخطوة السادسة فى كتاب الفارابى تقابل الخطوة الرابعة فى كتاب الزمخشري .  
 5 - الاصل الثامن فى ديوان الادب غير موجود عند الزمخشري .  
 6 - كان الفارابى يفرّد اقساماً خاصة لما جاءت منه الصفة على افعال فعلاء ولم يفعل الزمخشري ذلك .  
 7 - هناك خلاف فى ترتيب الابواب كما يتبين من هذه المقارنة :

#### مقدمة الادب

- 1 - فعَل يفعل
- 2 - فعَلَ يفعل
- 3 - فعِل يفعل
- 4 - فعَل يفعل
- 5 - فعِل يفعل
- 6 - فعَل يفعل

- 1 - افعل
- 2 - فعّل
- 3 - فاعل
- 4 - افتعل
- 5 - انفعّل
- 6 - افعلّ
- 7 - افعلّ
- 8 - تفعّل
- 9 - تفاعّل
- 10 - استفعّل
- 11 - افعوعل

- 1 - فعمل والملحق به .
- 2 - تفعّل والملحق به .
- 3 - تفعّل .
- 4 - انفعّل والملحق به .
- 5 - انفعّل .

#### ديوان الادب

##### الثلاثي :

- 1 - فعَل يفعل
- 2 - فعَلَ يفعل
- 3 - فعَل يفعل
- 4 - فعِل يفعل
- 5 - فعَل يفعل
- 6 - فعِل يفعل

##### مزيد الثلاثي :

- 1 - افعل
- 2 - فعّل
- 3 - فاعل
- 4 - افتعل
- 5 - انفعّل
- 6 - استفعّل
- 7 - تفعّل
- 8 - تفاعّل
- 9 - افعلّ
- 10 - افعلّ
- 11 - ( وضعه فى الرباعي )

##### الرباعي والملحق به :

- 1 - فعمل والملحق به .
- 2 - تفعّل والملحق به .
- 3 - انفعّل والملحق به .
- 4 - افعوعل .
- 5 - افعوّل
- 6 - افعلّل



يضاف الى هذا وجود قسم للافعال « غير المتصرفة » فى « مقدمة الادب » دون « ديوان الادب » .

### ومن هذا الجدول نستخلص ما ياتى :

1 - ان الزمخشري لم يكن يخضع ترتيب الابواب لنظام فى ذهنه ، وانما كان يضمها هكذا امتباطا حيثما اتفق ، بخلاف الفارابى فكان يقدم بعض الابواب على بعض طبقا للنظام الدقيق الذى شرحه فى مقدمة معجمه سواء فى ذلك ابواب المجرد او المزيد .

2 - زاد الزمخشري قسما للافعال الجامدة .

3 - زاد الزمخشري قسما للافعال المبنيّة للمجهول .

4 - اعتبر الزمخشري بناء « افعلول » من مزيد الثلاثي واعتبره الفارابى رباعيا .

5 - ذكر الزمخشري بناء « تمفعل » ولم يذكره الفارابى .

6 - اهلل الزمخشري بناء « افعلول »

7 - اعتبر الزمخشري كلمات مثل « قوقا » و « جورب » و « قونس » من الرباعي الممثل بالعين بالواو فوزنها على هذا « فعمل » ، واعتبرها الفارابى من الملحق بالرباعي فوزنها « فوعل » .

ومن هنا نستبعد ان يكون الزمخشري قد تأثر بـ « ديوان الادب » او نظر اليه وهو يؤلف كتابه ، خاصة اذا نظرنا - بجانب ذلك - الى الفوضى التى اتسم بها قسم الاسماء ، والا لعمل على ان يتخلص من هذه الفوضى ويضيف الى نظام الفارابى ما يتقدم بمعاجم الابنية الى الامام ، لا ما يرتد بها الى الوراء . ولهذا فنحن لا نوافق الدكتور حسين نصار فى قوله : « ان الزمخشري تأثر فى كتابه خطى الفارابى فى ديوانه ووضع كتابه على مثاله » (71) . وقوله : « ان الزمخشري فى قسم الافعال سار على نهج الفارابى مع بعض خلاف ضئيل » (72) .. فالخلاف جوهرى والشقة واسعة والبون بين المعجمين شاسع .

(71) المعجم العربى 1 / 181 .

(72) المرجع 1 / 182 .

اما القسم الخاص بالحروف فلا نجد له نظيرا فى ديوان الادب ، وهو مما يؤخذ على الفارابى . ومع هذا فليس لقسم الحروف فى « مقدمة الادب » اهمية كبيرة ، فهو قسم قصير جدا لم يعالج فيه الزمخشري الحروف معالجة اللغوي ، وانما عالجها معالجة النحوي الذى يبحث عن الأثر الاعرابي ولذلك كانت اقسامه :

فصل فى الحروف التى تجر الاسماء

فصل فى الحروف التى تنصب الاسماء

فصل فى الحروف التى تنصب الاسم وترفع الخبر

وغير ذلك .

فهو عمل ناقص وجهد قليل .

واما القسم الرابع الخاص بتصريف الاسماء ، والقسم الخامس الخاص بتصريف الافعال فيتناولان موضوعات تمس النحو والصرف كالاغراب والبناء ، والتعريف والتنكير ، والافراد والتثنية والجمع ، والتصغير ، والنسب ...

ولهذا لن نتعرض لهما لانهما بعيدان عن موضوعنا .

— \* —

وبعد :

فهذه دراسة مركزة لما علمت وصوله الينا من معاجم الابنية ، ارجو ان اكون قد ارضيت بها المنهج العلمى ، ووفقت ان القي الضوء فيها على هذا الجانب من المعاجم الذى لم يلق من الباحثين قدبه وحديثهم العناية الكافية .

### 1 - مصادر البحث

1 - الافعال الثلاثية والرباعية لابن القوطية - ط ليدن سنة 1894 م .

2 - تاج المصادر لبوجعفر ( عربى ) - مخطوطة دار الكتب المصرية .

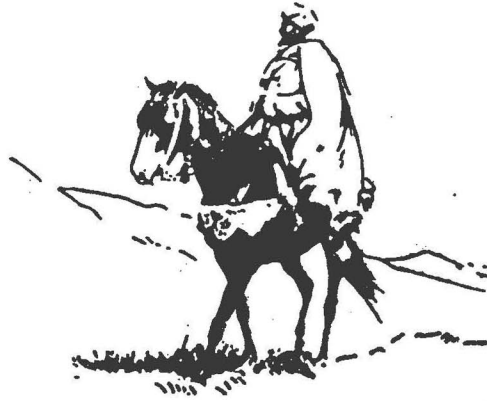
- 3 - تاج المصادر لبوجعفر (عربي - فرنسي) - ط حجر بالهند سنة 1330 هـ .
- 4 - ديوان الادب للفارابي - مخطوطات دار الكتب المصرية .
- 5 - ديوان لغات الترك للكاشفري - ط دار الخلافة العلية سنة 1333 .
- 6 - شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري - مخطوطات دار الكتب المصرية بالاضافة الى طبعتي ليدن سنة 1370 والخطي بمصر .
- 7 - فعلت وافعلت لابي حاتم - مخطوطة دار الكتب المصرية .
- 8 - فعلت وافعلت للزجاج - ط السعادة - ط اولى سنة 1325 (ضمن مجموعة)
- 9 - كتاب الافعال لابن القطاع - ط حيدر آباد سنة 1360 - ط اولى
- 10 - كتاب الافعال للسرطسي - مخطوطة دار الكتب المصرية
- 11 - المصادر للزوزني - مخطوطة دار الكتب المصرية .
- 12 - مقدمة الادب للزمخشري - مخطوطات دار الكتب المصرية .
- 2 - مراجع ثانوية
- 1 - ابنية الاسماء لابن القطاع - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية
- 2 - الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس - الطبعة الثالثة سنة 1961
- 3 - الاعلام للزركلي
- 4 - انباء الرواة على انباء النحاة للقفطي - ط دار الكتب المصرية
- 5 - بغية الوعاة للسيوطي - ط السعادة - ط اولى سنة 1326
- 6 - الخصائص لابن جني
- 7 - دستور اللغة لابي عبد الله الحسين بن ابراهيم النطشري - مخطوطة دار الكتب المصرية
- 8 - شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعاني المختلفة لابي الطيب اللغوي تحقيق محمد عبد الجواد .
- 9 - الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب - مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية نوفمبر سنة 1961 مجلد 7 جزء 2 للدكتور احمد مختار عمر
- 10 - الفن ومذاهبه فى الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف - ط اولى سنة 1943 .
- 11 - الفهرست لابن النديم - ط الرحمانية بمصر سنة 1348 .
- 12 - فى النقد اللغوي - مقال بمجلة رسالة الاسلام السنة العاشرة العدد 2 للاستاذ علي النجدي ناصف .
- 13 - كتاب سيبويه - ط بولاق سنة 1316
- 14 - كتاب العين للخليل بن احمد - تحقيق الدكتور عبد الله درويش - الجزء الاول
- 15 - كشف الظنون لحاجي خليفة .
- 16 - محاضرات فى علم اللغة للدكتور احمد مختار عمر - مطبعة كلية التجارة بالقاهرة 1967
- 17 - معجم الادباء لياقوت الحموي - ط الحلبي - تحقيق فريد رفاعي .
- 18 - المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش .
- 19 - المعجم العربي للدكتور حسين نصار - ط دار الكتاب العربي بمصر سنة 1956
- 20 - مقدمة الصحاح لاحمد عبد الففور العطار - ط دار الكتاب العربي بمصر - ط اولى
- 21 - من اسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس - ط ثانية .
- 22 - النثر الفني فى القرن الرابع للدكتور زكي مبارك - ط دار الكتب - ط اولى - الجزء الاول .
- 23 - مقال للمستشرق كرنكو فى ملحق مجلة J.R.A.S. عام 1924 بعنوان :  
The Beginnings of Arabic Lexicography

- 27 - المعجمات العربية المختلفة مثل :  
1 - الصحاح ( تاج اللغة وصحاح العربية )  
للجوهري .  
ب - تهذيب اللغة للأزهري .  
ج - لسان العرب لابن منظور .  
د - القاموس المحيط للفيروزآبادي .  
هـ - الجمهرة لابن دريد .  
و - التكملة للصاغاني .

24 - تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان  
Brockelmann طبع Leiden ( باللمانية ) .

25 - رسالة الدكتوراة للدكتور محمد سالم الجرح  
المحفظة بمدرسة لندن للدراسات الشرقية  
والافريقية بعنوان :  
The "Ta", Infix and Prefix in Arabic

26 - كتاب بالانجليزية لـ Haywood بعنوان :  
Arabic Lexicography



# النحت قديماً وحديثاً

الأستاذ كيفورث مينا جيان  
مراسل المكتب الدائم في موسكو

وهكذا نرى ان النحت كان معروفا للعلماء  
الاقدمين ، واهتموا به ، لكنهم لم يعطوه المجال  
لينتشر ، او يصبح معترفا به ، لان الآراء اختلفت  
بخصوصه ولم يتحدوا في استنتاج واحد . فقال  
البعض من علماء اللغة : ان النحت يولد الفاظا غريبة  
على السمع معقدة ؛ وقال البعض الآخر : ان النحت  
ضرب من ضروب الاشتقاق ؛ وقال فريق ثالث : ان  
النحت قياس ؛ وقال رابع : انه مع كثرته عند العرب  
غير قياسي . وكان بعض علماء اللغة الاقدمين لا  
يبحثون النحت ، ويعتبرونه سماعيا . لكن الخليل بن  
احمد قال : « ان العرب تلجأ للنحت اذا كثر استعمالهم  
للكلمتين ضموا بعض حروف احدهما الى بعض حروف  
ال اخرى » (4) . ولكن مهما جرى من نقاش واحاديث  
بخصوص هذا النوع من وسائل تكوين مفردات اللغة  
العربية ، لا يسعنا ان لا نتفق مع رأي الدكتور رمسيس  
جورجس اذ يقول : « يدعى البعض ان النحت يأتي  
بالفاظ غريبة على السمع ، معقدة تركيب مستعظما ،

النحت في اللغة العربية ظاهرة قديمة ، وهو  
تكوين كلمة مركبة من كلمتين او اكثر او حتى من جملة ،  
للدلالة على معنى مركب من معاني الالفاظ المتكونة  
منها (1) . والنحت نوع من الاختصار ، لجأ اليه  
الاقدمون ، وكان الداعي اليه عدم جواز اشتقاق كلمة  
من كلمتين في اقيسة التصريف (2) . والنحت في  
اللغة العربية يختلف عن مفهوم النحت في اللغات  
الهند اوروبية . ويبدو ان الفرق بسبب البنيان  
المورفولوجي المختلف للفصيلتين . وسنرى ذلك  
فيما بعد .

لقد كتب في النحت كثير من علماء العرب (3)  
امثال : ابن فارس في « فقه اللغة » و « المجمل » وذكر  
وجوه في كتاب « مقاييس اللغة » ؛ وابو علي الظهير  
في كتاب « تنبيه البارعين على المنحوت من كلام  
العرب » ؛ وابن السكيت في « اصلاح المنطق » ،  
والتبريزي في « تهذيبه » ، وابن مالك في « التسهيل »  
... الخ .

(1) انظر للتفصيل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » ، الطبعة الثانية ،  
القاهرة - 1908 .

(2) انظر ابن دحية « التنوير » نقلا عن المزهر ، ص 483 .

(3) انظر رمسيس جورجس « النحت في اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث  
عشر ، ص 63 .

(4) ابن منظور « لسان العرب » ، الجزء 14 ، ص 230 .

ونسوا اننا رغم تمسكنا بالدقة العلمية لا نطالب بتضحية  
حلاوة الجرس ، ولا باستعمال النحت في الادب  
والموسيقى والفنون ، بل تشدد في حصره في العلوم :  
كالطب والكيمياء والطبيعيات والرياضيات ... الخ .  
فلن يخشى الادباء فساد الشعر والغناء » ( 5 ) .

ولا شك ان احد اساليب تطوير اللغات  
الهند اوروبية هو النحت على اساس قوانينها الداخلية ،  
فالهم ليس الشكل بل المحتوى ، فقد انتشر النحت  
على طريقته التي لا مجال لبحثها هنا ، وتمكنت من  
نحت مصطلحات تتكون من عشرات الاحرف وهي  
مقبولة لديهم وسائرة ، ونذكر على سبيل المثال :

- |                           |                 |
|---------------------------|-----------------|
| (6) Glasfaserverstärkung  | في الالمانية —  |
| (7) Glubokozadneyazitchny | في الروسية —    |
| (8) Antiautomorphisme     | في الفرنسية —   |
| (9) Interriscaldamento    | في الايطالية —  |
| (10) Ochochondrdystrophy  | في الانجليزية — |
| (11) Otorinolarigoloyia   | في اليونانية —  |

ونحن نرى مما ذكرناه ان الالفاظ المنحوتة في  
هذه اللغات الاوروبية طويلة، وربما كانت ثقيلة في النطق،  
ومع ذلك لا يجزؤ احد على تقدها مهما كانت مكانته  
العلمية ، لان الحاجة قد ادت الى ذلك ، ولم تجد هذه  
اللغات او بالاحرى علماؤها مخرجا آخر غير النحت في  
هذه الحال . وقد ادت الحاجة باللغة العربية ايضا  
لتلجأ الى النحت كما قلنا سابقا ، ولكن العلماء لجأوا  
اليه بتحيز وام يعطوه انطلاقا للتكاثر في القديم ، لذلك  
نجد ان عدد الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية في  
القديم حوالي مائة لفظ وربما اكثر بقليل .

وهذا النوع من توليد الالفاظ ينظر اليه في فقه  
اللغة العربية التقليدي نظرة شاملة، حيث يبرز النحت،  
كمعملية شرعية لوضع الالفاظ في اللغة الفصحى .  
ومع ذلك ، فموضوع النحت في اللغة الفصحى المعاصرة  
ينال تفسيراً خاصاً .

لقد كتب م. ب. باناخي الاختصاصي في اللغة  
العربية ، في بحث له عن هذا الموضوع يقول انه من  
المسائل المتنازع عليها في فقه اللغة العربية المعاصرة .  
فيرى تعقد المسألة في انه لم تعين حدود  
مسألة الالفاظ المنحوتة (12) .

ويعتبر كاتب البحث « ان المحققين هم اولئك  
النحاة العرب الذين يقسمون الالفاظ المنحوتة الى  
« مزجي » ، « اضافي » ، « اسنادي » .. » (13) .  
وهو يقترح اعتبارها من الالفاظ المنحوتة .

ومثل هذا التفسير لنظرة قواعد اللغة العربية ،  
يبعث معارضة جدية . لان النحاة العرب ، كانوا  
يعتبرون الشكل « المزجي » ، « الاضافي » ،  
« الاسنادي » وغيره من الاشكال ، كأنواع مختلفة من  
الالفاظ المركبة ، وليست انواعا مختلفة للنحت .  
وكانت تعتبر الالفاظ منحوتة ، مركبات من النوع  
« المزجي » ، حيث لا تكون المركبات بنية نحوية  
نراها في المركب « الاضافي » بل وحدة لفظية جديدة .  
ومهما كان من امر فهو عبارة عن تركيب كلمتين او  
اكثر . ولهذا السبب بالذات يعتبرها النحاة العرب  
« مركبات » من نوع خاص . وتنحصر ميزتها في انها  
تؤدي في اللغة وظيفة ( مورفولوجية ونحوية ) كالفاظ  
منفردة ، على خلاف الانواع الاخرى من المركبات التي  
هي عبارة عن بنية نحوية .

- (5) رمسيس جرجس « النحت في اللغة العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية في ج. ع. م. ، الجزء  
الثالث عشر ، القاهرة ، 1961 ، ص 62 .
- (6) W. Dawydoff und H. Howorka "Hochpolymere", Technik-Worterbuch. Berlin, 1969, p. 326
- (7) ا. س. اخمانوفا ، معجم المصطلحات اللغوية ، بأربع لغات ، موسكو ، 1966 ، ص 109 .
- (8) م. ف. دراجنيف ، م. ا. جاروف ، ن. خ. روزوف ، معجم المصطلحات الرياضية ، فرنسي -  
روسي ، موسكو ، 1970 ، ص 27 .
- (9) ي. ب. كيرجينفيتش ، معجم السيارات ، ايطالي - روسي ، موسكو ، 1969 ، ص 149 .
- (10) م. ب. مولتانوفسكي ، ا. ي. ايفانوف ، المعجم الطبي ، انكليزي - روسي ، ط 2 ، موسكو ،  
1969 ، ص 481 .
- (11) خاري باتس . معجم المعاني والكتابة الصحيحة للغة المعاصرة ، اثينا ، 1965 ، ص 808 .
- (12) م. ب. باناخي « عن مقاييس الالفاظ المنحوتة في اللغة العربية » السامية ، موسكو ، 1965 ، ص ص  
145 - 151 .
- (13) نفس المرجع ، ص 146 .

ويجب الذكر هنا ان هناك فى فقه اللغة العربية المعاصر خلا بخصوص تحديد الالفاظ المنحوتة . ويعتبر ب. م. جراندي الالفاظ المنحوتة كنوع خاص لظاهرة وضع الالفاظ . ولكنه لا يعتبر النحت من ميزات اللغات السامية ، ويؤكد ان « الالفاظ المنحوتة فى اللغة العربية الفصحى نادرة جدا .. » (14) . ويبدو ان هذا المبدأ النظري مبني على اساس مواد محدودة جدا ، اى على اساس المواد القديمة دون دراسة اللغة العربية المعاصرة . ولا يجوز اعتباره مدعما ، لان التحديث يدور حول طبيعة اللغة العربية الفصحى ككل .

ويدعو للشك ايضا اعتقاد ب. م. جراندي بأن الالفاظ المنحوتة « تتكون احيانا من كلمات مركبة تحت تأثير اللهجات العامية » (15) .

ان توليد كلمات جديدة عن طريق النحت له جذور بعيدة فى تاريخ تطور البنين المورفولوجي للغة العربية الفصحى .

ونحن نقسم النحت الى نوعين : تركيب نحتي ، وتركيب مزجي ، كتصنيف بعض العلماء العرب ، وهي فى رأينا ، وجهة النظر الصحيحة من حيث التصنيف المورفولوجي . والنوعان يلتقيان فى معنى واحد اى استخلاص كلمة واحدة من اكثر من اصل واحد ، والفرق بينهما فى طريقة هذا الاستخلاص ، فالتركيب النحتي هو استخلاص كلمة من كلمتين او اكثر باقتطاف بعض الاجزاء ( قد يكون حرفا او اكثر او ربما مقطعا ) . والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعمل متجاورتين كلمة واحدة ، يكون المعنى مستخلصا من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الاصلان الملازمان كل منهما على حدة (16) .

يقول بعض العلماء انه ليست هناك قواعد واضحة للنحت ، اى ان الحروف تنتزع من كل كلمة لتوليد الكلمة المنحوتة . ولكن فى رأينا ان هذا غير صحيح ،

فمن يدرس الالفاظ المنحوتة فى اللغة العربية قديما وحديثا سيجد قواعد . وقد قام بترتيب وايضاح هذه القواعد واستخلاصها فى القديم الدكتور رمسيس جرجس عضو مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة .

وذكرها فى بحثه « النحت فى اللغة العربية » (17) وهو بحث قيم جدا فى الالفاظ المنحوتة قديما فى رأينا ، عرضه على مجمع اللغة العربية ، وقد احيل بحثه الى لجنة الاصول لدراسته . يقول الدكتور رمسيس جرجس فى بحثه . « ولم توضع للنحت قواعد حتى الآن ، لذلك استقرت مناهج العرب فى النحت وخرجت منها بهذه القواعد » (18) . وقد استخرج فعلا كل القواعد اللازمة للنحت فى اللغة العربية قديما ، ومن يقرأ هذا البحث سيجد كل الاسس للتعلم ودراسة موضوع النحت ، لانه يدرسه ويعرضه بكل تفصيل ويذكر الامثلة اللازمة والمراجع ومتون اللغة . ولكن فى رأينا انه غير كاف لسد حاجات عصرنا ، بل ايامنا هذه لانه لم يتطرق الى النحت حديثا فى المصطلحات له مفهوم اوسع من النحت فى اللغة ( المقصود هنا مفردات اللغة ) .

ونحن فى بحثنا هذا سنحاول ان نذكر القواعد العامة والانواع الهامة للنحت فى اللغة العربية من وجهة نظر علم المصطلحات ، وسنحاول ان نكشف الامكانيات الكامنة والاتجاهات المعاصرة لعلنا نصل الى نتيجة حميدة لتطور النحت فى المستقبل . وهذه اول تجربة من نوعها فى دراسة النحت حديثا ، قد تلفت نظر المختصين والمهتمين ولعله يفيد او يكون بداية لنهاية ناجحة .

النحت فى اللغة العربية على انواع ومستويات تاريخية ، لذلك سنحاول تقسيمها وتصنيفها :

#### من حيث الزمن التاريخي :

1 — قديما

2 — حديثا

(14) ب. م. جراندي « الالفاظ المنحوتة فى اللغات السامية » . كتاب اللغات السامية ، موسكو ، 1965 ، ص 144 .

(15) نفس المرجع ، ص ص 144 - 145 .

(16) انظر مهدي المخزومي « مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1958 ، ص 208 .

(17) انظر رمسيس جرجس « النحت فى العربية » ، مجلة مجمع اللغة العربية فى ج. ع. م. ، الجزء الثالث عشر ، 1961 ، ص ص 61 - 76 .

(18) نفس المرجع السابق ، ص 63 .



## من حيث النوع :

### 1 — تركيب نحوي

### 2 تركيب مزجي

وكل من هذه الانواع له تصنيفاته وتفرعاته ، ولنحاول دراسة وعرض ذلك .

نقصد بالنحت قديما ، ما نحت العرب حتى بداية عصر الكساد ، وتقصد بالنحت حديثا ما نحت العلماء في عصر النهضة الحديثة وبصورة خاصة النصف الثاني من القرن العشرين .

وما نسميه بالتركيب النحوي هو توليد كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا يبقى الشكل الاولي سليما من اى من الكلمات المنحوتة . وهذا على انواع . اما ما نسميه بالتركيب المزجي فهو تركيب كلمة من كلمتين او اكثر بحيث لا تفقد اية كلمة حرفا من اصلها بل تلحق الى بعضها البعض وتكتب ككلمة واحدة . وهذا ايضا على انواع .

## النحت قديما

اذا درسنا الالفاظ المنحوتة قديما في اللغة العربية ، نرى انها اما رباعي او خماسي او سداسي او سباعي لا غير ، وهذه حيزة يبدو انها تكون طبيعية لصعوبة قبول اللغة قديما اكثر من السباعي ، فالعرب كانوا يعتبرون ذلك ثقيلًا على السمع وصعبا على اللسان . فنذكر فيما يلي امثلة من هذه الانواع :

### 1 — الرباعي وهو اكثرها شيوعا :

( ا ) تكون على وزن « فعمل »

مثل :

القصلب — القوى الصلب (19) .

( ب ) وعلى وزن « فعمل »

مثل :

الصلدم — الصلد والصدم ، بمعنى الشديد الحافر (20) .

### 2 — الخماسي ، مثل :

الصهصلق — سهل وصلق وكلاهما بمعنى الشديد من الاصوات (21) .

### 3 — والسداسي ، مثل :

البلهجوم — من بني الهجيم (22) .

### 4 — والسباعي ، مثل :

البلخيثة — من بني الخيثة (23) .

هذا من حيث البنية . اما من حيث النوع فهي على انواع اهمها الانواع الثلاثة التالية (24) :

1 — نحت من جملة للدلالة على التحدث بهذه الجملة . هناك في اللغة العربية جذور ، تكونت في اللغة العربية عن طريق اختصار جملة بكاملها (25) .

مثال :

بسم — باسم الله الرحمن الرحيم

حمدل — الحمد لله

حوقل — لا حول ولا قوة الا بالله ... الخ .

ومنها البسمة والحمدلة والحوقلة . وهذا النوع مستحدث في الاسلام .

2 — نحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف اليه للنسب الى هذا العلم او للدلالة على الاتصال به بسبب ما ، نحو :

عبشى — من عبد الشمس

(19) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 - 1956 ، الجزء الثاني ، ص 171 .

(20) أبو منصور الثعالبي « فقه اللغة » ، ط 15 ، بيروت ، 1938 ، ص 578 .

(21) ابن منظور « لسان العرب » ، بيروت ، 1955 - 1956 ، الجزء الثاني عشر ، ص 76 .

(22) المرجع السابق ، الجزء الثاني ص 442 .

(23) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص 114 .

(24) علي عبد الواحد وافي « فقه اللغة » ، القاهرة ، 1968 ، ص 180 - 183 .

(25) ب. م. جراندي ، « دراسة القواعد العربية على ضوء المقارنة التاريخية » ، موسكو ، 1963 ، ص 61 ، 62 .

عبقسى — من عبد القيس  
مرقسى — من امرىء القيس .. الخ .

وهذا النوع قليل فى اللغة حصرنّا منها ثمانية  
الفاظ (26) .

3 - نحت كلمة من اصلين مستقلين ، او من  
اصول مستقلة للدلالة على معنى مركب فى صورة ما  
من معاني الاصول . وهذا النوع نجده بكثرة فى اللغات  
الهنداورية ، وخاصة اللغات الحديثة منها ، ولكنه  
نادر فى فصيلة اللغات السامية بصورة عامة . ولا  
تختلف اللغة العربية فى هذا عن اخواتها السامية .  
اذ ان المفردات العربية المنبذة من اصلين مستقلين  
او اصول تزيد عن اثنين ، لا تتجاوز بضع عشرات ،  
ومعظمها على اساس ظني . نذكر فيما يلى بعض  
الامثلة :

قال الخليل ان « لن » منتزعة من « لا » و « ان »  
وانها تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لاصلها .

وقال الفراء ان « هلم » من اصل « هل » ( هل  
لك فى كذا ؟ ) و « ام » ( بمعنى اقصد وتعال ) . وقال  
البعض انها مركبة من « هاء التنبيه » و « لم » بمعنى  
ضم .

وقال بعض العلماء ان « لكن » منحوتة من « لا »  
و « كان الخطاب » ، و « ان » فحذفت همزة ان  
وجعلت كلمة واحدة للدلالة على معنى الاستدراك (27) .

وقال بعض العلماء ان كثيرا من الكلمات الرباعية  
والخماسية التي لا نشك فيها قد تألفت على اساس  
النحت (28) . فمثلا « دحرج » من اصل « دحر فجرى » ،  
و « هرول » من اصل « هرب وولى » .. الخ .

وقد استخرج رمسيس جرجس قواعد للنحت فى  
العربية قديما بعد دراسة المفردات المنحوتة فى متون  
اللغة ، نذكرها فيما يلى بايجاز ، وحسب التصنيف  
التالى :

اولا — اجازوا الاخذ من كل الكلمات او بعضها .  
ثانيا — يلاحظ اعتبار ترتيب الحروف  
الاصلية ، وما عدا ذلك فهو شاذ ، مثل :

طبق ( بتقديم الباء على اللام ) من اطال الله  
بقائك ، وقياسها « طبق » ، او حوّل ( بتقديم القاف  
على اللام ) من لا حول ولا قوة الا بالله ، وقياسها  
حولق .

ثالثا — لا يشترط التزام الحركات والسكنات  
الاصلية ، مثل :

بعثر : من بعث وثار .

رابعا — يصاغ من وزن فعل ، بتكرير المقطع  
الاول ، مثل :

بابأ — بابي انت وامي .

نرى مما عرض اعلاه ان النحت كان موجودا فى  
اللغة ، واهتموا به ان لم يكن بكثرة وعمق . ونعتقد ان  
السبب يعود اولا الى العدد الضخم من المفردات التي  
كانت فى حوزة العلماء فى الماضى ووسائل الاشتقاق  
والصيغ .. الخ ، والثاني هو ان العلوم لم تكن منتشرة  
ومتطورة كما هي اليوم ، وبالتالي كانت متطلبات  
المصطلحات محدودة .

ان العالم يواجه اليوم تطورا عاصفا للعلوم  
والصناعات ، لذلك تقوم امامه مشكلة من اكبر مشاكل  
عصرنا فى وضع المصطلحات العلمية والتكنولوجية .  
لان العلوم والتكنولوجيا تتطور بسرعة لا يتصورها  
العقل وتنشق الى فروع اضيّق ، الى جانب العدد  
الفير من العلوم الحديثة المولّد ، وكل ذلك يحتاج الى  
مصطلحات لا تعد ولا تحصى للتعبير عن المسميات  
والمفاهيم والاساليب الجديدة . وعلم المصطلحات ما  
زال عاجزا عن اللحاق بهذا التسارع الخطير . ونحن  
نعلم النتيجة التي قد نصل اليها اذا لم نسرّع الى وضع  
ما هو ضروري من مصطلحات ، ولا شك ان العدد  
الكبير للمصطلحات يحتاج الى اساليب اوسع ،  
ويبحث العلماء طرائق ومنافذ من هذا المأزق فيلجأون  
الى شتى الوسائل القديمة منها والجديدة .

طبعا كل ما قلناه سابقا ينتشر على اللغة العربية  
ايضا كلفة حية وفى تطور مستمر ، بل مشكلة اللغة  
العربية اكبر ، لان التخلف العلمى والتكنولوجى بالنسبة

(26) وهي : عبشمى ، عبدرى ، مرقسى ، عبقسى ، قيلمى ، رسعنى ، حصكفى ، دربخى .

(27) انظر ابن فارس ، « الصحاح » ، ص 141 - 146 . نقلا عن عبد الواحد وافي ، « فقه اللغة » .

(28) منهم ابن فارس . راجع الصحاح ، ص 227 ، وحسن حسين فهمي « المرجع فى تعريب المصطلحات » ،  
القاهرة ، 1958 ، ص 297 .

انماء وتطوير المصطلحات فى اللغة العربية ، على شرط ان يستخدم بصورة صحيحة مقبولة ولا تتنافى مع قواعد اللغة العربية وذوقها . وهنا نذكر ان الحديث يجري عن تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وليس اللغة الادبية .

لا شك ان الحياة تجبر وستجبر الاختصاصيين على استخدام وتوسيع النحت مع ان هناك معارضة لا مبرر لها . فمثلا لجأ الى النحت الامير مصطفى الشهابي الرئيس السابق للمجمع العلمي العربي فى دمشق وعضو مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وهو يعتبر من رواد تطوير المصطلحات العلمية فى اللغة العربية ومن علماء المعجمات فى العالم العربي ، لكنه كان حذرا فى ذلك لدرجة انه اضطر الى معارضة نفسه او التردد فى ابداء الراي بهذا الخصوص . فيقول الامير الشهابي فى كتابه « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « لم الجأ الى النحت الا نادرا » (31) مثل :

لبأرز — من لبنان وأرز (32)

تحتربة — من تحت والتربة (33)

ومع ان الامير مصطفى الشهابي يقول انه لم يلجأ للنحت الا نادرا نراه يقول فى نفس الصفحة من كتابه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » : « ونحن فى حاجة الى النحت فى ترجمة بعض الاسماء العلمية . ولكن النحت يحتاج الى ذوق سليم خاص » (34) .

وللنحت معارضون ومؤيدون ، فالبعض راي فى قرار مجمع اللغة العربية اباحة للنحت ، فراحوا يكترون من النحت على حسب مشيئتهم دون تعمق . والبعض يتزمت له ولا يسمح به الا نادرا فى الحديث . وهناك فريق ثالث يضع النحت بلا قيود وشروط

يقول مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي فى الجمهورية العربية السورية وعضو مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فى بحث

للبلدان المتطورة يزيد صعوبة المشاكل القائمة امام المصطلحات العربية . فهناك مصطلحات فى اللغات الاجنبية - الاوربية خاصة - لا مقابل لها فى العربية ، وهذا الى جانب ما يتولد يوميا بل كل ساعة من مصطلحات جديدة فى اللغات المذكورة فأصبحت احتياطات اللغة العربية من المفردات لا تكفى ولذلك يلجأ العلماء العرب والمجامع العربية الى وسائل عديدة لتوليد ووضع المصطلحات ومنها طبعا النحت . فالضرورة العلمية هي التي اجبرت العلماء وواضعي المعاجم على اللجوء الى النحت ، وخاصة وان النحت منتشر فى اللغات الاجنبية التي ينقلون منها الى العربية . بل نقول ان النحت فى اللغات الهنداورية هو الشائع .

ان امام واضعي المصطلحات حلين : اما اللجوء الى النحت مع مراعاة ذوق اللغة ووضع قواعد لها الى جانب القواعد الموجودة ، وتطوير هذا الاسلوب ، او ان تقدم بدل المصطلحات العلمية الصحيحة ، مصطلحات وصفية او تعريفا للمصطلح يتكون من عدة كلمات بل ربما من جمل وتفسيرات مطولة تنفر منها اللغة العلمية ولا ترضى العلماء والاختصاصيين ، بل ولا تلبى الحاجة ، ثم لا يجوز ان نسميها مصطلحات ، لان المصطلح يجب ان يكون كلمة واحدة .

وقد احدثت الضرورة العلمية فى عصرنا على اللجوء الى النحت ووضع واستنباط انواع جديدة له من اجل تلبية الحاجات المتزايدة للعلم والتكنولوجيا ، ولا سيما اللحاق بتطور اللغات الاجنبية فى مجال المصطلحات وخاصة المصطلحات المنحوتة التي تضم اكثر من اصل واحد . ولذلك اتخذ مجمع اللغة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة قرارا (29) بهذا الخصوص جاء فيه : « يجوز النحت عندما تلحى اليه الضرورة العلمية » (30) . ومع ان القرار يحمل طابعا فيه شيء من التحيز ، الا ان علماء عصرنا تصرفوا فيه وطوره مع انه ما زال ضعيفا ، ونحن نأمل انها البداية وفيما بعد سيجد النحت طريقا يشقه من بين وسائل

(29) صدر القرار فى الجلسة الحادية عشرة ، الثانية عشر للدورة الرابعة عشرة من مؤتمر مجمع اللغة العربية فى ج . ع . م .

(30) مجمع اللغة العربية ، مجموعة القرارات العلمية ، القاهرة ، عام 1963 ، ص 9 .

(31) مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، دمشق ، 1965 ، ص 18 .

(32) مصطفى الشهابي « معجم الالفاظ الزراعية » ، القاهرة ، 1957 ، ص 390 .

(33) المرجع السابق ، ص 607 ، 611 .

(34) مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » ، ص 18 .

ولكن المستعمل = قصير سفقدي (38) .

ولا شك ان اللجوء الى النحت يسهل النسب الى المصطلح او اشتقاق نظام كامل للمصطلح . ونعتقد ان الدافع الى اللجوء الى النحت هو تهرب العلماء من وضع المصطلحات المطلوبة التي تتكون من عدة الفاظ ، متأثرين في ذلك بينان المصطلحات في اللغات الهنداورية .

ونذكر هنا ان طول المصطلح يعتبر من العيوب الجدية في كل اللغات . فلقد جاء في كتاب « كيف نعالج المصطلحات العلمية والتكنولوجية » في فصل عيوب المصطلحات : « اولا ، يختل الاقتصاد النطقي وبالتالي الاقتصاد الفكري . ثانيا : تظهر امكانية السقوط : فعندما يكون المصطلح طويلا جدا يحدث سقوط الالفاظ البينية او الاخيرة للعناصر الاصطلاحية » (39) .

لذلك فالنحت اليوم ضرورة ملحة ، تدفعنا اليه الحاجة العلمية والتطور العاصف للعلم والتكنولوجيا والترجمة العاصفة للمؤلفات العلمية والتكنولوجية الى العربية . والدليل القاطع على هذه الضرورة الملحة ، هو ان الكثير من العلماء العرب والمستشرقين قد لجأوا الى النحت على اختلاف اشكاله ، ووضعوا مصطلحات منحوتة في المعاجم الحديثة ، وقلما نجد معجما حديثا يكون خاليا من المصطلحات المنحوتة ، نذكر منها مثلا :

— مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقراها مجمع اللغة العربية .

— مصطلحات علمية ، لمحمد صلاح الدين الكواكبي ، دمشق ، 1956 .

— معجم الجيولوجيا ، لمجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1965 .

له بعنوان « مدى النحت في اللغة العربية » : ان البعض ممن لم يختصوا بعلم ولم يطلعوا كما يجب على خصائص اللغة العربية ينحتون الفاظا عجيبة لا تقبلها النفس ولا السمع ، وخاصة وان لها نظائر في اللغة معمولا بها ، منها مثلا :

غشجنيات hyménoteres والمستعمل غمديات الاجنحة

او قبتاريخ préhistoire والمستعمل قبل التاريخ (35)

طبعا ، لا يصح ان نستنتج مما قلناه ان مصطفى الشهابي يمنع النحت منعا قاطعا ، بل ينتقد بعض المؤلفين الذين يلجأون اليه بلا ضرورة ، « فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف اننا بحاجة الى النحت ... » (36)

وهنا نذكر ان الاختصاصيين العرب يلجأون عادة الى اللغات الاجنبية ليضعوا المصطلحات العربية ( وخاصة اللغات الاوربية ، مثل : الانجليزية والفرنسية .. الخ ) . ونحن نعلم ان البنيان المورفولوجي للغات المذكورة التي يستعير منها العرب يسمح بان يضم المصطلح المتكون من لفظ واحد عدة عناصر اصطلاحية . ونقل هذه العناصر الداخلة في لفظ واحد الى العربية معناه ان يترجم كل عنصر الى لفظ عربي . فتكون النتيجة ان مصطلحا يتكون من عنصرين اصطلاحيين في لفظ واحد ، سينقل الى العربية بلفظين ، واذا كان المصطلح من ثلاثة عناصر اصطلاحية في لفظ واحد فسينقل الى العربية بثلاثة الفاظ ، وهلم جرا . مثال على ما ذكرناه :

كان سينقل — بترولي كيميائي

ولكن المستعمل — بتروكيميائي (37) .

كان سينقل = قصبي رسفى قدمي —

(35) مصطفى الشهابي « مدى النحت في اللغة العربية » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1959 ، المجلد 34 ، الجزء الرابع ، ص 545 — 554 .

(36) المرجع السابق ، ص 48 .

(37) القطاع الحكومي للبترول « البترول في الجمهورية العربية المتحدة » ، القاهرة ، 1960 ، ص 425 .

(38) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ريحان « معجم المصطلحات العلمية » ، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .

(39) لجنة المصطلحات العلمية والفنية لدى اكااديمية العلوم السوفيتية . « العمل في مجال المصطلحات » ، موسكو ، 1968 ، ص 12 .

## التركيب النحوي :

في الحديث هو توليد مصطلح مركب من كلمتين أو أكثر تشترك فيه كل الالفاظ المنحوتة منها ، ويقتصر على المصطلحات التعريفية المركبة ولا تشترك فيه جمل من أربع أو خمس أو ست كلمات ، وتشترك في اللفظة المنحوتة جميع الكلمات ، على خلاف النحت قديما .

ونرى بعد دراسة الالفاظ المركبة نحتا في الحديث انها على انواع مختلفة ، لذلك سنحاول تصنيفها من حيث الاصل والبيان كالتالي :

1 — تركيبها من حيث الاصل

2 — تركيبها من حيث البيان

**تركيبها من حيث الاصل :** — هو تصنيفها حسب اصل الكلمات المنحوتة منها وهي على ثلاثة انواع :

### (1) التركيب النحوي الخاص —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها من اصل عربي ، مثل : لبارز ( من لبنان + راز ) .

### (2) التركيب النحوي الخليط —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها من اصل عربي ودخيل ، مثل : كهرمغيطيسي ( من كهرباء + مغيطيسي ) .

### (3) التركيب النحوي الدخيل —

عندما تكون الكلمات المنحوتة منها دخيلة مثل : ايدروجيولوجيا ( من ايدروليكي + جيولوجيا ) تركيبها من حيث البيان : هو تصنيفها ووضع صيغ لها ينطبق بنائها مع الصيغ على اختلاف اشكالها . وهذا النوع على شكلين :

الاول — غير متناسق ، اي ان الحروف المأخوذة من الالفاظ المنحوتة منها على غير انتظام معين من حيث تركيبها في الكلمة ، لذلك حاولنا ان نطبق صيغا خاصة بها للاهتمام . ومن هذا النوع ، ذو عنصرين ، ذو ثلاثة عناصر .

— معجم المصطلحات العلمية ، لمبد العزيز محمد ومحمود عبد الرحمن البرعي ، وحسن محمد ربحان ، القاهرة ، 1965 .

— معجم المصطلحات الفنية ، القوات المسلحة ، ج . ع . م . ، القاهرة ، 1967 .

— المورد ، لمنير البعلبكي ، بيروت ، 1969 .

— معجم الالفاظ العلمية ، شركة شل ، بيروت ، 1960 .

— معجم الالفاظ الزراعية ، مصطفى الشهابي ، القاهرة ، 1957 .

وغيرها الكثير من المعاجم التي لا مجال لذكرها الآن .

وفى رأينا انها ناجحة وتلبي متطلبات العلوم ولا تسيء الى اللغة العربية الا في عدد ضئيل منها ، نعتقد ان نحتها لا مبرر له مثال :

عشم (40) : بدل « عباد الشمس » ، ذلك النبات المشهور بهذا الاسم .

قوزح (41) : « قوس قزح » المشهور قديما وحديثا .

ومما يجعل النحت في زيادة مستمرة هو ان الكثير من المصطلحات الاجنبية التي ينقلون او يترجمون منها منحوتة في الاصل . ولكيلا تحدث اخطاء أو فوضى في اسلوب وضع المصطلحات المنحوتة ، يجب على المختصين ان يضعوا قواعد ثابتة ليلجأ اليها كل من يهتم بالنحت .

وسنقوم الآن بدراسة تحليلية للمصطلحات المنحوتة حديثا ، لتصنيفها وترتيبها وايجاد اصول وقواعد للاساليب والاتجاهات التي يتبناها المحدثون في ايماننا ، لان المختصين قد درسوا النحت قديما ولكنهم لم يدرسوه حديثا .

## النحت حديثا

النحت حديثا على نوعين :

1 — التركيب النحوي

2 — التركيب المزجي

(40) محمد صلاح الدين الكواكبي ، مصطلحات علمية ، دمشق ، 1956 ، ص 145 .

(41) المرجع السابق ، ص 89 .

## 1 - الرباعي :

(ب) على وزن « مفعّل »

مفعّل + مفعّل = مفع + ... + ... مل ، مثال :  
مقيهل (48) = مقيء + مسهل (مقيء)  
eméto-cathartique (مسهل + مقيء)

(ج) على وزن « فعلة »

فعل + فعلة = فعلا + ... لة ، مثال :  
خزلدة (49) = خزل + أكسدة (خزل)  
oxydo-réduction (أكسدة + خزل)

(د) على وزن « تفعلّع »

تفعلّل + فعّل = تفعلّ + ... فع ، مثال :  
تحلّم (50) = تحلل + دم (تحلل + دم)  
hémolysé

(هـ) على وزن « فاعيل »

فعل + فاعيل = فاعل + ... ف ، مثال :  
غوميل (51) = غول + مائل (غول + مائل)  
alcooxy

(و) على وزن « فاععل »

فعل + فاععل = فاعل + ... فعل ، مثل :  
سمرقط (52) = سمك + أرقط (سمك)  
truite (أرقط + سمك)

(ز) على وزن « فاعفعل »

فعل + فاعفعل = فاعف + ... فعل ، مثل :  
حلمر (53) = حلو + مر (حلو + مر)  
douce-amère

(أ) على وزن « فاعل »

فعل + فاعل = فع + ... + ... مل ، مثال :  
خلسل (42) = خل + عسل (خل + عسل)  
oxymel

(ب) على وزن « فاعفعل » ولكن من :

فعل + فاعف = فع + ... + ... مل ، مثال :  
جوثل (43) = جوز + مائل (جوز + مائل)  
datura

(ج) على وزن « فاعفعل »

فاعلة + فعل = فع + ... + ... مل ، مثال :  
حثمر (44) = حثالة + خمر (حثالة + خمر)  
vinasse

(د) على وزن « فلفع »

فعل + فعل = ف + ... ل + ... فع ، مثال :  
عنشم (45) = عين + شمس (عين + شمس)  
opale

(هـ) على وزن « فففع »

فعل + ففعل = فع + ... + ... فع ، مثال :  
شيزج (46) = شبه + زجاج (شبه + زجاج)  
hyaloïde

## 2 - الخماسي :

(أ) على وزن « تفاعل »

تفاعل + تفعل = تفا + ... + ... عل ، مثال :  
تشاكب (47) = تشابه + تركب (تشابه + تركب)  
homologie

(42) محمد صلاح الدين الكواكبي « مصطلحات علمية » ، الطبعة السابعة ، دمشق ، 1956 ، ص 111

(43) المرجع السابق ، ص 49 .

(44) المرجع السابق ، ص 150 .

(45) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .

(46) المرجع السابق ، ص 82 .

(47) المرجع السابق ، ص 81 .

(48) المرجع السابق ، ص 63 .

(49) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 111 .

(50) المرجع السابق ، ص 79 .

(51) المرجع السابق ، ص 17 .

(52) المرجع السابق ، ص 147 .

(53) المرجع السابق ، ص 58 .



(ج) على وزن « فمفعِل »

فعل + فعل = فمفعِل ... + فعل ، مثل :  
رجوز (54) = رجل + وز (رجل + وز) :  
chénopode

(د) على وزن « فلعليل »

فعل + فعليل = ف ... ل ... + ... ليل ، مثل :  
شمزير (60) = شحم + خنزير (شحم  
axonge + خنزير)

### 3 — السداسي :

(أ) على وزن « متفاعل »

متفاعل + متفاعل = متفاعل ... + ... عل ، مثل :  
متماصف (55) = متماثل + منتصف (متماثل  
+ منتصف) :  
mésomère

وكذلك على وزن « متفاعل »

متفاعل + متفاعل = متفاعل ... + ... عل ، مثل :  
متماثر (56) = متماثل + متكاثر (متماثل  
+ متكاثر) :  
polymère

(ب) على وزن « مفعلة »

مفعلة + مفعلة = مفعلة ... + ... علة ، مثل :  
محوجمة (57) = محولة + مرجمة (محوولة  
+ مرججة) :  
transformateur-réducteur

(ج) على وزن « فعلليل »

فعل + فعليل = فعل ... + ... عيل ، مثل :  
غولثير (58) = غول + اثير (غول + اثير) :  
alcool-éther

وكذلك على وزن « فعلليل »

فعل + فاعيل = فعل ... + ... عيل ، مثل :  
حمضثيل (59) = حمض + مائيل (حمض  
+ مائيل) :  
acide-alcool

(هـ) على وزن « فعللون »

فعل + فعللون = فعل ... + ... لون ، مثل :  
حمضلون (61) = حمض + خلون (حمض  
+ خلون) :  
acide-cétone

(و) على وزن « فعملان »

فعليل + فعلان = فم ... + ... علان ، مثل :  
دميوان (62) = دمى + حيوان (دمى +  
حيوان) :  
hématozoaire

### 4 — السباعي :

(أ) على وزن « فعلليل »

فعل + فعليل = فعل ... + ... ليل ، مثل :  
فحمائيل (63) = فحم + مائيل (فحم  
+ مائيل) :  
carboxyle

### 5 — الثماني :

(أ) على وزن « فاعلية »

فاعلة + فعلية = فاء ... + ... لية ، مثل :  
شارسية (64) = شاردة + سلبية (شاردة  
+ سلبية) :  
anion

(ب) على وزن « فعمليات »

فعليل + فعليات = ... + ... ليات ، مثل :

(54) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 440 .

(55) المرجع السابق ، ص 99 .

(56) المرجع السابق ، ص 116 .

(57) المرجع السابق ، ص 146 .

(58) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 16 .

(59) المرجع السابق ، ص 9 .

(60) المرجع السابق ، ص 27 .

(61) المرجع السابق ، ص 10 .

(62) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 78 .

(63) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، 1955 ، ص 120 .

(64) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 22 .

شبلريات (65) = شبيه + بلوريات ( شبيهه  
cristalloïdes + بلوريات )

## ذو ثلاثة عناصر :

### 1 - الثماني :

( 1 ) على وزن « لا متفاع »

لا + متفاعل + فعل = متفاع .. + فع .. ، مثل :

لا متشابه (66) = لا + متشابه + جهة ( لا  
anisotrope + متشابه + جهة )

الثاني - متناسق ، لم نضع له صيغا لانه منتظم ،  
فيؤخذ بعض احرف الكلمة الاولى بشكل مرتب  
( متوالي ) ثم يلحق بالكلمة الثانية التي تبقى سليمة ،  
وتصبح الاحرف المأخوذة من الكلمة الاولى بمثابة  
صدر . ويمكننا ان نسميه بالتركيب المزجي الناقص .  
ويكون على انواع ، حصرنا منها :

من عنصرين - يؤخذ حرفان من الكلمة الاولى ،  
وتكونان عادة ظرف مكان ، وتبقى الثانية سليمة  
مثل :

تحتربة (67) = تحت + تربة sous-sol

فوجزيئي (68) = فوق + جزيئي  
supermoléculaire

دومجهرى (69) = دون + مجهرى  
submicroscopique

(ب) من عنصرين - تؤخذ ثلاثة احرف من الكلمة  
الاولى ، وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كهروضوي (70) = كهربائي + ضوئي

جيوفيزيائي (71) = جيولوجي + فيزيائي

(ج) من عنصرين - تؤخذ أربعة احرف من الكلمة  
الاولى وتبقى الثانية سليمة ، مثل :

كيميفيزياء (72) = كيمياء + فيزياء

بتروكيميائي (73) = بترولي + كيميائي

(د) وهناك الفاظ منحوتة لا قاعدة واضحة لها ولا  
نظام بل تنحت على السمع ( سمعا ) وفق ذوق  
الواضع ، مثل :

صيرفي (74) = صيفي + خريفي  
estivo-automnal

بلمهة (75) = بلا + ماه anhydridiser

بلغز (76) = بلا + غاز dégazer

حلماة (77) = حلل + بالماء acetolyse

مافوسجية (78) = ما + فوق + بنفسجية  
ultra-violet

وغير ذلك .

(65) المرجع السابق ، ص 48 .

(66) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، ط 7 ، دمشق 1956 ، ص 22 .

(67) مصطفى الشهابي ، « معجم الالفاظ الزراعية » ، ط 2 ، القاهرة ، 1957 ، ص ص 607 ، 611 .

(68) منير البعلبكي « المورد » ، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 932 .

(69) المرجع السابق ، ص 923 .

(70) طاهر تيردار ، « امتصاص الضوء » ، اسبوع العلم الاول ، نيسان 1960 ، الكتاب الثاني ، القاهرة ،  
1961 ، ص 140 .

(71) كيفورك ميناجيان ، « المعجم الفني » ، روسي - عربي ، موسكو ، 1967 ، ص 42 .

(72) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1956 ، ص 41 .

(73) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 678 .

(74) صلاح الدين الكواكبي ، « مصطلحات علمية » ، دمشق ، 1965 ، ص 66 .

(75) المرجع السابق ، ص 21 .

(76) المرجع السابق ، ص 52 .

(77) منير البعلبكي ، « المورد » ، بيروت ، 1969 ، ص 441 .

(78) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، دمشق ، 1954 ، ص 97 .

## التركيب المزجي

هو توليد مصطلح من مصطلحين أو أكثر دون حذف أى حرف من الأحرف الأصلية ، بل عن طريق ضمها الى بعضها البعض لتصبح بمثابة كلمة واحدة من حيث النطق والكتابة ( الاملاء ) وذلك لسهولة النسب اليها واختصار وقت النطق والتفكير . وهذا على اصناف :

- 1 . تركيب مزجي خاص - عندما تكون كل العناصر عربية .
- 2 . تركيب مزجي مختلط - عندما يكون بعض العناصر عربية والبعض الآخر اجنبيا .
- 3 . تركيب مزجي دخيل (79) ( مستعار ) - عندما يكون كل العناصر دخيلة ، أى أعجمية .

### 1 . التركيب المزجي الخاص

يتكون من مختلف أنواع العناصر :

- أ - من اسمى عين : انقلعوم (80) = انف + بلعوم
- ب - من اسم عين واسم النسبة : ذقنقاعدي (81) = ذقن + قاعدي .
- ج - من ظرف مكان واسم عين : حولغضروف (82) = حول + غضروف
- د - من ظرف مكان واسم النسبة : خلفمحوري (83) = خلف + محوري

(79) يكون هذا النوع عادة معربا .

(80) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 263 .

(81) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 157 .

(82) نفس المرجع ، ص 281 .

(83) نفس المرجع ، ص 288 .

(84) منير البعلبكي ، « المورد » ، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 711 .

(85) عبد العزيز محمد ، محمود عبد الرحمن البرعي ، حسن محمد ربحان، «معجم المصطلحات العلمية»، القاهرة ، 1965 ، ص 202 .

(86) المرجع السابق ، ص 228 .

(87) المرجع السابق ، ص 196 .

(88) المرجع السابق ، ص 321 .

هـ - من اسمى النسبة :

هذا النوع له رسمان :

الاول - العنصران ملحقان مع بعض ككلمة واحدة ، مثل :

خلفيقلبي (84) = خلفي + قلبي postcardiac

الثاني - غير ملحقين مع بعض ، ويبدو السبب ان المصطلح المنقول منه يتكون من عنصرين تفصلهما شرطة ، مثل :

ظهري جداري (85) = ظهري + جداري dorso-pariétal

و - تركيب مزجي اضافي : هذا النوع يتكون من مضاف ومضاف اليه وله رسمان :

الاول - العنصران ملحقان مع بعضهما البعض ككلمة واحدة ، مثل :

نصفكرة (86) = نصف + كرة

الثاني - غير ملحقين ببعضهما البعض ، ويبدو السبب ان المصطلح المنقول منه من عنصرين تفصلهما شرطة فى اللغة الاجنبية ، مثل :

نصفسطيح (87) = نصف + سطوح

ز - من اسمى عين واسم النسبة :

قصيرسفقدمي (88) = قصب + رسغ + قدمي ulnometacarpalis

ح - من لا واسم النسبة :

لا تزامني (89) = لا + تزامني asynchronous

ط - من لا ومصدر صناعي :

ا ( لا دورية (90) = لا + دورية aperiodicity

ب ( لا اخدوديات (91) = لا + اخدوديات aglyphodontes

وهذا النوع للدلالة على اسم الجنس او التصانيف

ي - من اسم عين ومصدر صناعي فى شكل جمع مؤنث سالم وهو للدلالة على اسم الجنس او التصانيف .

راسحبلات (92) = راس + حبلات cephalochordata

1 — عربي + اعجمي

lanoline صوفين (93) = صوف + ين

sulphate كبريتات (94) = كبريت + ات

cupperous نحاسوز (95) = نحاس + وز

sulphuric كبريتيك (96) = كبريت + يك

antologie كائنولوجيا (97) = كائن + لوجيا

(2) من ثلاثة عناصر :

من عنصرين عربيين + عنصر اجنبي عبارة عن كاسعة ، مثل :

سمدمين (98) = سم + دم + ين hémotoxine

## الشاذ :

يختلف عن الانواع المذكورة سابقا بأنه من عنصرين ، عربي واعجمي وشذوذه فى ان حرفا قد يسقط او يضاف تسهلا للنطق او لاسباب مورفولوجية أخرى ، وهو على ثلاثة اصناف :

1 — تركيب مزجي ناقص :

اسطورولوجيا = اسطورة + لوجيا mythologie

2 — تركيب مزجي شبه مدغم :

جمالوجيا = جمال + لوجيا esthétique

## 2 . التركيب المزجي المختلط

هذا النوع من التركيب المزجي يكون مختلطا بين عناصر عربية وعناصر اعجمية للدلالة على مسميات وانواع خاصة من المادة او الجنس او الدلالة على العلم . وهو على صنفين :

1 — طبيعي

2 — شاذ

## الطبيعي :

يكون سليما لا نواقص او زوائد فى بنیان المصطلح وهو بدوره على نوعين :

(1) من عنصرين :

- (89) كيفورك ميناجيان ، معجم الهندسة الميكانيكية ، موسكو ، 1968 ، ص 16 .
- (90) القوات المسلحة فى ج. ع. م. ، «المعجم الفني» ، القاهرة ، 1967 ، ص 34 .
- (91) مصطفى الشهابي ، «معجم الالفاظ الزراعية» ، القاهرة ، 1957 ، الطبعة الثانية ، ص 18 .
- (92) منير البعلبكي ، «المورد» ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1969 ، ص 163 .
- (93) محمد صلاح الدين الكواكبي ، «مصطلحات علمية» ، دمشق ، 1956 ، الطبعة السابعة ، ص 93 .
- (94) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، «الكيمياء للمرحلة التوجيهية» ، القاهرة ، 1946 ، الجزء الثاني .
- (95) المرجع السابق ، ص 98 .
- (96) المرجع السابق ، ص 82 .
- (97) محمد عزيز الحبابي ، «من الكائن الى الشخص» ، ص 57 ، نقلا عن مصطفى الشهابي ، «سوانح فى اللغة والمصطلحات» ، البحوث والمحاضرات ، الدورة 31 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1964 - 1965 ، ص 29 .
- (98) محمد صلاح الدين الكواكبي ، «مصطلحات علمية» ، ط 7 ، دمشق ، 1956 ، ص 80 .

### 3 — تركيب مزجي زائد :

ميكروليكوبلاست (104) = ميكرو + ليكو + بلاست  
microleukoblast

فكرولوجيا = فكر + و + لوجيا (99)  
idéologie

وهناك الفاظ منحوتة من عناصر أجنبية عديدة ، نتيجة تعريب المصطلح المركب ، وتكون عادة مسميات لمركبات كيميائية معقدة ، نتحدث عنها في باب التعريب .

ونرى في الاصناف المذكورة ان الاول قد حذف منه حرف تاء التأنيث ليكون نطق وكتابة المصطلح اكثر ملاءمة كما يبدو ، والثاني ، حذف منه الحرف المزدوج ( ل ) وطبعاً لتسهيل نطقه وكتابته ، والثالث اضيف اليه حرف ( و ) وهو من تأثير المصطلح الاعجمي حيث حرف الوصل ( هـ ) ولسهولة نطقه لكيلا يتقابل حرفان مسكونان كما يبدو . وفي رابنا ان هذا النوع لا مبرر له وعدم الذوق .

وبدا النحت ينتشر اكثر فاكثر فمثلاً نجده ليس فقط في المعاجم ، بل كذلك في المؤلفات ومنها الدراسة ، مثال على ذلك اننا نجد في كتاب «الكيمياء الطبية» (105) وهو كتاب دراسي لكلية الطب في جامعة دمشق عدداً ضخماً من المصطلحات المنحوتة تأخذ بالانتشار اكثر فاكثر ، منها : اللامتحالات ، تتحوصب ، الكهريات ، الشارجابي ، الشارسي ، الفحمائيل ، مائيل ، الفولاز ، المافوسجية ... الخ .

### 3 . التركيب المزجي الدخيل :

هذا النوع نشأ نتيجة تعريبه ، فكان في اصله تركيباً مزجياً اعجمياً ، وبعد استعارته أصبح تركيباً مزجياً في العربية والاصح انه يعود الى انواع التعريب ، ولكننا ندرسه الآن من حيث البنيان المورفولوجي . وهذا النوع على صنفين وقد يكون اكثر .

اما بخصوص المعاجم ، فنرى في « المورد » (انجليزي - عربي) لمير البعلبكي (106) ، وهو معجم معاصر يستحق الثناء والتقدير لانه وضع على أسس علمية تستجيب لمتطلبات العصر (107) ، وقد لجأ الى النحت لدى الحاجة . وطبعاً كثر النحت في المصطلحات الطبية والنباتية والاحيائية حيث المصطلح الاجنبي يتألف من عدة عناصر اصطلاحية .

1 — مكون من عنصرين ، مثال :

امبرمتر (100) = امبر + متر amperemeter

فولتметр (101) = فولت + متر voltmeter

فوسفوريك (102) = فوسفور + يك phosphoric

2 — مكون من ثلاثة عناصر ، مثال :

ميكروباروغراف (103) = ميكرو + بارو + غراف  
microbarograph

كما سنجد النحت ولو بقلّة في مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي اقراها مجمع اللغة العربية في ج.ع.م. ، وكذلك في مجلة «اللسان العربي» التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي لدى جامعة الدول العربية في الرباط .

وكل هذا يعطي الاسس لنقول ان النحت ضرورة تلج عليها الحاجة العلمية لا مفر منها ، وانه يفتح طريقه

(99) الشهابي ، « سوانح في اللغة والمصطلحات » ، ص 29 .

(100) الياس مرعي دفوني ، « الدليل الميكانيكي والكهربائي » ، بيروت ، 1948 ، ص 105 .

(101) روبرت روزنبرج - ترجمة محمد أحمد قمر ، « اصلاح المحركات الكهربائية » ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1962 ، ص 43 .

(102) حبيب اسكندر ، عبد الفتاح محمد ، « الكيمياء للمرحلة التوجيهية » ، القاهرة ، 1946 ، ص 26 .

(103) القوات المسلحة في ج.ع.م. ، « معجم المصطلحات الفنية » ، انجليزي - عربي ، القاهرة ، 1962 ، ص 463 .

(104) ميلاد بشاي ، « المعجم الطبي الحديث » ، انجليزي - عربي القاهرة ، 1967 ، ص 314 .

(105) محمد صلاح الدين الكواكبي ، « الكيمياء الطبية » ، جامعة دمشق ، ص 29 - 172 .

(106) انظر « المورد » لمير البعلبكي ، قاموس انجليزي - عربي ، ط 2 ، بيروت ، 1969 .

(107) مدح لي هذا المعجم ونصحني ان احصل عليه واستفيد منه في وضع المعاجم الدكتور ابراهيم بيومي مذكور الامين العام لمجمع اللغة العربية في ج.ع.م. في اثناء حديثي معه في المجمع .

أكثر فأكثر مهما كانت العقبات أمامه ، ويحتل مكانا هاما في وضع المصطلحات العربية بعد النقل والاشتقاق والتعريب .

ومن دراستنا وتحليلنا للنحت في اللغة العربية نستنتج ان هناك نوعين من النحت :

1 — التركيب النحتي

2 — التركيب المزجي

وبعد دراسة النحت في اللغة العربية المعاصرة من حيث البنيان المورفولوجي نستخلص الانواع التالية مع وضع صيغ مشتركة لها ، لنصل الى قواعد معينة :

### التركيب النحتي

الانواع الاساسية للتركيب النحتي

1 تركيب نحتي خاص

2 تركيب نحتي خليط

3 تركيب نحتي دخيل

1 — ذو عنصرين 2 — ذو ثلاثة عناصر

1 . ذو عنصرين

الاول : غير متناسق ويكون :

رباعيا ، خماسيا ، سداسيا ، سباعيا ، ثمانيا .

### الرباعي :

أ) فعمل ( فعل + فعل ) فع ... + ... عمل

ب) فعمل ( فعل + فاعل ) فع ... + ... عمل

ج) فعمل ( فعالة + فعل ) فع ... + ... عمل

د) فلفع ( فعل + فعل ) ف ... + ... فع

هـ) فففع ( فعل + فعال ) فع ... + ... فع

### الخماسي :

أ) تفاعل ( تفاعل + تفاعل ) تفا ... + ... عل

ب) مفعمل ( مفعمل + مفعمل ) مفعمل ... + ... عل

ج) فعلة ( فعل + فعلة ) فع ... + ... لة

د) تففع ( تفعل + فع ) تفع ... + ... فع

هـ) ففعل ( فعل + فاعيل ) فع ... + ... ف ... يل

و) ففعل ( فعل + افعال ) فع ... + ... فعل

ز) ففعل ( فعل + فعل ) فع ... + ... عمل

ح) ففعل ( فعل + فعل ) فع ... + ... فعل

### السداسي :

أ) متفاعل ( متفاعل + متفاعل ) متفا ... + ... عل

ب) مفعلة ( مفعلة + مفعلة ) مفع ... + ... ملة

ج) ففعل ( فعل + فعيل ) فع ... + ... ففعل

و كذلك ففعل ( فعل + فاعيل ) ... + ... ففعل

د) ففعل ( فعل + فعيل ) ف ... + ... ففعل

هـ) ففعل ( فعل + فعول ) فع ... + ... ففعل

و) ففعل ( فعل + فعول ) فع ... + ... ففعل

### السباعي :

أ) ففعل ( فعل + فعيل ) فع ... + ... ففعل

### الثماني :

أ) فاعلية ( فاعلة + فعلية ) فاء ... + ... لية

ب) ففعل ( فعل + فعوليات ) فع ... + ... ففعل

2 . ذو ثلاثة عناصر

### الثماني :

1) لا متفاع ( لا + متفاعل + فعل ) لا + متفا

... + ... فع

الثاني : متناسق ويكون منتظما ، وغير منتظم

1 — منتظم

أ) من عنصرين ، يؤخذ حرفين :

تح ... ( تحت ) =

فو ... ( فوق ) =



دو ... (دون) =

(ب) من عنصرين ، تؤخذ ثلاثة احرف :

كهر ... (كهربائي)

جيو ... (جيولوجي)

(ج) من عنصرين ، تؤخذ أربعة احرف :

كيم ... (كيميائي)

بترو ... (بترولي)

2 — غير منتظم

مثل : صيرفي ( صيفي + خريفي ) ، بلهمة

( بلا + ماه ) ، بلغز ( بلا + غاز ) ... الخ .

## 2 — التركيب المزجي :

اصناف التركيب المزجي :

(1) تركيب مزجي خاص

(2) تركيب مزجي مختلط

(3) تركيب مزجي دخيل

## 1 . التركيب المزجي الخاص

( ا ) اسمى عين

( ب ) من اسم عين واسم النسبة

( ج ) من ظرف مكان واسم عين

( د ) من ظرف مكان واسم النسبة

( هـ ) من اسمى النسبة

1 — ملحقان

ب — غير ملحقين

( و ) تركيب مزجي اضافي

1 — ملحقان

ب — غير ملحقين

( ز ) من اسمى عين واسم النسبة

( ح ) من ( لا ) واسم النسبة

( ط ) من ( لا ) ومصدر صناعي

1 — لا + ... ية

ب — لا + ... يات

( ي ) من اسم عين ومصدر صناعي

## 2 . التركيب المزجي المختلط :

1 — طبيعي

( ا ) من عنصرين

1 . عربي + أعجمي

2 . أعجمي + أعجمي

( ب ) من ثلاثة عناصر

1 . عريان + أعجمي

2 — الشاذ

( ا ) تركيب مزجي ناقص

( ب ) تركيب مزجي شبه مدغم

( ج ) تركيب مزجي زائد

## 3 . التركيب المزجي الدخيل :

1 — من عنصرين

2 — من ثلاثة عناصر

النهج قديمًا

بسم الله الرحمن الرحيم

هتحت من علم مضاف ومضاف اليه

جمله من

مناعي  
الحديثة

سید

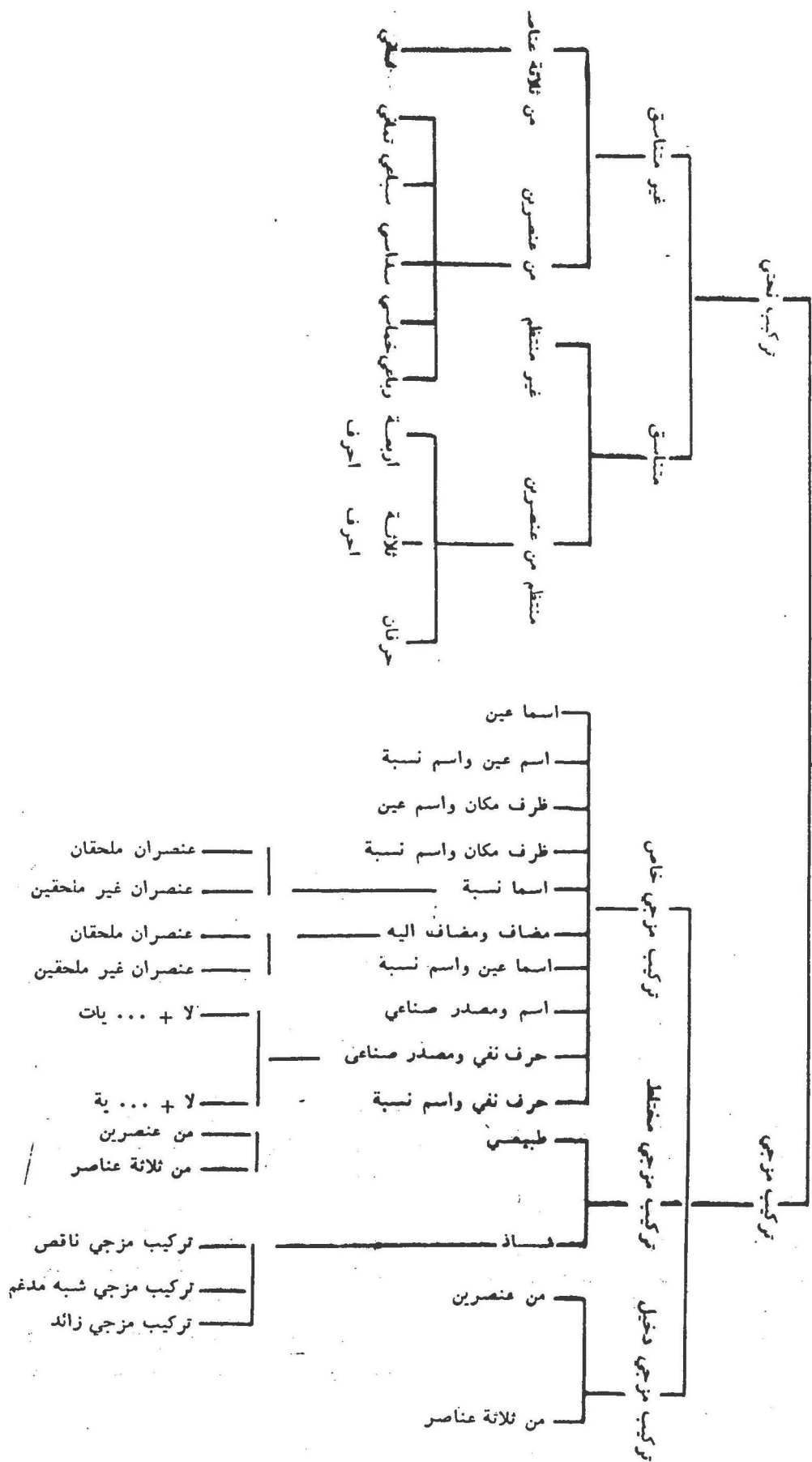
penitentiary

ماہنامہ  
مصلح

رباعی  
قصاید

جدول تخطیعی لائحت حدیثا

النسخت حديثاً



# تاريخ المعجم العسكري

الأستاذ محمد شيت خطاب

## تمهيد

- 1 -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على  
الرسول القائد النبي العربي وعلى جميع الانبياء  
والمرسلين .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب  
ان الجزائر جزء من فرنسا سنة 1870 .

واحتلت فرنسا تونس سنة 1883 ، والمغرب  
سنة 1912 ، ولبنان سنة 1918 وسورية سنة  
1920 .

ولكن امتيازات فرنسا السياسية والاقتصادية  
والثقافية في لبنان ، سبقت الاحتلال العسكري  
واعلان الانتداب رسميا سنة 1918 بأكثر من قرنين،  
ولقد اعترفت الدولة العثمانية بتلك الامتيازات .

واستقلت سورية ولبنان سنة 1943 ،  
واستقلت تونس والمغرب سنة 1956، واستقلت  
الجزائر سنة 1962 ، بعد ان بقي الاستعمار  
الفرنسي جاثما على الجزائر اثنين وثلاثين ومائة  
عام ، وعلى تونس ثلاثة وسبعين عاما ، وعلى المغرب  
اربعة واربعين عاما ، وعلى لبنان خمسة وعشرين  
عاما وسورية ثلاثة وعشرين عاما .

وقد تغلغل الثقافة الفرنسية فكرا ولغة في  
هذه الاقطار العربية ، واصبحت لها جذور عميقة

في المثقفين بخاصة وغير المثقفين بعامة ، حتى نسي  
قسم من السكان لغتهم الاصلية أو كادوا . وكانت  
تلك الجذور تتناسب في تغلغلها عمقا تناسبا طرديا  
مع المدة الزمنية التي بقي الاستعمار الفرنسي جاثما  
فيها على تلك الاقطار العربية ، فكانت في الجزائر  
أعمق جذورا من الاقطار الاخرى ، وكانت في تونس  
اقل عمقا مما كانت عليه في الجزائر ، فالمغرب فلبنان  
فسورية .

لم يكن لدى الجزائر وتونس ولبنان جيوش نظامية  
تخضع للسلطات الوطنية، ولكن كان لديها شرطة محلية  
وعسكريون من السكان المحليين يعملون في الدرك  
أو مرتزقة في جيش فرنسا بقيادة الجيش الفرنسي  
المباشرة وبأمرته .

وكان لدى المغرب جيش نظامي، ولكنه كان  
يوالي السلطة ويعمل بأمرها .

وقد استغلت فرنسا الطاقات البشرية لكل من  
الجزائر وتونس والمغرب بالدرجة الاولى ولبنان  
وسورية بالدرجة الثانية في الحرب العالمية الاولى  
( 1914 - 1918 ) وفي الحرب العالمية الثانية  
( 1939 - 1945 ) وفي الحروب المحلية التي شنتها  
لاخماد الثورات الداخلية في مستعمراتها الافريقية  
والاسيوية غير العربية ، كما استغلت الطاقات  
البشرية لتلك المستعمرات لاخماد الثورات الداخلية  
في مستعمراتها العربية ، فجددت اعدادا ضخمة من  
الرجال لدعم المجهود الحربي الفرنسي .

وقد درست العرب المجندين تدريباً عسكرياً فرنسياً في المدارس والمعاهد والكلية والوحدات الفرنسية ، فقاتلوا مع جيش فرنسا بأمر قيادتها العسكرية المباشرة في الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الأولى ، وفي شمال إفريقيا وسورية ولبنان وإيطاليا والجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الثانية ، فأبلاوا في الحربين العالميتين وفي الحروب المحلية أعظم البلاء .

والذين قرأوا كتب تاريخ الحرب ومذكرات قادة الحلفاء خاصة مذكرات اللواء أيزنهاور (1) القائد الأعلى لجيوش الحلفاء في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية ، يجد ثناء عاطفاً على شجاعة رجال المغرب العربي - ومما ذكره أيزنهاور بالتقدير والاعجاب في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية في إيطاليا ، أن القوات المغربية انتصرت على القوات الألمانية في معركة : ( دير كاسينو ) واحتلت مواضعهم الحصينة في قمم الجبال الإيطالية بعد عجز القوات البريطانية والأمريكية والكندية والنيوزيلندية والاسترالية عن احتلال تلك المواقع الجبلية الحصينة .

وقد احتل الأسبان سنة 1912 المنطقة الشمالية من المغرب ، ولكن أثرهم الثقافي كان أقل بكثير من أثر الثقافة الفرنسية . إلا أن الأسبان جندوا قسماً من رجال المغرب في جيشهم ، فقاتلوا في صفوف اللواء فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية ( 1936 - 1939 ) ، وكان لشجاعتهم النادرة أثر حاسم في انتصار فرانكو على خصومه كما هو معروف .

وقد احتفظ اللواء فرانكو رئيس الدولة الإسبانية بقوات نظامية مغربية ، يعتمد عليها ويعتد بها ، حتى لقد اختار حرسه الخاص ضباطاً ومراتباً واختار أكثر مرافقيه العسكريين من المغاربة ! وبقي المغاربة يعملون في إسبانيا مدة طويلة ، ولكنهم سرحوا قبل بضع سنين .

تلك أمثلة ملموسة تدل بوضوح على تحلي رجال المغرب العربي بالسجية العسكرية شجاعة وأقداماً وضبطاً ونظاماً ، مما يدعو إلى الفخر والاعتزاز .

وما يقال عن رجل المغرب العربي ، يقال عن رجال المشرق العربي أيضاً .

## المعجمات العسكرية الأولى

- 1 -

المصطلحات العسكرية العربية يملأ الفراغ الذي يتركه التخلي عن اللغة الفرنسية .

ولكن متطلبات رفع المعنويات من جهة ، وضرورة إقرار اللغة القومية من جهة أخرى ، كانت حوافز تستحث الخطى لاتخاذ اللغة العربية بدلاً من اللغة الفرنسية في جيوش القطار المغرب العربي وسورية ولبنان التي نالت استقلالها حديثاً من فرنسا .

إن المعنويات في الجيش ، هي أحد عنصرين رئيسيين في تكوينه : المعنويات أولاً والماديات ثانياً . وهذان العنصران يتم أحدهما الآخر ولا يكون الجيش جيشاً رصيناً بأحدهما دون الآخر .

وأهمية المعنويات لأي جيش كاهية الماديات له سواء بسواء ، وقد أصبحت المعنويات كالماديات بعد تطور الأسلحة التقليدية وانتقال الجيوش الحديثة من عصر القنابل ذات الماديات المحدودة والأجهزة اللاسلكية والسلكية إلى عصر الصواريخ

رحل الاستعمار الفرنسي عن لبنان وسورية وتونس والمغرب والجزائر عسكرياً وسياسياً ، ولكن الاستعمار الفكري ظل مستحوذاً على المثقفين العرب في تلك الاقطار - وبخاصة أقطار المغرب العربي .

فقد كان العسكريون وهم جزء من المثقفين - مربوا في جنسيتهم وأصلهم ، فرنسيين في ثقافتهم ولفتهم ، كل تدريبهم وتنظيمهم وتسليحهم فرنسي .

هؤلاء العسكريون العرب أصبحوا بعد الاستقلال (قواعد) للجيوش العربية الوطنية في الاقطار العربية التي تخلصت من الاستعمار الفرنسي ، وعلى تلك القواعد (العربية) بالاسم الفرنسية بالفعل (ارتفع بناء تلك الجيوش .

كان من الطبيعي أن يعتمد أولئك العسكريون العرب على اللغة الفرنسية لغة عسكرية ، لأنهم لم يكونوا يحسنون غيرها لغة للتخاطب في القضايا العسكرية ، كما لم يكن لديهم رصيد جاهز من

(1) أصبح رئيس الولايات المتحدة فيما بعد .

عابرة القارات والاجهزة الالكترونية والاسلحة الدرية والهيدروجينية ، وكانت أهمية المعنويات قبل ذلك 75 ٪ وأهمية الماديات 25 ٪ فقط ، كما قال نابليون بونابارت .

وبقاء لغة المستعمر في جيش وطني ، يؤثر اسوا الاثر في معنوياته ، فليس من المعقول أن ( تأخذ ) تلك البلاد العربية استقلالها من فرنسا بالحديد والنار والتضحيات والشهداء ، ثم تستبقي لغة المستعمر مهيمنة على جيوشها ، وليس من المنطق أن تبقى تلك الجيوش الى الأبد عربية الوجه والنسب فرنسية الفكر واللسان .

كان لابد من عمل ايجابي لوضع الامور في نصابها ، صونا لمعنويات الجيوش الوطنية من الانهيار ، وحرصا على مكانة اللغة العربية أن تصبح لغة ثانوية في عقر دارها .

كانت سورية هي الرائدة في مضمار وضع المصطلحات العسكرية ، وكانت السباقة في ميدان ترجمة قسم من المصطلحات العسكرية الأجنبية الى العربية . فقد ألفت جيشا وطنيا في مدة استقلالها القصير بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكنها فقدت استقلالها وفقدت معه جيشها الوطني حين داهمها الاستعمار الفرنسي سنة 1920 .

لقد بذل المسؤولون من الجيش السوري في تلك المدة القصيرة جهودا مثمرة حقا في وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الأجنبية للجيش السوري الوليد ، لكأن تلك المصطلحات الموضوعة والترجمة اول مصطلحات عسكرية في الجيوش العربية كلها .

واطبق الصمت الرهيب على سورية بعد احتلالها عام 1920 ، وأصبحت مرتعا للمستعمر الفرنسي الذي واد جيشها الوطني ، ولكنها استعادت سيرتها الاولى عام 1943 وهو عام الاستقلال ، وبدأت ببناء جيشها الوطني من جديد ، كما بدأت ثانية بوضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الأجنبية .

وكان لديها رصيد لا بأس به من المصطلحات العسكرية القديمة التي هي من ثمرات جهود ابنائها ومن المصطلحات العسكرية العربية العراقية التي طبعت في معجم المصطلحات العسكرية الحديثة عام 1932 والمعجم العسكري عام 1943 (1) .

وحرص لبنان حرص سورية على وضع المصطلحات العسكرية العربية وترجمة المصطلحات العسكرية الفرنسية ، ولكن لم تصدر معجمات عسكرية عربية ( فرنسي - عربي ) مطبوعة الا في 10 ايلول ( سبتمبر ) سنة 1959 ، حيث صدر المعجم العسكري اللبناني ( فرنسي - عربي ) ، فكان اول معجم عسكري مطبوع من نوعه .

- 3 -

(أ) صدرت ثلاث معجمات عسكرية عربية (فرنسي - عربي) ، وهي على حسب تاريخ صدورها، المعجم العسكري اللبناني ، والمعجم العسكري السوري ، والمعجم العسكري البحري اللبناني .  
(ب) فقد شكلت لجنة اعداد المعجم العسكري اللبناني من أربعة أعضاء : ثلاثة من اللغويين المدنيين (2) وضابط من الجيش اللبناني لاعداد المعجم العسكري اللبناني .  
بدأت هذه اللجنة عملها سنة 1945 ، وانجزته سنة 1959 ، ويضم نحو عشرة آلاف مصطلح عسكري .

مصادر هذا المعجم هي : المعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية الفرنسية (3)  
(ج) كما شكلت لجنة لوضع المعجم العسكري السوري مؤلفة من خمسة أعضاء : اثنان من علماء اللغة (4) وضابطان من الجيش السوري وضابط من الجيش المصري .

بدأت هذه اللجنة عملها في 5 ماي (مايو) سنة 1959 ، وانجزته في نهاية سنة 1961 ، ويضم نحو اربعين ألف مصطلح عسكري .

مصادر هذا المعجم : المعجم العسكري الكندي والمعجمات العسكرية الفرنسية والقوانين العسكرية

- (1) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية ( 8 - 12 ) .
- (2) هم الشيخ عبد الله الملايلي والاستاذ بطرس البستاني والشيخ فؤاد جيش .
- (3) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية ( 15 - 16 ) .
- (4) هما الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق والاستاذ عز الدين التلوخي .

الفرنسية والمعجم العسكري العراقي (1) ، والمعجم العسكري اللبناني .

(د) وقد شكلت لجنة إعداد المعجم البحري اللبناني من نفس أعضاء اللجنة التي أعدت المعجم العسكري اللبناني .

وبدأت هذه اللجنة عملها في سنة 1958 ، وانجزته سنة 1963 ، ويضم نحو ( 2 000 ) مصطلح عسكري (2) .

مصدر هذا المعجم هو المعجم العسكري البحري الفرنسي .

(هـ) ولقد كان وضع هذه المعجمات العسكرية الثلاثة وإخراجها للناس عملاً عسكرياً مهماً وانجازاً لغوياً كبيراً ، لأن وضع المصطلحات العسكرية أو ترجمتها أمر شاق لا يقوى عليه إلا الخبراء بدقائق العلوم العسكرية ، المحيدون لأحدى اللغات الأجنبية أجادة تامة ، المتضلعون في الوقت نفسه من اللغة العربية .

إن صدور هذه المعجمات العسكرية ملا فراعاً في المكتبة العسكرية وسد حاجة للجيش العربية في سورية ولبنان، ولكن فائدتها اقتصر على النطاق القطري لهذين القطرين العربيين الشقيقين ، دون أن تجتاز حدودهما إلى أقطار المغرب العربي .

**ولست اليوم أقطار المغرب العربي : تونس والمغرب والجزائر ، لأنها لم تصدر معجمات عسكرية خاصة بجيوشها الوطنية، في وقت هي بأمس الحاجة إليها ، لأن لبنان أصدر معجمه العسكري بعد ست عشرة سنة من استقلاله ، ولأن سورية أصدرت معجمها العسكري بعد ثماني عشرة سنة من استقلالها، ولم تمض هذه السنون على استقلال أقطار المغرب العربي ، منذ رحل الاستعمار الفرنسي من بلادها حتى تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية في حزيران (يونيو) سنة 1968 .**

كما أن اثر الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي ، كان أعمق جلوداً مما هو عليه في لبنان وسورية .

وقد شاركت أقطار المغرب العربي بالإصالة كما فعلت المغرب وبالنسبة كما فعلت تونس والجزائر

في تأليف لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية التي أعدت المعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) وأخرجته للناس ، وهذا دليل على حرصها الشديد على أن تستبدل بالمصطلحات العسكرية الفرنسية الدخيلة المصطلحات العسكرية العربية الأصيلة .

### لجنة إعداد المعجم العسكري الموحد

تألفت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية من ممثل مجمع اللغة العربية في القاهرة وممثل من كل جيش عربي وممثل من القيادة العربية .

وهذه اللجنة هي نفس اللجنة التي أعدت المعجم العسكري الموحد ( إنكليزي - عربي ) ، والتي بدأت عملها في رحاب جامعة الدول العربية بالقاهرة يوم 30 ( مايو ) سنة 1968 .

وقد اختارت هذه اللجنة من بين أعضائها ثلاثة ضباط لإعداد المعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) ، وحرصت على اختيارهم من ممثلي الجيوش العربية ذات الثقافة العسكرية الفرنسية ، للاستفادة من إتقانهم اللغة الفرنسية ، وللإطلاع على ما لديهم من مصطلحات عسكرية عربية ، ولمعرفة ما تحتاج إليه جيوشهم من مصطلحات عسكرية جديدة ، وللأخذ بأرائهم التي هي ثمرة تجاربهم في الوحدات والمقرات .

وهؤلاء الأعضاء الثلاثة هم :

العقيد الركن جان نخول من لبنان

العقيد الركن يوسف اليازجي من سورية

العقيد محمد الخطابي من المغرب

وقد عملت هذه اللجنة الفرعية بإشراف رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية وبتمعاون وثيق مع أعضاء هذه اللجنة كافة .

وأشهد أن اللجنة الفرعية بذلت جهوداً جبارة، وواصلت عملها ليلاً ونهاراً دون كلل أو ملل وبتمعاون شديد وحرص نادر ، فاستحقت شكر العربية ، لأنها أضافت معجماً عسكرياً جديداً سيكون له اثر بالغ في توحيد الجيوش العربية وإشاعة الانسجام الفكري بين رجالها بأذن الله .

(1) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية ( 12 - 15 )

(2) انظر التفاصيل في : تاريخ المعجمات العسكرية العربية (17) .



## مراحل الأعداد

- 1 -

### المرحلة الابتدائية

حين كانت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربي تعد المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) وبعد اكمال توحيد المصطلحات العسكرية المتناقضة في الجيوش العربية ذات الاهمية الخاصة ، وهي المصطلحات العسكرية الشائعة الحيوية التي تكون العمود الفقري للمصطلحات العسكرية العربية ، والتي تضم مصطلحات الابعازات والمصطلحات التعبوية والسوقية والتدريبية ، ومصطلحات أسماء الاسلحة والذخيرة والرتب والمناصب واسماء الوحدات والتشكيلات والمقرات والمدارس والمعاهد والكليات العسكرية .

وبعد ان بقي على اللجنة توحيد المصطلحات العسكرية الثانوية التي قد لا يختلف على توحيدها اعضاء اللجنة ، آثرت الا اضيع الوقت سدى بدون مسوغ ، فقررت تكليف ممثل لبنان في اللجنة بمراجعة المصطلحات العسكرية العربية المعمول بها في قسم من الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية ، وتعديل تلك المصطلحات طبقا لما اقترته اللجنة ، ودراسة المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة المتيسرة في لبنان وسورية ، والاعتماد على المعجم العسكري الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ، ووضع هيكل للمعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) .

وافقت مع ممثل لبنان ان يعتكف في داره للنهوض بهذا الواجب ، حتى يقتصد من الوقت الذي يقضيه في الذهاب الى جامعة الدول العربية والاياب منها ، كما اتفقت معه على زيارة مقر اللجنة يوم الاثنين من كل اسبوع ، للاطلاع على سير العمل ومناقشته فيه وادخال التعديلات التي تراها اللجنة عليه ، ودراسة ما اقترته اللجنة من مصطلحات عسكرية جديدة للاخذ بها ، ولبحث ما انجزه في اسبوع واحد من واجبه المكلف به .

وافقت معه على جدول زمني ينتجز خلاله واجبه ، بامكانه ان يسبقه ولكن ليس بامكانه ان يتاخر عنه .

وكان حرصه يتصاعد كلما اقترب الموعد

المضروب ، حتى اكمل ما عهد اليه به من عمل في الوقت المحدد له تماما .

لقد بدا عمله في 1 تموز ( يوليو ) سنة 1968 وانجزه في اول كانون الثاني ( يناير ) سنة 1969 .

- 2 -

### المرحلة النهائية

كان امام اللجنة الفرعية المؤلفة من ممثلي لبنان وسورية والمغرب مسودات مصطلحات عسكرية عربية مرتبة بموجب الحروف الابجدية الفرنسية . كل مصطلح عسكري عربي ازاء مصطلح عسكري فرنسي .

وكانت تلك المصطلحات مقتبسة بالدرجة الاولى من المعجم العسكري اللبناني والمعجم البحري اللبناني والمعجم العسكري السوري .

وبدأت تلك اللجنة عملها بمراجعة تلك المصطلحات ، وازافة مصطلحات جديدة مقتبسة من المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) ومعجم لاروس الفرنسي والمعجم العسكري الكندي ومصطلحات الاكاديمية العسكرية الفرنسية ومصطلحات المعجم العسكري اللبناني المخطوط والمعجم العسكري السوري المخطوط ايضا .

وقد ظهر ان ممثل لبنان اثبت المصطلحات العسكرية اللبنانية . وهذا امر طبعي . لان كل عضو من اعضاء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية يحرص على اقرار مصطلحات جيشه التي اعتادها ، ولكن اللجنة الفرعية لا تقر غير ما اقترته لجنة التوحيد الموسعة ، التي ليس لها من صلاحيتها مخالفة تلك اللجنة ، والا وقع تناقض بين المعجم العسكري الموحد (انكليزي - عربي) والمعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) ، وهذا لا يتفق مع مبدأ توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية . الذي اجتمعت اللجنة الموسعة من اجله وكان هدفها الاول من اجتماعاتها .

وكانت معالم الطريق امام اللجنة الفرعية واضحة ، وكان متجهها في سلوكه سهلا : ان تستبدل بالمصطلحات الانكليزية المصطلحات الفرنسية ، وان تحذف ما لا مرادف له في الفرنسية ، وتضيف المصطلحات الفرنسية التي لا وجود لها في المصطلحات الانكليزية ، وتمحو ما لا حاجة اليه في الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية .

1969 ، وانتهت فى نهاية حزيران ( يونيو ) سنة  
1969 .

- 3 -

### مرحلة التكامل

وهي المرحلة التى انجز فيها طبع  
مسودات المعجم على الآلة الكاتبة والمراجعة  
والتشكيل .

كانت مسودات المعجم تقدم الى الطابع على  
الآلة الكاتبة ، فور الانتهاء من ترتيب المصطلحات  
العسكرية الفرنسية على حسب الحروف الابجدية  
الفرنسية ، فاذا اكملت اللجنة الفرعية ترتيب  
الحرف A بموجب الترتيب المعجمي المعروف  
فى اللغات الاجنبية ، بدأت بمراجعة المسودات ، ثم  
وازنت بين المصطلحات العسكرية العربية وما ورد فى  
المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) وقومت  
ما فيها من خطأ او انحراف ، وتأكدت من تطابقها فى  
المعجمين الموحدين ( انكليزي - عربي ، و ( فرنسي -  
عربي ) . فاذا اكملت كل ذلك ، اعادت المراجعة  
النهائية وقدمت المسودات الى الطابع على الآلة  
الكاتبة .

وكان على الطابع ان يستنسخ بمعدل عشرين  
صفحة كل يوم ، فاذا قصر حوسب ، واذا احسن  
او استنسخ اكثر من عشرين صفحة كوفيء .

وقبل انتهاء الدوام اليومي ، يقدم الطابع ما  
طبعه الى اللجنة الفرعية ، فيقرأ الاعضاء الصفحات  
المطبوعة بالتعاقب ، ويصححون الاخطاء المطبعية .

وهكذا يكون العمل متداخلا : اعدادا وطبعما  
ومراجعة فى وقت واحد .

اما واجب لجنة المصطلحات العسكرية  
للجيوش العربية فى هذه المدة ، فهو مراجعة ما  
اقرته اللجنة الفرعية وادخال التعديلات طبقا  
للمصطلحات العسكرية العربية التى اتفقت عليها  
واقترتها .

وقد استغرق ذلك ستة اشهر ، بدأت فى 1  
كانون الثاني ( يناير سنة 1969 ) وانتهت فى نهاية  
حزيران ( يونيو ) سنة 1969 ، وهي نفس مدة  
اعداد المعجم التى ذكرناها فى : مرحلة الاعداد  
النهائية .

لقد كان على لجنة توحيد المصطلحات العسكرية  
للجيوش العربية حشر المصطلحات البريطانية  
والامريكية والكندية ومصطلحات حلف الاطلسي فى  
المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) ، وذلك  
لتغطية حاجة الطلاب العسكريين العرب الذين  
يدرسون فى المدارس والمعاهد والكليات العسكرية  
البريطانية والامريكية او يعتمدون على مصطلحات  
حلف الاطلسي ، وحاجة الضباط العرب الذين  
يترجمون الكتب والنشرات العسكرية الصادرة فى  
انكلترا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وعن حلف  
الاطلسي .

لذلك جاء المعجم العسكري الموحد ( انكليزي -  
عربي ) ضخما بألف صفحة من القطع الكبير تضم  
( 80.000 ) مصطلح عسكري .

اما المعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) ،  
فالامر مختلف بالنسبة اليه ، فهو يعنى بتغطية حاجة  
الجيوش العربية ذات الثقافة الفرنسية ، لذلك  
اقتصرت مصادره على المعجمات العسكرية الفرنسية  
والقوانين العسكرية الفرنسية ، فجاء بست وستين  
وخمسائة صفحة من القطع الكبير ، تضم أربعين  
الف مصطلح عسكري .

وكان اعداد المعجم العسكري الموحد ( فرنسي -  
عربي ) اسهل بكثير من اعداد المعجم العسكري  
الموحد ( انكليزي - عربي ) ، لان لجنة توحيد  
المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وحدت  
المصطلحات العسكرية المتناقضة فى الجيوش  
العربية ، فأصبحت تلك المصطلحات جاهزة ولم  
يبقى امام اللجنة الفرعية الا ان تستبدل بالمصطلح  
الانجائيزي المصطلح الفرنسي وتضع المصطلح العسكري  
العربي المتفق عليه ازاءه .

وقد كانت اللجنة الفرعية متفرغة لواجبها لا  
يشغلها عنه شغل ، لان المعجم العسكري الموحد  
( انكليزي - عربي ) قد انجز فى 30 تشرين الاول  
( نوفمبر ) سنة 1968 ، وكان فى مرحلة المراجعة  
من لجنة مجمعية بدأت عملها فى اوائل تشرين الثاني  
( اكتوبر ) سنة 1968 ، وانتهت من مراجعته فى  
نهاية نيسان ( ابريل ) سنة 1969 .

وبذلك استطاعت اللجنة الفرعية انجاز المعجم  
العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) خلال مدة زمنية  
قصيرة ، بدأت فى 1 كانون الثاني ( يناير ) سنة

كل كلمة وكل لفظ في المعجم تشكيلا كاملا ، لان من جملة اهداف اللجنة تعليم المسكرين اللغة العربية الفصحى وتدريبهم على النطق العربي السليم .

ثم ان المعجم العسكري الموحد بالرغم من صفته العسكرية العلمية ، معجم لفوي قبل كل شيء .

ولتاريخ اللغة اذكر ان المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) و ( فرنسي - عربي ) هما اول معجمين عسكريين صدرا من المعجمات العسكرية وتشكيلهما متكامل غاية التكامل ، اما المعجمات العسكرية الاخرى فغير مشكلة او ناقصة التشكيل ، وافضل معجم عسكري من ناحية التشكيل بعد المعجم العسكري الموحد هو المعجم العسكري السوري ( انكليزي - عربي ) و ( فرنسي - عربي ) .

- 4 -

### مرحلة الطبع

كانت مشاكل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية في مراحل اعداد المعجم مشاكل علمية (1) ، فاصبحت مشاكل اللجنة في هذه المرحلة مشاكل ادارية .

ملخص المشاكل ثلاث : المال والموظفون والطبعة ، وهي مشاكل ادارية بعيدة كل البعد عن صميم واجب اللجنة الرئيس ، وهو واجب علمي بحث ، لا يتعدى اعداد المعجم والاشراف على طبعه واخراجة للناس خاليا من الاخطاء العلمية واللغوية والطباعة قريبا جهد الامكان من الكمال .

لقد واجهت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية مصائب بالغة التعقيد ومعضلات لا تعد ولا تحصى ، ولكن اللجنة استطاعت التغلب عليها ، فبدأ طبع المعجم يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1969 ، وصدرت النسخ الاصلية ومقارها الف نسخة يوم 1 آب ( اغسطس ) سنة 1970 بعد تأخر صدورها سبعة اشهر !! (2) .

وكان على الطبعة تصوير نسخة من نسخ المعجم الاصلية لطبع نسخ المعجم الاخرى بطريقة التصوير .

ولكن بقي على اللجنة الفرعية عمل واحد لاستكمال واجبها ، هو تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، وقد استغرق ذلك ثلاثة اشهر : من 1 تموز ( يوليو ) سنة 1969 الى نهاية ايلول ( سبتمبر ) سنة 1969 .

وربما يتبادر الى اذهان الذين يطلعون على تشكيل المصطلحات العسكرية العربية ، ان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بالفت في تشكيل الكلمات العربية والجمال بالحركات الاعرابية ( الفتحة والضم والكسرة والسكون والتنوين ) .

ان من الاهداف المهمة لاصدار المعجمات العسكرية اشاعة النطق الصحيح بالعربية نحوها وصرفا بين العسكريين . والمعجمات العسكرية العربية المطبوعة في الاقطار العربية التي صدرت قبل المعجم العسكري الموحد ، لم تشكل مفرداتها بالحركات او كان تشكيلها ناقصا او مجانفا الصواب من الناحية اللغوية . وكان من نتائج اغفال التشكيل او اجرائه ناقصا او بصورة مفلوطة ، انحراف نطق الكلمات والالفاظ العسكرية عن اللغة العربية السليمة ، ولا يزال قسم من العسكريين يخطئون حتى في الالفاظ العربية الشائعة التي يكثر استعمالها في الجيوش العربية .

يقولون : لفم ( بتسكين الفين ) ، وصوابها : لفم ( بالتحريك ) : ويقولون رتل ( بالتسكين ) ، وصوابها : رتل ( بالتحريك ) . ويقولون : مدفع ( بفتح الميم ) ، وصوابها : ( بكسرهما ) . ويقولون : مدفعي ، وصوابها : مدفعي . ويقولون : ثكنة ( بالتحريك ) ، وصوابها : ثكنة ( بضم الثاء وتسكين الكاف ) ... الخ ..

تلك امثلة قليلة على انتشار الاخطاء اللغوية بين العسكريين حتى ضمن نطاق الالفاظ السهلة الشائعة . اما اخطاؤهم اللغوية في الالفاظ الصعبة الحوشية غير الشائعة فادهى وامر . ولكن هل العسكريون وخدمهم يخطئون في اللغة ؟ ذلك امر معروف وتكراره حديث معاد .

لقد اعتبرت اللجنة نفسها بحق مسؤولة عن تقويم نطق العسكريين ومحاولة تصحيح اخطائهم اللغوية بقدر المستطاع ، لذلك حرصت على تشكيل

(1) انظر : تاريخ المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) ص ( 14 - 15 ) .

(2) السبب مزدوج : اهمال قسم من موظفي الجامعة العربية اولا ، واهمال المسؤولين في الطبعة ثانيا ، وقد كان العقد بين جامعة الدول العربية والطبعة ينص على انجاز الطبع خلال ثلاثة اشهر .

8 - نحاشينا اطلاق اسماء الاعلام على الذخيرة والاسلحة والاجهزة تجنباً للبلبله التي يمكن ان تحدثه في الاستعمال ، فلم نقل : رشاشه فيكرسي ورشاشه هوجكس .. الخ .. بل ثبتنا المصطلح العسكري الدال على وظيفة السلاح والذخيرة وخواصهما للدلالة عليهما .

9 - وضعنا الابعازات والوامر العسكرية بين حاصرتين على هذا الشكل « ... »

### مصادر المعجم ومراجعته

اعتمد هذا المعجم على المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) بالدرجة الاولى ، لان لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربي اتفقت على مصطلحاته العربية ، فاصبحت تلك المصطلحات الاساس في هذا المعجم .

كما اعتمد على المعجم العسكري السوري ( فرنسي - عربي ) والمعجم العسكري اللبناني ( فرنسي - عربي ) والمعجم العسكري البحري اللبناني ( فرنسي - عربي ) والمعجم العسكري اللبناني المخطوط ( فرنسي - عربي ) والمعجم العسكري الفرنسي والقوانين العسكرية الفرنسية والمعجم العسكري الكندي ( فرنسي - انكليزي ) ومعجم لاروس الفرنسي .

كما اعتمد على مصطلحات كلية الاركمان الفرنسية .

تلك هي مصادر هذا المعجم ، اما مراجعته فهي كثيرة مسجلة في الثبث المرفق .

لقد اعتمد على المعجم العسكري العراقي والمعجم العسكري السوري ( انكليزي - عربي ) ومعجم المصطلحات الفنية المصري .

كما اعتمد على المصطلحات العسكرية المترجمة في الكليات العسكرية العربية وكليات الاركمان العربية ومعاهد الدراسات العسكرية العليا في البلاد العربية .

كما اعتمد على معجمات اللغة العربية ومنها : لسان العرب والقاموس والمخصص لابن سيده والمعجم الوسيط .

وكان المفروض صدور نسخ المعجم المصورة في اوائل شهر حزيران ( يوليو ) سنة 1970 .

ولكنها لم تصدر الا في 17 شباط (فبراير) سنة 1971 ، بعد تأخر ثمانية اشهر دون مسوغ (1)

تلك لمحات مما لاقتها اللجنة من مشاكل ومعضلات ، والحمد لله الذي امان اللجنة على التغلب عليها ، فصدر المعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي ) بعد جهد جهيد وترقب طويل .

### مبادئ اعداد المعجم

سار العمل في اعداد المعجم على حسب خطة مرسومة ، لم تحد عنها اللجنة ابدا . وهذه المبادئ يمكن تلخيصها :

1 - الالتزام باللغة العربية الفصحى ونبيذ المصطلحات الاجنبية .

2 - تفضيل الكلمة العربية السهلة على الكلمة العربية الصعبة .

3 - الاخذ بالمصطلح العسكري الشائع في اكثر الجيوش العربية ما دام عربيا فصيحاً ، وتفضيله على المصطلح العسكري الاقل شيوعاً .

4 - ايفاء المصطلح العسكري الفرنسي حقه فيما يطلبه من المعنى العربي ، واثبات المصطلح العسكري العربي ما امكن اول المعاني في تسلسلها ازاء المصطلح العسكري الفرنسي .

5 - تحاشي التعريب قدر الامكان عدا بعض مصطلحات العلوم الفيزيائية والكيميائية وبعض مصطلحات آلات القياس .

ولم نتردد بهذا المجال في وضع المصطلح العربي المقترح والمصطلح العرب الشائع ، حتى نفسح المجال للزمن ليعمل عمله في اقرار المصطلح العربي المقترح اذا كان صالحاً للحياة .

6 - فضلنا استعمال « ذو » و « ذات » للعلالة على المصاحبة ، واستبعدنا « باء » المصاحبة ، فقلنا : رشاشه ذات مسند ، ولم نقل : رشاشه بمسند .

7 - جرى اشتقاق اسماء الآلات على وزن « مفعلة » في الاعم الاغلب .

(1) سبب التأخير يقع على عاتق المطبعة .

معجمات علمية تستوعب العلوم الأخرى ، حتى  
يثبتوا عمليا ان العربية لغة علم كما هي لغة ادب .  
وعسى ان يكون المعجم العسكري الموحد اول  
القيث .

لقد التزمت جيوش الدول العربية كافة  
بالمعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) ، ولم  
يقتصر نفعه على العسكريين بل عم غيرهم ايضا .

وما كنت أتوقع بهذا المعجم غير العسكريين ،  
ولكن الله سبحانه وتعالى نفع به فى مجالات لم تحلم  
بها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش  
العربية .

فقد تسلمت اللجنة رسالة من احد اعضاء  
مجمع اللغة العربية فى دمشق يقول فيها : « ويسرني  
ان أخبركم بكل اعتزاز ان اللجنة التى كونها المجلس  
الاعلى للعلوم بدمشق وسماني مقررا لها لمراجعة  
مصطلحات البترول ، والتى اشترك فيها ممثل من  
الجامعة العربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع  
اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمي العراقي ،  
قد اعتمدت فى اقرار النصوص النهائية  
للمصطلحات على رأي المعجم العسكري الموحد » .

ويسرني ان أخبركم بأن اللجنة انجزت المعجم  
العسكري الموحد ( عربي - انكليزي ) وهو فى مرحلة  
الطبع ، وسيصدر قريبا باذن الله .

كما ان اللجنة تبذل جهدها فى اعداد المعجم  
العسكري الموحد ( عربي - فرنسي ) ، وسيقدم  
للمطبعة قريبا .

وحينذاك تكون اللجنة قد اكملت واجبها ،  
فاصدرت اربعة معجمات عسكرية ، وهى التى قطعت  
على نفسها عهدا باصدارها .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان  
الله بكرة واصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي  
رسول الله وعلى آله واصحابه اجمعين .

كما اعتمد على المعجمات العسكرية الاجنبية .  
وفى نهاية البحث ثبت مفصل بمضاد  
المعجم العسكري الموحد ( فرنسي - عربي )  
ومراجعته .

## الخاتمة

هذا معجم عسكري صدر لجيوش الجزائر  
وتونس والمغرب ولبنان وسورية بخاصة وللجيوش  
العربية والمتقنين العرب بعامة .

ان تعداد سكان الجزائر وتونس والمغرب  
ولبنان وسورية ( 43.794.862 ) ( 1 ) اي ما يقرب  
من نصف تعداد سكان الامة العربية .

ولعل صدور هذا المعجم اكثر اهمية من صدور  
المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) ، لان  
جيوش دول المغرب العربي اكثر حاجة الى المصطلحات  
العسكرية العربية من جيوش المشرق العربي .  
وليس سرا ان قسما من تلك الجيوش لا تزال  
تستعمل المصطلحات العسكرية الفرنسية حتى اليوم ،  
لانها لا تجد المصطلحات العسكرية العربية التى تملأ  
الفراغ الذى يتركه نبد المصطلحات العسكرية  
الفرنسية .

وكما استقر فى اذهان فريق من العلماء بان  
اللغة العربية لا تقوى على استيعاب المصطلحات  
العلمية ، استقر فى اذهان قسم من العسكريين فى  
المغرب العربي ، بان اللغة العربية ليست صالحة  
للعلوم والفنون العسكرية .

وهذا المعجم يقيم الدليل القاطع على ان لغة  
القرآن الكريم قادرة على استيعاب العلوم والفنون  
العسكرية بجدارة وسهولة ويسر .

واملى وطيد فى اصحاب الهمم من العلماء  
الحريصين على العربية ان يكفوا على اصدار

( 1 ) سكان المغرب ( 16.500.000 ) والجزائر ( 12.643.000 ) وتونس ( 4.45.862 ) ولبنان  
( 2.400.000 ) وسورية ( 2.294.000 ) بموجب آخر احصاء للنفوس فى هذه الاقطار .

## المصادر والمراجع

### أ - المعجمات العسكرية العربية المطبوعة :

- (1) المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) .
- (2) المعجم العسكري السوري ( انكليزي - عربي )
- (3) المعجم العسكري السوري ( فرنسي - عربي )
- (4) معجم المصطلحات العسكرية الحديثة في العراق ( انكليزي - عربي )
- (5) معجم المصطلحات العسكرية العراقي ( انكليزي - عربي )
- (6) المعجم العسكري الموحد العراقي ( انكليزي - عربي )
- (7) المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي )
- (8) المعجم العسكري البحري اللبناني ( فرنسي - عربي )
- (9) القاموس العسكري المصري ( انكليزي - عربي )
- (10) المعجم الفني المصري ( انكليزي - عربي )

### ب - المعجمات العسكرية العربية المخطوطة :

- (11) المعجم العسكري العراقي ( انكليزي - عربي )
- (12) المعجم العسكري اللبناني ( فرنسي - عربي )
- (13) المعجم العسكري المصري ( روسي - عربي )
- (14) المعجم العسكري المصري (روسي - انكليزي )
- (15) المعجم العسكري السعودي ( انكليزي - عربي )
- (16) المعجم العسكري السوداني ( انكليزي - عربي )

### ج - نشرات المصطلحات العسكرية العربية المطبوعة :

- (17) نشرة المصطلحات العسكرية للقيادة العربية الموحدة ( انكليزي - عربي )
- (18) نشرات كلية الاركاب العراقية ( انكليزي - عربي )

### د - نشرات المصطلحات العسكرية العربية المخطوطة :

- (19) نشرة أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ( انكليزي - عربي )
- (20) نشرة المصطلحات الذرية اللبنانية ( فرنسي - عربي )

### هـ - معجمات اللغة العربية وكتب اللغة :

- (21) لسان العرب لابن منظور
- (22) القاموس المحيط - للفيروزآبادي
- (23) ترتيب القاموس المحيط - للطاهر احمد الزاوي
- (24) مختصر القاموس - للطاهر احمد الزاوي
- (25) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية في القاهرة
- (26) اقرب الموارد - سعيد الشرتوني
- (27) ذيل اقرب الموارد - سعيد الشرتوني
- (28) البستان للشيخ عبد الله البستاني
- (29) المخصص لابن سيده

- (30) المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم - اللواء الركن محمود شيت خطاب  
 (31) تاريخ المعجمات العسكرية العربية - اللواء الركن محمود شيت خطاب  
 (32) تاريخ المعجم العسكري الموحد ( انكليزي - عربي ) اللواء الركن محمود شيت خطاب

#### و - المعجمات الفنية العربية :

- (33) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ( 1957 - 1968 ) مجمع اللغة العربية بالقاهرة .  
 (34) معجم الحيوان - الفريق امين العلوف  
 (35) المعجم الفلكي - الفريق امين العلوف  
 (36) معجم الالفاظ الزراعية - الامير مصطفى الشهابي  
 (37) معجم المصطلحات الطبية للدكتور كليز فيل  
 نقله الى العربية الاساتذة : مرشد خاطر واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي  
 (38) قاموس التربية وعلم النفس - الدكتور فريد جبرائيل نجار  
 (39) معجم شرف الطبي - الدكتور شرف شرف  
 (40) المعجم الطبي - يوسف حتى  
 (41) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي

#### ز - المعجمات العسكرية الاجنبية :

- (42) المعجم العسكري البريطاني  
 (43) المعجم العسكري الكندي ( فرنسي - انكليزي ) ، ( انكليزي - فرنسي )  
 (44) المعجم العسكري الاميركي  
 (45) المعجم العسكري الفرنسي  
 (46) شرح مصطلحات البحرية الفرنسي  
 (47) المعجم العسكري لحلف الاطلسي  
 (48) المعجم العسكري الروسي

#### ح - الكتب العسكرية العربية :

- (49) كتب التدريب العسكري العراقية  
 (50) واجبات الاركان ( عراقي )  
 (51) نشرات الاركان ( سوري )  
 (52) كتب التدريب العسكري السورية

#### ط - الكتب العسكرية الاجنبية :

- (53) كتب التدريب العسكري البريطاني  
 (54) كتب التدريب العسكري الاميركية  
 (55) كتب التدريب العسكري الفرنسية  
 (56) كتب التدريب العسكري الروسية



## ي - المعجمات العربية الاجنبية :

- (57) المورد ( انكليزي - عربي ) - منير البعلبكي
- (58) القاموس المصري ( انكليزي - عربي ) الياس انطون
- (59) قاموس النهضة ( انكليزي - عربي ) اسماعيل مظهر .
- (60) المعجم الفرنسي ( فرنسي - عربي ) بيلو J. B, Belot
- (61) المعجم الروسي ( روسي - عربي )

## ك - المعجمات الاجنبية :

- 62) Grand Larousse Encyclopédique.
- 63) Encyclopedia Britannica.
- 64) Cassell's New English Dictionary.
- 65) The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.
- 66) Webster's Third International Dictionary of the English Language.
- 67) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary.
- 68) The American College Dictionary.
- 69) New College Standard Dictionary.
- 70) Cassell's New English Dictionary.
- 71) Collins New English Dictionary.
- 72) Thorndike English Dictionary.
- 73) The Advanced Learner's Dictionary of Current English.



# الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتور ناصر الدين الأسد  
القاهرة

وعلى هذا يمكن أن نقول أن ندوتنا هذه تهدف إلى الكشف عن تلك العناصر الباقية في الثقافة العربية التي يحس العربي من خلالها أنه ينتمي إلى أمة متميزة في روحها وطابعها العام ، وأن هناك من الوشائج الوجدانية والفكرية ما يربطه بتاريخ هذه الثقافة و ببعض وجوه تراثها التي ما زال يجد فيها صدى لشعوره وتفكيره و « روح » حياته بوجه عام . ثم تهدف الندوة بعد هذا إلى دراسة التقاء هذه الأصول بحضارة العصر الحديث وبيان ما تم من تفاعل بينهما وما خلقه هذا اللقاء من قضايا ومشكلات أثرت على الأدب العربي والثقافة العربية في أشكالها ومضامينها وطريقة أدراكها للحياة واسلوبها في التعبير عنها . ومن خلال تلك الدراسة يمكن أن نتبين مواطن السلامة في هذا اللقاء ومواطن الزلل الناتج أحيانا عن فهم « الأصالة » بمعنى الجمود على القديم ، وأحيانا عن فهم التجديد بمعنى نبذ أصول الثقافة العربية نبذا تاما واحتضان كل جديد مهما تكن طبيعته ، بكثير من الاسراف والاندفاع .

والحق أن الأصالة — كما بين منظمو الندوة — لا تعني المحافظة ولا التمسك المطلق بكل التراث . فمن التراث ما أصبح مجرد تاريخ للامة لا يمثل إلا حلقة ثابتة في مكانها من ذلك التاريخ ، ومنه ما يمثل تيارا ناميا ممتدا يعكس روح الامة ويمكن الانتفاع به في كل العصور . كما أن التجديد لا يعني التسليم المطلق بكل ما يظهر من اتجاهات جديدة في الأدب والثقافة . بل لا بد أن نطرح في معرض تقويم كل جديد سؤاليين ضروريين :

أقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال شهر أكتوبر 1971 بالقاهرة ندوة علمية للدراسة مفهوم الأصالة والتجديد ، وقد أبرز المشرفون عليها وفي طبيعتهم صديقنا العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد مغزى هذا اللقاء فلاحظوا أن المراد بالأصالة — عادة — إذا وصف بها عمل ثقافي أو أدبي ما — التميز والتفرد وإضافة جديد قيم في مجال ذلك العمل وإن للأصالة معنى آخر يرد من أصل الكلمة اللغوي ، ويدل على أن العمل الثقافي أو الأدبي يستمد بعض مقوماته من الأصول اللغوية والفنية والفكرية — أو الحضارية بوجه عام — للغة والامة التي ينتمي إليها هذا العمل ، فلكل أمة « روحها » الخاصة وطابعها المميز اللذان يشيعان في نتاجها الثقافي مهما تختلف الإشكال أو المضامين على مر العصور . ومن تراث كل أمة حية يبقى دائما بعض العناصر الإيجابية القادرة على الامتداد عبر العصور ، تربط بين ماضي الامة وحاضرها وتهيئ لثقافتها المعاصرة جذورا تنمو بها و « أصولا » تقوم عليها .

وواضح أن هذا المعنى ليس بعيدا عن المعنى الأول للأصالة وكلاهما يرتبط بالتميز والتفرد ، لكن المعنى الأول يدور في الغالب حول تقويم أديب أو عمل أدبي وبيان وجوه تميزه وامتيازته وما أضافه أو ابتكره ، على حين يقصد الاستعمال الثاني إلى الكشف عن مقومات ثقافة أمة ما ، وبيان تلك العناصر النامية الممتدة مدى العصور لهذه الثقافة ومقدار مرونتها وقدرتها على مواجهة الظروف المتغيرة .

1 - هل نبع هذا الجديد من حاجة حقيقية لا بد للمجتمع العربي الحديث من تحقيقها .

2 - هل ارضت النماذج الثقافية او الادبية لهذا الجديد تلك الحاجة .

ومن خلال الجواب عن هذين السؤالين نستطيع ان نمحص الجديد لنعرف اهو استجابة حقيقية لظروف عامة في المجتمع ام هو نزعات فرعية او تيارات ثانوية او بدعة من البدع . فالاصالة والتجديد - بالمعنى السليم لهما - ليسا متناقضين بل هما في الحقيقة متكاملان .

ولا شك ان الندوة لن تكتفي بالرصد التاريخي لمواطن اللقاء بين الاصالة والتجديد ، بل سيكون من اهم اهدافها تقويم تلك المواطن التي تم فيها تفاعل سليم وتوازن معقول بين روح الاصالة وروح المعاصرة ، والمواطن التي انحرف فيها اللقاء انحرافا عطل سير التطور او التقدم نتيجة سوء فهم لمعنى الاصالة او لمعنى المعاصرة والتجديد ، حتى يمكن من خلال ذلك الاهتداء الى اسلوب سليم في مواجهة طبيعة العصر الذي تعيشه الامة العربية من الناحية الثقافية والادبية .

ويزيد من ضرورة التقويم ومن ضرورة البحث عن اسلم الاساليب لهذه المواجهة ، ان الامة العربية ما زالت تعاني مشكلات اللقاء بين « الاصالة » و « التجديد » في صورة حادة لم تخفف من حدتها كثيرا عشرات السنوات التي انقضت منذ بدأت الامة نهضتها الحديثة . فما زالت الامة حتى الآن تعاني مخاض الحياة العصرية ، وما زال بين المثقفين والادباء خلاف واضح حول مفاهيم الاصالة والتراث والمحافظة والتقاليد والتجديد والعصرية . ويزيد الصورة حدة على حدة اننا - رغم انقضاء تلك السنين الطويلة - ما زلنا مضطرين الى ان نأخذ الكثير من الاشكال الادبية والمضامين الفكرية من امم سبقتنا في مضمار النهضة الحديثة ، وعلينا دائما ان نحاول التوفيق بين الجديد وبين المقومات الاصلية في ثقافتنا العربية .

### في مفهوم الثقافة

نتناول « الثقافة » بمعناها الواسع كثيرا من جوانب حياة الامة ، وتشمل : تقاليدها وعقائدها وتراثها وانماط سلوكها واتجاهها الفكرية وفنونها المختلفة من تشكيلية وادائية وشعبية الخ ...

ولما كان بحث كل هذه الميادين في مؤتمر واحد سيؤدي بالضرورة الى تشعب الموضوعات وتشتت

المناقشات ، وحرصا على ان تتاح الفرصة لاعضاء المؤتمر للتركيز على جوانب محددة والتمق في بحثها ومناقشتها ، رؤى حصر موضوع المؤتمر في « الفنون القولية » وحدها دون غيرها من ميادين « الثقافة » على ان تكون بقية الميادين موضوعات بحث في مؤتمرات قادمة .

وتشمل « الفنون القولية » : الشعر ، والقصة والرواية ، والمسرحية ، والمقال الادبي ، والنقد الادبي ، والرحلات والسير ، واللغة من حيث هي اداة التعبير ووسيلة في هذه الفنون القولية .

ويتوخى المؤتمر من بحثه لموضوعات الاصالة والتجديد في الفنون القولية المختلفة ان يربط بين هذه الفنون وطبيعة الحياة العربية ، وان يضمها في موضعها بين المقومات والميادين الاخرى للثقافة العربية ، دون الاختصار على النظر اليها بوصفها فنا خالصا مستقلا عن التيارات الحضارية الاخرى .

### في مفهوم « المعاصرة »

اما « المعاصرة » في عنوان هذا المؤتمر فتتسع لتشمل النهضة الادبية الحديثة منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى وقتنا الحاضر .



وقد درس المؤتمر النقاط الآتية :

- 1 - مفهوم الاصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة ( عرض لتحديد الدلالات )
  - 2 - خصائص الثقافة العربية ومقوماتها .
  - 3 - موقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر ( عرض وصفي حضاري )
  - 4 - الاصالة والتجديد في الشعر العربي الحديث .
  - 5 - الاصالة والتجديد في القصة والرواية .
  - 6 - الاصالة والتجديد في المسرحية .
  - 7 - الاصالة والتجديد في المقال الادبي .
  - 8 - الاصالة والتجديد في النقد الادبي .
  - 9 - الاصالة والتجديد في الرحلات والسير ( التراجم والتراجم الذاتية )
  - 10 - محاضرات وندوات في اللغة تتناول الموضوعات التالية :
- أ - المصطلحات والتعريب .
  - ب - اللغة والادب في مراحل التعليم العام .
  - ج - لغة الاعلام ( الصحافة والاذاعة ) .

# تاريخهم من لغتهم عشتار

عبد الحق فاضل

والراي الذي عليه الباحثون ان الاقدمين من مختلف الشعوب اقتبسوا عبادتها عن البابليين . منهم ، بالاضافة الى الشعوب السامية التي اقتبست اسمها أيضا ، الاغريق الذين سموها ( أفرو ديت ) ، والرومان الذين دعوها ( فينوس ) ، والفرس الذين سموها ( آناهيد ) .

ومن ذبوع صيتها لدى أبناء العالم القديم وكثرة جريان ذكرها على السنتهم صار اسمها المحبوب يعني النجم بوجه عام عند بعضهم ، مثل (ستاره Sitareh) عند الفرس ، و (astron) عند الاغريق ، و (astarum) لدى الرومان ، ومنه اشتقوا اسمي علم التنجيم والفلك astrology و astronomy

ويبدو ان تعميم اسمها على هذا النحو أي اطلاقه على النجوم كافة هو الذي جعل كلا من هذه الامم التي اقتبست عبادتها تطلق عليها اسما آخر ، غير اسمها الاثلي (عشتار) .

وقد امتدت آفاق شهرتها مغربة حتى انكلسرا حيث يدعون النجم star ، ومشرقة حتى نيبال حيث لا يزالون يعبدها باسم (تارا - Tara) ، وربما فيما وراء نيبال أيضا .

سيدة الالهة وعظيمة الربات - يدعوها مؤلف ملحمة قلعيمش (Gilgamesh) (1) . على انها ليست الالهة جمال وحب وخصب كما يعرفها كل من عرف اسمها فقط ، وانما هي الالهة حرب ودمار بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت خصائص الالهة ووظائفهم كثيرا ما تزيد أو تنقص أو تتبدل عند أبناء العالم القديم ، لبعض المناسبات .

أحد التماثيل الرمزية البابلية يصورها عارية ، حلوة قسما الوجه تعبيرا عن الجمال الذي هي الالهة ، مفرطة امتلاء الفخذين اخصاها من قوة الانوثة والحب الذي يولدها الذرية ، وقد أمسكت بكفيها نهديها الخيرين كأنها تفدق منهما على الدنيا الاكسير المفدي للحياة التي نبتت في رحمها .

انها الزهرة ، هذا الكوكب الذي في السماء ، التميز بين ذلك الحشد المكتظ من النجوم بسحره وشدة توهجه ، كانه مشعل متأجج بين شموع .

الهوا وعبدها كما الهوا وعبدوا غيرها من الكواكب والنجوم ، لاعتقادهم بان هاته الكائنات العليا المضيفة ، البعيدة ، هي مسيرة الكون ومدبرة شؤون الناس .

(1) ملحمة بابلية كتبت بالخط المسماري على الواح الطين منذ نحو 4 000 عام ، وهي أقدم ملحمة معروفة في تاريخ الفكر الانساني ، تدهشنا بروعة فنها وحبكتها ومراميها ، وكأنها كتبت لجيلنا بأسلوب قديم .

وادغام اللام كما ننطق الكلمة فى فصحانا . وأهل الموصل يسمون بقايا الآشوريين فى المنطقة آشوريين ( ونخال هذا النطق الثانى ، الأثلى ، متخلفا عن احدى اللهجات الآشورية .

وكان الاغريق يسمون الدولة الآشورية Assyria و Syria ، وكانوا يطلقون هذا الاسم الأخير على بلاد الشام أيضا لأنها كانت جزءا من الامبراطورية الآشورية ، ثم تخصص ببلاد الشام وحدها فى اللغات الأوروبية ، ومها فى العربية الحديثة ( سورية ) . كما ان الاحباش كانوا ينطقون اسم عشتارهم بالسين أيضا ( عستر ) ، كما تقدم .

ومن اقبال الاقدمين على اعتبار الثور رمزا للقوة بما يشبه الاجماع انهم استعاروا سلاحه شعارا لحكامهم الذين كانوا يضعون فى التاج قرنين دلالة على شدة بأسهم ، ومنهم الاسكندر ذو القرنين . لكن ما هو اهم واغرب ان قدامى العراقيين - قبل الاسكندر بعصور - كانوا يجعلون على جانبي تيجان آلهتهم قرونا - بنفس المعنى - على كل من جانبي التاج قرنين أو ثلاثة أو أربعة ، حسب درجاتهم ... والأربعة شارة الآله من المرتبة العليا . فالذي فعله الحكام فى شتى أنحاء العالم القديم كان امتدادا لهذا العرف الرافداني الاقدم .

صحيح ان الشومريين الذين يعتبرون أقدم من الأكديين فى العراق ، قد عبدوا الزهرة باسم ( نانا ) لكن الأكديين ( قدامى البابليين ) لم يأخذوا عبادتها عنهم ، لان عبادتها كانت شائعة لدى جميع الشعوب السامية الاخرى فضلا عن أن اسمها السامي (عشتار) متطور من اسم الثور ، كالذي المعنا اليه ، وكالسدي سياتي برهانه .

يضاف الى ذلك أننا نعتقد ان الأكديين ، أو بالأحرى الساميين ، أقدم وجودا من الشومريين فى الرافدانية ، لان الهجرات من قلب الجزيرة العربية لم تبدأ بعد الشومريين بل قبلهم بعشرات القرون . وإنما سبق ذكر الشومريين ذكر غيرهم لان الكتابة اخترعت فى العراق فى ابان سيطرة دولتهم فكانت من ثم أقدم الوثائق مدونة بالشومرية . فهذا لا يعنى ان اسم (عشتار) الأكدي لم يكن جاريا على السنة الساميين فى

وقد عبدتها الشعوب السامية جمعاء ، ولها عندهم أسماء كثيرة أخرى : اشخارا لدى البابليين ، وعشتاروث لدى الفنيقيين ، وعشار وعشتار عند الآرميين ، واثيرة عند قدامى اليمانيين ، وعشيرة عند قدامى الكنعانيين ، وعستر عند قدامى الاحباش . غير أن عشتار الإله ذكر عند اليمانيين الاقدمين ، ومثله عشتار عند السبئيين وعند أهل ماري (Mari) (1) الذين كانت آلهتهم الأثى هي عشتار البابلية نفسها .

لكننا تجاه الراي القائل بأن أقدم اسمائها هذه هو الاسم البابلي (عشتار) قد شاع فى المنطقة فلفظه كل قوم بلهجته - نرانا نلاحظ أولا ان اسم الآلهة (عشتار) عند الآرميين كان يطلق على الإله ذكر عند قدامى اليمانيين ، ومثله اسم الآله (عستر) عند أهل ماري وسبأ .

ونلاحظ ثانيا أن هناك صيفا ثائية : عشار وعشتار واثار واثيرة .

ونلاحظ ثالثا ان اسم الآلهة الحبشية (عستر) شبيه باسم الآله الماري والسبيء (عستر) .

هاته الملاحظات الثلاث تمكس الآية عندنا ، وتفتح باب التأويل الذي يقول لنا ان مبعث الكلمة ومهد الآلهة هو الجزيرة العربية ، لا العراق .. وأن الأئمل القديم لكل هذه الأسماء صيغة ثائية .

وبكلمة انه الثور .

كانت للثور أهمية عظيى عند الاقدمين . فامسا العرعونيون فقد عبدوه وعبدو ائناه . واما الهنود فما زالوا يعبدونها - البقرة . واما الآشوريون فقد اتخذوا الثور شعارا لدولتهم كرمز للقوة ، وجعلوا له فى تماثيلهم رأس انسان وجناحي طائر كناية عن الحكمة والتحليق ، بالإضافة الى القوة . وقد أطلقوا اسمه على عاصمتهم القديمة ( آشور ) وسموا انفسهم ( آشوريين ) .

وقد ورد اسم آشور فى التوراة ( آشور ) بتشديد الشين وكأنه ( الثور ) مع اظهار نطق الهمزة

(1) دويلة كانت على الفرات بقيت قائمة الى أن سيطر عليها حمو رابي عندما وحد دويلات الرافدانية - العراق - فى دولة واحدة .

( هاتور ) ما هو الا صيغة فرعونية لا اسم آثور (الثور)؟  
يمكننا الآن ان نقول في ثقة ان الدلائل التي مرت  
بنا - ومثلها التي ستمر بنا - تنبئ ان اسم عشتار ،  
مهما قدم ، فاقدم منه الصيغة الثائية النابتة في الجزيرة  
العربية .

أما أن تعدد الصيغ أيضا مرجعه الجزيرة العربية  
فيؤيده اسم الثور نفسه .

فالآن اذا تتبعنا ثورتنا وثورنا المقدسين داخل  
المعربة قبل هجرتها الى العالم الخارجي ، أي في  
اللغة العربية نفسها ، نجد ان التسمية مشتقة من  
فعل ( ثار يثور ) تعبيراً عن ( ثوران ) الثور أي هيجانه  
المعروف ، الذي اتخذ منه الاسبانيسون رياضة  
مشهورة ، وهم يسمونه ( تورو - toro ) لكننا لا  
ندري هل التسمية حديثة مقتبسة من العربية  
الاسلامية في العهد الاندلسي العربي أم من اللاتينية  
التي هي الأساس لكيان الاسبانية .

فانظر الى تعدد مصادر هذا الفعل ( ثار يثور ) :  
ثورة وثورا وثورا وثورانا . وجمع الثور : ثيران  
وثوار واثوار وثيرة وثورة ( والأخيرتان زنة عنة ) .  
ولعل هناك صيغا أخرى كانت موجودة في لهجات  
العربان الذين هاجروا منذ الوف السنين فنشأ منهم  
الساميون المختلفون في ديارهم المختلفة .

ونسجل هنا ان اسمي الثورة والثور هما في  
نفس الوقت مصدران لفعل ثار . نسجل ذلك لفتنا  
للنظر الى استعداد الكلمة للتطور والتخبط ، فكما  
تنوع مصدر الفعل ( ثار ) وجمع الاسم ( لثور )  
تنوعت صيغ الثور والثورة عند القبائل والشموب  
واختلفت باختلاف اللهجات ، حتى لنراها مختلفة في  
اللغة الواحدة أحيانا كما في البابلية ( عشتار واشخارا )  
وفي الأرمية ( عثار وعشتار ) وفي العامية ( عشتار  
وعشتار ) .

من معنى الثوران قالت العرب ( ثار التراب ) أي  
ارتفع ، ومن ذلك نشأ ( العثير ) - زنة المنبر - أي  
التراب والمعجاج . ومن ثم صار اسم ( العثرة ) يعني  
الحرب لأنها تثير العثير ، وطالما قرنوا اسم النقع أي  
الفبار أيضا باسم الحرب حتى صار يعني الحرب نفسها  
أحيانا في مثل قولهم : يوم النقع ، وغداة النقع . فلا  
غربة ان تفدو ( العثرة ) الناشئة من العثير مرادفة  
للحرب كذلك .

الرافدانية على عهد الشومريين وبل عهدهم بزمن قد  
يكون طويلا . وسنرى كذلك ان اسمها ( عثيرة ) قد  
كان قديما في ديار الشام أيضا وأنه لغويا اقدم من  
صيغة ( عشتار ) . وقد كانت الآلهة واسمها معا اقدم  
في المعربة على كل حال منهما في سورية والعراق .

والظاهر ان الذين قالوا بأن الأصل هو العراق لم  
يطلقوا على كل هذه الأسماء التي تجمعت لدينا من  
مصادر شتى ، ولم يستدلوا بوجود الصيغ الثائية على  
شيء .

وكان الأعربون يطلقون اسم الثور على بعض  
الأماكن الجغرافية أيضا فيما يهظر ، مثل جبل ( ثور )  
بين مكة والمدينة .

وقد دخل اسم الثور في بعض الآريات القديمة ،  
ربما منذ أيام الهجرات الآرية الاولى من المعربة . من  
ذلك ان الثور يسمى باللاتينية ( taurus ) . ومما  
يدعو الى العجب أنهم كالعرب أطلقوا اسمه هذا على  
جبال أيضا هي التي نسميها جبال ( طوروس ) في  
تركية . ومن عادة المهاجرين ان يطلقوا أسماء بلدانهم  
وجبالهم وانهارهم . . على نظائرها في المهجر الجديد ،  
كما نرى في أمريكا مثلاً أسماء جورجيا ونيويورك  
واوكسفورد وأكثر من عشر مدن وقرى باسم بغداد ،  
وغيرها مثلها . فعمل بعض الأعرب هاجروا من منطقة  
فيها جبل باسم الثور وحلوا في الأناضول وأطلقوا  
اسمه على أحد جبالها تذكارا لوطنهم الاول ، ثم عمم  
الاسم فشمّل سلسلة جبال ( طوروس - Taurus ) ،  
واستمر أولئك المهاجرون في اطلاق نفس الكلمة على  
الحيوان الثور أيضا ثم ذهبوا ، أو ذهب طائفة منهم ،  
الى ايطاليا فحملوا الكلمة معهم وطفقوا يطلقونها على  
هذا الحيوان وتلك الجبال . وزيادة في التوكيد تقول  
انها تنطق في اللاتينية بفتح التاء ما يقر بها من النطق  
العربي الفصيح .

وقد رأينا ان المعبود كان جنس البقر اناثا وذكورا ،  
ومن ذلك ان البقرة كانت تدعى في العربية ( الثورة )  
وما زال ذلك في المعجم ، لكن اسم ( البقرة ) شاع  
وغلب عليها فصارت ( الثورة ) تطلق غالبا على الهياج ،  
ثم اكتسبت أخيرا معناها هذا السياسي . ومن عبادة  
الثورة كالثور ان الفراعين الذين عبدوا الثور ( آيس ) ،  
كانت لهم الاله بقره اسمها ( هاتور ) . وقبل ان نتقدم  
خطوة أخرى . . هل لحظ القارئ الكريم أن اسم

ومن معنى العجاج أي التراب المرتفع نجد ( العشير ) أو ما يقاربه من الصيغ بصورة ( ether ) في الإغريقية بمعنى الطبقة العليا من الهواء ، ثم اقتبسته العربية بصيغة ( الأثير ) وهو كما في اللغات الأوروبية أيضا - تلك المادة المقترضة التي تملأ فراغ الكون وتسري خلالها تموجات الضوء والحرارة . لكن لا ننس أن الأقدمين كانوا يطلقون الأثير على الفلك التاسع .

كذلك رأينا اليمانيين القدماء يسمون عشتار ( أثيرة ) ، ولعل هذه الصيغة كانت قبل ذلك تعني الثور أي البقرة . فالظاهر أنهم من شدة تقديسهم البقرة أطلقوا اسمها المبجل على أجمل كوكب في رقعة السماء ( الزهرة ) .

وعلى عادة تطور صفات الآلهة وتنوعها واختلاطها في الأديان القديمة من جيل إلى جيل ومن بلد إلى بلد - تنوعت صفات هذه الآلهة وتعددت وظائفها وصاروا يطلقون اسمها على مختلف الآلهات والآلهة والنجوم .

والظاهر أن اسم ( أثيرة ) اليمانية هو أثل تسمية الآلهة الكنعانية ( أشيرة ) أو ( عشيرة ) ، وهي زوجة الإله ( ايل ) عندهم . وهما - الزوج والزوجة - من الآلهة القديمة البائدين الذين تقول أسطورة كنعانية أن الآلهة الجدد ثاروا بهم واستاصلوهم . ومعنى هذا أن هذين الآلهين كانا معبودين لدى أجيال سبقت الجيل الذي أنشأ أسطورة إبادة الآلهة القديمة ، فلهذا يحتمل أن تكون عشيرة هذه ، الأقدم من الآلهة الكنعانية ، أقدم من عشتار البابلية أيضا . وإن لم تكن هي أقدم فإن اسمها أثل على كل حال .

ومن كون عشيرة زوجة صار ( العشير ) في العربية يعني الزوج والخليط والصديق ، ومؤنثه ( العشيرة ) : الزوجة والصاحبة والخليلة . وصارت ( العشرة ) - زنة الفكرة - و ( المعاشرة ) تعنيان الصحبة والمخالطة . ومن هذا المعنى صار ( العشير ) و ( العشيرة ) يعنيان القبيلة .

وهذه الصيغ العربية المنطوقة بالعين والشين ، والناشئة من اسم الآلهة الزوجية ( عشيرة ) دليل

- ولو غير حاسم - على أن ( أثيرة ) اليمانية كانت تنطق ( عشيرة ) أيضا في المعربة نفسها قبل هجرتها إلى أرض كنعان ، ومن اسمها الأعربي هذا استخرجوا معاني الزيجة والصحة والقبيلة في العربية . والأغلب أنهم استخرجوا مثل هذه المعاني من صيغة ( أثيرة ) كذلك لكنها بادت كما بادت معان كثيرة من الفاظ عربية أخرى . إلا أنه بقي مع ذلك من آثار هذه المعاني لفظ ( الأثير ) و ( الأثيرة ) . بمعنى الشخص المفضل المختار أي العزيز . ومن ثم صاغوا الفعل ( آثرته ) بمعنى فضله واخترته ، ومنه صيغ المصدر ( الإيثارة ) ، ثم نقيضه ( الأثرة ) أي إيثار النفس على الغير .

ويلوح أن الأعربين استعملوا ( العشير ) أيضا بمعنى البقرة ومنه صيغ اسم أثير ( أو اثار ) الذي بقي في المعينية .

ونجد اسم اثير في الفارسية بصورة ( اختر - Akhtar ) وهو نجم أيضا أو بالأحرى نجمان ( اختران ) ، ولعلهما نوعان (1) . ومن صيغة ( اختر ) هذه نشأت عندهم صيغة ( باختر - bakhtar ) : الغرب ، و ( خاور - khawar ) : الشرق - ما يرجع أن النجمين المذكورين ( اختران ) - منيان الأنواء التي تظهر في السماء أشفاعا : يستأثر من ليلة نوء منها في المغرب فطلع قبائله نوء في المشرق . وليس في متناولنا الآن شيء من المراجع الفارسية للتثبت من ذلك .

وعلى هذا يمكننا أن نفترض أن ( خواهر ) وتنطق ( خاهر - khalar ) : الأخت بالفارسية ، مشتقة من ( خاور ) الذي ربما أطلق على النوء الشرقي أولا . وإنما سميت الأخت ( خواهر ) من معنى تقابل النجمتين النواين ، كالأختين .

وفي العربية أيضا اشتقوا من تقابل النواين وصعود الشرقي منهما عندما يفوق الغربي في الأفق معنيين : النهوض والتقابل . فمن معنى النهوض قالوا ( ناء ينوء ) بمعنى نهض أول الأمر ثم بمعنى نهض بمشقة كمثله قولهم ( ناء بحمله ) . ومن ذلك قالوا ( ناض ينوض ) بمعنى نهض أيضا ، وقد انقرض هذا الفعل في الفصحى لكنه لا يزال موجودا في المغربية الدارجة .

(1) تحدثنا عن النجوم والأنواء بعنوان « العرب أول الفلكيين ؟ » في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية » .



ومن ( ناض ينوض ) ظهر فعل ( نهض ينهض ) . ومن معنى النهوض والمقابلة قالوا ( ناواه مناواة ) أي ناهضه مناهضة ، الذي صار يعني عارضه وفاخره ، وعاداه . ومن معنى المقابلة قالوا ( ناوحه ) . ومن ثم قالوا ( تناوح الجبلان ) : تقابلا . ومن هذا المعنى نشأ معنى غريب هو ( النوح والنياحة ) حيث قالوا ( استناح الرجل ) : بكى حتى أبكى غيره ، وهذا ناشيء من قولهم ( تناوحا ) ، كأنما قصدوا أنهما تقابلا في البكاء . ثم قالوا من هذا المعنى ( استناح الرجل غيره ) : استبكاها .

ثم ان الأعربيين طوروا اسم اثتر ( أو اثثار ) الذي نجده في المعينية فصار ينطق على السنتهم : عثتر وعثثار وعستر وعشتر وعثثار وعشتار وعشتاروث .

ثم سرحت هذه الأسماء البقرية الأثل فانداحت على جوانب المعربة في لغات الموجات المهاجرة منها . ومما قد يؤيد ذلك ان الأحباش في إفريقية نطقوها عستر ( أو عستار ) بالسین وأهل ماري ، في موقع ( تل حريري ) الحالي على الفرات ، شمالي البوكمال ، في سورية ، نطقوها ( عثتر ) و ( عثثار ) بالشین . وليس من المستحيل لكن من المستبعد ان يكون أحد الفريقين قد اقتبس الاسم من الآخر وبينهما هذه الجزيرة العربية المترامية الطرفين ، التي هي أصلح لسبك الصيغ وتوزيعها لوقوعها متوسطة بين جميع الأطراف المعينية - فضلا عن أن عثتر الإله عند الماريين وعستر الإلهة عند الأحباش . وكلتا الصيغتين أثلها ( اثتر ) التي بقيت إلى عهد المعينيين ولعلها بقيت بعد عهدهم في لغتهم أو لغة سواهم من الأعربيين الذين لم يكتبوا أو لم تكتشف أكايتهم .

ويجوز طبعا أن تكون بعض هذه الصيغ قد سبكت خارج المعربة حيث تناولت بعض الشعوب السامية كلمة أعربية واحدة فنطقها كل منهم بطريقته مثل ( عستر ) الحبشية التي يحتمل أن يكونوا قد تسلموها من العرب بصورة ( اثتر ) بالشاء فنطقوها بالسين وفق لهجتهم كما نطقوا الثالوث مثلا ( سيلاس ) (1) لكننا لا

ننسى في نفس الوقت ان إبدال الشاء سینا كان عادة أعربية لا تزال باقية في الدارجتين المصرية والسورية . ومهما يكن فإن أثول هذه الصيغ السامية جمعاء ترجع إلى الشاء - سواء منها ما صيغ داخل المعربة أم خارجها - وتجتمع كلها عند الثور والثورة الأعربيين . ووجود صيغة ( عثتر ) في لغة سبا وصيغ عينية أخرى سيأتي ذكرها ، في العربية حتى اليوم ، دليل على أن الكثير من الصيغ العينية الأخرى قد سبكت في المعربة أيضا قبل خروجها إلى الأصقاع المجاورة وخاصة أننا نفترض ان أسماء هذه الآلهة كان موجودا في لغاتهم قبل مفادرتهم المعربة .

ولم تقف تطورات الاسم ولا إطلاقه على الزهرة عند هذا الحد ، فأننا نرى من الصيغ الثائية اسم ( الثريا ) الذي يلوح أنه كان ينطق أولا ( الثويرة ) تصغير الثورة ، مثل كلمة ( شوي ) أي قليل بالدارجات العربية ، التي أثلها ( شييء ) تصغير ( شيء ) . والثريا هي عنقود النجوم الذي يقع ضمن المجموعة التي يطلق عليها اسم ( الثور ) . وهي - الثريا - تقع بالدقة في عنق هذا الثور . بل ان الفلكيين أطلقوا اسم الثور على الثريا نفسها ، منهم الفلكي الفارسي عمر الخيام حيث يقول :

« كاويست در آسمان ونامش برون »

أي « يوجد ثور في السماء واسمه الثريا » (2) ويمكن أن تكون الترجمة : « توجد بقرة في السماء واسمها الثريا » لأن اسم الثريا ( برون ) في الفارسية تسمى به النساء . وسواء أكانت ثورا أم ثورة فإن وجودها في رقبة الثور يشير إلى الاختلاطات اللفظية والمعنوية التي تتسم بها اللغات والديانات .

ومن إطلاق اسم الثور والثورة والأثير والعشير على مختلف النجوم نجد صيغة ( العدره ) - زنة القدرة - قد أطلقت على نجمة إذا طلعت اشتد الحر على تعبیر المعجم - المنقول عن أقوال العرب - والأصح ان طلوعها يصادف أوان اشتداد الحر . ومن المحتمل أن يكونوا قد ظنوها الإلهة الحر ومؤججته .

(1) من ذلك اسم عاهل أثيوبيا « هيلاسيلاسي » المركب من كلمتين : هيللا ( = حيل ، أي قوي ) وسيلاسي . ومعنى الاسم بجملته : الثالوث القوي .

(2) تمام ترجمة هذه الرباعية التي يعبر فيها الخيام عن احتقاره الجنس البشري ، في كتابنا « ثورة الخيام » هو : لاح ثور في السما يدعى الثريا ظاهر / واختفى تحت طباق الأرض ثورا آخر / شاهدت بين كلا الثورين سربا من حمير !

وقد عبرت العزى خارج المعربة كذلك ، فى الهلال الخصب من قبل اللخميين فى الحيرة والأرميين فى العراق والشام .

والظاهر أن قريشا جلبت الصنم من الحضرة - المدينة التي دمرت بعد الميلاد بنحو قرنين - لا لأن قريشا كانت تجلب منها أصنامها فى العادة فقط - كما كنت قرأت منذ عهد بعيد فى مطبوع ما - لكن لأن صنما للعزى وجد فى أطلالها كذلك (1) .

وربما من اسم ( العزى ) نشأ فى الفرعونية اسم ( ايزيس ) الالهة المصرية المشهورة التي تناظر عشتار البابلية . واسم زوجها ( أوزورين ) ، وهو الذي ورد اسمه فى القرآن ( العزيز ) - زنة الزبير . وإضافة السين الى هذه الأسماء الفرعونية : ايزيس وأوزوريس وسيرويس - عادة لغوية عربية قدمى لا تزال من بقاياها كلمات مثل العتريس ( الشديدة ) والقدموس ( القديم ) والقسطاس ( الميزان ) (2) .

وأوزوريس الذي كان عند المصريين رمز الزرع والخضرة ، مع زوجته ايزيس - ينظر الالهة تموز مع الالهة عشتار عند البابليين .

ويظهر أن طلوع العزى كان يصادف موسم هطول الأمطار عند بعض الأعربيين . ولعلمهم ، أن صح ذلك ، أطلقوا من هذا المعنى كلمة ( المعزوزة ) على الأرض التي أصابها ( العز ) - زنة الحس - أي المطر الشديد ، كما كانوا يقولون « مطرنا بنوء الثريا » مثلا .

ولا ندري كذلك هل نشأ اسم ( عطار ) من صيغة مثل عتار أو عذرة أم من معنى الطرد لأنه يطرد أي يلاحق نجما أو كوكبا ما .

ولعل اسم كوكب ( المشتري ) متطور كذلك من ( عشتار ) أو نحوه .

ولعل اسم ( سهيل ) ثم ( السها ) أيضا من ذراري هذه المجموعة .

ومن العذرة فيما يظهر نشأ اسم ( الشعري ) بكسر الشين وفتح الراء - وهو اسم نجمة تطلع فى الجوزاء ويكون طلوعها فى شدة الحر كذلك . وهذه الخلطة المشتركة بين النجمتين تنبئ أن اسم الشعري ناشئ من العذرة مبنى ومعنى ، بينما صيغة ( الشعري ) تبدو أقرب الى اسم ( عشيرة ) وكأنها مقلوبة منه . ويجوز طبعا أن يكون الأثر كلمة ثالثة غير هذه وتلك نتيجة التغيرات الدينية والتحويرات اللغوية .

وتوجد عند العرب شعريان : أحدهما وهي المع نجوم ( الكلب الأكبر ) سموها ( الشعري اليمانية ) لأنها تطلع من صوب اليمن ربما بالنسبة الى الحجازيين فتكون التسمية حجازية عندئذ . والثانية سموها ( الشعري الشامية ) وهي المع نجمة فى كوكبة ( الكلب الأصفر ) ، والتسمية تومئ الى أن طلوعها يكون من ناحية الشام .

والشعري اليمانية التي لعلهم عدوها الالهة القيظ ، عرفها الفرعونيون باسم ( سيرويس ) واعتبروها الالهة للخصب والانبثاق لأن الموسم الذي يطلع فيه هو فى مصر إبان فيضان النيل حيث يشتد الحر فعلا ، ومن ثم كان عند الأغريق والرومان رمز الحر ، كما عند العرب .

ولا ندري بالضبط من أية صيغة باقية أو بائدة نشأ اسم ( العزى ) ، الصنم المشهور الذي عبدته قريش فى جاهليتها . وعلى بعض الروايات كان أعظم أصنامها ، تزوره وتنحدر له . وكان يمثل الالهة ( العزة ) ، أي أن هذا أثر ( العزى ) فيما يظهر . وكان للعزى أكثر من معبد فى الحجاز ، وكان يعبد أكثر من قبيلة بالإضافة الى قريش . والمعبد الرئيسى فى بعض الروايات كان بين مكة والطائف ، أرسل النبي خالد بن الوليد لهدمه ، فهدمه وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانه !  
اني رأيت الله قد أهانك !

(1) أخبرنا المرحوم الدكتور ناجي الأصيل عندما كان مديرا عاما للآثار القديمة فى العراق أن التنقيبات العراقية كشفت عند مدخل أحد الهياكل فى أطلال الحضرة عن ثلاثة تماثيل منقوش على أحدها اسم « اللات » وعلى الثاني اسم « العزى » ، والثالث غفل لا اسم عليه والمظنون أنه « مناة » مصداقا للآية : « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

(2) تطرقنا بشيء من التفصيل الى موضوع السين فى العربية والآريات ضمن بحث « أسرار الضمائر » - فى المرجعين المذكورين .

وأخيرا نذكر اسم ( الزهرة ) الجميلة - وهي  
أساس كل هذه الفتنة - فيبدو لنا أنه متطور من اسم  
أما ( الثورة ) العظيمة الشأن .

— x —

بعد أن تبينت لنا العلاقة اللغوية بين هذه  
التسميات الشتى من النجوم والآلهة والأبقار ، نعيد  
ادراجها حسب ترتيبها الهجائي في هذا المسرد -  
تيسيرا لاقاء نظرة عامة فاحصة عليها :

**آثوري** : آشوري ، بلغة الموصل . ونحسب هذا  
النطق الثاني متخلفا من إحدى اللهجات الآشورية،  
وهو الأثل على كل حال ، وأثله ( الثور ) .

**آشور** : اسم عاصمة الآشوريين القدامى ، كانت في  
موضع بلدة ( شرقاط ) الحالية ، على دجلة ،  
جنوبي الموصل ، ثم صار الاسم علما على الدولة  
الآشورية . وقد ورد في التوراة بصيغة ( آشور )  
بتشديد الشين ما يقر بها من نطق أثله ( الثور ) .

**اثنار** ( أو اثتر ) : الآلهة عند المعينيين تناظر عشتار  
عند البابليين . وهي كما يظهر أثل عشتار ومن ثم  
عشتار . أما أثل ( اثنار ) فهو ( اثار ) - بتشديد  
الثاء - الذي نفترض أنه اسم كان موجودا ومنه  
نشأ اسم ( عثار ) الأرمية .

**أثيرة** : الآلهة عند قدامى أهل اليمن تناظر عشتار  
البابلية . وكانت أولا تعني البقرة فيما يبدو ،  
وأثله ( الثورة ) .

**أختر** : نجم ، بالفارسية . والأغلب وروده بصيغة  
( اختران ) وهو يشمل الثنية عندهم ، مما يدل  
على أنهما نوعان . وأثله ( اثتر ) المعينية .

**أسيريا** Assyria : اسم دولة آشور ، بالاغريقية  
ثم اللاتينية ، أثله : آشور أو آثور .

**إشخارا** - Ish'hara : إحدى صور الآلهة عشتار  
عند البابليين ، واسمها متطور من اسمها .

**أشيرة** ( أو عشيرة ) : زوجة الآله ( إيل ) عند  
الكنعانيين ، وهما من الآلهة القدامى الذين  
أبادهم الآلهة الجدد ، ولعلها أقدم من عشتار

البابلية ، أو أن اسمها على الأقل أقدم لأنه أقرب  
تأنيلا إلى ( أثيرة ) بينما اسم عشتار أثله ( اثنار ) ،  
وهي أحدث صياغة من ( أثيرة ) .

**أوزوريس** : الإله فرعوني . إذا حذف السين الزائد  
من اسمه فأصبح ( أوزور ) يبدو كأن أثله : آشور  
أو آثور وهو يناظر تموز حبيب عشتار عند  
البابليين من حيث أنه رمز الخضرة ومن حيث  
أن أنشاه أيزيس ندبته وحاولت استنقاذه من  
الموت .

**أيزيس** : الآلهة فرعونية ، وهي كالذي قلنا توا زوجة  
أوزوريس ، التي تناظر عشتار البابلية بالنسبة  
إلى حبيبها تموز . لكن اسم ( أيزيس ) منحدر  
من ( العزى ) أو من صيغة مقارنة .

**تارا** : الآلهة الحب والجمال عند أهل نيبال حتى  
اليوم ، وأثل اسمها عشتار أو عثار أو نحو ذلك .  
ولعلها معبودة بنفس الاسم أو بغيره لدى شعوب  
أخرى في المنطقة .

**الثرىا** : طائفة من النجوم في عنق المجموعة الشني  
تسمى ( الثور ) . وأثل اسمها هو ( الثويرة )  
تصغير الثورة ، أي البقرة ، فيما يظهر .

**باختر** : الغرب ، بالفارسية . وأثله ( اختر ) ، أنفا .

**ثور** : جبل بالحجاز فيه الفار الذي لجأ إليه النبي  
مع أبي بكر يوم الهجرة النبوية إلى يثرب .

**الثور** : معبود الفراعين باسم ( آيس ) ، وأحد  
البروج الاثنى عشر في السماء ، مدته من 21  
نيسان ( أبريل ) إلى 20 أيار ( ماي ) .

**الثورة** : البقرة . وقد عبدها الفراعين باسم ( هاتور ) ،  
ولا تزال معبودة الهندوك .

**خاور** : الشرق بالفارسية . ومنه نشأ اسم  
( خواهر ) : الأخت ، لعل أثله ( اختر ) ، أنفا .

**الزهرة** : النجمة المتوهجة المعروفة التي كانت الآلهة  
الجمال والحب والخصب لدى الأعرين وغيرهم  
من الشعوب القديمة شرقا وغربا . يبدو أن أثل  
اسمها ( الثورة ) .

**السهى** ( أو السهى ) - كلاهما زنة الرؤى : نجم يقع فى مجموعة الدب الأصفر ، يضرب به المثل فى الضالة . يبدو انه اختزال من اسم ( سهيل ) ، تاليا .

**سهيل** : نجم وهاج ، يطلع عند العرب فى أواخر موسم القيث . لعل أئله ( الزهرة ) . فان صح ذلك فالأغلب أنهم سموه (زهير) أول الأمر .

**سيروس** : جزيرة فى بحر إيجة . لا تعرف سبب تسميتها لكن اللفظة تبدو كأنها جاءت من اسم (الشمرى) مثل اسم الآلهة المصري (سيرويس) ، لاحقاً .

**سيروس** : الملك الفارسي القديم المعروف باسم ( كوروش ) أيضاً . ويظهر أن أئله ( الشمرى ) كذلك ، مثل اسم ( سيرويس ) ، تاليا .

**سيرويس** : نجم يطلع عند المصريين بشيرا بفيضان النيل الذي يبدأ عادة فى منتصف شهر آب ( أغسطس ) أي بداية موسم اشتداد الحر . وكان عندهم لذلك الآلهة الانبات والخصب ، وهو المسمى عند العرب ( الشمرى اليمانية ) . واسم ( سيرويس ) متطور من اسم ( الشمرى ) نفسها ، يتضح ذلك عند حذف ( أوس ، يوس ) من آخر الاسم فيبقى ( سيرو ) .

**سيريا - Syria** : اسم أطلقه الإغريق على بلاد الشام وآشور ، وظل كذلك عند الرومان ، ثم تخصص فى اللغات الأوروبية ببلاد الشام (سورية)

**الشمرى** : نجمة تطلع عند اشتداد الحر . ولعل أئله الاسم ( العذرة ) التي تطلع فى شدة الحر أيضاً . ويبدو اسم ( عشيرة ) أقرب الى ( الشمرى ) ويمكن أن يكون هو الأئله . ومنها اسم (سيرويس) آنفا . وكانت عند الإغريق والرومان أيضاً رمز الحر .

**الشهر** : الجزء من اثني عشر جزءاً من السنة . يصح ذكره مع هذه المجموعة من الأسماء ان كان أئله (الزهرة) أو نحوها . ويؤيد ذلك أن الفنيقيين

كانوا يطلقون اسم عشتاروت - الذي هو الزهرة فى الأصل - على الآلهة القمر أحياناً . وعلى هذا يكون ( الشهر ) قد أطلق فى العربية على القمر أولاً ثم صار يعنى الفترة الزمنية بين طلوع هلالين أو بالأحرى بدرين . وما زال اسم القمر يعنى الشهر فى الفارسية (ماه) والتركية ( آي ) وفى كثير غيرهما من اللغات .

**طوروس** : سلسلة جبال فى ترقية . والتسمية من اللاتينية (Taurus) التي تعنى فيها الثور كما تعنى هذه الجبال . وأئله الكلمة كما هو واضح ( ثور ) . وقد يكون أصل تسمية هذه الجبال أعربياً وخاصة أن فى الجزيرة العربية جبلاً أو أكثر باسم ( ثور ) .

**عشار** : اسم عشتار عند الآريين .

**عشتار** : اسم عشتار عند الآريين كذلك .

**عشتار** ( أو عشتار ) : الآلهة عند قدامى أهل اليمن .

**العذرة** : نجم يطلع حين يشتد الحر . ولعله أئله ( الشمرى ) لفظاً ومعنى . أما أئله فربما كان أئتر أو أئيرة أو ثورة ..

**العزى** : صنم كان لقريش فى الجاهلية ، وجد نظيره فى أطلال الحضرة . وقد عبده اللخميون والآريون كذلك . أما أئله ( العزى ) فلعله اسم الآلهة ( العزة ) - زنة الفصة .

**العزير** : اسم ورد فى القرآن تعريباً لاسم (أوزوريس) الفرعوني . وربما كان منه أيضاً اسم النبى العبراني (عزير) على عادة العبريين فى اقتباس بعض الفرعونيات وأشهرها عبادة العجل (1) .

**عستار** ( أو عستر ) : نظيرة عشتار البابلية عند قدامى الأحباش . وأئله (عستار) وهذا من (أشتار) المعينية .

**عشتار** : الآلهة الجمال والحب والخصب والحرب عند البابليين ، وأئله الاسم (عشتار) أو (أثار) .

(1) كما ان اسم موسى أيضاً من الفرعونية والمظنون انه أثلا : موشا ( = مو : ماء + شا : شجر ) : إشارة الى التقاطه رضيعاً بين أشجار الماء .

أوردنا هذه الأسماء مرتبة الفبائية ، لأننا لا نستطيع ترتيبها دينيا ولا تأثليا بسبب تفرعها مثل أغصان الشجرة متعارضة ومتماكسة ومتواشجة ، لا متتالية مثل حلقات السلسلة . ويمكن تأثيل كل واحد منها على حدة بوجه التقريب والتخمين ، كالذي فعلنا .

هذا ولا نذكر مصدرا أخذنا عنه هذه الأسماء لأنها صادفتنا فى مصادر مختلفة أثناء مطالعتنا العامة خلال عدد عديد من الأعوام . ولا نخالها موجودة كلها فى مصدر واحد . ولا بد أن هناك مصادر أخرى تحتوي أسماء أخرى فى هذا الصدد قد تكون كثيرة . ولا بد أن هناك أسماء منقرضة أيضا لا توجد فى أي مصدر . ولو أمكن الاطلاع على هذه وتلك لأمكن بسهولة تأثيل هذه الأسماء بوجه الدقة أو ما يقاربها .

وأخيرا ، لو أنصفنا لجعلنا الثور أو الثورة عنوانا لحديثنا هذا لأنهما أصل تلك الآلهة وأثل هذه التسميات . لكننا آثرنا الأجمل والأحب إلى القراء فجعلنا عنواننا ( عشتار ) .

**عشتار :** الآلهة الخصب عند أهل ماري .  
**عشتاروث :** عشتار عند الفنيقيين ، أي كوكب الزهرة ، وكانوا يرمزون بها إلى الآلهة القمر أحيانا . ويظهر أن ( أوث ) فى آخر الاسم علامة تانيث ، ما يوحي بأن الذين سبكوا هذه الصيغة ، من الفنيقيين أو أسلافهم ، كان لهم إله ذكر باسم عشتار أو عشتار . مثل السبثيين والماريين ، فالحقوا علامة التانيث باسم الآلهة الأنثى ، تميزا .

**عشتار :** إله عند أهل ماري .  
**عشتار :** إله عند قدامى السبثيين ، كانوا يقصدون به كوكب الزهرة ، وهو الابن فى الثالوث السبثي . أبوه القمر (الموقاء) وأمه الشمس (ذات حميم) .

**عشيرة :** هي أشيرة ، أنفا .  
**هاتو :** الآلهة ثورة ( بقرة ) عند الفرعونيين . ويبدو أن اثل الاسم هو آثور أو الثور .

— x —



# أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ يُجَارِبُونَ لُغَتَهُ

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار  
مكة

وكانت نتيجة هذا التأثير السيء ان اكتفى المثقفون منا في باكستان وبلاد المشرق من القرآن الكريم بالتلاوة مجردة عن فهم معاني الالفاظ والكلمات، كما اهتموا في دراساتهم تعلم هذه اللغة الميسرة .

انهم لو بذلوا جزءا يسيرا من مجهودهم العلمي في سبيل اتقان هذه اللغة الكريمة لما وقعوا في شباك الدعاية السيئة التي يروجها الاعداء .

ان اللغة العربية لغة سهلة وميسرة للفهم والاتقان، وهي بالنسبة لنا نحن الباكستانيين من اسهل لغات العالم ادراكا لكننا - مع الاسف الشديد - انجرنا مع تيارات الدعايات المغرضة ، واخذنا نسمي السهل صعبا ، ونقول لليسير عسيرا .

وليس ما يشكو منه الكاتب الباكستاني الفيور على لغة القرآن مقصورا عليه ، فكل الغير عليها يشكون ما يشكو منه .

وليس الباكستانيون وحدهم انصرفوا عن العربية، بل العرب اشد منهم انصرافا ، فالتهمة التي الصقها اعداء الاسلام بلغته اثرت في علماء العرب من اساتذة الجامعات والمعاهد الكبرى ، وحمل علماء عرب كبار راية الاتهام وايدوا اعداء العربية في زعمهم انها شديدة الصعوبة .

وقد وضع أولئك الاعداء مخططا رهيبا للقضاء على العربية ، وجعلوا عنوانه : صعوبة اللغة العربية ،

جاء في مجلة « رابطة العالم الاسلامي » التي تصدر في مكة المكرمة (العدد العاشر 1390) ما ملخصه:

كتب الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار مقالا قيما تحت العنوان المذكور اعلاه ، ينوه فيه بباكستان الشقيقة التي تولي عناية كبيرة باللغة العربية ، ولقد تسنى للسيد كاتب المقال ان يزور باكستان ويلتقي بشخصيات مرموقة فوجد فيها عطفًا كبيرا واهتماما بالغة الضاد . وكذلك الامر في الصين الوطنية يقول مثلا : « فالمسلمون في الصين يتمنون ان يدرسوا اللغة العربية ويتعلموها ولكنهم لا يجدون المعلمين فيكتفون بقراءة القرآن دون ان يفهموا كلمة او آية ، بل يقرأ بعضهم الآيات محرفة » .

ويؤكد الاستاذ عبد الغفور عطار ان اهتمام باكستان باللغة العربية اهتمام لا حد له ، غير اننا نحن العرب لم نول أهمية تذكر هذا الاهتمام فلا نكاد نعرف من جهودهم المباركة العظيمة شيئا . وبعد ذلك تحدث عن كتاب « قواعد الفقه » للعلامة الباكستاني الاستاذ محمد عليم الاحسان ثم عاد الى الدفاع عن العربية قائلا :

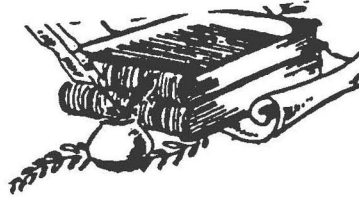
« لقد قام أعداؤنا اعداء الاسلام - وما زالوا يقومون - بدعايات سيئة ضد هذه اللغة الميسرة مدعين بأنها من اصعب اللغات ، واخذوا يروجون هذه الدعاية بطرق شتى واساليب مختلفة حتى تأثر كثير منا وطفقوا يرددون فيما بينهم بأن اللغة العربية صعبة!!»

وحضاراتهم وشريعتهم وآدابهم وسلوكهم ولفتهم ،  
فاتجهوا نحو اعدائهم ووالوهم وجعلوهم مثلهم الاعلى ،  
وتركوا لفتهم ودينهم فهانوا وذلوا .

ومن جملة ما دعوا اليه ليقضوا على لغة العلم  
والكتابة ، والى تيسير النحو فى اللغة العربية الدعوة الى  
اتخاذ العامية والى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف  
العربي المسلم ، والى هدم موازين الشعر العربي ، والى  
ترك الاعراب وتسكين اواخر الكلمات ، والى الثورة على  
علوم البلاغة الخ .

ثم فصلوا التهمة تفصيلا ، وزخرفوا اباطيلهم وتهمهم  
المدمرة بالغيرة على اللغة العربية والناطقين بها حتى  
وقفوا الى ان يجعلوا علماء العرب مؤمنين بصدق ما  
يدعون ، ونهضوا بحمل الدعوة كما اراد اصحابها من  
اعداء الاسلام .

وهؤلاء الاعداء يعلمون ان اللغة العربية لغة القرآن  
والحديث والاسلام ، فاذا اضعفوها اضعفوا العرب  
والمسلمين جميعا وتم لهم ما ارادوا ، فقد اضعفوا  
العرب والمسلمين ، ونزعوا منهم الثقة بدينهم وثقافتهم





# أَسْمَاءُ الْأَعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ

## «مَنْ الْقَرْنُ الْجَاهِلِي الْأَخِيرُ إِلَى الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ»

الدكتورة فيبثا فالتر  
أستاذة اللغة العربية  
جامعة مارتين لوتر (المانيا الديمقراطية)

التعريض بادعاء الشعبية وأن يجد لكل اسم معناه فقد كان لا بد له من أن يعترف بعجزه عن إعطاء المعنى الدقيق لعدد كبير نسبيا من الأسماء ، لذلك فهو يذكر أحيانا احتمالات مختلفة لشرح اسم واحد . وسبب ذلك في كثير من الأحيان أن لبعض الأصول في اللغة العربية معاني مختلفة .

ابتدا بعض المستشرقين الأوربيين منذ أوائل هذا القرن بأبحاث عميقة لبعض مجموعات الأعلام العربية وقد انتبه الى ذلك بعضهم من قبل ومن بين هؤلاء العلماء مثلا Th. Nöldeke عن بعض مجموعات الأعلام الساميين ومنهم العرب و E. Gratzke عن أعلام النساء العربية القديمة ولـ J. Hotovitz عن الأعلام في القرآن . ولـ J. Wetzstein عن الأعلام في جبل حوران في منتصف القرن الماضي ولـ J. Hess عن أعلام البدو في وسط الجزيرة العربية . ولـ E. Littmann بعض مقالات مثلا عن أعلام البدو في جبل حوران وعن الأعلام المصرية في منتصف قرننا هذا .

وبدا المستشرق الإيطالي L. Caetani كتابا عنوانه : Onomasticon ومعنى ذلك كتاب الأعلام العرب ولكن لم يكن في وسعه أن يتم إلا الجزء الأول من هذا الكتاب وهو يحتوي على العبادة ويعني ذلك من اسمهم عبد الله ، وكتب المستشرق الإيطالي F. Gabrieli كتابا افتتاحيا لذلك الكتاب يجمع فيه المصادر ويعرض فيه فكرة واضحة عن نتائج المؤلفات

اسمحوا لي أن أعرض لكم اليوم موجزا لبعض الأعلام العربية منذ القرن الأخير للعصر الجاهلي حتى أوائل العصر العباسي ، وجريا على رأي الكاتب والعالم اللغوي الألماني (A.W. v. Schlegel) الذي قال : أن الأسماء هي التمثال الإقدم للغة وللآداب ولتفكير الشعب .

وقد وجدت اليوم أبحاث شاملة وعميقة للغات كثيرة عن أسمائها سواء أسماء الامكنة منها وأسماء الأشخاص ، ولا تبحث الأسماء فيها من الوجه اللغوي فحسب بل ومن الوجه التاريخي والاجتماعي والانتولوجي أيضا .

ويشتمل الأدب العربي اللغوي في القرون الوسطى على أقوال عديدة عن الأسماء من الناحية اللغوية فقط . ولقد حاول (سيبويه) في كتابه «الكتاب» أن يحدد ماهية الاسم العام وبما يختلف عن اسم الجنس ، ويبحث سيبويه مواضيع نحوية ولغوية تتعلق بأسماء الأعلام . واستطاع اللغويون بعد سيبويه أن يحددوا بدقة أكثر ماهية اسم العلم ، وفي مؤلفاتهم فصول خاصة حول الأسماء . وبجزئي عن الإطالة ان اذكر لكم هنا أن العالم العربي (ابن دريد) قد حاول في كتاب «الاشتقاق» في القرن الرابع الهجري أن يشرح معاني أسماء العرب الشخصية ، ويمثل ذلك في مقدمة كتابه «أن قوما يطعنون في اللسان العربي وينسبون اهله الى التسمية بما لا اصل له في لغتهم» . وهو يعني بهذا اصحاب الشعبية ، ومع أن غايته كانت

العربية والاوروبية المهمة بالاعلام العربية التي صدرت حتى ذلك الوقت حتى سنة 1915 م .

وبدا بعض الادباء في العالم العربي في السنوات الاخيرة بثفت النظر الى الاعلام العربية . فكتب الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي مقالات متعددة عن الاعلام العربية خاصة الحديثة منها ( يمكننا ان نقول انه لا توجد الى الآن دراسات واسعة مهمة بالاعلام العربية بالنسبة للغات السامية الاخرى او للغات الهندية الاوروبية ) . اما اسماء الاعلام في القرون الاولى من الاسلام او في الجاهلية فقلما كانت حتى الآن موضوعا للدراسة . مع ان نظام سلاسل الانساب العربية الواسع النشائي من المجتمع البدوي والادب العربي التاريخي والبيوغرافي المتسع يحتوي على مجموعة ضخمة من اسماء الاعلام جديرة بدراسات عميقة .

ويهمنا الآن في هذه المقالة اسماء الاعلام في القرن الجاهلي الاخير وفي القرنين الاول والثاني من الاسلام .

ولكي نحصل على نظرة اجمالية مناسبة عن اسماء الاعلام الشائعة في ذلك الوقت نستفيد من كتاب الاشتقاق لابن دريد ومن فهارس الاسماء في بعض مؤلفات بارزة في القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري، من ذلك كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد أو سيرة النبي لابن اسحاق وفهارس الاسماء في بعض مجموعات الأشعار كالتنقيض أو المفضليات مثلا . ونجد في هذه المؤلفات من 3000 الى 4000 اسم تقريبا ، وعندنا الآن مرجع ممتاز وهو جبهة الانساب لهشام ابن الكلبي الذي كان الفضل في نشره من جديد سنة 1967 للمستشرق الالماني W. Caskel . باستطاعتنا ان نذكر ان اسماء الاعلام المذكورة تغلب في هذا العصر الذي نحن بصددده على اسماء الاعلام المؤنثة لان المجتمع كان مجتمع الرجال . مع انه توجد في شجرات الانساب بعض الآثار لمجتمع سيطرت فيه النساء (Matriarcat) ( وهو ينتج من طبيعة المجتمع العشائري البدوي المبني على القرابة الحقيقية أو الوهمية انه يصعب علينا ان نفرق بين الاعلام الشخصية واعلام البطون او العشائر لان البطون يرجع اصلها الى أب واحد سواء اكان حقيقيا أم وهميا وحيانا الى أم واحدة ) .

وبناء على كثرة عدد الاسماء أرى ان من المناسب ان أركز على الاسماء بدون الالقاب أو الكنى أو الانساب مع انها اجزاء لا تنجزا عن العلم العربي الكامل ومع ان بعض الالقاب والكنى المجازة تغبر عن تفكير الشعب

ومزاجه ، وعدد الالقاب والكنى المجازة الواردة في مصادرنا المذكورة نسبيا قليل . وظلت النسب تنسب في القرن الاول والثاني من الاسلام الى البطن الذي يرجع الشخص اليه سواء عند البدو او عند سكان المدن ، وقد عاش سكان المدن وبينها المدن المنشأة في صدر الاسلام حسب تبعيتهم لبطن من البطون ويظهر لنا ذلك ان هذه التبعة كانت اكبر قيمة من تبعية المنشأ المحلي . وهذا مميزات لمجتمع تغلب عليه البداوة . وكثيرا ما كان الناس فيما بعد ينسبون لبطن من البطون وايضا الى مكان من الامكنة مثلا السلمى المكي . وأحيانا كان لهم زيادة على ذلك نسبة تدلنا على مذهب الشخص او حرفته او حرفة ابيه كالساعاتي مثلا . فاذا في وسعنا ان نقول ان العلم العربي الكامل في ذلك الوقت عبر عن موقف الشخص في المجتمع تعبيراً دقيقاً نسبياً ، ولا نجد القابا تكريمية في عدد كبير من الاسماء حتى وقت العباسيين وكانت هذه الالقاب أول الامر القابا عرشية للخلفاء بدت فيما بعد عند الاسر الحاكمة المختلفة وعند وزرائهم وموظفيهم ايضا . وكان استعمال الكلمات ( دين ) و ( دولة ) و ( ملك ) في الالقاب المركبة مميذاً لذلك العصر ، ويبدو ان هذه الالقاب تتقوى وتتضخم كلما تفكك الملك وفقد قدرته ، وبعض الالقاب المضافة الى « دين » صارت فيما بعد اسماء اعلام ولا تزال حتى الآن .

واذا اردنا الاهتمام باسماء الاعلام فعلينا ان نأخذ أربع نقط رئيسية بعين الاعتبار وهي :

- 1 - شكل اسماء الاعلام .
- 2 - معنى اسماء الاعلام .
- 3 - البواعث لاختيار اسم من الاسماء لطفل .
- 4 - انطباع اسماء الاعلام بطبيعة الاحوال الاجتماعية .

#### 1 - شكل الاعلام :

نستطيع ان نقول ( بوجه عام ) حول شكل الاعلام

ما يلي :

لا توجد في العربية الشمالية على النقيض من اكثر اللغات السامية الاخرى اعلام بشكل جمل اسمية ( فمثلا ، في العبرية القديمة Immanuel يعني عندنا الله ويذكر لغويو العرب بعض امثلة لاعلام في شكل الجمل الفعلية مثلا تابط شرا أو برق نحره . جميع الاسماء في هذا الشكل كما يبدو القاب ولم توجد الا في وقت الجاهلية . وهناك اعلام اخرى على شكل جمل

ونذكر على سبيل المثال تغلب أو يزيد ، ومعظم هذه الاعلام اعلام لبطون أو لشخصيات من اساطير قديمة ومن المحتمل ان منشأ هذه الاعلام في جنوب جزيرة العرب وانها كانت في البداية تنسب الى الالهة ، ولكن شرح ابن دريد في كتاب الاشتقاق يبرهن على ان العرب في شمال جزيرة العرب أيام ابن دريد نسبوا هذه الاعلام الى الطفل أو الشخص المسمى بهذا العلم ، ووجدت في ذلك الوقت بعض اعلام اخرى بشكل جمل نشأت في جنوب جزيرة العرب ايضا وهي مثلا معد يركب أو شرحيل ويقول نحاة العرب انها مركب مزجى لانهم لم يفهموا العربية الجنوبية بعد .

ومجموعة صغيرة نسبيا من الاعلام هي اضافات منسوبة الى الالهة ومنها في الجاهلية مثلا عبد العزى وزيد اللات . ويدل المسلمون الالهة الوثنية بالله أو لقب من ألقابه مثلا عبد الله أو عبد العزيز ولم ينبثق في الاسلام من الكلمات الاولى التي استعملت في هذه الإضافات الا الكلمة عبد . ( وأوضح نحاة العرب بعض أسماء اخرى بمركب مزجى وهي الأسماء التي في نهايتها ( به ) وهي في الحقيقة أسماء التصغير منتهية بانهاء فارسي واعني بذلك ( به ) وتظهر هذه الأسماء منذ منتصف القرن الثاني الهجري في أراضى فارس والعراق ) . وقد عرف المستشرق الألماني Th. Nöldeke ان الحروف الاخيرة فيها اخذت من الفارسية تظهر اول ما تظهر في الأسماء الفارسية مثل سيويه ومن ثم في الأسماء العربية مثلا سعدويه وعبدويه وليثويه . معظم الاعلام العربية تتألف من كلمة واحدة وهي أسماء أو صفات وأسماء الفاعل أو المفعول والافعل . ( وكثيرا ما نجد بعض الاعلام التي تقطع من الإضافات القديمة مثلا زيد وأوس وعوف ) . ومن الطبيعي ان اشكال الكلمات الشائعة تغلب على الاعلام ايضا وتوجد بعض الاعلام النادرة بشكل لا يتفق والقواعد مثلا محبب ومزيد ويسمى نحاة العرب شواذ وهو من المحتمل ان هذه الاعلام متخذة من اللهجات . ومما يلفت الانظار كثرة حدوث الاشكال التي تعبر كما يقول المستشرق الفرنسي H. Fleisch في كتاب Traité عن انفعال المواطن ومعنى ذلك انها تستخدم للتعبير عن زيادة المعنى الاصيلي (Augmentatif) أو تقليلها (Déminutif) ونذكر على سبيل المثال الاشكال فعمل وفعل وفعالة وفوعل وفيعل والاشكال افعل وفعل غالبية ايضا .

## 2 - حول معنى الاعلام :

معنى اكثر الاعلام العربية في ذلك الوقت كما هو الآن مفهوم . وذلك على خلاف معظم الاعلام في اللغات الهندية الاوربية . وصحيح ان هناك اعلاما لا تستعمل ككلمات ولكن كثرتها اشتقت من اصول اشتق منها أسماء كثيرة وذلك ، كما اظن بسبب معنى هذه الاصول .

ويعني هذا ان هذه الاسماء تنتج عن حب العرب للجناس .

وفى وسعنا ان نقسم اسماء اعلام العرب حسب معناها الى مجموعات مختلفة ومنها :

### الاعلام الدينية :

معظمها اضافات والكلمة الاولى فيها فى الاسلام غالبا وفى الجاهلية احيانا الكلمة عبد وتوجد فى الجاهلية زيادة على ذلك مثلا الكلمات تيم وأوس وأنس ووهب وسعد وزيد ، وعند النساء أمة ، ككلمات اولى ويعني كلمات تعبر عن ارتباط بين المسمى بهذا الاسم والله او الالهة الوثنية المضاف اليها كعبد العزى او زيد الثلاث او تيم الله او أوس مناة الخ ... اما المضاف اليه فى هذه الاسماء فى الجاهلية فهو احيانا كما يبدو علم شخص مثلا عبد امية او عبد عمرو . ومن المرجح كما ظن المستشرق الالماني J. Wellhausen ان هذه الاسماء تدل على عبادة الاجداد . ولكننا نشك فى ان ذلك تفسير لكل هذه الاعلام . ونجد فى كثير من هذه الاعلام اسماء الالهة الكبيرة التي كانت عبادتها شائعة فى مناطق واسعة من جزيرة العرب وهي بجانب الله : اللات والعزى ومناة . ودلت اسماء اخرى على آلهة اخرى مثلا عبد الجد او عبد ذي الشرى او عبد رضا او عبد شمس (او عبد الملك وكان الملك الها كنعانيا بلذكر ايضا فى النقوش التامودية ) . وترينا الاعلام عبد الكعبة وعبد البيت وعبد الدار عبادة الكعبة ، وتشهد الاسماء عبد المسيح وعبد يسوع على النصرانية الشائعة فى جزيرة العرب قبل الاسلام .

وتغلب على الاسماء الدينية فى الاسلام عبد الله وعبيد الله وأمة الله عند النساء ويوجد بجانبها عدد من الاسماء المركبة بعبد ولقب من القاب الله مثلا عبيد الرحمن وعبد ربه ، وقد وجد هذان الاسمان ايام الرسول محمد . ونجد بعض الصفات من صفات الله الاخرى فى الاعلام البارزة فى القرن الاول والثاني من الاسلام ، نحو عبد الكريم وعبد المجيد وعبد الرزاق وعبد المنعم وعبد الصمد ، واننا لا نجد كل الاعلام المألوفة اليوم بهذا الشكل فى هذين القرنين .

وعدد الاعلام الدينية عند النساء صغير بالنسبة لعددها عند الرجال .

وتستعمل الكلمات الاولى الواردة فى هذه الاضافات وحدها كاعلام ومن المرجح انها اختصارات صارت اعلاما مثلا زيد وأوس وعوف . ونجد مشتقات

من هذه الاعلام مستعملة ايضا ، فاعلام مثل عبيد وعبيدة وزيد وزائدة واباس ووهيب والخ ..

ومن الاعلام الدينية اعلام بمعنى ( هدية ) وهي واردة فى اللغات السامية الاخرى غالبا ومنها فى العربية مثلا حلوان ورفيدة وزيد وعطاء بجانب وهب وأوس .

كان عدد الاسماء العربية المأخوذة من اسماء الحيوانات كبيرا نسبيا فى ذلك الوقت . وانه من الطبيعي لشعب متعلق بطبيعة حياته كشعب العرب فى ذلك الوقت ان يسموا اطفالهم باسماء الحيوانات ولو ان البواعث لهذه التسمية مختلفة . وتغلب على هذه الاسماء الحيوانات الوحشية مثل اسماء الاسد ومنها اسد واسامة وليث ، واسماء الذئب ومنها السيد والسرطان ، وفهد وثعلب والنمر وثور ، ونجد بجانبها اسماء الحشرات كاسماء اعلام مثلا جنس جراد وحر قوص وشبث ، ونجد بعض اسماء الطيور مثلا زحوم وصرد وسلطان ، كما نجد بعض اسماء الافعى مثلا السباب والحنش والارقم .

وتغلب على اسماء النساء المأخوذة من اسماء الحيوانات حيوانات بصفات جميلة او ناعمة او حليلة وعلى امثلتها اسماء الطبي مثلا خولة وخنساء وظبية ، واسماء الارنب مثلا ارنب وخرنيق ، واسماء بعض الحيوانات البيتية مثلا كبشة وبريدة وهر ، وبعض اسماء الطيور مثلا قطة والسلكة وحميمة وهدية . ولكن توجد ايضا بعض اسماء الحيوانات بصفات غير جميلة مثلا عقرب ودعد وضبيعة . واعتقد انها من اسماء البدو . وعدد الاعلام المأخوذة من اسماء النباتات اصغر من الاعلام المأخوذة من اسماء الحيوانات . ومن الممكن ان سبب ذلك الاخضرار القليل فى جزيرة العرب وتغلب على هذا النوع من الاعلام عند الرجال الاعلام المأخوذة من نباتات مرة او شوكية مميزة للمناخ الجاف مثلا حنظلة وسلامة وطرفة وطلحة وعلقمة . وتغلب على اسماء النساء المأخوذة من اسماء النبات اسماء الزهور او الشجرات المزهرة او المتسوعة كلبنى او ريحانة او خزامى . ومن اللافت للانتظار ان معظم الاسماء المأخوذة من اسماء النبات لها شكل المفرد يعني فى نهايتها تا مربوطة .

وهناك عدد من الاسماء لها معنى صخر او مما يشابه ذلك مثلا جروول وجلى وجندل وجندلة اهمهم انشى الخ ...

وتحدد أسماء أخرى موقف الطفل في أسرته ومنها أول الأمر تسمية بسيطة جدا وهي الوليد أو الطفيل أو واصل ومنها أيضا أسماء الدلال مثلا حبيب ومحبوب وحبيبة وتوجد بعض أسماء بمعنى عوض مثلا بدل وبديل وخلف وتعبر بعض الأسماء عن موقف الطفل في المجتمع الانساني مثلا الخليل وشريك ، وقد وجد في ذلك الوقت أسماء اعلام مأخوذة عن أسماء معان ومعظمها تمنيات للأطفال الذين سموا بها مثلًا إيساد (بمعنى عون أو قوة) ويشه وبشر وتوبه (هو اسم إسلامي) كما هو الحال بعون أو رجاء ، ومن الأسماء للعبيد فتح ورياح ويسر ويمن ونجاح . وقسم كبير من الاعلام العربية هي صفات مختلفة ومنها صفات منسوبة الى الولادة أو الظروف خلالها أو زمانها أو مكانها مثلا بكار وحرس أو ربيعي والصبح ، وصفات أخرى تخبر بمظهر المسمى وهنا تضمحل الحدود بين الاسم واللقب . ومن الممكن ان بعض هذه الاعلام كانت في الاصل القبا طفت على الاسم الحقيقي ، وتقلب على هذا النوع من الأسماء المأخوذة من لون البشرة أو الشعر أو العيون مثلا أبيض وأحمر والأسود وسودة اسم أنثى وزريق وورد الخ ...

وتدل اعلام أخرى على صفات جسمية أخرى مثلا أبجر وأحجن والأخنس وأشيم وجميل الخ . وكثير من الأسماء تعبر عن صفات ذهنية أو روحية أو اخلاقية ومعظمها تدل على تمنيات للأطفال مثلا بسام وتميم وتامة اسم أنثى وثابت وحكيم وخالد وخفاف وسعيد وسهل وسهلة اسم أنثى وعفان اسم إسلامي وعلي ومسرور ومفضل والخ .. وهناك بعض الأسماء تدل على صفات قاسية ومن المرجح ان الأطفال سموا بها لتخويف الأعداء مثلا العباس وأشرس وبغيض (في الجاهلية فقط) وصعب وصعبة وظالم . وأسماء النساء غير مشتقة من أسماء الرجال هي مثلا رائطة ونفيرة وبرة وفريدة وعاتكة .

عدد قليل من الأسماء تدل على اعمال مثلا الحارث وهو اسم قديم قد ظهر عند ملوك غسان واللخميين وقد شوهد في النقوش . وإلى جانبه حاطب والحجاج وسياد ومجالد ومجاهد ومحارب ومباقر الخ ... وقلما نجد في ذلك الوقت أسماء امكنة كالأسماء شخصية أو هذا النوع من الأسماء شائع عند الاسر الألمانية ، بل تعبر النسبة عادة عن المنشأ ووجدت بعض بطون في جنوب جزيرة العرب سميت باسم الناحية التي سكنت فيها مثلًا بولان أو حيوان وتوجد بعض أسماء من

وعدد الأسماء المأخوذة من أسماء الكواكب أو الاجسام الفلكية هو نسبيا صغير عند العرب - كما هو الحال عند شعوب أخرى - مع ان الكواكب لعبت دورا مهما في حياة البدو لانها كانت الوجه الجغرافي لهم في الليل . ولا نعرف اذا اشتقت أسماء كاسد أو حمل أو ثور أو سنبله من معناها كأسماء النجوم أو صور من منطقة البروج أو كأسماء الحيوانات أو النبات . ولكننا على يقين ان الأسماء بدر وهلال وعطارد عند الرجال وقميرة وثريا وجوزاء عند النساء تابعة لهذه الفصيلة .

وتوجد أسماء أخرى مأخوذة من الطبيعة ومنها بينها بحر وهو كما اعتقد يعطي صورة للكرامة ووسعة . وحندج وروح ورياح وجعفر وفرات وهي كما اعتقد صور الانتعاش وزراعة ومصاد ومطر ونهار ورملة وهالة عند النساء .

ونجد في مصادرنا اعلاما مأخوذة من اشياء مختلفة ويصعب علينا أحيانا البيان لماذا سمي طفل باسم من هذه الأسماء ولكننا نعرف ان هناك أسماء من هذا النوع موجودة عند شعوب أخرى أيضا . ويخبرنا المستشرق الالماني (Hess) ان هناك أسماء مشابهة ما زالت شائعة عند البدو في شمال جزيرة العرب في الثلث الاول من قرننا هذا وان بعض الوالدين لا يعرفون لماذا سمو اولادهم بهذه الأسماء وبينها أسماء مأخوذة من أسماء البسة مختلفة ومن الممكن انها تدل على الحماية مثلا بجاد وبرد ودثار وعباية ، وعند النساء الملاء وبعضها مأخوذة من اسلحة مثلا سنان سهم سيف عنزة أو مأخوذة من نقود كدينار ودرهم ، وقد وجد دينار في الجاهلية ويقلب هذان الاسمان في الاسلام على العبيد ودنانير جمع لدينار وهو اسم لجارية . ولا نجد في ذلك الوقت أسماء من أسماء الجواهر التي كانت شائعة للعبيد في القرون التي تلت مثل ياقوت أو جوهر أو لؤلؤ ولكننا نجد بعض أسماء اللآلئ كالأسماء بعض النساء مثلا درة وجمانة ، وتوجد بعض أسماء أخرى مأخوذة من اشياء مختلفة خاصة من حياة البدو مثلا جرير وجلس وحنتم .

وعدد صغير نسبيا من الأسماء مأخوذة من جسم الانسان ومعظمها على وزن فعيل أو فعيلة ، ومن المرجح ان أصل هذه التسمية لان صاحب الاسم كان يلفت الانظار ومن هذه الأسماء أنيف ورقبة وعلباء وعند النساء اديبة .



أمية . على كل حال وجدت هذه العادة عند شعوب أخرى واعني بذلك عادة تسمية الاطفال بأسماء بشعة او سيئة لحمايتهم من قوى رديئة . اضمحل هذا النوع من التسمية أيام العباسيين .

2 - كثرة الاسماء العربية في ذلك الوقت تعبر عن رغبات الأبوين لطفلهما كما هي للعادة عند شعوب كثيرة ونجد مثلا الرغبة في ان يبقى الطفل حيا مثلا في المشتقات من عمر مثل عمر وعمر ووعامر ومعمر الخ . والمشتقات من عيش مثلا عائشة وعائش وعياش ، ونجد الرغبة في ان تسير حياة الطفل مثلا في المشتقات من خلد مثل خالد وخلاد وخليد الخ . ونجد الرغبة في سلامة الطفل مثلا في المشتقات من سلم مثلا سالم وأسلم وسليم الخ . والتنميات لسعادة الطفل في المشتقات من سعد مثلا سعد وسعيد وأسعد وسعدى وسعاد ، ونجد بعض رغبات بالنسبة لخلق الطفل كما ذكرناه سابقا .

3 - ظروف الولادة تحدد أحيانا التسمية يقول ابن دريد : ومنها ( يعني ذلك مذاهب التسمية ) ان الرجل كان يخرج من منزله وامراته تمخص فيسمي ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب وثعلبة والخ . ويذكر ابن دريد حديثا يؤيد ذلك . ومثل هذه العادة لا تزال الى الآن عند البدو وسكان القرى في بعض نواحي البلدان العربية كما يقول بعض العلماء مثل Hess و Musil, Wetzstein و ابراهيم السامرائي . ونذكر على سبيل المثال ان Musil يحدثنا ان امرأة من بدو الرولة في شمال جزيرة العرب سمت ابنها مطرا لانها ولدته خلال مطر شديد وتسمرت امرأة أخرى عند الولادة فقالت للطفل اسمك عسير ، ويحدثنا ابراهيم السامرائي ان طفلا في قرية من قرى جنوب العراق سمي حربا لانه ولد خلال الحرب ، ويحدثنا Hess ان بنتا عند البدو في وسط جزيرة العرب سميت سدينا يعني سدينا بالبنت لان أمها ولدت قبل ولادتها عدة بنات . واغلب الظن ان عادة التسمية هذه كانت شائعة عند البدو منذ قرون عديدة . ومن المرجح ان البدو يرون فال الطفل في الاحوال التي رافقت الولادة . واننا نستطيع ان نجد معنى اغلب هذه الاسماء ولكن لا يمكننا ان نعثر اليوم على الاسباب التي كانت دافعة لهذه التسمية . ومن الممكن ان الاسماء مثل طارق ومصباح ومسهر تنتمي الى هذه الفئة .

4 - وتوجد اسباب أخرى لاختيار اسم من الاسماء لطفل لا يذكرها ابن دريد ومنها التسمية حسب

اسماء الجبال كأسماء شخصية مثلا ابان وقطن ومسطح وقلما نجد في الجاهلية اسماء غير عربية وسبب ذلك العزلة التي عاش سكان جزيرة العرب فيها ووجد عند بطون على حدود جزيرة العرب عدد صغير جدا من اسماء فارسية او سريانية ونجد أحيانا عند اليهود او النصارى بعض اسماء عبرانية أو آرامية او سريانية ولكنها لم تكن موجودة الا عند اليهود او النصارى وقد طرق المستشرق الالماني J. Horovitz هذه الاسماء في كتابه Koranische Untersuchungen ويعني ذلك دراسات قرآنية ، عند ما افتتح العرب باسم دينهم الجديد البلدان الحضارية المجاورة لهم قدموا لها بجانب دينهم لغتهم واسماءهم . فمن اسلم سمي باسم اسلامي عربي ، ونجد بعض الاسماء الفارسية او الاغريقية عند بعض العبيد فقط .

وهناك عدد من اسماء اصلها غير عربي مع ان شكلها عربي انتشرت أيام الاسلام في البلدان الاسلامية كلها وما زالت شائعة الى أيامنا هذه وهي الاسماء القرآنية مثلا ابراهيم وادريس واسحاق واسماعيل الخ . وقد درس J. Horovitz هذه الاسماء في كتابه الذي ذكرته سابقا .

### 3 - بواعث الوالدين لاختيار اسم من الاسماء لأطفالهم:

هناك بواعث مختلفة جدا يمكن ان تكون حاسمة لاختيار اسم من الاسماء . واذا اختار أبوان المانيان اليوم اسما لطفلهما فلا يفكران في معناه الا نادرا جدا لان معنى معظم الاسماء الالمانية ليست مفهومة بدون استعمال معجم للاسماء . والبواعث التي تدفع الابوين لاختيار الاسم بالدرجة الاولى هي الموضة او رنة الاسم او الاقتداء ببطل من ابطال الكتب او الافلام والاغاني الشعبية او التقاليد العائلية . ونستطيع ان نستنتج مما يقول ابن دريد في كتاب الاشتقاق عن عادات العرب ويعني بذلك البدو كما اعتقد ان تسمية الاطفال ترد الى وجهات نظر ثلاث وهي :

#### 1 - حماية الطفل من أعدائه في المستقبل

ومن هذه الاسماء حسب ما يقول ابن دريد مثلا غالب وظالم وعارم والتسمية بأسماء الحيوانات الوحشية وبالشجرات الخشنة او الشوكية او التسمية بالاحجار . من اكبر الظن انهم قصدوا بهذا النوع من الاسماء حماية الطفل من قوى سيئة متوهمة كالعفاريت او الجان ، من المرجح ان هذه ايضا الغاية من تسمية الرجال بأسماء النساء مثل هند واسماء او جويرية او

العلم العربي بشكله الخاص المتألف من الاسم والكنية والنسب والنسبة في الأحوال الاجتماعية في جزيرة العرب في الجاهلية التي اتصفت في الأغلب بالبدو والتي حددت خلالها حياة الفرد بالعائلة والبطن الذي يتبعه بولادته أو عن طريق الاندماج أو السواء أو بالأولاد الذين انجبهم في حياته . وإذا مثل شخص في ذلك الوقت من أنت فلم يكن يجب باسمه عادة بل بالبطن الذي يتبعه وذلك مميز لتقدير الفرد الذاتي في ذلك الوقت . عبر دراسة العلم العربي يمكننا ان تلقى نظرة فاحصة الى الأحوال الاجتماعية في جزيرة العرب والى عقلية العرب في ذلك الوقت . ويظهر عدد كبير من الاسماء تطالع الانسان لاستقرار في عالم يبدو معاديا له ضمن اصعب الظروف المعيشية ولم تكن لاغلب الاسماء مهمة التسمية فقط بل كانت لها مهمة حماية المسمى نفسه من اعدائه خلال التحديات الكثيرة بين البطون ، ومن المرجح ان كان لها ايضا مهمة حماية الانسان من الجان أو العفاريت . وينتسب كثير من الاسماء العربية الى غزواتهم وتجوالمهم . وهناك أسماء قليلة فقط تعبر عن افعال مستمرة . اما التضامن بين افراد العائلة الذي لا استثناء عنه للحياة في الصحراء فرمزت اليه الاسماء بشدة . وهناك أسماء تحتوي على تمنيات للأطفال وهي تعبر عن المثل الاعلى للبدو من قوة وشجاعة وخفة وذكاء وثبات وعزم ومرح وكرم الخ .

وتبدو الطبيعة المجاورة لهم من الحيوانات والنبات والاحجار وقلما الكواكب بل اشياء مختلفة في الحياة اليومية مثلا اسلحة والبسة من الاهمية بمكان لتسمية اطفالهم باسمائها . وعدد الاسماء الدينية التي وصلتنا من الجاهلية قليل نسبيا . ومن المشكوك فيه ان الاسماء العديدة المأخوذة من أسماء الحيوانات تدل على الطوطمية (Totemisme) على كل حال في القرن الاخير للجاهلية . ويناقض ذلك اننا نجد أسماء حيوانية مختلفة في عائلة واحدة سواء في نفس الجيل أو في اجيال متتابعة . ولم توافق الطوطمية للفرد الأحوال الاجتماعية في جزيرة العرب قبل الاسلام .

لم يؤثر الاسلام تأثيرا مهما في تسمية البدو ولكننا نلاحظ بوضوح اتجاهات جديدة للتسمية في المجتمع المتحضر في صدر الاسلام ، فقد استنكر الناس بعد ان اصبحوا مسلمين الاسماء الدينية المنسوبة الى الاوثان وايضا الاسماء البشعة المعنى . ويحدثنا الادب الاسلامي ان محمدا غير أسماء بعض اصحابه وبعض البطون مثلاله سمي عبد الكعبة بن سمرة وعبد عمرو بن

مظهر الطفل مثلا عبيدة أو ابجر أو اشيم الخ . وهو من الممكن ان يسمى طفل باسم من تلك الاسماء بعد ولادته بوقت طويل مثلا عريج أو تحوير ويمكننا التصور ان التسمية باسم من أسماء الحيوانات أو بأسماء الاشياء متعلقة بمظهر الطفل ، ويحدثنا مثلا Hess عن البدو في وسط جزيرة العرب في بداية هذا القرن ان ولدا سمي جريدي يعني جريد لانه عندما كان صغيرا واحمر ومثل جريد ولقى ولدا اسمه دبسان من دبسا يعني هراوة لان رأسه يشابه الهراوة .

5 - وسبب خامس لاختيار اسم عند العرب هو الرغبة في اظهار تضامن العائلة ونستطيع ان نستنتج من مصادرها ان العرب فضلوا أسماء متشابهة في المعنى أو في الصوت لاطفالهم أو اختاروا مشتقات مختلفة من اصل واحد لاعضاء العائلة كما احبوا ولا يزالون يحبون المترادفات والمجانسات . مثلا سميا اسعد وسعد ابنا زرارة كما يبدو هكذا لان امها كان لها الاسم سعد ، وكان لمعاوية بن كلاب خمسة أبناء اسمهم حسل وحسيل وضب وضباب ومضب وكل هذه الاسماء من أسماء الحرذون .

6 - وفي وسع الانسان ان يطلق على طفله اسم رجل عظيم حتى يكون هذا الرجل مثلا أعلى للطفل أو ان يسمى طفله باسم الجد أو الخال أو العم حتى يحبي الاسم من جديد . ونجد امثلة لهذا النوع من التسمية في الانساب مثلا في الطبقات لابن سعد أو في الجهمرة لهشام ابن الكلبي مرات عديدة وفي اوائل شجرات الانساب ولكنه من المشكوك فيه ان كل هذه الامثلة واقعية واذا كان النسب ناقصا فقد كان من الطبيعي ان يكمل باسم من الاسماء الواردة فيه . وقد سارت التسمية حسب التقادات عادة عند المجتمع المتحضر في صدر الاسلام . ونلاحظ هنا ايضا الميل للتعبير عن التضامن العائلي . وسمى مثلا طلحة بن عبيد الله جميع ابنائه بأسماء الانبياء ، وسمى الزبير بن العوام ابنائه بأسماء الشهداء كما فعل عبد الله بن عمر بن الخطاب . ونلاحظ تأثير القدوة التاريخية ومنه مثلا ان رجلا اسمه محمد سمي ابنه القاسم أو ان رجلا اسمه عمر سمي ابنه حفص . ونلاحظ تأثير الاسر الحاكمة من رواية من كتاب الاغانسي ان عبد الله بن جعفر سمي ابنه حسب رغبة معاوية بن ابي سفيان معاوية وان معاوية بن عبد الله بن جعفر هذا كان وثيق الصلة بيزيد بن معاوية سمي ابنه يزيد .

4 - كيف تنطبع الاعلام العربية بطابع الأحوال الاجتماعية في الجاهلية وفي صدر الاسلام . ينطلق



الاصم عبد الرحمن وسمى رجلا اسمه بفيض حبيباً ورجلا آخر اسمه عاصي سماه مطيماً وسمى رجلاً اسمه غراب مسلماً وسمى بني خالفة بني رشدان الخ. وتخبرنا هذه الاحاديث بتغير عقلية الامة الاسلامية في صدر الاسلام ، واستنكر الناس بعض أسماء اخرى يرون فيها صفات الله وعفوا عن تسمية اولادهم بها مثل الطيب والعزيز وكريم والجبار . ونلاحظ بوضوح الميل الى تسمية الاولاد حسب قدوات صالحة . وبحسب الناس في حياة النبي واصحابه وقاسوا حياتهم عليها واختاروا الاسماء لاولادهم وفقاً لذلك . ففضلوا عند التسمية اسمى النبي محمد واحمد واسماء افراد هائلته ومن زوجاته خديجة وعائشة وبناته فاطمة وزينب وام كلثوم وزوج ابنته علي وابن عمه جعفر وعمه حمزة وحفيديه الحسن والحسين كما اختار السنيون منهم اسماء الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان . واصبحت الاسماء الدينية الاسلامية خصوصاً الاسمين للذين فضلها محمد عند التسمية كما تحدثنا الاحاديث وهما عبد الله وعبد الرحمان شائعين جداً . وكذلك الحال في اسماء الانبياء الواردة في القرآن . وبرزت اسماء اسلامية خاصة اخرى مثلاً المشتقات من رشد او اسماء كعون وتوبة وطاهر ومسكين والمبارك والحجاج .

بينما لا زال البدو يختارون الاسماء لاولادهم من كلمات اللغة ووجد للمجتمع الحضاري زمرة ثابتة من الاعلام التي اختار الابوان الاسم لطفلهم منها .

وانتشرت هذه الاسماء بانتشار الاسلام ولفته العربية في كافة البلدان المفتوحة عن طريق العرب .

اما الاختلافات الاجتماعية في تسمية العرب فيمصر عنها قول العرب الذي يذكره ابن دريد ويذكره (Hess)

عن البدو وفي قرننا هذا وهو اننا نسمي لبنائنا لاعدائنا ونسمي عبيدنا لنا . ولذلك سمي العبيد بأسماء جميلة حسنة الفال ومنها اطلع ومطلع ويسار ونجاح ونجيب ورباح ونافع ورجاء وجميل ورشيق ومؤنس ، وللعبدات مثلاً قلم وعرفان وتحفة وجمال .

ويمبر معظم هذه الاسماء عن بعض الامثال العليا للمجتمع الحضاري في صدر الاسلام الذي طمّح الى الرفاهية . ويبدو بأن بعض العبيد سموا حسب مظهرهم . فمثلاً سمي عبد رومي ازرق وسمى عبد اغريقي صهيب وقلما بقيت لهم اسمائهم العجيبة .

اما الموالي الذين ازدهروا المسلمون العرب خصوصاً وقت الامويين فطمحوا كما يبدو الى ان يحتذوا في التسمية الفئة العليا وهي العرب .

وفضلوا غالباً كما يبدو الاسماء الاسلامية الخاصة، ووصل هذا الطموح عند بعضهم وبشكل خاص الذين استطاعوا الوصول الى مركز سياسي الى ايجاد نسب عربي كامل لهم فضلاً عن اسم عربي لابيهم .

ومن الصعب علينا ان نلاحظ في ذلك الوقت اختلافات جغرافية في تسمية العرب ويبدو كأن التسمية في جزيرة العرب كانت في ذلك الوقت نسباً موحدة مع انه يبدو وكان بعض الاسماء الحميرية صارت شائعة في العراق .

واننا نجد في البلدان العربية اليوم كثيراً من الاسماء الشائعة في صدر الاسلام وفي الجاهلية ، بعضها لا تزال مألوفة الى الآن والاخرى يسمي الناس اولادهم بها تذكراً لفصل رائع من فصول تاريخ العرب.

Dr WIEBKE  
HALLE (SAALE) D.D.R. فييك فالتتر

# اللغة العربية .. والبحوث الاقتصادية

الدكتور ابراهيم دسوقي أباطة

« الرباط »

اما في بلاد الضاد فلم يحظ هذا التطور بعناية تذكر ، اذ ظل الاقتصاديون العرب على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية .. او مكتفين بترديد المصطلحات الاجنبية كما وردت في لغاتها الاصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية .

وقد ترتب على هذا الوضع صعاب عديدة اعترضت طريق الباحث العربي في ميادين الاقتصاد ولعل أهم هذه الصعاب تتلخص فيما يلي :

1 - تعدد المصطلحات العربية التي تستعمل للدلالة على المعنى الواحد . ومرد ذلك الى غيبة المصطلحات العربية الموحدة مما يستتبع تعدد الاجتهادات الشخصية في البحث عن المصطلحات التي تؤدي المعنى المطلوب .

من ذلك مثلاً اصطلاح Structure الذي يرادفه البعض في العربية باصطلاح « بنية » ويرادفه آخرون باصطلاح « هيكل » . وكذلك اصطلاح L'utilité marginale الذي يرادفه البعض باصطلاح « المنفعة الحدية » ويرادفه آخرون باصطلاح « المنفعة الهامشية » .

ولا يخفى ما يؤدي اليه هذا الوضع من اضطراب ولبلة تعود على البحث الاقتصادي بأفدح الاضرار .

لعل من اخطر المشاكل التي تعترض الباحث العربي في ميادين العلوم الاقتصادية هي مشكلة القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية .

ذلك ان علم الاقتصاد يعتبر من أسرع علوم العصر تطوراً وأكثرها استخداماً لمصطلحات فنية متزايدة نقلت في معظمها عن العلوم الأخرى كعلم الأحياء ... وعلم الكهرباء ... وعلم الميكانيك .

وهذا التطور السريع الذي ينفرد به علم الاقتصاد دون غيره من العلوم الانسانية يعود الى التقدم التقني الكبير الذي بدا في مطلع القرن العشرين وما اقترن به من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة . فقد أدت هذه العوامل مجتمعة الى أن تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الأول في سلم المشاكل التي تعالجها المجتمعات البشرية وتمعدت الظواهر الاقتصادية وتشعبت في مجالات الانتاج والنقود والبنوك ... الخ . بينما برزت قضايا التخلف والتنمية لتأخذ مكان الصدارة من قضايا العصر .

وقد سابر الفقه الاقتصادي الغربي هذا التطور فنشطت حركة الابتكار والتخصيص والاستعمارة بالنسبة للمصطلحات الفنية . كما تم توحيد العمل بها بين ابناء اللغة الواحدة بل طغى اتجاه التوحيد على الناطقين بلغات مختلفة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاديين الفرنسيين واقرانهم الانجلوسكسون .

2 - عدم دقة بعض المصطلحات العربية التي يكثر تداولها من ذلك مثلا اصطلاح L'amortissement الذي يستخدم في علم الاقتصاد للدلالة على الهبوط التدريجي في قيمة رأس المال خلال مدة معينة بسبب الاستعمال اذ يرادف البعض هذا المصطلح بكلمة « الاستهلاكات » وفي هذه المرادفة خطر كبير اذ يمكن ان تختلط باصطلاح La consommation الذي يقابله بالعربية اصطلاح « الاستهلاك » .

وقد دفعت هذه الصعوبة نفرا من الاقتصاديين العرب الى اعمال الاجتهاد فاستعملوا اصطلاح « الاندثار » للدلالة على هذه الظاهرة ، بينما آثر آخرون استعمال عبارة « استهلاكات رأس المال » .

وهكذا يتعرض الباحث العربي الى السقوط بالخطأ في الفهم بسبب الخلط بين المصطلحات العربية المتشابهة او بسبب عدم وضوحها .

3 - المصطلحات الاقتصادية التي لا يقابلها مرادف بالعربية قد يضطر الخبراء الاقتصاديون الى ذكرها بلفتها الأصلية او كتابتها بالحروف العربية من ذلك المصطلحان الآتيان : Ex-ante و Ex-poste اللذان جرى العمل على استخدامهما في الدلالة على « السابق » و « اللاحق » في مؤلفات الاقتصاديين السويديين وقد درج الاقتصاديون العرب على كتابتهما باللغة اللاتينية .

وكذلك مصطلح Dynamisme ومشتقاته فقد عمد عدد من الاقتصاديين الى نقله بأكمله وكتابته بالحروف العربية .

وطبيعي أن في هذه الاتجاهات ما يضعف القدرة على التعبير الاقتصادي الدقيق .

4 - استعمال مصطلح عربي واحد للدلالة على معان اقتصادية جد مختلفة . من ذلك مثلا اصطلاحا Régime و Système اللذان يرادفهما بالعربية دون ما تمييز اصطلاح « نظام » مع أن لكل منهما معنى مختلفا في الفقه الاقتصادي والاجتماعي ، فاصطلاح Système يستخدم للدلالة على « النظام » بمعناه النظري أي الذي ورد في النظرية بينما يستخدم اصطلاح Régime للدلالة على « النظام » بمعناه العملي أي المطبق فعلا في العمل .

ويؤدي عدم التمييز بين معنيين مختلفين على هذا النحو الى صعوبة الاستيعاب والتعبير بالاضافة الى تعريض الباحث الى السقوط في التعميمات البعيدة عن الدقة العلمية .

— x —

تلك بعض نماذج من القصور اللغوي الذي تعانیه العلوم الاقتصادية . ولعل المتفحص لواقعنا المتطلع الى مستقبلنا لا يخامرہ شك في أهمية المعارف الاقتصادية لبناء أمتنا . واللغة أداة رئيسية في بسط هذه المعارف واستيعابها ، اذ عن طريقها تتحد المناهج وتقارب المفاهيم . . وعن طريقها تكتمل الوحدة الثقافية والفكرية للأمة .

واذا كنا نحاول اليوم بعث نهضتنا الحضارية فيجب أن نضع في الحسبان أن النهضة الحضارية والنهضة الثقافية متلازمان ، فلا يمكن تصور نهضة حضارية بغير نهضة لغوية تمهد لها وترسيها على دعائم ثابتة .

# رسم نموذجي لخط الرقعة لمشروع إصلاح الطباعة العربية للاستاذ أحمد الأفضر غزال

## خط التنج

بسم الله الرحمن الرحيم

يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل الثام خمسة وسبعين وأربعين حرف من الحروف المنحرفة (أي التي حُرِّزَت لبتراكب وتداخل)، وما يزيد على ثمانية حرف من الحروف الغير المنحرفة. أما بهذه الحروف الجديدة للاستاذ أحمد الأفضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات اللينوتيب والانتريتيب وآلات الرقانة باستثناء آلة اللينوتيب التي تحتوي مئسماً على 250 مفتاحاً ولاكتها على ثمان)، وذلك بالشكل الثام، إذا اقتضت الحاجة ذلك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام، إلا أن علامات الوقف توضع في المفسر الإضافي.

## خط الرقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل الثام خمسة وسبعين وأربعين حرف من الحروف المنحرفة (أي التي حُرِّزَت لبتراكب وتداخل)، وما يزيد على ثمانية حرف من الحروف الغير المنحرفة. أما بهذه الحروف الجديدة للاستاذ أحمد الأفضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية (أي آلات اللينوتيب والانتريتيب وآلات الرقانة باستثناء آلة اللينوتيب التي تحتوي مئسماً على 250 مفتاحاً ولاكتها على ثمان)، وذلك بالشكل الثام، إذا اقتضت الحاجة ذلك، من ضوابط إملائية وحركات وأرقام، إلا أن علامات الوقف توضع في المفسر الإضافي.

## الخط الكوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

يتطلب الطبع بالحروف العربية بالشكل الثام خمسة وسبعين وأربعين حرف من الحروف المنحرفة (أي التي حُرِّزَت لبتراكب وتداخل)، وما يزيد على ثمانية حرف من الحروف الغير المنحرفة. أما بهذه الحروف الجديدة للاستاذ أحمد الأفضر غزال وتخطيط محمد أمزال، والتي تبنتها الحكومة المغربية، فليس يحتاج الطبع إلا إلى تسعين حرفاً كما هي الحال في الطباعة المعيارية الغالمية، وذلك بالشكل الثام، إذا دعت إليه الحاجة.

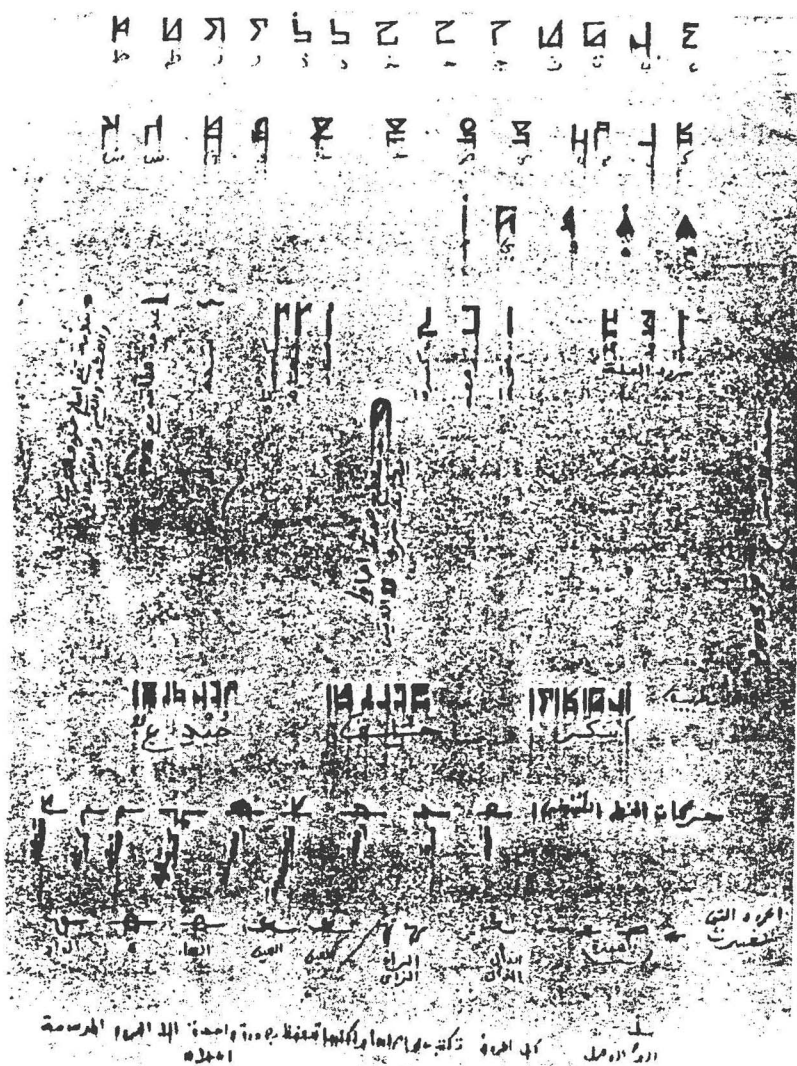
# حُرُوف عَرَبِيَّة جَدِيدَة

الأستاذ مصطفى النعمان  
(المغرب الأقصى)

سهلة تشغل مساحة هندسية ملائمة واستغنى عن السكون ...

وهذا الابتكار الجديد يضاف الى عشرات امثاله  
 قدمت منذ نحو خمسين سنة والجامعة العربية جادة  
 الآن في دراستها جميعا للاتفاق على حل نهائي .

نشر فيما يلي صورة لحروف عربية جديدة ابتكرها الاستاذ مصطفى النعمان وهو مدرس للغة العربية في الدار البيضاء ( المغرب ) وهو يرى أن فيها تسهلا كثيرا اذ اختصر فيها الحركات وأدخلها في ضمن الكلمة وحمل الحروف مركبة من خطوط



## الأستاذ يحيى بلعباس «الرباط»

### الحروف الجديدة

ستتصف بالميزات المذكورة اعلاه وتجرد من النقط التي يربو عددها على سبع عشرة نقطة . وتعوض برموز صغيرة وانيقة تتناسب مع اجزاء الحروف الاخرى بحيث يصبح كل حرف قابلا لمحورين احدهما عمودي والثاني افقي يمدان من مركزه .

هذا من جهة ومن جهة اخرى توجد مشكلة تحتم معالجتها الا وهي تشابه صور بعض الحروف في الرسم وتباينها في اصواتها ومخارجها . ليس من المنطق ان تكون الحروف المتباينة في اصواتها متباينة في اشكالها ؟ ايعقل ان تكون الحروف المتباينة في اصواتها المتشابهة في رموزها اسرع رسوخا في الذهن من الحروف المتباينة في اصواتها المتشابهة في رموزها ؟

### الحركات

لن نرسم الحركات فوق الحرف او تحته لما يحدث عن ذلك من تعسف ومضايقة بين الاسطر . ليس بديهيا ان ما يلخز افقيا يضيع عموديا ؟ فما عسى ان تكون الطريقة التي ترمز بها الى الحركات الثلاث ؟ هل ستحتفظ بنص تعريفها ؟

- ( 1 ) الفتحة الف مميّلة .
- ( 2 ) الضمة واو صغيرة .
- ( 3 ) الكسرة ياء مبتورة .

لا :

من الاليق والاجدر ان نرسم الحركات ازاء الحروف ، فنرمز الى الفتحة بالـ ف صغيرة والى الضمة بـ او عمرو والى الكسرة بالـ ياء بصورتها الكاملة .

وهذا ما حاولت الوصول اليه خلال عمل طويل بذلت فيه جهدا كبيرا لمدة طويلة ، حتى توصلت الى الصور المنشورة مع هذا المقال . وانا اعرضها على القراء لمناقشتها واشكر جزيل الشكر المكتب الدائم لتنسيق التعريب الذي اتاح لحروفي ان تنشر على صفحات مجلته الراقية ، وانتظر الرد والمناقشات

الكتابة هي اداة حضارتنا بواسطتها تقيّد افكارنا ونرسمها كما نستطيع ربط الاتصال بيننا وبين تاريخنا عبر الزمان والمكان ، قال الرومان في هذا الصدد : الكلام يزول والكتابة تبقى ، وقال العرب : الكلام ريح والكتابة قيده . انها ذاكرة الانسانية جمعاء ، انها خزينة ثروات اجدادنا ..

ولا يتسم هذا العنصر بتلك الميزات فقط بل هو عامل مهم من عوامل تقدمنا ورقينا يتحتم علينا ان نوليّه كل عنايتنا واهتمامنا ، فالكتابة الرومانية ما فتئت تتطور بينما الكتابة العربية لم تحرز الا على تقدم ضئيل تجمد في شكل عقيم الى حد انها اصبحت تعتبر كتابة معتقة قاصرة عن الاداء كما اكد ذلك ائمة الاداب العربية واقطاب المستشرقين .

لقد جاء في فقه اللغة لبلاشير ما يلي :

لا ترسم في الكلمة العربية الا الحروف وحروف المد دون الحركات والرموز التي تشير الى التضعيف ، والهمزة ، والمدة ، والسكون .

ينتج عن هذا الوضع :

- ( 1 ) استعصاء في القراءة والفهم
- ( 2 ) استعصاء في تقييد الصوت وتصحيح اخطاء اللهجة .
- ( 3 ) صعوبة تحديد دور الكلمة في الجملة

### الاصلاح

يبدأ الاصلاح قبل كل شيء بايجاد بناء خاص بالمطبعة بما فيه الحروف الكبيرة والصغيرة .

الا يلحظ ان الكتابة العربية تكاد تكون الوحيدة من نوعها التي لا تتوفر على حروف مستقلة . سريعة الترصيف ، انيقة المظهر ، متوحدة الحجم ؟ الا يلحظ ان رموزها متباينة الحجم ، متعددة الصور ، كبيرة الذيل .

1  
2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12

ר  
ה  
פ  
א  
מ  
כ  
ד  
ו  
ש  
ש

0  
U  
W  
9  
5  
J  
I  
L  
9  
8  
v  
“

5 1

**三谷大五郎**

[illegible]

## الحروف الصغيرة

## الحروف الكبيرة

9

10

[illegible]

1451219



# الوحدة القومية من خلال اللغة والفن

دكتور عفيف بهنسي (ج.ع.س.)

الأم التي انتشرت فيها اللغة العربية بعد الإسلام ،  
فلقد اندمجت هذه الأم بالفكر العربي ، وبالقومية  
العربية اندماجا كاملا أو جزئيا ، بحسب انتشار اللغة  
العربية ذاتها .

وإذا كان اللفظ صيغة لحدس تبلور في كلمة ذات  
اشتقاقات حسب الجنس والوظيفة والمعدد ، فإن  
الكتابة صيغة مطابقة لما تنقله حاسة النظر وهو الرسم  
أولا ، ثم هي الهيروغليف وأخيرا هي مجموعة الحروف  
المحورة عن الرسوم أو المتطورة عن أصل بدائي .  
وسواء أكانت الكتابة رسما أو كانت رمزا بدائيا ، فإنها  
أيضا تصدر عن الحدس الأولى لأشكال الأشياء والأفكار  
بحسب تصورها ، ولكن هذا سيقودنا إلى القول ، أن  
منشأ اللغة والفن واحد ، أي أن اللغة هي فن وأن الفن  
هو لغة .

## بين اللغة العربية والفن العربي

يرى كروتشه (1) أن فلسفة اللغة وفلسفة الفن  
واحدة ذلك لأن كلا من الفن واللغة موضوعه التعبير ،  
والتعبير الإنساني واحد وإن اختلفت وسائله . فجميعنا  
شعراء ما دام الفن حدسا ، والحدس تعبيرا والتعبير  
لغة ، واللغة بمعناها الواسع شعرا . فالشعر هو اللغة  
الأصلية للجنس البشري . والواقع أن كلمة الشعر

لا شك أن الفكرة ميزة الوجود الإنساني ، بل هو  
شرط هذا الوجود كما يقول ديكرت . ولكن هذا الفكر  
لا يتحقق إلا عن طريق التعبير ، بواسطة رموز ، وأسهل  
هذه الرموز وأقربها إلى سيطرة الفكر هو اللفظ . وقد  
يكون هذا اللفظ حدسيا في نشأته مرتبطا بالطبيعة  
والإنسان ارتباطا عضويا ، وقد يكون توليديا أو تركيبيا  
مأخوذا عن مقياس أو وفقا لقاعدة . وجميع اللغات  
تتكون عن السببين معا . وقد يكون سبب غالبا على  
سبب ، كما هو الأمر في اللغة العربية التي تبدو حدسية  
مرتبطة بالمعنى ارتباطا عضويا .

هذا الارتباط العضوي بين اللغة العربية وبين  
الإنسان العربي يفسر جانبا هاما من مفهوم القومية  
العربية . فإذا كانت اللغة تعبر عن الحدوس الأولى  
أزاء الوجود الإنساني والعالم الطبيعي ، فإن انتقال هذه  
اللغة يعني انتقال هذه الحدوس والأحاسيس الأولية .  
ومن هنا كان انتشار اللغة العربية انتشارا للقومية  
العربية ذاتها ، أي أن اللغة العربية هي العنصر الأساسي  
للقومية العربية ، واشتراك مجموعة من الشعوب بلغة  
واحدة كاللغة العربية ، هو اشتراك قومي ، يقوم على  
وحدة الحدوس الأولى أزاء مفهوم الإنسان والطبيعة ،  
وبمعنى آخر ، يقوم على الوحدة العضوية بين اللغة  
المشتركة وبين فكر موحد ، تقوم اللغة بدورها بتحديد  
إطاره القومي والإنساني . وإننا لنرى ذلك واضحا لدى

(1) كروتشه - علم الجمال . ترجمة نزيه الحكيم .

## وحدة اللغة العربية عبر الزمان

بقى ان نتساءل هل وحدة اللغة العربية والفن العربي وهي المعبرة عن وحدة الشخصية العربية صحيحة عبر التاريخ ؟ وما هي عوامل تفكيك هذه الوحدة ؟

ما زالت اللغة العربية اقوى مظاهر السمات العربية واقوى رابط يربط المحيط بالخليج ويوحّد افكار العرب وآمالهم ونضالهم ، وهي متينة غنية ذات تراث عريق لا ينضب . وعلى الرغم من محاولات التثريك في العهد العثماني ، وعلى الرغم من الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الارض العربية في عهود الاندباب والاستعمار ، ومحاولة فرنسة الفكر واللسان في المغرب العربي ، ورغم التخلف الفكري والاجتماعي الذي اصاب الامة العربية ، نرى ان اللغة العربية بقيت صامدة يدعمها القرآن الكريم ، والتراث الادبي العربي وجهود المجامع ودور المجلات والمدارس العربية والحركات القومية التي اعطت اللغة اهمية اولى ليقظة الوجود العربي . وهكذا نرى اللغة العربية اليوم تعيش في ظروف مواتية وقد ابلت من اكثر امراضها التي توارثتها عبر تقلبات التاريخ . وانها في طريقها الآن للقضاء على اللهجات المحلية الركيكة ، وان ارتفاع مستوى الثقافة وانتشار وسائل الاعلام كالمذياع والتلفاز ، سيكون له اثر كبير في تصفية اللهجات العامية التي تخزن الفكر العامي البدائي وتؤثر بذلك على حركة التقدم الحضاري والقومي .

## وحدة الفن العربي

اما وحدة الفن العربي ، فانها ماثلة باعتراف جميع المؤرخين ، وهي وحدة داخلية تكمن في شخصية الفن العربي ، ووحدة جغرافية . ونحن نستطيع ان نتميز هذه الوحدة الداخلية في اتي عمل فني سواء اكان اناء او سيفاً او رداء مطرزا او فسقية او مئذنة ، ولنسمع مايقوله جورج مارسيه عن هذه الوحدة (2) .

« لتتخيل تجربة : لديك ساعة فراغ ، ولتزرع الوقت او لمجرد التسلي باستعراض صور جميلة امام عينيك ، تقوم بتصفح مجموعة صور لآثار ترجع الى

بحسب اصلها اليوناني تعني الابداع بصورة عامة ، وان جميع الفنون من عمارة وتصوير ونحت وموسيقى هي شعر كما يرى هيدغر(1)، الذي يضيف قائلا: « ان الشعر لغة ، لانهما كلاهما يسميان الى التجلي والانتشار او الى العلانية ولان اللغة هي المظهر الاسهل لخروج الانسان الى عالم العلانية ورفضه لكل امتزاج بالوجود المختلط المختفي . فان الفن بهذا المعنى ، هو صورة من صور اللغة » . فالمعاني هي الاساس وهي تخرج الى عالم العلانية عن طريق الرمز اللفظي او التصويري ، عن طريق اللغة او الفن . وبمعنى آخر ان افكارنا ومعاني الاشياء لا تتجلى فقط عن طريق اللغة ، بل عن طريق اخرى اهمها الفن ، لان ثمة اشياء وافكارا لا يمكن التعبير عنها باللغة بل عن طريق الفن ، فاللوحة او اللحن لا يتغلان اليها الشكل التقني وحسب ، بل الدلالات المشخصة او المجردة لانكار واشياء مشخصة او مجردة .

ومما لا شك فيه ان اللغة تعبر عن اكثر الاشياء تشخيصا وتحديدا ، اما الفن فانه يعبر عن اكثر الاشياء تعميما واطلاقا ، ولهذا فان اللغة تبقى مستقلة عن مضمونها . اما الفن فانه يمتزج بمضمونه . اي ان الفن قد يكون اكثر وضوحا في نقل الشخصية القومية لان اللغة تبقى قاصرة عن التعبير الدقيق عن الفكر والوجدان القومي . اما الفن فانه قادر ان يشخص مباشرة هذا الفكر وهذا الوجدان عن طريق رموزه التي تقرأ بواسطة الفكر والوجدان .

هذه الصفة التاريخية والحضارية للغة والفن تجعلهما ابرز العناصر المقيمة للوجود القومي . فاذا تساؤلنا عن ابعاد القومية العربية ، فان الفن واللغة سيشاران بدقة في تحديد هذه الابعاد . فحيثما انتشرت اللغة العربية وحيثما انتشر الفن العربي واصبح تقليدا وارثا ، تمتد القومية العربية .

ودلائل اللغة والفن في تحديد السمة القومية ، اقوى واثبت من الدلائل السياسية . فالوحدة اللغوية والفنية هي طابع قومي ثابت فسي وجدان الامة وشخصيتها ، ولا يمكن للتغييرات السياسية ان تؤثر على هذه الوحدة . بل ان هذه الوحدة هي الاساس الذي تقوم عليه الوحدات السياسية .

(1) Heidegger : « Chemins qui mènent nulle part », Gallimard, 1962.

(2) جورج مارسيه : الفن الاسلامي - ترجمه د. عفيف بهنسي - دمشق 1968 - المقدمة

مختلف الفنون . وتتألى التماثيل الاغريقية بمد اللوحات الجدارية المثونة على المقابر المصرية والستر المطروزة اليابانية بعد النقوش النافرة فى المعابد الهندوسية .

وفىما انت تقلب هذه الاوراق يقع بصرك بصورة متتابعة على لوحة جصية منحوتة فى احدى قاعات الحمراء . ثم على صفحة من قرآن كريم مزين من مصر ، وتقع عينك اخيرا على زخرفة منقوشة على فسقية نحاسية فارسية ، وحتى لو لم يكن بمقدورك بعد ذلك ان تقرر البلد الذى ابدع فيه كل من هذه الاعمال ، فانك لا تميل ولو لبرهة . وجيزة الى نسبة اى منها الى فن غريب عن البلاد الاسلامية » .

اما الوحدة الجغرافية فهى تتمثل فى وحدة الطراز على اختلاف الاقاليم والمناطق ، وعلى اختلاف السلطة الحكومية . ولكن هذا لم يمنع من ظهور فروق ابداعية ضمن نطاق هذه الوحدة تجعل الفن الاموي فى سورية وفى الاندلس مختلفا عن الفن الفاطمي فى مصر او العباسي فى بغداد . ان هذه الفروق دليل حيوية وتطور الفن العربى تطورا ابداعيا منسجما مع الظروف العقائدية والجغرافية التى ينشأ فيها ، ولكنه يلقى محافظا على وحدته الداخلية والقومية .

### عوامل تفكك وحدة اللغة والفن

نعوذ بعد الاطمئنان على وحدة اللغة والفن العربيين الى الاجابة عن الشق الثانى من السؤال وهو

ما هى عوامل تفكك هذه الوحدة ، اى وحدة اللغة العربية والفن العربى ؟

امام جميع الجهود القومية التى تبذل لتحقيق وحدة سياسية تقوم على الايمان بوحدة الوجود العربى تظهر نزعات شعبية او انفصالية او امية ، تنادى باسم الاصلاح او الثورة ، بتسليم مفاتيح اللغة والفن لاول ظافر فى معركة الابداع ، او لاقوى لغة تفرض نفسها فى عالم المبادلات العقائدية والثقافية ، او لاسهل لهجة تفيد فى تقوية الاستقلال الاقليمى ولقد تجرت بعض الدعوات الى تفضيل العامية على الفصحى او تفضيل الحرف اللاتينى على العربى ، او الى استيراد الاساليب الفنية الحديثة .

ان جميع العوامل التى تؤدى الى اضعاف وحدة اللغة والفن او القضاء عليها ، هى دعوة الى تصفية شكل البنية العضوية للقومية العربية . والبديل الصحيح لهذه الدعوات هو تعزيز اللغة العربية واستصدار المعاجم الدقيقة لمختلف النشاطات الفكرية الحديثة ، وتوحيد المصطلحات المستحدثة ، وتسهيل الكتابة المطبعية وتعميم دراسة الخط العربى الجميل . واعادة النظر فى اسرار الفن العربى والعمل على تطويره ضمن نطاق وحدة شخصية واصالتها . ان هذه الاعمال هى من صلب العمل الوجداني الذى يسمى لتحقيق اهداف راسخة ، فاية وحدة سياسية لا تقوم الا على وحدة فكرية وتعبيرية متينة .

هـ

## إِسْهَامُ فِي الْفَنِّ الْعَرَبِيِّ

# الْفَنُّ الْمَغْرِبِيُّ تَعْبِيرٌ رَائِعٌ عَنْ مَدَارِكِ الْأَجْيَالِ

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

سبق للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله أن نشر دراسة ضافية باللغة الفرنسية عن الفن المغربي منذ عشر سنوات (1961) تحت إشراف جامعة محمد الخامس بالرباط. وتقديم رئيسها آنذاك فضيلة الأستاذ الكبير محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالثقافة والتعليم الأصلي سابقا ومما جاء في هذا التقديم : «ما أكثر المصنفات حول الفنون في البلاد الإسلامية وخاصة في المغرب ، ولكن توجد من بينها دراسات قيمة سواء من حيث التقنية أم التطور التاريخي إلا أن معظم هاته المؤلفات ليست في متناول الجمهور لأنها تظل مغمورة في بيئة الاختصاصيين .

فكتاب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الذي نقدمه اليوم يسد أذن هذا الفراغ ، والأستاذ بن عبد الله لا يزعم لكتابه القيم مقام المصنفات الكلاسيكية الكبرى مثل ما أنتجته قرائح الاساتذة مارسي وريكار ، وطيراس . ومع ذلك فإن كتاب آفـنـ المغربي يقدم مساهمة هامة في دراسة الفن القومي منذ أصوله .

أن منطقية المدارك ، وكذلك مدى ودقة المستندات تجعل من هذا الكتاب في آن واحد موجزا مركزا وكتابا للامتع والمؤانسة .

فالباحث المحنك يستمد من خلال آلاف الجزئيات الفميسة والبدائي يلمس في ثناياه أروع أداة للتوجيه واتكوين ، في حين يجد فيه كل القراء على اختلاف اتجاهاتهم ومستوياتهم ديوانا حافلا بالايحاءات والتصويرات الكفيلة بفتح آفاق جديدة انطلاقا من الاحداث التاريخية المحصنة .

فهاكم مثلا نظرة متبصرة دراجة للفن البربري ، فقد استخلص السيد عبد العزيز بن عبد الله من النصوص كما استمد من ملاحظاته الخاضة ارتكازا على ما كتب أمثال ريكار وطيراس هاته الفكرة الشخصية التي هي أصيلة بقدر ما هي حقيقية ، وهي أن المنزع الفني البربري لا يخلو من مظهر عربي بدوي ثم نرى المؤلف يلفت نظر القاريء الى نوع من التزاوج غني بالصور المجسمة والايمازات الكشافة : « أن الفن البربري يرتبط حقا على ما يلوحي بهندسة الواحات التي اشاعتها مصر الفرعونية القديمة أن لم تكن قد خلقتها » .

وهناك فصل يشير اهتمام المفاربة بكيفية خاصة ، وهو الذى افرد الاستاذ عبد العزيز للعصر الموحدى حيث يؤكد بحق أن الاستاذين طيراس ومارسي يريان فى المساجد الموحدية أروع ما أبدعه الاسلام ، وهكذا لم يترك المؤلف مجالاً للصدفة والاتفاق كما أنه لم يهمل أي ميدان يتصل بالموضوع حيث انكب على دراسة جميع المظاهر الغنية والحضارة المغربية كهندسة المساجد والمعاهد والمعاقيل والحصون والمؤسسات العمومية والزخارف والرسوم ، والتطورات ملقيا أضواء كاشفة عن كل عصر من خلال كل الملابس التاريخية .

وهناك مئات الامثال الدقيقة التى تتبلور فيها هاته الفكرة الاساسية وهي ان أوروبا مدينة للعرب لا للاغريقين بالمعطيات الاولى لصناعتها الحديثة .

فالاندلسي عباس بن فرناس هو اول من فكر فى صنع اداة للطيران جربها بنفسه كما ابتدع طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر ، فانبثقت آنذاك صناعة رائعة ويشير الاستاذ ايضا الى ما وقع الكشف عنه فى مكتبة الاسكوريال مما يؤيد ان العرب هم اول من استعمل الورق المصنوع من القطن ، وهو عبارة عن مخطوط يرجع تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادى .

وقد اوضح المؤلف انه اذا كانت الصناعة الكيماوية فى القرن الثامن عشر الميلادى قد قلبت الاوضاع بالنسبة للانتاج الحديث فما ذلك الا بفضل الكشف العربية لبعض الاجسام التى جهلها الاغريقون كالبوطاس ونواتر الفضة والكحول والحامض الكبريتي .. الخ .

واترك للقاريء لذة الكشف عن كنوز هذا الكتاب الذى تمتاز نصوصه بقيمة سامية والذى تزيد روعة ، تلك المجموعة الشيقة من الصور والرسوم التى يتخلل بها ، والتى ستساعد الباحثين كما ستساعد الطلبة ومختلف القراء على تذوق متعة عارمة وتركيز نظراتهم على قاعدة موضوعية رصينة .

فالاستاذ عبد العزيز بنعبد الله يقدم اذن كتابا قيما للجمهور وخاصة هواة الفنون الجميلة الذين سيفتح لهم هذا المصنف القيم مجالات طريفة للتكوين والاستعلام .

وقد عرف المؤلف بنصاعة اسلوبه وعرضه ، وبرقة ذوقه ، كيف ينير الطريق بروعة وفعالية .

الدار المحصنة وهي دار مربعة تقوم فى اركانها أبراج وفى سورها مدخل يتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف اخرى فى باقى الواجهات الداخلية . وفى زاوية من زوايا هذه الغرف درج تؤدي الى الطابق الاول الذى هو صورة طبق الاصل للطابق السفلى حيث الخدم والماشية اما الحصون الركنية فانها تستعمل كذلك كمخازن للمؤن .

ويوجد ايضا عند البربر ما يسمى بالمخازن المحصنة أي ايفرم وهي عبارة عن اجنحة منفصلة تفتح فى ساحة داخلية وتقوم البناية كلها على

وهاكم نص هذا البحث الذى ينشر اليوم باللغة العربية كاملا لأول مرة :

من خواص الفن الاسلامي انه مزيج من الفن الشرقي والفن الخاص بالاقطار التى اعتنقت الاسلام مثال ذلك ان التنميق الهندسي كان موجودا قبل الفتح الاسلامي فى الفنين القبطي والبربري وقد اقتبس الفن الاسلامي من الفرس القباب المزخرفة والاقواس الرخوة والمقرصة .

لا يكاد يوجد فى المغرب سوى الدور ذات السطوح ، ففى الاطلس نجد ما يسمى بتغمرت أي

يوسف بن تاشفين من قرطبة جملة من صناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها كما استقدم علي بن يوسف المهندسين الاندلسيين لبناء قنطرة تانسيفت .

ثم جاء الموحدون فاستطاعوا بفضل ما ابدعوه من روائع تبوؤ المقام السامي في تاريخ الفن الاسلامي لاسيما في عهد يوسف الذي عاش في اشبيلية حيث زينها بأروع البنايات والمؤسسات العمومية ثم جاء ولده يعقوب المنصور فكان ابدع بناء في تاريخ المغرب الفني وقد تجلت هذه البدائع خاصة في اشبيلية والرباط ومراكش ومناراتها خير البنا وحسان والكتيبة ) واصبحت مراكش بيناياتها وقصورها وحدائقها اشبه ببغداد في الشرق كما اشبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة وقد ظل للصناع المجلوبين من الاندلس اليد الطولى في عهد الموحدين الذين نشروا الفن الاندلسي في جميع ربوع افريقية حيث تجدد الاتصال بين الفن المغربي والفن المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء .

وقد خلف بنو مرين الموحدين في الربوع الافريقية فكان للفن المريني ميسم خاص اذا قورن بالفن عند بني عبد الواد في تلمسان والحفصيين في تونس في حين واصل بنو نصر في غرناطة تقاليد الفن الاندلسي .

غير ان الطابع العام لم يتغير وكذلك الاتجاه الفني الذي انصرف عنه بنو الاحمر الى زخرفة القصور في حين تجلى عند المرينيين في اقامة المدن المحصنة والمساجد والمدارس .

وقد استعادت فاس دورها كعاصمة غير ان ابا يوسف المنصور اقام مدينة فاس الجديدة او مدينة البيضاء بقصرها الملكي ومساكن الضباط ومعسكرات الجند والمرترقة واحيط فاس البالي بأسوار جديدة .

ويتجلى نشاط المرينيين المعماري في شعورهم بالحاجة الى اقامة المدن الجديدة على ان ابا يوسف صنع المارستانات وبنى المدارس بفاس ومراكش والزوايا في الفلوات ، ولم يفته في كل ذلك

شاهق نقطة استراتيجية لذلك تستخدم كمستودع للمؤن وكقلعة يلجأ اليها الناس عند الخطر . وهناك نوع من المستودعات يسمى « اجدير » وهو عبارة عن هري عام يتخذ شكل دار مربعة لها باب خارجية واحدة تؤدي الى ساحة مركزية تنفتح منها اربع او خمس طبقات من الغرف في اطرافها ابراج وتحتوي في الغالب على مسجد وهري عام وغرف للحراس ودار الندوة للاعيان وفي وسطها صهريج لحفظ الماء للحاجة .

والاغلبة هم اول من ادخل الفن الشرقي الى افريقية ايام الفاطميين وقد وضعوا اسس الفن الجديد في القيروان حيث جدوا مسجد عقبة بن نافع على نمط مساجد دمشق والقاهرة ثم جاء الخوارج فاقاموا في تاهرت وسجلماسة مآثر عفى عليها الزمان ثم اتخذ الفن مظاهر جديدة ايام بني زيري في اشير وقلعة بني حماد وبجاية حيث يتبلور التأثير الشرقي في مزيج من الهندسة البربرية العربية وفي القرن الثاني الهجري بنى المولى ادريس مدينة فاس التي يقول عنها كزبل بأنها آية في الاقتباس من الفن الشرقي .

ولكن عندما جاء المرابطون لم يجدوا في متناولهم سوى نتف من بقايا الفن البربري ، ولم تكن لهم صلة مباشرة بالشرق وفنونه التي لم يلمسوها الا عن طريق الاندلس فاستمت الهندسة المعمارية بميسم جديد ثم اتجه الموحدون في هذا الاسلوب الاسباني المغربي ، ولعل اول بوتقة انصهرت فيها مع الايام مظاهر الفن المعماري الشرقي المغربي هي مدينة فاس التي اقامها المولى ادريس عام 192 هـ (1) بالموضع المعروف بجراوة وقد احاط عدوة الاندلس بسور فتح في جوانبه عدة ابواب وجهز المدينة بجامع للخطبة وهو جامع الاشياخ ثم بنيت عدوة القرويين عام 193 بدار القيطون بسورها ومسجدها (مسجد الشرفاء) .

وقد اتجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التي لم يعد يخلو منها ربض ولا زقاق لاسيما في فاس كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الاصلية مع الاقتباس في آن واحد من الاندلس . واول ما تجلى هذا الاقتباس في فاس حيث استقدم

(1) راجع الطبعة المطولة لمظاهر الحضارة وكذلك كتابنا تاريخ الفن المغربي للتعرف الى مختلف الروايات حول تاريخ بناء مدينة فاس .

الزخرف الفني الرائق الذى يطبع المؤسسات الجديدة .

وقد لاحظ ابن مرزوق فى مسنده « ان انشاء المدارس كان فى المغرب غير معروف حتى انشئت مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس ( مدرسة الصفارين ) عام 760 ثم مدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء ثم مدرسة الصهرنج ثم مدرسة الوادي ثم مدرسة مصباح .. ثم انشأ أبو الحسن فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة » فقامت عند ذاك مدارس لايواء الطلبة فى تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفى وأغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد ( تلمسان ) والجزائر وقد اقام بنو مرين كذلك « من آسفى الى جزائر بني مزغانة واول افريقية محارس ومناظر اذا ظهرت النيران فى أعلاها تتصل المراسلات بينها فى الليلة الواحدة او فى بعض ليلة » .

ولعل أدروع مثال يبرز البراعة التى بلغها المهندسون والصناع هو ذلك انقصر الذى بناه أبو الحسن فى ظرف اسبوع، وقد اشتمل على اربع قباب مختلفة ودويرتين تتصلان منقوشتي الجدر بالصناعات المختلفة .

ولكن ما هي ميزات الفن المريني ؟ ان الجامع الكبير فى تازة وكذلك مسجد أبي يعقوب المريني فى وجدة يحتفظان احيانا بتلك الفخامة التى يتسم بها الفن الموحدى ولكنهما يضيفان رقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصات والزليجات ويلاحظ فى المدرسة العنانية بفاس تشابه واضح فى الهندسة والترخيم مع مدارس الشرق .

وهذه المدرسة هي مدرسة ومسجد فى آن واحد مجهزة بمنارة ومنبر للجمعة ومنجاة ذات ثلاث عشرة من الطسوس « شعار كل ساعة فيها ان تسقط صنجة فى طاس وتفتح طاقات »

ومن خواص الفن المريني النقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج .

اما فى عهد السعديين الذى بدأ الفن المعباري يتحجر فيه نسبيا فانه يمتاز ( بقصر البديع ) الذى وصفه الافراني بأنه يفوق بغداد روعة وجمالا ورغم هذا التحجر لا يمكن ان يعتبر هذا الفن سوى امتداد للفن المغربي الاندلسي مع مميزات جديدة حيث ان المنصور الذهبي استقدم الصناع والمهندسين من مختلف البلاد وحتى من اوربا وقد هدم المولى اسماعيل قصر البديع الذى انتشرت نيف من انقاضه فى مختلف المدن .

ومن الآثار السعدية الباقية بعض مساجد مراكش ( المواسين والقصة وباب دكالة ) وقبور السعديين الرائعة وجناحان فى جامع القرويين .

وقد كفل العلويون امتداد هذه التقاليد الفنية فجهز مولاي رشيد مدينة فاس بالحصون على غرار بني مرين واقام مدرسة الشراطين ولكن المولى اسماعيل الذى نشر اول الامر بالحصون والقللاع الجديدة فى جميع انحاء المغرب انصرف بكثرته بعد ذلك الى بناء قصر الرياض بمكناس وتنميق حدائقه على نسق قصر فرساي حيث كان ينافس لويز الرابع عشر ملك فرنسا وقد استعان المولى اسماعيل بالخمس والعشرين الف اسير مسيحي على انجاز مشاريعه الضخمة التى وافاه الاجل دون اتمامها فاكمل المولى عبد الله أسوار القصة وباب منصور العنج .

وقد اراد المولى اسماعيل ان تكون مدينة الرياض شبيهة بفرساي والبديع ولكن تمتاز بشوارعها الواسعة وحياتها المسورة .

واستمرت اقامة القصور على النسق التقليدي كدار المخزن قرب انقاض قصر البديع بمراكش وقصر الباهية وكالقصور الخاصة التى تنتشر هنا وهناك فى حواضر المغرب .

اما هندسة المساجد فقد كانت مزيجاً من هندسة الدول السالفة .

## الفن المغربي قبل التاريج

زلنا نشاهد الى الآن فى منحدرات الاطلس بعض المغاور العتيقة المتهمة وقد كانت هذه المآوي الطبيعية

لقد اضطر الانسان فى عصور ما قبل التاريخ الى الالتجاء للكهوف المنحوتة فى صخور الجبال وما



مركز حياة نشيطة كما تشهد بذلك بقايا الادوات الغريبة وعظام الانسان والحيوان اللذين عاشا في هذه الكهوف والذين القت تلك المكتشفات اضرأ على اساليب عيشهما .

لقد اختار الانسان الاول - كفالة لامنه وطمانينته - هذه المخابع السامقة في قمم الجبال فرارا من الضواري المفترسة وتوجد الى الآن في هضاب تادلا كهوف تحتوي على غرف منحوتة في الحجر الصلد ينفذ اليها النور من خلال كوات واسعة غير ان الاواني والالات التي عثر عليها تختلف اشد الاختلاف عن الاثاث البربري الحالي ولكن تتم عن شعور فني يزداد وضوحا في الصور المنقوشة على الصخور ومن أبرز هذه الرسوم ( كبش زناكة ) Le blier de Zenaga المكتشف في فكيك والذي يعطينا صورة عن الفن المغربي قبل التاريخ في مرحلته الطبيعية ( اي تصوير المناظر الطبيعية ) التي عقيتها مراحل ادت الى ما نشاهده اليوم من نقوش حيوانية في الهندسة المعمارية البربرية وتوجد ثلاثة آلاف وخمسمائة صورة منحوتة على الصخر في الاطلس الكبير ومما يساعد على تحديد تاريخ نحتها وجود صور لحراب ورماح - من النوع المعروف في عصر البرونز الثاني بأوربا - كاسبانيا والبرتغال وبريطانيا وايرلندا وايكوسيا وهي قريبة الشبه بأسلحة جنوب شرق اسبانيا وبذلك يمكن ضبط تاريخها بالنصف الثاني من الالف الثانية، وتوجد منها نحو الثلاثين في جبل اوكايميدن وياكور . ومن بين الصور الانسانية التي عثر عليها المكتشفة في الاطلس الكبير توجد اربع تلفت النظر احداها مسلحة بخنجر وتحمل اربعة اسورة على الاقل علاوة على نحو 14 الى 17 من السمات البارزة الواضحة منها اربع حول العنق واربع على الصدر والشخص الثاني بقبعته وحذائه وهراوة في اليد اليمنى وخنجرين في العضد الايسر اما الرجل الثالث فسماته غامضة ويظهر ان عصي مائلة الاثر فوق راسه وما زالت معالم الرجل الرابع بارزة منها ذكره وحرته وخنجر فوق راسه ويلاحظ ان الشخصين الاول والثالث يوجدان في اوكايميدن والاخرين في ياكور ( عزيب نكيس وفيف كاكين ) ويتأكد ان اثنين منهم من المحاربين .

ولكن منذ هذا العصر بدأ البرابرة يتجمعون في قرى في شكل خيام واخصاص شاهد منها الرومانيون بافريقيا الشمالية وقد عثر بالمغرب على عدة ادوات

تؤكد هذه النظرية ففي احد مناجم الدار البيضاء وقع الكشف عن حصيات ذات بريق تناوبي قديمة العهد وعثر منذ عام 1941 على حصيات شبيهة بهذه في منجم سيدي عبد الرحمان قرب انفا . وترجع الى نفس العهد التاريخي المخلفات الحجرية الموجودة في سوق الاربعاء وعرباوة وغابة المعمورة ( نوع احمر اللون ) واحواز الرباط ( مجموعة من الحصيات المنجورة ) قرب دوار الدوم .

ومهما يكن تنوع مناطق هذه المناجم فانها تعتبر اقدم صناعة معروفة بالمغرب وان وجود آلات مختصة بين هذه المصنوعات لبشر بإمكان الكشف عن بقايا مصنوعات أعرق في القدم .

وعثر كذلك على مناجم في نجد مدينة سلا استخلصت منها صخور ضخمة ( متران الى ثلاثة امتار ) ويوجد نفس النوع في شالة ومطار الرباط مع تنوع أكثر في اطوال القطع واختلاف المواد الاولى

اما في العصور التاريخية فان البرابرة اقاموا لحفظ ثرواتهم نوعا من « القصور » او الحصون استندوا حراستها لرجال مسلحين واحيانا أبراجا على قمم الجبال لايداع العتاد والمال والمؤن .

وكانوا يلبسون اول الامر مخططات بسيطة تستر العمرة ثم جلود الحيوان تقي من البرد القارس ثم الجبة الصوفية ثم اكسية اشبه بالبرانس مع تزيين رؤوسهم احيانا بأكاليل من الريش .

والسلاح كان يصنع من الحجارة في العهد الحجري الذي امتد طويلا في انقارة افريقية حيث لم يعرف الناس منذ العصور الاولى معادن الحديد والبرونز والنحاس - ثم استعمل انبربر الحراب فالاقواس فالخناجر وكانت درقات الدفاع تصنع من جلد الفيلة وهذه الاسلحة وكذلك الآلات الاخرى كانت تنقش اولا بالانظر ثم بأسنة حجرية ثم أسنة متخذة من اطراف العظام المحددة وتطور صنع الاسنة الى نوع اشبه بأسنان المناشير .

وكان البرابرة بالإضافة الى ما يصنعونه من انواع المجوهرات يرسمون على الحجارة صورا تمثل حياتهم اليومية ويحلون نساء ورجالا بالاسورة والعقود وينفرد الذكور بالاقراط والنساء بالخلاخل وكانت الاواني كلها خزفية والمرأة فنانة تتولى نقش مختلف الاوعية كما تتكفل بنسج الزرابي . وكان الموتى يدفنون في مغاور طبيعية ثم صاروا يوضعون

فى كهوف مربعة او مستطيلة تنحت فى الجبال وتحشر فيها جثث متعددة بعد ثنيها وكسر عظامها ولكن منذ القرن الثالث الميلادى صار بعض المغاربة يحرقون موتاهم كاليونانيين والقرطاجيين كما تعودوا صبغ الموتى وابداغ الحنى والائاث مع مالکها فى مرقده الاخير وتعتبر ناحية تافيلانت من بين النواحي الفنية بالمقابر التى يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام فقد عثر عام 1938 على ما سمي بمقبرة ارفوذ الواقعة على الضفة اليسرى لوادي زيز حيث وقع العثور على نحو 1200 حجرة لتبليط الاضرحة وقد تم الكشف فى اثنتين منها عن عظام بشرية ما زال من السهل التعرف على هويتها .

وكان الفن البربري يستمد من الاشكال الهندسية - زيادة على بعض الرسوم الطبيعية - ولكن قلما كان يستعمل الاقواس والحنایا وانما هما خطوط وتعاريج .

واروع ما فى هذا الفن حيويته واصالته مما ساعده على الصمود فى وجه تأثيرات الرومان والاسبان واقل ما يمكن ان نستخلصه من هذا هو ان وفرة الاثاث والاسلحة لدى المغاربة منذ عصور ما قبل التاريخ تنم عن تدفق حياة اجتماعية لا بأس بها.

— \* —

اما فى العصور التالية فقد أسس الفينيقيون مدينة قرطاج بافريقيا واخر القرن التاسع قبل الميلاد وفى منتصف القرن الخامس اجتاز هانن بدوافع تجارية اعمدة هرقل ( مضيق جبل طارق ) على ظهر ستين مركبا واقام على ظواهر سواحل المغرب سبعة مراكز احدها فى مصب الساقية الحمراء ولعل هذه الاقامة القرطاجنية العابرة تركت آثارها اذا اعتبرنا بعض المظاهر المشتركة فى الحضارتين البونيقية والمغربية فالطابع القرطاجني ما زال بسم صناعة المعادن والجلد والخزف المذهب والاصباغ والنسج والالات الفلاحية والبحرية ويرى المؤرخ كوتسي ان الثياب البونيقية كانت شرقية بقميصها الطويل ذي الاكمام العريضة وطربوشها وكساء السفر الذى يشبه الكندورة ( الفوقية الفاسية ) بل وحتى البرنس

الحالي (2) والاعراف القرطاجنية نفسها كانت شرقية فمن ذلك تعدد الزوجات وانواع الحلبي النسوي وشكلية الاجداث والشواهد وحركة السجود وتحظير اكل الخنزير « والخمسة » (اوانيد) ... الخ وقد تساءل المؤرخ كزبل هل استمرار معالم الحضارة البونيقية بالمغرب هو الذى ساعد على انتشار اللغة العربية القريبة من البونيقية بين البربر مؤكدا ان مدينة قرطاج قد هياتهم من بعيد الى تقبل القرآن ككتاب مقدس وكدستور .

وقد خلفت قرطاجنة هذه حاضرة روما التى بسطت سيطرتها على افريقيا الشمالية طوال 7 قرون ( من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعد ازدياد المسيح ) .

وقد كان اقليم النفوذ الروماني فى موريطانيا الطنجية ( ابتداء من عام 42 ) يشكل قطعة صغيرة تمر حدودها جنوبي الرباط من المحيط الاطلنطي الى ملتقى وادي ابي رفرق وعكراش اما فى شرق المغرب فان الآثار الباقية تحمل على الظن بان هذه الحدود امتدت الى الاطلس الاوسط جنوبي مكناس وفاس وبذلك تكون منطقة الاحتلال الرومانية عبارة عن مثلث بين سبتة والرباط وفاس تندرج فيه طنجة كعاصمة بعد قصر فرعون (وليلي) .

والغالب ان طنجة كانت اعظم مدينة فى الجزء المغربي المحتل من طرف الرومان وما زالت المدينة تحتفظ - كشاهد على الاستيطان الروماني - بانقاض كنيسة لم يبق منها سوى تصميمها اما الآثار الاخرى المحفوظة فانها لا تعدو بعض الكتابات والنقود والمنتجات الفنية مع تمثال امراة .

وقصر فرعون(3) عبارة عن مدينة مستطيلة الشكل ولكن غير منتظمة المساحة (يتراوح طولها وعرضها بين 700 متر الى ما بين 300 و 500 متر ) تندرج بناياتها فى سفح جبل زرهون حيث ضريح المولى ادريس الاول ونظرا لانعدام وثائق تكشف عن وضع هذه المدينة التاريخية فان مصلحة الآثار القديمة التابعة لوزارة التعليم العالي تعمل على تجديد هذه المدينة التى هي اعظم حاضرة رومانية فى الاقليم الداخلى بفضل الحفريات التى كشفت عن قوس كاراكالا (4) او قوس النصر وعن

(2) تاريخ افريقيا الشمالية ص 92

(3) نشرنا بحثا مطولا عنه فى العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي »

(4) امبراطور روماني نجل سبتيم سيفير Septime Sévère ولد فى ليون عام 188 م وتولى

الملك بين 211 و 217 م .

العرائش وعلى الضفة اليمنى لنهر لوكوس وهي فينيقية الاصل ( القرن السادس قبل الميلاد ) احتلها الرومان واقاموا بالقرب منها ضريح هرقل وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة الشمس او تشمس التي يقال بأن حدثتق هسبيريدس ذات الفواكه الذهبية موجودة بها على خلاف ما يراه آخرون من وجودها في الجزر الخالدات وهي الجزر «السعيدة» السبع التي اكتشفها الاسبان في القرن الخامس عشر ، ويرى علماء الآثار أن هذه المدينة تحتوي على كنوز فنية لا تقدر لذلك يولي المسؤولون من الاثريين هذه الحاضرة الازلية عناية خاصة الآن وقد عثر على البناء الفينيقي في الطبقة السفلى على عمق بضعة أمتار وفوقه البناء الروماني على طبقتين اعلاها المدينة الامبراطورية ثم طبقة أخيرة يظهر انها راجعة لصدر الاسلام نظرا للعثور فيها على قطع خزفية عربية ملونة ومنقوشة بحروف كوفية علاوة على بقايا مسجد بمحرابه وفنائه ، اما النماذج الاثرية القديمة فهي اوان من الفخار تطور صنعها فدهنت ايام الفينيقيين باللون الاحمر وكذلك قناديل متنوعة كما عثر على بقايا دور بونيقية مبنية من الحجارة تحتوي على غرف مستطيلة كالفرف المغربية الحالية وارضها مبلطة بالفيسفساء المرمرى وهذه المدينة التي تنقسم الى عدة احياء كل حي بسوره الخاص تعتبر ( هي ومدينة شالة ) المدينتين الوحيدتين الواقعتين في مركز بحري هام وكانت مستودعاتها الفنية تستعمل لحفظ الحبوب والزيت .

وقد عثر على مدن ازيلية اخرى مكان سبتة والقصر الكبير ( اوييدوم نوفوم ) وتمودة ( على بعد ست كياومترات ونصف من تطوان ) واصيلا وفريدي ( على مسافة كيلومترين اثنين من عرباوة ) وتريمولي ( في المكان الذي كانت تقوم البصرة في القرن الرابع الهجري ) .

وقد لاحظ تيسو (5) ان مدينة القصر الكبير مبنية في معظمها بأدوات ازيلية العهد وتوجد على احدى قواعد منارة الجامع الكبير كتابة اكتشفت منذ عام 1871 م وهي تشهد بوجود ضريح في ذلك المكان .

ازقة ودور ومعاصر للزيتون وقد وقع العثور على الساحة المركزية للمدينة بكنيستها وازيحت الانقاض عن بدائع فنية رائعة منها كنب من البرونز ( وهي قطعة مقتبسة عن الاصل اليوناني المنحوت في القرن الخامس قبل الميلاد ) ورأس مصنوع من المرمر ونقوش بديعة تمثل صورا حيوانية وانسانية في قالب فيفسفساء وكانت الساحة الداخلية المحاطة بالاروقة هي القلب النابض للحياة العمومية في المدينة ويقوم في جانبها الغربي حي لا شك انه امتداد لدسكرة أهلية كما توجد شرقي قوس النصر شبكة واسعة من الدور الثرية بقاعات استقبالها الواسعة وبساحاتها المحاطة بالفرف على النمط المغربي وقد عثر على بقايا قنوات كانت تحمل المياه من زرهون الى سقايات المدينة وحماماتها او الاحواض المنبتقة داخل المنازل اما الزخرف داخل البيوت فان نقوشه تشكل احيانا دوائر نائفة رائعة او نحوتا مفرغة علاوة على الرسوم الزهرية في الحجارة والتسطيريات الهندسية ذات الطابع البربري ورؤوس الاساطين البسيطة والمزخرفة بصورة نورية عريضة الاوراق جميلة التقاسيم وتمائيل ودمى واثاث من البرونز تشكل مجموعة فنية ثرية نادرة المثال وتوجد انقاض مدينة باناسا Banassa الرومانية على الضفة الجنوبية لنهر سبو وهي تحتوي ايضا على ساحة مركزية ودور كبرى جميلة ومستحزمات تتجلى روعة مبانيها الاصلية في قطع البرونز الفنية التي عثر عليها، اما تموسيدة Thamusida الواقعة كذلك على نهر سبو على بعد ستة عشر كلم . من القنيطرة فان بقاياها المعمارية اقل روعة وجمالا من بناسا، وقد تم الكشف

في شالة عن قسم من الساحة المركزية Forum التي تنتهي غربا بقوس نصر وبقلعة رومانية وعمارتين جنوبا وشمالا كما كشف في الجنوب الشرقي للساحة عن آثار دور رومانية وعن مقبرة في المكان الذي يقوم عليه مقر السفارة الفرنسية الآن ولم يعثر على حمامات ولا على اشياء فنية باستثناء كتابات جميلة تلقي بعض الضوء على الحياة الرومانية في هذه المدينة العتيقة الا ان الحفريات الاخيرة ازاحت التراب عن ثلاثة من التماثيل ما زالت تحت الدرس ، ومن المدن الاثرية الهامة ليكسوس الواقعة على مسافة اربعة كلم . شمالي

يمثل في القرن الرابع ابرز حواضر المغرب  
الاسلامي (6) .

وقد ظلت اهم هذه المدن قائمة الدات في القرن  
الخامس الميلادي بعد انسحاب الرومان وكان بعضها

## مفطيات الفن العربي ايسونا في

العمليات الذهبية مظهرا من الروعة والرواء ، بقدر  
ما تنمو وتنبور في ذهن الانسان حاسة الجمال .  
وقد تولد عن تلك العوامل الاجتماعية والفكرية نزوع  
الى التنسيق وميل الى فن الزخرف والتنسيق . وقد  
عثر المتقون منذ قديم على آثار فنية خالدة في  
المقار والكهوف التي يرجع عهدها الى ما قبل  
التاريخ .

وتوجد في المغرب مصلحتان اثنتان : تهتم  
احدهما بحفريات المصور القديمة ، والاخرى

ان صنع الاشياء العادية واقامة بعض المؤسسات  
البسيطة كان الشغل الشاغل لسكان المغرب قبل  
التاريخ ، فقد احتد ذكاء هؤلاء ، وتطورت قواهم  
الفكرية ، وتفتحت مخيلاتهم بفضل الاحتكاك  
الموصول بالضروريات اليومية ومقتضيات الحياة  
المتجددة . فالفكر الذي تفتقه الحاجة يسمى في الخلق  
والابداع فيبتكر الهيات والاشكال في غير تناسق  
باديء ذي بدء ، ثم يندرج في تطور بطيء يحدوه  
الى تقوية التساوq وتميز الانسجام . وتعمل  
الغريزة في آن واحد عمالها البناء ، فتضفي على

(6) تاريخ لمغرب - طيراس ج 1 ص 61 - البيان المغرب ج 1 ص 133 و 330 .  
سبق للمؤلف ان نظم قصيدة اشار فيها الى هذه المدن الرومانية بعنوان « نوفوم » او القصر  
الكبير « جاء فيها :

فى العزيين توائم الاثمار  
نزاحة عن لكسس وقفار  
عرفت بـ « هسبريد » (ب) فى الامصار  
فقدت « وليلي » - طمرة الاثمار  
وتموسيدا (ج) انعم بها من دار  
الا بدا فيض من الانوار  
الا سما ومض من الاسرار  
يا موطن الاطهار والاخبار  
ت عينه والسيل خير نضار  
ست دثاره والبيت خير مزار  
ست جماعه والحدود خير منار  
فيك الجنان لواقح الازهار

« نوفوم » (ا) ثانية الحواضر ارفلي  
اختارك الرومان حاضرة الهنا  
مهد الحضارة جنة الدنيا التي  
جرت ذبول الفخر فى خيلائها  
بذت عواصم « تنجس » و « تمودة »  
ما ان بدا قصر العوارف فى الدجى  
او اينعت وضح النهار كرائم  
يا بلدة اكرم بها من بلدة  
اليمن نبع فيضه والسرثر  
الخير انت شعاره والنبل انت  
المقدانت نظامه والفضل انت  
فيك الاجنة راضعات للتقى

نوفوم Oppidum novum اي الحاضرة الجديدة التى بنيت بمد ليكسس Lixus  
( بنيت هذه عام 1101 قبل الميلاد ) وهى ثاني مدينة بنيت فى المغرب فى المكان الذى تقوم عليه  
الآن مدينة القصر الكبير وهى موطن الافذاذ من العلماء ورجال الفكر ومعركة « وادي المخازن »  
التي اندحر فيها البرتغال

(ب) Hespérides هي جزر اسطورية فى ساحل الاطلنطيك كالجزر الخالدات او جزء من ساحل المغرب  
الاقصى قرب ليكسس وهى حداثق عدنية فيها تفاح الخلود حسب الاساطير .

(ج) تنجس هي Tingis او طنجة الحالية وتقع تمودا Tamuda قرب تطوان وتاموسيدا  
Thamussida قرب مهدية بمصب نهر سبو ( قرب القنيطرة الحالية ) .

في بعض الأواني ، كما وقع الكشف عن بقايا أوان خزفية بيضية الشكل أو مسطحة الأسفل وهذه الوفرة والتنوع مما اتسمت به الصناعة في اشقار منذ فجر التاريخ .

— \* —

وقد لاحظ البحائة الاسباني طراديل خلال حفرياته ان الخزف المكتشف يدل على شيئين اثنين ، هما : اقدمية استعمال الخزف بالمغرب من جهة ، وعلاقة المغرب باسبانيا منذ فجر التاريخ . لان الاواني الخزفية الموجودة بأشقار تشبه ما وجد في الكهوف الاسبانية الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط وكان الشكل الكروي هو الغالب في هذه القطع ، ولم يدخل الشكل البيضوي الا فيما بعد كما ان الصناع كانوا يوغلون في طبخ الخزف وكذلك في نقوشه . وقد بلغ عدد بقايا الاواني الخزفية خمسة آلاف غير منقوشة ، ولم توجد أية واحدة كاملة الهندام وبعضها عبارة عن قدر ومراجل حمراء منقوشة بالالظفار . ويتسم الخزف المصنوع في اشقار بخصائص تميزه تمييزا كبيرا عن مصنوعات باقي اقاليم افريقيا الشمالية ، ووجدت نماذج منه في مغارة الاصنام .

ولوحظ بين القطع المكتشفة في الكهف الاول نحو المائة من القطع الرومانية ، مما يؤكد لنا ان ناحية اشقار كانت مطروقة من طرف الرومان وتوجد على بعد كيلومتر واحد جنوبي هذا المكان اوان خزفية من عهد الامبراطور الروماني اوجست من عائلة ( سيفير ) وقد عثر داخل مقبرة محاذية لاحدى الصخور على قطعة من الزجاج وقطعتين من الخزف ( ونفائل ) اي دبابيس من نحاس . ويرجع تاريخ هذه القطع الى القرن الاول قبل ميلاد المسيح .

وهكذا تدلنا الحفريات في كهوف اشقار على ان هذا الاقليم عرف جميع انواع الادوات والآلات والاواني منذ العصر النيوليتي Neolithique الى عصر المعادن . وقل ما توجد هذه القطع في المناجم المغربية الاخرى . اما نوع الخزف الشبيه بخزف الاسبان فالظاهر انه لم يصل الى سواحل الاطلنطي . والخزف الاحمر المكيف في اشقار ينسب بعد الاواني الحمراء اللون التي نقلها الفينيقيون الى مدينة اللكوس ( قرب العرائش ) ومدينة الصويرة القديمة . وكل مكتشفات اشقار تؤكد لنا ان عناصر

بالحفريات الاسلامية وقد سارت الاولى خطوات واسعة في الكشف عن مخلفات الفينيقيين وآثار الرومان بالمغرب ، واسفر نشاطها المستمر منذ عقود من السنين عن تحقيقات لكثير من المعطيات التاريخية ، كما كشفت ابحاثها القناع عن بعض مظاهر الحضارة المغربية منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي . ونضرب مثلا لذلك بالكهوف الثلاثة المكتشفة في مغارات اشقار قرب طنجة . فقد لاحظ شارل تيسو منذ عام 1875 ان هذه الكهوف يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ وانها كانت رأس معبر للبحارين الاوائل الذين اجتازوا مضيق جبل طارق . وقد شرع المغرب في دراسة هذه الحفريات منذ عام 1906 بواسطة البعثة العلمية الفرنسية . فعنى طول سواحل المحيط الاطلنطي ترتفع نجود صفرى من دقيق الاحجار الرماية توغل الماء في تضاريسها فحفر سراديب مختلفة تمتد احيانا مسافة ثلاثين مترا في باطن الارض . والذي يضيف أهمية خاصة على هذه الكهوف هو ما عثر عليه في حناياها من ادوات واوان مصنوعة من الجير والخزف او منحوتة في الحجارات الكبرى .

ففي طبقات كل كهف من الكهوف الثلاثة وقع الكشف لحد الآن عن ادوات تشهد بوجود صناعة رقيقة في هذا الاقليم منذ اعرق العصور ففي ثنايا الطبقة الاولى مثلا من الكهف الاول اُحصيت 420 قطعة كمالبلغ عددها 772 في الطبقة الثانية بلغت نسبة الاواني في مجموعها 129 .

وفي الكهف الثاني 228 قطعة و 1.303 في الطبقتين توجد بينها آنية . اما في الكهف الثالث فعدد القطع 301 منها 39 آنية . وتحتوي هذه القطع عن محكات ومثاقب من انواع مختلفة لثقب الاوراق والحديد والخشب مثل البريمة وادوات اخرى ذات شكل هندسي وقصع منحوتة واخرى مسلسة ، ووجدت آلة غريبة هي عبارة عن محك من نوع خاص .

وقد عثر الباحثون جنوبي اشقار على مغارة اطلقوا عليها مغارة الاصنام ، ووجدوا فيها مجموعة ثمينة من الادوات المنحوتة من العظام في شكل مبارق ومثاقب وملاعق وانابيب ويوجد في هذه المغارة جانب اطلق عليه اسم عربي هو المغارة العالية .

واذا لم يكن قد عثر بين هذه القطع على بقايا جلي ، فقد لوحظت فصوص من جير احمر منقوشة

للسكن المغربي بالرغم عن تنوع التصميمات المستوحاة من اللوازم المحلية .

ومن الامثلة الحية تيفرمت الاطلس المتوسط ، التى هي عبارة عن قلعة مربعة ذات حصون تحتوي كل زاوية من زواياها الاربع على برج متصل بغرفة فيها درج توصل الى الطابق الارضى . اما الحصون القائمة بالاركان فانها تستغل كاهراء ومخازن للحبوب والساحة قد غطي جزء منها فقط فى حين ان الطابق الثانى خال من البيوت . اما الاغرم فهو شبيه بالتغرم الا انه يفوقه من حيث عدد المخازن المواجهة للبناء . على ان كلا منهما قد بني على مرتفع من الارض ليأتي بالفائدة المرجوة منه كمخزن للقرية ومركز للتجمعات فى حالة هجوم وقد كانت قلاع كبار قواد الاطلس تقوم بنفس الدور . غير انها اشتهت بالإضافة الى ذلك على سكنى للرئيس يتناسق فيها الفن المعماري الحضري بالصور والتنسيقات الفنية الريفية ( رسوم هندسية عجيبة الشكل واعمدة مزخرفة ونقش وترصيع ) .

اما هندسة البناء البربرية فقد لاحظ طيراس انها تظهر من حيث قوالبها الفنية متصلة بهندسة بناء واحات مصر الفرعونية ، وتختلف الفنون البربرية عن الفنون الاسلامية المتقالمة بالمغرب العربي بكونها فنونا عائلية ، وفي اغلب الاحيان نسوية الا ان هذه النظرية ( الفرعونية ) تتنافى مع ما يلاحظ من تجانس ومظاهر وحدة بين التصميمات المعمارية فى اليمن والمغرب لاسيما وان شعبا شتى من البرابرة قحطانيون حسب روايات راجحة .

### الآثر الاغريقي الرومانسي

وقد تأثر المغرب لاسيما فى عصور ما قبل الاسلام بالاسلوب الاغريقي الروماني وما يمتاز به من اقواس واعمدة وحمامات وقناطر وقنوات ومخازن للماء وسقايات ، وظل ذلك بارزا فى مختلف أطواره ومراحله التاريخية ولقد كانت الدار الرومانية نفسها حتى فى اقاليم المغرب ، كثيرة الشبه بالدار الاغريقية حيث تشتمل كما نرى الى الآن على بناء مربع متصل بالهواء الطلق تحيط به اروقة وله ممر طويل يصله بالشارع . اما الحجرات فهي تقع فى الجهات الاربع للبناء .

واردة من العدو الاخرى لمضيق جبل طارق قد استقرت فى هذه الناحية بفنونها وصنائعها كما جاءت منذ ثلاثين سنة بأدلة قاطعة على وجود علائق اقتصادية وثقافية عبر مضيق جبل طارق منذ العصر النيولوتي .

وانعدام المعادن فى هذه المقارات يؤكد من جهة اخرى ما زعمه الجيولوجيون من ان المغرب لم يعرف عصر البرونز .

ويظهر الفن فى عدة اشكال ويتجلى فى منشآت مختلفة فمن ادوات الطبخ الى الرموس والابنسية والهيكل التى دخلتها مجموعة من القواعد فى الزخرف والزينة وفى ذلك دلالة على ما كان دائما للفن المعماري من الارتباط الوثيق بفن النحت والتصوير وصناعة الخزف والفنون الصناعية الاخرى .

### الفن البربري وعناصره

وقد تأثر البرابرة منذ الف عام بمذنيات مختلفة، استمدوا عناصرها من القرطاجنيين والرومان والوندال والبرانطين ثم العرب ، الذين استمر احتكاكهم بالبربر ما ينيف عن الف عام . وبذلك استطاعوا ان يطبعوا بطابعهم انخاص عدة مظاهر من الحياة الريفية المغربية .

واذا كان الفن البربري هو - كما قال ريكار - فنا بدويا قديما ينفصل تماما عن الفن الحضري الاسلامي الاصيل فان المزيج الفني البربري لا يخلو من مقومات عربية بدوية . فالحياة التى يحياها البربر وليدة ملابس محلية كثيرة : من جملتها عوامل الطقس والمقتضيات الجغرافية الاقليمية . ومعلوم ان انتجاع الكلا يفرض حياة تنقلية تتلاءم مع الخيام التى تعتبر نواة للدسكرة ( المدشر ) . ولكن بمجرد ما تسمح الظروف الطبيعية فى ناحية معينة بالحياة القارة، فان السكن الثابت يخلف السكن المتنقل كما تقوم القرية مكان الدوار بما تحتوي عليه من حصون ومخازن ومستودعات مشتركة ( اغرم او اكادير ) . وهكذا يتطور المظهر المعماري للسكنى ، من الشكل العتيق الذى كانت عايه فيما قبل التاريخ - وهو شكل فى منتهى البساطة - الى شكل دهليز او دار ذات سطح وهذا التسطيح هو النموذج التقليدي



بقيت بارزة بوجه خاص فى فن نحت تماثيل الممرز والبرونز . وبعد الفتح العربى استمر التأثير الرومانى قويا فى الجهاز المادى للحضارة من ازياء وحلى وبنائيات وجامعات وحمامات .

فهذا النموذج الرومانى الاصيل قد تسربت اليه عناصر جديدة فى شكل تضاريس وزخارف عربية تستمد هندامها من العوائد والاعراف الجوهرية . ولكن الاسس تبقى من خلال ذلك ثابتة الدعائم . وهكذا نرى ان فنون هندسة البناء وصناعة الاواني فى المغرب تتبلور اشكالها ولا تزداد بعد الف سنة الا دقة ورواء بفضل احتكاكها بحضارة المدن . كما نرى معجم البربر الفنى قد اضيفت اليه ثروة من اسماء المصنوعات الجديدة التى قد تكون احيانا فى منتهى الجودة والاتقان . مثل الصناديق الخشبية المنقوشة او المصبوغة وادوات زينة الابواب والافعال والخناجر ، والاغماد ، واوعية البارود ، ومقابض البندقيات والمسدسات المفضضة المرصعة بالعاج والحلى المتنوع مثل الخواتم والاخراس والعقود والتيجان والاسورة والخلاخل .

ويجتهد الجوهري فى نقش المعادن النفيسة مبتكرا تحفا تدل على ملكة فنية قوية .

وفى المراكز الريفية الصغيرة نفسها تجد الخزفي يدع فى صناعة الاواني الخزفية والمصحون والمجامير وتشكيلها بأشكال هندسية رائعة .

اما صناعة الجلد فتحترفها هيئة خاصة تتفرع حسب الاختصاص الى عدة شعب كلها تتبارى فى ابراز ما لها من الدوق الفنى الرفيع سواء فى ذلك صانع الاحذية الصغيرة وصانع المحفظات والخرجة والتخوت والطنافس او المفضض والمذهب ، او النقاش الذى يرصع المنتجات الجلدية بالخيوط الفضية والذهبية او بالحرير او المعصائب الجلدية الرقيقة المختلفة الالوان .

وهكذا نرى المغرب عبارة عن بوتقة انصهر فيها الفن البربري والفن الاغريقي الرومانى وازدادت على مر الايام ثراء بفضل ما اضافته اليها فن الشرق العربى .

ومن حيث هندسة البناء الدينية يظهر ان الفن المسيحى لم يترك اثرا يذكر فى البلاد حيث ان المغرب نقل عن المشرق طريقته فى الزخرفة التى تزدان بها مساجده ومختلف مؤسساته الدينية . وهى الطريقة الاسلامية التى اثارت اعجاب مهندسي الكنائس الرومانية فى فرنسا ، وظهرت آثارها فيما شيده بها من معابد خلال القرون الوسطى .

نعم يقال ان ذلك الاشعاع الفنى الاسلامي لم تتمتع آثاره نطاق الجزئيات ( ريكار ) ولكن كم يكون فن القرون الوسطى المسيحى جافا وباردا كما يقول الاستاذ ريكار نفسه - لو انه خلا من هذه الجزئيات ومن روعة ألوانها وجمال خطوطها .

ولكن ماذا بقي بالمغرب من هذا الفن القديم ؟

ان الحفريات التى انجزها علماء الآثار بموريطانيا الطنجية ، اذا كانت لحد الآن لم تلق الا بعض الانوار على حياة المغرب القديم العقلية والدينية ، فانها على العكس من ذلك تفيدنا فوائد جمة حول حياته الفنية ففى قصر فرعون ( ويلي ) مثلا نشاهد قوس نصر من الحجارة فى اسلوب بديع بالرغم عن جفاف وتمعد معظم تشكيلاته . ومثل ذلك يقال عن أسواق وساحات « بناسة » وشالة التى شيدت من الحجر المنجور المتجانس فى اتقان غريب ، ونفس الاسلوب يلمس بوجه عام فى مختلف الاسس والعتبات والمساكن الرومانية . اما قلب الجدران فهو من الحجر غير المنحوت ومن الأجر والطابية . ولقد كانت الدور فى معظمها متعددة الطبقات ، وكانت مغطاة بأغمية (سطوح) من تراب وكلس ، وحيانا بالقرميد ، وكانت الارض مرصعة بالحجارة الا فى الحجرات حيث كانت مبلطة بالكس والتراب او بالفسيفساء المزدوج الالوان من صنع الفنانين المحليين .

وبلاحظ فيما بعد العصر الرومانى - حتى ايامنا هذه - ان اسلوب هندسة البناء لم يتغير كثيرا . وانما من التطور الطبيعي بصفة جوهرية تفاصيل الزخرف حيث استعوض بالرسم الهندسي مثلا والصور الزهرية عن اشكال الحيوانات او نحت الصور البشرية على النقود . ولكن اصالة الفن الرومانى بالمغرب



## الفن في الفتح الإسلامي

عهد الاسلام المستديمة والمنبعة بواسطة هذه المسالك ومن ابرز مظاهر هذا الاشعاع الفني انبثاق مساجد وجوامع تتسم بطابع عربي اصيل وتوجد خاصة بافريقية العناصر الاولى للفن الاسلامي فمدينة القيروان هي اول حاضرة اسسها العرب بعد فتح عقبة بن نافع الفهري وقد برزت في القرن الثاني الهجري اهمية هذه المدينة التي اصبحت عاصمة المغرب الاسلامي في عهد عبيد الله بن الحبحاب (باني الجامع ودار الصناعة بتونس عام 116 هـ) والذي استعمل على طنجة العامل عمر بن عبد الله المرادي وتم ذلك في اواخر عهد الامويين واوائل العصر العباسي حيث بدأ الاسلام يتغلغل في الغياقي الافريقية وقد احتفظ المغرب مع ذلك بسمة خاصة نظرا لكون العباسيين لم يملكوا ما وراء الزاب (من بلاد المغرب وتلمسان وانظارها فوليا محمد بن سليمان الحسني وفاس وانظارها كان فيها شيعة ثم آل ملكها الى ادريس) ولم تستمر الوحدة السياسية بين المغرب والامويين سوى عقود من السنين عندما ولي هشام بن عبد المالك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقيا والاندلس فكان له من العرائش الى طنجة الى سوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك (9) .

وفي نفس الوقت الذي تأسست دولة الاغالبية وبني رستم في كل من افريقية والمغرب الاوسط تركز الادارة بالمغرب الاقصى حيث التفتت حولهم القبائل الكبرى التي تولدت عنها دول خلال العصور التالية (مثل صنهاجة ، والمصامدة ، وزناتة ، ومكناسة الخ) .

اول مملكة عربية تركزت في المغرب هي مملكة تكور الواقعة بالريف على شاطئ البحر الابيض المتوسط وذلك في عصر الوليد الاموي بامارة صالح ابن منصور الحميري (6) .

وقد غزا الاسلام منذ العقود الاولى للفتح قلوب صنهاجة وغمارة فاتجهت الجهود الى بناء رباط في عهد الامير سعيد بن صالح يحتوي على مسجد يمرافقه يستوحي تصميمه الهندسي من جامع الاسكندرية وكان الاسلوب المعماري بسيطا تبعا للفن الشرقي الاسلامي الذي كان لا يزال اذ ذاك في فجر انبثاقه فجامع عمرو بن العاص (عامل مصر) مثلا خال من كل زخرفة وتنميق كالقربصة والنقشيين الخشبي والمرمر وسائر العناصر المعمارية الدقيقة التي امتاز بها الفن العربي في العصور التالية .

ومن هذا الطراز مسجد اغمات غيلانة الذي اسس عام 85 هجرية والذي يظهر انه اول مسجد بنه المسلمون بالمغرب بعد ان حولت المعابد التي بناها المشركون الى مساجد وجعلت المنابر في مساجد الجماعات (7) وبدأت افريقيا تتطور روحيا وفنيا على نسق الشرق الاسلامي .

وقد لاحظ الكاتب الفرنسي جورج مارسي وهو من كبار مؤرخي الفن الاسلامي - ان بلاد البربر امتست منذ القرن السابع الميلادي عبارة عن مرحلة في الطريق الكبرى التي تصل الهند بجبل البرانس باسبانيا والتي يطررها علاوة على رسل الخلفاء وسفرائهم ثلة من الحجاج والطلبة والفنانين والتجار (8) فلا يسعنا والحالة هذه ان نستبين بآثار

(6) صالح بن منصور الحميري افتتح اقليم تكور زمن الوليد بن عبد الملك ونزل تمسمان وعلى يديه اسلم بربرها من صنهاجة وغمارة ، وسعيد بن ادريس هو الذي بنى مدينة تكور (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب للبكري الجزائر 1911 م ص 91 - 92 .

(7) المغرب لابن عذارى ج 1 ص 37

(8) مقدمة كتاب الفن الاسلامي .

(9) البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي - بيروت عام 1950 ج 1 ص 37 ويذكر ابن بابا مؤرخ السودان انه عندما غادر عقبة بن نافع بلاد لمطة كان بعاصمة غانة اثنا عشر مسجدا (الاسلام في افريقيا الغربية بقلم دو شاطو ليبي - باريس 1899 ص 52) .

معالمها الرائعة فى البنايات التى تنافست العناصر المختلفة من سكان الاندلس فى وضع أسسها مما أدى الى تأصيل نواة وصفت فيما بعد بالفن الاندلسي المغربي .

فهذه المعطيات الأولية للفن الاندلسي التى تجمعت فى روائع قرطبة كالجوامع الكبير والقصر ومدينتي الزهراء والزاهرة قد انضافت اليها عناصر فنية مقتبسة من مدارس طليطلة واشبيلية (11) وغرناطة حيث توجد مثلا فى قصر الحمراء قوالب بسيطة من الجبس ما زالت تغالب الحدثان الى الآن (12) .

وفى هذا المزيج الفني برز العنصر الشرقي فى الآثار الشامية والفارسية والبرنطية فكما سبق للوليد الاموي ان استعان بامبراطور الاساتنة لاستقدام فنانين فى الفسيفساء من اجل ترخيم جوامع دمشق والمدينة والقدس فكذلك اتجه الحكم نحو الامبراطور الروماني للحصول على خبراء فى هذا الجانب من الفن البرنطى (13) وقد اكتسب العمال الاندلسيون مهارة فى الابتكار تجاوزوا بها معنهم (14)

وقد كانت لروح التبادل التى سادت بين اشرق والغرب بعد قيام الدولة الاموية فى الاندلس - اثرها العميق فى طبع أبسط المعالم فى الحضارة المغربية الاندلسية. اذ لا يعزب عن الاذهان ان زرياب وهو من ابرع مغني الشرق قد هاجر الى قرطبة فأصبح - كما يلاحظ دوزي - مشرع اسبانيا العربية حيث حقق ثورة جذرية فى الازياء فقد كان الاندلسيون يطيلون شعرهم مفصولا على جباههم ويستعملون الاواني الذهبية والفضية واخونة الكتان فى حين

ويمكن ان تعتبر مدينة فاس اول مركز عربي تفتق فى البلاد المغربية وأصبح بعد ذلك - حسب كوتبي - مظهر اعجاز فى ميدان التكيف بالطابع الشرقي . ذلك ان الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر الاموي فى كل من الشرق الادنى والمغرب العربي بفضل مرونة حساسية العرب ومداركهم الابداعية. فهناك عوامل حدثت العرب فى الاندلس والمغرب وكذلك بمصر الى الاستيحاء فى زخارفهم من معطيات الهندسة وهذه العوامل هي اهمالهم للاشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتعمقهم فى دراسة الرياضيات وسعة مواهبهم وأذواقهم .

وقد تبلور هذا الاتجاه مع مرور الاعصار وتهذبت أطرافه وركت حواشيه وتنمقت معالمه .

فظهر العباسيين بالشرق قد حدا فلولا الامويين الى تأسيس مملكة اتخذوا لها قرطبة حاضرة ما لبثت ان أصبحت مهدا لمدينة جديدة ترعرعت مجالها الخصبة طوال قرنين ونصف قرن مسفرة عن فترة زاهرة فى تاريخ الفن الاسلامي .

فبالرغم من احتكاك القبائل العربية المستقرة بالاندلس واستفحال حركة التمرد بانضمام البرابرة وتدخل المسيحيين لم يتوقف ازدهار الفنون وقد نتج عن حركة الرضيين الثورية التى شبت فى ربض قرطبة بعد تأسيس فاس - هجرة عائلات اندلسية فى مختلف الطبقات الى خارج الاندلس وقد استفادت حاضرة المغرب الادريسية من الافواج القرطبية التى توافدت للاستيطان بها (10) فكان لهؤلاء اثرهم فى توجيه الحركة الفكرية والمآثر الفنية الا ان الاستقرار السياسي الذى استتب فى عهد الناصر والحكم الثاني قد فتح المجال فى وجه الادباء والشعراء والفنانين فأقيمت دعائم نهضة فنية جديدة تجلت

- (10) يقال بأن ثمانية آلاف عائلة قرطبية وردت على فاس فوجدت ثلاثمائة عائلة قيروانية قد سبقتها الى عدوة القيروان وهذا الرقم الذى اعطاه دوزي فى تاريخ مسلمي الاندلس ( ط 1932 ج 1 ص 301 ) يعارض ما أكدته طيراس فى تاريخه وهو ثمانمائة عائلة ويظهر ان هذا هو الصواب لان البون بين عدد افراد الطائفتين القيروانية والاندلسية لم يكن شاسعا الى هذا الحد .
- (11) كانت اشبيلية تعتبر مركزا للعلم والحضارة الرومانية فى عهد القوط وهي اهم مدينة اسبانية ( تاريخ مسلمي الاندلس ج 2 ص 39 ) .
- (12) حضارة العرب ( كوستاف لوبون ) الطبعة الفرنسية ص 300 .
- (13) كتاب الفن الاسلامي لمارسي ج 1 ص 224 .
- (14) البيان المغرب طبعة بيروت 1950 ج 2 ص 354 .

وزخرفتها في عهد الملوكة الامويين الاول ثلث الميزانية العامة للدولة (21) . فقد كان المهندسون المعماريون والنحاتون والرسامون يشتغلون ترضية لحاجيات الامير ونواذعه السياسية ونقعا لفته الدينية وتلبية لاتجاهاته الزخرفية وعندما كانت الاضطرابات تستتب وتحتدم كان الفن يتوقف وينتكس لان ازدهاره منوط بثورة الدولة وشخصية الامير .

كل ذلك جعل تطور الفنون معلقا على الظروف والملازمات التاريخية ومدى ثراء البلاد في الحقل المادي وقد استمرت هذه التقاليد الفنية بالمغرب خلال العصور التالية وحتى عقب انحلال المملكة الادريسية في القرن الثالث الهجري ظل كبار الامراء يؤسسون من الشمال الى الجنوب حواضر صفرى تنافس حاضرة فاس في اقتباس مظاهر الحضارة الاسلامية ونشر معالمها الرائعة .

فقد كانت مدينة البصرة (22) مثلا في ذلك العصر مركزا نشيطا لانتاج الكتان وفي عهد بني عامر وبني زيري ( القرن الرابع ) تسربت عناصر جديدة من حضارة الاندلس وفنونها الى المغرب حيث تغلغلت في جبل الاطلس فبافت ناحية فازاز على يد قرطبيين من مهاجري الربض وكان جنوب المغرب آنذاك زاهرا بالمدن الاهلة كننيس مدينة الحدايق واغمات عاصمة الادارسة في الجنوب وايقلي وبتاروانت وتامدلت وماسة وواحات نول

اصبح الناس يقلدون زريابا في قطع الشعر مستديرا والاكل في اواني الزجاج وعلى اخونة من الجند (15) كل هذا اضى على الحضارة الاندلسية طابعا خاصا من الروعة والرواء وازدهرت في عهد عبد الرحمن الناصر جميع مرافق المدنية من فلاحية وصناعة وتجارة وفنون وعلوم (16) مما ساعد حضارة اسبانيا المسماة على احتلال المكانة الاولى بالنسبة لدول الغرب (17) ويشهد كثير من مؤرخي الفكر بأوروبا ان القرن العاشر الميلادي وهو عصر النهضة الناصرية - يعتبر من ابهى وازهر عصور اسبانيا العربية سواء في الفنون أم المؤسسات العامة (18) والناصر الاموي هذا هو الذي وسع جامع القرويين بعد بنائه بقرن مضيا بصورة رسمية على مدينة فاس اول طابع فني اندلسي وقد ازدهرت هذه الحاضرة الى ان أصبحت بعد ذلك بقليل منافسة لدار السلام بغداد الرشيدية (19) .

وقد كان لفاس اثرها القوي حتى في افريقيا وبذلك اُسمى مهد علماء الاسلام بافريقيا تابعا لمدرسة برايرة الغرب الاسلامي (20) ويرجع فضل هذه النهضة الى المولى ادريس الثاني الذي امد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها فالفن بالمغرب وفي غيره من الدول الاسلامية هو من متبنيات الامراء والملوك الذين يحمون الادب والفنون الجميلة ويشجعون الكتاب والفنانين متحملين بذلك تكاليف مادية باهظة ففي الاندلس مثلا بلغت مصاريف بناء القصور

(15) تاريخ دوزي - الطبعة الجديدة التي اصدرها ليفي بروفنصال عام 1932 ج 1 ص 312 .

(16) ابن حوقل - طبعة كوج 2 ص 77

(17) طبراس - تاريخ المغرب ج 1 ص 230 .

(18) تاريخ الطب العربي - لوكلير عام 1876 ج 2 ص 351

(19) كوستاف لوبون - حضارة العرب ص 263 ( الطبعة الفرنسية )

(20) الفن الاسلامي - جورج مارسي ج 2 ص 469

(21) نفح الطيب ج 1 ص 179 .

(22) تعرف ببصرة الكتان وبالحمراء لانها حمراء التراب وكان سورها مبنيا بالحجارة والطوب ولها عشرة ابواب وللجامع سبع بلاطات ولها حمامات .. وناؤها مخصصات بالجمال الغائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منهن .. واسست في الوقت الذي اسست فيه ازبلا او قريبا منه ( البيان المغرب ج 1 ص 133 - 134 ) وهادم البصرة هو ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368 هـ وكانت في البصرة عمارة عظيمة بالاندلس والبربر ( ص 330 ) .

والادريسي اسماء مجموعة من المدن اندثرت الآن معالمها وهي مجهولة في الخرائط وقد هدم البرغواطي يونس بن الباس وحده 387 مدينة (24) .

لمطة وايغني (23) ويظهر ان الحياة الحضريّة كان لا بأس بازدهارها آنذاك نظرا لوفرة الحواضر التي اندرس معظمها وقد ترك لنا كل من البكري

## المرابطين والفن

في البداية قاعدة ملك المرابطين والتي كان يدبغ بها جلود تفوق جودة عملها جلود الدنيا ( المعجم ) ما لبثت ان تقاعست امام الحاضرة الجديدة (مراكش) (25) .

ومنذ ذلك العصر اصبحت الاندلس مقاطعة مرابطية عرف فيها الفن خلال جيلين مظهرا جديدا من الروعة والازدهار .

وقد لاحظ جورج مارسي (26) ان المرابطين الذين ورثوا ملك الامويين وحكموا العدوتين كانوا صلة وصل بين اسبانيا والبربر حيث نما التبادل بين شقي مملكتهم واذا كانت اسبانيا اذ ذاك قد خضعت سياسيا للمغرب فان المغرب كان اقليما فنيا اندلسيا حيث استقدم يوسف صناعا قرطبيين لبناء مؤسسات بفاس (27) بينما استفاد ابنه علي من مواهب مهندسي العدو ولاقامة قنطرة تنسفت في مدخل حاضرة مراكش وبفضل هؤلاء الفزاة الصحراويين فرض الفن الاندلسي روائعه على المغرب وقد رأى المؤرخ دوزي في الغزو المرابطي

ان احتكاك العناصر السلالية في الاندلس قد احتدت وعجل ذلك بسقوط الخلافة الاموية مما ادى الى قيام نحو العشرين من ملوك الطوائف أبرزهم المعتمد بن عباد امير اشبيلية الذي اتسم بلاطه بروعة خلافة وكان مجمعا للعلماء والادباء ورجال الفن غير ان خطر الزحف الاسباني بدا يلوح في الافق في الوقت الذي احرز على المسيحية رأى من الواجب لا استئصالا الخطب وادلهم وأمسّت ممالك الغرب الاسلامي عرضة للغزو الداهم فاستنجد مسلمو الاندلس بزعيم الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين وقد لبى هذا الامير الصحراوي نداء الواجب بصفته منافحا عن الدين والحنيئية السمحة فاجتاز الى الاندلس وبعد النصر الذي احرز على المسيحية رأى من الواجب استئصالا للخلاف المستديم بين الامراء المتنازعين على الملك - العمل على توحيد الاندلس تحت راية الاسلام واستعادة مجده بتنحية بعض قادته امثال عبد الله بن بلقين وابن عباد الذي نقل الى اغصات حيث قضى بقية حياته وهذه المدينة التي كانت

(23) البرابرة والمخازن - روبر مونطاني ص 59 .

ومن هذه المدن مجكسة ودنيل ( قرب سبتة ) وصدينة وتقيساس وكرت وماسنة وسداك وحجر النسر ومدينة الزيتون ولكلي وتافرجنيت وترنانه وجراوة ( المسالك والممالك للبكري ) وليكيس وصفروى وتاكرارت ( مكناسة ) وتاوردة وكرانطة وتشمش ( قرب طنجة ) وباب اقلام ( قرب البصرة ) وهنين ( نزهة المشتاق في احتراق الافاق للشريف الادريسي ) .

(24) المسالك للبكري ص 136 .

وتهمنا هذه الحواضر وتلك المؤسسات من عدة وجوه لان الفن في كل قطر مظهر لامجاده وصورة حية لروائعه فما اثر من الآثار العمرانية الا ويمكن ان تنطوي زخارفه ونقوشه على أسرار من شأنها ان تلقي يوما ما ضوءا جديدا على المجالات التي ظلت غامضة في تاريخ البلاد فالدراسات الاثرية تكون احيانا اضمن وسيلة للتحرري والتصحيح وهي عنصر جوهري في كل حضارة .

(25) كانت تسمى مروكش وقد استعملت هذه اللفظة دون غيرها أيام المرابطين وانتقلت الى الاسبانية هكذا ( مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري - نشره ليفي برفنصال 1955 ج 1 ص 125 ) .

(26) الفن الاسلامي ج 1 ص 301 .

(27) زهرة الاس طبعة الجزائر سنة 1922 ج 1 ص 78 - الجدوة )

يوجد بها حمامان اثنان وقد احتوت جراوة النى  
اسمها أبو العيش عيسى بن ادريس عام 257 هـ على  
خمس حمامات الى جانب القصة المانعة والجامع ذي  
البلاطات الخمسة (32) اما قرطبة فقد ضمت  
اسوارها ثلاثمائة حمام تتخلل ثلاثة آلاف مسجد و  
28 ربضا منها الزاهرة والزهرة ( 113.000 دار )  
ووجد بفاس أيام الناصر الموحي 93 حماما بينما  
لم يكن بها سوى العشرين قبل ذلك ويظهر ان القاهرة  
اشتملت فى القرن السابع على 80 حماما (33) بينما  
كان فى القسطنطينية نفس الوقت الف حمام ، أما  
فى بغداد فقد تحدث ابن جبير عن الفين وابن الخطيب  
البغدادى عن ستين الفا .

ولا أعرف كتابا ألفرد فى تاريخ أو وصف  
حمامات المغرب بينما الفت فى حمامات دمشق كتب  
مثل «عدة الملومات فى تعداد الحمامات» ليوست بن عبد  
الهادى ( من رجال القرن التاسع وأوائل العاشر ) .

أما من الوجهة المعمارية فالظاهر ان انماط البناء  
تبلورت فى الشرق والمغرب منذ القرن الثامن الميلادى  
كما لاحظ ذلك مارسي فى الاسلوب الاندلسى توجد  
قاعة ثانية هي قاعة الاستحمام الحقيقية مجهزة  
بجفان من مرمر وأنايب مركوزة فى عرض الجدران  
يجري فيها الماء المسخن فى مرجل نحاسى من العيار  
الكبير وتنبت من هذه الاناييب حرارة مرتفعة ، اما  
فى حمامات المغرب فالبرمة ( وهي قدر كبرى من  
حجر ) تقع فى الردهة الثالثة التى هي مصب  
الحرارة وهي موازية لقاعة ثانية اقل حرارة وتليها  
غرفة ثالثة دافئة وبذلك يتطور المفتسل بنوع من  
التدرج يطابق مقتضيات الصحة اما الساحة  
الخارجية وهي عبارة عن وسط الدار الداخلى  
فتعلوها قبة ثمانية وتتوسط بساطها المبلط  
بالزليجي فسقية من مرمر أو فسيفساء ويجوانبها  
غرف للراحة والاستحمام .

للاندلس مشار ثورة عارمة فأكد ان الوحشية  
قامت آنذاك مقام الحضارة والتطير مقام التعقل  
وطفى التعصب على التسامح (28) غير ان المؤرخ  
الاسباني قد تراجع عن هذه النظرية ولاحظ مارسيان  
المرابطين حققوا فترة انتقالية مشرفة بين ملوك  
الطوائف والموحدين . (29) واكد المؤرخ الفرنسى  
هنري طيراس (30) انه اذا نظرنا الى المرابطين من  
خلال عملهم الافريقي فانهم يتجلون كدولة خدمت  
الحضارة الاندلسية واحسنت اليها ، ثم حمل على  
دوزي الذى زعم ان المرابطين استأصلوا اجود ما فى  
حضارة الاندلس بدعوى الدفاع عن حوزة الاسلام فى  
العدوة هذا ولم يجد المستشرقون الاسبان عناء فى  
الدلالة على ما أضفاه المرابطون من روعة وبهاء على  
المدينة الاسبانية وقد اندرست او تغيرت اعلام  
مؤسسات ملوك الطوائف بالاندلس او المرابطيين  
بالمغرب فقصر ابن عباد فى اشبيلية قد ادخلت عليه  
تغييرات عميقة من طرف ملك قشتالة بيير لوكورويل  
( 1350 - 1360 ) بحيث فقد كثيرا من عناصره  
العربية وردده السفراء هي التى تذكرنا وحدها بالفن  
الاسباني المغربي فى القرن الخامس بينما مرافق  
القصر الاخرى مستوحاة من النهضة الاسبانية (31).

وقد اشار صاحب الاستبصار الى مآثر مرابطية  
لم يبق لها اثر وهي « دار الامة » التى أسسها  
ابن تاشفين بمراكش « ودار الحجر » التى اقامها  
ولده علي ودمرها عبد المومن لبناء جامع الكتبية  
مكانها ويرجع الى هذا العصر كذلك القصر القديم  
فى تكرات ( تلمسان المرابطية )

اما الحمامات فانها على صورة المستحمات  
الرومانية التى ما زالت منها بقايا فى شالة وتجلو  
اهمية هذه البناءات فى وفرتها بالمراكز الكبرى وحتى  
الصغرى منها فمدينة البصرة التى هدمها ابو الفتوح  
صاحب افريقيا من قبل العزيز بالله عام 368 هـ

(28) ابحاث حول تاريخ فرنسا السياسى والادبى - ص 27 - الطبعة الثانية ج 1 ص 343 .

(29) كتاب الفن الاسلامى ج 1 ص 297 الى 301 .

(30) تاريخ المغرب ج 1 ص 259 .

(31) كتاب الفن ج 1 ص 338 .

(32) البيان المغرب ج 1 ص 133 .

(33) راجع القرطاس ج 1 ص 10 حيث تحدث المؤلف عن مدرسة واجاج ابن زلو ويظهر ان  
هذه اول مدرسة من هذا النوع فى البادية المغربية .

يد الاندلسي محمد بن حمدون (37) وكانت كذلك لمدينة داول قرب مدينة اصيلا أسوار أمر بهدمها اواخر القرن الرابع محمد بن قاسم من قبل المستنصر بالله الاموي (38) .

وقد تزايد عدد الابراج والاسوار المحيطة بالمدن والحواضر خلال القرن الرابع على اثر انحلال السلطة المركزية بقيادة ملوك الطوائف بالاندلس وزناتة والادارة والبرغواطيين بالمغرب الى حد انعدم معه تقريبا وجود مدن شاغرة خالية من الاسوار بل كانت توجد قلاع محصنة داخل بعض المدن فكانت مثلا في مدينة البيرة (39) بالاندلس مراكز يتخذ فيها الرجل بازاء داره مسجدا وحماما فرارا من جاره وقد بنى المرابطون قلاعا للتحصن من هجمات خصومهم والتوفر في عقر الاطلس على ما و دفاعية عند الاقتضاء ويظهر ان يوسف ابن تاشفين رغب اول الامر في ابراز قوته العسكرية بالاستغناء عن الاسوار فمدينة مراكش مثلا لم تجهز بالاسوار الا في ايام علي بن يوسف بايعاز من الفينسوف الفقيه ابن رشد وقد ذهب ابن تاشفين ابعد من ذلك عندما دمر اسوار مدينتي صدينة ثم فاس عام 462 هـ (40) عنى ان الامير المرابطي شعر بالحاجة الملحة الى بناء حصن في قلب مراكش لحماية امواله وعتاده وقد أسفرت الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار الاسلامية في المكان الذي بني فيه جامع الكتبية الاول عن جانبين اثنين لهذا الحصن المرابطي وهناك قلاع اخرى يرجع عهدها الى العصر المرابطي مثل قلعة بني تودة بفاس هذا ولم يحس المرابطون الصحراويون باديء ذي بدء بالحاجة الى تزويد المغرب بمؤسسات حضرية ذات مصلحة عامة فمشكلة المياه مثلا رغم اهميتها

وقد اقام المرابطون عددا كبيرا من المؤسسات الدينية في المغرب الاوسط ( جوامع جزائر بني مزغنة وندرومة وتلمسان (34) وكذلك في المغرب ( مدرسة الصابرين بفاس وجامع ابن تاشفين بمراكش (35) وتدل الحفريات الاثرية الاخيرة على ان في الامكان تحديد موقع هذا المسجد العتيق في وسط المدينة وقد كشفت مصلحة الفنون الجميلة والآثار الاسلامية التابعة لادارة التعليم العالي عن قبة مرابطية هي قبة البردعيين قرب جامع ابن يوسف .

اما في فاس فان جامع القرويين المؤسس عام 245 هـ قد وسعت جنباته في عهد المرابطين على الشكل الذي ما زال عليه الى الآن كما يتجلى ذلك من الوصف الوارد في القرطاس وزهرة الآس وقد بني جامع القرويين طبقا لتصميم اصيل فصحوه موازية للقبلة على غرار مسجد الشرفاء الذي بناه المولى ادريس بفاس وكذلك جامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق .

اما التصميمات المعمارية العسكرية فقد استمد الصنهاجيون جل اساليبها من بقايا العناصر البيزنطية والرومانية والقرطاجية فمنذ القرون الاولى للفتح الاسلامي بالمغرب العربي والمدن تحاط بأسوار وكذلك الامر في كثير من الحواضر العربية بالشرق والمواد الاساسية للبناء كانت تتشكل في القرن الثالث الهجري فن الاجر والجبص والظوب والطواهي فسور جراوة (36) مثلا بني بالظوب عام 257 هـ وكذلك رقادة بفريقيا عام 294 والبصرة المهدة عام 368 هـ هذا بينما استعمل البناءون الجص والمرمر والاجر في جامع القرويين لدى تجديد بنائه عام 252 هـ على

(34) هذان الجامعان الاخيران هما نهاية في البساطة الخلابة وهما خاليان من كل كتابة تنم عن مؤسسهما غير ان تأسيسهما يرجع في الغالب الى ابن تاشفين ( الهندسة المعمارية الاسلامية في المغرب مارسي ص 191 ) .

(35) ورد في معجم ياقوت ( ج 6 ص 384 ) أن عدد الحمامات 180

(36) تقع جراوة حسب الادريسي قرب مليية على مسافة ستة اميال من البحر ( مختصر النزهة ص 54 )

(37) وبني اسواره ابن الاشعث عام 146 هـ - البيان لابن عذارى ج 1 ص 85 .

(38) البيان ج 2 ص 366 .

(39) التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للامير عبد الله ابن بلقين - نشره ليفي بروننصال عام 1955 هـ .

(40) القرطاس ج 2 ص 41 - 42 وقد لاحظ ابن ابي زرع ايضا ان اسوار فاس حطمت من جديد في عهد عبد المومن ثم جدد بنائها حفيده المنصور ( ص 137 )



قد حاولوا حلها بالوسائل التي كان يستعملها رجال الصحراء ولا يزالون ، فمن ذلك الخطارات التي مدت في باطن الارض لتجهيز مراکش بالماء وهذه الانابيب الواسعة شبيهة بالفكرات الصحراوية غير ان الاساليب الاندلسية الجديدة حدث علي بن يوسف الى الاستعانة بالفنيين الاندلسيين لتجديد طريقة جلب الماء فقد حفر آبار نقلت مياهها بأسلوب ميكانيكي عجيب الى حدائق المسرة ( المنارة ) .

وهكذا فان المرابطين الذين قاموا بدور الوسيط بين اسبانيا وافريقيا التجأوا في آن واحد كما يلاحظ مارسى الى الفنيين الصحراويين والمهندسين الاندلسيين وقد بنيت قنطرة على نهر تنسيفت بمدخل مدينة مراکش بفضل جهود مهندسين استقدمهم الامير من العدو وقد جرفت المياه هذه القنطرة خلال فيضان فأعيد بناؤها في عهد الامير الثاني .

وقد اكد المؤرخ الفرنسي طيراس (41) لدى حديثه عن الفن المرابطي ان علي بن تاشفين فاق

والده بكثير في المؤسسات المعمارية مع ان يوسف نفسه كان من كبار البناء والمؤسسين وقد اندثرت اعلام جميع ما اقامه من قصور ومساجد في مراکش باستثناء قبة البردعيين ( قرب جامع بن يوسف ) ومسجد تلمسان ( عدا منارته ) ومعظم أروقة جامع القرويين الزاخر بروائع الفن الاندلسي المقتبس طبق الاصل من الفن الاندلسي بما كان ينطوي عليه في القرن الخامس الهجري من رقة ورشاقة وروعة زخرف ومع ذلك فان اسهام المرابطين في الفن كان مهما لا يخفى من تجديد فالفنان لا يمكن ان يستنسخ ويقتبس الا ما تمكن تقريبا من الكشف عنه (42) ولنا على ذلك دليل قوي في النفوذ الشامخ الذي بسطه المرابطون في الاندلس وافريقيا وذلك في العمل البناء الذي حققوه في هذا الجزء من المغرب الاسلامي وقد لاحظ كودار (43) عن حق ان اقامة المرابطين لصروح اكبر امبراطورية أسست في العالم حيث امتدت من الاندلس الى جزر الباليار الى نهر النيل النيجري لتتم لدى الفاتح المرابطي عن تفتح مدارك قوية .

## تَطَوُّرُ الْفَنِّ فِي عَهْدِ الْمُوَحِّدِينَ

وهكذا فان الموحيدين الذين ركزوا للمرة الاولى وحدة الاسلام السياسية من حدود قشتالة الى ليبيا قد ساهموا في تاصيل نوع من التوحيد بين عناصر الفن الاسلامي في المغرب (45) .

وقد استمر نفوذ الموحيدين ازيد من قرن ، كان لهم في غرضونه اعرق الاثر في عدوة الاندلس المرامية الاطراف ، فانتصار يعقوب المنصور في الاندلس قد أضفى على الفن طابعا خاصا وحقق بتساوق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب ذلك ان المغرب تمكن عن طريق افريقيا من الاتصال بعالم

بعد انهيار الدولة المرابطية اعتلى اريكة العرش زعيم المصامدة الموحيدين المهدي بن تومرت المنحدر من الاطلس الكبير ثم خلفه عبد المومن بن علي الذي وصفه بعض المؤرخين الاجانب بأنه اعظم شخصية بدون منازع طوال القرون الوسطى البربرية اذ هو قائد حربي نظامي حقق للمرة الاولى في تاريخ افريقيا الشمالية اعجوبة باستلام ازمة الحكم في مجموع الاقطار الممتدة من المحيط الاطلنطيقي الى طرابلس الغرب ، وقد اعترف المؤرخ كزبل ايضا بان الموحيدين بسطوا نفوذهم على مجموع بلاد البربر (44) .

(41) تاريخ المغرب ج / ص 252

(42) مقدمة كتاب الفن الاسلامي لمارسي .

(43) في كتابه وصف وتاريخ المغرب ج ص 314

(44) التاريخ القديم لافريقيا الشمالية ج 6 ص 281 ولكن المؤرخ اشار دون نقد الى هذا الرأي في

كتابه ( مؤسسات واعراف البربر في المغرب ص 28 ) .

(45) مارسى - الفن الاسلامي ص 305 .



جديد متأثر بالعناصر الفنية المصرية والعراقية ولكن هزيمة العقاب ضعفت بعد ذلك بخمسة عشر عاما أركان الدولة الموحدية التي زحزحها المرينيون عن ملك المغرب بما كالوها من ضربات متوالية ، هذا وقد احتل الموحدون في تاريخ الفن الاسلامي مكانة مرموقة تفوق ما كان للمرابطين في هذا الحقل ، وذلك بالرغم من معارضة المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية لبعض مظاهر هذا الفن كالموسيقى والسماع ولزخارف والنقوش ، غير ان البلاط الموحيدي ما لبث ان تلالأت في ربوعه مجالي الفن أيام عبد المومن الذي اضفى رواء على مساجلات الشعراء كما أقام العمارات الرائعة وازداد الفن روعة في عصر ولده يوسف الذي زخر بلاطه بالاطباء والفلاسفة امثال ابن رشد وابن طفيل وابن زهر وأبي مروان القرطبي (46) .

وكان ابن يوسف هذا يقطن في اشبيلية التي زخرف معمارها بأبهى وأروع مما زين به حاضرة مراكش ، اما ولده يعقوب المنصور فان بدائعته الفنية تشهد بأنه أروع بناء في العصر الموحيدي (47) مثال ذلك المؤسسات المقامة في اشبيلية والرباط ومراكش

وبفضل الموحيدين تجلى القرن السادس لبعض علماء الآثار كمعصر بلغ فيه الفن الاوج في الشرق الغربي من العالم الاسلامي (48) ، وقد شرع عبد المومن في آن واحد في بناء مسجد تازة والمدينة نفسها وكذلك مسجد تينمل معهد الدولة الموحدية الذي لم يبق منه سوى معالمه ، اما في مراكش فان كتيبه الاولى هدمت وقد تمكنت مصلحة الآثار الاسلامية والفنون الجميلة من الرسم الاول لهذا المسجد ثم بنى اولاده الكتيبة الحالية محاذية للاولى ومتوجهة بدقة نحو القبلة ، غير ان جانبا من هذه البنايات لم يتم الا في عهد يعقوب المنصور .

وتبدو الهندسة المعمارية الموحدية في اجلى واجل معالمها في مساجد مراكش وحسان ( بالرباط ) ( ومرصد الخالدة باشبيلية ) .

ففي منارة الكتبية توجد طبقات متوالية من الغرف المقوسة السقف تصل بينها درج مركزية لا مرقاة لها ، ويلاحظ وجود نفس التصميم في كل من الخالدة وحسان ، فالجدر مطلية بجص اصفر اكلس اي ضارب الى اللون الرمادي ، وما زال هذا التبليط جاريا به العمل في مراكش الآن ، وتنعكس على صفحته تموجات وضاءة تنسل الى داخل المنارة من النوافذ المفتوحة في عرض الحائط وتؤدي الدرج آخر المطاف الى الجزء العلوي من المئذنة المطل على المدينة وتستند النقوش تسطيراتها من اشكال الزهر والسعف الجامعة بين القوة والرقعة (50) ، اما في الطبقة الارضية فان القبة مخروطية الشكل تبعا للاسلوب الاسلامي الاسباني بينما تحتوي القاعة السادسة والاخيرة على اغني قبة ثمانية الهندام ذات اضلاع ومقربصات تتكون منها مجموعة هندسية رائعة ولكن لا يلاحظ في مجموعة اجزاء المنارة اي عنصر جديد يمس الاسلوب او الهندام العام الشائعين في المغرب اللهم الا اذا استثنينا ضخامة برج المئذنة وقمتها والتناسق الاسيل في الزخرف والتنسيق ، وقد اكده كل من طيرأس وياسي ان الكتبية اجمل معبد اقامته الخلافة الاسلامية في المغرب ، وانه يعادل في جودة اساقبه روائع الجامع الكبير بقرطبة والانطباع التي تترسم في نفس الزائر لهذا المسجد هي الروعة والتأثير البالغ ذلك ان مساجد الموحيدين اكمل وأروع المساجد الاسلامية، فهي عبارة عن خيملة من الاساطين تتجلى في غزيرتها جلالة الصحن والاروقة الممتدة بين الاعمدة والحنايا وصفاء الاقواس في رسومها المتناهية والجناس الاخاذ بين الصحن المركزي والصحن الجانية بأقواسها المقربصة وقبها البديعة وسقوفها الخشبية السامقة تتلألا في منتهى الصحن الذي تخيم عليه أشعة خافتة - وضاءة المحراب الناعمة وفصوص العاج المعصفرة في تضاريس المنبر ولعمان السيفساء بحيث تنبثق من هذه المجموعة المعمارية الخلافة عظيمة تجمع بين الوداعة والنعومة، فجامع قرطبة رغم سعته لا يتسم بنفس الطابع من التجانس والتناسق ومع ذلك

46) القرطاس ج 2 ص 176 .

47) مارسى - الفن الاسلامي ج 1 ص 303 .

48) الهندسة المعمارية الاسلامية في الغرب ص 200 .

49) يوسف هو الذي شرع عام 567 هـ في بناء المسجد الاعظم باشبيلية ( القرطاس ) لابن ابي زرع - طبعة سلا ، ج 2 ص 186 .

50) مجلة هسبريس التي تصدرها كلية الآداب بالرباط ، المجلد السادس عام 1926 ، ص 107 .

الكبرى ، ونحن لا نساند ما زعمه الاستاذ جورج مارسى (55) من أن الموحدين اختاروا منهاجاً مفايراً لاسلوب سلفهم فى هذا النوع من البناء والتعمير فإذا كان بنو عبد المومن قد هدموا أسوار بعض كبريات الحواضر المغربية كفاس وسبتة وسلا (56) فإن هذا الامر لا يعدو - فى نظري - مجرد وسيلة حربية استغناها المرابطون انفسهم - كما رأينا - بهدم أسوار صدينة ثم فاس على أن هذه الأسوار أعيد بناؤها بمجرد قضاء الدولة الجديدة على أعشاش المقاومة التى لجأ اليها خصومها ، وقد اضطر عبد المومن نفسه الى تجديد بناء ما هدم ، فالاستاذ جورج مارسى الذى أغفل هذا العنصر الهام فى الاستراتيجية الحربية عند المرابطين ، وكذلك الموحدين يظن أن هؤلاء رجعوا الى اسلوب سلفهم .

وقد بنى الموحدون مدينتين اثنتين هما تازة ( أيام عبد المومن الذى حصن تينمل ثم جبل طارق عام 555 هـ ) والرباط على يد المنصور الذى اهتم خاصة بالقلاع والحصون ، والمنصور الموحدي أساء اختيار موقع مدينة الرباط حسب بعض المؤرخين الذين يزعمون انه ندم على ذلك ، ألا أن هذا الزعم لم يتأكد ، وقد عقب مارسى على ذلك ملاحظاً أن بناء رباط الفتح بما فيه من باب الرواح وباب القصة الرائعة يعتبر انتاجاً قيماً نادر المثال لا مجال للشك فى جدواه وقد سبق لأن تاشفين أن أقام أول رباط للجهاد فى هذا الموقع وقد تجاوز طول أسوار مدينة المنصور خمسة كيلومترات ، وعدد أبراجها 74 ، واندست اعلام ما كان يسمى بقصر عبد المومن فى الحروب التى نشبت بين الموحدين وبين مرين (57) .

وقد أمست هندسة القلاع فى آخر عهد الموحدين عملاً مندرجاً فى تقاليد ملوك المغرب والاندلس فى العصور التالية .

فإن عدداً كبيراً من رؤوس الاساطين فى الكتبية هو أصل اندلسي ، فالاعمدة الاربعة التى تساند قوس المحراب من مخلفات الفن الاموي ( وتوجد أيضاً فى المسجد الموحدي بقصبة مراكش اعمدة أموية من الصعب وجودها ملتزمة فى قرطبة نفسها ، فجامع الكتبية يشكل متحفاً حياً للاعمدة الموحدية التى ينيف عددها على الاربعمائة والتى ما زالت تحتفظ باصالتها المتجلية فى عبقرية الفنان الاندلسي الموحدي ومهارة يد الصناع ، وقد اكتسب فى بناء رؤوس الاعمدة غلالة من الخصب الذى لا ينضب معينه لم يسبق له نظير فى الغرب الاسلامي ، ولن يسمح الزمان بمثلها (51) .

أما منبر الكتبية فقد تحدث عنه ابن مرزوق فى مسنده (52) فأشار الى ما اكده أهل الفن من جودة واتقان ترصيع منبري جامع قرطبة ومسجد الكتبية فى حين أن المشاركة لا علم لهم بفن النقش على الخشب برقة واناقة ، ويرجع تاريخ صنع هذا المنبر الى عبد المومن بن علي (53) .

ويرى كل من طيراس وباسي (54) أن هذا المنبر هو أجمل منبر فى الغرب الاسلامي بل أبهى وأروع منبر فى العالم الاسلامي أجمع وما زال قائم الذات الى عصرنا هذا فى الكتبية ، إلا أن بعض أجزائه تميل الى التداخي وقد تعرض ميللي فى كتابه عن الموحدين ( ص 128 ) الى المنارات الثلاث ، فذكر أن قيمتها لا تركز على ضخامتها وتوازنها فحسب بل أيضاً على فخامة هندامها ونسبها الوافية بمقتضيات الاناقة مع بساطة فى الزخرف والنقش واصالة فى السدوق الذى يحرق بها ويحويها دون مساس بوحدة هذه المجموعة انثى تسري فى معالمها آثار السلطان المؤسس لها محي العلة والدين وحامي التقاليد ، بل مدغم الاسلام فى ربوع المغرب ، وفى أيام الموحدين أصبح العمل جارياً باقامة الأسوار لحماية المراكز

(51) طيراس وباسي ( هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 107 .

(52) مقتطفات نشرها ليفي بروفنصال فى مجلة هسبريس عام 1925 ، ص 65 .

(53) الحلل ، طبعة تونس ص 109 .

(54) هسبريس مجلد 6 عام 1926 ، ص 169 .

(55) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 220 .

(56) الاستقما للناصري طبعة القاهرة ج 2 ص 11 . وزهرة الاس ص 78 .

(57) بنيت أسوار بادس والحسيمة ومليلية عام 601 وعلى يد يعيش عامل الناصر الموحدي ( الذخيرة السنية ص 39 ) .

وقد اقتبس بنو عبد المومن من الاساليب الاندلسية لا سيما بناء السواقي وجلب المياه ، فقد استست قنوات نقلت مياه عين غبولة الى سلا ورباط الفتح (58) حيث وضعت انابيب ثانوية لايصال الماء الى الجامع الكبير والزاوية التجانية بعد ذلك ، ومناعة تبليط هذه القناة لا تقل عن قوة الاسوار الموحدية بالرباط (59) وهناك قنوات أخرى ترجع لهذا العصر في مراكش وفاس وباقي مدن المغرب .

وقد اكد ميلي (60) ان ابا يعقوب الموحدي بنى القناطر ومعارير المياه مبرهنا بذلك عن اهتمام نادر بالصالح العام ، وقد أسس ولده المنصور منارات وقناطر (61) وحفر مطافي وأقام الملاحي في القنات من سوس الاقصى الى سويقة ابن مذكود في حدود طرابلس .

ولم يعثر على أي أثر للمدارس او المرستانات التي اشار اليها صاحب القرطاس والمعجب ، ويظهر ان المستشفى الذي بناه يوسف بمراكش في القسم المنبسط من المدينة كان يتسم بطابع عصري وقد وصفه المراكشي (62) بقوله :

( وبنى بمراكش بمارستان ما اظن ان في الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وأمر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فانقنوا فيه النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر ان يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشومات والماكولات ، واجرى فيها مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحبر والاديب وغيره بما يزيد

على الوصف ... واجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم يرسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجه عما جلب اليه من الادوية ، وأقام فيه الصيادلة لعمل الاشرية والادهان والاكحال ، وأعد فيه للمرضى لياق ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء ، فاذا تقه المريض فان كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشتغل ، وان كان غنيا دفع له ماله وتركته ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت . وقد وصف ميلي هذا المارستان بانه يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية وتخجل منه حتى اليوم ( أي عام 1926 ) مستشفيات باريس (63) وقد ترعرعت المارستانات في العصور التالية لاسيما في عهد المرينيين (64) وقد عرف فن الزخرفة الاندلسي المغربي - نظرا لزهده وتقشف عبد المومن وخلفائه - نوعاً من البساطة (65) حدث فناني الاندلس الى الاجتهاد لضمان خطوط الزخارف وفحواها وبذلك قويت حاسة الاتقان وسما الكيف والقيمة لاسيما مع توفر الوسائل وكفاءة الدوائر المادية التي لم يسبق للفن الاندلسي ان عرف نظيراً لها منذ ازدهار مملكة قرطبة فقامت المؤسسات الضخمة وقد عجلت المجموعات الفنية الموحدية بمراكش واشبيلية والرباط بانثاق الاساليب الكلاسيكية للفن الاسباني المغربي بحيث لن يتأتى بعد ذلك للفنان الاندلسي ان يتصور او يحقق عملاً يمتاز بمثل هذه السعة والفخامة ، وقد تبلورت في هذا العصر في مجموع انحاء المملكة حضارة يانعة مؤلفة المعالم انعكست اشعتها الخلاصة على الحياة المدنية وحتى في بعض مظاهر حياة البادية فاجتمعت في الهندسة المعمارية رغبة في ضمان جودة

(58) راجع التاريخ الصغير للرباط للاستاذ كاي .

(59) القرطاس - طبعة سلا ، ص 146 ، وكتبا حول القنطرة الموحدية لنقل الماء بالرباط - هنري باسي - المجلة الافريقية .

(60) كتاب الموحدين ص 129 .

(61) منها قنطرة من معديات بنيت على وادي الرومان أي نهر أبي رقرق بين الرباط وسلا ( الاستبصار ) وقنطرة من الواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر فاذا مد عبروا في القنوات ( المراكشي في المعجب ص 222 ) وقد بنى الاندلسيون السلويون أيام السعديين قنطرة على النهر تجاه منارة حسان ( التاريخ الصغير للرباط ص 113 ) ( بقلم كاي ) .

(62) المعجب - طبعة سلا عام 1357 - موافق 1938 ، ص 177 .

(63) الموحدون ص 129 .

(64) راجع «الذخيرة السنية» ص 100 وتاريخ الطب والاطباء للمؤلف .

(65) تاريخ المغرب طيراس ص 368 .

عند ما وصف المعالم التي تشهد بمدى  
إسهام الانتصارات الموحدية في نشر الحضارة  
بالتواحي الاطلنتية التي لم يسبق للعناصر الأجنبية أن  
تسربت إلى حواجزها المنيع (68) .

وقد استنتج الاستاذ ميلبي أن ملوك بني عبد  
المومن لم يكونوا مجردين عن أحقية اعتلاء الأرائك التي  
خلفهم فيها في الصعيد العالمي ملوك غربيون أمثال  
فريدريك الثاني ، وسان لوي فريدناند (69) .

## قصة الاوداية

زال مائلا للعيان في روعته المهولة مصوبا ثغراته نحو  
المحيط أو تجاه المدينة .

ويظهر في خصوص مادة البناء في سور قصبة  
الرباط أنها وسط بين النهج المعماري المراكشي وبين  
المعطيات الموحدية التي يبرز فيها مزيج من المخطط  
المقوى بالرمل والماء ، فالأسوار التي يرجع تاريخها  
إلى عهد يوسف بن تاشفين وخلفائه قد بنيت - كالمقسم  
المشرف على سوق الفول - من الحجارة غير المنحوتة  
والأجر أو من الحجارتين المبسوطة وغير المنحوتة ، وقد  
استخدم الموحدون غالبا الحجارة وحدها دون تحميل  
أنفسهم عناء نحتها كما هو الحال في أبراج موحدية  
أخرى غلب عليها الطابع القرطبي ، وقد تأثروا هنا  
ببدائية سلفهم اللمتونيين ، ومع ذلك فإن القصة لم  
تكن تخلو من روعة وجلال .



وينفذ الزائر إلى قصبة الاوداية من ثلاثة أبواب  
أكبرها الباب الأثري المؤدى إلى سوق الفول ، والثاني  
هو الباب الواقع بين الباب الأول وبين البرج ، ويظهر  
أنه حديث العهد يرجع تاريخه إلى العصر العلوي، بينما  
يقوم الباب الثالث العتيق قبالة الجهة الشمالية

الكيف مع حاسة العظمة واستعملت أساليب آلية  
مقتبسة من علم الحيل لانجاز التصميمات الهندسية (66)  
وقد لاحظ الاستاذ أندري جوليان أن الحضارة  
الاندلسية اتسمت اذذاك بطابع رائع صادف ازدهار  
النظام الذي حققه الموحدون ، وبذلك أخذ كل واحد  
حظه من الإشعاع الحضاري وامتد ذلك طوال القرون  
التالية حيث تغفلت مدنية حق كثرة للمبادئ وثقافة  
فكرية اخاذة في اعماق الجبال المغربية (67) وقد أكد  
الاستاذ روبرير مونطاني هذه الانطباعة

ولنضرب مثالا حيا بقصبة الاوداية برباط الفتح  
فهذه القصبة الموحدية محاطة بسور سواء على طول  
نهر أبي رقراق أم تجاه البحر ونحو السهل البري ولم  
يعد هنالك من جهة الوادي سوى قطعة جدار قرب ما  
يسمى ببقالة طولها نيف وثلاثون مترا ، وارتفاعها نحو  
ثمانية أمتار وبجانبيها ما يدعى بمستودع مولاي اليزيد  
( أي العلوي فجل السلطان محمد بن عبد الله ) والكل  
مقام فوق أنصخر بحجر غير منحوت ، وهنالك بقايا  
أسوار أكثر أهمية تقع بين مقهى الاوداية والبنية  
الدائرية المسماة المدورة التي تغمرها مياه الوادي عند  
المد ، أما من ناحية البحر والبر فإن السور الممتد ما  
زال قائما ، ويبلغ معدل عرض هذه الأسوار مترين  
اثنين ونصف متر بينما يصل على مقربة من برج سوق  
الفول إلى أزيد من ثلاثة أمتار قد طلي ظاهرها بدهن  
سميك ، وكان الحرس مبثوثا فوق نهج سوي قد مد  
على هذه الأسوار يذهب ويجيء لخفر الجوانب  
المشرفة على المدينة والبحر في معزل عن الأنظار  
بفضل حاجز منيع قد فتحت فيه ثغرات تنفذ منها  
البندقيات . وليست كل هذه الأجزاء من صنع  
الموحدين لأن بعضها قد تجدد بناؤه منذ نحو القرنين  
بفضل ما أولاه الملوك العلويون من عناية فائقة لهذه  
التحصينات، أما الأبراج التي تملو الأسوار فبعضها ما

(66) ذلك ما حكاه صاحب زهرة الآس ص 69 من أن خصة من المرمر الأبيض وزنها 143 قنطارا

نقلها أبو الحسن من المرية إلى العرائش ثم إلى فاس على ظهر عربات خشبية .

Mouliéras

(67) المغرب المجهول - موليراس ج 28 .

(68) البرابرة والمخزن ص 77 .

(69) الموحدون ص 159 .

وقد فند كايبي هذا الرأي خاصة باعتبار عصر الموحدين ويظهر أن اللجوء إلى القباب بهدف إلى تفادي هلهله الأقواس المعروشة المستطيلة . وقد أظهر النحاتون براعة في نقش بابي القصة وهو نحت ثري متنوع في صلب الحجر على مستويات عديدة تنخله خطوط هندسية تحدد مختلف الأقسام وتحيط كتابات الخط الكوفي بالمشتبكات (Entrelacs)

وبأفاريز الزخرف السعفي Frise de palmettes  
الا انها غير واضحة ويعلو الجميع افريز من الحنايا الموضومة ( أي المسدودة ) وتقضي التقاليد بأن يكون الوجه الباطني للابواب أقل تنسيقا من الوجه الخارجي الا أن باب قصة الاوداية تشذ عن هذه القاعدة فتبرز فيها كل العناصر الفنية التقليدية من خطوط هندسية وحنايا مفتوحة وافاريز وأشرطة كتابية وأقواس مفصصة (Arcs lobés) ( أي ذات قوسيات طبقا للفن الاندلسي المغربي ) وأقواس حدوية Outrepassés ( أي شبيهة بحدوة الفرس أو نعله ) وتتجلى التخطيطات الكوفية في أروع مظاهرها وهي أجمل أنواع الخطوط وأوفقها للنقوش المعمارية ولذلك كانت تشكل أحد المجالي البارزة في الفن الاندلسي ، أما الرسوم النورية أو الزهرية فانها تشغل أيضا في هذه النقوش حيزا واسعا كما يوجد رسم في شكل حية قائمة على ذنبها انطلاقا من الأقواس المفصصة في الوجهين معا ويتوافر هذا النوع من الرسم في الابواب الموحدية الكبرى كباب كناوة (مراكش) وباب الرواح ( الرباط ) وستحلى بها ابواب شالة في العهد المريني ، والملاحظ أيضا أن الرسوم السعفية ( أي التي تتخذ اشكال سعف النخل ) تعتبر من العناصر الكلاسيكية في الترخيمات الموحدية وهي موجودة في جميع الابواب المومنية الا انها أبرز وأوسع في باب القصة خاصة في الوجه الخارجي للباب وهي من المقتبسات الراجعة إلى الفن القوطي قبل الاسلام .

وبالرغم عن ثراء النقوش من حيث الاشكال والتقسيم فانها تظل واضحة المظهر خفيفة المس دون أي غلو ولا تشعيب بخلاف ما سيمتاز به الفن في عهد بني مرين من تكثف ووفرة . وهناك تناسب بين الترخيم في مختلف أجزاء الهيكل العام يتسم بالقوة والرشاقة معا بحيث لم يتخلف الموحدون في ذلك عن تقاليد الفن الاسلامي شرقا وغربا .

— ◆ —

الشرقية للمتحف . اما الباب الكبير فانه في منتهى الروعة يبلغ طوله 38ر60 م وعرضه 16 م ، ويتراوح علوه بين 12 و 13 م ، وتحتوي طبقته الارضية على ثلاث قاعات متداخلة وعلى طبقة أولى تحوي خمسة ممرات فوقها سطح يطل على مجموع القصة ، وتبلغ مساحة القاعة الاولى نيفا وسبعة امتار في مثلها تملوها قبة سامقة مع حنايا جانبية تليها قاعة ثانية في نفس الاحجام مقببة ومحلاة بمنالجند Pendentifs شبيهة بالجواهر المنظومة . أما الغرفة الثالثة فانها اعرض ويزدان الوجه الباطني للباب بعضادات أو أعمدة مربعة تحمل مساند ناتئة تعرف اليوم بطاولات الجدار Consoles ولا تزال بقايا التبليط الذي كان يغطي أرض القاعات ، ويذكرنا تصميم باب القصة بأحجامه واشكاله المنعرجة بتخطيطات ابواب السور الموحدية لرباط الفتح الا أن ترتيب الغرف يختلف فيهما ، وقد لا يبدو جليا العامل الداعي إلى تحلية غرف ذات هدف يتسم ظاهرها بطابع عسكري الا أن هنالك عناصر تدل على أن السمة العسكرية لم تكن هي البارزة في هذا التصميم لان ضخامة مصراعي الباب مثلا لم تكن لتعين على الصمود أمام ضربات الاكباش ( وهي آلات حربية تتألف من عمود خشبي أو من حديد تدك بها الاسوار والابواب ) كما أن الممرات العلوية لم تكن تشكل غرضا حصينة للدفاع ولا توجد اية فائدة عسكرية في وفرة القاعات .

وهكذا يمكن القول - مع كايبي - بأن باب قصة الاودايا ليست في مجموعها جهازا قويا للحماية والاستحصان بل هي لا تعدو كونها مدخلا عاديا لقصر من القصور تحيط به اسوار زيادة في الدعم ويرابط الجند في إحدى القاعات بينما يتخذ الخليفة من الغرفتين الاخرتين قاعتين لاستقبال رعاياه اثناء مقامه على ضفاف أبي رقراق (70) .

ويلاحظ أن انعدام الملاط المقوى Béton . قد يشير الدهشة بالنسبة للعصر الموحدية الذي امتازت فيه الهندسة العسكرية بالاستعاضة عن الحجارة بهذا الملاط لا سيما وأن الابواب الاخرى لمدينة الرباط تغايرها تماما من حيث مادة البناء .

وقد قيل من جهة أخرى بأن وفرة القباب في افريقيا الشمالية ترجع لقلة الاخشاب الفنية الرقيقة

(70) تاريخ مدينة الرباط ، ص 100 .



تغييرا عميقا ولم يجد المهندسون مجالا واسعا لحفظ هذا التوازن الفني نظرا لتكاثف الابنية حول المسجد، وليس هناك ما يؤكد أن المنارة من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما يظن كايبي .

أما السور الموحد الذي أسسه يعقوب المنصور بالرباط فقد تم بناؤه - على ما يلوح - حوالي عام 593 هـ - 1197 م وهو يمتد على طول 5263 مترا غربي وجنوبي المدينة التي تحميها من الجهتين الشمالية والشرقية قسبة الاودية ونهر أبي رقرق والمحيط الاطلنطيقي ، وتبلغ المساحة الداخلية المحاطة بالاسوار 418 هكتار ينفذ الناس اليها من اربعة ابواب هي غربا باب العلو وباب الرواح واخرى داخل التكنة العسكرية المحاذية للقصر الملكي ، وجنوبا باب زعير المؤدية الى شالة .

وما زال السور - رغم مرور نحو من ثمانية قرون على تأسيسه - قوي الدعائم عدا قمته التي تفتتت عناصرها وهو مبني من الملاط المقوى Béton الذي يحوي الثلث من الكلس بينما لا تتعدى نسبة الجير عادة السدس او الثمن ، وبمعلوم أن الملاط الموحد هو اقوى الملاط اذ يشتمل في بعض المواضع على آجر مدكوك في شكل « طابية » وعلى حصيات صغيرة قد لف بعضها ببعض فأصبحت كالحجارة في صلابتها لا ينال منها المعدل الا قليلا ، وقد غالبت اسافل السور جوارف المطر ، اما عرض السور فيبلغ احيانا مترين اثنين ونصف متر قد عبت فوقها طريق مشرفة للحراسة يدعمها حاجز منيع يقل ارتفاعه عن المتر الواحد في حين يصل علو السور الى ازيد من عشرة امتار ، ويمكن ان نلاحظ اليوم وجود اربعة وسبعين برجا سبعة منها تمتد من برج الصراط في الطرف الغربي الى باب العلو وتسعة الى باب الحد وخمسة وعشرون الى باب الرواح وسبعة على طول تكنة الحرس الملكي واربعة وعشرون الى الجهة المارة من باب زعير والمطلية على أبي رقرق قرب ما كان يسمى بالمنزه ( وهو مقر السفارة الفرنسية الآن ) ،

ومسجد القسبة اقدم جامع في مدينة رباط الفتح وهو يقوم في قمة القسبة وينحرف محرابه نحو الشمال على نظرية الموحدين في فهم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبله » (71) وقد طبق بنو عبد المومن فكرتهم هذه فيه لانه ثالث مسجد موحدي بعد جامعي تازا والكتيبة ، وقد ظل الى اوائل القرن العشرين مهبط الملوك يؤدون فيه صلاة الجمعة كلما امتد مقامهم بالرباط وهو من بناء عبد المومن بن علي (72) وقد ادخلت عليه تعديلات خاصة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (73) الذي جدد بناءه على يد أحد الاعلاج المسلمين (74) أحمد الانجليزي ويحتوي المسجد على سبعة صحنون مع صحن حرد ( اي بعضه اطول من بعض وغير متساو في الطول ) تحيط به ابهاء في جهاته الاربع وتنبري المنارة على بضعة امتار جنوبي شرق جدار القبلة بجانب ملحقات مختلفة على طول هذا الجدار كمسجد الجنائز ومقصورة الامام والكتاب القرآني ( او مسيد وهو تحريف مسجد ) والمراحيض وتكاد مساحة الجامع تكون مربعة الشكل ( 25 م في 25 م ) ويفلج استعمال الحجر غير المنحوت مع حنايا واساطين من الاجر وتغطي « البرشلة » صحنون الصلاة مزدوجة الانحدار في شكل ما يسمى في الشرق بجهة الجمولون عدا سقف مسطح فوق الصحن الاخير والابهاء، وقد تجدد التسطيح اواخر القرن الماضي حيث كانت مياه المطر تنصب في ميازيب الى صهاريج او مصانع تحت الصحنون عطلت الآن واصبحت المياه تجري على طول الجدار الخارجي ، وللجامع اربعة ابواب تعلوها اقواس مكسورة حدوية الشكل وتسندها عضادات ويمتاز بابان اثنان كلاهما بساريتين يتصل تاجاهما بواسطة طنف ، وكانت الصومعة معزولة عن المسجد ولكنها أصبحت منذ عام 1940 موصولة بالمرمر المكشوف المحاذي لجدار القبلة ، واذا لاحظنا ان جوامع الموحدين تنسم بالتناسق في اجزائها فاننا نستغرب فقدان هذا الانسجام في جامع القسبة الذي يظهر ان التعديلات المدخلة عليه قد غيرت معالمه

(71) نظرية لا تتفق وموقع المغرب من الوجهة الجغرافية لانها خاصة بالمدينة المنورة ولذلك قابلها الكثير

من علماء المغرب بأن القبلة بالنسبة اليها هي ما بين الشمال والجنوب .

(72) محمد بوجندار في كتابه حول تاريخ القسبة ( مخطوط المكتبة العامة بالرباط عدد 1047 ) .

(73) تاريخ محمد الضعيف ( مخطوط المكتبة العامة بالرباط عدد 660 ) .

(74) هكذا يسمى صاحب العقد الفريد ( ج 3 ص 296 ) وابن سعيد ( ص 137 ) الحديثي المعهد بالاسلام

ويسمى ابن حجر بالاسلمين ( الدرر الكامنة ج 1 ص 315 ) .

وقد تجدد بناؤه عام 229 (76) في عهد السلطان مولاي سليمان .

وتمتاز هذا الباب بثلاث غرف متوازية احداها مكشوفة كما تمتاز بوجود ثلاثة اقواس تدعمها روافد متينة Arcs doubleaux تحمل عقد القبة قد انفصلت عضاداتها شمالا داخل الجدار ، وقد وصف الاستاذ كايبي ( ص 137 ) هذه الميزة بأنها استثنائية في الهندسة المعمارية المفردة نظرا لانعدام مثل هذه الاقواس في مآثر اخرى ، وأشار الى احتمال نسبتها الى أحد الاعلاج أو الاسرى الاوربيين ، وتفتح باب الرواح (77) اليوم امام شارع النصر ( الذي هو أعظم شارع في العاصمة تقام فيه المهرجانات والاستعراضات الرسمية ) على مسافة 1021 م جنوبي باب الحد وهي أعظم أبواب السور الموحدى وأكثرها تنميكا ، يبلغ عرضها 28 م وعمقها 26ر93 م وارتفاعها 12 م وتحتوي على أربع قاعات احداها مكشوفة كلها مربعة الشكل ( 5ر65 م فى مثلها ) وعلى ممرين ( مساحتهما 4ر20 م فى 2ر20 م ) وتعلو القاعة الاولى قبة ذات اضلاع مشعة ( على الطراز القوطي ) (78) عقودها الركنية من الحجر ، لها ستة عشر اخدودا تتجمع فى قببة ذات ثمانية فصوص ( اى قويزات أو اقواس صفري ) ونعثر على هذا النموذج من القباب فى عدة غرف بمنارتي الكتبية وحسان إلا ان قبة باب الرواح أضخم وان كانت اقل جمالا ورواء فى حين تمتاز بسمة خاصة، وهي ان قاعدة كل عقد ركني تدعمها سويرية متوجة ومحلاة بما يسمى بالاقننا أو شوكة اليهودي وهي نبتة اتخذت أوراقها مثالا للزينة فى الابنية القديمة واختص بها تقريبا الطراز الكورنثي اليوناني وتصبغ هذه المجموعة الرائعة بالرشاقة والخفة ضمن الهيكل الضخم المتشكل فى الحنايا والاقواس ، ولا شك ان بعض القاعات كانت مخازن أو مخابىء لاستخدام الحرس العسكري ، وقد جدد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله العلوي كثيرا من المظاهر الاثرية فى هذا الباب (79) بل اضاف عناصر طريفة كقوس الانفتاح المكسورة والمشرفة Surhaussé ( وهذه هي

وقد يطول احيانا الحيز الواقع بين برجين ربما لانهايار بعضها خلال هذا الفاصل ، وقد ظلت مدينة رباط الفتح فى حدودها الموحدية غير أهلة طوال عدة قرون وكانت حدودها الجنوبية الشرقية هي السور الاندلسي الممتد من سيدي مخلوف الى باب الحد ( مارا بباب البيوية وباب شالة وباب التبن ) ويقول الاستاذ كايبي ( ص 131 ) بأن الرباط كان يعرف فى هذه الفترة بسلا الحديثة والذي يظهر ان هذا الاسم قد اطلق على سلا منذ عهد الشريف الادريسي (75) أى قبل بناء رباط الفتح وربما كان ذلك فى نظرنا - للتمييز بينها وبين شالة الرومانية لحملها نفس الاسم تقريبا .

وقد ذكرنا ان ابواب السور الموحدى خمسة بادراج الباب الواقعة داخل ثكنة الحرس الملكي وهي تحمل الاسماء الآتية : باب العلو وباب الحد وباب الرواح وباب زعير .

وباب العلو هو اقرب الى المحيط وهو يبعد عن البحر بمسافة 544 م ويشكل هيكلا ضخما طوله 19ر2 م وعمقه 20ر92 م وعلوه 10ر85 م كما يشتمل على غرفتين متوازيتين احدهما مكشوفة وتعلو الكل ابراج ناتئة مع وجود حجارة منحوتة جميلة فى الزوايا وقلب الواجهتين الشرقية والغربية وتوجد قاعة صغيرة مربعة داخل الغرفة الاولى كانت مستودعا للسلاح وتؤدي الغرفة الثانية الى السطح الذي يغطي مجموع البناية تحيط بها حواجز غير منحوتة يبلغ ارتفاعها 2ر26 م غربا واقل من متر من جهة المدينة وقد فتحت فيها ثغرات ثمان ويتصل السطح بالطريق المعلقة فوق عرض السور وينزل درج فى الغرفة المكشوفة الى بطن الارض ليؤدي الى ممر مستطيل لعله كان مخبأ لجند الخفر .

وقد نقشت على الجدران كتابات فى صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخنجر بعضها معقوف الطرف وصورة قوس يحمل سهما مصوبا نحو الاعلى فى روعة خلابة . اما باب الحد فهو لا يختلف كثيرا عن الباب السابق ويقع على بعد 505 امتار منه،

- (75) نزهة المشتاق ، طبعة 1957 ، ( ص 48 ) .  
(76) اكد الضعيف ذلك فى تاريخ الرباط ص 506 .  
(77) ترجم كايبي باب الرواح بباب الريح Porte du vent وهو واهم فى ذلك لان الرواح معناه الروححة اي الذهاب صباحا .  
(78) الزخرف المشع أصله اغريقي يمتاز بتشكيلات زخرفية كثيرة ووردات متفتحة متعددة الفصوص .  
(79) تاريخ الضعيف ص 165 ( مخطوط المكتبة العامة ) .



عبارة عن حنية أو عقد قبة يعلو سهمها أو مفتاحها الى نصف مستوى الانفتاح ) ، ويحيط شريط من الخط الكوفي باللوحة المركزية الماطورة للباب في وضوح وروعة وتجانس بين المجموع والجزئيات ( وهو شبيه بمثليه في باب القصبه وباب كناوة بمراكش ) وتقل الرسوم الزهرية في النقوش حيث لا تعدو بمض الاشكال السعفية كما تقل التنميقات في الوجه الباطني للباب طبقا للتقاليد المعمارية المتبعة التي تآبى الا ان تحلي الجدران بكتابات منحوتة على الحجر وصور سيوف دقيقة وقاذوف ( اي آلة لرمي السهام الى مسافات بعيدة كالتي توجد في باب الملو ) وحسام قصير ذي نصل معقوف .

اما الباب الكائنة داخل القصر الملكي فهي تقع على بعد 880 م جنوبي « باب الرواح » وعلى مسافة 465 م شمالي برج الزاوية وهي تبلغ 21ر21 م عرضا و 22ر80 م عمقا وتشتمل على ثلاث قاعات مثل باب الحد مع وجود تعديلات ترجع لا محالة الى العهد العلوي ولا تختلف في مجموعها غربا في الابواب الموحدية .

وتتفتح باب زعير - كما يدل عليه اسمها - على الطريق المؤدية الى الاقليم الذي تشغله الآن قبيلة زعير وتصل احجامها الى 18ر24 م عمقا و 9ر71 م علوا و 12ر59 م عرضا ، وهي شبيهة في تخطيطها بباب الملو مع انتظام اقل ولا تزيد قاعاتها على اثنتين متوازيتين .

وقد مد عبد المومن بن علي انايب الى رباطه بمصب ابي رقرق لنقل ماء عين غبولة الى القصبه ، ولا شك ان هذه المجاري كانت جذيرة بروعة الفن المعماري الموحدى الا ان الحفريات التي تمت لحد الان سواء داخل المدينة او خارجها لم تسفر عن كشف اي عنصر هام من هذه القنوات ، ويظهر ان اندراس معظم هذه المعالم راجع لكون الملوك العلويين قد اقاموا قنطرة معنقة لنقل مياه غبولة فوق القنطرة الموحدية مما لم يترك اثرا لهذه ومع ذلك فقد لاحظ الاستاذ هنري باسي (80) وجود بعض الآثار الشاهدة بقيام جسر بني عبد المومن على مقربة من شمالي

شالة على طول الشارع الحامل لهذا الاسم الى منعرج كائن قبالة الجامع الاعظم يؤدي الى قصبه الاوداية ، وتبلغ هذه القناة المتيقة 1ر3 م من الملو - بادراج عقد قوسها - و 0ر59 متر عرضا وهي مبنية من الملاط المقوى الذي لا تنال منه المعاول لصلابته ، الا ان الاستاذ كايي (81) ابرز الخلاف الملحوظ بين وصف المؤرخ باسي ووصف الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي (82) الذي تحدث عن قناة من الحجر المنحوت مقامة على حنية بنفس الصناعة الفنية المعروفة آنذاك في ايطاليا وخاصة في روما ، فهل ينطبق هذا الوصف الرائع على قطعة من الجسر تهدمت وامحت معالمها ؟ من الصعب التأكد من ذلك

لا سيما والنصوص التاريخية أو الحفريات لم تسفر عما يشير اليه، فالمشكل اذن ما زال قائما ، الا ان العنصر الهام الذي ينبغي ان يوخد في نظرنا بعين الاعتبار هو جودة الملاط المقوى وصلابته وهما من سمات الفن الموحدى بالإضافة الى ضخامة القناة وكشافة حجم الملاط ووضع الحنايا والاقواس الذي يساعدها على الصمود امام ضغوط المياه مهما كانت قوتها ، ومع ذلك فقد لحقت اضرار جسيمة بالقناة خلال الحروب الطاحنة التي استمرت بين الموحديين وبني مرين بعد وقعة العقاب حتى جدد السلطان المريني أبو يوسف ما تهدم وانهار خلال هذه الفترة العصبية من تاريخ الرباط .

ومن هذا الوصف الموجز يتضح ان أبواب السور الموحدى بالرباط لها ميزات مشتركة تتجلى في وجود منمرجات ونزاتء ضخمة وسلسلة من القاعات المتوازية احداها مكشوفة يحتوي داخل كل منها على غرف صغيرة لسكنى الحرس او خزن الاسلحة وهي تشكل مع ذلك مراكز دفاعية هامة تعززها الانمرجات المختلفة غير الموجودة في الحصون الاندلسية التي اقتبس منها الموحدون وكذلك في باب القصبه الخالية من كل منعرج او مركز مكشوف ومهما يكن فان الارتسامات البارزة التي تنطبع في قلب الزائر لهذه المجموعات المتكاملة هي الشعور بالفخامة والقوة والابداع ، فهي

(80) في كتابه « قنطرة موحدية بالرباط » Un aqueduc almohade à Rabat الذي نشره في المجلة

الافريقية Revue africaine 1923 ، ص 523 .

(81) تاريخ الرباط ، ص 150 .

(82) في كتابه « وصف افريقيا » Description de l'Afrique, éd. Schefer, Paris, 1896, T2, p. 22

على المعطيات المحلية ونحس في كل ذلك برغبة المؤسس الموحد يعقوب المنصور الصادقة في منافسة المآثر المعمارية في الاندلس والمغرب .

تشكل مع منارات الكتبية وحسان وجامع اشبيلية روائع خالدة في الفن الاندلسي المغربي ، والملاحظ ان التأثير الاندلسي يغلب في هذه الهندسة المعمارية

## المرينيون والفن الاندلسي المغربي

اقامة المدارس المحصنة والمساجد وقباب الاضرحة والفنادق المزخرفة والمدارس الفخمة التي اضيفت على المغرب المربني طابعا خاصا من الروعة والبهاء فالى جانب المدينة البيضاء او فاس الجديدة المؤسسة في ربض العاصمة الادريسية اقيمت مدينة للجهاد بالجزيرة الخضراء (89) علاوة على المارستانات والمآوي والملاجيء ، كما رصدت اوقاف متنوعة ضمن ريعها سير المؤسسات الجديدة واسعاف الطلبة .

وقد لاحظ الاستاذ الفريديل عن حق انه خلافا لتقاليد الشرق كان الملوك في طليعة من تبنى تأسيس المعاهد ، في حين تكفل بذلك الوزراء في المشرق (90)

وعلى هذا الفرار سار الملوك المربنيون كسلفهم الموحدين طابعين بميسم خاص نشاطهم المعماري الرائع ، وقد أكد جورج مارسي أن هذا النشاط الذي هو من صنيع الامراء يبرز ثراء الاسرة المالكة بحيث تكون عصور الانهيار السياسي فترة جمود في الميدان المعماري فبعد المآثر الماجدة التي يرجع الفضل فيها الى عهد المنصور ظل المغرب يتأرجح طوال قرن في بحبوحة من الركود لم يعرف خلالها عمارات بارزة (91) .

وقد اتسمت هذه الحركة المعمارية بطابع ديني في كثير من الاحايين حيث اقام المربنيون مجموعة

في عام 610 هـ (83) انبثقت من الصحراء قبيلة بني مربن التي قامت بحملة واسعة في كثير من الاقاليم المغربية التي كانت تحت الحكم الموحد وكالت حدود المغرب قبيل ذلك يعقود من السنين تمتد من السوس الاقصى (84) الى طرابلس ، الا ان الحفصيين ( وهم من سلالة الشيخ عمر الهنتاتي صاحب ابن تومرت ) الذين كانوا يحكمون افريقية باسم الموحدن اقتطعوا لانفسهم مملكة منفصلة عن المغرب ، وفي عام 625 هـ (85) أسس محمد بن يوسف بن هود باسم العباسيين امارا بالاندلس ما لبث أن استولى عليها بعد اربع سنوات الامير محمد بن يوسف بن الاحمر (86) الذي انصاع لامير تونس ، وبذلك توالى الضربات على المملكة الموحدية قال امرها الى الانهيار على اثر احتلال المربنيين لمدينة فاس عام 645 هـ (87) .

وقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهد بني مربن الذين أصبحوا اقوى ملوك افريقيا الشمالية (88) اذ بالرغم من محتدم الصحراوي فان هؤلاء الرجال استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج ببني نصر ورثة الحضارة الاندلسية وبالموحدن - التكيف والانسياق في مجرى الحضارة تبعا للمقتضيات المدنية مع استمداد من معطيات الفكر الاسلامي والمجالي الطريفة في التجديد ، وقد تبلور اتجاههم في

(83) الذخيرة السنية ص 24 .

(84) القرطاس ج 2 ص 174 .

(85) البيان المغرب ج 4 ص 270 .

(86) البيان ج 4 ص 302 .

(87) الاستقصا ج 2 ص 7 . الذخيرة ص 99 .

(88) راجع تاريخ افريقيا الشمالية لـ André Julien

(89) الذخيرة ص 100 .

(90) الجريدة الاسبوية - الكتابات العربية بفاس عام 1917 و 1918 ج 10 ص 152 .

(91) كتاب الفن ج 2 ص 476 .

رائعة من المساجد في تازة ووجدة (92) وتلمسان (93) وقد تم ذلك خاصة في عهد أبي الحسن بفاس والمنصورة (قرب سبتة) وطنجة وسلا ومكناس ومراكش، كما اقيمت معابد حول اضرحة الملوك مثل مقابر المرينيين في شالة (بالقرب من رباط المجاهدين) حدا الملوك منذ عهد ابن يوسف الى عهد أبي الحسن الى اختيلر هذا الجدد الطاهر)، وقد اضى أبو الحسن على هذه الاضرحة السلطانية مسحة من الروعة والجلال بتسويرها وزخرفتها واقامة مسجد ثان حولها، وكان هذا الامير اذ ذاك في طليعة زعماء الاسلام بالمغرب حيث توحدت افريقيا الشمالية لأول مرة منذ عبد المؤمن الموحي تحت راية امير واحد من فاس الى المحيط الاطلسيقي. وبلغت الدولة المرينية اوج عظمتها كما بلغت حضارتها قمة روعتها وامسى أبو الحسن - كما يقول اندري جوليان - اقوى ملك في المغرب خلال القرن الرابع عشر (94).

وقد قام الصوفية في عهد أبي يوسف بدور اساسي في المجتمع المغربي (95) وهم الذين اثاروا تلك الموجة الزوحيية التي انبثقت عنها زوايا ما لبثت ان ترعرت وتبلورت تأثيراتها الاجتماعية والسياسية في عهد الشرفاء من سعديين وعلويين حيث ان بعض ملوكهم لم يعتلوا اريكة العرش الا بفضل تأييد الحركة الصوفية الفتية التي زادها نفوذها تكتلها ضد الاجنبي الذي سيطر على كثير من المراكز الساحلية ومحا الاسلام والعروبة من ربوعها، وكثيرا ما كانت الزوايا ولا تزال خلوة للعبادة ومربطاً للزهادة ومركزاً للعلم ويدل على ذلك مدى الاشعاع الثقافي والفكري الملحوظ في زاوية الدلاء بالاطلس والزاوية الناصرية في درعة وبالصحراء حيث قامتا بنشر العلوم والمعارف وتركيز المثالية الاسلامية والسلفية السمحة في قلب الفياقي والجبال.

اما في عهد المرينيين فقد استت زاوية شالة (96) التي تعبد فيها الشاعر الوزير ابن الخطيب الساماني والتي اضافها أبو الحسن الى جناح الاضرحة بهذه المدينة الاثرية وهي بساحتها الداخلية وصهريجها واروقتها وغرفها اشبه بمعهد تتجلى فيه نفس المعالم الزخرفية المدرسية كالترخيم والنقش والزليج والفسيفساء والتبليط المرمرى، وقد بنى أبو عنان زاوية النساك بسلا التي ما زالت ببابها المنحوتة من الحجر البديع قائمة الى الآن مع بقايا غرفها الثلاث حيث كن يقطن شيخ الزاوية وطابقها الاول وصحن يتوسطه صهريج ويحيط به احد عشر مرحاضاً للوضوء وتعتبر المدارس المرينية مساكن للطلبة ومراكز لدراساتهم انتي كانت تتابع في المساجد القريبة منها وأحيانا كانت المدرسة نفسها تحتوي على مسجد صغير بمحرابه ومناوته.

وقد رسم التصميم العام لهذه المدرسة المغربية منذ القرن الخامس الهجري فهناك صحن تقوم في جوانبه الثلاثة سلسلة من البيوت، وفي الجانب الرابع قاعة للعبادة، وتقوم في الطابق الاول في بعض الاحايين مجموعات اربع من الغرف تشرف على الصحن الداخلي.

ويمكن ان نعتبر توافر المدارس والمعاهد في عهد المرينيين بمثابة رد فعل ضد الحركة الدينية الموحدية وذلك باقرار برنامج يهدف الى نشر آراء جمهرة اهل السنة الذين نصب بنوا مرين انفسهم للدفاع عنهم، وكان المرينيون متضامنين في ذلك مع جميع طبقات الصوفية التي ساندتهم في دعم هذه السلفية.

- (92) أبو يعقوب هو الذي بنى مسجد وجدة عام 696 هـ حسب القرطاس، وقد لاحظ مؤلف الذخيرة السنية (ص 150) ان ابا يوسف هدم وجدة عام 670 هـ.
- (93) راجع مقتطفات المسند لابن مرزوق في هسبريس ج 5 ص 32 عام 1925 حيث لاحظ ابن مرزوق ان الرحالين مجمعون على اعتبار هذا المسجد كجامع هو الاول من نوعه، وقد اسس أبو الحسن مسجدا آخر في مدينة هنين التي اندرست معالمها منذ قرون.
- (94) تاريخ افريقيا الشمالية 1931 هـ ص 446.
- (95) صاحب أبو يوسف معه في حركة الجهاد بالاندلس عام 674 هـ طائفة كبرى من صوفية المغرب، (الذخيرة، ص 174).
- (96) توجد لفظة الزاوية مكتوبة على الرخامة المرمرية وعلى خزف عثر عليه عام 1930 خلال الحفريات (الهندسة المعمارية الاسلامية ص 283).

وقد أسست أول مدرسة مرينية عام 670 هـ بأمر من أبي يوسف (97) وهي تحتوي على مسجد ومنازة وهي المؤسسة الوحيدة التي يرجع تأسيسها إلى هذا القرن .

وفي القرن التالي أقيمت مجموعة من المدارس منها مدرسة فاس الجديد عام 720 هـ ( وهي تضم أيضا مسجدا وصومعة ومدرسة المطارين ثم مدرسة الصهريج الكبرى ) ومدرسة السباعيين ( الصغرى ) وكانتا متصلتين ثم أخيرا المدرسة المصباحية (98) هذه المدارس الثلاث الأخيرة بنيت بأمر من أبا الحسن الذي زود بالمدارس كبريات مدن المغرب الأقصى والأوسط ( تازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا وأزمور وآسفي واغامت ومراكش والقصر الكبير والعباد بتلمسان وعاصمة الجزائر ) . أما ولده أبو عنان فإنه أسس المدرستين الحاملتين لاسمه بفاس ومكناس .

وبلاحظ أن هذه المدارس كانت تشتمل أول الأمر على منارة وتجلى كمسجد علاوة على ميسمها كماوى للطلبة . وكان تصميمها مزدوج المعالم عبارة في آن واحد عن مسجد مدرسي (كالقرويين) وعن جناح للسكنى ثم تبلورت في التصميم بعد ذلك مظاهر المدرسة فالبيت الصومعة ( مثل مدرسة الصهريج ) ثم تقلصت مساحة المسجد الذي أصبح لا يعدو قاعة كبرى للصلاة دون زخرفة خاصة وحتى المحراب صار يقاوم رمزيافي شكل قوس اصم محاط باسطوانتين دقيقتين .

وقد استمر هذا الاتجاه فاسقط المحراب تماما بعد بضع سنوات من المدرسة المصباحية إلا أن مدرسة المطارين وهي آخر مدرسة بناها أبو سعيد تحتوي على محراب وأهل ذلك راجع لضرورة تبرير مزيد الزخرفة والنقش (99) بمظهر ديني خاص ، كما أن مدرسة سلا احتفظت بمسجدها ومحرابها نظرا لصيغتها الاستثنائية كمركز صوفي لا يحتوي على أي

غرفة لسكنى الطلبة ، ومدرسة أبي عنان في مكناس تمثل مرحلة انتقالية بين نوعين من المدارس يرجع عهدهما لأبي الحسن وولده أبي عنان ( مسجد مربع وأروقة في الجوانب الثلاثة من الصحن ) أما المدرسة العنانية بفاس فهي تتسم بهيكلها الضخم وروعيتها الإخاذا لجامع مزود بمنار ومنبر لخطبة الجمعة .

أما دور السكنى المرينية فإن المغرب لم يحتفظ حتى بمعالمها فيما يلوح اللهم إلا في تلمسان حيث تساعد كتابة عثر عليها في رأس اسطوانة على أن البناية أسست عام 745 هـ بأمر من أبي الحسن ، كما انبثقت الحفريات عام 1885 عن قصر صغير بالقرب من ضريح أبي مدين الفوث بالعباد ويحتوي هذا القصر الذي كان السلطان ينزل به فيما يظهر على ثلاث مجموعات من البنايات .

وقد وصف لنا ابن مرزوق في مسنده كيف بنى أبو الحسن قصرا في ظرف اسبوع وضمنه جميع ما تتسم به القصور الصغرى من روعة وجمال ، فقد أمر أبو الحسن بجمع أرباب الصناعات من البنائين والنجارين والجباصين والزليجيين والرخامين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين فأحضروا بين يديه فقال لهم أريد دارا تشتمل على أربع قبب مختلفة ودريرتين تتصلان بها منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة بالجص والزليج والنقش في الأرض المحكم التجارة والصناعات المشتركة ونقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما بما فيها من طيافير الرخام والسواري والتجارة في السقف مختلفة باختلاف القبب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة (100) المدهونة الأبواب بالصناعات المؤلفة والخزائن والخوخ جميعها والحلية في جميع ذلك من النحاس المصنوع بالذهب والحديد ورسم لهم قدر ساحتها في كاغد ووقع الوفاق لجميعهم على ذلك قطيعة وأوضح لهم عملها فلما تم هلمنا قال لهم انسي أريدها في مثل هذا اليوم ... فما انقضى الأجل

(97) راجع المسند لابن مرزوق ( مقتطفات ليفي بروفنسال - هسبريس ج 5 ص 35 عام 1925 ) .

(98) نص ابن مرزوق على أنها من بناء أبي سعيد في حين أن الكتابات الموجودة بها تدل على أن مؤسسها هو أبو الحسن ( راجع الاستقصا ج 2 ص 87 وكتابات فاس لالغريد بل ص 229 ) .

(99) هذه المدرسة هي أبهى وأروع مدرسة من حيث الزخرف حتى في نظر الفنانين الأجانب ( الهندسة المعمارية الإسلامية في المغرب ص 288 ) .

(100) الصناعات المشتركة هي عبارة عن صناعة التوريق والتسطير التي تزود فيها الزخارف ذات اشكال مزهرية بنقوش هندسية .

هذا المسجد فاكد مؤرخ سلا محمد بن علي البكالي انه من مؤسسات الاندلسيين الذين وردوا على المغرب في عهد السعديين اي في القرن الحادي عشر مستندا الى ما استنتجه من كتاب « وصف افريقيا » للحسن الوزان من عدم وجود اي اثر لبناء بالرباط في عصره اي في القرن العاشر الا ان مؤرخ الرباط محمد بوجندار (103) يرجح ان المسجد من مآثر المرينيين ويعمل ذلك بوجود المارستان العزيزي قبالة ، ويكون احدى الابواب قد رمت في عهد السلطان المريني ابي الربيع وهي وجهة نظر سديدة وان كانت التعديلات اللاحقة قد غيرت معالم الاصل ويبلغ عرض المسجد على طول جدار القبلة 47ر5 م وي زيد عمقه بمترا واحد على عرضه بادراج مقصورة الامام الا ان شكله الهندسي غير مربع نظرا لعدم تساوي اضلاعه اما مساحته البالغة نحو 1800 م . م فانها تجعل منه اعظم مسجد بالرباط بعد « جامع السنة » وهو يحتوي على سبعة صحنون موازية للقبلة وعشرة عمودية ، اما الساحة فشكلها مربع منحرف عرضه اكبر من طوله تحيط به ثلاثة ابهاء اقيمت في احدها مقصورة للنساء وبالجانب الشمالي الغربي المنارة ، وللمسجد ستة ابواب وعلى طول جدار القبلة عدة مرافق تتصل بفرع للمكتبة العامة بالرباط - يفصل اليوم المسجد عن المقبرة - وهذه المرافق هي مستودع النبر ومقصورة الامام وجامع الجنائز ، اما الافواس فانها ذات اشكال واحجام مختلفة الا ان الحنايا التي يستند اليها الرواق امام المحراب تلفت الانظار بميزات الخاصة اذ هي عبارة عن حنايا مفصصة قد نحتت فيها قويسات تصل الى ثلاثة عشر متشابهة عدا قويس الانطلاق وقويس الانفتاح ، اما الاقواس الاخرى فمعظمها حنايا مكسورة وحدوية ( على شكل حدوة الفرس اي نعله ) او مشرعة (اي ان سهمها اكبر

وتم الامل وجاء اليوم المعلوم الا وهو يتمشى فيها وانا بين يديه على الوجه المشروع والغرض الموصوف وهذه غاية في الضخامة والاقتدار وعنوان على ما وراءه (101)

وقد ارتفعت اثمان المباني اواسط عهد المرينيين بسبب تهافت الايستقراطيين على الزخرفة احتذاء بالبلطاق وقد اشار ابن خلدون الى ان الدور كانت تباع بفاس بالف دينار ذهبي .

اما الفنادق التي كان بها التجار الاجانب فان شكلها المعماري يشبه شكل دور السكنى لانها تحتوي على ساحة تحذف بها غرف ومستودعات بل ومخازن لعرض المبيعات ، ومن هذا النمط ايضا القيساريات التي تغير اسلوبها الهندسي في العقود الاخيرة حيث اصبحت عبارة عن اروقة مستطيلة تقوم بجانبها دكاكين واهراء (102) .

ولنضرب مثلا للفن المريني الرائع ببعض المآثر التي ما زالت قائمة برباط الفتح ومنها « الجامع الكبير » الواقع قرب باب شالة الذي تحده في الجنوب الشرقي مقبرة تمتد الى السور الاندلسي وقد كتب على احدى ابوابه تاريخ 1299 هـ (1882 م) وهو تاريخ تجديد البناء في عهد الحسن الاول ، كما ان لوحة التحجيس المرينية وهي صفيحة مربعة من الرخام مغروزة في احدى الاساطين المحيطة بمكان العنزة هي نفسها التي كانت على ضريح السلطان ابي الحسن بشالة ، ونقلت الى المسجد في عهد مولاي اليزيد العلوي الا انها لا تشير الى الجامع الكبير ، كما بوجود المارستان العزيزي قبالة ، ويكون احدى ادخلها على المسجد جلالة الملك المقدس المرحوم محمد الخامس ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء

(101) نخب من المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن الخطيب ابن مرزوق ( هسبريس ج 5 - مجلد اول عام 1925 ، ص 39 ) .

(102) تحدث ماس لاطري في كتابه (معاهدات السلام والتجارة ) عن الفندق بالمغرب فوصفه بانه حارة حرة يقطنها القنصل الاجنبي مع مواطنيه وترجع اليه مهمة السهر والحراسة عليها وكانت ايضا بمثابة حي له قوام بلدي يقبض فيه القنصل على الجهاز الشرطي والجمارك السلطانية هي التي تتحمل المصاريف العامة في البناء واصلاح المساكن والكنائس والدكاكين ، وكان المسكن محترما وقانون الارث الاجنبي مطبقا ( بمقتضى المعاهدة المبرمة بين المغرب وبيزا عام 1358 البند الرابع الفقرة الرابعة عشرة ) وقد اكد لاطري ان الاقطار الاخرى لم تتسامح الى هذا الحد مع الحارات المسيحية القائمة وسط المدن الاهلية بحيث كان المسيحيون يرضخون خارج المغرب الى تدابير تنطوي على اهانة وعدم ثقة ( راجع كتابي بالفرنسية حول التيارات الكبرى لحضارة المغرب ص 33 ) .

(103) الاغتباط ص 114 ( مخطوط المكتبة العامة بالرباط ( عدد 1287 ) .



من نصف الانفتاح ) كما ان معظم السطوح ذات انحدار مزدوج فى شكل برشلات او جملونيات دون قرميد ولا تنميق ، أما المحراب فان قوس انفتاحه حدوي الشكل كعمل الفرس الحديدي متقارب المركزين غير بارز الكسر يستند الى عضادتين عاليتين ، وقد ازدوج بقوس آخر خارج عن المركز فى جوف قد نحتت نقوش رائعة فى جبهه اللامع وعلته قبة متمثلة ينفذ اليها النور من ثفرة مثمانتها مع المجموع .

اما الصومعة فانها مربعة الشكل تبلغ أضلاعها 10ر5 م وقد زيد فى ارتفاعها عام 1939 فبلغت من العلو 15ر33 م بينما لم تكن تصل من قبل الى اكثر من 27 م ، وتحتوي الصومعة على ست غرف مربعة الواحدة فوق الاخرى تغطيها اقبية متصالية الروافد تؤدي احداها الى مخدع الموقت الواقع فوق المصربة ( اى العلية وهي من مصطلحات المغرب الاقصى ) (104) وينفذ الضوء الى دورات الدرج من ثفرات واسعة مقوسة وماتوية فى انحناء مستقيم ويتسم المجموع بطابع البساطة الذى يزيده روعة. اما ملحقات الجامع الكبير فانها لا تمتاز بأهمية خاصة فالى جانب ممر ضيق يؤدي الى جامع الجنائز على طول جدار القبلة توجد مقصورة الامام وهي تضم غرفتين تتصل احدهما بمستودع المنبر .

واذا استثنينا النحت على الحجر فى خصوص الأبواب فان النقش على الجبس يتوافر فى المحراب وفى الوجه الداخلى للباب الكبرى وفوق الحنايا المفصصة امام المحراب مع رسوم زهرية متكاثفة تحيط بها خطوط هندسية وانضداد متراكبة من الوردات بين الاقواس دون اصباغ مع ضالة النقوش الخشبية ، وتبرز فى مواضع اخرى سغفيات «موردة» او كتابات بالخط النسخي ، اما المنبر فهو من صنع علوي عادي برسومه الخشبية المنحوتة على لوحات «مأطورة» : تلك صورة عن الجامع الكبير كما هو الآن والبابان الشارعتان الى زقة باب شالة قد اضيفتا كمنفذ خاص الى رواق النساء وكذلك الباب المؤدية الى زاوية سيدي التلمساني والفسقتان الفوارتان فى البهو الجديد شمالي غربي الصحن . ومن الزوائد الطريفة فى المسجد نقوش المحراب ورواق الجنائز وترخيمات بعض الحنايا مما حفظ للجامع هيكله العام

دون كبير تعديل ، ويظهر ان الجامع لم يكن فيه اكثر من خمسة صحن طولية مركزية بدل عشرة بجانب الصحن السبعة الموجودة الآن ، وكانت المساكن تحيط به من جهتين وهذا التخطيط متناسق الاجزاء بالنسبة للتصميم الحال الذي يخاو نوعا ما من التوازن والانتظام اصف الى ذلك ما كانت تمتاز به الحنايا المفصصة والمكسورة والحدوية من تنوع وذكرونا الهدام العماري فى الجامع الكبير بالمساجد المرينية فى تلمسان وخاصة فى مدينة « العباد » حيث مدفن ابي مدين الفوث فعدد الصحن الطولية واحد فيهما مع ثمانية صحن موازية للقبنة هناك بدل سبعة بالرباط ومن مظاهر العتاقة فى الجامع الكبير ضخامة الاقواس المفصصة امام المحراب وهي من خواص المساجد المرابطية والموحدية بكيفية عامة مع وجودها احيانا فى عهد المرينيين كما هو الحال فى جامع فاس الجديد . ولم يعد المهندس المعماري يستعمل هذا النوع من الترخيمات فى العصر العلوي وحتى بالنسبة لنقوش الحنايا يمكن التنظير بين المشبكات الهندسية فى الجامع الكبير ومثيلاتها فى منبر المدرسة العنانية بفاس وباب العنانية ايضا بمكناس ومع ذلك فان جامع الرباط لا يوحى فى مجموعه بنفس الارتسامة التي يشعر بها الزائر لمدارس فاس ومساجد تلمسان المرينية التي تمتاز بعدة ظواهر جزئية كبعض الاشكال الصنوبرية ( على شكل ثمرة الصنوبر ) او الزهيرات ( اي زخارف نورية الشكل ) تلك معالم تشهد بان الجامع الكبير يرجع تاريخه الى العهد المريني وذلك بالاضافة الى بعض النصوص التاريخية التي تعزز هذه النظرية لا سيما وان مؤرخي العلويين مثل الضعيف والزباني والناصري لم يدمجوا هذا المسجد فى لائحة المساجد العلوية وربما كانت المجموعة المركبة من المسجد والسقاية والمارستان العزيري هي نفس ذلك الثالوث الملحوظ فى جميع المساجد مع اعتبار ان هذا المارستان كان مدرسة كما يدل عليه شكله ، وهنا يجب ان نتساءل - كما فعل الاستاذ كايبي (ص 199) - عن تاريخ التعديلات والاضافات الطارئة على الجامع الكبير ويمكن ان تقارن بين هذه وبين المظاهر المعمارية فى جامع مولاي سليمان بالرباط ، وقد أسسه السلطان العلوي سليمان بن محمد بن عبد الله ، فالمارتان متساويتان فى الاضلاع والترتيبات

(104) لا شك ان هذه التسمية ترجع لكون مصر هي التي عرفت فى العالم الاسلامي بكثرة طبقات دورها ، وقد ذكر المقرئ في خطه ج 1 ص 334 و 341 ان مساكن الفسطاط كانت من سبع طبقات .

قد قامت بجانبها سويريتان تتصلان بطنف تحمله مساند بارزة وهذا الرسم لا يختلف كثيرا عن تصميمات المدارس المرينية ينقصه المسجد الصغير الذي يقام عادة في المدرسة الا ان تغييرات حديثة قد اضفت على هذا المارستان طابعا علويا بعيد الشبه بالسقاية المرينية المجاورة .

اما الحمام المعروف بالحمام الجديد والكائن بالحي المعروف تحت الحمام فانه من مآثر ابي عنان المريني كما تشهد بذلك لوحة التحجيس الموجودة الآن بصحن الجامع الكبير والتي تحمل تاريخ 755 هـ وتشير الى ان ريع هذا « الحمام الجديد » بنفق على ضريح السلطان المقدس ابي الحسن المريني وعلى اطعام الفقراء المرابطين بشالة ، ويعتبر هذا الحمام اقدم حمام عرفته رباط الفتح، وتبلغ مساحته 20ر85م طولاً في 9ر75م عرضاً ، كما يزدان بروائع معمارية من تيجان هرمية مقلوبة واقواس مكسورة وحدوية وقبة ذات ثماني رفارف Pans قد حملت على عقود ركنية في شكل نصف اقبية متصالبة الروافد ، وفي كل رفرف ثغرة ينفذ منها النور الى الغرفة ، وقد اصبح هذا التصميم عادياً في حمامات الرباط بما فيه من قاعة الاستراحة المفتحة على الغرفة الباردة التي تفصلها عن القاعة الساخنة اخرى وسطى دافئة تتخلل الكل مخادع منعزلة للاستحمام الفردي وتسود القاعة الاخيرة حرارة تستمد بخارها من حوض ساخن، وقد سرت هذه الحرارة في مجموع الارض المبلطة بالرخام والقائمة على سويريات قصيرة مركبة فوق قويسات من الحجر ، ويشبه هذا الحمام في شكله حمام شالة الذي يرجع لنفس التاريخ وكذلك حمامات مرينية اخرى كحمام المخفية بفاس وحمام وجدة المقابل للجامع الكبير ، وتسم الحمامات الاندلسية بنفس الطابع مما يعد مظهراً جديداً لوحدة الفن الاندلسي المغربي على ان هذا الترتيب لا يختلف عن التقسيمات الملحوظة في الحمامات الرومانية التي كانت تتوافر بوليلي وباناسا وثموسيدا واوبيدوم نوفوم وباقي المراكز العتيقة .



وقد توافرت الحمامات ولكن على وتيرة وثيدة نظراً لكثرة ما اقيم منها في العصور السالفة حيث

الداخلية والنسق الفني واحد في السطوح والحزات الجدرانية التي تنصب منها مياه المطر بدل الميازيب وذلك علاوة على تشابه بعض الابواب ويدعم هذا الشبه الواضح ما اشار اليه محمد الضعيف من ان السلطان مولاي سليمان وجه من طنجة أحد اعوانه لمخاطبة المعلم الحسن السوداني فيما يجب انجازه من أعمال في جامع الرباط (105) وهكذا يمكن التأكيد بأن الزيادات العلوية في هذا الجامع يرجع الفضل فيها الى الملك الصالح المولى سليمان الذي قام بهذه البادرة المثلى فوسع المسجد وجدد سطوحه .

وقد اقيمت الآن مكتبة مكان السقاية المرينية التي اسفرت الحفريات منذ نحو ربع قرن وجود كتابات تأسيسية في واجهتها وكانت طبقات من الكلس تغطيها منذ اجيال وقد امكن الكشف فيها عن اسم مؤسسها السلطان ابي فارس عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني وبذلك يرجع تاريخ بنائها الى القرن الثامن الهجري ، ويبلغ طولها 10ر26م وعرضها 4ر62م وعمقها 2ر75م ، وقد بنيت من الملاط المقوى المغطي بطلاء مع واجهة من الحجر المنحوت المتناسق الترتيب وثلاث حنايا مكسورة واربع اسطوانات تحمل اثنتان منهما هذه الاقواس الرائعة بواسطة تيجان مقربصة وتتراكب فقراتها الحجرية المستديرة في سبع او ثماني طبقات ويزدان الحوض بثلاث حنايا جدارية مشرعة كما تتحلى جبهة البناية بزخارف حول افريز منحوت يدعمه طنف وتتسلسل في شريطه المستطيل ( 9ر34م طولاً و 1ر10م علواً ) سبع عشرة طاقة معمارة ورسوم تذكرنا بباب القصة وقويسات منحرفة ومشبكات وتمرجات من الاقنشا Acanthe ذات الطابع الكورنثي الاغريقي ) وخطوط دائرية قد نقش فيها وردات تنفرع عنها اربع تويجات في تناسب يخلب الالباب ببساطته ولعمانه واتساق اجزائه الى جانب القوة والرشاقة .

ويقع المارستان العزيزي قبالة الجامع ويظهر انه من بناء السلطان المريني ابي فارس وانه كان مدرسة في الاول ثم احيل الى مارستان فنظارة احباس وهو بسيط في تصميمه تحيط بساحته من ثلاث جهات غرف مستطيلة وابهاء قد رفعت على سوار من حجر تعلوها تيجان محلاة بانعراجات « مؤقنثة » واقواس نصف دائرية ، اما الباب فانها حدوية الشكل

(105) تاريخ الرباط للضعيف ص 531 .



في شكل جديد سمي بالفن الاسباني الموريستي  
Art hispano-mauresque

وبالرغم من التأثيرات الاندلسية التي وسمت هذا الفن فانه اُصطبغ بسمة خاصة اذ عوضا عما كان يدركي المهندس الاندلسي من رغبة في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية هدف المهندس المغربي الى ضمان متانة الهيكل بالاضافة الى ما كان يشعر به من حاجة الى مزيد من الزخرفة والتنميق وهذا هو الطابع العام الذي يتسم به مجموع الفن الاسلامي من تسطيرات ناتئة ومقربصات وتلوينات علاوة على روعة الهندام ورغمما عما يتسم به هذا الفن المعماري الذي بلغ في العصر المريني اوج عنفوانه من ايفال في التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الاجزاء وعدم جودة المواد فان المجموع ظل - كما يصفه المؤرخ اندري جوليان - واضح المعالم متوازي النسب تتجانس نقوشه تتجانسا رائعا ضمن الحيز الذي يملأه وهذا بالاضافة الى ما انطوت عليه الالوان من دقة وجناس كاملين (107) وقد اشيع الفن المريني شرقا وغربا بثروته التي لا تضاهي وروعته الطريفة الاصلية فكان فنا اندلسيا مغربيا تتناسق عناصره في العدوتين .

وهذا التناسق الفني يرجع الفضل فيه الى نشاط المهندس الاندلسي الذي كان تأثيره ملحوظا في مجموع المآثر المعمارية (108) .

وكان للفنانين والمنتجين المغاربة صيت رائع وحظوة لا بأس بها حتى في الشرق غير ان درجة النضج الذي بلغها هذا الفن كانت تنطوي على عناصر انهياره فقد استفد كثيرا من قواه منذ عهد ابي الحسن وحال قيام الفتن دون تحقيق اعمال عمرانية كبرى بعد ذلك .

وقد حلل الاستاذ طيراس مظاهر المدينة المغربية في عهد المرينيين (109) فابرز الصيغة الاندلسية والحضرية في هذه المدينة التي بدأت اساليبها

كانت بفاس وحدها 293 وقد كتب بعض المؤرخين ابحاثا حول الحمامات المغربية منها حمامات وجدة وشالة والمخفية بفاس ( كتاب الهندسة الاسلامية ص 315 ) والرباط ( تاريخ الرباط لكايي ) وقد بنى ابو عنان المريني هذا الحمام الاخير الذي ما زال معروفا الى الآن بحمام العلو مع توقيف ريعه لفائدة المسجد .

وهذه الحمامات لا تختلف عن المستحاثات الموحدية الا بفرف فردية للتخليفة وباضافة معالم جديدة في الزينة من فسيفساء وزليجى بالبديع ونقوش على الخشب ونحت على الجبس .

اما المؤسسات العسكرية فانها عديدة منها باب المريسة بسلا ( وهي دار صناعة وباب بحري في هذه المدينة ) وأسوار فاس الجديد وشالة والمنصورة ( قرب تلمسان ) .

وقد قام المرينيون بعدة اعمال تمييزية ذات صبغة عمومية مثل بناء المارستانات والملاجيء ودور الوضوء والسقايات وقناطر نقل الماء ، وقد سبق للمهندسين الاختصاصيين ان زودوا بعض الحواضر كالمصمة الادريسية بالقنوات التي تنقل مياه وادي فاس الى مختلف الاحياء ثم حول الامير يعقوب المريني ماء عين عمير الى المدينة الجديدة التي أسسها بأرباض فاس وهي مدينة البيضاء او فاس الجديد ، وقد اقيمت مؤسسات من هذا القبيل في العباد وشالة ، والرباط (106) وكان هؤلاء المهندسون اما اندلسيين واما صحراويين مثل الاختصاصي الذي استقدمه الامير من سبلماسة لبناء الخصة المرمرية بالقرويين .



تلك هي المظاهر الجوهرية التي يمكن ان تستخلص منها صورة عن الفن المريني الذي بدأت تبلور فيه مجالي الازدواج بين الطابعين الاندلسي والمغربي

(106) منها السقاية المرينية قبالة الجامع الاعظم بالرباط

(107) تاريخ افريقيا الشمالية ص 456 .

(108) كان ذلك منذ المرابطين وقد لاحظ الناصري نقلا عن صاحب الجذوة ان المهندس الاشبيلي محمد

ابن علي هو الذي رسم تصميم دار الصناعة البحرية بسلا واستعمل الاساليب المعروفة بالاندلس

( الاستقصا ج 2 ص 11 ) كما ان نقل مياه وادي فاس لتزويد قصر يوسف بن يعقوب كان على يد

مهندس اشبيلي اختصاصي في علم الحيل هو محمد بن الحاج .

(109) تاريخ المغرب ج 2 ص 76 وما يليها .

ومناهجها تتحجر منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي فالحضارة لم يعد لها وجود الا فى الحواضر وخاصة بفاس لان مدينة مراكش التي فقدت مركزها كعاصمة صارت تنحدر فى طريق الافول محتفظة ببقايا التقاليد الموحدية .

واذا كان الفن قد استطاع الصمود فى نهاية العهد المريني فما ذلك الا بفضل العناصر الاندلسية التي هاجرت الى المغرب . بحيث اصبح المغاربة منذ

عهد الوطاسيين عالة فى كثير من الفنون والحرف على الاندلس (110) ومع ذلك فان الفن المغربي الذى نشطت مقوماته العمرانية ظل محتفظا بجودته النادرة رغما عن انعدام الفخامة فى مجاليه ذلك ان وفرة الزخرفة وثرائها وروعيتها انتظمت فى اطار من الوضوح والدقة لا غبار عليه وكان المجهود الفني الذى بذله المرينيون تقلص - كما يقول طيراس - فى الوقت الذى انبهرت قوتهم العسكرية .

## كيف تبلور الفن فى العصور الأخيرة ؟

### (أ) العصر السعدي

اتخذ تدخل السعديين صورة ثورية ضد عجز الوطاسيين عن إيقاف الحملة المسيحية وهبوب الاسبان لغزو المغرب بعد سقوط الماعقل العربية فى الاندلس وقد تم احتلال سبتة عام 818 هـ فشارت نائرة الامة المغربية وطاف دعاة الجهاد فى القبائل يحدون الناس الى مقاومة المغير وقد تركزت هذه الحركة التحريرية حول مراكز اقليمية للتجمع وهي الزوايا واستغل الشرفاء السعديون الموقف فتزعمو هذه الفورة الشعبية ونصبوا انفسهم قوادا للثورة التى لم تنتظم الا بعد ان تمكن البرتغاليون من غزو كبريات المدن الساحلية التى احاطوها بأسوار عتيقة وجهازها بحصون وابراج واقاموا فيها كنائس ومستودعات للماء ( مطافىء ) .

وقد عرف السعديون كيف يوجهون هذا الحماس الشعبي الرائع الذى كان يعززه العلماء والصوفية فأخرجوا العدو من أكادير وآسفي وأزمور وأصيلا والقصر الصغير وكللت سلسلة الانتصارات هذه بهزيمة شنعاء مني بها البرتغاليون فى معركة وادي المخازن التى فقدت البرتغال بعدها استقلالها السياسي طوال اثنتين وستين سنة واندرج المغرب بفضل انتصاره الفذ فى صف الدول العظمى تخطب وده بلاطات أوروبا وتسمى فى الخطوة بمعونته

وتأييده (111) وقد اثرت الدولة بما دره عليها احتلال السودان وافتكاك الاسرى البرتغاليين فاتجهت نحو بناء مؤسسات معمارية كقصر البديع الذى وصفه اليفرنى (112) ملاحظا ان السبب الذى حمل المنصور على انفاق جلائل الاموال ونفائس اللخائر لبناء البديع هو الحصول على ماثرة وشغوف على المرابطين والموحدين ومن بعدهم وقد استغرق العمل فيه المدة المتراوحة بين سنة 986 هـ و 1002 هـ ، وجلب السلطان الصناع الافرنج يجتمع كل يوم من ارباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم كما جلب له الرخام من ايطاليا فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن وكان هذا القصر عبارة عن دار مربعة الشكل فى كل جهة منها قبة رائعة الهيئة تحتف بها مصانع من قباب وقصور ودور .. وفيها من الرخام المجزع والرمز الابيض والاسود ما يحير الفكر وكل رخامة طلسي رأسها بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافي وفرشت ارضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشرة وجعل فى اضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين وتجسم فى سقوفه الذهب وطليت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبس وكان به اشعار مرموقة فى الاستار واييات منقوشة فى الجهات على الخشب

(110) كـردار ج 2 ص 461 .

(111) تاريخ المغرب - طيراس ج 2 ص 189

(112) مناهل الصفا (نقل الناصري فى الاستقصا ج 3 ص 65 )

والزليج والجيس وقد هدم المولى اسماعيل هذا القصر عام 1119 هـ « ولم يبق بلد - كما يقول اليفرنى - من بلاد المغرب الا دخله شيء من انقراض البديع » .

ومن المؤسسات الدينية السعدية مسجد باب دكالة الذى بنته مسعودة المراكشية والددة المنصور ويتناسق فى هذا المسجد الاسلوب المرينى ( الصحن المربع ) مع بعض معالم الفن الموحدى . مثل هندام القباب وبعد ذلك بخمس سنوات اسس جامع المواسين بمرافقه من قاعة الضوء والحمام والمدرسة والكتاب (أي المسيد) والسقاية ومورد الماء المخصص للحيوانات وتتم هذه المظاهر الجزئية عن استمرار تقاليد العصور السالفة فى الحقل العماري .

اما فى جامع القرويين بفاس فان السعديين بنوا قبتين فى الصحن تتوسط كلتيهما خصة مرمية شبيهة بما يوجد فى ساحة الاسود بالاندلس .

وقد اسهم السعديون فى بناء مدارس صفرى مضافة الى المساجد او الزوايا حيث توجد مثلاً فى مراكش عاصمة السعديين اعظم مدرسة بالمغرب (113) يرجع فضل تجديد بنائها الى الامير مولاي عبد الله وهي مدرسة ابن يوسف التى تستمد اسمها من الجامع المجاور لها وقد بناها ابو الحسن المرينى (114) وكان اهم ماوى لطلبة جامعة ابن يوسف حيث تحتوي على نحو المائة غرفة الا ان مصلحة الآثار تبشر الآن ترميمها لاحتلتها الى مؤسسة اثرية حفاظا على روائعها الفنية وقد خصصت وزارة التربية الوطنية اعتمادات لاصلاح مثيلاتها من المدارس الاثرية المرينية بفاس .

اما قبور السعديين فانها اقيمت على غرار اضرحة المرينيين بساحة - قرب مسجد القصبية بمراكش لدفن امراء الاسرة المالكة .

ويلاحظ بخصوص المؤسسات العسكرية ان الانقلاب الذى طرأ على الاساليب الحربية تحت تأثير

حركة النهضة الاوربية وانشقاق عهد الآلة وغزو المسيحيين للتراب المغربى كل ذلك حدا الدولة المغربية الى تعديل مناهج وطرق التعمير فالاسوار المحيطة بالمدن الكبرى تعزز بأبراج مجهزة بعتاد جديد لمقاومة المدفعية ومن جملة هذه المعاقل المجردة « باستيون » ( أي حصن ) تازة الذى بناه المنصور استجابة للخواجز العسكرية القاضية بتزويد ممر تازة الواصل بين الشرق والغرب - بالاجهزة الدفاعية المناسبة وهذا الحصن عبارة عن مؤسسة ضخمة مربعة الشكل يبلغ طول اضلاعها ستة وعشرين مترا وتطل منها على المدينة ثلاث عشرة غرفة للرماية كما تحتوي على مستودعات للعتاد وقد اقام المنصور كذلك بفاس (115) برجيين آخرين يشرفان على المدينة وما زال البرج الجنوبي على حالته بينما ادخلت تعديلات على البرج الشمالي خلال اقرون الاخيرة وتجدر الاشارة هنا الى ان السعديين اضافوا اجهزة قوية جديدة الى المعاقل والحصون البرتغالية فى المدن المحررة ( اسفي وأزمور والجديدة ) كما بنوا فى طول البلاد وعرضها قناطر - ذات طابقيين استراتيجي ونفعي - ومعايير لنقل المياه وسقايات عمومية على غرار سلفهم .

وقد لاحظ طيراس (116) أنه بالرغم من الجهود التى بذلها كبار الامراء السعديين فانهم لم يسهموا فى انبعثات الحضارة الاسلامية بالمغرب « ذلك ان المدنية والفن كانا متجهين نحو الماضي فلم تستطع بعض التأثيرات الاجنبية تعديل الاصول القديمة ولا تركيز بذور اختلاق جديد » فالفن المغربى اذن هو حسب طيراس « فن خال من كل غش تكتنفه روائب الماضي » غير ان صلات عابرة وغير مباشرة بالفنون الاسلامية الشرقية تحققت من جديد بفضل ما كان للسعديين من علاقة بالاتراك ولعل بعض هذه الآثار تتجلى فى فن الطرز والنسيج والتجليد والتذهيب وكذلك فى بعض ازياء الرجال لاسيما منها العسكرية نظرا لتأثر امراء سعديين مثل عبد المالك الذى عاش فى تركيا ببعض مجالي الحياة فى هذه البلاد .

(113) الهندسة المعمارية الاسلامية ص 392 .

(114) الاستقصا نقلا عن نزهة اليفرنى ج 2 ص 56 .

(115) يظهر ان مدينة فاس اعيد بناؤها أيام السعديين ففى عام 1033 هـ انهارت معظم البنايات فقضى

على الباقي لاعادة بناء الكل ( نشر المثاني للقادري ص 149 ) .

(116) تاريخ المغرب ج 2 ص 234 .

والتنميق فقدت بساطتها من جهة ولكنها ازدادت  
خفخة ورواء من جهة أخرى (117) .

ومهما يكن فإن الفن المغربي الذي استنفد قواه  
أصبح يبرز تحت عناصر قوية في النقش والزخرفة

## 2) العصر العلوي

عقدين من السنين إلى الجولة في أقصى الأقاليم  
التي جهزها بقلع يبلغ عددها ستا وسبعين في المغرب  
وشمال الأطلس (120) .

وفي مكناس التي اختارها مولاي اسماعيل  
عاصمة أقام قصورا فخمة داخل القصبة نفسها منها  
مدينة الرياض التي لم يبق منها سوى باب الخميس  
وقد سبق للموحدين أن جددوا بناء مكناسة المسماة  
بتكرات ( أي المحلة ) ثم بنى المرينيون قصبتها علاوة  
على ما شيدوه بها من مساجد ومدارس وزوايا  
وربط وعندما أراد المولى اسماعيل بناء الرياض  
هدم ما يلي القصبة من الدور وبنى سورا على الجانب  
الغربي وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده  
في القصبة القديمة ولم يبق أمامه إلا الفضاء فجعل  
ذلك كله في قصبة وبنى سور المدينة وأفردها عن  
القصبة جالبا الصناع لذلك من جميع حواضر المغرب  
وقبائله وكان قد سبق له أن أسس قصر النصر أيام  
أخيه مولاي رشيد (121) وقد وصف الناصري قصور  
مكناسة ومساجدها ومدارسها بأنها « فوق المعهود  
بحيث تعجز عنه الدول » كما ذكر الزباني أنه شاهد  
في آثار الدول أعظم من آثار هذا الأمير (122) ولا  
يخفى ما في ذلك من إيغال بالرغم عما تم عنه بعض  
الآثار الباقية من روعة الأصل (123) .

العلويون شرفاء حشنيون انحدروا إلى المغرب  
من الجزيرة العربية وأول من دخل  
منهم إلى تافيلالت مولاي حسن بن قاسم أواخر المائة  
السابعة وقد قام محمد بن الشريف في سجنماسة  
عام 1045 هـ فبايعه الناس نظرا لرهادته  
وتقواه وواصل كفاحه ضد بعض الأقاليم المستقلة  
وعندما استتب الأمر للعلويين في عهد مولاي الرشيد  
بدأ هذا الأمير يهتم بتجديد معالم الفن المريني  
والسعي بتعزيز الأجهزة العسكرية ومتابعة بناء  
المعاهد والمدارس والمساجد وقد استطاع إقامة بعض  
المؤسسات رغم قصر أمد إمارته المملأ بالحروب ومن  
ذلك بناؤه عام 1075 هـ بالأجر والجبر في نهر  
سبو وعلى بعد أربعة كيلومترات من فاس لقنطرة  
طولها مائة وخمسون مترا مرفوعة على أعمدة تتخللها  
ثمانية أقواس ( ثلاثة منها إنما بناها سيدي محمد  
بن عبد الله - الناصري - ج 4 ص 121 ) ثم تقوية  
أسوار فاس البالي كما شرع عام 1081 هـ في بناء  
مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز ولا تخلو هندسة  
ونقوش هذه المدرسة من جمال إلا أن معالمها بعيدة عما  
يتسم به الفن المريني من صفاء (118) .

واقوى أمير واعظم بناء في الاسرة العلوية هو  
مولاي اسماعيل (119) الذي وجه عناية خاصة إلى  
مكناس إلا أن مقتضيات التهدة اضطرت له خلال

- (117) تاريخ المغرب ، كواسك دو شافر وبير ، الفصل الخاص بالسعديين .
- (118) تاريخ افريقيا الشمالية لاندري جوليان ص 490 وقد استعيرت بهذه المدرسة عن مدرسة  
اللبادين وهي تحتوي على عدة غرف ذات نوافذ .
- (119) الهندسة المعمارية الإسلامية في المغرب - جورج مارسي ص 383 وقد وهم مارسي فذكر أن  
مولاي اسماعيل هو ولد مولاي رشيد .
- (120) راجع كتابي حول مظاهر الحضارة بالعربية والتيارات الكبرى لحضارة المغرب بالفرنسية  
( ص 90 ) .
- (121) الاستقصا ج 4 ص 3 .
- (122) الاستقصا ج 4 ص 48 - 49 .
- (123) في عام 1145 هـ أمر السلطان مولاي عبد الله بهدم مدينة الرياض ( الزباني - الترجمان  
المغرب عن دول المشرق والمغرب ) ترجمة هوداس ص 71

استعانة السلطان بمهندس اوربي لتخطيط هذه  
البنية .

وفى فاس الجديد يوجد المسجد الذى بناه  
مولاي عبد الله نجل المولى اسماعيل اما مسجد باب  
الكيسة ( باب عجيسة من ابواب فاس البالي ) فهو  
حديث العهد وقد ادخلت عليه اصلاحات فى السنوات  
الاخيرة .

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على  
صحون - قليلة العدد - تخترق المسجد على نسق  
ما عوهد فى فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا  
باستثناء الفترة المرينية . اما فى الرباط فان جامع  
السنة الواقع خارج مشور تواركة من بناء سيدي  
محمد ابن عبد الله الذى اوصل الناصري الى نحو  
السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد  
فى كثير من مدن المغرب علاوة على الصقائل والابرار  
والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن ( انفسا  
وفضالة والمنصورية والصويرة (125) .

وقد تجدد جامع السنة اواخر القرن الماضي ثم  
فى السنين الاخيرة وكان يحتوي على ساحة تحتل  
المقام الاول - مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا -  
بين مساجد المغرب وتقوم فى جانبها الموازي للقبلة  
ست عشرة غرفة كان يسكنها الطلبة الافريقيون  
ويشبه هذا المسجد فى معالمة المعمارية الخاصة مسجد  
لالة عودة بمكناس وقد تجدد بناؤه فأصبح ارووع  
المساجد وابهاها فى المغرب .

اما فى الهندسة العسكرية فان العلويين ساروا  
على غرار سلفهم السعديين فالملوي اسماعيل اعظم من  
اقام القلاع والحصون وتنقسم القصبات التى أسسها  
الى ثلاثة انواع تبعا للمراد منها حسب المؤرخ  
طيراس (126) فهناك نقط محصنة حول القبائل  
التمردة وسلسلة من القلاع فى تادلة واعلى الملوية  
لصد قبائل الاطلس ثم سلسلة ثالثة من القلاع  
أسست على طول الطرق الكبرى الممتدة بين تازة  
وتارودانت وقد توفرت كل حامية على جمهرة من

وتقوم الى الآن وسط بقايا هذه القصور الدار  
البيضاء التى بناها السلطان مولاي عبد الله والتى  
رمت واحيلت الى اكاديمية عسكرية وتوجد امام هذه  
الدار ساحة فسيحة كانت تجري فيها تدريبات  
الجيش واستعراضاته وكان السلطان يجلس مع  
حاشيته اثناء حفلات الاستعراض او استقبال القواد  
والولاة داخل رواق جميل (124) مرتفع ومتفتح فى  
احدى زوايا هذا القصر .

وفى مراكش اقيمت دار المخزن بساحتها  
المفروسة المعروفة بعمرسة النيل ومنازها وقبتها  
الكبرى المدعوة الستينية ومساكنها واروقتها العديدة  
ومسجدها مع مختلف ملحقاتها المحادية لتصدر  
البديع .

وبالهاية دار الوزير باحماد من اجمل وأروع  
قصور عاصمة الجنوب .

ومن المساجد التى يرجع تاريخها الى العهد  
العلوي مسجد لالة عودة الواقع داخل القصر الملكي  
بمكناس وقد فتحت بالقرب من المحراب باب تتصل  
بممر مستطيل يؤدي الى القصر الملكي ومن هذه  
الخوخة كان السلطان يدخل بعد اداء فروضه الى  
الستينية التى تقطنها الآن اسرة مولاي عبد انرحمن  
ابن زيدان مؤرخ الدولة العلوية وتقيها سابقا وتقوم  
بجوار هذا المسجد مدرسة ومراحض جدت الاوقاف  
معالمها بعهد الاستقلال .

وتدين العاصمة الاسماعيلية للمولى محمد بن  
عبد الله بأعظم جوامعها وهو جامع الروى الذى اكــد  
مارسي أن مظاهر روعته وجماله تتجلى فى تناسب  
صحونه وبساطته وبتصميمه الذى عولجت فيه  
العناصر التقليدية بروح اجنبية عن الفن الاسلامي  
وبانعدام اي ممشى وبتناسق اجزاء الصحن الخارجي  
الذى لا يحيط به أي رواق ثم وضعيعة الابواب  
وتوزيعها الخاص المنافين للمعهد فى خوخ المساجد  
المغربية مما يدل فى نظر المؤرخ الفرنسي على

(124) جورج مارسى - الهندسة المعمارية ص 397 .

(125) الاستقصا ج 4 ص 121 .

(126) تاريخ المغرب ج 2 ص 358

الفرسان تتراوح افرادها بين اربعمائة وثلاثة آلاف رجل (127) .

ومن جملة القلاع المهمة التي ما زالت قائمة الى الآن قلعة ادخسان في الشعاب الشمالية للاطلس واكوراى ( وهي التي احتفظت اكثر من غيرها بهندامها الاصلي ) التي تراقب الاطلس الاوسط وقلاع تادلا وحמידوش ( على مسافة ثلاثين كم من آسفي ) وبو الاعوان ( على بعد 60 كلم من ازمور ) ومديونة ( على مسافة 20 كم من الدار البيضاء ) .

وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بأبراج مربعة الشكل او مستطيلة في احد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن والغالب ان القلعة لم يكن لها اكثر من سور واحد عدا قلعتي حميدوش وتادلة اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة .

وقد جهزت المدن كذلك بالصقائل والحصون (128) وانتشرت القلاع على ساحل المحيط الاطلنطي بفضالة (المحمدية الآن) والبيضاء والعرائش وطنجة والصويرة وبالاخص الرباط حيث تشرف اعظم واروع قصبة ( قصبة الاوداية ) على مصب ابي رقراق وتوجد بهذه المدينة ابراج ثلاثة اخرى هي برج الصراط وبرج صقالة (من بناء المهندس احمد الانجليزي في سنتي 1755 و 1776 م) في عهد سيدي محمد بن عبد الله وبرج الدار الحديث العهد ( عام 1824 م ) (129)

ومن بين العمارات الاستراتيجية العلوية القنطرة فوق نهر سبو على مسافة اربعة كيلومترات من فاس ( وهي من بناء مولاي الرشيد ) وقنطرة ام

الزريع ( بنيت ايام مولاي اسماعيل ) والتي لا يقل طولها عن طول القنطرة الرشيدية مع عشرة اقواس من الحجر .

اما الدار المغربية فانها احتفظت بتصميمها وهندامها المعماري اللذين اصبحا المظهر التقليدي منذ نهاية العهد المريني اي منذ نحو من خمسة قرون فالباحة الداخلية التي تتصل بالخارج عن طريق ممر منعرج - يتناسب مع لوازم الحجاب العرفية - محاطة بأروقة مسقفة مستطيلة تتفتح فيها غرف ذات أبواب ضخمة تعلوها شمسات مفرغة وتقوم على جانبها نافذتان متوازيتان وفي احد جوانب « وسط الدار » يوجد بهو منق الجدران كباقي اجزاء المنزل علاوة على سقاية تواجه البهو احيانا او فسقية فوارة .

ويرى المؤرخ جورج مارسي ان الدور المغربية تتسم ببياسم ثلاثة او ترجع الى ثلاث مدارس :

(1) مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل

(2) مدرسة مكناس وفاس

(3) مدرسة مراکش ومدن او قرى الجنوب

فالتصميمات واحدة في هذه المدارس وانما يختلف الهيكل العام ومعالم الزينة تبعاً لهذه الاقاليم فالاسلوب الموحد يفلب وجوده في المدن ذات الطابع الاندلسي حيث تحيط مثلاً الحنايا الحجرية بساحة الدار الوسطى (130) وهذه الطريقة الهندسية مقتبسة من الاندلس .

(127) ذكر الزباني في الترجمان ( ترجمة هوداس ص 35) ان عدد فرسان كل قلعة كان يبلغ مائة على راسهم قائد مسؤول عما يقع في اقليمه من احداث وكان في قلعة باب الخميس حامية تتركب من خمسمائة فارس من شراكة كلفوا بالسهر على الامن في الطريق الواقعة بين السائس والمهدومة ( وادي المهدومة من فروع سبو )

(128) كان عدد المدن في العهد العلوي مائتين وخمسين مدينة لا تحتوي اصغرها على اقل من ثلاثين الفا من السكان وكان بفاس ستة عشر مائة الف نسمة ( اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب - دوفونطان ماكسانج ص 14) هذا بينما كان عدد كبريات الحواضر في الاندلس يبلغ العشرين حسب ابن سعيد والمدن الوسطى ثلاثمائة مع عدد ضخم لا يحصى من المراكز الصغرى من بينها اثنا عشر الفا على ضفتي الوادي الكبير وحده ( نفح الطيب ج 1 ص 106 ) .

(129) تويريخ الرباط لكايي ص 30 .

(130) هذا الاسلوب يفلب حتى بفاس التي يسود دورها الطابع المريني وتلاحظ كذلك تأثيرات اوربية في هذه المدن اذ لا ننسى مثلاً ان السوييد والدانمارك كانتا تمدان السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمهندسين وصناع في فن البناء (كودار ج 2 ص 564)



وفى بعض المدن كفاس حيث تسيطر التقاليد المرينية تحتوي الدار على طبقتين او طبقات تتوفر فيها مظاهر الزخرفة بينما يتبسط هذا الاسلوب فى مدن الشمال الاخرى كوازان وتازة ( باستثناء تطوان الاندلسية الهندام )

وسواء فى الجنوب ام فى الشمال فان الطوب والاجر يتعارضان مع الاحجار غير المنحوتة والمكلسة فى الرباط وسلا ويتجلى ذلك فى نصاعة البياض فى هذين المدينتين بالنسبة لمراكش الحمراء غير ان معظم الدور الكبرى كانت تحتوي على روض يشغل جناحا خاصا باروقته وغرفته وظلت بعض المدن متمسكة بهذه التقاليد الرومانية او الاندلسية ففى تطوان مثلا يملك الاثرياء مصطافات « وجنات » قمضاء حقبة من فصلي السيف او الربيع ولم تكن اثمان العقارات مرتفعة بالبادية فالفكتار الواحد من الحدائق المفروسة كان يساوي آخر القرن الماضي بطنجة مائتي فرنك بينما كانت قيمة الفدادين ( من 7 و 8 هكتارات ) لا تزيد على مائة فرنك اما فى الداخل فكان فى وسع المرء ان يصبح ملاكا بمائتي او ثلاثمائة فرنك (131) . وقد تجلى ذوق الملوك فى غراسات بعض الضيع كالمنازة بمراكش ولالة مينة بفاس وجمرية بمكناس واكدال بالرباط .

ويعيش المغرب الآن حالة على روائع الماضي فكبريات المدن فقدت كثيرا من مظاهرها الفنية الكلاسيكية ومدينة فاس التى كانت تنافس حاضرة بغداد قد تهدم الكثير من آثارها وقد وصف كامبو هذه المعالم عام 1886 م فلاحظ فى نفمة المتشائم ان الحالة المادية بالمغرب لا تزال على ما كانت عليه فى القرن الثالث عشر الميلادي مع انحلال فى عناصرها اذ كل شيء بال عتيق منخور فى معظمه لانعدام اي اصلاح (133) الا ان مصلحة الآثار تبذل الآن جهودا لترميم الآثار التاريخية التى يهددها الحدثان مع محاولة الاحتفاظ بالاساليب الكلاسيكية فى الفن المغربي بالإضافة الى حركة التجديد التى تسير التطور العالمى وقد لخص الاستاذ طيراس مجالي الفن الاندلسي المغربي فى العهد العلوي بعد مرور أربعة قرون على سقوط غرناطة فلاحظ ان الاشكال والرسوم المعمارية تحجرت لاسيما فى المساجد الكبرى

والقصور حيث تطبعها الآن « وحدة قوية » اما فى الدور والاضرحة والمساجد الصفري فالملحوظ هو وجود اتجاهات اخرى لا يتردد طيراس فى اعتبارها « مدارس حقيقية » ويلوح لي أن الامر لا يعدو نوعا من التحجر المحلى بحيث تبلورت بعض الاساليب الكلاسيكية الغالبة فى هذا الاقليم او ذاك بنوع من التبادل بين الجهات المختلفة لم ينصر على اثره الفن فى بوتقة واحدة فقد استمرت التقاليد المرينية بفاس ( وكذلك فى مكناس رغم الفترة الانتقالية العابرة أيام مولاي اسماعيل ) وهكذا فالمسحة بل الشكيلة الموحدة ( الحجر بدل الاجر مثلا ) المسيطرة بالرباط مدينة المنصور وبمراكش عاصمة بني عيد المومن لا تسمح لنا بالحديث عن مدارس معمارية مختلفة فضلا عن وجود انقسام بين الاتجاهات الفنية التى ترجع فى نظري الى عوامل اجتماعية تاريخية هي نفسها مستديمة التقاب ولعل هذا هو الذى يفسر لنا مظهر التجانس بين اجزاء الهيكل المعماري العام فى حواضر المغرب فالدور الانيقة لا يختلف كثيرا بعضها عن بعض من حيث الشكل واسلوب الزخرفة ذلك ان وفرة الجزئيات والزخارف المرينية من جهة وبساطة نقوش الآثار الموحدة مع صفاتها وفخامتها من جهة اخرى لم يعد لهما حيز اقليمي خاص لاسيما فى العصور الاخيرة حيث تحقق بين الحواضر الكبرى ( كفاس والرباط ومراكش ) تداخل عميق اسفر عن وجهات متساوقة وحيوية فياضة هي فى نظري سر هذا الطابع العام الموسوم بالوحدة ولكن هذه البوتقة لا تلبث ان تصبح وعاء لانصهار العناصر المختلفة فى فن جديد تتسق فيه معطيات العصور وتنبثق عن مزيج كلاسيكي وعصري

فهل من مصلحة هذه المعالم ان تتحد ؟ ام ان سر جاذبيتها كامن فى اختلاف معالمها ؟ ام ان استمرار اصالتها لابد ان يركز على نوع من الامتزاج ؟

الواقع أن الهندسة والاساليب المهنية البربرية العتيقة التى يظهر انها تحجرت فى البادية والجبال يجب ان تنتعش بمعطيات الفن فى الحواضر ولكن دون مساس باصالتها ويجب ان ينبثق كل تجديد عن حاسة عريفة بالجمال وشعور تلقائي بدافع التكيف

(131) كودار ج 1 ص 190 .

(132) حضارة العرب - كوستاف لوبون ص 263 ( الطبعة الفرنسية )

(133) كتاب «مملكة تنهار او المغرب الحديث» ص 19 .



لا تلذّب معه الخواص الجهوية التي هي أسس كل أصالة .

الابراج المظلة على الوادي ، وأقام البناية التي تضم الآن المتحف والتي قيل عنها انها كانت مدرسة .

وقد ترك لنا رجالون غربيون تواردوا على المغرب في القرون الاخيرة صورا وخرائط وتصميمات عدلنا عن الاستناد اليها لتناقضها مقتصرين على بعض النصوص التاريخية القائلة مثلا بأن المراكب المسيحية كانت تلقي مراساتها تجاه القلعة التي كانت ترابط بها في العهد الرشدي حامية مؤلفة من ثلاثمائة جندي اضيف اليهم العبيد أيام المولى اسماعيل الذي اكتفى بهم في آخر الامر وكانت القصة آنذاك تصوب فوهات مدافعها الى رباط الاندلسيين كما توجه بطارياتها تجاه البحر لصد غارات المراكب الاوربية على أن القصة نفسها كانت تخضع لمراقبة قصر مولاي رشيد الجديد المشرف عليها ، وكانت باب من خشب تقفل المدخل الاساسي للقصبة التي توافرت في جنباتها المساكن والاصطبلات والمخازن حول القصر الموحي بالمقابل للجامع العتيق بسراديه المشحونة بالعناد بمنأى من قنابل العدو فكانت القصبة كناية عن حاضرة صغيرة ينعقد تحت جدرانها سوق النخاسة للأسرى .

وعند انشاق عهد السلطان محمد بن عبد الله دعت الحاجة الى تنظيم الادارة وتعزيز الثغور وتجديد الاسطول وتشجيع القرصنة والتجارة فأسهمت حاضرة الرباط بحظ وافر في هذه البادرات وكان السلطان يتوفر - حسب شيني (136) - على ستين مهناسا ومائتين من المدافع معظمها في الرباط والصويرة وهو عدد ضخم بالنسبة للعصر ، وقد قام السلطان بدعم القصبة من جديد وترميم ما تهدم منها وبناء برج كبير يسمى صقالة على يد احد الاعلاج الانجليز معززا ببطاريات تحرس الساحل على طول المسبح وبرج الصراط والفي المر المغطى بين القصبة والقصر الجديد ، كما هدم القصر الموحي الذي احتفظ الى ذلك العهد بجميع مقومات الراحة وكان السلطان قد أسس خزينة ( بيت المال ) لاداء أجور الجند في

ولنضرب مثلا بروعة المآثر العلوية في حاضرة المغرب السياسية : رباط الفتح ، فقد دشّن المولى اسماعيل الانطلاقة المعمارية الرائعة باقامة مدينة الرياض بمكناس التي بلغ طول اسوارها اربعين كيلومترا واحتوت على قصور فخمة ومخازن واهراء واسطبلات ومساجد وقد شبهها البعض بمدينة فرساي الفرنسية من حيث الضخامة والروعة .

ويظهر ان اهتمام كل من مولاي رشيد ومولاي اسماعيل انصب خاصة في الفترة العسكرية الاولى على قصبة الاوداية التي لم تكن لتخفي عليهما قيمتها الاستراتيجية فقد وسع المولى الرشيد هذه القلعة باقامة السور المحيط بحديقة متحف الاوداية على طول مساحة سوق الفزل كما ادخل تعديلات على البرج الشرقي للقصبة وبنى قصرا جديدا سمي بعد بالقلعة ( أي الثكنة العسكرية ) وهو انسجن الحالي يصله بالقصبة جدار كبير (134) حسب موييت Mouette الذي لاحظ ان هذا الجدار الذي كان يدعمه برجان اثنان قد اقيم على حنايا بينما اوضح القنصل الفرنسي شينيي (135) Chénier ان هذا الجدار كان عبارة عن طريق مغطاة ويظهر ان الوضع الذي شاهده القنصل الفرنسي راجع الى تعديلات لاحقة طرات على هذا المر .

اما السلطان مولاي اسماعيل فان اهتمامه ببناء القلاع والحصون في طول المغرب وعرضه قيد حذاه الى مزيد من العناية بقصبة الاوداية لاسيما وان استمرار القرصنة جعل من هذه مركزا بحريا من أهم المراكز الاستراتيجية ومعنوم ان هذا السلطان تنازل عن الحقوق الملكية في نهر ابي رقراق واوقف ارباع صيد الشابل على مساجد العدوتين كما رمم جوانب من سور القصبة وجدد - حسب موييت - بناء بعض

(134) مذكرات الأسر ( ص 19 )

Relation de la captivité de sieur Mouette dans les Royaumes de Fès et de Maroc, Paris 1683 p. 19.

(135)

Recherches historiques sur les Maures et Histoire de l'Empire du Maroc, 3 vol. Paris, 1787 (T. 3, p. 27-359).

(136) نفس المصدر ج 3 ص 237 .

جميع مراسي المحيط الاطلنطيكي ، وكانت خزينة الرباط قائمة فى غرف باب القصبة ويظهر ان الباب الثانية للقصبة اسست فى هذه الفترة لان الخطر اصبح محصورا فى جهة البحر حيث ازدهرت القرصنة ضد اساطيل العدو .

وقد عمل السلطان سيدي محمد على اقامة صرح مدينة جديدة فى اكدال بالمشور الحالي وأسس دار المخزن وجامع السنة وجامع اهل فاس وهو اول عمل معماري عرفته الرباط منذ يعقوب المنصور الا ان الحاضرة العلوية تجاوزت آنذاك السور الاندلسي واستحالت الى حضرة سلطانية وقد اكد الناصري فى الاستقصا ان اكدال ازدان آنذاك بستة مساجد علاوة على جامعي السنة واهل فاس الا ان المدينة ما لبثت ان فقدت من قيمتها فى عهد مولاي اليزيد ، وقد عمل السلطان المولى سليمان على توسيع معالم المدينة ببناء قصر القبيبات « دار البحر » (الذى يوجد فيه الآن المستشفى العسكري) وجامع مولاي سليمان ( بين البوابة والسوق ) وجامع الجزارين ( بشارع القناصل ) وجامع القبّة ( بحمام العلو ) وجدد باب شالة فى السور الاندلسي وكذلك باب الحد بينما أهمل القصبة كل الاهتمام ومع ذلك فقد اصبحت الرباط مثل فاس ومكناس حضرة من حضرات السلطنة لاسيما فى ايام المولى عبد الرحمن الذى أصبح قناصله الدول يقدمون له بالرباط اوراق اعتمادهم الا ان هذا السلطان لم يضيف الى المدينة مآثر جديدة اذا استثنينا جامع سيدي فاتح وبعض الابراج والدور الجميلة وسنط جنان وحدائق غناء زرعت خارج السور ، وقد اصبح الملوك العاويون المتأخرون وخاصة سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الاول يواصلون المقام بالرباط، وقام السلطان محمد الرابع بتغيير وجه جانب من الحاضرة بما احدثه من بنايات أهمها القصر الجديد فى اكدال على انقاض القديم وهو القصر الملكي الحالي مع سور المشور المحيط بتواركة ( اي ساحة البلاط السلطاني ) علاوة على تجديد معالم جامعي السنة واهل فاس وايصال قنوات عين غبولة الى دار المخزن على قناطر معلقة لم تعد مستعملة منذ عقود من السنين وبذلك احيى محمد الرابع الحضرة

السلطانية التى اسسها خلفه الكريم محمد الثالث ، وقد صادفت بيعة الحسن الاول تأجج اطماع الاوربيين ودسائسهم بالاضافة الى مخلفات ورواسب حربي ايسلي وتطوان فاتجه الملك الشجاع الذي كان عرشه على صهوة جواده الى تعزيز الامن والنظام ودعم الثغور مع العمل على ترميم ما لحقه الخلال من مؤسسات الرباط وخاصة الجامع الكبير وقصري اكدال والقيبات ولم يكد يبرز فجر القرن العشرين حتى اصبحت الرباط مدينة حضرية ببورجواريتها الثرية وتقاليدها التي أضفى عليها جوار القصر الملكي طابعا من الروعة والمهابة بالاضافة الى ما تستلزمه جودة المناخ من رغد وازدهار حديا الجالية الاوربية الى الاستيطان على ضفاف أبي رقراق وخلق نوع جديد من التبادل الفكري والحضاري الذي تبلور مع الزمان فى اروع مظاهره حتى قال بعض المؤرخين الاجانب ان الرباط أمست « مفتاح المغرب » (137)

اما السور الرشيدى فانه يحاويه حديقة الاودية وساحة سوق الفزل على طول 131،6 م وقد أسسه بأمر من مولاي الرشيد قائد العدوتين احمد الربيعي ضمن مجموع سدس الزوايا والاضلاع يضم المتحف والحديقة وتخرقه اربعة ابواب معززة ببرجين من الطابية ومن مميزات هذه الابراج الرشيدية التى خالف فيها شكلية التحصينات الاندلسية المفريية ان ما يسمى بالسجف او البدنة ( وهو جدار الحصن القائم بين برجين ) بارز بالنسبة للسور ظاهرا وباطنا اي سواء من جهة الساحة ام الحديقة وقد نقش على جانب من البرج خمسة رسوم تمثل المراكب بصواريخها واشرعتها ومجاذيفها الاثني عشر فى كلتا الجهتين وهذه النقوش اشبه بالرسوم المنحوتة على ابواب السور الموحدى بالرباط او فى شالة ومهدية وباب المريسة ( بسلا ) وحصن تازا ومكناس وزرهون .

ويقع المتحف فى الجهة الغربية من الحديقة ، وقد أسس فى عهد مولاي اسماعيل ( كما تشهد بذلك الكتابة المنقوشة على الخشب فى ساحة المتحف (138) وتزدان خزائنه بنسخة من القرآن

(137) Archives du Protectorat - Consulat général de France à Tanger (« Dépêche », 1887)

(138) يقول مؤرخ سلا محمد بن محمد بن علي الدكالي ان نجل السلطان مولاي احمد الذهبي سكن فى المتحف عندما كان ينوب عن والده فى العدوتين .

كان قد حلى تجليدها بتمويهات الذهب الخليفة الموحي عمر المرتضى عندما كان واليا على القصبة قبل اعتلائه العرش ويحتوي المتحف على ساحة مركزية على غرار ساحات الدور الكبرى وغرف مستطيلة تمتد على الجوانب الاربعة مع مخادع صفرى وبرج فى الركن الجنوبي من خمس طبقات وثلاث ملحقات وهي مسجد وحمام (139) وقاعات صفرى وتسند الابهاء الاربعة خمس حنايا بأقواسها المكسورة والحدوية وقد اطلق اسم مدرسة على هذا المتحف فى آخر عهد الحسن الاول الا ان تصميمها لا ينطوي على بيوت للطلبة اذا اعتبرنا ان المدرسة كانت منذ العصور الاولى عبارة عن حي جامعي مصغر اللهم الا اذا كان ملوكنا الامجاد قد استفلوا قرب هذه البناية من المرسى لاحتها الى معهد للملاحة (140) بعد ان كانت مجرد دار ملكية للسكنى محاطة بحديقة ومسجد وحمام .

وكان السور العلوي الخارجى ينطلق من شاطيء المحيط الاطلسي في نقطة تبعد بالف وستمئة متر في الطرف الشمالي للسور الموحي وينقسم هذا السور الى شقين يبلغ طول احدهما 200 3 م ويصل الى اكدال بعد مايقطع شارع تمارة وشارع النصر الى باب مراکش التي ما زالت قائمة الى الآن بالقرب من السكك الحديدية ( خلف حديقة التجارب ) اما الشق الثاني فانه يتصل مباشرة بالسور الموحي ويبلغ طوله الفا ومائة متر ، وقد فتحت في السور اربعة ابواب ( باب القبيبات في جهة البحر ( او باب الدار ايضا ) وباب تمارة في الشارع الذي يحمل هذا الاسم او باب تامسنا ، وباب مراکش ( او باب الجديد او باب المجاز او باب المدير البراني ) وباب المصلى ( لقربها من المصلى الحالي ) وهكذا يمكن القول بأن السور العلوي بلغ طوله اربعة كيلومترات وثلاثمائة متر وكانت المساحة التي تفصل المحيط عن الصور الموحي اربعمائة وواحدا وعشرين هكتارا بينما كان مجموع المساحة

- بادراج المدينة العتيقة - يزيد على ثمانمائة واربعين هكتارا اي الضعف ولا نعرف بالضبط تاريخ بناء هذا السور نظرا لسكوت المصادر المغربية ككتب الزباني والضعيف والناصري عن ذلك عدا مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي الذي ذكر ان بانيه هو السلطان محمد الرابع (141) وقد هدم هذا السور ابان الحماية لتسهيل عمارة المدينة الاوربية ويظهر ان هذا السور لم يكن يحتوي على طريق معلقة ولا على ثغرات للرماية .

وهناك بنايات اقامها الملوك العلويون الامجاد في السور الموحي مثل برج لالة قضية قرب باب البحر التي كانت الفلك ( المراكب ) تنقل اليها الناس من سلا الى الرباط عندما كان ماء النهر يبلغ في مده هذا الجدار العلوي الا ان ارضة جديدة اسست منذ نصف قرن فصارت تحجز مياه الوادي وقد اقيمت عليها مخازن الديوانة وامكن لارساء السفن الصفري ومستودعات ملاحية مختلفة .

**المشور :** ويشكل المشور ( اي ساحة القصر الملكي ) مربعا تبلغ مساحته تسعة واربعين هكتارا وهو يحتوي الآن بالاضافة الى القصر الملكي المذكور على ضريح الحسن الاول الذي يضم جثث السلطان سيدي محمد بن عبد الله قدس الله روحه وجثمان جلالة الملك المرحوم محمد بن يوسف (الذي نقل الآن الى حسان)، كما يضم جامع اهل فاس والمجلس الاعلى للقضاء (الذي كان معهدا تلقى فيه جلالة الحسن الثاني نصره الله دروسه في السلكين الابتدائي والثانوي قبل الالتحاق بالعلي ) ووزارة الدفاع ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وملعب الفروسية والمطبعة الملكية ومساكن الحرس الملكي التي احييت الى دور عصرية بعد ان كانت عبارة عن « نوايل » او اخصاص قصديرية واصبح المشور في هدامه الجديد بحدائقه الفناء وفواراته النافورية واضوائه اللامعة وارصفته المبنطة صورة حية للمجهود الذي بذله العرش المغربي بعد الاستقلال في مجالات التخطيط والعمران .

(139) الحق بالمتحف عام 1941 .

(140) اشارت الى ذلك مصادر اجنبية وخاصة كتاب «الرباط وناحيته» الذي نشرته البعثة العلمية الفرنسية في اربعة مجلدات عام 1918 بباريس ( ج 1 ص 151 ) .

(141) يلاحظ كايبي في تاريخ الرباط ان ذلك غلط لان سيدي محمد بن عبد الرحمن هذا لم يعتل العرش الا عام 1859 م في حين ان Beaumier نائب قنصل فرنسا بالرباط تحدث منذ عام 1856 عما سماه بالسور الثاني للرباط ولعل كايبي وأهم في ذلك على ما يلوح لنا لانه ربما كان المقصود بالسور الثاني هو سور الاندلسيين وهو اقرب الى الاحتمال .

وينطبق سور المشور غربا وجنوبا على السور الموحدى بينما اضيفت لاستكمال تربيعه الجانبان الشمالي والشرقي وقد بنيت البابان الاساسيتان فى العهد المحمدي وصارتا تحملان اسم « باب السفراء » و « باب القيادة العليا » وتدل الكتابات المنقوشة عليهما ان احدهما من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن ( عام 1283 ) والاخرى من بناء ولده محمد الرابع مما يدل على أن السور يرجع عهده الى هذا التاريخ . ويبلغ طوله 1373 م كما تزدان ابوابه بحنايا مشرعة رائعة بنواتها الخفيفة وعقودها الركنية ومصاريعها الخشبية الثقيلة وتحصيناتها .

اما التجديدات والترميمات التى قام بها الملوك العلويون بالنسبة للسور الاندلسي فانها مستوحاة من تطور الحاجيات ولوازم الحضارة فمن ذلك باب تسمى « تقوية الراعى » ( كانت بجانب الجزيرة التى يحمل اليها الرعاة الغنم والبقر ) التى تحمل كتابات يرجع صنعها الى السلطان محمد بن عبد الله عام 1193 . بينما توجد باب اخرى متصلة بشارع الجزء تعرف بتقوية الطرافة ( اي باب الاسكافيين او مصلحي الاحذية ) وتدل الكتابات المنقوشة عليها انها جددت فى عهد السلطان مولاي عبد العزيز عام 1315 هـ . اما باب شالة المؤدية الى الجامع الكبير ( تسمى ايضا باب سيدي علي بورجي وهو الولي المدفون بلزائها ) فقد جددتها المولى سليمان فى 16 جمادى الثانية عام 1228 ( كما فى النقش ) ( 142 ) .

وكانت مدينة الرباط تضم بين جنباتها ازيد من خمسين مسجدا وزاوية فى اوائل هذا القرن ، وقد اسس معظمها فى العهد العلوي اهمها جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع اهل سوس وجامع اهل مراكش وكلها من بناء السلطان الامجد محمد بن عبد الله علاوة على ستة مساجد اخرى تهدمت مع ما تهدم فى اكدال ( 143 ) وسنستعرض على التوالي المظاهر المعمارية فى ثلاثة من هذه المساجد هي جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع ملين .

اما جامع السنة فقد اقيم بالجامع الغربى والطرف الشمالي الخارجى لمشور تواركة قرب ليسى مولاي يوسف الحالى وقد اكد الضعيف ان بناءه تم فى جمادى 1199 هـ ( مارس 1785 م ) على يد الملك الهمام محمد بن عبد الله الذى انفق عليه أموالا طائلة ، ويظهر انه ظل منذ تأسيسه نحو من عشرين سنة خاليا لبعده عن المدينة وقلة السكان حوله مما حدا للسلطان مولاي سليمان الى نقل اخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي ابن يوسف الذى انمحت آثاره الآن بمراكش ( 144 ) وكان بجانب المدرسة التى تحمل نفس الاسم ، وقد قام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتجديد بناء جامع السنة الذى أصبحت الصلوات الخمس تقام فيه بانتظام مع خطب الجمعة وذلك بعد ما بادر الى زيادة تعمير حي تواركة بعبيد البخاري واهل سوس ثم اقامة دار المخزن والمشور السعيد ولم تزد الترميمات الجديدة على دعم صحن الصلاة بروافد خارجية دون تعديل التخطيط الاصلي للجامع مع اضافة جناح وباب جديدين خلف المقصورة وربما ايضا دار للوضوء قرب الصومعة ومخدع مستطيل وراء المحراب يرجع تاريخه الى عهد السلطان مولاي عبد العزيز ( 1325 - 1907 ) . واول ما بيده الزائر لجامع السنة مساحته الشاسعة وتناسق اجزائه وبساطته ، واذا اعتبرنا تخطيطه الاصلي فان المساحة تكون عبارة عن مربع كامل ( 740 م فى 740 م ) اي 5565 متر مربع ، وهذا الجامع من اكبر مساجد المغرب ولا يفوقه فى الضخامة عدا جامع حسان ( 25 523 متر مربع ) وجامع القرويين ( 6 300 متر مربع ) بينما تزيد مساحته على مساحات جامع القصبه بمراكش ( 5 512 متر مربع ) وجامع الروى بمكناس ( حوالى 4 930 متر مربع ) وجامع الاندلس بفاس ( نحو 4 760 متر مربع ) والجامع الكبير بتازا ( 3000 متر مربع ) والجامع الكبير بالرباط ( نحو 2000 متر مربع ) واذا كان شكله المربع عاديا بالنسبة للمساجد الصغرى فانه نادر اذا نظرنا الى الجوامع والمساجد الكبرى . وكان للجامع ثلاثة صحنون معترضة مفصولة بعضها عن بعض بخمس عشرة حنية فى الاتجاه الشمالي

( 142 ) ويؤكد الضعيف هذا التاريخ ( مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص 499 )

( 143 ) كما ورد فى الاستقصا وفى البستان لابي القاسم الزباني ( ص 173 من مخطوط مكتبة ابن

زيدان ) وفى تاريخ الرباط للضعيف .

( 144 ) كاييى - تاريخ الرباط ص 458

الشرقي والجنوب الغربي كما هو الشأن في جميع مساجد العهد العلوي وخاصة في جامع الروى ولالة مودة ( مكناس ) وجامع مولاي سليمان ( الرباط ) وجامع الرصيف ( فاس ) وهو اتجاه مقتبس من الهندسة المعمارية التي عرفت منذ القرون الاولى في كل من جامع القرويين وجامع الاندلس بفاس ولعل الاتجاه الملحوظ في عهد العلويين يمس الخلف القائم بين الفقهاء حول مفهوم الحديث الشريف « ما بين المشرق والمغرب قبله » والذي قرر العلماء المتأخرون انه خاص بموقع المدينة المنورة خلافا لما ارتآه الظاهرية في عهد الموحدين وان المفهوم الصحيح لهذا الاتجاه بالنسبة للمغرب هو « ما بين الشمال والجنوب ».

اما ساحة الجامع فان شكلها حرد ( اي بعضها أطول من بعض وغير متساوية في الطول ) وهي أوسع من الصحن وتحتوي في طول الجدار الشمالي الغربي على سلسلة غرف ( كان الطلبة يسكنون بها ) ورواق مربع ( استخدم كزاوية تجانية داخل الجامع ) تقابله الصومعة في الطرف الآخر الملاصق لدار الوضوء ، وكان المصلون ينفذون الى الجامع من خمسة ابواب ( ثلاث منها في واجهة المسجد ) علاوة على الباب السادس المضاف وراء المحراب .

وقد بنيت معظم جدران الجامع من الملاط القوي القليل الكلس والمخلوط بشظايا القرميد والأجر اما هياكل الابواب فانها من الحجر المنحوت المغطى بطبقة كثيفة من الجير بينما بنيت الاساطين الداخلية المربعة بالأجر وكذلك الحنايا والاقواس ويتجلى المحراب في شكل هرم ذي خمسة رفارف أو ذبول وتغطي سقوف جملونية من البرشلة ذات منحدرات اربعة صحن المسجد الواسعة التي يبلغ طولها واحدا وسبعين مترا وعرضها سبعة أمتار وتعتمد اربطة الجملون (وهي خشبات تصل كل واحدة منها طرفي الجملون ، وتبعد بينهما ) في أطرافها على مساند ناتئة مفروزة في الجدران وتزدوج هذه الأربطة فوق الاقواس الا ان المجموع يخلو من طابع الرشاقة الذي عمل السلطان محمد الرابع على اضافته على الجامع عندما أضاف الى الصحن اروقة جديدة وابهاء بأساطينها الضخمة الاربع عشرة التي تصلها حنايا مكسورة ومتفتحة من الحجر المنحوت تقابلها في

الصحن الداخلية اقواس مكسورة حدوية ( اي على شكل نعل الفرس ) واسعة ذات مركزين يبلغ علوها أزيد من خمسة أمتار وانفتاحها ثلاثة أمتار ونصف متر اي تسعة أضعاف البعد الذي يفصل المركزين وتقضي التقاليد المعمارية في المغرب بأن تكون هذه الاقواس ماطورة ضمن مربع مستطيل ومشعر ( اي يرتفع عقد قبتة فوق القوس التام او النصف الدائري ) وارتفاع هذه الحنايا هو الذي يضفي نوعا من الرشاقة على البناية التي تتسم بسبب امتداد الصحن ( 71ر71 مترا ) بشيء غير قليل من الضخامة والجلال يزيد بها بساطة وروعة خلق قبة المحراب الثمنة الشكل من العقود الركنية ومن المقربصات اللهم الا تلك القولية الخلابة التي تمتاز بها العضادات التقليدية الجامعة بين الزينة المقررة والخيوط المشبكة ولا ينفذ النور الى الصحن الا من خلال الحنايا المفتحة على الساحة الخارجية المنتظمة الهندام التي كانت مساحتها تبلغ 72 مترا عرضا في 42ر7 م عمقا قبل التوسيعات الملحقه آخر القرن الماضي والتي جعلت منها باحة مربعة ( 72 م في 73ر77 م ) وتتوسط ساحة الجامع فسقية من الرخام الابيض تحملها دعامة مرمرية ضمن مربع من الزليج العصري تفور من جانبها مياه غبولة وتقوم بين الصومعة والسرواق المربع ( الزاوية التجانية ) على طول الجدار الشمالي الغربي اربع بنايات تحيط بابواب الواجهة وتبلغ كل واحدة منها 4ر75 م عمقا و 12 الى 14 م عرضا وتحتوي كل بناية على اربع غرف كانت مأوى للطلبة الذين أنزلهم السلطان محمد بن عبد الله (145) بالجامع وأمدهم على ممر الايام بالثونة اللازمة تعميرا للجامع وتشجيعا لحملة العلم .

اما الصومعة فقد ظلت في شكلها الاصيل ومكانها الاول الى ان تقلت بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الى الركن المقابل حيث كان رواق التجانيين وذلك لتكون في سمت شارع محمد الخامس ، وكان علو المنارة يبلغ 24ر25 م اي ستة أضعاف القاعدة المربعة التي لا تتجاوز اضلاعها ستة أمتار اما الصاري الواقع تحت الجامور فان قسمه المربع يبلغ كل ضلع منه 3ر75 م وعلوه 6ر41 م ، وقد فتحت نافذة في كل ضلع ويحتوي الجامور على ثلاث كور من الخزف الاخضر المبرنش .



و جامع اهل فاس هو جامع المشور الذي اكده الضعيف انه من مآثر السلطان الامجد المولى محمد ابن عبد الله . الا ان بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد خالي الوفاض الى ان جاء السلطان الاكرم محمد الثالث ( محمد بن عبد الرحمن ) فجدد بناءه وموه سقوفه بالذهب والبرقشة ثم توالى التعديلات عليه وخاصة في عهد جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه الذي افرغ فيه اروع مجالي الفن المعماري الجديد نقشا ونحتا وتبليطا وقريبة وتزليجا . ولا يزال جامع الخطبة الملكية السامية يقصده الشعب من كل فج لتتلى بطلعة ملك المغرب الهمام الحسن الثاني نصره الله .

ويقع جامع ملين قرب الحديقة التي عرفت في عهد الحماية بحديقة المنظر المثلث Triangle de vue ولا تكاد نعرف شيئا يذكر عن هذا المسجد الذي ينسب بناؤه الى أحد أفراد عائلة أندلسية هي عائلة ملين في أوائل العهد العلوي وان كان من الصعب التسليم بذلك بسبب سكوت المصادر التاريخية والرحالين العرب والاجانب الذين وصفوا الحدائق والجنان في المساحات الشاسعة الخالية بين السورين الاندلسي والموحدي دون الإشارة الى هذا المسجد الذي قد تهدمت اليوم معالمه من سقوف وحنايا واساطين عدا منارته التي ما زالت قائمة الى الآن والتي يبلغ علوها ستة عشر مترا ( اي ثلاثة أضعاف ونصف عرضها ) ولا يزال الهيكل الاصلي واضحا في مساحة المسجد المربعة ( 23ر45 م في 23ر66 م ) وبلاطيه المعترضين واقواسه الكبرى السبعة المسندة بسوار ضخمة مربعة القاعدة علاوة على ثلاثة اقواس تصل البلاط بالصحن الخارجي والمحراب المشمن الشكل البارز في تنوء رباعي مستطيل خفف جدار القبلة والصحن اكبر بقليل من بلاطات الصلاة ( 209 متر مربع بدل 203 متر مربع ) وله شكل حرد ( اي بعضه أطول من بعض ) وينفذ اليه المصلون من باب واحد قبالة المحراب في الطرف الآخر والشئ الذي يمتاز به هذا المسجد بالاضافة الى بساطته هو اعتراض بلاطية على غرار المساجد العلوية وجامعي القرويين والاندلس . ولا اثر لاي نقش ولا ترخيم عدا في المحراب المحلي بقولبة من الجبس وبقبة مفصصة القويسات مثل باب الرواح ، وجامع حسان مع تناسق وانتظام في الصوص ورقة في الأبعاد والاحجام وتوافر الأجر والحجر غير المنحوت ومع ذلك فان التخطيط المعماري يترك في

وكانت الزخرفة بسيطة فالسوارى مجردة من التيجان كما ان الاقواس عارية من كل نقش ولا يوجد الخشب المنحوت الا في الباب الشارع من جدار القبلة وهي باب ذات حنية مكسورة ومشرعة مفصصة الزينة على غرار القويسات المطرزة في اطراف الثوب وهذه المفصصات مرسومة في شكل ثلاثة اشطرة دقيقة متداخلة وتحتوي الاطوار الماطورة على صور نباتية ملتفة محلاة بالافنان والورق ضمن طيقان زخرفية مقوسة نافذة تتوسطها زهرة رائعة المنظر في الوانها الزاهية من ابيض واخضر واحمر في خلفية زرقاء تبرز المجموع في حلة قشبية يتكاثف سقمها وبراعمها وانوارها وكؤوسها وتخاريمها وهذه الالوان الرائقة والرسوم المتشابكة مظهر من التراث الاندلسي المغربي الذي تزوج على مر العصور مع معطيات الفن الشرقي وخاصة السوري والمصري بفيسفائيه الزهرية وانتظام اجزائه ووضاء جنباته ، ويمتاز المحراب الى جانب ذلك بالنعوت على الجبس وتراكب الاقواس والكتابات الكوفية والحنايا المقلدة وقبة قد رسمت عليها نجمة ذات تفاريع تتوسطها قبيبة منجمة وهي زخرفة حديثة من معطيات فن القرن العشرين، تزيد روعة ما يمتاز به من قولة هندسية رقيقة وانتظام في التخطيط وجمال في الهيكل .

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - بأمر من جلالة الحسن الثاني أيده الله - بتجديد هيكل جامع السنة فنقلت عام ( 1969 ) منارته من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد ، وكان ذلك عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن المغربي الاندلسي بطابعه الخاص الذي اندرست معالمه في الوطن العربي كما تجددت سقوف الصحن والبلاطات وازدادت مختلف الاروقة بنقوش خلاصة وبرزت براعة الصانع المغربي في النحت على النحاس الاصفر اللامع الذي لبست به ابواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الفن بالمغرب فكانت هذه المظاهر وكثير من اشباهها في اجزاء هذا التجديد ضورا حية لعمق المكاسب الاندلسية والشرقية الاسلامية في حضارتنا الحديثة التي تضم الى رواء الجمال المصري جلال الفن التقليدي ، وقد اصبحت الصومعة الجديدة شامخة في هيكلها الضخم يراها الناظر وقد اطلت في سمت هندسي محكم على اكبر شارع في العاصمة هو شارع محمد الخامس رمز النهضة المغربية الحديثة ورائد الفكر الحضاري والاسلامي الجديد في المغرب العربي .

ويقع جامع مولاي سليمان في حي السوقية على مسافة اربعمائة متر من الجامع الكبير وهو يحمل اسم السلطان الذي أسسه حسب رأي مؤرخي الدولة العلوية ، وإن كان البعض يسميه جامع السوق والبعض الآخر جامع السوقية وتاريخ هذا البناء هو 1226 هـ ( 1812 م ) على ان الزياني يؤكد ان مسجدا آخر كان قائما بنفس المكان قبل المولى سليمان الذي لم يزد على كونه قام بتجديده وتوسيعه . تلك نماذج من الفن المعماري في العهد العلوي تبرز المجهود الذي بذله الاشراف لبلورة الفن وضمن وجود هذا التراث الاندلسي المغربي الحي .

النفس ارتسامة خاصة هي الشعور بالانسجام وشيء من الرشاقة وتناسب الزخارف رغم بساطتها والظاهرة البارزة التي تؤكد عدم نسبة هذا البناء للمهدين المريني أو السعدي هو انعدام أي اثر لتقاليد هذين العصرين ، والشبه الملحوظ في خصوص تصميمه وهيكله وتشكيله بينه وبين المساجد التي اقامها السلطان محمد الثالث كجامع السنة الذي يقول كايبي (146) انه صورة مصغرة منه ولعله من المساجد الستة التي اشار اليها أبو القاسم الزياني عندما عدد مآثر العرش العلوي في اواخر القرن الثاني عشر الهجري وهو من أبرز عصور الازدهار العلوية .

## الفن البربري والزخرفة المعمارية

وضخامة الهيكل قصور قواد الاطلس المكونة من دار القائد ومساكن الحاشية والمستودعات والاصطبلات والباحات الواسعة والحدائق المحاطة بسور تعلوه أبراج محصنة فهذه القلاع الافريقية .. تشرف من قممها الاستراتيجية السامقة على الدسكرة المجاورة متحدية هجمات المعتدين كما تتقارب مع الحواضر في مواد واساليب البناء فالطوب قديستعمل بدل الحجارة المنحوتة ولكن الاحجار العادية والاجر منتشرة وتمتاز الاخشاب في الاعمدة والابواب وكذلك الحدائق بنقوش وترصيعات جميلة بينما تزدان البيوت بأثاث يتناسق داخل هذا الاطار المعماري الرائع الذي تتحدد معالمه باطراد نحو الرقة ويحتوي الاثاث على صناديق منقوشة وملاعق واعمدة مرسعة للخناجر واوعية للبارود ومقابض للبنادق أو المسدسات واوان منمقة وركب منحوتة للفرسان وتتجلى في هذه البدائع عبقرية حق الا انها لا تعادل روعة الزخرفة ودقتها في كبريات الحواضر ويشتغل السوسيون والاسرائيليون خاصة في صهر الجواهرات الكريمة او المصوغات الذهبية والفضية المطعمة بالحجارة الثمينة كالخواتم ذات الصفوف والمعالق المذهبة والعقود والاسورة والاقراط والتيجان والخلخال الخ ..

أما صناعة الخزف في البداية فتكاد تنفرد بها النساء لاسيما في الريف والتسول ( ناحية تازة )

يتسم الفن البربري أحيانا بنوع من السداجة وهو يختلف كل الاختلاف عن الفن الحضري الذي يظفي فيه الطابع الاسلامي على اللون اليوناني الروماني .

ان الخيمة المتنقلة هي نواة « الدوار » تساعد على حركة انتجاع الكلا في الاقاليم القاحلة في حين يستقر غير الرحالين في دسكرة تتشكل في مجموعة من الدور وهناك نوع ثالث من المساكن خاص بنصف الرحالين الذين ينتقلون عن مراتبهم الاصلية مرتين في السنة صيفا وشتاء وهذه الفئة تتأرجح بين الاخبية واخصاص القصب او الطوب والدور واذا كانت الوحدة سائدة من طرابلس الى سوس في خصوص معالم الزخرفة واساليب النقش فان الشكلية المعمارية تختلف بين هذا الاقليم وذاك فالى جانب الدار المقوسة المنحوتة في بعض الصخور الاطلسية على غرار كهوف ما قبل التاريخ - توجد الدار المتسمة بالطابع المغربي الاصيل في جميع انحاء البلاد سواء منها الصحراء ام الاطلس ام السهول والبطاح .

فالايغرم او التفرمت هو المستودع المحصن في الاطلس والمجمع القروي والملاجأ الجماعي عند الخطر وتفوق هذه الايغرم من حيث الهندام المعماري

(146) تاريخ الرباط ص 481 .



وتعالج الجلود من طرف فنانين يصنعون الخرجة واجهزة الافراس والقرب والاحذية والمثابن ( اكياس نسوية ) والوسائد المرصعة بخيوط الحرير او بمصنوعات مشبكة بالفضة والذهب .

ويمكن ان نلاحظ مع الاستاذ ريكار ان العنصر الذى يثير الانتباه فى الرسوم البربرية هو طابعها الهندسي القار لان الاقتباس من صور الطبيعة من شواذ هذا الفن مثال ذلك الدمى المصنوعة من الخشب فى قبيلة بني مطير وتختلف الرسوم الى ما لا نهاية له : من المربعات المتداخلة البسيطة الى تروس صفرى ( تحمل شعار الشرف ) الى رقع اللعب الى خطوط متشابكة واشكال سداسية الزوايا والاضلاع لنقش الحنايا والسقوف .

وفى النواحي التى ينعدم فيها الحجر يباشر البناء بالطابية ( تراب مبلل فى اوعية مستطيلة ) التى تعتبر نوعا من الاسمنت الملقى وقد استعملت هذه المادة فى المدن الاسلامية الاولى بالمغرب مثل البصرة ونكور (148)، والطوب المصنوع من التراب المجفف اقل مناعة اما الاجر فانه تراب مطبوخ فى الفرن وكذلك الاحجار والقرميد المستعملة فى تبليط الارض وتسقيف السطوح غير ان الحجر والمرمر المستخرجين من المناجم المحلية ( عكراش بناحية الرباط وابن احمد بناحية الدار البيضاء ومراكش ) هما العنصران العاديان فى التعمير وقد جلب المغرب الرخام من ايطاليا ايام السعديين فى مقابل السكر وزنا لوزن ولكن المغرب رجع منذ عهد المنصور الذهبي الى اسابه القديم فى صنع الرخام وقد استغلت اشجار الارز المتوافرة فى الاطلس والريف لصنع الاخشاب التى هي من المواد الاساسية فى البناء

وتختص الصحراء ( درعة ) فى نقش الخواصي كما يتفنن الاطلسيون فى رسم الصور المختلفة على الاواني المنزلية وتتلور فى النسيج رسوم وتسطيرات رائعة من ذلك الاسحال والاسديت المستعملة فى الاخبية والمصنوعة بسداة خشبية مبسطة على الارض تتسم بالبساطة ولكن لا تخلو من رواء لان النقوش تتحقق بمجرد تداخل اللحم فى السداة وتتلون بادراج خيوط خاصة حسب انعراجات هندسية مدققة وهذا النوع من النسيج يكثر عند الرحل الذين يتخذون الاخبية مساكن لهم اما القبائل القارة فان مناوئها تتركب من ركيزتين واسطوانتين فاللحمه المعالجة باليد تغطي السداة وترسم النقوش طبقا للحركة الصادرة عنها واذا تغير لون اللحمه دوريا تكونت سلسلة من الخطوط المتوازية ثم اذا طفت بعض الخيوط على سطح النسيج لتظهر فى نقط محدودة تشكلت رسوم وصور فاذا ما اصعدت خيوط اخرى مستقلة عن السداة او اللحمه فى اتجاه منحرف او عمودي ارتسمت نقوش هندسية رائعة تتجلى فى الخمر والبرانس والاردية والاكسية والمخدرات والوسادات وتختص فى صنع هذه البدائع نواحي درعة (147) والريف وجباله والاطلس والسوس وبزو بينما تمتاز الشاون ووزان فى صنع الخرقه والحاك المشهورين بالرقه وجودة النسيج .

اما الزربية فهي قطيفة تقوم لدى الاثرياء مقام الحصر كبساط للجلوس فى الدور والمساجد وتنسج انواع مختلفة من الزرابي فى زمور ( ناحية الرباط ) والرباط وزيان وكلاوة ( بالاطلس الكبير ) وغيرها وتمتاز بعضها برسوم رائعة الى جانب الجودة والثانة .

- (147) كان يوجد بدرعة نوع من الحجارة تحك بين الايدي فتتحل وتصير اشبه بالكتان وكانوا يصنعون منها الحبال والارسان والمقاود ومن خواصها عدم الاحتراق وقد جلب احد التجار لفرديناند ملك كالبسيا باسبانيا منديلا صنع من هذه المادة اهداه اليه زاعما انه من مخلفات احد تلاميذ المسيح ( وصف افريقيا الشمالية ترجمة دوسلان ص 336 وكذلك كتاب الاستبصار وهو مخطوط مجهول المؤلف وذكر ابن سعيد انه رأى فى سجلماسة صكا لاحدهم على آخر مبلغه اربعون الف دينار وقد سبق ان ذكر ذلك ابن حوقل (المسالك ج 70) وفى معجم ياقوت ان لنسائهم يدا صنعا فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجب بدع من الارز تفوق الذى بمصر يبلغ ثمن الازار 35 دينارا واكثر كارتفاع ما يكون القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات .
- (148) مدينة نكور هي الزمة حسب البكري ( المسالك ص 99 ) او الحسيمة حسب ( ميشوبيلير - المحاضرات ص 192 ) والخلاف بسيط لان بينهما بضعة اميال بحيث يمكن القول بانهما كانتا تكونان جانبي المدينة .

غير ان التسطيرات الهندسية والزهرية كانت قد قطعت شوطا لا بأس به .

وقد ازدهر في القرن الخامس خاصة فن النقش على الخشب على ان نفس الفنانين كانوا ينحتون على المرمر والعاج وتمتاز مناير الجمعة في القرويين والكتيبة وجامع القصبه بدقة في النقوش تفوق قيمتها روعة التنيق وهذا النقش الخشبي الرائع يحيل اربز الاطلس الى سقوف واطناف ( كرينزا ) ومن ( كيام ) بديعة الا ان هذه العناصر النقشية اتخذت ايام المرينيين سمات طريفة حيث أمست الاحجار المنحوتة والجبس المنقوش او المفرغ الزينة الغالبة في الجدران او أجزاء القباب اما الالوان فان وفرتها من خصائص هذا العصر وان كان المرابطون قد تفتنوا هم ايضا في تولينات القبة التي فوق محراب القرويين كما أسفرت عن ذلك الحفريات منذ بضع سنوات وكان مادة التلوين الشفافة تستمد انعكاساتها من حرباء فتختلف ألوانها باختلاف اتجاه النور المنعكس عليها اما الترصيعات الخزفية فقد تساوت مع المغطيات الجديدة في الهندسة المعمارية وهي تقوم ازاء الافايرز والرسوم الوردية الشكل المحدقة بالنارات والاشرطة الكتابية واطر الابواب - بتزيين الجدارات والاعمدة وحتى بلاطات الاروقة والغرف (149) .

وقد خف في هذا العصر استعمال رؤوس الاساطين واستعيز عن الاقواس المفصصة المستخدمة في المنارات باقواس على شكل هلال مقريص وتوافرت النقوش لاسيما في الافايرز الكتابية المنقوشة على الجبس .

ومنذ القرن الثامن أصبح نفس الاسكفات ومناخذ الارز يتناسق في الهيكل المعماري العام مع النقش على المعدن المتجلى في نحت ابواب البرونز في بعض المدارس المرينية اما الخزف فانه منقوش بالة حديدية على شاكلة النحت الشرقي الاندلسي لاواني «البديع» ذي الانعكاسات المعدنية ومعلوم ان فسيفساء البديع ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي (150) بقلعة بني حماد ثم اتخذ اشكالا مختلفة من دوائر سوداء منمذلة وسط آجر وردي ( مرصد الخالدة باشبيلية ) الى افريز واسع من الحجر الثمين الاخضر ( جامع

وتمتاز الهندسة المعمارية المغربية خاصة باعمدتها واقواسها وحنابها التي بلغت نقوشها وتسطيراتها درجة متناهية في الجاذبية والرواء وقد اجتازت هذه النحوت مراحل شتى تبدأ بالاسطوانة المرمرية الموحدة البسيطة وتنتهي بالعمود المريني الرقيق الذي يخلب اللب بفسيفسائه وتعاريجه وقد استقدم الموحدون من قرطبة رؤوس اساطين رائعة كللوا بها اساطين جامع الكتبية بمراكش ومسجد تينمل فكان لذلك اثره في تكييف هذا الجانب من الفن اذ عوضا مما في جامع حسان بالرباط من الانضاد الحجرية المتراكبة والمجللة بتاج ساذج - اصبحنا نشاهد مجموعة متناسقة مستديرة الساق ذات رؤوس مكعبة الرسوم مورقة الاضلاع او حلزونية الشكل زهرية التعاريج .

وقد تبلور في العهد المريني طراز رؤوس الاعمدة فاتخذت هذه الرؤوس الاتجاهات العامة التي طبعت مجموع مظاهر الفن الاسلامي ومن هذه المنازع الجديدة تسطيح النقوش الناتئة واستواؤها وكذلك الاستعاضة بالصفوح او المصاريع الماطورة الخفيفة التغير عن الصور البارزة .

وقد عرف القوس نفس التطور فمن اقواس نصف دائرية بسيطة الى حنايا متقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائري وتعلو احيانا آجر الاقواس اسكفة محمولة على دعائمي الباب باسناد تتفنن في نقشها يد الصانع وتضفي القباب بتنوعها وتعقيداتها واجزائها المتساوقة طابعا من الاصاله على هذا الهيكل المعماري السني .

وهكذا استخدم النقاش منذ المهددين المرابطي والموحدي الحجارة والمرمر والطين المطبوخ فازدانت منارة جامع القصبه الموحدية ( مراكش ) بقطع نقشية ذات طابع بيزنطي اقتبسها الامويون لأول مرة في الاندلس واخذها عنهم الموحدون فالقوس المستدير الكامل وكذلك الحنايا الملفوقة او المفصصة ( على غرار ورق الاشجار ) أصبحت العنصر الكلاسيكي في بناء الصحن (على نسق صحن جامع قرطبة) مع ما تنطوي عليه هذه من مقرنصات وتعاريج في رؤوس الاساطين كما في تمسمان وتينمل والكتبية بمراكش وكانت الكتابات المنقوشة لا تزال بدائية في هذا العصر

(149) ( في الاسلام ) ص 143

(150) « ريكار » في كتابه « من اجل فهم الفن الاسلامي » ص 155 .

المغاربة خلال العصور الحديثة في نحت مزيج الكلس والرخام المستعمل في الترخيمات المعمارية كما تتجلى عبقرية النجارين في بري وتقليم المواشير الخشبية التي تتكون منها قطع المقربصات وتفتن يد الزليجي الصانع في اقتطاع دقاق الزليجي وتوئيمها لتبليط الاديم والجدر والفسقيات والكوى غير النافذة وسيقان الاعمدة الدائرية (153) فاذا فقدت النحوت الكتابية من رقتها والرسوم الهندسية من ثروتها فان الصور الزهرية اصبحت تقتبس من ينابيع جديدة هي عبارة عن مجموعة من النباتات الفارسية تزدان سموفها وزهيراتها بالقرنفل والسوسن غير ان الخزف الفسيفسائي الذي ما زال يصنع بالمغرب ولكن على وتيرة وثيدة - لم يحتفظ بذلك البريق المعدني الذي كان له في الماضي ونافسه الزليجي الاندلسي المجلوب الى شمال المغرب ( تطوان )

ومهما يكن فان هذا الفن لم يستعد ازدهاره القديم بل فقد كثيرا من عناصر طلاوته وقمارته .

الكتيبة ) في عهد الموحدين ثم في النهضة ازدهار صفائح الرخام المختلفة الاصباغ والتلوينات ( الزليجي ) وقد اصبحت بعض قطع الفسيفساء ايام بني مرين عبارة عن اجزاء متماسكة مسلسلنة باللون الاسود (في الغالب) تثبت عليها الرسوم بالمنقش وقد انتشر هذا الاسلوب بالمغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر في زوايا الحنايا والاقواس وافريرز الابواب على ان المغرب احتفظ منذ السعديين بأساليب النقش الاخرى لاسيما النحت على المرمر فعلاوة على الرخام الذي جلبه المنصور من ايطاليا استقلت مناجم انوكال التي تشبه احجارها الرخام وكذلك مناجم امينتالة وكانت مناجم كيك التي هي اقرب لمراكش لا تقل قيمة عن هذه المناجم الا ان قلة الماء الضروري لتقطيع الحجر كان معدوما بهذه الجهة وطريقة استخلاص هذا الرخام بسيطة حيث تضرم النار كما يقع في الهند فوق اخاديد تحفر في الصخر ثم يصب فوقها الماء الذي تشق برودته هذا الصخر (152) وتظهر مهارة الجبايسين

## من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد والمعاهد

موته بنتين هما : « فاطمة أم البنين ومريم » وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبنا ان تصرفاه في وجوه البر فعلمتا ان الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين

عند ما تولى يحيى بن محمد بن ادريس ملك المغرب عام 234 هـ كثر الواردون على فاس (154) فكان ممن قدم من القيروان محمد بن عبد الله الفهري الذي استقر مع ذويه في عدوة القرويين وخلف بعد

(151) نفع الطيب في ثنايا الكتاب .

(152) مجلة هسبريس عام 1956 عدد 43 ص 101 - 115

(153) فن الاسلام ص 185 .

(154) أسست القرويين بعد بناء فاس بثلاثة ارباع قرن وقد اختلف في تاريخ بناء فاس ، وافرد ليفسي بروفنصال بحثا في الموضوع اقتبس فيه من مؤرخين كذبي بكر الرازي المتوفى عام 344 هـ والذي يقول بأن باني فاس ادريس الاول الذي جاء الى المغرب عام 172 هـ ومات عام 174 هـ وبنيت المدينة في نظره خلال هذه الفترة ، ولاحظ ابن سعيد ان ادريس الاول لم يؤسس سوى عدوة الاندلس ونقل ابن الأبار عن أبي الحسن التوفلي ان ادريس الثاني بنى عدوة القرويين عام 187 هـ ويوجد في مكتبة باريس درهم سك بفاس عام 189 هـ اي قبل التاريخ العادي لبناء فاس بعامين، كما يوجد درهم في متحف كاركوف بروسيا سك بفاس عام 185 هـ . وهو التاريخ الذي يعطيه الحسن بن محمد الوزان لبناء فاس .

القديمين (155) بالناس فشرعت فاطمة في بناء جامع  
عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الاندلس (156) .

وقد وقع الشروع في بناء جامع القرويين في  
رمضان 245 هـ ونصبت قبلته على غرار قبلة جامع  
الشرفاء انذي أسسه المولى ادريس ، وكان يحتوي  
اول الامر على اربعة بلاطات ابتداء من القبلة ، ولكل  
بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق الى الغرب ، واقيم  
المحراب مكان الثريا الكبرى ، كما جعل في مؤخرة  
صحن صغير وصومعة واحتفظ بهذا الهندام المعماري  
الى ان كثرت العمارات واتصل البناء في ارباض  
المدينة من سائر الجهات وجري امر زناتة بأرض  
المغرب سنة 307 هـ فازيلت الخطبة من جامع  
الشرفاء لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه  
سره وصنع له منبر من خشب الصنوبر .

وعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك  
الاس وبإيعاه أهل فاس قام العامل أحمد ابن أبي بكر  
الزناتي بتوسيع المسجد منقفا عليه « من اخماس  
غنائم الروم » فزاد اربعة بلاطات من الغرب وخمسة  
من الشرق وثلاثة من الجوف ، ( اي الشمال ) في موضع  
الصحن الذي كان فيه بلاط واحد بعد ان هدم  
الصومعة لتطاول اشرافها على الدور المجاورة واصبح  
مصعدا يضم مائة درجة ودرجة وغشي بابها لمواجهة  
للقبلة بصفائح النحاس الاصفر وتم ذلك كله عام 345 هـ  
حسبما في التريفة المنقوشة بها من جهة الصحن  
وجعل في اعلاها قبة صغيرة ووضع في دورانها  
تفانج مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في  
الزج سيف الامام ادريس مؤسس المدينة وبنيت  
تحت القبة المذكورة قبة اكبر منها لجلوس المؤذنين  
لاشاعة الأذان في أوقاته ، وكان فيها بيت الراعي منهم  
لاوقات الليل وانصداع الفجر وبندهم يقتدي باقي  
المؤذنين بصوامع المدينة ، وتوجد بمواضع من المنارة  
بلاطة رخام وسط كل منها قائم يستدل بصدود ظله  
على خطوط بطول ازمان النهار ومرور ساعته ، وفي  
عطفات ادراجها سرج زاهرة الضياء يمر عليها الليل ،  
وفي عهد يوسف المريني (685 هـ) نصب بدن من

الفخار بالقبلة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء  
مجري من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منها الماء  
بقدر معلوم الى ان يصل الخطوط فيعلم بذلك اوقات  
الليل والنهار ، وقد صنعت في غرفة مظلة على الصحن  
منجاة على يد المعدل محمد الصنهاجي عام 714 هـ  
وهي عبارة عن منجن من خشب الارز جعل في ركن  
الغرفة عن يسار المستقبل ووضع في داخله بدنان  
كبيران من فخار احدهما اعلى من الآخر يحتوي على  
ماء وبلاسل انبوب من نحاس يهبط منه الماء في  
البدن الاسفل بقدر معلوم ، وجعل في طرف الجنح  
( الآلة ) مغطس ( جفنة ) وكذلك في جانبي التفتيصة  
رسمت فيها الساعات ودقاتها واوقات الليل والنهار  
وجعل الموقت المسطرة معلقة في (158) ... خارجا  
من الجنح يجري في حفر التفتيصة طالما وهابطا ،  
وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل  
جسيما مجوفا من نحاس على هيئة الاطرفة ( اي  
الجوانب الداخلية ) معلقا في الطرف الداخلي على  
العلو فاذا طلع الجسم بطولع الماء الذي يجتمع في  
البدن الاسفل طلع طرف (157) الخارج من التفتيصة  
وظلمت بطولوع المسطرة - وفي ايام أبي عنان (749 هـ)  
جعل خارج الجنح دائرة عليها شبكة الاسطرلاب تدور  
رسومه ومتى طلعت المسطرة عرف بها الوقت ، كما  
اقيمت هناك رمليات لاختيار الوقت مع اسطرلابات  
اخرى ، ومنذ هذا العهد جعلت صارية ينشر فيها  
العلم ايدانا بأوقات الصلاة النهارية ومنار لاوقات الليل  
وقد صنع أبو عنان ( عام 758 هـ ) « مجانة بطيسان  
وطسوس من نحاس » مقابلة لباب المدرسة التي  
أسسها بفاس « وجعل شعار كل ساعة ان تسقط  
صنجة في طاس وتفتح طاق » .

وقد بنى المظفر بن المنصور بن أبي عامر المنبر  
عام 388 هـ من « عود الابنوس والعناب وغيرهما »  
فخطب عليه الى ايام علي بن يوسف بن تاشفين حيث  
صنع عام 538 هـ منبرا جديدا « من عود الصندل  
والابنوس والنارنج والعناب وعظم العاج » مع غشائين  
من جلد وكتان ، وذلك على يد نجار كان اماما في اللغة  
والشعر (158) ، وكلف صنعه نحو 3800 دينار فضي .

(155) لاحظ ابن ابي زرع ان عدد مساجد فاس انتهى ايام المنصور والناصر الموحيدين الى 782

مسجدا علاوة على 122 ما بين سقايات ودور الوضوء و 73 حماما (الانيس المطرب ج 1 ص 64) .

(156) زهرة الاس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي طبعة 1340 ، ص 34 .

(157) نفس المصدر .

(158) زهرة الاس ص 42 .

لا تحتوي على أي توريق ذهبي، وقد لوحظ أن اصناف الاصبغة المشار اليها من طرف صاحب القرطاس هي الازرق والاحمر والمفرة الصفراء ، وما زالت الالوان متماسكة وفي رائق غضاظتها ، ويظهر أن مزيج الاصباغ كان يحتوي على مح البيض الذهبي اللون وأن الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق اشعة النور المنعكس من النوافذ .

وقد جهز الجامع بمستودع توضع فيه اموال الجامع وامانات الناس ، وكان محصنا بخشب الارز وبخمس منافيس بصفائح من حديد مقلوبة « وبنيت دار الضوء بخمسة عشر بيتا مع طاق في سقف كل بيت للانارة وأنبوبة نحاسية ينصب منها الماء » في نفير محفور من حجر ، وفي سمكها قبة من جبس مقربصة مرفشة بأنواع الاصبغة وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر مع ثقب من نحاس مموه بالذهب والبيلة والخصه كلاهما من عمل رجل سجلماسي صنعهما له رجل آخر « من اهل المعرفة بالبناء والهندسة » اما العنزة فقد اقيمت عام 688 هـ « وفيها غرابة الصنعة ونفاضة الخشب واتقان الاصاق ودقة الخراط والنقش ما يقضي بالعجب » (165) وصنعت سقاية منمقة « بالجص والحجر المنجور وأنواع الصبغة » كما جعلت على المحراب عام 712 هـ مقصورة من خشب الارز الفيت بعد ذلك ، اما الخزانة فقد اسسها أبو عنان المريني عام 750 هـ وجعلها بالكتب المتنوعة وعين قيما لضبطها ومناولة مصنفاتها .

وللجامع 18 بابا و 300 سارية - عشر منها من حجر ملون وثلاث تقع تحت الثريا الكبرى تبصر منها جميع ابواب الجامع - و 21 بلاطا و 130 ثرية

وقد زيدت بجامع القرويين في مختلف العصور بناءات جديدة منها الباب الاكبر بسماط الموثقين ( العدول ) عام 505 هـ وبخارجه قبة الجص المقربصة ( عام 617 هـ ) وباب الشماعين ( عام 518 هـ (159) مع قبتين احدهما بالداخل من الجص والاخرى من الارز بالخارج (160) .

وفي عهد علي بن يوسف اشترت دور كان اكثرها في ملك اليهود وزيدات في المسجد عشرة بلاطات من الصحن الى القبلة (161) والقبلة بأعلى المحراب « بالجص المقربص الفاخر الصنعة » ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة (162) وركب في الشماسات التي بجوانب القبلة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه « ثم غشيت ابواب الجامع » بصفائح النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن ، ( كل ذلك عام 533 هـ ) ، وقد لاحظ ابن ابي زرع ان هذا الفن كان يبهت الناظرين ، فلما دخل عبد المومن بن علي عام 540 هـ خاف الفقهاء والاشياخ ان ينتقد ذلك النقش والزخرف لان الموحدون قاموا بالتقشف والتقال ففطى البناءون النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض (163) .

وقد علق جورج مارسى على هذا الحدث فزعم انه قصة ملفقة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين في قبة المحراب (164) الا ان الحفريات التي قامت بها مصلحة الفنون الجميلة منذ عام 1952 اكدت حكاية المؤرخ العربي ، فقد كشف عن نقوش رائعة غير انها

(159) يذكر صاحب القرطاس ان كتابات التأسيس مؤرخة بعام 528 ( ج 1 ص 85 ) ، وهم صاحب الجذوة فاعطى تاريخا محرفا هو 710 هـ .

(160) احرقت القبة الخشبية عام 571 فصنعها الموحدون من الجص عام 600 هـ من بيت المال ، في حين صنع المرابطون بابي السماط والشماعين مع القبتين من مال الاحباس .

(161) يوجد بجامع القرويين 19 بلاطا موازيا للقبلة وقد لاحظ جورج مارسى ان هذا الاسلوب يرجع عهده الى صدر الاسلام ونجده في مصر ( جامع عمرو وجامع ابن طولون ) وظل هو الغالب في مساجد فاس ( فن الاسلام ص 95 ) .

(162) الانيس المطرب ج 1 ص 87 .

(163) الانيس ج 1 ص 88 .

(164) كتاب الفن الاسلامي طبعة 1926 ج 1 ص 302 وقد اكد مارسى هذا الزعم في الكتاب الذي صنفه عام 1954 وهو « الهندسة المعمارية الاسلامية في الغرب » ص 188 الا ان الاستاذ طيراس ايد مقالة ابن ابي زرع .

(165) زهرة الاس ص 65 .

من النحاس مختلفة الألوان والصناعات والانشال والهيآت .

اما جامع الاندلس فقد وقع الشروع فى بنائه كذلك عام 245 هـ وكان فيه ستة بلاطات وصحن صغير وزاد فيه عامل الناصر الاموي الصومعة عام 345 هـ (166) ونقلت اليه الخطبة من جامع الاشياخ قبيل ذلك ( 321 هـ ) وبعد نحو من ثلاثة قرون عام ( 600 هـ ) امر الناصر الموحيدي ببناء الباب الكبير الذي فيه درج بأسفلها شبك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب ، فى الاوسط بيلة من الحجر الاصفر ينفجر بها الماء من وادي مصمودة . وبأعلى الباب قبتان احدهما من جص مقربص الداخلى ، والثانية من خشب الارز .

كما امر الناصر ببناء سقاية ومدخل لمصلى النساء ومصرية لائمة الجامع ودار للوضوء بخصتها تحاكي التي بجامع القرويين وعدد بلاطاته بعد سنة 695 هـ خمسة عشر من الشرق الى الغرب وثلاثة عشر من اقبلة الى الجوف وتسعة ابواب و 134 سارية .

وكانت فاس فى هذا العصر كما وصفها المراكشي « حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القبروان وعلم قرطبة ... رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس ، فهى اليوم على غاية الحضارة واهلها فى غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم افصح اللغات فى ذلك الاقليم ، وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بفداد المغرب » (167) .

وقد لاحظ كوستاف لوبون ان مدينة فاس كانت تزامم بفداد فى القرن العاشر الميلادى فكان بها نصف مليون نسمة و 800 مسجد وخزانة حافلة بالمخطوطات اليونانية واللاتينية (168) وقد زعم استاذ ايطالي هو لويجي روسو انه اشترى من فاس مخطوطا نادرا من عشاريات تيتليف (169) حول التاريخ الروماني .

وقد وصف كابريال شارم مدينة فاس بأنها اول مدينة مقدسة بعد مكة وانها كانت مركز القوة العربية فى غنوان ازدهارها والعاصمة الفكرية والروحانية للغرب الاسلامي بفضل معاهدها الخالدة ومساجدها الماجدة (170) ، وذكر مارسي (171) ان افريقية نفسها وهى الوطن العتيق لعلماء الاسلام اصبحت تتلمذ لبرابرة الغرب .

وشبه علي باي العباسي هذه المدينة بأثينة لوفرة علمائها ومعاهدها (172) .

ولاحظ ليفي بروفنصال انها لم تكن اقل مكانة من عواصم الاسلام الاخرى (173) ، نعم فى هذه المدينة تبلورت الحضارة العربية التى تفتقت بالمغرب فتلاآت اشعتها على اوروبا (174) ، وقد احتفظت فاس على ممر العصور باشعاعها فهى ما زالت دار العلم وجامع القرويين ما زال اول مدرسة فى الدنيا (175) .

وذكر مارمول انه كان بفاس 200 مدرسة ، ونقل الكانوني فى « شهيرات نساء المغرب » عن مؤرخ اوربي خصص كتابا لقن الاسنان بالمغرب لاحظ فيه ان مدينة فاس كان بها فى القرن الرابع الهجرى « مدرسة

(166) حسبما فى عتبة بابها - زهرة الاس ص 81 .

(167) المعجب فى تلخيص اخبار المغرب سلا عام 1357 ص 221 .

(168) حضارة العرب - الطبعة الفرنسية ص 263 وقد ذكر دلفان ( ص 81 ) ان هذه الخزانة كانت تحتوي

على 30 000 مجلد ، كما ذكر كودار ( وصف تاريخ المغرب ج 2 ص 376 ) ان يعقوب المرينسي استرجع من المسيحيين عددا من المصنفات العربية واهداها الى القرويين ، ولاحظ ميللي ( كتاب الموحيدين ص 101 ) ان يعقوب الموحيدي كانت له خزانة تضاهي مكتبة الخليفة الاموي الحكم الثاني وقد اهداها كذلك الى القرويين ، وفى عهد المولى زيدان السعدي اختلس قنصل فرنسي أربعة آلاف مخطوط عربي وباعها لاسبانيا فكانت من نواة الاسكوريال .

(169) ولد هذا المؤرخ الروماني عام 59 قبل الميلاد .

(170) كتاب سفارة بالمغرب ( ص 255 ) .

(171) كتاب الفن الاسلامي ج 2 ص 465 .

(172) سفريات علي باي العباسي الى افريقيا وآسيا - باريس عام 1884 ج 1 ص 137 .

(173) مجلة هسبريس - عام 1952 ص 3 .

(174) كتاب سفارة المغرب ص 228 .

(175) دلفان فى كتابه « فاس وجامعتها » ( ص 12 )



الصدر الاعظم الجياص ) وإيطاليا ( مثل محمد بناني العلمي ) .

وكان بجامع القرويين اواخر القرن الماضي 700 طالب ونحو الاربعين استاذًا وظل العدد جامدا الى ما قبيل الاستقلال حيث أصبح يتف على 6 آلاف، وكان هؤلاء الطلبة يسكنون بالمدارس ويتمتعون بنظام الخبزة الذي عوض الآن بمنح دراسية ومطاعم مدرسية وداخلية منظمة في الشراذمة .

للطب » وقد احييت المدرسة المرينية بدار المخزن في فاس الجديد حوالي عام 1844 م الى مدرسة للمهندسين نظم فيها السلطان دراسة العلوم الحديثة (176) .

وقد اكد مولاي عبد الرحمن بن زيدان (177) ان خريجي « مدرسة البوليتكنيك » (الفنون ) التي أسسها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بفاس الجديد تابعوا دراستهم في معاهد انجلترا ( مثل

## جامع حسان

العتيق وبانيه هو يعقوب المنصور الذي اتمه عام 592 هـ ويظهر ان بناءه لم يتم ومنارته اقرب عهدا من منارة الكتبية ومنارة جامع اشبيلية المعروف بالخالدة ، وهي مربعة كمنارة جامع دمشق ، يبلغ عرضها ربع طولها حسب التقليد المعماري ، وهذا العلو وهو 64 مترا - يجعل من منارة حسان اعظم منارة في القرب بل حتى في الشرق (178) ، اما الجامع فانه مربع المساحة تقريبا هندسي التقسيم لتساوق سواريه الفاصلة بين صحنه الواسعة ، ومحرابه مربع الشكل على خلاف المحاربي المغربية ، وهو منحرف بعض الشيء عن القبلة مثل جامع القرويين (179) .

ان هلا الجامع من مآثر الموحدين الخالدة التي حققت وحدة الفن الشرقي والفن الاندلسي المغربي ، فهو رمز لفخامة الدولة الموحدية ومشاعرها في السمو والعظمة وذوقها في التناسق الجامع بين الفخفة والبساطة وهو مجهود رائع اذا اعتبرنا انبثاقه من أسرة « موحدة » كانت تعمل على دعم الاسلام في صفائه الاصيل - وحنيفته السمحة وعظمته الساذجة .

ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط على علو نحو 30 مترا فوق البحر وهو المسجد الثاني الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبة

## رِسَالَةُ الْأَوْقَافِ الْمَغَارِبِيَّةِ

وتحقيق ازدهار المسلمين في آن واحد بواسطة ( رباع ) توقف على المؤسسات الدينية والاجتماعية ،

لقد تذرع المغاربة منذ انبثاق فجر الاسلام بهذه البلاد - بشتى الوسائل لتركيز الفكرة الاسلامية

(176) الجريدة الاسبوية عام 1917 - كتابات عربية بفاس - الفريد بيل ج 10 ص 152 وكانت توجد بالجديدة في نفس الوقت مدرسة مركزية للمدفعية ( كتاب امبراطورية تنهار ص 16 ) وقد اجري تدريب لاثني عشر طالبا مغربيا في المدرسة العسكرية بمونبيلي عام 1885 وانها دراستهم عام 1888 ( هسبريس ج 41 عام 1954 ص 136 ) وقد وجه مولاي الحسن طلبة الى انجلترا وإيطاليا واسبانيا والمانيا ( المغرب الحديث ايركمان ص 114 ) وحتى الى امريكا ( كتاب سفارة بالمغرب ص 238 ) .

(177) الاتحاف ج 3 ص 367 .

(178) لاحظ ابن بشكوال ان منارة قرطبة احسن منارات الاسلام .

(179) وقد فند ابن سعيد ذلك ملاحظا ان منارة الكتبية ومنارة اشبيلية الموحدين أضخم من منارة قرطبة ( نفع الطيب المقرري ج 1 ص 267 ) ومساجد الريف شمالي الغرب عارية من المنارات وانما تمتاز عن باقي الدور بعلم أبيض ( المغرب المجهول موليراس-باريس عام 1895 ج 1 ص 144) .



وقد ساهم انملوك والشعب فى هذه الحملة الدينية الاسماوية التي كانت تتخذ مختلف المظاهر لتحقيق غاياتها واذا راجعنا دفاتر الاحصاء الحبسية لاحظنا ان الاوقاف تتوفر فى جميع انحاء القطر على احسن الاراضي والمقارنات حتى على السوائيم الحية فى الجبل علاوة على الفراسات الثرية ، وقد وقع تفويت جانب كبير من الاراضي الخصبة الشاسعة والاملاك المختلفة فى ابان الحماية ولا تزال صكوك تحبيسها موجودة الى الان .

وقد تبلور الاتجاه الحبسي على الخصوص منذ عهد المرينيين حيث اقام ابو يوسف المارستانات للغرباء والمجانين وأجرى عليها النفقات وخصص لها الاطباء وبنى المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم وأجرى لهم المرتبات فى كل شهر وبنى الزوايا فى الفلوات وأوقف لها الاوقاف الكثيرة لاطعام عابري السبيل وذوي الحاجات ( الذخيرة السنية ص 100 ) ، وسار الملوك بعد ذلك على منوال حيث فى هذه الطريق الجديدة حتى انشا ابو الحسن ( فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط ( الجزائر ) مدرسة فقامت مؤسساته الاجتماعية فى تازا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وانفا ( الدار البيضاء الحالية ) وازمور واسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير وتلمسان وعاصمة الجزائر ( المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص 35 مجلة هسبريس عام 1925 ) ولم

تكن اية مدينة من المدن لتخلو من عائلات خصصت قسما من املاكها للاسفاف الاجتماعي وهي الاوقاف المعينة على الخبز مثلا الذي كان يوزع اسبوعيا او يوميا حسب أهمية الارباع ، هذا علاوة على الاوقاف الخاصة بالمساجد والمرستانات ومعاهد التعليم التي كان يتعيش منها عدد كبير من المستخدمين زيادة على رواتب العلماء والطلبة .

واذا اعتبرنا ان مدينة مغربية كانت تتوفر فى كل حي من احيائها على عدة مساجد باوقافها لمنا ضخامة الثروة الجسيمة فى المغرب ، ويكفي ان نعلم ان فى فاس وحدها احصى فى زمن المنصور ومحمد الناصر الموحدين ( 785 مسجدا و 42 دارا للوضوء و 80 سقاية عمومية و 43 حماما ) ( زهرة الاس ص 33 ) ولكنها حبسية .

وكانت فى المغرب اوقاف من نوع خاص (180) كالتى تصرف على الزوجين الفقيرين بايوائهما مجانا فى منزل مؤث ابان الزفاف وكالتى تنفق فى تجهيز العروس المعوزة ، واوقاف الاواني المكسرة ، وتمهد وتغذية الحيوانات والطيور ( كدية البراطيل بفاس ) وذلك بالاضافة الى تأسيس الاسوار والقناطر والقنوات والسهر عليها ، والشبه هنا ملحوظ بين المغرب والشام حيث توجد نفس الانواع من الاوقاف (181) .

وقد اكد الجزنائي فى زهرة الاس (ص 75) (182) ان ما يظهر من انحراف قد يقرب من الصواب على رأى

(180) وكانت هناك اجباس من نوع خاص فى كل من المغرب والاندلس فقد ذكر صاحب نشر المثنائى ان من اجباس جامع الاندلس قراءة التفسير بالفخر الرازي ( ج 1 ص 20 ) وان كراسي العلم فى التفسير وقراءة صحيح مسلم وابن الحاجب وصغرى السنوسي والرسالة ونظم ابن زكري لها اجباس ( ج 1 ص 38 ) ومن اجباس فاس استيفاء ابن حجر على الصحيح فى التدريس ( نيل الانتهاج ص 169 ) وكان بعض العلماء لا يأكلون من مال الاجباس مثل سيدي عبد الفادر الفاسي ( السلوة ج 1 ص 310 ) .

(181) ذكر صاحب جذوة الاقتباس ان كثيرا من اوقاف المساجد ادخلها اهل فاس فى منافعهم وحسبوا من اموالهم ايام ابن تاشفين فرفعت القضية الى القاضي عبد الحق بن معيشة الفرناطي فتوجه الطلب على النظراء والوكلاء فى ذلك ومحاسبتهم فأبرزت المحاسبة 80 000 دينار ( ص 42 ) . وقد ذكر ميشوبيلير فى المستندات المغربية عام 1907 ( ص 192 ) ان الاجباس احتفظت بدارتها المستقلة الى عهد مولاي عبد الرحمن الذي قرر ضمها الى دوائر المخزن والفي النظار الخصوصيين للمساجد والاضرحة وعوضهم فى كل مدينة بناطرين يعينهما السلطان .

(182) لاحظ بعض فقهاء فاس على الامير ابي يوسف بن عبد الحق المريني ما فى بعض مساجد فاس من انحراف فجمعهم الامير وذكروا ان جامع القرويين نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها المولى ادريس وقد صلى اليه جماعات من العلماء والصلحاء والقضاة وامراء العدل فما غيروا ذلك ، وذكر ابن القاضي فى الجدوة ان مساجد فاس كانت قبل اليوم 785 واما اليوم ( عصر المنصور السعدي ) فلا تحصى كثرة وعدد حماماتها قبل اليوم 93 ، واما اليوم فلا عدد لها ( ص 28 ) .

استقبال القبلة في قضاء الحاجة حيث قال صلى الله عليه وسلم : « شرقوا أو غربوا » أي بالنسبة للمدينة المنورة ، وقد وهم الاستاذ طيراس في كتابه « سمت المحراب في المساجد » حيث اول هذا الانحراف تاويلات مختلفة ضاربا صفحا عن تمسك الموحدين بظاهر الحديث .

من يرى ان المطلوب من قبله سائر الافاق انما هو الجهة لمكة والجهة حاصلة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة .

ولعل الموحدين تشبثوا بظاهر هذا الحديث الذي يماثله الحديث الآخر الذي رواه البخاري في عدم

## مِنْ رَوَائِعِ الْفَنِّ الْأَنْدَلِسِيِّ

ولكن رسمه مقتبسة من جامع دمشق وجامع بغداد والمسجد الأقصى .

ويشكل هذا المسجد الآن مربعا ( طوله 180 مترا وعرضه 130 مترا ) ثلثاه إروقة للصلاة والثلث الباقي صحن وهو محاط بسور مسنن مدعم الجوانب فتحت في اضلاعه ابواب رائعة اغلق اليوم معظمها لوقوعها في اجنحة هذا المبد الكبير الذي اصبح كنيسة ، وقد اسس الجامع على حافة الطريق المؤدية الى قنطرة (183) الوادي الكبير قبالة القصر الملكي بحيث لم تتسع مساحته تدريجيا الا نحو الجنوب والشرق .

وكان هذا المسجد كنيسة اول الامر فعذا الامير حذو الخليفة عمر بن الخطاب في الاقتسام وجرى في قرطبة ما جرى بالنسبة لكنيسة القديس جان بدمشق حيث اقتطع المسلمون نصف الكنيسة وتركوا الباقي للمسيحيين الا ان رحاب الجامع الجديد ضاقت بعد ان اصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الاموية في الغرب الاسلامي فقرر عبد الرحمن الاول بعد نصف قرن اقتناء النصف الباقي وتأسيس مسجد كامل فوق المجموع ، فاقتطع من غنائم ناربونة 80 او مائة الف مثقال لهذه الغاية ثم زاد نجله هشام الاول سقائف للنساء وحوضا للوضوء ومنارة ويظهر ان البناء توقف في عهد الحكم الاول واستؤنف عام 218 أيام عبد الرحمن الثاني باقامة تسعة بلاطات جديدة مدعمة بشمانين سارية في ظرف 15 عاما ، ومن سنة 234 هـ الى منتصف القرن الرابع تم نقش وترخيم طرر المسجد وبناء المقصورة ومستودع الأموال وتجديد الحوض ... والسقائف

لعل الفن الاندلسي المغربي من أعرق الفنون التي خلفتها العصور الوسطى ، فمنذ القرن الثاني الهجري وقف عبد الرحمن الداخل مؤسس جامع قرطبة مشدوها معجبا امام مآثر الرومان الرائعة التي لقيها حينما مر بالبلاد الاسبانية فحاول ان يثبت في هذا المسجد ما رآه في الفن الجديد الذي ما لبث ان تطعم بالعناصر الطريفة المقتبسة من اليونان او عن طريق العلماء والفنانين البيزنطيين ، وهذا الفن الذي نشأ عام 786 م - كما يقول طيراس - ما زال يعيش ضمن الحرف والمهن في كبريات الحواضر المغربية فهو فن منبثق من حضارة واحدة ولد في اسبانيا وترعرع في الحواضر الافريقية فهو اذن وليد المدينة الاندلسية بقدر ما هو منبثق من معطيات الاسلام . . ولا يمكن ان نمطي في هذه المجالة نظرة شاملة على مجموع المآثر الاندلسية فلذلك سنقصر حديثنا على بعض المظاهر البارزة للفن الاندلسي الاسلامي لجامع قرطبة واشباهه .

فقد اصدر الامير الاموي عبد الرحمن الاول امره بالشروع في بناء جامع قرطبة عام 170 هـ غير ان المنية عاجلته بعد سنتين فاستأنف ولده هشام المشروع الضخم الذي لم يتم على شاكلته الحالية الا بعد قرنين ونصف قرن ، ولكن المعالم الاولى التي خطها الامير عبد الرحمن ظلت سائدة في التوسيعات المتوالية بحيث يمكن القول بان فنا جديدا انبثق في الغرب منذ عام 170 هـ ( اي 786 ميلادية ) مستمدا تنميقاته ومواده المرمية وسواريه من بقايا الرومان ،

(183) قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن الفافقي وطولها 800 باع وعرضها 20 باعا وارتفاعها 60 ذراعا وعدد حناياها 18 وعدد ابراجها 19 ( نفع الطيب - المجلد الاول - القسم الاول طبعة ليد عام 1855 ص 314 ) .

افريقية وعددها 1013 واهدى اليه ملك الروم 150 والباقي من رخام الاندلس .

وقد نحت في مدينة الزهراء حوض عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر النفيس وبلغ عدد الدور داخل الزهراء اربعمائة دار بينما كانت عدة الدور داخل قرطبة 113 000 دار و 3 000 (185) مسجد و 28 ربضا منها مدينتا الزهراء والزاهرة .

وقد جلب الناصر رخام الزهراء الابيض من المربة والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية والحوض المنقوش من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وبني فيها قصر الخلافة وسمكه من الذهب والرخام الفليظ وفي وسطه التيممة المهداة من اليون ملك القسطنطينية (186) وقراميد هذا القصر من الذهب والفضة وفي وسط هذا المجلس صهريج مملوء بالزئبق وفي كل جانب منه ابواب انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب اصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور الصافي . وكان الامير يامر بتحريك الزئبق فيلمع لمعان البرق من النور ويخيل للناظر ان المجلس قد طار ما دام الزئبق يتحرك وقد قارن المقرري الزهراء بالقصر الذي شاده ملك طليطلة المامون بن ذي النون بها حيث صنع في وسطه بحيرة وفي وسطها قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة من ماء قد سكب خلف الزجاج لا يفتقر عن الحركة ، منظر عجيب (187) .

وقد لاحظ طيراس (188) ان اساليب النقش في مدينة الزهراء مقتبسة من اليونان والبيزنطيين في حين

واقيم ساباط - بين القصر والجامع - اما عبد الرحمن الناصر فقد اهتم بالمنشآت العسكرية والمدنية اكثر مما اعتنى بالمؤسسات الدينية ومع ذلك فقد صرف على الجامع نحو ربع ما انفق على قصر الزهراء (المغرب ج 2 ص 344) فهدم منارة هشام الاول واقام مكانها صومعة جميلة .

وقد كان للحكم الثاني اهتمام خاص بالجامع حتى اشرف بنفسه على رسم تصميم التوسيع بحضور فقهاء ومهندسين وبني بلاطات ومحرابا جديدا (184) واقام قبة في البلاط المركزي والبلاطين الجانبيين قبالة المحراب مع تطريزها بالمرمر المنحوت والفسيفساء وهو الذي جلب الفسيفساء عام 354 من مملكة الروم اقتداء بالوليد في بناء مسجد دمشق حيث اوفد رسلا الى امبراطور بيزنطة فرجع الوفد بالصانع ومعه من الفسيفساء 320 قنطارا هدية فرتب جملة من الماليك لتعلم الصناعة فادعوا واربوا على الصانع الذي صدر راجعا عند الاستغناء عنه .

وفي عام 356 هـ اجري الخليفة الى سقايات الجامع ماء عذبا من عين بجبل قرطبة « خرق له الارض واجراه في قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة اودع جوفها اثنا عشر الرصاص » .

وقد هدم منبر الجامع عام 1572 م ولكن الجامع احتفظ منذ تسعة قرون بروائه واثرائه ووميض نقوشه ومناعة هيكله .

اما مدينة الزهراء فقد ابتدء بانيها ايام الناصر في اوائل سنة 325 وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف سوى التبليط في الاسس وجلب اليها الرخام من قرطاجنة الافريقية ومن تونس وكان فيها من السواري 4313 جلبت بعضها من

(184) نقل المقرري عن صاحب المغرب عن ابن شكوال ان الحكم المستنصر استحضر العلماء للمشورة في تحريف قبة جامع قرطبة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر في قبة جامع « الزهراء » فقال له الفقيه ابو ابراهيم انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الامة فاخذ الخليفة براهيه ( النفح ج 1 ص 369 ) .

(185) ذكر المقرري ان دور قرطبة وارباضها بلغت ايام ابن ابي عامر 13077 دارا للرعية و 60300 دار للاكابر و 80455 حانوتا ( نفح الطيب ج 1 ص 356 ) .

(186) المغرب ج 2 ص 345 .

(187) نفح الطيب ج 1 ص 327 .

(188) كتاب الفن الاسباني المغربي - باريس 1932 ، ص 96 .

ان محراب قرطبة (189) شبيه بباب خزانة مسجد سيدي عقبة ، ومعلوم انه في الوقت الذي وسع فيه الحكم الجامع الاموي كانت قد مرت ازيد من مائة وعشرين سنة على اقامة مسجد القيروان الذي كان يعتبر اذذاك اوسع واجمل مسجد في الغرب الاسلامي ويلاحظ كذلك التأثير العراقي العباسي في مؤسسات قرطبة كالقسي المغلوقة او المفصصة على غرار ورق الاشجار وكذلك في نقش السقوف الهندسي والقباب المنمقة في شكل عروق واضلاع .

اما الرسوم الزهرية فالظاهر انها من ابتكار الاندلسيين (190) وتتجلى التقاليد الاسبانية الصرف في رؤوس الاعمدة المرمرية التي توجد بقاياها خارج قرطبة في الكتبية بمراكش وفي مسجد اشبيلية والمتاحف وقد نحت الرخامون الفرطبيون عددا من اجمل هذه العمود في العصور الوسطى .

وتظهر المجالي الثانوية للفن الاموي في القلاع والاسوار ( مدينة الزهراء وطيطة ) ومعلوم ان خلفاء بني امية كانوا من كبار بناء الحصون في الشق الغربي للعالم الاسلامي ولعل مبانيهم العسكرية تفوق في ضخامتها ما أسسوه من مساجد وقصور .

وفي عام 368 امر المنصور ببناء « الزهراء » بطرف البلد على نهر قرطبة فتمت في عامين فاتخذ فيها الدواوين والاهراء واقام خلالها المنازل وجيللات القصور والاسواق واتصلت ارباضها بأرباض قرطبة (191) ، وقد استمر الطابع الاموي العام في ايام حجابة المنصور حيث زاد ابن ابي عامر بشرقي الجامع بلاطا امتد طولها من اول المسجد الى آخره وقصد في هذه الزيادة المبالغة في الاتفاق والوثاقة دون الزخرفة ( المغرب لابن عذارى ج 2 ص 429 ) وبلغ عدد السواري 1417 وعدد الثريات 280 وعدد خدام الجامع 159 شخصا وعدد القومة 300 .

وتسم النقوش العامرية بالطابع النباتي غير ان الرموز الحيوانية اتخذت مكانة جلى في فن النحوت المرمرية وتوجد جفتان من المرمر احدهما بمتحف مدريد والاخرى بمدرسة ابن يوسف بمراكش تحمل

اسم عبد الملك نجل المنصور ، ومن جملة صور الحيوانات المنقوشة في هذا المرمر النور والعقبان والظباء والاسود والفهود والطيور ، وهذا يدل على ان الاستمداد من الطبيعة لم يكن خاصا بالنقوش الخزفية او العاجية وقد خلف لنا العهد الاموي بالاندلس مجموعة من التحف العاجية تعتبر من اجمل ما يوجد في العالم (192) وما زالت تفزوت شمالي المغرب تصنع الى الآن نماذج رائعة من هذه العلب والصناديق والاغشية العاجية ولعل الفن الاموي يستمد هذه البدائع من الفين العباسي والفاطمي ، ويمكن القول بانه اذا كان الاثر البيزنطي جليا في مدينة الزهراء واذا كان التأثير العباسي قد بدا يظهر في الصنائع ايام الحكم الثاني فانه استقى نقوشه الخزفية وصوره العاجية وقسما من نقوشه الهندسية من العراق ولكنه أضفى عليها طابعه الخاص .

وهكذا فخلال ثلاثة قرون ( من القرن الثاني الى القرن الرابع الهجري ) ظل الفن الاندلسي موصولا بالاسرة الاموية المألقة وبعاصمة قرطبة ثم انتشر في باقي ربوع الاندلس وحدود قشتالة فاستعملت الاساليب المعمارية والنقوش القرطبية في مساجد كبريات المدن وقصورها وقلاعها وبعد سقوط الخلافة الاموية والحجابة العامرية تمزقت وحدة الاندلس ونشأت مصانع في مدن لم يكن لها سابق نشاط فني وغرست البلاطات الاقليمية في عهد ملوك الطوائف جذور الفن الاندلسي في المدن الصغرى حيث عاش طوال قرون ثم ما لبث الفزو المرابطي الاندلسي ان فتح باب افريقيا الشمالية في وجه الفن الاندلسي الذي سادت معاله في المدن المغربية ، انه لم يبق الآن أي مظهر لمؤسسات ملوك الطوائف باستثناء القصور الجعفرية التي اقامها بنو هود في سرقسطة (193) والتي تدل على مدى المجهود الذي بذله النقاشون في هذا العصر / تزايد النقوش الزهرية في شكل دقيق وظهور القسي المتقطعة واتساع الاشكال الهندسية ) .

وقد عرف المرابطون كيف يقتبسون من الفن الاندلسي وينقلون الى المغرب بدائع هذا الفن ويعتبر محراب تلمسان وروائع القرويين اجمل ما أهدها

(189) ص 110 .

(190) ص 141 .

(191) النسخ ج 1 ص 380 .

(192) طيراس - الفن الاسباني المغربي ص 173 .

(193) طيراس ص 197 ( في عهد ابي جعفر المقتدر ، ص 202 ) .

الاندلسي المغربي بأعظم وأروع مما اتسمت به الفنون الأخرى مثل قريضة جامع اشبيلية الذي يحتوي كجامع الكتبية على تسعة عشر بلاطا مع بلاط اوسط وخمس قباب وجدر من الأجر حسب التقاليد الموحدية ولكنه احتفظ ببعض المظاهر الأموية الملحوظة في جامع قرطبة كالإبراج التي تسند الجدر ويبلغ عمق جامع اشبيلية ضعف عمق الكتبية ( 110 على 150 مترا بدل 60 على 90 مترا ) .

أما القباب التي لم تكن معروفة في التقاليد الأموية والتي تشبه مقربصات العراق وفارس فإنها تبعد كثيرا عن المقرنصات المصرية ومع ذلك فإن المقرنصات الموحدية تمتاز بتوريقات أموية المحدث وفي خصوص الكتابات نلاحظ أنه لا تكاد توجد في الإسلام مؤسسات أقل كتابة من البناءات الموحدية اللهم إلا خارج المساجد كبعض الأبواب الكبرى حيث تبرز حروف كوفية رائعة هذا بينما تسود التسطيرات الزهرية والتوريقات الجريدية والسفمية على غرار اليونان والرومان والزنطيين ، وقد عرف الفن الاندلسي نوعا من الجودة في النشاط بفضل السلام والامن الناتجين عن سيطرة الموحدين على جنوب اسبانيا .

أما ما يخص الفن الشرقي فإننا نلاحظ تقارب الأساليب المغربية الاندلسية مع المناهج الفاطمية سواء في المظاهر الهندسية أم النقوش ( بالرغم عن استعمال الأجر في المغرب والحجر والعقود والقباب المحدودة في مصر ) وقد تباعدت طرائق التزيين المصرية السورية عن الاتجاهات العراقية لتتقرب من المنازع المغربية ، ففي الكتبية ومسجد الحكم الفاطمي بالقاهرة مثلا توجد حجيرة وأقواس مسندة بأعمدة من الأجر ونقوش على الجبس وتوريقات زهرية ، وقد استطاع الفن الاندلسي في عهد الموحدين الاستمداد من مصر عن طريق بني زيري ولكن غزو الأعراب الهلاليين قلص من هذا التبادل الفني بين الشرق والغرب الإسلامي أيام الأيوبيين والمماليك بحيث ظل الفن الاندلسي منعزلا يتطور بسرعة خارقة في إطار مقفل تبلورت أشكاله ومعالمه فلم يضاف إليه المزيّنون ولا الفنانيون اكتشافات جديدة وإنما هي توليفات طريفة في إطار عتيق زادت جمودا حركة الفزوة

المرابطون إلى الافارقة ، وإذا كان المرابطون قد شجعوا انتشار الفنون الاندلسية دون مساس بروحها فإن الموحدين تمكنوا من اضعاف طابع خاص على مجموعها ولعل ذلك راجع لكون ملك المرابطين لم يدم طويلا وإن دولتهم استؤصلت في عنفوانها ، ومع ذلك فقد مهدوا الطريق للموحدين وفتحوا مدن افريقيا على مصاربعها في وجه الفن الاندلسي على أن ظهور الدولة الموحدية غير الظروف التي عاش فيها الفن الاندلسي فانتعش نطاق هذا الفن وانتفح مجاله مع تبلور وسائله واتساق مظاهر كماله ، وإذا كان عبد المومن قد اتجه خاصة إلى إقامة مؤسسات بالمغرب ( تازة ومراكش ) فإن الاندلس احتلت المكانة الأولى في عهد أبي يعقوب الذي جدد أسوار اشبيلية وأقام قصبة انخفضت أزياءها أنوار قصور بني عباد ، وبني أكبر مسجد في الاندلس (194) ضاهى به جامع قرطبة وكتيبة مراكش الذي بناها والده ، كما نانس يقصور القصبة (مراكش) مدينة الزهراء نفسها .

ثم جاء المنصور فآتم جامع اشبيلية ومنازته العجيبة Geraldta ومعماريات القصبة بمراكش ، وبني رباط الفتح ( قرب قصبة الودايا التي هي من مخلفات جده ) وشرع في بناء جامع حسان ثم واصل ولده الناصر نشاط الأسرة المعماري فأسس أسوارا جديدة بفاس ووسع جامع الاندلس ولكن هزيمة الموحدين بالاندلس فتحت أبواب اسبانيا في وجه الصليب على أن الهندسة المعمارية العسكرية الموحدية لم تتطور في المدونتين إلا في ميدان النقش حيث استعاض عن الحجر المنجور وعن الرخام بمزيج من الملاط ( الطين الذي تطلّى به الجدر (195) والرمل والماء وهو الأسلوب الاقتصادي السريع في البناء مما اثر تأثيرا سيئا في مناعة الحصون وفي قيمتها الاستراتيجية غير أن استمرار الخطر المسيحي في الاندلس حدا الموحدين أنفسهم إلى نوع من العناية بالهندسة العسكرية وواصل بنو نصر جهودهم في تجديد الأساليب العتيقة بالاستمداد من الأجهزة المسيحية .

ويمكن القول أن الطابع العام في المعماريات الموحدية هو الفخامة والإصالة مع مهارة المهندسين في فن التشكيلات والتصويرات ولذلك اتسم الفن

(194) طيراس ص 280 .

(195) قوي استعمال الأجر في المساجد والقصور باستثناء جامع حسان حيث تكثر السواري الحجرية وكذلك في تلمسان أيام بني مرين .



المسيحي للاندلس ، وقد قويت في هذا العصر بعض الاتجاهات مثل الاكتفاء بالأجر والملاط المرمل في البناء وبنحت وصبغ الخشب والجبس، فالزليج أصبح يغطي أسفل الجدر ويكفل المنارات وتضاءل استخدام الحجر والمرمر وتقترب هذه النقوش الجسية والخشبية المرينية النصرية من الاساليب الفارسية المعاصرة .

وقد تأثر الاسبان المسيحيون الذين عاشوا بين ظهرائي المسلمين بالاندلس بالفن العربي الذي ظهرت بعض معالمه في بناء الكنائس ( ابهاء اشبه بمحاريب - نسي - قباب موزقة ) كما احتفظ المدجلون (196) بضائهم واساليبهم الفنية ولكن الدولة لم تستخدمهم الا في المؤسسات المتواضعة بينما استعمل الاسبان الواردون من الشمال في بناء القصور والمعابد الضخمة عملة من الشمال او من فرنسا ثم من الفلاندر والمانيا وبذلك أصبح البعض يرى ان الفن المسيحي في اسبانيا فن اجنبي مستورد من الخارج ، ويلاحظ وجود عنصرين في فن المدجنين هما الفن الاندلسي القديم والفن المجلوب ، ففي طليطلة يتسم الفن المقتبس بالطابع الاموي بينما يصطبغ فن المدجنين في اراغون - وهو ابرز انواع هذا الفن - بالطابع الموحدى لا سيما في نقوش المنارات ( الأجر والفيسفاء ) وحتى العناصر المستوردة تتقارب من الفن الموحدى في النحت والتزيين ( ابواب جميلة ذات تسطيرات مضلعة كالتي سيصنعها المرينيون في القرون التالية ) وتوريقات زهرية كالمناير الموحدية بمراكش او منبر البوعنانية بفاس .

وبعد سقوط طليطلة وقرطبة وبلنسية واشبيلية أصبحت غرناطة حاضرة لأعظم مملكة اسلامية في اسبانيا والتفت حول بلاط محمد بن الاحمر ابرز عناصر المعرفة والثروة والفن والصناعة ( غراسات بلنسية ومصانع مرسية للاواني المذهبة والاسلحة والمرصعات ) ولا توجد الآن في غرناطة اية مؤسسة مهمة أقدم من قصر الحمراء باستثناء حماماتها التي

يرجع عهدها الى العصر العربي الاول فبعد ما احتل امير قشتالة اشبيلية شرع ابن الاحمر في بناء قلعة الحمراء ، وقد تحدث الادريسي عن الحرف الصناعية ( في الجزء المقتبس من النزهة ( طبعة ليدن ص 208 ) فلاحظ ان مدينة المرية مثلاً كان بها 800 طراز يعمل بها الحلل والديباغ والستور المكلفة والخمر وصنوف الحرير وصنوف آلات للنحاس والحديد ليس في بلاد الاندلس احضر من اهلها نقدا ولا اوسع احوالا فيها 970 فندقا وفي شاطبة ( ص 192 ) تصنع ثياب بيض من ابداع الثياب عتاقة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة والبياض ، وقد واصل محمد الثاني بناء الحصون والقصور وأسس ولده عبد الله جامعا فخما رائق الهندام مزدانا بالفيسفاء المنمقة ومسندا بأعمدة رائعة برؤوسها وقواعدها المقفظة ثم اكتملت بهجة الحمراء أيام الفني بالله لا سيما في ساحة الاسود وردة السفراء (197) .

وفي عهد اخيه ابى الحجاج انتظمت آخر النقوش والنحوت ونافس الاثرياء بدائع الحمراء بقصورهم الفاخرة وبمنامهم المنتشرة في سهول غرناطة ( والمنية عبارة عن فيلا بدوية Villa de campagne ) وما زالت قيسارية المدينة الى الآن شبيهة بقيساريات فاس .

وتعتبر ساحة الاسود وردة الاختين وبنى سراج من اروع ما حفظه الحدنان في الحمراء وتقوم وسط الساحة فسقية تتفتح في دائرتها اثنا عشر اسدا هي اهم واكمل انموذج للنقش العربي في الاندلس وحتى في الشرق وكتابات الحمراء الشعرية والنثرية من اوفر ما ازدان به الفن المعماري أيام بني الاحمر (198)

وبالقرب من الحمراء تنشق جنة العريف Generalif التي هي ابداع مصطفى يتصوره الفكر بمائها الزلال وورودها الوافرة وعطورها الزكية .

تلك نظرة خاطفة على خواص الفن الاندلسي مقارنة مع معطيات الفن المغربي الذي ازدوج بها في مختلف العصور ليشكل مزيجا رائعا يعتبر من دعائم التراث الاندلسي .

(196) وقيل المدجنون وهم المسلمون في حكم الافرنج عند المغاربة ( عن ابن فضل الله العمري - المكتبة الصقاية ص 150 ) .

(197) ردة السفراء في اشبيلية لا تحاذي الحمراء في روعتها فحسب بل انها من اجمل ما خلفه الفن الموريسكي .

(198) الهندسة المعمارية عند العرب والمغاربة - جيرول دوفرانجي طبعة 1841 ص 153 ( راجع في قسمه الاخير نماذج رائعة من الكتابات المعمارية مع صور خلاصة تمثل بدائع النقش في قصور غرناطة في الوانها الحقيقية .

# الفنون الصناعية

الكشوف وغمرت العالم بأصناف المنجزات من اقداح وعلب وانابيب واوان كيمائية مختلفة وكانت المصانع العربية تنفخ الزجاج وتفرغه فى قوالب متنوعة وتنحته على غرار المصانع الحديثة وتأسست فى العالم الاسلامي فى ذلك العصر مصانع من هذا الطراز وقد وجد فى مدينة فاس فى ايام الناصر والمنتصر الموحديين اثنا عشر مصنعا للزجاج وامسى صناع حاب اخصائيين فى افراغ الاواني الزجاجية بينما اشتهرت هذه المدينة العربية كمركز عالمي لانتاج الزجاج .

وقد عرفت دمشق بفن الترسيمات والتذهيبات كما اشتهرت مصر بصفاء مصنوعات الزجاجية وقد اصبح العرب ينتجون نوعا من زجاج النوافذ والمصابيح وصنفا اشبه بالبلور الرقيق الذى كان يصنع فى بروسيا وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الاخيرة وكانت قصور العواصم العربية فى العصور الوسطى تتلألا باشعاعات هذا البلور الزجاجي الخلاب وبانعكاساته الضوئية الاخاذة وكانت صناعة الخزف تحتوي على اروع المنتجات التى تزدهر بها القصور معماريا واجتماعيا .

والعرب هم الذين « خلقوا » - كما يقول كوتبي - (200) الورق الذى عوض جريد النخل وسعفها ورق الغزل وما عرفه المصريون والاشوريون من ادوات الكتابة وقد عثر المؤرخ الاسباني فى مكتبة الاسكوريال باسبانيا على ورق عربي مصنوع من القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 ميلادية وهو اقدم من الورق الذى عثر عليه لحد الان فى المكتبات الاوربية .

وكان بفاس وحدها اربعمائة من الارحى تصنع الورق الا ان ورق سبتة كان مشهورا بجودته وكذلك ورق شاطبة (الورق الشطبي) التى كانت تزود أوروبا الغربية كما كانت مصانع بغداد تمون - حسب

هذا وان أوروبا مدينة للعرب لا لليونانيين بالمعطيات الاولى لصناعتها الحديثة نفس الاقطار الاسلامية مثل مصر وسوريا والعراق والاندلس والمغرب كان للتقنية العربية خلال العصور الوسطى - وهي عصور العرب الذهبية - اثر عميق فى خلق وبلورة المناهج العلمية المنبثقة عن التجربة .

ففيما يخص صناعة الزليجى مثلا اكد المؤرخ كوهنيل (199) ان فيسفاء مدينة الزهراء من نوعين احدهما شرقي من سامرا (اي سر من رأى) يرجع تاريخه الى القرن الثاني الهجري والنصف الآخر من رائق صناعة الخزف المحلية المنجز فى القرن الثالث عشر والذي استمرت صناعته فى قلعة بني حماد وقد بحث كوهنيل فى اشبيلية عن اصل زليجى « البديع » الاسباني واوضح ان خزف مالقا المشهور ببريقه المعدني اللامع كان له طوال قرنين ( من القرن الثاني عشر الى الخامس عشر الميلادي ) صيت واسع تجاوز حدود الاندلس وظلت مالقا خلال مدة طويلة المركز الاندلسي الوحيد لصناعة هذا الصنف الرائع من الخزف ولكن الشريف الادريسي اكد ان هذه الصناعة عرفت فى عصره ( اي القرن السادس الهجري ) فى قلعة ايوب اما فى بلنسية فان الاخزاف ذات البريق المعدني لم تعرف الا فى القرن الرابع عشر الميلادي احتذاء بالنماذج المالقية وقد اتسعت شبكة التجارة الخزفية فامتدت الى الشرق وبقي الطابع الاندلسي الاسلامي مسيطرا حتى فى العصور التالية بعد استرجاع الاسبان للفردوس المفقود - على المصنوعات الخزفية التى ظلت الى عصور متأخرة تحمل اشارات واسماء عربية .

وعندما كشف عباس ابن فرناس الاندلسي وهو اول طيار عربي استخدم آلة لامتطاء الاثير - طريقة جديدة لصنع الزجاج من معدن الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من

(199) كتاب صدر عام 1925 فى ليبزيغ ج 2 ص 12 .

(200) عادات واعراف المسلمين ص 250

(201) حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية م 519 .



كوتبي - أوروبا الشرقية منذ أواخر القرن التاسع الميلادي .

ومصر هي التي أدخلت إلى أوروبا - حسب كرونار - مطبعة الحروف المتحركة .

أما في فن التوريقات والتسطيرات الخشبية والترصيعات العاجية فإن دمشق ظلت ذائعة الصيت أزيد من ألف عام وكانت منتجاتها محط تهاافت رواد الفن في العالم وما زالت ترصيعات دمشق مشهورة إلى الآن بروعتها وجمالها (Damasquinage)

وقلة الفهم في الإقطار الإسلامية قد عاق تقدم صناعة الحديد الثقيلة فترة طويلة إلا أن ذلك لم يحل دون تطوير هذه الصناعة بفضل صلب ( الفولاذ ) سمرقند ودمشق وخصاص مصر الفاطمية ومستغلات النحاس والفضة في العالم العربي . وكانت الموصل تصنع ادق موازين العالم كما كانت دمشق تقوم في العصور الوسطى في خصوص صناعة المنجانات المتنوعة بالدور الذي تقوم به سويسرا اليوم في صناعة الساعات الدقيقة وقد أهدي هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان ساعة أعجبت أوروبا بدقتها وألبيتها وقد لاحظ سيديو أن أبا الوفا هو الذي كشف دقات الساعة قبل العالم الإيطالي غليلي - وقد أكد المؤرخ كوتبي أيضا أن الصناعة الكيماوية هي من جملة الكشوف العربية ، وقد كانت تنتج أصنافا مختلفة من المواد الصيدلية ، وقد صنف ابن البيطار كتابا حلل فيه مركبات الفين من العقاقير ما زال عدد كثير منها معمولا به في التركيبات الصيدلية . وإذا كانت الصناعة الكيماوية في القرن الثامن عشر الميلادي قد استطاعت أن تحدث انقلابا في الإنتاج الحديث فلم يكن ذلك إلا بفضل كشف العرب لبعض المركبات التي جهلها الإغريقيون كالإبوطاس ونترات الفضة والكحول وحامض الكبريت ، وحامض النترات وملح الأمونياك ( النوشادر ) ومركبات الزئبق ( ومنها ثقله من المائعية إلى الغازية والعكس ) .

وهناك عدد كبير من المصطلحات الكيماوية عربية الأصل مثل الأكسير والالقالي Alkali ( من القلى ) كما اكتشف العرب بعض الطرق والأساليب الجوهريّة في الصناعة الكيماوية كالتصفية والتصفيد والبلورة والتحليل والتخثير وسبك الذهب والفضة وذلك لاستخلاص أو تنسيق بعض

التركيبات ، وقد أكد مؤلف ( فيزاج دو سلام ) (وجوه الإسلام) أن التقدم الذي حققه المسلمون في الكيمياء الصناعية تشهد به تلك المهارة القصوى التي برهن عنها الصناع العرب في فن الصباغة وأعداد الجلود وسفاية الفولاذ الخ ..

والعرب هم الذين كشفوا كذلك أصباغا وتلوينات لم يتمكن توالي القرون من المساس بغضاقتها وذلك في صباغة القطن والحرير والصوف وتلوين الخزف الرقيق والزجاج ، ومعلوم أن أوروبا مدينة للفيلسوف الرازي بمعرفة أسلوب الحامض الكبريتي كما أن الأندلسي جابر بن حيان يعتبر حتى عند الغربيين أبا لعلم الكيمياء . وكانت مصر تنتج في العصور الوسطى أجود أنواع الصابون وكانت مصانع الصابون موفورة في الأندلس والمغرب والعراق حيث كان الصناع يستعملون صودا الأشنان المعروفة بخواصها الكيماوية التطهيرية في تركيب الصابون . وفي مصانع النسيج بمصر كانت تنتج أنسجة الكتان المطعمة بخيوط الذهب والفضة ، وكذلك أنسجة حريرية تتلون انعكاساتها الضوئية تبعاً لساعات النهار ، وكذلك أصناف الوشي المخطط المستعمل في التائيث والأقمصة الفاخرة المحلاة بالذهب ، وقد أشار صاحب الاستبصار إلى وجود نسيج مصنوع من الميكا في المغرب في القرن السادس الهجري أما صناعة الحرير فقد ازدهرت ازدهارا خاصا لاسيما بعد ما أدخل العرب دودة القز إلى الأندلس في القرن الثاني الهجري . وكانت أنسجة الحرير تتحلى بفسيفساء من التوريقات والتسطيرات بعض نماذجها مستعملة في المصانع الأوروبية . وقد بلغت هذه الصناعة الحريرية أوجها في المصانع السورية وما زالت أرق منتجات الحرير تحمل أسماء عربية مثل المصلين ( من الموصل ) والدمشقي والإطلسي الخ .. وقد استوردت فرنسا بعد الحروب الصليبية من المنسوجات الشرقية كميات هائلة وأولى الدول الأوروبية التي استفادت من التقنية الصناعية العربية هي إيطاليا التي نشرت ذلك في ربوع أوروبا . وقد عثر في مخطوط عربي يرجع تاريخه إلى القرن السادس الهجري على أساليب البارود للمدافع ، هذا بينما عرفت أوروبا المدافع لأول مرة في حصار الجزيرة الخضراء من طرف الإنجليز عام 1342 م ، وكان الإنجليز يعملون آنذاك في الجيش الإسباني وعرفت هاته المعركة بمعركة « كريسى » وقد ذكر جورج ريفوار أن من الكشوف العربية ذات الفائدة

والسفن تتوالى بين البلدين مثقلة بهاته المادة فى ايام  
الحر ، ولم تعرف اوريا صنع الثلج الا فى القرن  
السادس عشر الميلادى . وقد عرف علم الحبل  
( الميكانيك ) ازدهارا خاصا وتحتوي المكتبة  
التيمورية بالقاهرة على عدد من المخطوطات تعالج هذا  
الفن وتشير الى رسوم لبعض الادوات والآلات  
والدواليب والمنجانات المصنوعة فى المصور  
الوسطى ، وقد تأثرت اوريا بالاساليب الالية  
العربية كما تعطينا فكرة عن ذلك الآلات الدقيقة  
التي استعملها المسلمون فى أبحاثهم وما زالت  
بعض مصنفات ابي القاسم الزهراوى حافلة برسوم  
الآلات التي استعملها فى الطب الجراحي .

الصناعية البارود وورق القطن والكتان والخسرق  
الرثة وقد نسب كشف صناعة البارود مدة طويلة  
الى علماء غربيين مثل روجني باكون وفوارنر  
وغيرهما الا ان الابحاث التي قام بها كل من الاستاذين  
رينو وفافي ساعدت على التاكيد من كون العرب هم  
الذين كشفوا الاسلحة النارية بعدما تمكنوا من  
استخدام القوة القاذفة الناتجة عن البارود وقد عثر  
فى بعض الوثائق والمستندات الراجعة الى العصور  
الوسطى حسب كوتبي على تحليل لوسيلة صنع  
الثلج - ومعلوم ان الشام كانت تمد العراق - حسب  
القلقشندي ( صبح الاعشى الجزء 14 ) - بالثلج فى  
عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت الهجن



# اللغة العربية

الأستاذ الشاعر أنور العطار (دمشق)

يا لفتي أنت سر العظم  
ويا لفتي أنت ترب الخلود  
لسان الكتاب ، وفصل الخطاب  
وريحانة رويت بالعملا  
تبارك من صاغها للفناء  
ووشحها بمقود التنظيم  
تميس المعاني بها كالفصون  
وتنساب الفاظها كاللحون  
توشى بها السحر سحر البيان  
وناجى بها الحب احلامه  
وشبت بها الحرب تطوي الحياة  
وتنشئها السلم بعد الزوال  
اذا ما استقرت فسجع الحمام  
واما استثيرت فذلك الجبال  
تري الارض مد اذنت بالصدام

ولولاك كان البيان المدم  
وخدن البقاء ورمز القدم  
ولب اللباب ، وروح الحكم  
وزنقة نديت بالكرم  
ورصعها باللاني التوم  
وفجرها بعيون الكلم  
اذا حفلت بشمار القلم  
فيا رب لفظ جرى كالنغم  
وطاب القريض بها وانتظم  
وطاف باركانها واستلم  
وترمي بأبنائها فى الرجم  
كانك تشهد بعث الرمم  
وشدو الينايع خلف الاجم  
ومحو الرجال وصب الحمم  
كان قضاء عليها جثم

اصونك ما عشت صون النفيس  
وارعاك رعية اهل الوفاء  
وادفع عنك اذاة المدة  
فكم افسدوا شرك المستطاب  
فمن حاقد يثمرى العيوب  
فذايك فى الطرف منه عمى  
وظلك تاوي اليه الحياة  
بك الله وثق حبل الاخاء  
ولولا اياديك عم الشقاق  
فقد يجتوى العيش بعد الوئام  
ولا ينفع الود ود القريب

واعلى مكانك بين الامم  
وحفظ اللغات كحفظ الحرم  
وانجيك من زيغ اهل النقم  
وكم شوها شعرك المنجم  
ومن كائد يتحرى التهم  
وذلك فى السمع منه صمم  
وما ظلك السمع الا حرم  
وحبل الاخوة لا ينصرم  
وحل بنا داؤه المخترم  
ولا تشتى الحرب بعد السلم  
اذا الصد قطع منا الرحم



هي الكلم الطيب المنتقى  
وما همت دهرى الا بها  
وهل انا الا فتاها الشوق  
ولا اتكلم الا بها  
خلال لعيني فيها السهاد  
فما العريضة الا الحمى  
بها افزل الله قرآنه  
بها اسعد البدو والحاضرون  
وكان لبنانها دعمة  
وكان لروضتها ديمة  
وكان لفيضانها نعمة  
به بلغ العرب اوج الكمال  
اذا حكموا لم يجر حكمهم  
رعوا امم الارض لم ياتلوا

هي النقم الساحر المنثم  
وما عرف الحب من لم بهم  
وهل هي الا هواي العمم  
وان كنت ادري لغات العجم  
وبرح السقام ولذع الالم  
وما العربية الا الذمم  
بها عصم الله من قد عصم  
واهل التصور واهل الخيم  
تجل على راسخات الدعم  
تزيد على هائمات الديم  
تنيف على سابقات النعم  
وبالمصطفى افردوا بالثمم  
وما عرف الجور شرع حكم  
وكانوا قديما رعاة الغنم



فيا لفتي انت عطر الخلود  
ويا لفتي انت لحن الوجود

وناسمه الصرغ اما نسيم  
ومفتوح القول والمختتم

# أُسْبُقِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَى عَلَى الْعَامِيَّةِ

تَحْقِيقٌ وَتَرْجُمَةُ الدُّكْتُورِ خَلِيلِ سَمْعَانَ  
أَسَازٍ فِي جَامِعَةِ وَلايْتِ نِيُورِكِ  
(بَنْغْتُنْ)

نُشِرَ فِيمَا يَلِي نُبْذَةً فِي إِبْطَالِ رَايِ الْقَائِلِينَ بِتَرْكِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ  
وَإِسْتِبْدَالِ اللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ بِهَا فِي الْكُتُبِ وَالْكَتَابَةِ لِأَمِينِ فِكْرِي بِكَ أَحَدِ أَغْضَاءِ  
الْوَفْدِ الْعِلْمِيِّ الْمَصْرِيِّ بِمُؤْتَمَرِ السُّوَيْدِ وَالزُّرُوجِ وَرَأْسِ النِّيَابَةِ الْعَامَةِ بِمَحْكَمَةِ  
مِصْرِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ الْإِهْلِيَّةِ سَابِقًا وَتَجِدُونَ النِّصَّ الْإِنْجِلِيزِي فِي مَكَانٍ آخَرَ :

الإنسان ، أو حاجياته ، أو كمالاته ، ولهم أن يستعملوها كتابة ، وتأليفًا ، كما يستعملونها (20) نطقًا أما اللغة فهي من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم في ضرب من ضروب المعاني ، اللهم إلا إذا انفقوا في تعلمها أزمانًا طويلاً ، وبذلوا في دراستها ما استطاعوا من جهد وقوة .

وبنوا على ذلك أن يختصص العلوم ، والآداب (25) وفنون الصنائع ، وأصول الشرائع ، ونحو ذلك ، باللغة الفصيحة مما يقضى على أهل اللغة العربية بالحرمان من التقدم في معارفهم وآدابهم بجميع أنواعها .

وقد قال بعض مشاهير السياسة ، في الكلام على مصر ، ما نصه : « وأخال أن أمل التقدم ضعيف (30) ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما في الوقت الحاضر ، بدل أن تتعلم اللغة العربية المستعملة ، لأن نسبة اللغة المصرية إلى لغة القرآن كنسبة الإيطالياني إلى اللاتيني والإغريقي الحديث إلى الإغريقي القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة (35) بنفسها ، وقواعدها خاصة بها . وإذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة

ذهب بعض الناظرين في اللغات الشرقية ، من رجال أوروبا ، إلى أن اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليوم ، في البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي ، قد صارت في غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الأصلية ، حتى صرح أن تعد (5) كل منهما لغة مستقلة عن الأخرى ، بحيث لو فرض أن أتى إلى جهة يتكلم أهلها باللغة المستعملة الآن ، كمصير وسوريا ، من لا يعرف إلا اللغة الفصحى ، لم يمكن أن يفهموا منه ، أو يفهم منهم ، إلا بعد طول المعاشرة والمخالطة .

قالوا : وغاية ما يمكن لقائل أن يقول ، في النسبة (10) بين اللغة العامية المستعملة بين العرب وبين اللغة العربية الفصيحة ، هو أن اللغة العربية الفصيحة أصل لهذه اللغة العامية ، وأن هذه فرع تلك ، كما يقال أن اللغة اللاتينية أصل للغة التليانية ، وأن هذه فرع تلك . ثم رأى أهل هذا المذهب أن اللغة العامية وافية بحاجات (15) في التفاهم ، ولهم أن يستعملوها في جميع أنواع المعاني ، عالية ودانية ، علمية ، وأدبية ، وصناعية ، وشرعية ، وسياسية ، وبالجملة في كل ما يراد من معنى له مكان من ضروريات

ذلك البلد ، يكون بعينه ، أو أكثر ، في مصرى ذهب الى بلاد المغرب الاقصى أو الجزائر أو سورية ، وهكذا من يجيء من تلك الجهات الى مصر ، اذا كان لم يدخل المكاتب ، ولم يسبق له مخالطة أهل البلاد التسي جاءها .

(70) فانا لا نشك في انك اذا قلت لمصري عامي ( كيف حالك ) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما أردت ، بخلاف ما اذا قال له المغربي ( اشنك ) أو ( آشتايا ) . وكذلك فهم المغربي العامي ، اذا قلت له ( كيف حالك ) ، اسهل من فهم لقول (75) العامي المصري ( ازيك ) . وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصحى ( ما هو ) بخلاف قول المغربي ( آشنوا ) أو ( شيهو ) ، أو قول السوري ( شكلا ) . وكذلك يفهم المغربي والسوري من قولك ( ما هو ) أكثر من قول المصري ( ايه هوا ) أو ( هوا ايه ) . (80) وكذلك قولك للمصري ( هذا الوقت ) اسهل عليه فهمها من قول المغربي ( توا ) أو ( دروك ) أو ( دروك ) ، أو قول النابلسي ( هالقيت ) ، وقول البيروتي ( هلا ) ، بتخيم اللام ، والطرابلسي ( هلا ) بترقيتها . وقولك ( عمامه ) اسهل عليه من قول المغربي (85) ( كشطه ) ، أو الشامي ( لفه ) ، فانه لا يفهم اللغة الا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير هو رضيع غير مفصل عليه . وقولك ( النعل ) أو ( النعال ) اسهل من قول المغربي ( الصباط ) ، و ( كثير ) اسهل من قوله ( ياسر ) أو ( بالزاف ) ، ( والعطفه ) (90) اسهل من ( الزنقة ) ، و ( سفينه ) اسهل من ( شقف ) أو ( شقفوف ) ، و ( رواق ) اسهل من ( برطال ) . وقولك ( امضاء ) اسهل من قوله ( خنفوسه ) ، وقولك ( امضيت الكتاب ) (95) اسهل من ( خنفت الكتاب ) و ( الكتاب مخنفس ) . وقولك ( هل عندك ساعة ) اسهل من قول المغربي

للحصول على النتائج الفعلية من المدارس المتعددة التهذيبية ، لاستمر الجيل الجديد كسابقه ، غير صالح لخدمة وطنه ، سواء كان في القيادة العسكرية ، أو في الصنائع ، أو في الخدم العامة ، (40) وتظل عبارة « مصر للمصريين » ، كما كانت ، اسما بلا مسمى « انتهى كلامه . وبالجمله قد قالوا ان الامة العربية ، اذا بقيت علومها وآدابها مختزنة في العبارات الفصيحة ، كانت كأنها في لغة أخرى غير العربية . ولا يصل آحاد الامة الى حاجة من ذلك الا بعد ان (45) يصرف الجزء الاهم من عمره في تحصيل اللغة . فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية ، وهي لغة الاب والام وجميع الخلفاء ، يتعلمها الصبي كما يتعلم المشي والاكل والشرب ، لكان عنده من فضل الزمن ما يصرفه في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصبا (50) ، وكان الزمن الذي يستغرقه في تعلم اللغة الفصيحة محفوظا للتوسع في العلوم والآداب ، وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة لحاجات الامة وبثها في نفس جميع آحاديها بدون استثناء . فان اغفلت هذه الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون (55) ، ولا لتحسين التربية العامة . وهكذا لج هذا الوهم بآربابه حتى كاد يلتحق بالآراء المعتقد بها .

اما نحن فنخالنهم ونذهب غير مذهبهم لوجوه :

الاول ، ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون ، واستثناها بالكتابة (60) ، سيجدون في نقل العلوم الى اللغة العامية ، بل يجدون في الثاني ما هو اشد من الاول .

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الاقطار والبلاد ، بما لا يتقص عن الاختلاف بين العامي والفصحى ، بل ربما زاد . فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة اذا (65) ورد الى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية ، وحاله مع أهل



( ثماش منقاله ) ( 1 ) ، وتقولك ( كم الساعة ) اسهل عليه من قول المغربي ( قداش التعديل ) . ( 100 )  
و ( حمص ) اسهل عليه من قول الشامي ( اضامة ) ،  
وهكذا مما يطول ايراده ولا ينحصر تعداده .

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات العامية وغيرها ، بأن نقول ان المصرية اسهل او ارجح من السورية او المغربية مثلا ، او احدهما اسهل ( 105 ) او ارجح من المصرية : بل اردنا ان نبين ان اللغة الفصيحة ، بعد ان يجتنب منها ( في تعليم الفنون والصنائع ) الغريب وغير المألوف استعماله ، هي بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات العامية المختلفة اسهل واقترب تناولها من اللغة الخاصة ( 110 ) بغيره ممن لم يخالطه . واللفظ العربي الفصيح ، بالنسبة للعامي المصري ، اقرب من العامية المغربية والسورية ، وبالنسبة للعامي المغربي اقرب من العامية المصرية والسورية ، وبالنسبة للسوري اقرب من العامية المصرية والمغربية ، لما ( 115 ) يطرق آذان الجميع من سماع الفاظ القرآن ، والحديث ، والمواعظ ، وغير ذلك مما يعم الجميع كما سيأتى .

وقد اتفق لي من نحو سنتين ، انني جلت في بعض بلاد الشام ، مع سيدي الوالد ، فلقينا كثير من فضلاء نبلائها ، وتجباء ادبائها ، منهم الفاضل الشهير ، الشيخ عبد المجيد افندي الخاني ، الخالدي ، النقشبندی فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة ، بخلافنا في التكلم مع العامة ، السوق ، فكثيرا ما كانوا لا سيما اذا اسرعوا في التكلم يستغلق بيننا وبينهم الكلام ، وينسد الباب دون فهم المرام ، حتى يترجم ( 120 ) لنا

الاستاذ الخالدي ، المشار اليه ، وكان يلازمنا ايام مقامنا بدمشق ، في كل آن ومكان ، فقد جمع بيننا وبينه من اللغة الصحيحة ما لم تجمعها اللغة العامية بيننا وبين العامي البحث ، وما ذاك الا لان لغتنا العامية المصرية غير لغتهم العامية الشامية .

( 130 ) واتفق في سفرنا هذا ، الى هذه البلاد ، اني دخلت ايام مكثنا بمدينة باريس ، عاصمة بلاد فرنسا ، الى احد محال التجارة بها وهو المعروف بمخزن اللوفر ، مع السيد الوالد المشار اليه ، ورفيقنا بهذا الحفل النبيل ، من مصر فلقينا هناك ، بحكم الاتفاق ( 135 ) من غير قصد ، رجل من باعة البضاعة بذلك ، سبق له اقامة ( 2 ) مدة مديدة في بلاد الجزائر ، حتى اعتاد التكلم باللغة العامية المتداولة بها كاهلها ، فلما توسم في زي ملابسنا اننا من اهل اللغة العربية ، وتحقق ذلك بالسؤال منا ، وهو ( 140 ) انما يعرف من اللغة العامية المغربية ما عرفه ببلاد الجزائر ، اخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع طلاقة وذلاقة لسان . غير ان كثيرا من كلامه كان يستعجم علينا فما يفهمه منا الا رفيقنا الشيخ حمزة ، وكذا كلامنا بالنسبة للرجل ( 145 ) حتى يفهمه الشيخ الموما اليه . وذلك لان الشيخ اقام سنين من عمره في بلاد المغرب وتونس ، فكان يترجم بيننا وبين الرجل الى ان جاءت النوبة الى شراء ما يختص بى ، ورايت التفاهم بينى وبين الرجل لا يتيسر الا بواسطة ترجمة الشيخ . ( 150 ) فوجدت الاقرب تناولا والاقل زمنا ، ان يكلمنى بلفته الفرنسية ، ورجوته في ذلك ، فأجاب ، وسهل تعاطي الكلام بينى وبينه ، فكانت اللغة الفرنسية الاصلية بالنسبة له ،

- ( 1 ) قوله ( متقاله ) - هذه القاف تقرأ عندهم كالكاف في نطق صعيد مصر وكالجيم في نطق اهل القاهرة اى غير معطشة . وانظر ما يكتب به مثل هذه القاف اذا اريد نقل الكتابة الى اللغة العامية - اكتب بالقاف وهي لا ينطق بها كالكاف المعروفة في قراءة القرآن فيلزم تمييزها عنها ؟ ام تكتب بالجيم فيلزم تمييزها عن الجيم الحقيقية ؟ والا كيف يتميز مثل قولنا ( قده ) اذا كتبت بالجيم من قولنا ( جده ) ؟ ومثل هذا كثير جدا .  
( 2 ) هكذا في النص .

الطارئة بالنسبة لي ، أقرب لي تناولاً من اللغة المغربية العامية ، لمكان (155) التباعد بينها وبين العامية المصرية . وكذا كان الحال مع من لقيناه غير هذا الرجل ، من أهل المغرب ، من الحديثي المعهد بالاقامة في بلادنا ، لاسيما ان كان من أهل المغرب الأقصى . فان اللغة العربية المغربية تكاد ان تكون بالنسبة لنا رطانة أجنبية ، اللهم الا (160) ان تكلم باللغة الصحيحة ، فان فهمها حتى بالنسبة الى العامي منا اقرب من تلك بكثير .

وأخبرني السيد الوالد ، ابتاه الله ، انه لما سافر الى البلاد الحجازية ، لاداء فريضة الحج ، كان فهمه لكلام أهلها ، بل اعراب باديتها ، اقرب واسهل مما مر (165) بكثير جدا ، لقربه الى اللغة الفصحى . وقد تستغرب الكلمة في استعمال احدهم فيرجع اليها من يستغربها في كتب اللغة ، كالقاموس ، فتوجد نصا ، مثل لفظ « الضلع » بمعنى ( جانب الجبل ) . قال : وقد سالت عاميا من اعراب البادية هناك عن معنى « الضلع » فقال : « الضلع ضلع الجبل » (170) وأشار اليه ، « وضلع الانسان » ، وأشار الى ضلع نفسه . فلما وافقت لفهم العامية صحيح اللغة العربية في البعض ، وقربت منه في البعض ، سهل فهم ما وافق المستعمل في لسان العامة ، ووجود غير المستعمل فيه بكتب اللغة .

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلا قول الشامي (175) في عاميته الشامية ، ( قالشين ) ، او ( قهباز ) ، او ( منتان ) ، او لم يفهم الشامي قول المصري ، في عاميته المصرية ، ( شراب ) ، او ( قفطان ) ، او ( عنقري ) ، بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها ، او لم يفهم كلاهما من المغربي ، قوله في عاميته المغربية ، ( سبنيه ) ، بمعنى منديل (180) و ( سقلي ) ، اذا كان مشغولا بالنفخة ، و ( جامير ) ، بمعنى قميص ( وهو بجيم

1 ( يقصد « المغرب » .

كالجيم التركية والفارسية ينطق بها بين الجيم والشين العربيتين ، كما عرفته من نطق بعضهم ) ، او لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كل من الشامي والمصري . فأين يجد الواحد منهم بغيته (185) اذا جاء الى أحد هؤلاء كتاب في غير لغته العامية ، فيه شيء من ذلك ، وربما لم يكن في بلده ، او بلدة قريبة منها ، أحد من أهل تلك اللغة ، ولا معرفة بها عنده ، ولا في شيء من كتب اللغة يجد قصده ؟

فاذا كنت مثلا في قرية من قرى مصر ، من غير مراكزها (190) المختلطة بها أصناف الأمم ، مشغلا بزراعة او غيرها ، واتانى كتاب من أحد اصحابي الشام ، او في الغرب ، (1) على لغته ، وفيه ما لا اعرف ، فماذا اصنع ؟ اهمله بالكلية ، وربما كان في حاجة ضرورية مهمة ، ام اسافر الى موضع اجد فيه من يفهمني ذلك ولو كنت في أقصى (195) الصعيد ، ام ابعث به الى عارف اللغتين ، يترجمه كما تترجم اللغات الأجنبية ؟ فقد أصبح كل منا ، اذا تركنا اللغة الصحيحة الجامعة بالكلية ( لا قدر الله ) ، اجنبيا عن الآخر من ذوى لغته وبني جلدته ، بعد ان كان بيننا جامعة اللغة . هذا ، ومما قدمناه (200) من اختلاف اللغة ، انه قد يوجد في إحدى اللغات العامية ما يخاله من ليس يعرفه شتما او عيبا ، مما يستحي منه ، بالنظر الى لغته ، وقد وقع من ذلك ، لكثير من الناس ، ما لا يحصى . فما ظنك بمصري نزل بالشام ، في دار وتعهدت له شامية او شامي بعمل الاكل ، فقال المصري (205) ماذا أكل ؟ فقيل له : ( كبسه ) — والكبة في العامية المصرية مما يستعمل في فطير الدعاء على الغير ، اذا هو فيها الخراج الطاعوني ، والعياذ بالله تعالى . وفي امثالهم العامية : ( سنة الكبة يدلع لمخط ) ، يضرب لمن يعجب بنفسه وهو حقير ، لدى عدم وجود من يعتد به ، كقول القائل (210) « خلت البقاع من الرخاخ فتفرزنت فيها البيادق » .

والكية ، في عامية سورية ، طعام معروف لدى أهلها ، من أطيب ما يستلذ عندهم . وإذا قال المصري للمغربي : ( بص ) ، فهي عند المصري بمعنى ( انظر ) ، وعند المغربي من المعاني المستهجنة للغاية .

(215) وكثيرا ما توجد في عامية بعض الجهات الفاظ تعد عند غير أهل الجهة سخفا وفحشا ، بل من أفحش السخف ، وهي عند أهلها معروفة بالوفية ، ليست في شيء من ذلك ، لا تستحي منها العذراء في خدرها .

وقد اتفق لي من ذلك يوم دخلنا القدس في السياحة (220) الشامية ، ان سألت امرأة صادفتها في الطريق عن موضع هناك ، وهو الفندق الذي نزلناه ، وكنت قد اثبتته على الطريق اليه . فارادت ان تقول ما معناه ( ها هو هنالك ) . فاشارت الى موضع الفندق ، وقالت كلمتين ارادت بهما ذلك المعنى ، يقضي بسببها الوهم (225) ممن لم يالف تلك اللغة ، اول وهلة ، ان المرأة من فواحش الفواجر المتهتكات . فعجبت من جهرها بذلك الكلام ، على قارعة الطريق ، بمسمع غيرها من فتيات من النساء . وكنت رايتها متقدمة في السن ، وذلك مما حملني على اختصاصها بالمخاطبة والسؤال ، خيفة ما قد يلحق الغريب (230) من الظنة .

فتأملت ثانيا ، لما استغربت ذلك منها ، فاذا هي كما رايت أولا ، مسنة عليها سميت وقار وسمه كمال ، وهي في أبعد حال مما كان قد ذهب اليه الوهم وسوء الفهم . فلما تكرر سماع ذلك من بعض الفتيات ، بعد هذه المرة ، لم أجد سبيلا لسوء الظن (235) ولا أريد ان اصرح بأمثال ذلك ، وفي هذا كفاية لمن شاء ، ومن أراد ذلك فربما وقع له ، اذا تجاذب الكلام مع من لم يسبق له وفادة على مصر ، وجرت المناسبة الى ما هو من هذا القبيل . وكل ما ذكرناه هو بالنسبة للحال الحاضرة اليوم . اما لو نقلنا الكلام الى ما قبل

عشرين (240) سنة ، مثلا ، لنقيس عليه ما بعد مثل هذه المدة ، لكان الامر أكبر ، لما تراه في العامية من التبدل والتغير بتغير الاعصار وعدم الثبات والاستقرار .

فلو فرضنا الكلام في سوري مثلا جاء الى مصر ، أو مصري ذهب الى سورية ، قبل نحو تلك المدة ، لوجدنا المصري (245) لا يفهم من السوري ولا كلمة واحدة . فان المصري لو سمع من امرأة سورية ، أو رجل سوري ، من ذوي السن ، ممن لم يدخل المكاتب ، هذه العبارة ، وهي : ( سلكت الحثيم آل لي ال اينا ) ، لم يفهم ماذا يريد منها ، والمراد ( سألت الحكيم قال لي كل كينا ) . بل لو سمع (250) شاب مصري شابا سوريا ، من أهل بيروت ، يقول اليوم ( وعأت على اجري ) ، لم يفهم ماذا يريد ، ومراده ( وقعت على رجلي ) . وكذلك لو قال السوري للمصري : ( انظرني هلا وبجي ) ، لم يفهم منه انه يقول ( انتظرني حالا اجي ) . ولو اراد أحد احباء ذلك ، يلزمه ان يكتب سفرا (255) كبيرا ، هو قاموس اللغتين السورية قبل عشرين سنة مع بعض السورية اليوم والمصرية اليوم . فمن اراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العامية ، لزمه ان يحول (1) بين السوريين والمصريين والبغداديين والتونسيين والمراكشيين وغيرهم (260) ممن يتكلم باللسان العربي ، ويجعل لكل فئة منهم لغة خاصة بهم في معارفهم وعلومهم وآدابهم . ويصبح المصري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه السوري . والسوري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه المصري . وهكذا سائر الاقوام العربية ، فيفقد العرب ما عساه يكون بينهم من التعاون (265) على العلم والآداب ، ويصيرون الى حال من الفرقة أشنع مما هم فيه اليوم . بل من دقق النظر في أحوال البلاد العربية ، يجد أن البلاد المصرية نفسها ، يختلف بعضها عن بعض ، بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل

النصيحة الصحيحة . فان اهل (270) الصعيد الاعلى يستعملون من الالفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه اهل البحيرة ، بل لاهل مديرية الشرقية ، مثلا ، من الالفاظ ما لا يفهمه اهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها ، الا من تكرر سماعه لها ، بل لاهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، الفاظ تخالف ما هو مستعمل (275) ، في معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في ايراد الامثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن اراد نقل العلم الى اللغة العامية لزمه ان يفرق بين اهل الانثاليم في معارفهم وآدابهم وباعد (1) بين افكارهم . وانقلب الامة بسعيه (280) الى امم مختلفة ، لا يفهم الافراد من احداها ما يقول الافراد من الاخرى ، وهم اهل شريعة واحدة ، وفي سلطان حاكم واحد ، وكل واحد منهم في حاجة الى معونة الآخر في اقل الضروريات واجلها . فان قال اهل ذلك المذهب : اننا نضع كتابا يحتوي على جميع اللغات العامية ، (285) في الاقطار العربية ، او يحتوي جميع الالفاظ المصرية ، مثلا ، مرتبة على الحروف والابواب ، ويعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر احد من اهل الغربية ، مثلا ، على لفظ في كتاب لاحد من اهل جهة اخرى ، راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

(290) قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض ، لم يكن ذلك باسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بايدينا اليوم ، على انا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي ، والقريب اليه من العربي الصحيح ، وتركنا القريب والبعيد عن المستعمل ، (295) لسهل الامر

جدا : كأن نستعمل في تلك المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلا ، لفظ « النضة » بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظا صحيحا نصيحيا ، في هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي المستعمل ، لا فرق بينهما الا كسر الفاء في الصحيح ، وفتحها في العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره (300) بخلاف الاول ، ولذا ندعه ونستعمل الثاني ، وكذا نستعمل بدل لفظ (المسجد) مثلا ، لفظ « الذهب » ، لقرب الثاني من اللفظ العامي ، لا يفرق بينهما الا بالذال منقوطة في الصحيح . والدال غير منقوطة في العامي ، فلهذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ، ومن هذا القبيل ، ما تصدناه (305) على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي « المنقوطة » « وغير المنقوطة » ، في هذه العبارة ، بدل لفظتي « المعجمة » « والمهملية » الغالبتين في المؤلفات ، ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا ، لاننا نكتب للخواص لا للعوام . فسادا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، اعنى الاختصار في المؤلفات التي يحتاج اليها (310) عامة الناس . كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال . لم يبق من حاجة غالبا الى مراجعة الكتب اللغوية . الا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها ، من العلماء والادباء ، ومن يريد اللحاق بهم . والترقي في درجات البلاغة الى (315) درجاتهم ، وما ذاك بمتعين على عامة الناس ، ولا تدعو اليه ضرورة بالنسبة اليهم ومن اراده ، ممن تسبو به نفسه عن تلك الطبقة ، للتوسل به الى علوم التفسير ونحوها واجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها ، وجد الكتب التي يحتاج (320) اليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف التمام (2) بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبة

(1) الاصح « وما بعد »

- (2) الاصح « الثمام » - ر. البكري : فصل المقال ( خرطوم 1958 ) ، 276 ؛ العسكري : جمهرة الامثال ، 257 ، 2 ؛ الزمخشري : مستقصى ، 2 ، 387 رقم 1422 ؛ النعالي : ثبات القلوب ، 1326 ، 373 ، 2 ؛ النويري : نهاية ، 3 ، 55 . . . . ادين المستشرق الدكتور انطون شبيتال ، جامعة مونيخ ، بفضل كبير لتطفه بمساعدتي على حل هذه المقدمة الفلولوجية وتوجيهي الى المصادر المشار اليها اعلاه .

والتأليف كليا ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتتناسى ، ويضمحل امرها ويتلاشى ، (325) ويتداول الزمن ، يصبح الوصول الى ذلك المراد أصعب من خراط القتاد . على ان العمل في جمع متفرق اللغات العامية ، وتمييزها ، مما يصعب نجاحه كل الصعوبة . فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع ، لا يصل الى الغرض منه ، حتى يخالط اهل كل اقليم (330) بل كل ناحية ، ويسمع كلامهم في جميع المقاضد والاغراض ، لميتسنى له بذلك الاحاطة بجميع الالفاظ . وهذا يستغرق من الزمن والنفقة ، ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصحح ، لاتي بالفرض المطلوب ، على اتم وجه واكملة .

(335) هذا كله اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية ، وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش . فان نظرنا الى هيئات التراكيب ، التي تختلف ايضا باختلاف الاقطار والنواحي ، لاحتجنا الى فن نحو خاص بكل قطر ، او بكل ناحية ، ولكان على العربي منا (340) ان يتعلم كل نحو وضع لكل لغة ، حتى يتمكن من فهم ما يكتب في اللغة العامية ، من اي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشتقات اضعاف ما يكلفنا تعلم نحو اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج ايضا الى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية ، لتكون (345) كتابة كل جهة جارية على اصول مضبوطة ، وطريقة واحدة ، والا صار كل واحد من افراد الناس ، يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يمن له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط . فمثل ( اللي ) ، في العامية ، بمعنى ( الذي ) في الصحيحة : هل تكتب (350) بلام واحدة ، مثل ما يكتب ( على ) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جريا على قاعدة الادغام المرعية عند اربابها في النطق

والرسم ، ام تكتب « اللي » بلامين ، بناء على ان تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب ( قللي ) (355) من اللغة التركية ، بمعنى « ذي شعر » بلامين ، و ( اللي ) ايضا ، بمعنى « خمسين » ، بلامين كذلك ، لعدم رعاية الادغام عندهم ، واختصاصه باللغة العربية الاصلية الصحيحة ؟ ومثل ( قل لي المحرفة من قال لي ) ، هل تكتب بلام واحدة مشددة ، ام تكتب (360) بلامين متصلين ، او منفصلين ؟ وعلى كل هل تكتب بالفاء بين القاف واللام ، على الاصل ، للتفرقة بينها وبين ( قل لي ) المركبة من فعل امر وجار ومجرور ؟ ام هل تترك الالف من الرسم ، لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل تكتب (1) بالهمزة بدل القاف ، ( ال لي ) (365) او ( آل لي ) ( الي ) ؟ او غير ذلك . ثم على كل هل تكتب بالهمزة في اولها ، بدل القاف ، لان النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، او بالقاف الحقيقية ، لان النطق بها كذلك ، في بلاد آخر كرشيد ؟ او تكتب بالجيم ، رعاية لحال النطق بها في بعض (2) آخر كالصعيد (370) لان اهله ينطقون بها بما يشبه جيجا غير معطشة ، كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ او تكتب بالقاف ، ويمرزا لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، او بالجيم مرموزا لها بما يميزها عن المعطشة ؟ او يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجمل يُلزم وضع علم للرسم في هذه (375) اللغة العامية ، اذا نقلنا اليها الكتابة والفنون ، لتتحد الكتابة فيها ، والا انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل برايه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيرا في رسم الكلمة الواحدة في بلدين ، مثلا ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الانظار فيها هو (380) الصواب في الرسم ، وهلم جرا ، الي سائر ما يلزمنا استحداثه من الفنون ، لنقل التأليف والكتابة الى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول ان الزمن الذي

( 1 ) الأصح « انكتب »

( 2 ) الأصح « بعض بلاد الصعيد »

يكنينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرها ، يكنينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة (385) ، ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أسلافنا فوق ألف سنة ، مع الاقتصار على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعمامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فان قال أحد من أهل هذا المذهب : لا يلزم (390) وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لانها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين أهلها . قلنا : لو كان الأمر كذلك ، لما اضطرت كل أمة من الأمم المتعددة الى وضع قواعد لضبط لغتها التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم (395) ومفضولهم مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الأتلى ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسبما لها ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (400) في الإحاطة باللغة العربية النصيحة ، وحصر موادها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت الى حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت في الأذهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط أهلها من جميع اطراف (405) البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من أهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر ، الا ان يكون لفظ طرا من لغة أجنبية ، فعربه التوليد (410) وهو مما لا يلتفت اليه في لغة واسعة ، ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، في اثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه الى ذلك العهد ، لا تقبل تغييرا ولا تبديلا . ولهذا سهل على واضعي قوانينها (415) وحفاظ موادها ، أن يحيطوا

بأطرانها ، ويأتوا على كل جوانبها . وانادها الشرع الشريف تأييدا وتأييدا ، وامدها امدا مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيير والتبدل . فحال العربية في هذا الزمان ، مخالف لحالها في تلك الأزمان (420) كما ان حال أهلها الآن ، يختلف عن حال الأسلاف كمال الاختلاف .

الوجه الثاني : ان اللغة العامية لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة في موادها ، ولا في هيات تراكيبها ، حتى يعول عليها ، وتوضع فيا العلوم والآداب ، وانها هي (425) تحريف لغة أخرى . ولهذا نرى التبديس والتغيير فيها ، كما ذكرنا ، لا ينقطع . وما ذكره من المثال غير صحيح ، ولن يصح : فان اللغة التليانية ، او الاغريقية الحديثة ، لغة استقرت ، وثبتت ، وصارت ملكة في الناطقين بها ، لا ينحرفون عنها ، كلهم متفقوا الكلمة فيها ، غير متوفرة (430) عندهم اسباب التغيير ، كما عندنا ، ولهذا بعثهم الباعث الطبيعي على اعتبارها مدار التخاطب ، في جميع المقاصد . وليست الحال عندنا كذلك . والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح ، لا نحتاج في بيانه الى الاسهاب والاطناب ، في هذا الباب ، وانما نلم به بعض الالهام (435) وندع ما وراء ذلك الى تدبر من ينعم النظر في مجاري الاحوال الطبيعية ، وترتب المسببات على الاسباب فنقول :

كانت أمة العرب ، قبل الاسلام منحصرة في بلادها ، غير منتشرة في آفاق الارض ( نريد انتشار الجماهير المجهرة ، والالوف المؤلفة ، للغلبة والاستيلاء (440) والفتوح ، لا انتشار الافراد والجماعات القليلة ، للتجارة ونحوها من الاسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه اثر ذو بال ، وأهمية ، بخلاف الاول ) . ثم ظهر فيها الدين المبين الاسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوى اهله ، وسارت الدعوة اليه ، على يد القائمين به ، (445) الناصرين له ، الناشرين

كلمته ، الى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ، وتوالت على ايديهم الفتوح ، حتى انتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ، واسلم معهم من اهل البلاد التي احتلوها من اسلم ، فصار منهم (450) وانقاد من لم يسلم ، فدخل في ذمتهم ، واتام في كل صقع ناس منهم ، للقيام بالامر ، وتقرير احكام الشرع ، وتعليم اصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع اهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، في المعاشرة (455) والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة والمجاورة ، وامور المعاملة ، والتصق اهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعاداتهم ، وسرى من كل فريق منهم اشياء الى الآخر بحكم المخالطة ، وتوالي الايام والاعوام عليها . وانتقل ذلك الى الابناء بعد الاباء (460) ، والاحفاد بعد الاجداد ، الى ان صار اهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مزيجا مركبا ، صدق فيه ما قيل « نبط استعربوا (1) وعرب استنبطوا » ، وان يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (465) تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرا عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطننا بعد بطن ، وقرنا بعد قرن ، لا سيما بعد ان تقلصت ظلال دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من امم مختلفة ، واجناس من الناس متباينة (470) تداولتها ، واستولت عليها . كما انها دخلها ايضا ولا يزال يدخلها اخلاط من الامم ، للتوطن والاقامة ، كثير منهم موافق لاهل البلاد ، في اصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم في كينيته ، فيأخذون مما عند الاهلين ، ويأخذ الاهلون مما عندهم . وهكذا صار وقوع التغيير (475) بهذه الاسباب طريقة

( ١ ) النبط بفتح الحين والنبط قوم ينزلون بالبطائح ( ٢ ) والعجم خلاف العرب .  
( ٢ ) « البطائح » في النسخة الاصلية .

غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها الا من جهل امرها .

نما ذكره من المثال غير منطبق على الحال ، كما قلنا ، لامور كثيرة ، منها انك ترى الايطاليانيين ، مثلا ، اذا دخل عندهم رجل من امة اخرى ، للاقامة بينهم (480) فلفته غير لغتهم ، فهو اذا خاطبهم او كاتبهم ، فاما ان يخاطبهم ويكتبهم بلغته ، وهو نادر مع من يعرفها ، او بلغتهم المبينة للغة ، فلا يحصل من التداخل في الحاليين بقدر ما عندنا . اما نحن فاذا دخل عندنا السوري ، او المغربي ، مثلا ، فاصل لغتنا ولغته واحد (485) ، ولكنه عنده تحريف ، وعندنا تحريف آخر ، فيقع التداخل والتبادل ، الى غير ذلك مما قدمناه ، كما يعلم بالتأمل وصحة النظر . فظهر ان المثال غير واقع موقعه ، والقياس غير مصادف محله ، ولا يقاس المثل الاعلى المثل ، ولا يصح القياس الا عند عدم الفارق (والفرق مثل الصبح ظاهرا) . (490) ثم ان من تتبع احوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد انها كما تختلف باختلاف الازمنة ، تختلف ايضا باختلاف الاشخاص والامكنة ، فانك تراها ترتقي الى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند اهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (495) ، وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد . وكما انك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحط عن الفصحى ، عند من لا يعرفون سواها ، ولا حركة للسان الجرائد فيها بينهم . وتتغير هيئات المواد ، وصيغها ، وهيئات تراكيبها ، بحسب (500) اختلاف الاشخاص ومراتبهم في المعرفة ، بلا تكلف لذلك ، ولا قصد اليه . وتجد لفظا له هيئة ثابتة عند العامة ، بحيث لو غيرت تلك الهيئة لعد لحنا عندهم وغلطا .



بل اللسان فيها مطلق عن كل قيد ، يذهب في الانفاظ حيث يشاء (505) الناطق . فلو اردنا تقريرها ونقل العلوم اليها لمسر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب . وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة اشد عسرا . ولكونها تعد تحريفا لا لغة وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، ما دام التحريف له (510) عادة ، نقول اننا مهما حرصنا على هذه العادة ، التي سميناها لغة ، لا نأمن ان نراها بعد قرن واحد قد صارت الى ما لا نتصوره الآن . ويأتي اهل القرن الثاني ويقولون فيها وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة النصيحة . وهكذا يستمر التغيير والتبديل (515) في اللغة العامية: فاما ان يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة ، كل زمان ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، تبعا لتغير نطق اللسان ، كما يريدون ان يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الاجيال ، ولا يفهم لسانهم من ياتي (520) بعدهم ، ويصير كل جيل منهم امة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الامر ، فضلا عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والمعناء في تقريره ، عصرا فمعصرا ، لا يخفى ما فيه .

واما ان لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل (525) في النطق تغيير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يتقرر اول مرة، لو حصل، مهما تغير التكلم ، وتبدل ، وحينئذ نرجع الى ما نحن فيه ، من ان الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرهما ، ويضيع التعب سدى والعمل عقيما عن (530) الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، فيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في اكثر من الف سنة في آفاق العالم ، وأقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث (535) الان على لغة غيرها ، وهي العامية

المستعملة الان ، التي ستهجر بعد ، ويكون التكلم على لغة اخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلا ، فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الاول ، تكون لغة رابعة ، فان تغير بعد ذلك ايضا ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل (450) اللغات الى ما يتناهى لو حصل ذلك . ( لا حصل ) .

فان قيل : ان اللغة العامية الحالية انها كانت عرضة للتغير والتبدل لعدم تقييدها بالكتابة وتركها هبلا ، تتبع كل ربح بخلاف ما لو قيدت بالكتابة ، ودونت فيها الكتب ، وجرى عليها العلم والتعلم ، واستمر الحال (545) جاريا على تلك الحال ، فانها بذلك ترسخ وتثبت ، ولا يعثرها التغير .

قلنا : هيهات . فان اللغة الصحيحة ايضا كانت مقيدة بالكتابة ، مدونة فيها الكتب ، جاريا عليها التعلم والتعليم ، مؤيدة فوق ذلك بانها لسان الشرع والديانة (550) ثم انقلبت الى لغة اخرى ، على ما يقولون . فلم لا يجوز على غيرها ، وهو دونها ، ما جاز عليها ، وهي بهذه المثابة ؟

فان قالوا : يلزم بعد تقرير هذه اللغة العامية ، وتقييدها بما ذكر ، ان نمنع العلوم ، بالحكم والالزام ، عن التغيير والتبديل في الكلام ، ونلزمهم الاستمرار (555) على الحالة التي تنقرر الان ، وعدم العدول عنها . حتى ترسخ وتثبت ، وتصير لغة مستقرة وعادة مستمرة .

قلنا : ان الوصول الى تلك الغاية ( لو أمكن الحصول عليه ) ، انها يكون على ذلك بصنع المتصنع ، لا بحكم الطبيعة . ولا شك ان حصول الشيء بالصنع لا يكون كحصوله (560) بالطبع . ثم هذا المنع والالزام انها يمكن ، لو أمكن ، ويتم ، لو تم ، في الاجيال الطويلة ، وبالنسبة للاهالي خاصة ، وفي المجامع والمواقع الرسمية خاصة ، وفي المكاتب والمخاطبات التي تقصد بها الحكومة خاصة ، والا

فكيف ، ومن اين يتأتى التحكم على الناس بالمنع (565) والالزام ، في شيء من الكلام ، في المحاوراة والمحادثة ، بين أفرادهم ، ومع أهلهم ، وآلادهم ، وعائلاتهم ، وقرباتهم ، وصحابتهم ، وسائر ذوي تعلقاتهم ، وفي خلواتهم ، وجلواتهم ، ومزارعهم ، ومصانعهم ، ومحال حرفهم وصنائعهم (1) ، حتى تصير القاعدة عامة ، والفائدة تامة ؟ هذا ضرب (570) من المحال ، وأمر انها يتصور في الوهم والخيال ، لا يخرج من القوة الى الفعل ، ومن القول الى العمل .

والفرض الذي يقصدونه في تسهيل العلوم ، لا يزال مفقودا في جميع الاحوال . فان لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ، ولا سبيل لتقويته الا التربية والتثقيف . فان كان الواضع نفسه ساعيا في ترويض التحريف ، واللسان مندفع اليه ، فلا ممسك له عنه ، ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ، ويعود الاشكال بعينه . فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر .

(580) الوجه الثالث ، ان اللغة العامية جلمة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة ، واضيف اليها بعض الفاظ اجنبية ، من لغات الامم الذين دخلوا في اللغة ، ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها . وانا حفظ منها ما اشتدت اليه حاجة المتكلمين بها ، للتفاهم في الاغراض المعاشية (585) الظاهرة . اما العلوم والآداب ، فلم يكن لهذه اللغة حظ منها . فلو اردنا نقل العلوم اليها ، لكنا في حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة ، وصوغها في تراكيب تناسبها ، حتى تتم الفائدة . فان لم نفعل ، احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم والآداب ، نضمها (590) الى اللغة العامية الموجودة ، ونسمي المجموع لغة عربية عامية ، تحاكي لغتي الايطاليين والاغريقين الحديثين . وانا نجد بعض الكتب التي ترجمت ، أو ألقت ، في سوريا ، وفي مصر ، بعبارة تقرب من العامية ، لعجز المترجمين لها عن

استعمال الفصح في المفردات والتراكيب ، قد صار بمنزلة (595) الموجود في لغة اجنبية ، ولا يجد المطالع سبيلا الى فهمه الا بالاستفهام من مترجمه ، أو مؤلفه . فاللغة العامية لغة قاصرة ، ولا سعة فيها للعلوم ، ولا للشرائع ، ولا للآداب ، ولا للسياسة ، فكيف يمكن الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة ؟

(600) ولو اردنا الاطالة في ابطال هذا الرأي ، وايضاح الفساد في مقدماته ، لاتينا بتفصيل يحويه سفر طويل ، وغرضنا الآن عجالة تثبت رأينا ، فان دعا داع للتفصيل ، واستيفاء الادلة ، والاكتار من الامثلة ، رجونا ان نفي بالفرض من ذلك .

(605) والذي نراه : ان اللغة العامية ، خصوصا في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ، لم تبعد عن الفصح بما تصير به لغة مستقلة . فان المواد هي المواد الاصلية بعينها ، الا ما زاد عليها ، وهو قليل لا يلتفت اليه ، في تكوين لغة . وهيئات التراكيب (610) ترجع الى الهيئات المعروفة في تركيب الكلام العربي . غير انه قد عرض على المفردات تحريف وتغيير ، بنقص أو زيادة ، لم يخف بها أصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة ، أو كمل من النقص ، أو صحح من التحريف ، لم يستبهم معناه على العامي . فان العامي الذي يضع ( اللي ) مكان ( الذي والتي ) فيقول (615) : ( اللي يفعل الخير ينال ثوابه ) ، لو قيل له بدل هذه العبارة ( الذي يفعل الخير ينال ثوابه ) ، لفهمه كما يفهم لفظ العامي . ولا يزال الكثير من العامة يضع « الذي » مكان « اللي » ، فيستعمل عاميته مع الفصح كأنه مخبر فيهما ، كاللفظين المترادفين ، ولفظ « هنا » بكسر الهاء (620) ، لا تختلف عن « هنا » ، بضمها ، الا بالحركة ، ولا ينقلب معناها عند العامي ، لو نطقت صحيحة . وهذا هو الشأن في جميع الالفاظ المفردة . وعلى نحوه يكون الخطأ في التراكيب : فان الذي يفهم

( الرجل جه ) يفهم ( جاء الرجل ) ، والذي يفهم ( ما عليهش ) يفهم ( ما عليه شيء ) (625) والذي يفهم ( ايه ده ) او ( شوهادا ) ، من مصري أو سوري ، يفهم ( ما هذا ) و ( أي شيء هذا ) ، وما شابه ذلك من الاستعمال الفصيح . وقد تقدم شيء من هذا ، في مقارنة اللغات العامية : فالتحريف وفساد التركيب لم يذهب بالعامية عن فهم الصحيح بالمرّة ، بل هم يفهمون (630) منه ما اتفق مع الفاظهم في المادة ، وإنما يعنى عليهم فهم الغريب .

وأما قول أرباب ذلك المذهب : « لو فرض أن أتى إلى جهة يتكلم أهلها باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف إلا اللغة الفصحى لم يمكن أن يفهموا (635) منه أو يفهم منهم الخ (1) » فيها يخالف العيان والمشاهدة : فطالما شوهد كثير ممن يأتون إلى مصر يتكلمون بالعربية الصحيحة ، مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربية إلا الفصحى ، وليس لهم كتابة إلا بها ، وبعض المغاربة من أهل فلاتة وغيرهم ، فيتكلمون باللغة (640) العربية الصحيحة ، فيتضون مآربهم . ومن أعضاء هذا المؤتمر الحبر ، العلامة ، الشيخ محمد محمود الشنقيطي : سمعناه يتكلم في مصر باللغة الصحيحة فيفهم غيره ويفهم من غيره . وجاء من أهل سقطو الشيخ عثمان ابن جم ، ولم يتكلم إلا بها ، وكان يفهم ويفهم ، حتى اعتاد (645) بعض العامة على التكلم معه باللغة الصحيحة ، من كثرة المخالطة ، وأمثال هذا كثير . وكان العلماء لا يتكلمون إلا باللغة الفصحى ، ولم يكن بينهم وبين العامة ترجيحان . وأما ما يحكى عن بعض العلماء ، من أنه كان يسكن في بعض الأماكن المعروفة في مصر بالوكايل ، فقال للبواب ذات (650) ليلة ، يأمره بفتح الباب : ( « فتحا بواب » ) ، مصدر مؤكد لعامله المحذوف الخ ) ، فلم يفهم منه البواب ، وظنه

( 1 ) ر : السطر 5 - 10 .

يشتمه ، وشكاه في صبيحة الليلة إلى شيخ الجامع ، زمن العلامة الشيخ القويسني ، فما دهى إلا من التشدق في الكلام ، ولو اقتصر على أن قال : ( افتح ) لفهمه (655) البواب بالسهولة ، ووافق العامي ولفظ القرآن ، وفهمه كل من سمعه من العامة ، بلا أدنى صعوبة .

وكيف لا يكون ما نقول ، وجميعهم يحفظون شيئاً من القرآن الكريم ، يتلونه في صلواتهم ، والغالب منهم يضم إلى ذلك شيئاً من الأدعية ، والأوراد وشيئاً من الحديث (660) ، يستشهد به ، ثم هم في كل يوم جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصحى ، وما من سامع منهم إلا تظهر عليه علامة الفهم ، بما يظهر على وجهه ، وفي حركات بدنه ، ثم هم يسمعون الوعاظ في المساجد ، والكثير منهم يحضرون في دروس العلم ، فهم وإن لم يحسنوا النطق في كلامهم جملة ، فهم يفهمون (665) ، اللهم إلا ما كان من الغريب أو معقد التركيب .

وفساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات ، كما يزعمون ، بل أزالته أسير من جعل اللغة العامية مستقلة ، يتفاهم بها في العلوم والآداب ، وتوضع لها القواعد ، وتؤسس لها القوانين وما (670) على طالب ذلك إلا تعميم التعليم ، والزام المتعلم بتقويم لسانه عند النطق ، وتصحيح عبارته عند الكتابة ، من مبدأ التعليم إلى نهايته . فإن المواد لا اختلاف فيها ، إلا بنوع من التحريف ، كما قلنا . وهيئات التأليف لا فساد فيها ، إلا بنوع من سوء الترتيب . فاصلاح ذلك لا يزيد على (675) اصلاح لغة الطفل إذ ينطق بها ، وهو في سن السنتين ، أو الثلاث ، محرقة ، سيئة التأليف ، ثم لا يزال يصلحها له المصلحون ، حتى يكون كأحدهم ، وهو في الخامسة ، أو السادسة من عمره ، وأما ما يروونه من صعوبة المسالك إلى

تحصيل العربية الصحيحة ، وتيسر نيلها في الأزمان (680) الطويلة ، فذلك لا نراه إلا من اعوجاج طرق التعليم ، وفساد مذاهب بعض المعلمين فيه ، لا من بعد اللغة نفسها عن يد المتناول .

فالذي نراه لتسهيل العلوم على العامة ، ان نصلح لغتهم بالتقويم ، على النحو الذي قلناه ، ثم تكتب الكتب (685) في الآداب العامة والفنون الابتدائية التي يجب تعميمها ونشرها بين أفراد الأمة كائنة ، باللغة الفصيحة ، على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة في لغة العامة ، فيجمع في تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة : فاذا اراد ان يقول ( مفلق ) ، مثلا ، فلا يقول ( مرتج ) لانها (690) بعيدة عن الاستعمال العامي ، وقد مر شيء من ذلك ، ولا يقول أيضا ( مقفول ) ، من اقل ، بل يقول منه ( مقفل ) ، ولا ( مفلوق ) أيضا ، فانها رديئة متروكة والفصح ( مفلق ) . فاذا كان المعنى لا لفظ له فيها يقول العامة ، فيأتي بلفظ عربي ، ثم يفسره بما يوضح معناه ، ان لم يكن (695) معروفا ، وما دخل في اللغة العامية من الالفاظ الاجنبية يمكن طرحه منها ، واستبداله بأفضل منه من اللغة العربية . والاحسن ، والاقرب للاعتقاد والاعتداد ، أن يكون هذا بمعرفة جمعية علمية تتألف من مشاهير الأفاضل ، كما ذكره سيدي الأستاذ الوالد في آخر كتابه (700) الذي ألفه في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة . فانه اذا كان اختيار اللفظ بمعرفة من يوثق بهم ، ويعتمد بحسن اختيارهم ، قوبل بالقبول ، وتناولته الاستعمال . ومتى استعمل عند بعض القوم سار في البقية ، وتمكن في لغة الكافة ، (705) كما نراه في لفظ ( اللجنة ) و ( المؤتمر ) ، مثلا ، فانهما قبل عشرين سنة ، لم يكونا معروفين في معناهما ، الا عند البعض من أهل العلم خاصة ، وقد صارا ، من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما ، واتباع اصحاب الجرائد له على ذلك ، من الالفاظ العامية التي لا يخفى (710)

مفهومها على أحد . هذا في المفردات ، اما هيئات التراكيب ، فتكون على اقرب ما يمكن من تأليف العامة ، على شرط الصحة والفصاحة . ثم بعد ذلك ، ينظر في اللغة الفصيحة ، ويجلب منها ما يحتاج اليه في التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على السنة العامة في أنواع الفنون (715) والآداب ، لمن يبتغي الارتقاء فيها الى أقصى غاياتها ، فتكون سعة لغة الشخص على قدر سعة علومه ومعارفه . اما البلغاء والفصحاء ، وأهل الطبقة العليا ، في الكلام ، فلمهم في خطاب بعضهم بعضا ما لا يكون لغيرهم ، ولا يجب على أحدهم ان يجتنب من الالفاظ وصور التراكيب (720) الا ما ينكر عند علماء المعاني والبيان ، وأهل الذوق من حفظة اللسان . بل ربما حسن لأهل تلك الطبقة في البلغاء من النظم والنثر ، والترفع عما لا تلجئ اليه الحاجة من الالفاظ المبذلة العامية السوقيّة ، وان كانت صحيحة ، حيث لا يقصدون مخاطبة العامة (725) حتى عيب على بعض البلغاء استعمال بعض الالفاظ المبذلة . اما في مخاطبة العامي ، فيجمل بهم ان ينزلوا الى الطبقة التي يفهمونه بها ، فانهم يمكنهم ان ينزلوا إليه وهو لا يمكنه أن يصعد اليهم ، وبهذا تمتاز طبقة العامة عن طبقة الفصحاء البلغاء ، مع اتحادي اللغة (730) وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها .

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح في علوم العرب ولغتهم ، رجونا له النجاح ، اذا انعم النظر في الطريقة التي ذكرناها ، وتكبيها ، وتعديل طريقة التعليم وتسهيلها ، حتى تكون اقرب الطرق للتوصل (735) الى المقصود ، من نشر العلوم وتعميمها ، مع بقاء الوحدة في اللسان ، وانتفاع المصري بكتاب السوري ، والسوري بكتاب المصري ، وكليهما بكتاب المغربي ، وهلم جرا ، واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر ، في أي قطر ، لان المواد على هذا لا تختلف (740) عما هو موجود في كتب اللغة المحفوظة عند

جميع أهل اللسان ، فما استبهم من الالفاظ سهل  
مراجعة المعجمات لفهم معناه .

ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح ، التي  
اشرنا اليها ، الاقتصار للمتعلم على اللازم الضروري  
(745) دون سواه ، في غير الفن الذي هو بصدد ان  
يتخذه صناعة له ، وحرفة خاصة يستعين بها على  
معيشته ، وانتفاعه من وطنه ، وانتفاع وطنه منه ،  
مع كمال الاعتناء بمزيد تمكينه في ذلك اللازم ، بزيادة  
التمرين على الاستعمال ، وتطبيق العلم على العمل ،  
ثم مساعدة (750) التمثل (1) بالنظر والمشاهدة فيما  
يستدعيه ذلك ، مثل الطبيعة والكيمياء . وليقتس ما لم  
يقل ، فقليل يتقنه المتعلم ويتمكن فيه حتى يصير  
ملكة راسخة ، خير جدا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه ،  
من غير ان يعرف له معنى ، ويعيده على وجه ما سمعه  
كما يقول (755) البقاء . واللازم الضروري من علم  
العربية ، لكل ذي حرفة سواه ، ليس بكثير يعطل عن  
غيره لغاية ان يختار من اجل ذلك ترك العربية  
الصحيحة بالكلية ، بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة  
العامية ، لو اريد ان يجعل لها علوم وقواعد ، كما يراه  
من يذهب (760) ذلك المذهب ، اذا اتى الامر عن باب  
وسهل سبيله ، وازيل وعره . وما اوهم العسر ،  
وهول الامر ، الا ما قد يكون من ركوب التعاسيف في  
التعليم ، وعدم الاعتناء برعاية ما تتأكد رعايته ، من  
معاملة كل صنف من المتعلمين بما يليق به ويناسبه ،  
(765) بالنظر الى ما هو معدله . فاذا اعتنى بذلك ،  
سهل الامر ، ولم يبق بنا ادنى حاجة لتترك لفتنا  
الجامعة لاشتاتنا ، الموروثة عن اسلافنا .

ثم في هذه الطريقة التي اخترناها ما يحفظ على  
العرب آدابهم وعلومهم التي اودعتها كتب الاقدمين  
(770) . فان العامي متى تقوم لسانه ، كما يقوم لسان  
الصبي ، على ما قلنا ، وكتبت له الكتب القيمة بالمعبرة  
السهلة ، واستنار عقله بها اودعته من الآداب والافكار  
الصحيحة ، رأيته على مقربة من اللغة الفصيحة ، لا  
يبعد عنه تناول ما فيها ، فلا يحرم من تاريخ (775) أمته  
ولا من أصول شريعته ، ولا الآداب المودعة في السنة  
النبوية ، ولا من الفوائد الجمة المطوية في الاخبار  
العربية . كل هذا يكون قريبا من العرب جميعا ، اذا  
سلك بهم تلك الطريق القوية ، ولا يحتاجون في علم  
ذلك الى العناء الشديد في نقل جميع (780) علومهم ،  
المودعة في كتب لغتهم ، الى تلك اللغة الاخرى ، التي  
ظننا من ظن ، لغة جديدة ، لا سبيل لانتشار العلم الا  
باعتبارها كذلك .

وآخر الكلام ان اللغة العربية الفصيحة هي  
سبيل تقدم العرب في جميع احوالهم . فان وجدت (785)  
الناصر ، وانبعث الى العمل من وجهه ، اشرقت على  
العرب انوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ،  
واضاء عليهم من سناها ما اضاء على اعم العالم  
اجمعين ، عدة قرون ، لم يخف علم حالها على الناظر  
فيها .

والله اعلم

تم بقلم كاتبه محمد ربحان في 12 صفر الخير  
1307 هجرية ! (2)

1 « التمثل » بمعنى « ملازمة المكان » لا تنفي بالفرض المعنى هنا وربما كان قصد الكتاب « التمثل » .  
2 الموافق 9 اكتوبر ، تشرين الاول ، 1889 م .

# نقد الكتب

الدكتور محمد وح حقي

والدرس ، وتوفى في النجف أو آخر عام 1289 هـ ( فبراير 1970 م ) . كان شيعي المذهب وأكثر مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط يتعلق بالشيعة ، ويبدو أن لأكثرها قيمة علمية تاريخية لم نطلع عليها لنحكم بما نراه .

2 - الرهيمية : عين المؤلف معلما في الرهيمية ( قرية في أواسط العراق ) فأنشأ عنها هذا الكتاب ، وصفها فيه وصفا دقيقا جدا ذكر موقعها وتربتها وفلاحتها وطرقها وجوها وتاريخها وحالتها الصحية والاجتماعية والتاريخية بحيث يشعر القارئ أنه قد عاش فيها هو نفسه ورآها بعينه وشاهد نباتها وحيوانها وتحسن جوها وشارك سكانها العابهم وحبذا لو ذكر إلى جانب أسماء النبات والحيوان أسماءها العلمية لكان عمله أتم وأكمل أما الألعاب فقد سرد أسماءها بالعامة العراقية ولم يصفها وصفا دقيقا . وعلى هذا فلا يستطيع أن يفهمها إلا العراقيون وحدهم بل عراق الوسط وحسب .

3 - شوقي : وامارة الشعر : خمسون صفحة من الق قطع المتوسط . نقد المؤلف فكرة امارة الشعر نقدا عنيفا وحمل على شوقي ومشايخه وأدعى بأن هذا اللقب بدعة في تاريخ الادب العربي وأنه من مبتكرات العصر واتخذ ذلك وسيلة للحملة على الشعر الحديث الذي يسمونه ظلما وعدوانا الشعر الحر وما هو الا كالطبل الفارغ قمقعة ولا جال وبالجمل فبحته موضوعي كثير الاتزان ، ايده بأقوال كثير من الادباء في نفي فكرة الامارة عن شوقي وعن سواه .

أماي الآن يريد ضخم جدا ، لم أستطع ان اقرأ منه أكثر من ثلاثين كتابا ، معظمها من منتجات مطابع الكويت . يبدو أن هذا البلد الصغير بمساحته القليل بعدد سكانه كريم جدا بانتاجه الفكري ، ويأتي بعده مما وصل إلينا العراق والنجف منه بصورة خاصة فللسيد عبد الرحيم محمد علي وحده خمسة كتب هي : «شيخ الباحثين» الرهيمية ، شوقي وامارة الشعر ، رباب الكاظمي ، الكاظمي في ذكره الثلاثين » . ولسواه أكثر من كتاب كذلك ، فواجب مجلتنا ان تشير إلى كل كتاب نقدا أو تقریظا، إشارة ما ولو حاولت أن تعطي كلامها حقه وافيًا لضاق بها المجال وبنا . ولذلك نجتريء بالتعريف بها مع شيء من العرض ونترك النقد الموسع إلى فرصة أخرى ونتناول في كل عدد ما نستطيع لئلا نقصر بحقها جميعا . ونحن نقرا كل مؤلف نلقاه بدقة وانعام نظر وتقدير ولا نهمل شيئا منها ولا نقول كما قال الشاعر :

تكاثرت الظباء على خراش

فما يدري خراش ما يصيد

بل لكل منها مقامه ودقته والتفاتنا الخاصة إليه ... ولنعرض هذه الحصيلة فيما يلي : ولنبدأ بكتب السيد عبد الرحيم محمد علي ثم نقفي عليها بسائرها :

1 - شيخ الباحثين آغا بزرگ الطهراني في 88 صفحة من الق قطع الكبير يتحدث فيه عن الشيخ آغا بزرگ حديث التلميذ المحب عن استاذة ، وزينه ببعض الصور ، علمنا منه أن السيد بزرگ طهراني الاصل نجفي السكن عاش ما يقرب من سبعين عاما قضاها كلها في البحث



والذي نعرفه من قصة الامارة انها انت مرادفة  
للقب شاعر الامير وشوقي نفسه يقول :

شاعر الامير وما  
بالقليل ذا القلب

الا ان السيد طاهر الطناحي ذكر في كتاب « شوقي  
وحافظ » صفحة ( 33 ) قصة أخرى للامارة نرويها  
فيما يلي :

**لقب امير الشعراء :** وكما حدثت جفوة بين  
شوقي ومحمد فريد بسبب الخديوي ، وقعت  
ذات مرة جفوة عابرة أخرى بينه وبين الشيخ علي  
يوسف لهذا السبب ، وقد اراد الشيخ علي يوسف ان  
يكيد لشوقي كيذا صحافيا ، وكان شوقي يلقبني ذلك  
الحين بشاعر الامير ويدل بهذا اللقب . فما كان من  
الشيخ علي يوسف الا ان كتب مقالا ادبيا في جريدة  
المؤيد لقب فيه حافظ ابراهيم بشاعر النيل . وطبعي  
ان النيل يشمل مصر والسودان ويشمل الامير وغير  
الامير من اهالي الوادي ، فكان شوقي قد أصبح من  
رعية حافظ ابراهيم بعد هذا اللقب الجديد ، فغضب  
شوقي لذلك وغضب اصداؤه من الصحافيين  
السوريين والمصريين واذا باللواء وجريدة الاهرام  
والجريدة تصدر في اليوم الثاني ملقبة شوقي بأمر  
الشعراء وقد اشتهر شوقي من ذلك الوقت بلقب امير  
الشعراء ، وقبل ان يبايع بالامارة بنحو عشرين عاما .

وايا ما كان الامر فان الامارة قد الصقت باسم  
شوقي الصاقا قويا جدا والتاريخ الطويل وحده هو  
الكفيل باثباتها له او نفيها عنه .

**4 - رباب الكاظمي :** 126 صفحة من القطع  
المتوسط منه 48 صفحة دراسة عن الشاعرة والباقي  
نماذج من شعرها . والسيدة رباب هي الابنة الوحيدة  
لشاعر العرب الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي  
المتوفى عام 1935 ، ولدت عام 1917 فهي الآن في  
الرابعة والخمسين من عمرها المديد ان شاء الله ،  
وانجبت من زوجها الاستاذ الكبير السيد حكمة  
الجادرجي ولدا وبنتا عنيت بتربيتهما تربية ناجحة جدا  
واكملت دراستها بعد زواجها فحصلت على الدكتوراه  
في ( طب الاسنان ) من باريس ومارست عملها طبية في  
مستشفيات فرنسا والعراق والولايات المتحدة اذ  
كانت رفيقة زوجها في اسفاره موظفا دبلوماسيا كبيرا  
في تلك الديار . والملاحظ ان الكتاب لا يعدو كونه  
دراسة سردية لا تحليل فيها ، ومع هذا فان القارئ  
يخرج منها . وقد فهم شيئا كثيرا عن حياة الشاعرة في

حضر والدها - وكانت وحيدته - وفي كنف زوجها  
وفي مضمار الحياة الاجتماعية والادب والشعر .

**5 - الكاظمي في ذكره الثلاثين :** قرابة 200  
صفحة من القطع المتوسط فيه سرد متصل حول حياة  
الشاعر وعلاقاته برجال عصره ومجتمعه واسفاره  
ورسو مركبه في مصر سنين طويلة حتى توفاه الله تعالى  
واختاره الى جواره عام 1935 .

نحن نعرف ان الكاظمي شاعر الارتجال المجيب  
في هذا العصر ، وقد نفى عنه هذه الصفة كثير ممن لم  
يتصلوا به لكن المؤلف اثبت ذلك له بحيث لم يترك  
مجالا بعده لناقد . وكنت استغرب مثلهم طول نفسه في  
الارتجال حتى رايت بنفسي بين شعراء اليمن من يرتجل  
20 الى 40 بيتا في موقف خطابي لم يكن مستعدا له من  
قبل ، ورايت من شعراء النجف من يستطيع نحو ذلك ،  
فلم استبعد بعد هذا قوة الارتجال على المرحوم  
الكاظمي على قوة في السبك حتى ليخيل اليك انه قد  
اعده اعدادا طويلا من قبل وان كان دون المستوى  
الشعري الذي نستهدفه ونرمي اليه . وعلى اي حال  
فانه لم يكن اقل من اقرانه المشهورين في عصره أمثال  
البارودي وشوقي وحافظ والرصافي ... الخ .

ولقد اثبت المؤلف امرين كان محبو الاستاذ  
الكاظمي لا يعرفون الحقيقة فيهما وهما :

**1 -** ان الكاظمي قد اتصل فعلا بجمال الدين  
الافغاني وصاحب من بعده تلميذه الشيخ محمد عبده .

**ب -** وانه لم يكف بصره مطلقا كما ورد في كثير  
من كتب الادب وكل ما ذكر كذب وادعاء .

اما ما عناه الاستاذ الكاظمي من مر العيش وقسوته  
فلا يختلف فيه احد . لكن اباءه وشممه كان اقوى من  
فقره فتغلب عليه بالصبر والترفع والمروءة ...

**6 - مجتمعك هذا :** تأليف عبد الصمد تركي  
نحو 140 صفحة من القطع الصغير ، تناول فيه المجتمع  
العراقي الكذاب بالنقد الموضوعي ودعا الى بناء مجتمع  
جديد على أسس قوية من الصدق والاخلاق والفضيلة  
وهي بجماعها أسس الدين الحنيف . ما اشد حاجتنا  
الى مثل هذا النقد البناء في عصر فشت فيه الرذيلة  
والهبة والتخنت .

**7 - الزواج في الكويت :** تأليف عبد الله غلام  
حسين وعزة سعيد اسماعيل نحو 184 صفحة من  
القطع فوق المتوسط . تناول فيه المؤلفان المجتمع  
الكويتي بدراسة تحليلية دقيقة جدا وقاما باحصاء



علمي واثبتا النتائج للعلم الذي يخله الفرد للزواج والفرق المناسب بين العمرين للزوج وقويته وحقق اختيار الزوجة وقيمة المهر وتأثيث المنزل وجنسية الزوجة ودرجة تعلمها ونوع عملها والأزمة التي تعانيها الفتيات الكويتيات في زواج الشبان بأجنبيات ومشاكل الطلاق وتعدد الزوجات ... الخ .

وهي دراسة جديفة جديدة على الباحثين في هذا الموضوع من العرب جبدا لو قام يمثلها علماء في كل قطر عربي واثبتت النتائج في كتاب واحد بعد مقارنتها وبحثها وتحليلها . المجتمع يعاني أزمة زواج حقيقية وقد كتب في موضوعها كثير من الأدباء غير أن أكثر ما كتب سطحي لا قيمة له - وهذا الكتاب نور جديد يلقي على درب البحث في هذه المشكلة .

8 - دليل المتحف الكويتي : كتيب في 100 فحة من القطع الصغير مصور تصويرا جيدا ومتحف الكويت لا يزال صغيرا نأمل له اطراد النمو في المستقبل القريب .

9 - المرأة الكويتية في الماضي والحاضر : هو أول كتاب يسجل تاريخ المرأة وحاضرها ليبنى عليه مستقبلها الموفق أن شاء الله ، وقد نشرته اللجنة العليا ليوم المرأة الكويتية . وفي الكويت جمعية نسائية ذات نشاط محسوس تسمى جمعية النهضة النسائية ، ومن تتبع تاريخ الكويت وراى كيف تقدمت المرأة الكويتية وبأي خطى فساح جرت لأخذها العجب لهذا التقدم الممتاز الذي أحرزته والفضل في ذلك لا يعود للمرأة وحدها بمقدار ما يعود للحكومة التي وقفت الى جانبها موقف المشجع الحاثي عليها نحو الأب الشفيق على ولده .

10 - دليل المختار في علم البحار : تأليف المرحوم عيسى القطامي ، نشره ولده السيد عبد الوهاب ، يقع في نحو 250 صفحة من القطع فوق المتوسط ، مصور ملء بالأحصاءات يتحدث عن السباحة في البحر ( بخاصة المحيط الهندي والخليج العربي ) وعن خطوط الطول والعرض والبوصلة للسير نهارا وليلا في بحر لا يرى فيها الا الماء والسماء ، ومما يذكر أن المؤلف المرحوم القطامي لم يتعلم في مدرسة تعليميا نظاميا لكنه كان عصاميا عبقريا علم نفسه بنفسه وممارس الملاحة بشغف وحب وانتباه حتى أصبح من البحارة المشهورين ودخل التاريخ مع ابن ماجد وأمثاله من كبار ملاحى القرن الخامس عشر .

ان الامة العربية مليئة بالمعجزات الدفينة فمتى يتاح لها النشر ؟ ! ولو لم يتطوع السيد عبد الوهاب لنشر كتاب والده لجهلنا وجهل معنا التاريخ هذا العصامي الفذ والبحار النادر عيسى القطامي . فالى روحه العظيمة الرحمة والى ولده الشكر الجزيل .

11 - التنمية الاقتصادية في الكويت : تأليف صلاح الدين الصباغ يقع في 240 صفحة من القطع فوق المتوسط . وهو عبارة عن مجموع تقريرين قدمتهما بعثتا التنمية اللتان نظمهما البنك الدولي للانشاء والتعمير بطلب من حكومة الكويت . وقد علمنا من هذا الكتاب أن :

1 - الكويت تحوي 20 ٪ من احتياطي النفط في العالم .

ب - وانها رابع دولة في انتاج النفط ، تاتي بعد فنزويلا .

ج - وان عدد سكان الكويت نحو 350 ألف نسمة . نصفهم غرباء عنها وأجانب بعضهم مقيم اقامة دائمة وبعضهم طارئ .

د - وان مساحة منطقة الكويت تعادل مساحة نيوجرسي أو ويلز في أمريكا .

هـ - وان الدخل الفردي اعلى من اي دخل في العالم .

و - وان الادخار يعادل 45 ٪ فقط .

ز - وان 70 ٪ من اليد العاملة مرتبط بالخدمات والوظائف .

ح - وان أقل من 20 ٪ يمارس الزراعة والصناعة والحرف ، ونحن نترك للقارئ الكريم ان يقوم بنفسه بما يشاء من مقارنات بعد هذه الاحصاءات الناطقة بأفصح لسان .

12 - اقتصاديات الكويت : تأليف محمود الغريبي يقع في 192 صفحة من القطع فوق المتوسط تحدث فيه عن موقع الكويت الجغرافي وعن التطور التاريخي والسكان والتجارة الخارجية والقطاع الصناعي والقطاع الزراعي . وكان بحثه علميا مبنيا على دراسة دقيقة واحصائيات منسقة ، ونحن نرى ان هذا الكتاب يكمل الكتاب المتقدم وبهم دارسي المنطقة ديموغرافيا واقتصاديا ، فمتى يهتم مثقفونا بدراس امثال هذه الكتب القيمة ويفضلونها على القصص التافهة ؟ .

### 13 - الألعاب الشعبية الكويتية : تأليف سيف

مرزوق الشملال يقع في 400 صفحة من القطع فوق المتوسط ذكر فيه الألعاب الشعبية المعروفة منسقة مرتبة على حروف المعجم ومع ذلك فلم يبلغ فيه أكثر من حرف ( ذ ) ومعنى هذا ان الكتاب سيكون معجما كبيرا ممتازا لهذا الفن من الفلكلور الشعبي وقد شرح الألعاب بالصور الناطقة مما يساعد على الوصول بسرعة الى تصور الألعاب . والمهتمون بالشؤون الفولكلورية في البلاد العربية قلة من الادباء والعلماء تعرف منهم في سوريا المحامي السيد عبد القادر عياش والمجلة الفولكلورية في مصر نامل لهم مع الزمن ان يرتفعوا الى المستوى العلمي الصحيح للبحث . ونحن نقدرهم لانهم اول من ابتدا ففتح هذا الباب ولا يمكن ان يصل الباحث الى نهاية الشوط في وثبة . وتقدرهم كذلك تقديرا عظيما لاقبالهم على بحث جديد واهتمامهم بتسجيل ما اندثر او كاد من عاداتنا وتقاليدها واكثرها نبيل جيد ممتاز .

### 14 - الكويت والمستقبل : تأليف محمد

يوسف عيسى يقع في 160 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الكويت حتى نهاية عام 1961 وعن الامال المبنية عليها كدولة صغيرة غنية لنفسها وللمغرب ، وزجر عبد الكريم قاسم بعنف اذ كان قد تهجم على الكويت وحاول غزوها وضمها الى العراق طمعاً في نفطها ولؤلؤها وموقعها الاستراتيجي . اما عبد الكريم قاسم وقصة الغزو فقد اصبحت في ذمة التاريخ . واما ما عقد على الكويت من آمال فقد تحقق اكثرها - وها هي ذي دولة الكويت تعرض خدماتها ومعاوناتها المالية على جميع الدول العربية شرط استخدامها في مرافق اقتصادية تحيي البلاد وتنمئذها لا في سبيل تأييد حزب او حكومة وهي مؤمنة بأن الاشخاص والحزاب زائلون وان الامة العربية بجميع شعوبها فوق الارض العربية هي الحية الخالدة الباقية .

### 15 - صفحات من تاريخ الكويت : تأليف

يوسف بن عيسى القناعي . وهذه هي الطبعة الرابعة وتقع في 92 صفحة من القطع الصغير الا ان البحث على قصرة مرسوم مركز موجز ايجازاً حسناً ، ولا يقف عند حد التاريخ وحده بل يتجاوزه الى الحديث عن العادات والتقاليد والألعاب والمعتقدات الخرافية... وما شاكل ذلك مما يرتبط مع التسلسل الماضي في البحث تسلسلا منطقيا لا بد منه .

### 16 - النظام الاجتماعي في الاسلام : تأليف

ابراهيم محمد ليلى محارب يقع في 150 صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن الصور الاجتماعية العامة

في الجاهلية وفي الاسلام وذكر ما جاء به الدين الحنيف من تنظيم في الاسرة وفي المجتمع وفي تحرير النفس والفكر والمسؤولية العامة والسلام... الخ . وهو على شدة ايجازه حسن في جملته .

### 17 - عبد العزيز الرشيد : تأليف البدوي

المثلث ( عمان ) يقع في 70 صفحة من القطع الصغير قدم البحث في رواد الاصلاح في الكويت ثم تحدث عن عبد العزيز الرشيد مؤرخا وشاعرا . ومن عرف تاريخ هذا الرجل الرائد قدر عمل المؤلف كثيرا وهو جدير باكثر مما كتب عنه . واذا كان المثل الصادق يقول : « من خلف لم يمت » فنحن نقول :

ان عبد العزيز الرشيد لم يمت فهو حي خالد بمؤلفاته وبآثاره وبشعره واخيرا بولده البار السفير السيد يعقوب الرشيد الذي ورث عن والده رايه وأخلاقه وشعره وهمة في الاصلاح .. وللبدوي المثلث نحو عشرين كتابا صغيرا مطبوعا وبعض المخطوطات التي تنتظر النور ، وهو اديب منتج نشيط جيد الاسلوب حسن العرض مخلص لفنه اديبا وبחائفة ومؤرخا .

### 18 - الكويت : باللغة الانجليزية : تأليف

راجي الملاح يقع في 240 صفحة من القطع المتوسط يبحث في اقتصاديات الكويت بحثا علميا مبنيًا على احصاءات ومقارنات قدم له السيد اوجن بلاك بمقدمة تشعر بتقديره المؤلف والكتاب معا . ونحن نعتقد ان في الكتابة عن البلاد العربية باللغات الاجنبية خدمة كبيرة جدا لها في الاوساط العالمية . وسواء اترجم هذا الكتاب وامثاله الى اللغة العربية ام لم يترجم فقد ادى واجبه في العالم الخارجي وكان هذا من اول اهدافه . ولقد لاحظت على اسلوبه الدقة والبساطة وحسن العرض والبعد عن التكلف والتزمّت والتعقيد مما يسهل على القارئ الاجنبي الاطلاع عليه ويجتذبه اليه اجتذابا مع ان ابحاثه محض علمية واحصائية .

### 19 - من الامثال العامة : تأليف خالد سمود

الزيد يقع في 270 صفحة من القطع فوق المتوسط سرد فيه الامثال العامة الكويتية وقارن اكثرها بامثال من الفصحى رجع في اكثرها على ما راينا الى الميداني وهو اوسع كتاب في الامثال . وكانت مقارنته جيدة جدا تشير الى ما فيه من ذوق اديبي رهيف وكذلك استشهاد به بالشعر ، وموضوع الكتاب كما ترى ناجية من النواحي الفولكلورية النائية ضمها المؤلف بعناية وسجلها باحكام ، فلو قام سواه في البلاد العربية بعمل مماثل لسهل بعد ذلك التأليف تأييفا كاملا في هذا

الموضوع . هكذا تبتيء العلوم بالتجميع والتركيز ثم ينشأ عليها البحث القيم .

20 - **انشودة انجولا** : تأليف بيشر فايس  
ترجمة يسرى خميس وهو مسرحية من أشهر المسرحيات العالمية التسجيلية يقع في 120 صفحة من القطع الصغير يتصور فيها موقف الشعب البرتغالي التمس من ديكتاتورية سالازار .

21 - **تواضعت فظفرت** : تأليف اوليفر كولد  
سميث ترجمة علي زكريا الانصاري تقع في 200 صفحة من القطع الصغير . وهي مسرحية كوميدية طريفة تكاد تكون عرضا موضوعيا لحادث .

ولا بد من القول بأن هذه الرواية وانشودة انجولا من منشورات وزارة الارشاد والانباء في الكويت وهذه الوزارة تقوم بنشر كثير من الكتب القيمة والابحاث الدقيقة وتنقل خير ما في الادب الغربي الى العربية من اى لغة كانت وهو عمل مشكور جدا .

22 - **الترقيص عند العرب** : تأليف سعيد الدبوه جي ( الموصل ) في نحو 100 صفحة من القطع فوق المتوسط . نشرته وزارة الاعلام العراقية في سلسلة الفنون الشعبية .

كتاب حافل على صفه بكل جليل ودقيق في فن الترقيص عند العرب منذ أقدم الأزمنة العربية . وخصص الجزء الاخير منه بفن الترقيص في الموصل وهو في رأينا كثير الشبه بفن الترقيص في كل المنطقة الشمالية من العراق وسوريا تقريبا . يتحدث فيه عن ترقيص الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم والشعر الذي يروى في مثل هذه المناسبات وينعطف فيذكر بعض ما يخص ولادة الذكور وولادة البنات ورجع الفعل في الاسرة بسبب ذلك وما يقال في هذه المناسبة والكتاب في جملة تصوير فولكلوري جيد واضح يستحق مؤلفه كل تقدير .

23 - **حصاد التجربة** : تأليف الوجيه السياسي اليمني ابراهيم بن علي الوزير ، كتيب في نحو ثمانين صفحة من القطع الصغير ، ولكنه يحوي من الانكار والنقد والتوجيه الصريح ما لا يحويه كتاب ضخيم وكأنه نداء امة وصرخة شعب ندت على أسلات قلم من الكتاب حياه الله تعالى ايمانا صادقا ورأيا صائبا وتوجيها صحيحا .

24 - **الملاحة في الخليج العربي** : تأليف عيسى احمد النشمي كتاب من القطع فوق المتوسط

يتوف على مئتي صفحة ، افتتحه بذكرياته في بدء عمله في البحار فاذا هو كاتب قصة من الطراز الممتاز ثم قطع هذا الفصل قطعاً يشعره بأنه حذف شيئاً كثيراً جدا ومال الى شرح السفر في البحار فشرح ما يتعلق بالسفن والمراكب وقوانين السفر والملاحة وارشاد السفن وموانئ الكويت وتاريخها وقضى ذلك كله بخرائط مفصلة وحسابات ازياج دقيقة تذكرنا بأسد البحر الملاح احمد بن ماجد صاحب الراجيز في وصف البحر والسفر فيه وازياجته ونجومه وقيادة السفن ... الخ .

بل لقد اناف مؤلف كتابنا هذا عليه بما حباه التقدم المصري من ثقافة ملاحيه لم تكن موجودة زمن ابن ماجد المتوفى اوائل القرن العاشر الهجري .

والمؤلف اشتغل في البحر نحو ثلاثين عاما ، وكان اول مرشد عربي للسفن في الخليج وأول من تولى قيادة السفن وهو شاب حدث وأول من يحمل نحو 50 شهادة تقدير من ربانة بواخر تولى ارشاد سفنهم الى ميناء الشويخ .

واذا كان ابن ماجد قد ارشد فاسكودوغاما فسير أسطوله من ملندة على الساحل الافريقي الى كالكوفا في الهند ففتح للبرتغال باب الاستعمار في الشرق على مصراعيه وهو لا يدري . فغيسى النشر يرشد السفن الى موطنه لتدخل موانئه وتخرج منها فتفرغ بضاعتها المستوردة وتحمل بضاعتها المصدرة وتنشع التجارة والاقتصاد القومي ولا تفوته الرقابة عليها كما لا تفوت اي عربي في هذا المعنى ، فكل عربي لقوميته خفير .

25 - **الصوت الخافت** : تأليف سليمان الشطي كتاب في 125 صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة قصص نفيية يدل على اصالة في هذا الفن وارتباط شبه التزامي بمجتمعه وان لم يكن يقصده ، زينة ببعض الصور تخيلها مؤيدة لمعانيه وقدم الكتاب بعرض لتاريخ القصة في الكويت واهداه الى روح امه التي من حياتها علمته معنى الحب وفي رحلتها التي لا رجعة منها علمته معنى الصبر . وقد اجاد عرضا واسلوبا وموضوعا وهو أحد البدور الطيبة في الادب القصصي بالكويت .

26 - **جمعية تاريخ المغرب** : الكتاب في نحو 200 صفحة من القطع المتوسط نصفه باللغة العربية والنصف الاخر باللغة الفرنسية ، شارك في اصداره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط . ومع هذا

## 28 - مع جلالة الحسن الثاني في نواديو بموريطانيا:

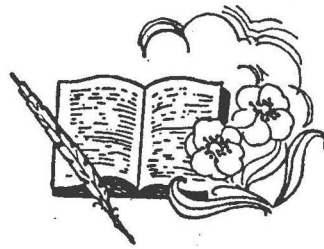
تأليف مؤرخ المملكة المغربية السيد عبد الوهاب بنمصور  
يقع في 180 صفحة من القطع المتوسط صور فيه  
المؤلف الرحلة تصويرا ممتعا جدا حتى لتكاد تشعر  
بانك من رفاق الرحلة نفسها في الطائرة والمطار  
والاحاديث في الذهاب وفي الاياب . وقدمه بكلمة عن  
الاستعمار والمستعمرين والصراع الذي قام بيننا  
وبينهم منذ وطئت اقدامهم هذه البلاد ، استغرقت  
بضع عشرات من الصفحات ، وهي مقدمة علمية دقيقة  
جدا على شدة ايجازها ، يزينها هذا الاسلوب السمج  
الذي امتاز به المؤرخ الفاضل فأصبح بحق صاحب  
اللقب الثابت « مؤرخ المملكة » .

واذا كان الناس يقدمون لاضياهم الحواذر  
والحوامض في مطلع الطعام ليشجذوا شهيتهم للاكل  
فنحن نختم طعامنا الفكري الذي قدمناه للقراء ناقدين  
بالحلوى . ولذلك جعلنا هذا الكتاب مسك الختام  
والحلوى بعد الطعام .

تتواضع الجمعية فتسميه ( نشرة ) . وهو العدد  
الثاني لعام 1969 ساهم فيه علماء مغاربة واجانب  
فجاء مرجعا ممتازا لما فيه من بحوث قيمة تناولت  
اصول حركة فتيان في المغرب والحملات التنقيبية في  
شيشاوه والجامع في الدراهم الادريسية والاهرام  
والفنون البلاستيكية ، ومستقبل اللغة العربية بالمغرب  
الاقصى ، وببيلوغرافية موجزة عن تاريخ افريقيا  
والاندلس وغير ذلك من بحوث قيمة جديرة بالمطالعة  
والحفظ والرجوع اليها عند الاقتضاء العلمي في بحث  
مثيلاتها .

## 27 - الملتقطات : كتاب كبير ، هو

خمس اجزاء في مجلد واحد انافت صفحاته على الأربع  
مائة في الحكم والفقه والادب والطرائف جمعها الشيخ  
يوسف بن عيسى القناعي اثناء مطالعاته في الكتب  
العربية قديمها وحديثها وفي المجلات العلمية والادبية ،  
وقد علق عليها احيانا تعليقا فيه ذوق وايمان ، ان هذه  
الملتقطات لتفني عن أسفار عديدة كما اغنى في القرن  
الثالث كتاب الاغانى الصاحب بن عباد عن حمل ثلاثين  
جملا من الكتب .



# جَوْل نسبة كتاب الحجّة في القراءات السّبع لابن خالوية

الدكتور عبدالعال سالم مكرم

قسم اللغة العربية  
جامعة الكويت

المناقشة ، لأن الحقيقة العلمية أكبر مني ، ومن أخي  
الاستاذ العابد .

وقبل مناقشة ادلة سيادته أحب أن أشير هنا  
إلى أن بعض المعاصرين الذين شكوا في نسبة هذا  
الكتاب إلى ابن خالويه فريق من أصدقائي ناقشوني  
مشافهة في هذه النسبة ، وكل أدلتهم تنحصر في أن  
كتب الطبقات لم تشر إلى ذلك ، ولم يقدم لنا هؤلاء  
الزملاء دراسة مفصلة منشورة في نفي هذه النسبة ،  
وليست هناك دراسة لابن خالويه ، ولكتاب الحجّة  
تضمها المكتبة العربية في الشرق أو في الغرب غير  
الدراسة التي قمت بها ، وغير هذا التعليق الذي تفضل  
به الأخ الاستاذ العابد على هذه الدراسة .

وأما الأدلة التي ذكرها الاستاذ العابد ليناقض  
بها أدلتي ، فاني أنقدها على الوجه التالي :

1) ذكرت أن تلميذ ابن خالويه لابن مجاهد  
فرضت عليه أن يحيا في الدراسات القرآنية ، ويتمكن  
منها ، ويلم بالقراءات ، ويدافع عنها ، وأنه ألف الحجّة  
في القراءات السبع لينافس به كتاب الحجّة الذي ألفه  
أبو علي الفارسي ، وأن عدم ذكر الحجّة لابن خالويه في  
كتب الطبقات يرجع إلى أن الكتاب في القراءات ،  
فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجّة .

ولكن هذا الدليل لم يقتنع الاستاذ العابد . لأن  
كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع في الدراسات

تفضل الاستاذ الكريم محمد العابد الفاسسي ،  
الاستاذ بجامعة القرويين بالمغرب بنشر بحث قيم في  
مجلة « اللسان العربي » ، المجلد الثامن ، الجزء الأول  
ص 521 ، ينقد فيه توثيقي لكتاب الحجّة ، ونسبته  
إلى ابن خالويه ، وقد نشر بحثي في المجلة نفسها ،  
والجزء نفسه ص 502 .

وقد أسعدني هذا النقد ، لأن الحقيقة بنيت  
البحث كما يقولون . وقد اقتصر نقده على الفصل الذي  
كتبته ، وأثبتت فيه نسبة الكتاب إلى ابن خالويه .

واني لا أضيق ذرعا بالنقد البناء ، فاحتكاك  
الأفكار بعضها ببعض ينمي العلم ، ويطور المعرفة ،  
ويبعث في الفكر الحركة والحياة .

وكنت أود أن أبارك هذه الأدلة التي أوردتها الناقد  
الفاضل لنفي نسبة الحجّة إلى ابن خالويه ، وأضع  
يدي في يده مسلما له بكل ما قال ، ولكن الحقيقة  
التي دفعته إلى أن يكتب هذا النقد هي الحقيقة نفسها  
التي دفعتني إلى أن أنقد هذا النقد ، لأنه قائم على أدلة  
لم تقتنع بها نفسي ، وأنا طالب معرفة ، فإذا اقتنعت  
آمنت وسلمت ، وإذا لم أقتنع لا ألوذ بالصمت ، أو  
بالصبر فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

علي أذن أن أبين السبب في عدم اقتناعي من  
غير أن أسمح للحظوظ النفسية أن تتدخل في هذه

القرآنية ، والف فيها كتباً لا يكفي ذلك دليلاً على إثبات نسبة كتاب الحجة له ، وأما كونه ليس بدعاً أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره فصحيح ، ولكن المسألة مسألة إثبات لا مسألة احتمال وتخمين ... » .

اقول :

ان تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد ، وبراعة ابن خالويه في الدراسات القرآنية حيث ألف كتباً في هذا المجال نصت عليها كتب الطبقات ككتاب : اعراب ثلاثين سورة ، والبدع في القراءات ، ومختصر شواذ القراءات ، وكتاب مجداول في القراءات ألفه لعضد الدولة ، اقول : ان هذا كله يشير الى ان كتاب الحجة موضوع القضية نسبته الى ابن خالويه صحيحة .

وقد قلت في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي » بصدد عدم ذكر هذه التسمية في كتب الطبقات : ان شهرة كتاب الحجة للفارسي غطت على شهرة الحجة لابن خالويه حيث اشتغل الناس به قراءة ، وتلخيصاً كما فعل أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه : المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي وغيره .

ومن الجلي ان اصحاب كتب الطبقات وابن خالويه نفسه اشاروا الى ان له كتاباً في القراءات ، فان ذهب هذا الكتاب ؟ لا يمكن ان يكون كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم 52 قراءات ، لان منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد والاطناب ، اذ يتحدث عن تفسير الآيات واسباب نزولها ، ويحشد قصصاً عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها ، والاحتجاج بها الا جزءاً يسيراً من هذا المنهج ، فكتابه في حقيقة امره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب التفسير التي تتعرض لهذه الأغراض جميعاً ، وقد نسخ هذا الكتاب المصور سنة 600 هـ بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عريبن محمد بن الحسين (1) .

على اننا نجد كتاب الحجة موضوع الحديث نسخ بخط واحد سنة 496 هـ وهو موقوف على القراءات وحدها ، والاحتجاج لها .

ان الذي يطمئن اليه القلب ، ويرتضيه العقل ان كتاب القراءات المنسوب الى ابن خالويه في كتب الطبقات هو كتاب الحجة نفسه ، لانه لا يعقل ان يكرر ابن خالويه ما كتبه استاذه ابن مجاهد في القراءات ، لان ابن مجاهد كل عمله في القراءات انه انتخب من القراءات العديدة هذه القراءات السبع وليس فيه الاحتجاج النحوي أو اللغوي لهذه القراءات ، على حين يطالعنا كتاب الحجة لابن خالويه بالتوجيه لكل قراءة ، والاحتجاج لها في مجال النحو واللغة وكذلك فعل أبو علي الفارسي في حجته ، اعتمد على هذه القراءات السبع التي جمعها استاذه ابن مجاهد ، واحتج لها في ميدان النحو واللغة .

يقول الفارسي في مقدمته : « فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد » (2) ، فأبو علي الفارسي كما يبدو في مقدمته ، لم يرد ان يكون كتابه نسخة مكررة من كتاب استاذه ابن مجاهد ، بل كان عمله التوجيه والاحتجاج ، اذا كان الامر كذلك فهل يعقل في باب المنطق ان يأتي معاصر لأبي علي كانت بينهما منافسات علمية خطيرة اشترت اليها في بحثي المنشور في مجلة « اللسان العربي » - ليؤلف في القراءات وتكون مهمته تكرار كتاب استاذه ؟

ان العصر الذي ضم هؤلاء الأعلام كان عصر احتجاج للقراءات التي ثبتت عن ابن مجاهد ، ولم يكن الامر مقصوراً على أبي علي الفارسي فقد شاركه في ذلك محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351 حيث ألف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر (3) وألف كذلك أبو محمد الحسن بن مقسم المتوفى 362 هـ كتاب السبعة بعللها : الكبير ، والأوسط ، والأصغر (4) .

ايصح ان يقال اذن : ان ابن خالويه اللغوي الكبير كان عاجزاً عن متابعة هذه الحركة القرآنية في عصره ، وهو من خيرة أعلامه ، ومن أشهر تلاميذ ابن مجاهد ؟

- (1) فهرس مخطوطات الجامعة العربية 12 ، وفهرس المخطوطات ، الجزء الاول : 1 س \ 276 .
- (2) مقدمة الحجة لأبي علي الفارسي 1 - دار الكتاب العربي .
- (3) الفهرست لابن النديم - 32 - 33 .
- (4) المرجع نفسه والصفحة ..



اليه ، لان كتب الطبقات لم تذكره ، ولان ابن خالويه لم  
يشر اليه في تضاعيف كتبه .

اقول لآخي الناقد :

لا احب ان اكرر ما قلت في شأن كتب الطبقات  
فليس اصحابها في عصمة من النسيان وليست هذه  
الكتب في مامن من الخطأ ، ولا ادل على ذلك من هذا  
التراث الضخم الذي حوته فهارس مكتبتنا في الشرق  
والغرب ولا تجد للكثير منه ذكرا في كتب الطبقات  
المعروفة .

الم اقل في بحثي لانتاج ابن خالويه العلمي : انني  
استطعت ان انسب الى ابن خالويه كتبا لم تضمها كتب  
الطبقات ، وعددت من هذه الكتب عشرة كتب اذكر منها  
كتاب الريح ، وكتاب أسماء الله الحسنى ، وكتاب  
الهاذور ، وشرح ديوان أبي فراس الحمداني ..  
استقطت هذه الكتب لانها لا توجد في البقية ، او في  
انباء الرواة ، او في معجم الأدباء ... الخ ؟ لو فعلنا  
ذلك لاجهنا على ترائنا بأيدينا من حيث لا نشعر ولا  
اسلم أيضا للناقد الفاضل بأن ابن خالويه لم يشر اليه  
في تضاعيف كتبه ، لان ابن خالويه قد اشار اليه ،  
اشار اليه في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند  
تعرضه للقراءات في قوله تعالى : « أنعمت عليهم »  
قال : « أجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا  
قلت : عليهما ، قال الله عز وجل : « يخافون أنعم الله  
عليهما » (7) الا يعقوب الحضرمي فانه ضم الهاء في  
التثنية كما ضمها في الجمع ، وقد ذكرت علة ذلك في  
كتاب « القراءات » (8) وهذا التعليل تجده في  
الحجة (9) . واما عدم ذكره باسم الحجة فقد بينت  
السبب في ذلك ، وان هذه التسمية جاءت متأخرة عن  
عصر ابن خالويه .

ان ابن خالويه حينما يقول : ذكرت علة ذلك في  
كتاب « القراءات » اليست هذه اشارة واضحة الى ان  
المعنى بذلك هو كتاب الحجة ؟ وما مدلول قولنه :  
« علة ذلك » اليست العلة هي التوجيه النحوي او  
اللفوي ، وما التوجيه النحوي او اللفوي الا الاحتجاج ،

الوقع ان العقل لا يسلم بذلك ، فان الظروف  
المحيطة بهذا اللون من الدراسات تلح على ابن خالويه  
أن يؤلف في القراءات ، ويوجهها ، ويحتج لها كما فعل  
معاصروه واكبر الظن ان الكتاب كان عنوانه الحجة في  
القراءات السبع فعند النسخ سقطت كلمة الحجة ،  
وهو امر يحدث كثيرا على يد النساخ ، او اختصر  
عنوانه فأصبح : القراءات ، واختصار العناوين ليس  
بدعا في مؤلفاتنا . وقد اشار الى ذلك محققو كتاب  
الحجة للفارسي حيث ذكروا أن كتاب الحجة يرد « في  
الكتب التي تذكره بأسماء مختلفة منها : الحجة ،  
والحجة في علل القراءات السبع ، والحجة في شرح  
القراءات السبع (5) .

الا يدل ذلك على أن أبا علي لم يضع هذه الأسماء  
العديدة لكتابه ، وانما وضع اسما واحدا فقط ، فجاء  
الرواة ، او الناسخون ، فغيروا وبدلوا مما جعل اسم  
هذا الكتاب يتخذ صورا متعددة .

على ان ابن خالويه كان في مقدمته صريحا ، فقد  
ذكر ان الكتاب في الاحتجاج وقد قلت : ان أنسب  
تسمية لهذا الكتاب هي الحجة ، فكلمة الحجة تطالعك  
في كل سطر من سطور هذا الكتاب .



(2) ذكرت ان كتب الطبقات ليست حجة قاطعة  
نرجع اليها في نفي نسبة الكتاب الى ابن خالويه حيث  
لم تشر اليه ، ذلك لان هذه الكتب نفسها أغفلت ذكر  
كتب لابن خالويه ، منها : كتاب أسماء الله الحسنى  
الذي اشار اليه ابن خالويه نفسه في كتابه : اعراب  
ثلاثين سورة حيث قال : « وقد صنفتها في كتاب  
مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (6) .

وقد علق الاستاذ الناقد على هذا القول بقوله :  
« هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بأن  
يذكر في اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة  
وحيث لم يذكر في كتب الطبقات ، ولا ذكر في باقي  
كتب ابن خالويه ، فهذا دليل على عدم صحة نسبته

(5) انظر مقدمة الحجة للفارسي - 4 .

(6) اعراب ثلاثين سورة - 14 .

(7) المائدة - 23 .

(8) اعراب ثلاثين سورة - 32 .

(9) الحجة في القراءات السبع : تحقيق : عبد المال سالم مكرم - طبع دار الشروق - بيروت .



وما الاحتجاج الا ذكر الحجة ، والحجة تتكرر في كل قراءة يعرضها الذي يعني ياسيدي والا واخيرا هو المضمون لا الشكل ، والجوهر لا العرض ، والمعنى لا اللفظ ، وهذا كله يشير الى ان كتاب القراءات الذي اشار اليه ابن خالويه هو في الاحتجاج ، وبذلك لا نسلم للناقد الفاضل قوله : انه لم يشير اليه في تضاعيف كتبه .



(3) وحينما ذكرت ان التسمية بالحجة قد تكون من عمل المتأخرين ، وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه أبو علي لعهد الدولة باسم الحجة .

يقول الأستاذ العابد معلقا : « اننا نؤكد ان النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي مكتوب بظهر أول ورقة من أجزائه بخط عريق في القدم من نسخة كان يملكها الحافظ الحجة أبو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الأمصار ... الخ . فمن أين الجزم بأن أبا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة ؟

اقول :

أخي ، ان الذي دفعني الى هذا القول هو ان عنوان الكتاب على الفلاف ليس هو الفصل في القضية كما فهمت سيادتكم .. فقد درج المؤلفون ان يذكروا في مقدمة كتبهم أسماء هذه الكتب أو موضوعاتها ، ويقوم الناسخون بوضع هذه التسمية على الفلاف ان كانت مذكورة في المقدمة ، أو وضع اسم ينطبق على موضوع الكتاب ان لم يكن اسمه مذكورا بنصه ، على ان الغالب في مؤلفات القدامى أنهم يذكرون موضوعات كتبهم في مقدماتهم ، ولا يشيرون الى اسمائها ، فعل ذلك أبو علي الفارسي حينما ذكر في مقدمة كتابه الحجة ما نصه : فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (10) ولم يشير

الى هذه التسمية وانما فهمت التسمية من موضوع الكتاب ، ولذلك اختلف الرواة فيها كما بينت آنفا .

وفعل ذلك ابن خالويه حينما ذكر في مقدمته ما نصه : « وانا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم » (11) فكلية « احتج » تجدها في مقدمة ابن خالويه على حين تفتقدها في مقدمة الفارسي .

وفعل ذلك أيضا الفارسي في كتابه « الاغفال » حيث يقول في مقدمته بصدد المسائل التي اغفلها الزجاج ما نصه : « ذكرناها لما اقتضت عندنا من الايضاح للاغفال الواقع فيها » وكتب على غلاف النسخة المخطوطة « الاغفال لأبي علي الفارسي (12) .

وكذلك فعل أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي في مقدمة كتابه « تفسير مشكل اعراب القرآن » حيث يقول : « فقصلت في هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب ، وذكر علله ، وصعبه ، ونادره ، ليكون خفيف المحمل » (13) . الخ . ولم يشير الى ان هذا الكتاب اسمه « تفسير مشكل اعراب القرآن » وانما ذكر الموضوع ، ولا يخفى على الراوية أو الناسخ لب هذا الموضوع ، فاستنتج الاسم منه ونسب اليه .

ولا ابالغ اذا قلت : ان كتاب سيبويه أشهر كتاب انتشر في الأفاق لم يسمه سيبويه بهذا الاسم ، وانما جاءت التسمية من الرواة أو الدارسين أو الناسخين ، يقول أستاذنا المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمته القيمة لتحقيق كتاب سيبويه ما نصه : « وقد عرف كتاب سيبويه من قديم الدهر الى يومنا هذا باسم الكتاب أو كتاب سيبويه ، ومن المقطوع تاريخيا أن سيبويه لم يسمه باسم معين » (14) .

وفي العصور المتأخرة نجد المؤلفين ينصون على تسمية كتبهم في مقدماتها وبذلك يكون عنوان الفلاف وفق عنوان اسم الكتاب المشار اليه في المقدمة فهذا ابن هشام في مقدمة كتابه المعنى يشير الى اسم كتابه فيقول : « سميته بمعنى اللبيب عن كتب الاعراب » ، والسيوطي في مقدمة كتابه الهمع يقول : « فتخيرت

(10) مقدمة الحجة للفارسي - 3 .

(11) الحجة لابن خالويه - 38 - طبع دار الشروق - بيروت .

(12) الاغفال لأبي علي الفارسي مخطوط رقم 649 تفسير - دار الكتب المصرية .

(13) شكل اعراب القرآن مخطوط رقم 232 ، تفسير - دار الكتب .

(14) مقدمة المحقق 1 - 23 - طبع دار القلم .

لهم هذه المجالة الكاملة بحل مبانيه ، وتوضيح معانيه الى ان يقول : مسماة بهمع الهوامع فى شرح جمع الجوامع » .

ولعل فى هذا الدليل الشافى فى ان عنوان الكتاب قد لا يكون فى بعض الاحيان من وضع المؤلف ، او من تسمية المؤلف .



(4) وقد ذكرت ان من الأدلة على ان الحجة لابن خالويه دليل التنافس العلمى فى هذا العصر ، ولكن هذا الدليل لم يرق فى نظر الناقد فكتب يقول : « وانا لا ادري ما وقع هذا الدليل . والتنافس العلمى ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الغرض المشكوك فيه من أصله ، وقد وقع التنافس فى كثير من الفنون فى عصره ، ولم يؤلف ابن خالويه فى جميع تلك العلوم المتنافس فيها » .

اقول :

لعل الناقد الفاضل يذكر ان أهم ما كان يشغل ذهن ابن خالويه هو العلوم القرآنية ، واذا نأفى فانه ينافس فى مجالها ، اما ما عدا ذلك من ألوان المعرفة كالطب والفلك ، والمنطق والفلسفة ، والحساب والهندسة ، فهذه علوم لا تدخل فى حساب المنافسة .

وقد اشرت الى منافسته للفارسي وابن جني ، وغيرهما كما سبق بيانه فى مجال الدراسات القرآنية .



(5) وقد قلت :

ان من اوضح أدلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته لابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وهذا التشابه محصور فى الإيجاز والاختصار ، وموضوعات أخرى ذكرتها فى بحثي ، واستدللت عليها بنصوص لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل الشك .

ولكن الأخ الناقد لم يعجبه هذا التدليل فقال : « ان الأسلوب والمنهج الذي كان سائدا فى عصر ابن

خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تتلمذ لابن مجاهد ، وابو علي الفارسي فى كتابه لم يكن يتبع غير طريقة الإيجاز ولو نسبيا » .

اقول :

لقد جعلني الناقد الفاضل اشك فى انه قرأ او اطلع على كتاب الحجة للفارسي الذي طبع منه الجزء الاول بتحقيق استاذنا النجدي ورفاقه ، وقد اشار سيادته فى تقديمه الى هذا الجزء المطبوع .

من قال : ان ابا علي الفارسي فى كتابه الحجة كان طابعه الإيجاز ولو نسبيا ؟ ان هذا قول لا تطمئن اليه النفس واليك الدليل :

ان الجزء الاول المطبوع من حجة الفارسي يحتوي على 331 صفحة من القطع الكبير ، ابتداء بفاتحة الكتاب ، وانتهاء بقوله تعالى : « على كل شيء قدير » آية 20 من سورة البقرة . اي ان هذا الجزء الضخم كله توجيه لقراءات الفاتحة ، ولعشرين آية من سورة البقرة ، فهل هذا إيجاز يا سيدي ؟

ان الاساتذة المحققين أجسوا ان نشر كتاب الحجة للفارسي قد يصل الى أربعين جزءا على غرار الجزء الاول مما يتطلب وقتا طويلا ، وعمرا مديدا ، ومنذ ثلاث سنوات لم ير النور من كتاب الحجة للفارسي غير هذا الجزء الاول ، مما دفعني دفعا قويا الى اخراج كتاب الحجة لابن خالويه ، لانه يقدم للقارئ خلاصة موجزة للاحتجاج النحوي واللغوي للقراءات السبع فى أسلوب ممتع ، وفى عرض يشرق على القارئ بهاؤه ويستولى على نفسه جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليحقق الهدف الأكبر من تأليفه ، وهو انتفاع الناس به ، او كما يقول فى مقدمته :

« قاصدا قصد الابانة فى اقتصار من غير اطالة ولا اكثار ، جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرّب على مريده ، وليسهل على مستفيده » (15) ، ومن حسن الحظ ان كتاب الحجة لابن خالويه أصدرته ونشرته دار الشروق ببيروت فى أوائل أغسطس سنة 1971 ، وهو الآن يشق طريقه الى عقول القراء ، لانه الكتاب الوحيد فى المكتبة العربية الآن الذي يمكن للقارئ الرجوع اليه عند توجيه قراءة فى مجال النحو واللغة من القراءات السبع .

(15) مقدمة ابن خالويه - 38 .

والقراءة الى موضوع آخر ليس منها فيقول : قال أبو الحسن الاخفش يقال : ملك بين الملك : الميم مضمومة ، وتقول : مالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها . ولا يكتفي بهذا بل ينقل عن أبي عثمان فيقول : وقال أبو عثمان : شهدنا املاك فلان وملكه ، ولا يقال : ملاكه ، وينتقل الى الحديث عن املاك المرأة وهو العقد عليها ، وقد ذكره فيما قبل ثم عاد اليه .

ومن غير وحدة أو ترابط يرجع بعد ذلك الى قراءة « ملك » أو « مالك » فإذا فرغ من هذا اتجه الى الحديث عن اضافة مالك الى يوم الدين والاضافة باب من أبواب النحو ، أخذ أبو علي يشق الحديث عنها الى منتصف ص 36 ، اى ان الحديث عن مالك يوم الدين تناول 36 صفحة من القطع الكبير . فهل هذا ايجاز أو اختصار ؟

انظر الى ما كتبه ابن خالويه فى «مالك يوم الدين» قال ما نصه : « يقرأ بانيات الالف وطرحتها ، فالحجة لمن اثبتها أن الملك داخل تحت المالك والدليل له قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك » (18) والحجة لمن طرحها أن الملك أخص من المالك وأمدح ، لأنه قد يكون المالك غير ملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (19)

وقد بلغت صفحات حجة ابن خالويه بعد طبعه 318 صفحة من القطع الكبير خلاف المقدمة والفهارس مع انه تناول توجيه القراءات السبع فى القرآن الكريم كله مبتدئا بفتحة الكتاب ، ومنتها بسورة الناس .



(6) ومن أدلتي فى أن كتاب الحجة تصح نسبته الى ابن خالويه أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا أسبق منه زمنا مما يدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه . ولكن هذا الدليل من الأدلة الواهية فى نظر الناقد الفاضل حيث يقول : « هذا من الاستدلالات الواهية ، ومتى كان النقل عن اعلام سابقين فى الزمان دليلا على تثبيت نسبة الكتاب لشخص معين » .

والى اخي الفاضل الأستاذ العابد أقدم دليلا ملموسا من كلام ابن جنى تلميذ الفارسي حول هذا الكتاب ، وراي ابن جنى الذي امتص ثقافة استأذه الفارسي فى هذا المجال راى لا يتسرب اليه الشك أو الضعف لانه شهادة على النفس كما النفس ، ولأن ابن جنى من الفارسي بمثابة الروح من الجسد . يقول ابن جنى فى المحتسب : ( فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء ، الى ما يجفو عنه كثير من العلماء » (16) .

ويقول فى موضع آخر : « وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة فأغمضه وإطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراء ، وأجفاهم عنه (17) .

الا يدل هذا على أن ابا علي الفارسي لم يكن رائده ايجاز والاختصار كما يقول الناقد . بل كان رائده التطويل الممل ، والاستطراد المخمل ، والأسلوب المعقد كما أشار الى ذلك تلميذه ابن جنى .

وليقتنع الناقد الفاضل بما أقول فاليه هذا المثال من كتاب حجة الفارسي :

قال أبو علي فى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » « اختلفوا فى اثبات الالف واسقاطها من قوله » . « ملك يوم الدين » ثم يبين قراءة عاصم ، وقراءة غيره وبعد ذلك ينقل عن أبي بكر محمد السري نصا يستدل فيه على أن « ملك » يجمع ( مالكا ) اى ملك ذلك اليوم بما فيه ، ومالك انما يكون للشيء وحده .

ولا يكتفي بهذا ، بل ينقل حكاية عن عاصم الجحدري ، وبعد ذلك ينقل رواية لثعلب يحتج فيها لقراءة الكسائي « ملك الناس » ويستطرد الى قول أبي عبيد فى تفسير معنى « ملك يوم الدين » ويبين أن المالك والملك يجمعهما معنى واحد ويرجعان الى اصل وهو الربط والشدّة ، ويستدل على ذلك بالشعر العربي ويستطرد مرة أخرى الى تفسير معنى الاملاك ، وهو ربط الرجل بالمرأة ويعود من حيث بدأ الى قراءة « ملك » ، وقراءة « مالك » وسرعان ما يترك توجيهه

(16) انظر : مقدمة المحتسب لابن جنى - طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

(17) مقدمة المحتسب المرجع السابق .

(18) آل عمران - 26 .

(19) الحجة لابن خالويه - 38 .

(7) وأما الدليل السابع من أدلة النقد ، فإنه ينصب على قولي : « ومن الأدلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه الأخرى مع بعض نصوص الحجة » ، وقلت : انني لا أبالغ في أن هناك نصوصا بأساليبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة » .

ولكن الناقد لا يقتنع بهذا أيضا فيقول : « ان هذه المشابهة أو المقارنة بين النصوص لا تفيد شيئا في الواقع ، ومجرد القاء الباحث نظرة في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون ، والقراء والمفسرون والمعاصرون ، للفارسي وابن خالويه يجد أن جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة في المعنى حتى وفي اللفظ في بعض الأحيان ، ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن أن نستدل بذلك على إثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب » .

أقول :

كنت أود من الزميل الفاضل أن يذكر لي ، ولو نصا واحدا من هذا التشابه والتقارب المعنوي أو اللفظي كما ذكر .

يا سيدي .. لقد علمتنا كتب التراث أمانة النقل فاذا رجع مفسر من المفسرين أو النحويين أو القراء الى حجة أبي علي مثلا ، فإنه لا ينقل نصوصا متقاربة المعنى أو متشابهة اللفظ الا بعد أن يذكر قوله : (وقال الفارسي في الحجة ) اما ان يعتدي على المعاني ، ويكسوها الفاظا من عنده فهذه سرقة لا تليق بعالم يعتد بقوله . ومن وقع فيها شهر به ، وسخر منه ، والروايات على ذلك عديدة . والمعاني يا سيدي مطروحة في الطريق ، وانما هي نتيجة كد الذهن ، واعمال الفكر ، وبذل الطاقة والاطلاع الواسع والالهام المبدع . كيف تتقارب المعاني ، ولكل مفسر منهجه وطريقته ولكل كتاب من كتب القراءات في الاحتجاج وغيره أسلوبها الخاص وطريقتها الخاصة ؟ نعم أن النقول قد تعددت في كتب التراث ، ولكنها نقول لها مصادر معروفة ، وأشخاص معروفون صدرت عنهم ، ونقلت منهم ، ولا يصح التصرف فيها بالتغيير أو

أحب أن أذكر الأستاذ الناقد بما ذكره استاذنا المحقق عبد السلام هارون حيث قال ما نصه في كتابه المبتكر « تحقيق النصوص ونشرها » : « وتعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس في تصحيح نسبة الكتاب أو تزييفها ، فالكتاب الذي تحشد فيه أخبار تاريخية تالية لعصر مؤلفه الذي نسب إليه جذير بأن يسقط من حساب ذلك المؤلف . ومن أمثلة ذلك كتاب نسب الى الجاحظ وعنوانه « كتاب تنبيه الملوك والمكايد » ومنه صورة مودعة بدار الكتب المصرية برقم 2345 ادب . وهذا الكتاب زيف لا ريب في ذلك ، فانك تجد من أبوابه باب « نكت من مكاييد كافور الاخشدي » و « مكيدة ثوزون بالمتقى لله » ، وكافور الاخشدي كان يحيا بين سنتي 292 ، 357 ، والمتقى لله كان يحيا بين سنتي 297 و 357 ، فهذا كله تاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرات من السنين (20) ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما ذكرته في كتابي « القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية » أن كتاب اعراب القرآن للزجاج المخطوط بدار الكتب المصرية رقم 528 تفسير ليس للزجاج بأدلة ذكرتها ، منها : ورود عبارة في هذا الكتاب وقفت عندها طويلا وهي قوله في باب التقديم والتأخير : « وقد تصالح الأستاذ والفلام على أن الظرف يعمل فيه الوهم ورائحة الفعل » وذهبت أبحث من الأستاذ ؟ ومن الفلام ؟ لأنه اذا تم التعرف عليهما أو على أحد منهما ، وتبين انهما عاشا في عصر متأخر عن عصر الزجاج أمكن أن يكون ذلك دليلا يؤكد أن كتاب اعراب القرآن هذا ليس للزجاج .

أقول : بعد بحث طويل وجدت في تاريخ الادب العربي « لبروكلمان » ما نصه :

« وكان أوفى تلاميذ ثعلب له ، وأقربهم اليه أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز السورقي البارودي ، ومن ثم سمي غلام ثعلب ، وتوفي غلام ثعلب ببغداد سنة 345 هـ » (21) على أن الزجاج المنسوب اليه هذا الكتاب توفي عام 311 هـ (22) ولعل في هذا القدر الكافي لاقتناع الأخ الناقد .

— ♦ —

- (20) تحقيق النصوص ونشرها - 43 طبعة ثانية ( الحلبي ) .  
 (21) تاريخ الادب العربي لبروكلمان 2 - 218 ، والقرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية - 275 .  
 (22) = البقية 1 - 413 .

التبديل . وما عدا ذلك فردية في الطريقة ، وفي المنهج وفي الأسلوب ، والا كان تكرارا أو سطوا وكلاهما لا يليق بأولى العلم والمعرفة ، هذا في مجال المعاني فما بالك في مجال تشابه اللفظ . اظن أن توافق الخواطر قد يحدث في جملة أو كلمة أما أن يحدث في نص متعدد سطوره فذلك أمر لا يقبله المنطق . وقد ذكرت يا سيدي تشابه أسلوب ابن خالويه في كتاب الحجة بأساليبه في كتبه الأخرى ، لأن المؤلف واحد ، والعقل واحد ، والأسلوب واحد ، وطريقة التفكير واحدة . وقد بينت أن في الحجة من كتاب « اعراب ثلاثين سورة » نصوصا بالفاظها ومعانيها، وأن في الحجة من كتاب « الريح » نصوصا بالفاظها ومعانيها ، وقد سجلت ذلك في بحثي المنشور في مجلة «اللسان العربي» نفس العدد الذي ذكر فيه نقد الأستاذ الفاضل . الا يكفي هذا دليلا واضحا على أن الحجة لابن خالويه لا لغيره .



(8) والناقد الفاضل لم يتعرف بقدم النسخ ، « لأن النسخ مجهول أمره ، ولأن الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري ، يعرف هذا بالبداهة من له خبرة بالخطوط ، وتطوراتها، والمقابلة المذكورة لا تفيد أي شيء ولأن كاتبها مجهول»

اقول :

ان هذا الدليل لا نسلم للسيد الفاضل بصحته ، لأن كثيرا من الكتب المخطوطة لم تظهر بذكر اسم ناسخها ، وجهل الناسخ لا يقلل من قيمتها ، لأن الدراسة التي تقوم حولها ، وتحليل مناهجها وطريقة تأليفها ، والتمرس بأسلوب مؤلفها ، والخبرة بالعصر الذي نسخت فيه كل ذلك يزيل الغموض عنها ، كما فعلت ذلك في دراستي لكتاب الحجة .

على أن كتاب الحجة للفارسي لم تظهر النسخة الأصل التي اعتمد عليها المحققون باسم الناسخ ، فهل جهل الناسخ ينفي أن كتاب الحجة للفارسي . ليس من التناقض أن أثبت أن كتاب الحجة منسوب للفارسي مع جهل الناسخ ، وأنفي نسبة كتاب الحجة لابن خالويه لأن الناسخ مجهول ؟

اما جهل ناسخ الحجة للفارسي فإليك الدليل : قال المحققون : « اعتمدنا في تحقيق كتاب الحجة على نسختين كتبت أولاها سنة 390 هـ بخط النسخ الواضح ، وضبطت كلماتها بالشكل ضبطا كاملا وهي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم 3570 ع ، وفي دار الكتب المصرية صورة منها برقم 462 قراءات وفي خزانة مجمع اللغة العربية مصورة منها كذلك ، وقد جعل المحققون هذه النسخة هي الأصل لأنها الأقدم في النسخ ، ولم يشيروا إلى اسم الناسخ لأنه غير موجود » .

من هذا ، يتبين أن ظاهرة كتابة اسم الناسخ قد تختلف في كثير من الكتب المخطوطة وليس الجهل بالناسخ ينقص من قدر المخطوط ، ويقلل من قيمته ، والا لما اعترفنا بكتاب الحجة للفارسي ، وهو لا يتطرق إليه الشك .

مع ان هذه النسخة كما يقول المحققون كتبت بخطوط مختلفة فقد ذكروا ما نصه :

« ويلاحظ أن خط الصفحتين الأولى والثانية مخالف لخط سائر الصفحات في كل من الجزء الأول ، والثاني ، والسابع ، وخط الصفحات الأولى والثانية والأخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء الثالث ، وخط الصفحتين الأوليين والصفحتين الأخيرتين مخالف لخط سائر صفحات الجزء الرابع ، وخط الصفحة الأخيرة مخالف لخط سائر صفحات الجزء السادس » (23) .

وكتاب الحجة لابن خالويه كتب بخط واحد ، لم يتخلف في صفحة واحدة من صفحات هذا الكتاب .

واحب أن اطمئن الأخ الفاضل إلى أن هذا الخط الذي كتبت به نسخة الحجة من الخطوط المتداولة في القرن الخامس ، وقد رجعت إلى أستاذنا المحقق عبد السلام هارون ، وعرضت عليه صفحات مصورة من هذه النسخة ، فأقر بما لا يدع مجالا للشك أنها من خطوط القرن الخامس الهجري . وكذلك أقر هذا الزميل المحقق الأستاذ عبد الستار فراج رئيس قسم التراث بوزارة الثقافة بالكويت .

(23) = مقدمة الحجة للمحققين - 33 .

هذه النسبة هو أن جميع المصادر التي ترجحت لابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجة ، ولم يعرج أصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه « هذا القول ذاته موجه اليك يا سيدي ، فإذا كان حجة ابن خالويه مختصرا لحجة الفارسي فلم لم تشر اليه المعاجم والفهارس وطبقات القراء مع شدة اعتناء العلماء بحجة الفارسي فقد ذكروا أن مكى ابن أبي طالب المتوفى 437 هـ اختصره في كتاب سماه : منتخب الحجة في القراءات ، واختصره أيضا أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأندلسي المتوفى 455 هـ ، ومحمد بن شريح الرعيني المتوفى 476 هـ (24) .

ولم يشر أحد الى أن عالما مجهولا لخص حجة الفارسي ، وبذلك يكون الناقد وقع فيما نقد به غيره .

والحقيقة أن حجة ابن خالويه تبعد كل البعد أن تكون تلخيصا أو اختصارا لحجة الفارسي ، وذلك لامرين :

1 - أن مقدمة حجة ابن خالويه تختلف في منهجها عن مقدمة الحجة للفارسي ، فابن خالويه يقول في مقدمته : « وبعد ، فاني قد تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع . وقصد من القياس وجها لا ينفع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، الى أن يقول : وأنا بمون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم الى أن يقول : وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير اطالة ولا اكثار ، الى أن يقول : جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرب على مرّغه ، وليسهل على مستفيده » (25) .

والفارسي يقول في مقدمته : « فان هذا كتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المترجم بمعرفة قراءات أهل الامصار والحجاز ، والعراق ، والشام بعد أن تقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه ، واخذناه عنه ، وقد كان أبو بكر محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في

ومما يجدر ذكره أن الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رغب في أن يقوم طالب من طلاب الدراسات العليا لتحقيق نسخة الحجة لابن خالويه للحصول على الدكتوراه تحت اشرافه وفعلا بدأ الطالب يستعد لتسجيل هذا الموضوع في كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ولما علم الدكتور الفاضل إني قمت بتحقيقه ، وفرت منه ، عدل عنه ، اكتفاء بتحقيقي ولا أنسى أن اذكر للناقد أن خبراء الخطوط بدار الكتب المصرية عرضوا هذا الكتاب في معرض الخطوط العربية القديمة على أنه واحد من الكتب التي تبين معالم الخطوط في القرن الخامس الهجري .

ولعلي بهذا أكون قد بينت للناقد الفاضل وجهة نظري في ادلته مؤيدة بالدليل بعيدة عن هوى النفس ، أو عن داء التعصب للرأي .

بقيت ملاحظات أخرى عامة ، أحب أن أوجه نظر الناقد الفاضل اليها :

(1) تناقض الناقد مع نفسه : فعنوان تعقيبه حمل العبارة التالية :

( نسبة الحجة الى ابن خالويه لا تصح ) ثم ذكر بعد ذلك في السطور الأخيرة من تعقيبه أنه ( لا يمكن أن ننفيه عنه نفيا قاطعا ) .

ومن حقي أن أسأل الناقد : هل يجوز في مجال البحث العلمي أن تنفي ثم تنفي هذا النفي ولو بدرجة ما ؟ لأن نفي النفي ، إثبات ، كان الأجدر أن يكون عنوان نقدك : ( نسبة الحجة الى ابن خالويه فيها نظر ) أو ليست مؤكدة ، أو يتطرق اليها الشك ، أما أن تنفي هذه النسبة بلا النافية ، ثم تعود بعد ذلك لتنفي ما نفيت ، هذا أمر لا يتلاءم مع منهج البحث .

(2) أثبت الناقد في السطور الأخيرة من نقده : « أن الذي تميل اليه النفس هو أن كتاب الحجة هذا هو أحد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الأصلي لابن علي الفارسي لعالم مجهول » .

أقول :

أن الناقد الفاضل نقد نفسه بهذا القول ، ألم يقل بعد ذلك بسطور « والذي يجعلنا نميل الى نفي

(24) البقية : 297 - 195 ، وكشف الظنون 2 - 244 .

(25) الحجة 37 - 38 .



## 2 ( معاني القرآن للزجاج ..

تضم دار الكتب المصرية نسختين مخطوطتين  
من هذا الكتاب .

— نسخة رقم 111 — تفسير ، وقد وثقتها  
برجوعي الى كتاب « الاغفال » لابي علي الفارسي لانه  
ضم كثيرا من نصوص معاني القرآن للزجاج ثم علق  
عليها مصلحا ما أخطأ فيه الزجاج ، فرأيت أن نسبة  
هذه النسخة الى الزجاج صحيحة ، لأن النصوص  
التي أوردها الفارسي في الاغفال هي نفس النصوص  
التي أوردها الزجاج في المعاني .

— نسخة رقم 636 — تفسير ، وبعد تمحيص  
استطعت أن أثبت هذه النسخة ليست للزجاج ،  
والزجاج منها بريء (29) .

3 ( اعراب القرآن للزجاج رقم 528 — تفسير —  
دار الكتب المصرية ليست للزجاج كما بينت سابقا في  
هذا البحث .

4 ( البرهان في علوم القرآن للحوفي : نسخة  
رقم 20503 بدار الكتب المصرية . وقد صورت منها  
النسخة رقم 20784 ب والنسخة رقم 20785 ب .

ومع مجهود التصوير المكرر لهذه النسخة ،  
فانها ليست للحوفي ، بل هي نسخة من اعراب القرآن  
لابي جعفر النحاس (30) .



وبتوفيق الله لم يسبقني أحد الى هذه  
التصحیحات أو التحقیقات ، ولا فخر في ذلك ، فان  
ما يبذل حول الدراسات القرآنية قليل بالنسبة لما  
يجب أن يكون وقد ألفت هذه التحقیقات على هذه  
المخطوطات ضوءا كاشفا يحملنا على أن نعيد النظر في

كتاب كان ابتداء باملائه وارتفع منه تبييض ما في سورة  
البقرة من وجوه الاختلاف عنهم ، وأنا أسند اليه ما  
فسر من ذلك في كتابي هذا والى الله أرغب في تيسير  
ما قصدته « (26) وبمقارنة المقدمتين نتبين في وضوح  
وجلاء أن المنهجين مختلفان ، ولا يليق بعالم مختصر  
أن يتناول هذا التطاول ، ويكتب هذه المقدمة بهذا  
المنهج الذي رسمه ، وكتابه تلخيص لكتاب معروف ،  
وما الدافع الى عدم الإشارة الى هذا التلخيص .

ب — ولو كانت حجة ابن خالويه تلخيصا  
لحجة الفارسي لرأينا تشابها في اللفظ وتقاربا في  
المعنى ، واتحادا في الفكرة مع أن الكتابين مختلفان  
لفظا ومعنى ، وفكرة ومنهج ، وإن اتحد موضوعهما ،

(3) أود أن أقول لآخي الفاضل أن كتب المعاجم  
والفهارس لا يعتمد عليها كل الاعتماد ، لأن بعضها منها  
نسب كتبنا الى غير أصحابها ، وفهارس المخطوطات  
في دور الكتب العربية تحتاج الى نظر ، لتفهرس من  
جديد ، فكثير من المخطوطات قالوا عنها : انها مجهولة  
النسبة ، وكثير من المخطوطات نسبت الى غير أصحابها  
ولا ادل على ذلك من هذا التصحيح الذي قمت به  
لبعض المخطوطات : وهذه أمثلة منها :

## 1 ( اعراب القرآن لمؤلف مجهول ..

جاء في فهارس المخطوطات المصورة لمعهد احیاء  
المخطوطات العربية بالجامعة العربية ما نصه : «اعراب  
القرآن لمؤلف مجهول . الجزء الثاني من نسخة كتبت  
في القرن التاسع ، يتبدى من أول سورة الانعام ،  
وينتهي بآخر سورة الاسراء (27) . وبعد بحث طويل  
استطعت أن أثبت أن هذا الجزء ليس لمؤلف مجهول ،  
وانما هو لمؤلف معلوم ، وهو السمين الحلبي ، حيث  
قارنت نصوصه بنصوص النسخة المخطوطة بدار الكتب  
المصرية رقم 321 — تفسير — فوجدت النصوص  
متحدة متماثلة . نفس النصوص ، ونفس الأسلوب ،  
ونفس الالفاظ (28) .

(26) = مقدمة حجة الفارسي — 4 .

(27) 1 — 20 .

(28) = القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية : عبد المال سالم مكرم — 253 .

(29) انظر الأدلة في ذلك المرجع السابق — 252 .

(30) انظر الأدلة في ذلك المرجع السابق — 284 .



هذه المخطوطات لتقويمها من جديد حتى لا تختلط القيم  
وتضطرب الأمور .



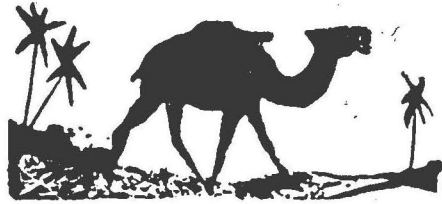
وبعد ، فاني أقدم شكري العميق للأخ الفاضل  
الأستاذ العابد ، على هذا النقد البريء الذي تفضل به  
مشكوراً .

أشكره لأنه أتاح لي فرصة طيبة لبيان وجهة  
نظري في نسبة كتاب الحجة الى صاحبه وأشكره لأنه

أثار القراء نحو هذا الكتاب ليطلعوا على ما فيه بأنفسهم ،  
والقارئ شريك الناقد والباحث في أن يكون له رأي  
والفكر ليس وقفاً على أحد .

ومن حسن الحظ فان الكتاب قد تم طبعه في  
دار الشروق ببيروت ، وقد رأى النور بنشره ،  
واسعده الحظ في أن يبعث من جديد بعد إحدى  
وعشرين ألف سنة . .

والله أسأل أن يجنبنا الخطأ ، وأن يهدينا سواء  
السييل .



# مَتَخِيرُ الْأَلْفَاظِ

الاستاذ سليمان هادي الطعمة  
العراق - كربلاء

وانا اذ اشير الى بعض ميزات هذا المعجم الفريد من خلال قراءتي المتعمقة له لا ازعم ان هذه الميزات وحدها هي كل ما في الكتاب من ميزات جديرة بالتقدير، ذلك ان هذا المعجم اثار ضجة في الاوساط العلمية والجمعية على مستوى الوطن العربي ومع ذلك اجمل رأيي في النقط التالية :

1 - اعتاد كثير من المحققين العرب تحقيق ونشر كتب سبق ان نشرها المستشرقون بحجة او بأخرى مثل العثور على مخطوطة جديدة او نفاذ الطبعة الاولى او اضافة بعض التعليقات وما الى ذلك فهم في الاغلب عيال على أعمال المستشرقين . الا ان ميزة الاستاذ هلال الرئيسية في تحقيق التراث هي انه ينشر من المخطوطات ما لم ينشر قبلا ، هكذا فعل في ( جيش التوشيح ) و ( تحفة الالباب ) و ( شرح ابن الوحيد على رائعة ابن البواب ) و ( العمدة ) وبذلك كان رائدا فيما ينشر وتلك ميزته - كمتخير الالفاظ - الاولى فيما اعتقد .

2 - وميزة رئيسية لهذا الكتاب بالذات انه اول معجم عربي قديم ينشره عراقي في القرن العشرين ، ذلك ان العراقيين القدماء من اجدادنا الذين وضعوا اجود معاجم المعاني كابن السكيت في معجمه الالفاظ والهذاني في معجمه الالفاظ الكتابية وقدامية ابن جعفر في جواهر الالفاظ لم يخلفهم للاسف جيل من الاحفاد يقوم مقامهم او على الاقل يحقق وينشر معاجمهم نشرًا علميًا صحيحًا . ومن

من الذخائر الرائعة التي اتحفنا بها المكتيب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط هذه الايام ( متخير الالفاظ ) تصنيف الامام اللغوي أحمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ ، وقد حققه وقدم له وعلق عليه الاستاذ هلال ناجي وهو كتاب تراثي نفيس واثر قيم من آثار العرب التي سيكون لها دور مهم في اثراء اللغة العربية ووضعها بين لغات الامم الحية .

وقد وجدت نفسي وانا اتصفح هذا الكنز اللغوي الثري ، انني متصل ومتعلق بالمصنف ، منكب عليه دون شعور بالكلل والعلل ، حتى انهيت . . انه من الفخر والاعتزاز ان يقوم بهذا العبء الثقيل من هو جدير به ، يشعر في نفسه ان عليه دينا وجب قضاؤه، عارفا انه سيواجه الصعاب ، وعالما انه تحملها بصبر وإناة ، لانه قصد بروح العالم خدمة لغة الضاد .

ان تحقيق التراث يتطلب سعة في الافق وثقافة عميقة وخبرة ودراية شاملتين مع معرفة بمصادر البحث وحسن الاضطلاع بها .

والاستاذ هلال ناجي اضافة الى كونه شاعرا مبدعا وناقدا حصينا ومسرحيا موقفا وكاتب سيرة متفوقا فهو محقق بارع ، وقد جاء تحقيقه ل ( متخير الالفاظ ) دالا على قدرته الفذة وجمال أسلوبه وسعة اطلاعه وعلمه الفزير بدقائق اللغة واحاطته العجيبة بمصادر البحث .

هنا تبرز أهمية ( متخير الالفاظ ) اذ انه اول معجم للمعاني يحققه وينشره عراقي في القرن العشرين ، نأمل ان يثير الدوافع الطيبة في نفوس ذوي القدرة ، فيجتهدوا الى اعمال مشابهة .

3 - ان فوز ( متخير الالفاظ ) بأكبر جائزة لغوية على مستوى الوطن العربي-وهي الجائزة التي منحت له من قبل ( المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ) ومقره ( الرباط ) تحمل اكثر من دلالة.

1 - من دلالاتها انها اعتراف علمي ضخيم بهذا المجهد اللغوي القيم وهو اعتراف صادر عن جهة لغوية لها اعتبارها الضخم ومكانتها الكبيرة ، ويكفي لتقدير ذلك ان نعرف انها الجهة التي تصدر عنها مجلة ( اللسان العربي ) اكبر مجلة لغوية في الوطن العربي .

ب - ان فوز عراقي بهذه الجائزة هو قبل كل شيء تكريم للعراق في شخص احد ابناؤه البارزين الذين كانوا وجها مشرقا له في نتاجه العلمي والادبي .

4 - ان نظرة فاحصة لفهرس المصادر والمراجع التي رجع اليها الاستاذ هلال في تحقيقه هذا والتي بلغت ( 377 ) مرجعا ، يقع بعضها في عشرات

المجلدات يكشف عن الجهد الكبير الذي بذله المحقق في عمله العلمي .

ان هذه المصادر والمراجع المذكورة في الحواشي هي بحد ذاتها مكتبة ضخمة من مكاتب التراث يحتاج اليها المختصون قبل غيرهم . ولله صبر المحقق كيف استطاع الرجوع الى هذه المئات من المراجع في تحقيقه القيم .

5 - ان ظهور مخطوطتي ( متخير الالفاظ ) في مكتبة خاصة عراقية - هي مكتبة أسرة المحقق العريقة علما وادبا - دليل على ان العراق على عكس ما يراه بعضهم ما زال رغم كل غارات التتار وغيرهم من المستعمرين مصدرا ثرا وكنزا دفيننا من كنوز التراث لا تفنى نفائسه على مر الاجيال ، وتلك ماثرة للعراق قبل غيره .

وبعد : ففي رأيي ان وجود هذا المعجم في مكتبة كل اديب او متأدب ، امر ضروري اذ انه مساعد معين لكل الشعراء والادباء والمتأدبين .

واغتنم الفرصة لاجيي المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط على حسن اختياره والجهد المشكور الذي بذله في اخراج هذا المعجم الفريد .

س

# عبد الحق فاضل

## في

### مغامراته اللغوية

الأستاذ ذنون أيوب  
(بغداد)

شعر بديع لا ادري لماذا لا يحب ان ينشره مع روعته في المبنى والمعنى . وقد علمت بأنه ينوي ترجمة ملحمة لكلامش شعرا ، وانه لابن بجدها .

يمتاز عبد الحق فاضل بأسلوبه البليغ المبسط، ذي المنطق الواضح الرصين . وهو حين يعرض على القارئ أعوص النظريات يقدمها له على مائدة مزوقة منسقة ، حافلة بالتوابل والمشهيات ، فيقبل عليها وهو مستأنس . وحججه القوية تشيع خلالها النكتة والأمثلة الواضحة المقتنعة ، فيستفرق القارئ في القراءة مسرورا حتى يجد نفسه مقتنعا ، واصلا الى ما يقوده اليه الكاتب من اهداف قد تكون بعيدة جدا عن المؤلف ، دون جهد او عناء .

وكتابه « مغامرات لغوية » آخر انتاجه ، ويقع في 370 صفحة ، من منشورات دار العلم للملايين . وما أقدمه الآن من هذا الكتاب عرضا ونقدا لا يفني عن مطالعته ، اذ ما ذلك الا قطرات من جدول عذب رقيق .

تعرض المؤلف للكثير من الكلمات العريقة في القدم ، فأحالها الى اصل واحد . فقد أثبت ان الآرامية والعربية والعبرية كلمة واحدة ، فالباء والميم قريبتا المخرج . واتى بشواهد مقنعة تدل على ان العرب ومن جاورهم من الامم ، كثيرا ما يستبدلون العين الفا والباء ميم . « فلو سددت انفك وقلت ماما لخرجت من فيك بابا » . والاعاجم ينطقون كلمة عربي ( أدبي ) حتى اليوم . فكلمتا عربي وأرمي واحدة « كانتا رتقا ففتقهما تطور الحدثان » . واسم بكة ومكة وارد في القرآن . أما كلمتا العبرية والعربية فقد كان دليله على أصلهما الواحد أوضح

عبد الحق فاضل ، الموصل بالولادة ، هو أكبر انجال الاستاذ فاضل الصيدلي ، شاعر الموصل الشهير في بلده بشعره الساس البليغ ، ذي المضمون الانتقادي اللاذع ، للشؤون الاجتماعية المتأخرة ، والاخلاق المتردية ، وله في الوطنية والسياسة في أوائل قرننا ، صولات وجولات . وقد تتلمذ على الصيدلي كثير من أدباء الموصل ، في اللغة والادب والشعر .

خدم عبد الحق في وزارة الخارجية ، بعد انتهاء دراسته في الحقوق ، وهيأت له هذه الخدمة مجال التنقل بين البلاد العربية وايران وتركيا ، وغير ذلك من البلاد ، وكان آخر ما تبوأ من مناصب سفارة العراق في الصين .

لقد وهب عبد الحق ذكاء فطريا تجلى في ملكة الحفظ ، وسرعة الفهم ، والاحساس المرهف في ادراك التشابه والمختلف ، عند المقارنة . وكان لطبيعته الانعزالية المتسكة اثر كبير في كثرة قراءته، وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته ، في حقل العلوم والآداب ، يبدو ذلك واضحا في جل آثاره وتأليفه .

درس عبد الحق الفارسية ، خلال خدمته في ايران واخرج كتابه الأشهر « نورة الخيام » خالف فيه كل من كتب عن الخيام ، واتى بنظرية علمية تطويرية جديدة في دراسة حياة هذا الشاعر الخمري الفلكي ، أثبت فيها مروره بأدوار متتابعة متسلسلة ، مما لا مجال للبحث فيه هنا ، وترجم رباعياته المشهورة نظما .

وكتب عبد الحق عدة أقاصيص وقصص ، لا تعد ذروة انتاجه على جودتها وحسن تديجها . وله

وأجلى . واليك من براهينه : يقول العرب : عبر تعبيراً وعرب تعربياً ، قاصدين نفس المعنى ، أي الانفصاح والإبانة .

وقد ذهب إلى أن اسم سوريا مشتق من كلمة ( اسيريان Assyrian ) كما سمي اليونان القدماء الآشوريين . ولا غرابة فقد كانت سوريا مما دخل في نطاق الإمبراطورية الآشورية أمداً طويلاً .

وفوجئت عندما قال عبد الحق : أن الفنيقيين إنما هم ( بني كنعان ) أسما وقوماً . فالرومان القدامى سمو القرطاجيين ، وهم فنيقيون أقاموا مستعمرة لهم فيما يسمى تونس الآن : بونيكوس . والتحريف متأت من نقل لفظة من لغة إلى أخرى . والثابت أن ما يسمى كارتاكو عندهم ( قرطاجة عندنا ) هي نفس ما أطلقه الفنيقيون على مستعمرتهم الحديثة وهو ( قريات حديثات ) ، والبعد بين كلمتي ( قريات حديثات ) و ( كارتاكو ) أكثر من البعد بين كلمتي ( بني كنعان ) و ( بونيكوس ) ، وما هم إلا الفنيقيون . هذا الاسم الذي اقتبسه العرب من اليونان والرومان مع التحريف المناسب ، دون أن يدركوا أن الكلمة أصلها عربي وما هي إلا ( بني كنعان ) فرع من العرب القدامى سكن لبنان . وتوج براهينه هذه بما عثر عليه في البرازيل ، وهو لوحة قديمة ، يرجع تاريخها إلى عام 125 ق م ، مكونة من ثمانية أسطر أولها ( هنا نحن بني كنعان من فريم حقرة حصل . أوشر حر حصل هك ) . وترجمته بعربيتنا وكتابتنا : « هنا نحن بني كنعان من فرايم حملنا الحقارة . اليس حراماً أن نحصل هكذا ؟ »

لقد كان أجدادنا ، وأعمامنا ، بنو كنعان ، مخترعو الحروف الأبجدية وأرقام الحساب ومراتبه ، أول من جاب البحار ووضع فنون الملاحة . وقد حان أن يرجع الفضل إلى ذويه بعد أن « حقره حصل » . اليس كذلك يا أخي عبد الحق ؟ ثم لماذا نستبعد أن يكون القرطاجيون قد هاجروا من بعض مستعمراتهم في إسبانيا مثلاً ، هرباً من مطاردة الرومان التي لا رحمة فيها ، فركبوا البحر مخاطرين ، ووصل بعضهم إلى الأمريكتين ؟ لقد ذهب عبد الحق إلى مثل هذا الرأي محترزاً ، ولو كتب كتابه الآن لأعلن رأيه دون توجس ، وذلك لأن ( ثور هايردال Thor Heyerdal ) الأثري النرويجي ، أثبت إمكان سفر الأقدمين بين

القارتين الأفريقية والأمريكية بقارب شرابي مصنوع من حزم البردى المقير ، عملاً لا نظرياً .

ومما لا جدال فيه أن موطن الأمة العربية الأول هو الجزيرة العربية ، وأن موجات هجرة وتنقل من هذه الجزيرة إلى ما يجاورها ، قد حدثت في حقب التاريخ مراراً عديدة ، فكل الحضارات المجاورة للجزيرة العربية هي من أصل حضارتها . بل وأن الأديان التي تمتنعها كل أوروبا ومعظم آسيا وأفريقيا نشأت فيها ، وعلى تخومها . لكن عبد الحق ذهب إلى ما هو أكثر من ذلك ، فقد اكتشف بعد أن غاص في أعماق القواميس ، وأجرى حفريات قاموسية . أن الكثير من الفاظ اللغة اليونانية واللاتينية والفارسية ، يرجع إلى أصول عربية . وأن الأصل العربي أقدمها جميعاً . فمن المعلوم أن أول الكلام عند الإنسان هو تقليد الصوت كما يسمع ، كالخبر من صوت الجدول ، والفرار من صوت أجنحة الطائر ، ومن الأخيرة تطورت كلمة فلاي وفلايت fly و flight – بالانكليزية .

والقلم هو ( كلموس calamus ) باللاتينية . وهي تقف وحدها في اللاتينية . أما في العربية فلها عشيرة كبيرة : قلم ، كالم ، جلم ، جنح جلف . . وكلمها من معنى ( قصب ، أي قطع ) ، والقلم يتخذ من القصب . وكلمة ( سيمما sema ) اليونانية أصلها عربي وهو السمة والسيما . و muthos وأصلها العربي المثلة والمثلة ، وكلها تعني الخرافة . والهستوريا اللاتينية أصلها العربي الأسطورة . ومنها نشأت ( أستار ) أو عشتار . وهو يقترح هنا أن نسمي علم الفلك astronomy بالعشترة : فيكون المعنى صحيحاً لفظاً وأصلاً ، وتكون بضاعتنا قد ردت إلينا . واليك أمثلة أخرى من اللاتينية مما ذكر المؤلف solid : صلد ، ululo : ولول ، capesso : قبض . وذكر من الإنكليزية : that : ذلك ، cut : قط ، earth : أرض ، wine : الوين ( العنب الأسود بالعربية ) .

واللغة العربية المتحضرة نفسها ترجع في أغلبها إلى أسماء تمت بالنسب إلى حياة البداوة وما يلابسها وهي لا تتعدى الأبل وقليلاً من الدواب والأغنام والخيام وبعض الأسلحة التي لا تتجاوز الرمح والسيف والقوس . فالعقل وكل ما اشتق منه من عديد الكلمات وساميتها ، من عقال الناقة . والكتابة من الكتاف وهو القيد ، والاثبات من ثبات الدابة ،

والشكل من الشكال وهو رباط الدابة ايضا ، ومثله الوثاق ، وكذلك العنوان من العنان ، والحنكة من حناك الفرس اي لجامها ، والحكمة على جلال قدرها وما اشتق منها هي من الحكمة وهو جزء من لجام الفرس الذي يحيط بالحنك . وكذا العقدة والسبب . الى غير ذلك مما يصعب على المتضلع من اللغة ان يجاريه فيه .

وكل ما مر لا يعتبر الا مفامرات بسيطة ، حتى يدخل في مفاخرته الكبرى حين يذهب الى ان اللغة العربية هي ام اللغات السامية والهنداورية وما يتفرع منها من الهندية والفارسية واللاتينية ، وان كل ما اشتق من الكلمات : من اصل عربي اي من جزيرة العرب التي كانت في العصر الجليدي جئات عدن تجري من تحتها الانهار ، وعند انكشاف هذا الدور جفت فاستحالت الى صحراء وهجرها سكانها في حقب ما قبل التاريخ ، وانتشروا في الارض شرقا وغربا وشمالا . وهنا تصبح المفامرة خطيرة جدا .

ان علماء اصول الانسان لا يعلمون بالضبط أين نشأ جد الانسان الاول ، ولكن احدث ما عثروا عليه واقدمه عمرا من آثار هذا المخلوق كان في جنوب افريقيا ، فرجحوا ان التطور بدأ هناك .

ان الجيولوجيين يقدررون ان اربعة دهور جليدية قد مرت على الارض خلال المليون سنة الاخيرة ، عمر رابعها واقصرها هو الاخير الذي تقارب مدته مائة الف سنة ، اي ما يقارب عمر الانسان بشكله الحالي . ويقسم هذا الى ستة عصور ثلجية ومدة آخرها الذي نحن فيه 15.000 سنة .

ان الجزيرة العربية ، ومعها الصحراء الكبرى ، وكل حوض البحر الابيض المتوسط ، الذي كان أرضا تتخللها بحيرات كبيرة ، كان واحة خصبة عمرها الانسان في العصر الحجري وما قبله . وما كان لاسم العرب وجود حينذاك . وان ترسبات اللغات في هذا الدور بقيت في لغة البربر والطوارق كما بقيت في العربية ، الامر الذي لم يتطرق اليه الاستاذ عبد الحق .

ولا يستبعد ان تكون لغ لغ ( لغو الطفل ) اصل اللغو واللغة او logy عند اللاتين واليونان ، كما ذهب اليه الاستاذ ، ولكن هذه اللفظة قد يرجع

تاريخها الى نصف مليون سنة . فاین كانت العربية يومذاك ؟ ولماذا ذهب ايضا الى ان الصوت : صو صو صو - صوت افراخ الدجاج ؟ اليس ثمة ما هو اقدم من ذلك وهو صفير البلبل ووصومة العصفير ؟ ان الدجاج قد دخل في حياة الانسان مستانسا ، بعد وجود العصفير والبلبل وغيرها في الغاب ، بعشرات الالوف من السنين .

انني اتفق معه ان اصل اللغات السامية والهنداورية والحامية ايضا واحد ، ولكن لا في جزيرة العرب كما ذهب اليه ، بل في حوض البحر المتوسط كله . حدثت موجات من المد والجزر ، والهجرات بسبب العصور الثلجية الستة ، التي صاحبت حياة الانسان ، فتزاوجت اللغات ثم افرقت ثم اندمجت ، ثم ابتعدت مرات عديدة ، ولعل الصحراء العربية حفظت بعض الاصول ولكن ما شأن الصحراء الكبرى ؟ فلماذا تكون العربية هي الام وليست الاخت وبنت العم ، او ما اشبه ذلك ؟ ولماذا لا يبحث عن هذه المتحجرات اللغوية في لغة الطوارق والبربر ؟ .

وأخر ما اتحفنا به الاستاذ وضعه لكلمتي الترسييس والتأثيل ، كلمتين اقترحهما عنوانا لعلمين ، يكاد عبد الحق ان يكون مبتكرهما وواضع اصولهما . فالترسييس هو علم ارجاع الكلمات الى رسها ، اي الى بدايتها ، او الى الاصل الصوتي الذي نشأت عنه بمحاكاته . اما التأثيل فهي تقابل كلمة ethimology الاوربية اي علم اصول الكلمات ، او البحث عن كلمة اخرى اتت منها الكلمة ، حتى يتوصل الى المرجع الذي جاءت عنه ، من لغة اخرى غالبا . ان فقهاء اللغة العربية لم يطلعوا على اللغات الاخرى مثل اطلاعنا ، ولم يتح لهم وضع القواعد حسب الاصول العلمية في البحث والمقارنة . واني لامل ان يكون الاستاذ عبد الحق في سبيل وضع معاجم وابحاث عامة في هذين العلمين ، فيسبق بذلك كل مفكري العرب ، ولربما الغرب ، في هذا المضمار .

ان في اسلوب تفكير الاستاذ عبد الحق فاضل وسعة اطلاعه في اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ما يرشحه لعضوية مهمة في مجامع اللغة العربية ، فان في استطاعته ، كما رأيت من كتابه ، ان يفيد العرب في تبسيط القواعد ، وغربلة الكلمات والاصطلاحات ، خصوصا ونحن في عصر تقهقر انعامية امام الفصحى ، نتيجة انتشار التعليم وازالة الامية .



# حول: المغامرات اللغوية

الأستاذ عبد الحق فاخيل  
( المغرب الأقصى )

واود قبل الخوض في الموضوع ان اسجل  
تقديري للروح العلمية التي حدت بالاستاذ الناقد  
الى انكار نظريتي هذه ولو ان ذلك ضد اللغة العربية  
التي هو مكبر لشأنها محب لها ولاهلها الذين هم  
قومه واهله .

وواقع الامر اني انا الآخر لم اقل ان العربية ام  
اللغات الآرية والحامية والسامية وان الشعب العربي  
ابو الآريين والحاميين والساميين وان الجزيرة العربية  
وطنهم الاول جميعا - بدافع من مباحة قومية او  
عصبية من اي نوع ، فقد كنت اتوهم اول الامر ان  
العربية التي تبدو كأنها حديثة عهد بالتحضر  
والتشقق كانت عالة على اللغات المتحضرة القديمة من  
اغريقية ولاينية وسنسكريتية وفارسية، وان وجود  
الالفاظ المشتركة بين العربية وهاته اللغات لم يكن  
يعني الا ان العربية اقتبستها واغتنت بها . لكنني  
بعد البحث والمقارنة اكتشفت في العربية اصول  
الكثير من الفاظ اللغات الآرية كما اكتشفت ان  
الالفاظ العربية يمكن ارجاعها بوجه عام الى اصولها  
الصوتية الاولى ، في العربية نفسها - مما هداني الى  
وضع علم « الترسيس » اللغوي ، الذي المع اليه  
ناقدنا المفضل . ولا انخرج من القول ان البحث لو  
كان اظهر لي ان ام تلك اللغات جميعا هي السنغالية  
او الانكليزية او اليابانية لما ترددت في اعلان ذلك  
بنفس الحماس الذي اعلنت فيه امومة العربية .

اشكر قبل كل شيء للاستاذ ذنون ايوب ثناءه  
على شخصي قبل ان يتطرق الى نقد كتابي «مغامرات  
لغوية» . وعلمي بأنه ضنين بالثناء على احد دون  
اقتناع كاد يجعلني اصدق بأنني مستاهل للكلمات  
الاخوية الطيبة التي قالها عني .

وكان بودي ان اتحدث في جوابي هذا عن مكانة  
ذنون ايوب ادبيا وقصاصا ، وعن مساهمته الماثورة  
بقصصه ومقالاته في مكافحة الفساد والتردي  
الاجتماعي والسياسي منذ اواخر الثلاثينيات  
مما لا يزال يتردد صدها في نفوس الذين  
زامنوا ذلك العهد . لكنني خشيت اذا انا  
تبسّطت في ذلك ان يقول القاريء انهما يتعادحان  
بالمقايضة فلا مناص لنا اذن من السكوت على ثنائه  
والاجابة على نقده وحده . وحسبنا هذا التنويه  
اليسير .

ونقده يتناول بعض امور فرعية لو اقتصر  
عليها لآثرت السكوت عنها ايضا . لكنه تناول كذلك  
الامر الاساسي الجوهرى في الكتاب وهو نظريتي  
القائلة بان العربية هي ام اللغات الآرية بالاضافة الى  
الحامية والسامية . وهي نظرية توصلت اليها بمقارنة  
بعض الحقائق من تاريخية وجغرافية ولغوية .  
وساكتفي هنا باستعراض الحقائق اللغوية ، اما  
الباقى فقد اوضحته في الكتاب المذكور ولا ارى  
حاجة الى الاعادة فيه .

وأهل النظريات الجديدة متحمسون دائما لنظرياتهم .. لكن نرجو ملاحظة الفرق الشاسع بين التحمس والتعصب .

قال الاستاذ ذنون اني اكاد اكون مبتكر العلمين اللغويين : التائيل والترسيس . والحق اني مكتشف احدهما فقط . فاما التائيل فعلم لغوي معروف عند الاوربيين واسمه بالانكليزية etymolog وقد ترجمه بعض اللغويين العرب « علم اصول الالفاظ » . لكنني وجدت هذا الاسم طويلا فافترحت تسميته علم « التائيل » باعتبار ان الاثلة في المعجم تعني الاصل ، فانا مسؤول عن تسميته العربية وحسب . ووظيفة هذا العلم هي اعادة الفاظ اللغة الى اصل سابق لها ، فالالفاظ الانكليزية مثلا يبحثون عن ائيل كل واحدة منها فيجدونه في بعض اللغات الحديثة كالفرنسية والسويدية وغيرها ، او في احدى اللغات القديمة وهي على الاغلب السكونية او الكلتية او اللاتينية او الاغريقية او السنسكريتية . وهم يقفون عند هذا الحد لانهم لا يعرفون الاثول التي جاءت منها الفاظ هذه اللغات .

واما العلم اللغوي الذي انا مسؤول عن وضعه وتسميته معا فهو علم « الترسيس » الذي يعود باللفظة التي رسها الاول اي بدايتها الصوتية التي نطق بها اول انسان نطق بها تقليدا لاحد الاصوات المسموعة ، مثل محاكاة صوت انريخ ( هوووو ) ، وصوت الفروج ( صي صي صي ) ، وصوت الصغير ( صف ) ، وهكذا .. وعلى ذلك تناولنا بعض الالفاظ الانكليزية التي بحثوا عن اصولها فوجدوها ترجع الى الفاظ بعض تلك اللغات ووقفوا عندها . فهذا قصارى ما يستطيعه علم التائيل ( etymology ) .

لكن علم الترسيس لا يقف عند حد حتى يصل الى الصوت الاول المحكي . وعلى هذا مضينا في البحث عن اثول تلك الالفاظ الكلتية واللاتينية والاغريقية .. فوجدنا في العربية اثولها وارساسها .

فمثلا كلمة aquarium ( حوض المائيات ، بالانكليزية ) اعدناه الى صوت هبوب الريح ( هوووو ) ، و top ( قمة ) وجدناها ترجع الى الكلمة الكنعانية طاو ( كرة ) وهذه من ( طوى ) وهذه من قول ابن الفأبة ( طو ) تعبيرا عن صوت انكسار غصن او عصا دون انفصال احد الطرفين عن الآخر ، و calcium ( كلس ) رسسناها من صوت القطع ( قط ) .. وهكذا .

وقد اقترحنا على الانكليزية والفرنسية تسمية علم الترسيس ( radixation ) باعتبار ان radix تعني سنخ الشيء ولاسيما اللفظة اللغوية ، وهي من اللاتينية بمعناها ومبناها . لكن بلغنا ان المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك ، الاستاذ بالسوربون ، اخذ يسمى الترسيس بالفرنسية ( racinisme ) ، اي من نفس مادة ( الرس ) العربية ، ومعناها : التجذير .

اما قول الاستاذ ذنون ان لقلعة الطفل ( لغ لغ ) قد يرجع تاريخها الى نصف مليون سنة ، فان الراي الذي يكاد يتفق عليه الباحثون ان الانسان ظهر على هذه الارض - كانسان بشكله الحاضر - قبل نحو مئة الف سنة ، كما ذكر هو ايضا . والظاهر ان الانسان لم يتوصل الى التخاطب بلغة الالفاظ الا بعد ذلك بمهد طويل . ومن المستبعد ان يكون قد اخترع اللغة قبل ان يصبح انسانا ببضعة ألوف من القرون ، ولاسيما ان بعض قبائل البشر لم تتوصل الى اللغة بمعناها الصحيح الى انيوم ، او الى مطالع هذا القرن على الاقل ، حيث كان بعضها يتفاهم بالاشارات ، وبعضها بأصوات أشبه بأصوات الحيوانات ، مما لا يمكن تسميته لغة .

وهنا يتساءل الاستاذ ذنون : « فاين كانت العربية يومذاك » ؟

ان الشعب الذي انشأ هذه اللغة منذ بدايتها الصوتية الساذجة هو نفس الشعب الذي صنع المملقات بعد عشرات القرون على كل حال ، ولو ان تسميته ( عربيا ) حديثة العهد . ولا بأس علينا ان نسميه عربيا من باب الاختصار بدلا من تسميته العلمية الدقيقة ( الساكن الاقدم لشبه الجزيرة التي تسمى الآن جزيرة العرب ) .

ولا بأس علينا كذلك ان نسمي لفته ( العربية ) ولو انها كانت يومئذ في طفولتها الاولى ولم تكن قد سميت بالعربية مد . وقد جرى العلماء على هذا الفرار في تسمية المواقع الاثرية القديمة بأسمائها الحاضرة ، فهم يسمون عصر ( فجر السلاطات ) في العراق مثلا باسم الموقع المتواضع الحديث الذي اكتشفوا فيه آثاره والذي يدعوه العامة « جمدة نصر » . وكذلك انسان (جاوة) وانسان (نياندرتال) وغيرهما قد سمو بالاسماء التي تطلق الآن على تلك المواقع ولو لم تكن تلك الاسماء قد ظهرت في تلك التواريخ القديمة السحيقة . على اننا كثيرا ما اطلقنا

اسم ( الاعربين ) على قدامى العرب و ( العربية ) على الجزيرة العربية اختصارا .

وقلنا في كتابنا « مغامرات لفوية » ان العرب صاغوا فعل ( صأي الفرخ ) من صوت الفروج ( صي صي صي ) ، ثم اشتقوا صاء وصاح وصات ... الخ ، وان بعض المشتقات العربية انتقلت الى اللغات الاوربية . ويرى الاستاذ ذنون أن ذلك الصوت لم يكن تقليدا لصوت فرخ الدجاجة بل لصوت الليل والعصافير ، لان « الدجاج قد دخل في حياة الانسان مستأنسا بعد وجود العصافير والبلابل وغيرها في الغاب بعشرات الالوف من السنين » .

وجوابنا على هذا هو ان الانسان الاعرب الذي اخترع لفته بمحاكاة الاصوات المسموعة منذ عهد بعيد لا يمكننا تحديده ، لم يتوقف في أي عهد من العهود عن خلق الفاظ جديدة كلما سمع اصواتا جديدة . وظهور الدجاج حديثا في حياته لم يمنع اذنه الموسيقية الموهبة من استخدام اصواتها مادة خامة لصنع الفاظ مستحدثة . واذا كان ثمة مجال للشك في حداثة قولهم (صأي الفرخ) فلا سبيل الى أي شك في حداثة قولهم ( صج ) أي : ضرب حديثا على حديد فصوتا . فهذه الكلمة الصوتية الرسية من مخاوقات العهد الحديدي، ويجوز فقط ان نعتبرها اقدم من ذلك اذا قلنا انهم صاغوها في العهد النحاسي ثم انتقل المعنى من النحاس الى الحديد . لكنها لا يمكن بوجه من الوجوه أن تكون اقدم من ذلك ، لانه ما من مادة غير معدنية يمكن اذا ضربت بمثلها ان تحدث صوت ( صج ) . ومن ثم فهي أحدث من العهد الحجري قطعاً .

ومثل ذلك يمكن ان يقال في فعل ( قط ) الذي قلدوا به صوت قطع عصا مثلاً بضربة فأس . فلا يمكن صنع اداة من الحجر لها هذا المضاء وهذه القوة التي تقطع بضربة واحدة وتحدث صوت ( قط ) .

وانما قلنا ان ( صي صي صي ) هو صوت الفروج لانه لا يشبه صوت فرخ أي طائر آخر نعرفه . ومن شدة شبه ( صي صي صي ) بصوت فرخ الدجاجة ان بعض عرب الشرق الاوسط ما زالوا يسمون الفروج في دارجاتهم ( صوصي ) .

وثمة برهان اقطع من هذا ينبيء ان حداثة عهد الدجاج بمعايشة الانسان لم تمنع الاعربين من استخدام صوته في تكوين لفتهم واستكمالها ، هو انهم اصطنعوا كلمة اخرى من صوت نفس فروجنا

العتيد . ذلك ان بعضهم ترجموا صوته الى ( جو جو جو ) عدا اولئك الذين قلنا انهم ترجموه الى ( صي صي صي ) . وبدلنا الاستقراء الترسيسي ان هؤلاء سموا فرخ الدجاجة اول الامر (جوجو) ، ثم (جوجة) . وقد انتقلت هذه الصيغة الاخيرة (جوجة) الى الفارسية بنفس لفظها ومعناها . ثم همز العرب اسم الجوجو فنطقوه ( الجؤجؤ ) مثل صنيعهم في نطق البؤبؤ واللؤلؤ . ثم انهم اطلقوا الجؤجؤ على الدجاجة بعد ان كانوا اطلقوه على فرخها ، ومثل ذلك يطلق المصريون بالدارجة اليوم اسم ( الفرخة ) على الدجاجة و ( الفراخ ) على الدجاج . ثم اطلق الاعربون اسم ( الجؤجؤ ) على مقدم السفينة اي صدرها لمشابهة صدر الدجاجة . ثم انهم عادوا فاطلقوا الجؤجؤ على صدر الدجاجة ايضا بعد ان كانوا يطلقونه على الدجاجة كلها - من باب تسمية الجزء بالكل .

ودليلنا على ان الدجاجة كانت تسمى جوجة هو ان السوريين وبعض العراقيين ما زالوا يسمونها ( جاجة ) وجمعها ( جاج ) ! لكن بعض قدامى العرب حرفوا الكلمة فصدروها بالبدال فصارت دجاجة . وهذه الصيغة التي كانت تعد عند ظهورها محرفة ومولدة هي التي انحدرت اليها في النصحي . اعني اننا اذا اعتبرنا الاقدم الاعرق هو الانصح فان اجاجة اقدم وافصح من (دجاجة) . وترسيبها على كل حال هكذا : الدجاجة - الاجاجة - الجوجة الجؤجؤ - الجوجو - جوجوجو .

ولم يكتف الاعربون باستيلاد صوت الفروج هذين التوامين - وربما كان يوجد غيرهما مما لا يحضرنا الآن - بل انهم استولدوا صوت امه ايضا - الدجاجة . فمن قولها ( نق نق نق ) وهي تلتقط طعامها قالوا ( نقت الدجاجة ) أي صوت . ومن التقاطها الطعام اثناء تقيقها ظهر فعل : نقر . ومنه نقد بمعنى واحد ، فالنقد هو المنقار . وما زالوا في الموصل يسمون القلم الحديد الذي يستعمله الحجار في ثقب المرمر أو نقشه ( المنقار ) ، ويسمون الحجار الذي يعمل في تسوية الرخام وتشكيله لاغراض البناء ( النكار ) . وقديما ظهرت من النكار صيغة ( النجار ) التي تخصصت بنقار الخشب .

ان استقرار العربية ولو فى النطاق المحدود الذى استمرضنا فيه بعض الالفاظ فى « علم الترسيس » يوضح بصورة لا تقبل ترددا ان هذه اللغة قد نشأت فى موطنها وعلى السنة اهلها ، ولا يمكن ان تكون قد استجلبت مع جذورها من موطن آخر . لكن الانتقال الذى حصل فعلا هو انتقال ثمارها الى موطن اخرى .

فبعد ان اكتشفنا المنجم الواقعي الفني لا يجوز لنا ان نتركه لنبحث عن موطن المعدن النفيس فى ارض اخرى مجهولة ، قد غمرها البحر ، وهي بعد مشكوك فى امر وجودها اصلا ، ولا علم لنا على كل حال باي شيء واقعي يقيني عنها .

هذا بالاضافة الى ان تشابه هذه اللغات الواقعة على شطآن البحر المتوسط لا يقتصر على هذه المنطقة بل يمتد الى الافسان ، والى الهند ، بل الى اقاصي الصين ، وقد رسنا - فى كتابنا المنقود - الضمائر الصينية من الضمائر العربية البدائية الاولى .

اننا نتفق مع الاستاذ ذنون على ان لغة قاع المتوسط ربما كانت قد خلفت آثارا فى لغات الاقطار المجاورة لها ، واحرى بذلك ان يكون فى الاقطار الواقعة على سواحل هذا البحر . لكننا لا نجد فى السواحل الاوربية لغة تحتوي على كل الاصول والفروع . اما الشمال الافريقي فلفاته البربرية محدودة نسبيا لعزلتها فى الجبال ، ولم اجد لها معجما يساعد على درسها ، وهي على العموم لغات قبلية يختلف بعضها عن بعض ، وهي الكتلة الكبرى من اللغات الحامية . لكنها كالأريات لا تعتبر غزيرة المادة اذا هي قيست بالعربية .

ولما كانت الضمائر نواة اللغة واقدر الفاظها على البقاء ومقاومة عوامل التغير والفناء ، فقد درسنا ضمائر بعض القبائل البربرية فوجدناها ترجع عند تحليلها الى اثول الضمائر العربية القدمى . وهي - الضمائر البربرية - ليست أبعد عن الام العربية من الضمائر البابلية مثلا . اما فى العربية فقد كنا درسنا - فى كتابنا المذكور - تطور تلك الضمائر العربية ابتداء من الاصوات الطبيعية الاولى الى ان صارت لها معانيها اللغوية الدالة على مختلف الاشخاص : انا ، نحن ، أنت ، اتم ، هو ، هي ..

ولو كانت الالفاظ التى نستطيع ان نعيدها الى ارساسها قليلة فى العربية لامكن القول باحتمال

كذلك ظهرت من تقيق الدجاجة صيغ مثل : تقب ( ومنها تقب ) وتقرش وتقع وتقع وتقت وتقت ونقى ... ومن فعل ( تقب ) نشأت صيغ : نخب ونخر ونخر ونخر ونخر ونخر ونخر ...

ومعلوم انهم استعملوا فعل ( نقد ) لفحص الدرهم الفضة لانهم كانوا ينقرونه على قطعة معدن ليتبينوا من رنينه صحته من زيفه . ثم انتقل المعنى من عالم الصيرفة الى عالم الفن والثقافة ، حتى صارت الكلمة تطلق على بحث قيم مثل ( نقد ) الاستاذ ذنون لكتابنا ( المنقود ) .

حادثة ظهور الدجاج فى حياة الانسان وحداثة ظهور المعادن لم تقف حائلا اذن دون الاستمرار فى التوليد اللغوي عند الاعربين .

ومن صاى الفرخ وتقيق الدجاجة وصح المعدن وقطع العصا ، نستفيد شيئا ، هو ان ملابس الالفاظ اللغوية تدلنا احيانا على تاريخ ظهورها ولو بوجه التقريب ، او تدلنا على الحد الاقصى او الادنى لذلك التاريخ ، وقد نوهنا بذلك عند كلامنا على ( صح ) و ( قط ) فى كتابنا .

وتأتي الآن الى النقطة الرئيسية فى نقد الاستاذ ذنون ايوب . وهي القول بأن لغات قاع البحر المتوسط وما يحيط به قد بقيت ترسباتها فى لغات البربر والطوارق . والعرب ، وان العربية منقولة من ذلك المكان ، فهذا تأويل مقبول لوجود الشبه بين عدد كبير من اللغات - اي مجموعة اللغات الآرية والحامية والسامية - تأويل مقبول الى ما قبل ظهور علم الترسيس . ولو كانت اللغة العربية قد انقرضت لكان من العسير ان نجد تأويلا معقولا آخر له هذه الوجاهة . لكن العجيب ان العلماء المحدثين من شرقيين وغربيين مع انهم اشادوا ما شاؤوا بشراء هذه العربية ودهشوا له لم يخطر لهم ان يستثمروا هذا الاندهاش وذاك الثراء فى حل المشاكل اللغوية العالمية . ان اللغة العربية تخبرهم بأوضح منطق كيف نشأ الكثير من الفاظ هذه اللغات واحدة واحدة . وبالرغم من ضياع عدة كبيرة من مفردات العربية لم يزل فيها ما يكفي للاقتناع العلمي . ان اكتشاف علم الترسيس انما يعني اكتشاف (وجود) اللغة العربية .. مثل اكتشاف نجمة سينماية . انها كانت موجودة من قبل ومعجبا بجمالها بين المعارف لكنها لم تكن قد اوقفت امام المصورة لتعرض من بعد بجمالها ومواهبها على الدنيا .

المقلدة لاحد الاصوات ، كثيرا ما تكون متشابهة عند مختلف الامم . اي ان الانسان العربي ليس وحده الذي يحكي صوت هبوب الريح بقوله ( هوووو ) ، وانما هذا شأن كل البشر . ثم يأخذ التطور مجراه الخاص في كل لغة على اسلوب يختلف عن سواه .

وفي اللغة العربية وحدها تطورت ( هوووو ) الى ( ريف ) على هذا النسق : هوووو - الهو - الهواء - الهباء - الهباب - الالباب - آب - آل - رال - راف ، ريف ... كالذي أوضحناه في كتابنا . ثم اذا بنا نجد هذه الكلمة الاخيرة - الريف - في اللاتينية بصورة ( ripa ) بنفس معنى الريف اي الساحل ، ثم بصيغة اقرب الى العربية هي ( rive ) بالفرنسية بمعنى الشاطئ .

فلا يمكن ان تكون كلمة ( ريف ) قد نشأت من صوت هبوب الريح في لغة غير العربية بنفس خط السير هذا المديد المتعرج المعقد ، الذي سلكته في العربية . وكذلك القول في كلمات اخرى استعرضناها في كتابنا المذكور وأرجعناها الى ارساسها العربية .

المعروف ان اللغات البدائية هي التي يقرب الشبه بين الفاظها والاصوات الطبيعية التي نشأت منها . اما اللغات الراقية فقد ذهبت اصولها وبقيت الكلمات الحضارية الراقية التي تولدت منها . ولا سيما ان الامم المتحضرة قد تنقلت منذ اقدم العصور من مكان الى مكان واختلطت لغاتها بغيرها . لكن العربية وحدها تقدم لنا ارقى الكلمات الحضارية والثقافية مع الحلقات المتسلسلة التي تقودنا الى البدايات الاولى . وسبب ذلك هو الظروف الفريدة التي تلابس الجزيرة العربية ، فقد بقي وسطها الرملي المجذب محافظا على حياة البداوة والبدائية على حين راحت اطرافها المتحضرة تصنع من تلك الخامات اللغوية مفردات حضارية باذخة ، واذا بهذه العربية تغدو لغة الراعي والفيلسوف في وقت واحد . وقد اوردنا في كتابنا المذكور نماذج كثيرة من الالفاظ الحضارية التي تكونت من الفاظ حيوانية ، والالفاظ الثقافية التي اصلها اربطة البهائم من ثبات وعنان وعقال ، مما تصدى لذكر بعضه الاستاذ الناقد .

وطبيعة الصحراء الفقيرة الشحيحة تدفع سكانها الى الخروج منها لكنها لا تغري احدا بالدخول فيها . فهي اشبه بالمضخة الكاسية ، تمج

انتقالها من مكان آخر ، لكن معظم الالفاظ العربية ، وكثيرا من الالفاظ الآرية ، يمكن اعادتها الى ارساسها البدئية في العربية نفسها . وهي مزية لا تملكها أية لغة سواها .

ان الحقيقة الواقعية التي يحسن ابرادها هنا من واقع التاريخ هي ان الهجرة تضيع على رهط المهاجرين بعض خصائص لغتهم الاولى ولا سيما جذورها الصوتية البدئية . نرى ذلك واضحا في اللغات السامية اي اللغات القديمة في الهلال الخصيب : البابلية ، الآشورية ، الكنعانية ، الآرامية . . . . . فبالرغم من قرب اهل هاته اللغات من الجزيرة العربية ، بل اقامتهم على تخوم بادية الشام التي هي امتداد للدهناء ، وبالرغم من عدم انقطاع الصلة بينهم وبين العرب الرحل الذين كانوا - وما زالوا - ينتقلون على تخوم تلك الصحراء ، وبالرغم من انضمام ارهاط عربية مهاجرة بين حين وآخر الى المهاجرين السابقين الذين استوطنوا مناطق الهلال الخصيب - بالرغم من كل هذه العوامل التي تساعد على احتفاظ المهاجرين باللغة الام وتجديد الصلة بها - لا نجد بين هاته اللغات السامية أية واحدة قد استطاعت التمسك بكل مقومات العربية واثول الفاظها ، بله ارساسها . فلهذا ليس في مقدورنا ان نسمي أية واحدة منها باكثر من انها جزء محرف من اللغة العربية . ولا تستطيع أية واحدة منها ان تنهض بممشار ما تنهض به العربية من مهمة التأسيس . بل انها هي التي تبحث عن اثولها وارساسها في العربية .

هذا الواقع التاريخي للموس يمنعنا من القول ان اللغة العربية نشأت في غير موطنها ، وان هذه الدوحة الهائلة قد نقلت بكل جذورها العميقة المتشابكة البعيدة الغور وبكل فروعها الكثيرة المديدة الداهية في كل اتجاه - من قاع البحر المتوسط ، كل تلك المسافة ، الى قلب الجزيرة العربية .

ان اللفظة الرسية - البدئية - كثيرا ما تتطور في خط متعرج طويل تتحكم في رسمه البيشة ومصادقات الظروف . ومن النادر وربما من المحال ان تتطور في نفس الخط المتعرج الطويل في بيشة اخرى . كالماء تصبه في مكان من الارض فيتخذ مجرى لا يشبه مجرى ماء تصبه في مكان آخر ، فما على الخريطة الارضية نهران متشابهان تماما . ومن هنا كان اختلاف اللغات . لان الالفاظ الرسية ، أي

ولا تمص . وما أكثر الظروف التي طردت فيها سكانها الى مختلف الانحاء كلما زاد عديدهم عن طاقة مراعيهم ، او شحت أرضهم ولو لم يزد سكانها ، او احتربوا فأجلى بعضهم بعضا عن ديارهم .

وعدم دخول الاجانب الى هذه الصحراء يعني بقاء لغة العرب للعرب ، ويعني ان تطورها قد جرى على السنتهم وحدهم دون ان تخالطها لغات أخرى . وخروجهم من جزيرتهم الى الانحاء يعني توزيع لغتهم على جيرانهم وجيران جيرانهم وسكان كل ارض قريبة او بعيدة يحلون بها . ومن ثم كانت الالفاظ الدخيلة في العربية الجاهلية قليلة ، فأكثر الدخيل من مقتبسات عهد التحضر الاسلامي .

وحقيقة أخرى . يقرر العلماء ان اللغة البشرية تكونت من اصول خمسة بوجه العموم ، نجدها كلها صريحة واضحة في العربية ، على حين ان اية لغة حية أخرى لا توجد فيها الا بعض هذه الاصول ، ان وجدت . والواقع انهم انما توصلوا الى هذه الاصول الخمسة من استقراء عدد غير قليل من اللغات البدائية التي لا تزال تحتفظ بجذورها الصوتية لعدم ارتقائها وابتعادها عن صورة ولادتها . وهذه الاصول الخمسة هي :

1 - محاكاة اصوات الطبيعة . ونذكر كمثال على ذلك صوت الهواء الذي مر بنا حديثه ، والذي انجب الفاظا كثيرة أخرى لم يتسع لها المجال هنا مما ذكرناه في كتابنا ، وكلمات كثيرة أخرى لم يتسع لها المجال في ذلك الكتاب أيضا . وكمثال آخر جديد نذكر صوت الماء : شلشل ، ومنه ترشرش الماء ، ثم رش ورشاش ، ثم رذ ورذاذ ، ثم ذر وذري ومذرة .. وذرة ..

2 - تقليد اصوات الحيوانات ، ومن ذلك صوت الفروج الذي مر بنا حديثه ، وصوت الدجاجة امه . ونذكر كذلك من الحيوانات التي سميت بأصواتها : البلب ، والقرة ( الضفدع ) ، والقاق ( الوز العراقي ) ، والقوق ( المسمى طائر الكوكو ) ، والفقاق ( الغراب ) ، والقللسق ، والججدج ، والصرصر ، والججش ( من صوت شحيجه ) .. وما الى ذلك مما لا يوجد كله في اية لغة أخرى .

3 - تقليد الاصوات المصطنعة ، أي الاصوات التي يحدثها الانسان في بعض اعماله مثل صوت القطع ( قط ) الذي تحدثنا عنه بشيء من التفصيل

في العدد الثامن من « اللسان العربي » بعنوان « قط وبناتها » وقلنا انه تكونت منه الوف الالفاظ العربية ، وتسرب بعضها الى اللغات الاجنبية . ومثل ذلك فعل ( صج ) الذي تحدثنا عنه في « المغامرات » ضمن علم الترييس ، وفي عدد سابق من « اللسان العربي » . نضيف الى ذلك هنا : دق وطق وقلقل وبقبق ...

4 - تقليد الانسان لنفسه ، في الاصوات الطبيعية التي تصدر عنه تلقائيا في مختلف حالاته ، مثل : قهقهه ، قاء ، أن ، عطس ( انلها اطرس ) وهي في الفرنسية tosse ( سعال ) ...

5 - تقليد اصوات الطفل ، مثل : لغ لغ ، بابا ، تاتا ، دادا ، ماما ... وقد تحدثنا عنها في « المغامرات » فلا حاجة الى الاعادة .

فهذه لغة عصامية كونت نفسها بنفسها دون اعتماد على سواها .

لكن كل هذا وكل الدلائل الاستقرائية الاخرى التي تنبئ ان هذه اللغة قد نشأت في موطنها ولم تستورد من صقع آخر ، لا تخبرنا من اين جاء اسلاف العرب الاوائل وسكنوا تلك الجزيرة في عهدها المخصاب . وذلك امر لم ابحت عنه ولا اهمني امره في بحثي لانه خارج عن الموضوع اللغوي ، ولان كل ما يقول فيه العلماء رجم بغيوب ، واستنتاجات يذهب كل من الباحثين مذهبه فيها ، لفقدان الادلة العلمية القاطعة او شبه القاطعة . لكن الواضح ان اولئك الاعربين الاولين قد وجدوا في المعربة قبل تكون اللغة ، لانهم لو كانوا قد جاؤوا من مكان آخر ناطقين بلغتهم لغيرت لغتهم بتغير البيئة ولضاعت اصولها الرسية ، على نحو ما اصاب اللغات السامية وهي اقرب اللغات الى العربية نسبا وموطنا واكثرها بها شبا . هذا ان لم يكونوا قد تطوروا ودخلوا المرحلة البشرية في معربتهم نفسها - على رأي بعض العلماء .

وحقيقة أخرى . ان الضمائر من اقدم العناصر التي تتكون منها اللغة ، ان لم تكن اقدمها طرا . وقد استعرضنا في « المغامرات » في فصل « اسرار الضمائر » كيف تكونت الضمائر واسماء الاشارة في العربية والاريات من العناصر الثلاثة الاولى ( ا ، نا ، تا ) منذ نطق بها الادمي الاقدم ، وراينا تطورها في تلك الطرق المتسلسلة والمتشابكة خطوة خطوة . ونجد في العربية مختلف الاستعمالات



ومهما يكن ..  
حتى لو افترضنا أن من المحتمل تخميننا ان  
تكون اللغة العربية مستوردة من الخارج ، فما الذي  
يدعونا الى الاخذ بالاحتمال التخميني الظني ، وترك  
الواقع الناطق الواضح ؟  
واخرى تحبونها ..

هي ان ظهور السكنيات الزراعية قبل نحو  
عشرة آلاف عام في وقت واحد تقريبا في العراق  
وفلسطين له دلالة خطيرة . ولعل تفسير هذه  
الدلالة الخطيرة هو أن حياة الاستقرار الزراعي كانت  
قد بدأت قبل ذلك في المعربة ثم هاجرت طائفة من  
العرب شمالا فاستأنفوا حياتهم الزراعية حيث  
استقر بعضهم في العراق وبعضهم في سورية .  
وربما ستكتشف آثار سكنية من ذلك العهد في  
مناطق اخرى من الشرق الاوسط ، او غيره .

والمعلومات الفلكية ، الموغلة في القدم ، التي  
نقلها المهاجر الاعرب الى ارض الرافدين ووادي  
النيل - مما تطرقنا اليه في فصل آخر - تدل على  
انه كانت للانسان الاعرب ثقافته الكونية ، المسجلة  
في لغته ، التي لا يمكن ان تكون لغة رعاة وحسب .  
فهل بدأ التحضر البشري في المعربة ؟ .

والمعاني التي ظهرت فيها تلك الضمائر . اما في  
الساميات والحاميات والآريات فلا توجد الا بعض  
تلك الضمائر تؤدي معانيها الحاضرة ، ولا يمكن في  
أية لغة منها تتبع المعاني السابقة للضمائر ولا لصور  
المباني التي انتهت اليها . فكلية ( اتا - atta )  
تعني أنت بالبابلية ، و ( ايا - ea ) تعني هي  
باللاتينية ، و ( نوي - noi ) : نحن بالاطالية ،  
( تو - tu ) : أنت بالفرنسية ، و ( هي - he )  
هو بالانكليزية .. وهكذا . كيف تكونت هذه الضمائر؟  
جواب ذلك عند علم التأسيس الذي يقول انها  
تكونت في العربية . هذا عدا اسماء الاشارة وحروف  
الجر وغيرها من الادوات والرواسن ( التي تسبق  
الكلمة في اللغات الآرية ) والكواسع ( التي تلو  
الكلمة فيها ) .

وبالاضافة الى أن الضمائر من أول ما يتكون  
من مفردات اللغة أثبت الاستقراء انها آخرها ذوبانا  
وزوالا . فاذا تسلطت امة على اخرى واكتسحت  
لغتها فان الفاظ اللغة المقهورة تزول بالتدريج ،  
وتكون الضمائر دائما آخر ما يزول منها ، وقد لا  
تزول ابدا . فوجود الضمائر اعربية في أية لغة  
دليل لا يمكن اغفاله على أن اصحابها كانت لغتهم  
الاولى هي العربية .





# المقولات العشر

صمّو وندم له  
الدكتور  
ممدوح حقيقي

تأليف  
العلامة الشيخ  
محمد حنّى البليدي

مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه  
شرحه عدد من علماء عصره

## باسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منذ انتصب الانسان على قدميه ، وأطلق يديه تعملان في جلب المنفعة له ودفع الضر والأذى عنه ، تخلص من حيوانيته — اذ كان يسعى فيها على أربع — وتفاهم مع بنى فصيلته الجديدة بالصوت وبالإشارة ، واستطاع أن يورث حصيلة تجاربه أبناءه وأحفاده بما ركب من ألفاظ .. ومنذ سجل الانسان لغته بالحروف ، درجت به الحضارة على دولا بها تجمع نتائج التجربة الى مثيلاتها وتولد منها فكرة جديدة وابتكارا جديدا ، وتستنتج فائدة جديدة تضيفها الى نتائج سواها من التجارب ، تركم بعضها فوق بعض ، تغنى بها وتتسارع راکضة وتتواثب حتى طفرت عن الارض وحانت في الجو كالطير ، ثم اندفعت الى القمر والاملاك حزمة من نور وسرا من الاسرار ، لا ندري مدى ما يتفجر عنه الفكر الخلاق من وراء ذلك .

تخوف الانسان من غده المبهم فطفق يختزن ما يجابه به الجوع والبرد والخوف المتوقع . ويجمع الشئ الى شبيهه ، ويضم الحيوان المستألف الخادم الى قرينه ، ويحتفظ به الى حين حاجته . فان افتقد منه شيئا عرفه بصفاته . وان أبق منه حيوان فأدركه ضمه الى رفاقه ... واحتاج في احصاء ملكيته الى العد ، فأخذ يقيس المعدود على أصابع كفه ، فاذا زاد قاسه على أصابع الكفين معا . فاذا كثر ناظره الى ما في قدميه من أصابع كذلك . فاذا فاض عنها عجز عن تعداده ووصفه بالكثرة وجعلها كثرة قليلة وكثرة كثيرة ثم ما زال يتقدم على الدهور حتى قدر على تجريد العدد من المعدود، فانطلق في آفاق فكر جديدة ، جمع فيها الاعداد وطرحها وضربها وقسمها ثم ارتفع

من فوقها الى الجبر ، فجرد العدد من معناه المحدود ومضى فوق الحساب ، فخلق فوق السحاب .

وكما استطاع الانسان تجريد العدد من المعدود ، أمكنه كذلك تجريد المعنى من الحرف ، والفكرة من الكلمة ، فتخيل وتوهم وتفلسف ما شاء له الخيال والوهم والفلسفة . لكن من يدري كم من قرون أنتت على الانسان وهو يجاهد المجهول ويصارع المبهم حتى استطاع الاستعلاء على المادة بالمعنى ، والتحويم فوق شاطئ التجريد المغض وحفاى الفكرة الصائبة ، فتخيل الفراغ المطلق ، وحصر الزمان بقانون رياضى مجرد ، ورسم المكان بغير مكين ... ؟ !

كم من دهور توالى على البشر حتى استطاعوا الانطلاق من المحسوس الى المجرد . واذا نظرنا اليوم الى العلوم الرياضية — وهى آلة الآلات ، كما يقول باكون (1) Bacon فرأيناها محض عقلية ، رنونا الى الدهور الطويلة المديدة التى خلفها الانسان وراءه ، وهو يتنقل بها تدريجيا فى أطوار التجريب الحسى ، الى حيث وصلت اليوم من سمو ، بقلوب ملؤها التعجب والتقديس ، للعقل البشرى المتطور فى اتجاه مستمر مستقيم ، كلما انبثق علم جديد أضافه الى أضمامة العلوم الاخرى ، واختزله بالاسلوب الرياضى ، يربط الأشباه بالأشباه ويقرن الامثال بالامثال ، ليعلو عن قاع التفرد الى آفاق التعميم والكليات ...

من هنا أخذت العلوم اتجاهها السليم ، وكان أريسطو Aristote أول من تنبه الى ظاهرة التعميم فسجلها بقوله : « لا علم إلا فى الكليات » . ومنذ يومذاك ، والفلاسفة على اطلاقهم ، والعلماء على اختلاف مشاربهم ، يضمون أفراد النوع المتناثرة فى قانون واحد ، يغلوها جميعا ويسود ، فيسهلون بحثها ومقارنتها بسواها ، والرجوع الى قواعد العامة بيسر وبساطة .

فرنسيس باكون (1561 – 1626) فيلسوف انكليزي رجب التفكير ، ولد فى لندن . كان من أوائل مبتكري الطرق التجريبية فى العلوم بكتابه المشهور Instauratio magna . ووضع للتحريرات العلمية أسس استقلالها بعيدا عن مبادئ السلطة الضاغطة للاساليب المدرسية الانباعية السائدة فى عصره ، كما وضع تصنيفا جديدا للعلوم ، ونظرية جديدة للاستنباط فى كتابه Novum organum

وإذا كانت آفة العلم التعميم الفج ، فإن النضج اللاحق يعد له على أى حال ، وما دامت البشرية فى تقدم متصل الحلقات ، متساوق الخطوات ، فلا خوف من التعميم المبدئى ، اذ هو خطوة فى المجهول ، تكشف عن الخطأ فتصلحه ، والنقص فقرمه ، وتتكشف هى نفسها أمام الحقيقة فتتعديل .

ولقد درس أريسطو مظاهر المعرفة التى توصل اليها عصره ، فوجدها تقوم على عشرة أسس ، منها ينطلق الفكر المستقيم فى اتجاهه نحو التعميم ، وعليها يبنى . فجمعها وشرحها شرحا مبدئيا وسماها المقولات ، وهى :

- 1 - الجوهر ، 2 - الكم ، 3 - الكيف ، 4 - الاضافة ، 5 - الأين ، 6 - المتى ، 7 - الوضع ، 8 - الملك ، 9 - الفعل ، 10 - الانفعال ،

وما زال الفلاسفة منذ ذلك اليوم ، لا يملون شرحها وعرضها فى كساء جديد . وتعلق بها الفلاسفة المسلمون - وبخاصة بعد القرن الخامس - تعلقا شديدا ، وجعلوها أصلا من أصول المنطق الصورى ، لا غنى عنه . وتوصل المتأخرون منهم فى شرحها الى مستوى عال جدا من الفهم ، على قدر ما تسمح به مستويات المعرفة العلمية التى حصلوا عليها . وفى رأينا أن الشرح المنسوب للبيلىدى خيرها وأدقها بلا نزاع .

وأريسطو هذا ، فيلسوف اليونان القدماء ، وزعيم العقل الفلسفى حتى أواخر القرون الوسطى . ولد فى مدينة ستاجير Stagire بمكدونيا Macédoine عام 384 ق م وتوفى فى شالسييس Chalcis بأوبى Eubée عام 322 ق م . وكان صديقا للاسكندر الاكبر (2) وأستاذه . خلد فى تاريخ الفكر الانسانى بعقله الجبار ومؤلفاته الرائعة كأنما سبق عصره بقرون . كان فيلسوفا نسيج وحده ، يصر على أن الطبيعة بجماعها تتجه اتجاهها نضاليا مستمرا لترتفع من عالم المادة الى عالم الفكرة ، ومن التثنت والتنافر الى التقارب والانسجام والتوحد . وأيد رأيه هذا ، اذ جمع أصولا

**الاسكندر الاكبر ( 356 - 323 ق م )** هو ابن فيليب ملك مكدونيا . وامه اوليمبيس المشهورة بجمالها وذكائها .

اخضع لحكمه بلاد اليونان وآسيا الصغرى والهلل الخصب وبابل وبلاد انفرس وشمالى الهند ومصر . . . كل ذلك بسرعة خاطفة مذهنة ، اشتهر على صغر سنه بعقريته الحربية وتخطيط المعارك والاستراتيجية العسكرية وقدرته الادارية . حتى لقد حاول الفاء فكرة « غالب ومغلوب » ومازج بين الشعوب التى حكمها ليستخلص منها شعبا واحدا ، وزوج فى يوم واحد ، وتحت تأثير هذه الفكرة ، عشرات الألوف من جنده وضباطه بنساء من الشعوب التى خضعت له .

ومن المدن التى اطلق اسمه عليها : الاسكندرية فى مصر ، والاسكندرون فى سوريا . والاسكندرية فى ييمونتي بايطاليا ، والكسندروبوليس فى اليونان .

عشرة للفكر ، ادعى بأنها مجموع الأجناس الكبرى التى تنتظم تحتها الأمور المتشابهة ، وسماها المقولات - كما تقدم - . . وسيطرت فلسفة أريسطو على العقل البشرى سيطرة تامة ، خصوصا ابان القرون الوسطى ، لم ينج من سيطرته الفكرية أحد من الفلاسفة الا ديكارت (3) Descartes ( 1596 - 1650 ب م ) وكان قد تأثر به فى مطلع حياته العلمية تأثرا بالغا ، ثم استقل عنه واستن لنفسه فلسفة جديدة مبنية على الشك الحذر البناء . وجاء بعده كانت (4) Kant ( 1724 - 1804 ب م ) فعدل فى مقولاته بعض التعديل ، وزاد عليها مقولتين أخريين هما :

## 1 - النفس ، 2 - الاثبات

واختلف المناطق المسلمون فى بعض هذه المقولات ، فقبلها بعضهم كما وضعها أريسطو واستبدل بعضهم الاضافة والانفعال بالعرض والنسبة . ومهما يكن من أمر ، فقد كان لهذه المقولات أهمية خاصة لديهم . وبخاصة منها : الجوهر والعرض ، لصلتهما الوثيقة بمباحث التوحيد . انظر الى النموذج التالى ، فانه مثال من طرائق البحث فى هاتين المقولتين الى عهد قريب جدا (5) .

3 — **ديكارت** (1596 - 1650) فيلسوف رياضي فيزيائي فرنسي . ولد فى لاهاي بهولندة ، وتحول فى أوربا سائحا . ثم عاد الى هولاندة فاتخذها مقرا . ابتكر الهندسة التحليلية ، ووضع أسس ما وراء الطبيعة ( الميتافيزيك ) الحديثة . وقعد اساليب جديدة للمنطق قائمة على الشك البناء ، واثبت وجود الله تعالى من خلال اثبات وجوده كإنسان مفكر . بالحدس والاستقراء ، ووضع جملته المشهورة : « انا افكر ، اذن انا موجود Je pense donc je suis » وتوفي فى استكهولم بعد ان ترك اثرا اى اثر فى العقلية المعاصرة والتطور الفكري والمنطق .

4 — **عمانوئيل كانت** (1724 - 1804) فيلسوف الماني ولد فى كونيجسبرغ وفيه توفي . من مؤلفاته المشهورة : نقد العقل المحض . نقد العقل العملي . نقد المحاكمة واسس الميتافيزيك للتقاليد . . . وبالجملية فقد كان نقادا مثاليا . وهو يعتقد بان الاشياء التى ندركها فى شكل حادثات قائمة فى الزمان وفى المكان . وهي ليست اكثر من محسوسات ، ولما كانت الاشياء قائمة بذاتها بقطع النظر عن علاقتها الزمانية والمكانية ، فهي اذن غير مدركة . . . والقوانين الاخلاقية تفترض الحرية والخلود ووجود الله معا . . . الخ .

5 — جزء 1 ص 132 من الطبعة الثانية ، من كتاب « المواقف » للامير عبد القادر الجزائري . شرح وتعليق وتحقيق الدكتور مدوح حقي . والجزائري ثائر القرر التاسع عشر المسلم على الاستعمار الصليبي . ولد فى مسكرة (الجزائر) عام 1808 . حارب الافرنسيين منذ عام 1830 حتى 1847 حتى نفذت جميع قواه فاستسلم لاعدائه فأسروه وحبسوا عليه فى امبواز بفرنسا . ثم اطلقوا سراحه فانتقل الى مدينة بروسة بتركيا ثم الى دمشق حيث توفي فيها عام 1883 . ونقلت رفاته الى الجزائر عام 1965 بموكب مهيب . كان عالما صوفيا وسياسيا وعسكريا . . ( انظر تفصيلا عنه فى مقدمة ديوانه الطبعة الثالثة شرح وتحقيق الدكتور حقي ) .

— تقول للطبيعى : العلوية ، غير العرش والكرسى والاطلس ، وتلك من  
أى شىء هى مركبة ؟ !

— فيقول لك : من العناصر الاربعة وهى : التراب والماء والهواء والنار

— فتقول له : والعناصر الاربعة ، من أى شىء هى مركبة ؟ !

— فيقول لك : التراب مركب من البرودة واليبوسة . والماء مركب من  
البرودة والرطوبة . والهواء مركب من الحرارة  
والرطوبة . والنار مركبة من الحرارة واليبوسة

— فتقول له : وهذه الطبائع الأربع : جواهر أم أعراض ؟ !

— فيقول لك : هى أعراض !

فكانت الجواهر والاجسام كلها مركبة فى الأعراض ، تجرى عليها أحكام  
الأعراض ولا بد ؟ !

× \* ×

وكما نفضت الكيمياء عنها سحر السيمياء ، فألغت فكرة هذه العناصر  
الأربعة ، وبرهنت على أنها ليست هى العناصر الأصلية البسيطة للمادة ،  
فأرجعت الماء — مثلا — الى عنصريه البسيطين : الأوكسجين والهيدروجين ،  
وفككت الهواء فاذا هو آزوت وأوكسجين وغازات أخرى ، وفردت التراب  
الى أكثر من مئة عنصر أصيل ، بل قد فجرت الفرة ... كذلك  
انتقضت الفلسفة فحطمت طوق المنطق الصورى ، فتولد منها : علم النفس ،  
والمنطق ، والاخلاق ، وما وراء الطبيعة ( الميتافيزيك ) ، وعلم الجمال  
و " الخ " واتسع المنطق حتى شمل بحوثا جديدة كل الجدة : كالحس  
والاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب وطرائق العلوم وتصنيفها  
والبرهان والمشاهدة " الخ " وأصبحت دراسة المقولات جزءا يسيرا جدا  
منه لا أهمية له الا فى التعميم والتخصيص ، وانقطع البحث فيها على أنها  
أساس لابد منه فى المنطق ، بل ان المنطق الصورى كله ، أصبح جزءا  
يسيرا من المنطق العام .. وفى كل يوم يمدنا العقل البشرى الخلاق ببحث  
جديد . فتبارك الله مبدع هذا العقل .

واذا تراجع البحث اليوم فى المقولات ، وأصبح فى المقام الثانى ،  
فباطالما أدى من خدمات كبيرة جدا فى تطور العقل الفلسفى ، خلال عشرين  
قرنا على الأقل ، وما زالت أهميته فى نظر بعض المثقفين قائمة حتى اليوم ،  
فحينما يجول البحث فى الكم المتصل والكل المنفصل مثلا ، ويناقش حدود

اللانهاية بين زمنين متلاحقين ، كالحاضر المتوضع بين الماضي والمستقبل ، هل هو جزء من أحدهما ؟ أو من كليهما ؟ أو هو جزء مستقل عنهما معا ؟ ! وما هي حدوده بينهما ، وما هو امتداده ؟ وما هو مقدار اتصاله بهما ؟ ! " .  
 وحينما يعالج مفهوم العدد الرياضى ومفهومه الوجودى الحسى ، وفكرة الزمان الميكانيكى المتجانس وفكرة الزمان الشعورى ، والنقطة الهندسية والخط الهندسى وتركيبه من نقطتين أو من ثلاث نقط ، أو تقسيمه الى أجزائه النقطية " " والفراغ المحدد والفراغ المجرد " " وما شاكل ذلك من بحوث عقلية مجردة ، أى خيال عبقرى يرفع البحث فيها الى منطقتة التجريد ؟ ! فدراسة المقولات ما زالت بحثا له أهميته فى المنطق الصورى ، وأغلب الظن أنها ستبقى زمنا طويلا جدا ، مع كل ما تعرضت له من نقد ، وما تتعرض له اليوم من تحوير وتجديد .

وكلمة « مقولة » اشتقت من مصدر القول حتما ، وهى ترجمة لكلمة **كاتيجوريا** Katigoria اليونانية ، ولا يعرف بالضبط أول من وضع هذا الاصطلاح فى العربية ولا تجد له فى معاجمنا وجودا ، وقد دخلت فى جميع اللغات بلفظها تقريبا Category Catégorie حتى فى كتب الفلاسفة المسلمين ، ومعناها فى الاصل « العلاقة » ونحن نستعملها فى معناها الاصطلاحى ، ونفرق بينها وبين **البديهيات** Axiomes **والموضوعات** Postulats ولعل كلمة « **كليات** » أقرب الى أصل المعنى اليونانى الذى وضعه أريستو منذ نحو ثلاثة وعشرين قرنا ، من كلمة « مقولات » الشائعة .

والمخطوط الذى نوهنا به ، بخط البليدى نفسه ، وهو شرح للمقولات كما وضعها أريستو ، ولعله خير نموذج لأساليب التأليف أواخر القرون الوسطى . وسترى فى صورة الصفحتين الأولى والأخيرة ، المرفقتين بهذا التقديم ، أن حظ المؤلف ليس من السوء بحيث يصعب حله ، غير أن العقبة المرة التى تاكدتنا ونحن ننقله للطبع والنشر ، هو فى هذه الحواشى المتعاطلة المتراكبة الذاهبة الى يمين وشمال ، المتداخلة فى أصل النص والخارجة منه بغير استئذان ، وأكثرها مرسومة بخط ردىء ناصل الحبر أحيانا ، مطموسة الحروف أحيانا أخرى ، وأغلب الظن أن الكتاب لاقى عنتا طويلا وهو يقاوم الزمن والرطوبة والعفن والتراب . ويبدو لى أن التحشية قد وضعت بأكثر من قلم ، وتعاورت الكتاب أيد كثيرة قبل أن يصل إلينا ، لاختلاف الخطوط فيه وتباين النفس .



ولقد عرفنا المؤلف بنفسه وهو يقدم الكتاب ، اذ عين أصله ومهاجره  
وبلده ومنشأه ومذهبه في سطر واحد واستراح! قال : « انه محمد الحسنى  
الاندلسى البليدى أصلا ، المصرى منشأ ، المالكى مذهباً » .

وهو من رجال القرن الثانى عشر الهجرى ، وكان عالماً فاضلاً موقراً ،  
أشار اليه شارح تاج العروس (6) ، وهو يتحدث عن قدوم الزبيدى الى  
مصر ، تدل على مكانته السامية وكعبه العالى في مجموعة علماء القاهرة ،  
قال : « ثم ورد الزبيدى الى مصر ، في تاسع صفر سنة سبع وستين ومئة  
وألف . وسكن بخان الصاغة . وأول من عاشره وأخذ عنه : السيد على  
المقدسى الحنفى ، من علماء مصر . وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ  
أحمد الملوى والجوهري والحنفى والبليدى والصعيدى والمدابغى ...  
وغيرهم » ... فانظر كيف جعله في جملة أشياخ الزبيدى ، وناهيك بالزبيدى  
من عالم ، لو لم يكن له الا مؤلفه الضخم « تاج العروس » لكفاه وسيلة الى  
الخلود ... وأنعم النظر في الفقرة التالية ، من مقدمة تاج العروس (7) ،  
لتعرف قيمة الزبيدى في القاهرة نفسها قال : « ودعا كثير من الأعيان الى  
بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم مع خواص الطلبة  
والمقرئ والمستملي وكاتب الأسماء .. فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثة  
كتلاخيص البخارى أو الدارمى ، أو بعض المسلسلات ... بحضور الجماعة  
وصاحب المنزل وأحابيه وأولاده ، وبناته ونسأوه من خلف الستارة ، وبين  
أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة . ويكتب الكاتب أسماء  
الحاضرين والسامعين ، حتى النساء والصبيان ، واليوم والتاريخ ... ويكتب  
الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » . وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن  
السابق ! » . فاذا كانت تلك هي قيمة الزبيدى ، والزبيدى نفسه يقف على  
دروس البليدى ، فأى معلم يكون ؟ ! وسواء أكان وقوف الزبيدى تطفأ  
وتأدبا ، أو بغية كسب فائدة علمية ، فانه يشير الى ما كان يتمتع به البليدى  
من احترام الخاصة والكافة ، وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم .

وتجد في جملة الشروح ، تعليقات للباجورى ، والباجورى شيخ  
الازهر ، ولد سنة 1198 هـ في بلدة باجور بمصر ، وتولى مشيخة الازهر  
وعمره 38 سنة واستقامت مشيخته أربعين عاماً ، وتوفى عن 78 سنة من  
عمر ملء بخدمة العلم . وحواشيه مشهورة جداً : على مختصر السنوسى  
وعلى السلم في المنطق ، وعلى السمرقندية والترصيف والعريطى في  
البيان والصرف والنحو ، وعلى الجوهرة في التوحيد ، وعلى الشنشورى في

6 — ص : ط ي طبعة الكويت

7 — ص : ط ي طبعة الكويت

الفرائض ، وعلى ضوء المصباح في أحكام النكاح ، وعلى ابن قاسم الغزى في فقه الشافعى ، وعلى البردة وسواها ... الخ . مثل هذا العالم العظيم يحشى على البلیدی في المقولات ، تحشیات تفسير وشرح ، فلا شك أنه كان يدرسها في الأزهر . فأى قيمة سامية لهذه المقولات في القرون المتأخرة ؟!

ويكشف المؤلف عن نفسيته من خلال كلامه ، وهو لا يشعر . فيبدو عصبى المزاج عنيفا في مهاجمة الفلاسفة والمنحرفين حين يقول : « قبحهم الله ، أبعدهم الله ، وهذا منهم ضلال مبين ... » . ولا يرى الرد على النظام بغير الصفع والضرب ! .. فهل لنا أن نتساءل : متى كان السباب والشتم والصفع والضرب من وسائل البحث العلمى ، أو النقاش الفكرى ؟ !

وفي أسلوبه بعض التعقيد ، هو من مستلزمات عصره ، ومن طبيعة البحث كقوله : « أما المقولات وهو المقصد الأول ، أو العقول وهو المقصد الثانى أو « لا » و « لا » وهو الخاتمة » !

والبلیدی جزائرى ، ينتسب الى « البليدة » مدينة في الجزائر ، وأسرته من مهاجرى الاندلس . نشأ في مصر وتعلم في الأزهر ، وبقي على مذهبه المالكي في جو كله شافعية . والمغرب الكبير كله على المذهب المالكي ، منذ نقله اليه أبسـد بن الفرات تلميذ الإمام مالك ( رضى الله عنه ) فتأكيده على انتسابه الى الأندلس ، وانتمائه الى المذهب المالكي ، دليل على حنينه الى أصله ومذهبه وموطنه ، ووفائه لها جميعا بالرغم من وجوده في مصر ، وما زال الأندلسيون الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ، يحنون اليها ، وينتسبون الى هذا الوطن الجميل ، ويورثون أبناءهم الحنين اليه كذلك ، حتى اليوم . وظاهرة التمسك بالمذهب والتشيع له ، مع أنه فرع في الدين لا أصل ، انتقلت في المسلمين عبر القرون ، منذ تأسست المذاهب ، وعاشت حتى مطلع هذا القرن . ولقد بلغ بهم الأمر أن كانوا يسجلون انتقال أحدهم من مذهب الى مذهب ويعدونه أمرا عظيما جديرا بالتسجيل والتاريخ . وكثيرا ما لاقى المتنقلون بسبب ذلك عنتا وأذى كما لا قى السمعاني مثلا صاحب كتاب « الأنساب » .

× \* ×

وبعد ، فإذا كنت قد أطلت في تقديم الكتاب ، فلي عذرى في تعاظـل أصل البحث وتعقده حاولت القاء النور بين يديه اضاءة لبعض جوانبه المعقدة ، مساعدة للقارئ المعاصر وتسهيلا عليه ؟ فإذا بلغت غايتى ووفقت ، فالحمد لله تعالى على معونته .

مدوح حقى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين  
أما بعد حمد الله فيقول أحوج العباد لمواضع المبدأ  
الحسنى : الاندلسى : البليدى اصله المصري منشأه  
الملكى مذهبها : اقلح الله له ولاخوانه نيل السعادة  
لناوكم بالحسنى وزيادة اليك يرمى يامن هذا التلخيص على  
السعادات في اتمام المقولات : بضرع اليك برب عبادك  
وغير ان عصبة انبيائك لاذي الاثالة المستحق لحد الجملات  
ان تصلي وتسلم وعلى اله واصحابه وانصاره واعوانه الرافى  
في محبته الشري باقبا علم اعدا الدر جلى : وان تنفع العباد  
ما اشير اليه بقولي ويخص المقصود من نيل السعادات في مقدر  
ومقصد : فانه انك على ما تشاء قدس وبالا جابة قدس  
وجه المحصر المذكور فيها اما ان يكون تابعا واما ان يكون مستقلا  
والاول اما ان يكون تاسيسا للمقولات وهو المقدمة والاول  
والثاني كذا الله اما ان يكون بيا للمقولات العلى وهو  
المقصد الاول او للمقولات العلى وهو المقصد الثاني وان  
قلت المذكور اما تاسيس اول او المقدمة والثاني المقصد  
اما المقولات وهو المقصد الاول او المقولات وهو المقصد الثاني  
اولا وهو المقصد الثاني فيها ثلاث مسائل  
اعلم ان من المقولات لاهل الحكمة المقولات لها اقسام  
عندهم من الموجودات وذكرها في المنزلة من جهة استقامتها  
على الجديان في جملة وقد الله بان تأخذ عدة امور من ان الامور  
اشخاص المجدود ان كان المجدود فيها او في اشخاص انما الله يقول  
اشخاص المجدود ان كان المجدود فيها او في اشخاص انما الله يقول

[illegible]

# تقديم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد (2) حمدا لله (3) ، فيقول أحوج العباد ، وأخفض العبيد (4) ، محمد الحسنى (5) الاندلسى (6) ، البليدى (7) ، أصلا ، المصرى منشأ ، المالكى مذهباً ، أتاح (8) الله له ولاخوانه (9) نيل السعادة (10) ، وختم لنا (11) ولهم بالحسنى وزيادة (12) .

عليك يدي (13) ، يا من هدانا (14) لنيل السعادات (15) ، فى اتمام المقولات (16) . ضارعا اليك (17) : بزَيْنِ عبادك (18) ، وطِرَازِ عَصْبَةِ أنبيائك (19) ، ذِي الإِقَالَةِ (20) المُنْتَقَى (21) لخمود الجهالات ، أن تصلى عليه وتسلم ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه ، الراتعين فى بحبوحه الشرف باتباعهم أعلى الدرجات ، وأن تنفع الطلب بما أشير اليه بقولى .

وينحصر المقصود من نيل السعادات ، فى : مقدمة ، ومقصدين ، وخاتمة ، انك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وجه الحصر المذكور فيها : اما أن يكون تابعا ، واما أن يكون متبوعا .

والاول ، اما أن يكون تأسيسا للمقولات ، وهو المقدمة . أو لا وهى الخاتمة .

والثانى كذلك ، اما أن يكون بيانا للمقولات العشر ، وهو المقصد الاول . أو للعقول العشرة ، وهو المقصد الثانى .

وان شئت قلت : المذكور ، اما تأسيس ، أو لا . الاول : المقدمة . والثانى ، اما المقولات ، وهو المقصد الاول . أو العقول ، وهو المقصد الثانى . أو لا ولا ، وهو الخاتمة .

- 1 — اعلم ان البسملة اشتملت على خمسة امور : الباء والاسم واللفظ الشريف والرحمن والرحيم . فالباء من حيث لفظها من مقولة الكيف ، وهكذا الباقي من الامور الخمسة . واما من حيث المعنى ، فينظر . فبالنظر للباء ، فمعناها الاستعانة . والاستعانة ، نسبة . وهي لا تكون الا بين مستعان به ، ومستعان عليه ، فبالنظر لهذا ، فهي من مقولة الاضافة . اما اذا نظرنا للاستعانة ، من اعانة الله للعبد ، فتكون - حينئذ - من مقولة الفعل . والاول ، هو الاقرب ، واما بالنظر لاسمائه ( الاسم واللفظ الشريف ) فهما الذات ، والذات ، ليست بعرض . فهما ليسا من مقولة الكيف ، قطعاً . واما كونهما من مقولة الجوهر ، فوقع خلاف . فعندنا - معاشر اهل السنة - ليسا من مقولة الجوهر ، لان الله سبحانه وتعالى منزّه عن الجوهريّة . واما عند الحكماء ، فوقع خلاف ، فان عرفوا الجوهر : بأنه ما قامت به الاعراض ، فلا يكون من مقولة الجوهر . واما ان عرفوه : بأنه ما قام بنفسه ، فهو من مقولة الجوهر . ولكن لا يجوز اطلاقه ، لما فيه من الابهام .
- 2 — واما بالنظر للرحمن والرحيم ، فان اطلقناهما على الله ، فيجري فيهما الخلاف المتقدم ، فان مدلولي الاسم واللفظ الشريف . واما ان اطلقناهما على غير الله ، فهما من مقولة الجوهر .
- 3 — لا يخفى ان «اما» نائبة عن «مهما» . اذ الاصل : «مهما يكن من شيء» بعد حمد الله ، فيقول : الخ . . فحذفت «مهما» و «يكن» وعوض عنهما «اما» .
- 4 — « بعد حمد الله » استشكلت هذه العبارة . بأنه لم يتقدم حمد ، فكيف يقول : « بعد حمد الله » ؟ واجيب : بأن الجواب الاول ، بالحمد مطلقاً . ولا شك ان الثاني ، بالبسملة . فمعنى قوله « بعد حمد الله » أي بعد الاتكال على اسم الله . والجواب الثالث ، ان معنى قوله « بعد حمد الله » أي بعد ثنائي وذكرى اللفظة . ونظير هذا قولهم : تكلم . أي بهذه اللفظة .
- 5 — قوله « واخفض العبيد » أتى هنا بالعبيد ، وسابقاً بالعباد ، لمجرد التفتن والمطف للمفاربة .
- 6 — قوله : « محمد الحسني » نسبة للحسن ابن سيدنا علي كرم الله وجهه .
- 7 — الاندلسي ، نسبة للاندلس وهو بالمغرب
- 8 — البليدي أصلاً ، نسبة للبليدة وهي قرية من قرى الجزائر بالمغرب ، وقوله الظاهر فيه ، أنه راجع للذي قبله .
- 9 — قوله : اتاح بالناء ، والحال معناه يسهل .
- 10 — قوله : ولاخوانه ، يصح فيه كسر الهمزة وضمها ، وهو جمع . والمراد به ، اخ المعرفة .
- 11 — قوله : نيل السعادة ، أي اخذ ، وتحوز السعادة . . وهو معمول لاتاح .
- 12 — قوله : وختم لنا ، فيه التفات من الغيبة للمتكلم ، لانه أتى أولاً بالاسم الظاهر والضمير ، والاسم الظاهر من قبيل الغيبة .
- 13 — قوله : بالحسنى وزيادة ، المراد بالحسنى الجنة . والمراد بالزيادة ، النظر الى وجهه الكريم .
- 14 — قوله : اليك يدي ، اليك خبر مقدم ويدي مبتدأ مؤخر . والتقدير يدي ممدودة اليك . ويصح جعل اليد متعلق بفعل محذوف ، والتقدير : أمد اليك يدي . ويدي هذا ، يقرأ بالافراد ولا يقرأ مثني ، لانه لو قرئ مثني ، ل قيل يدي ، والاضافة للجنس فتعم .
- 15 — قوله : يا من هدانا ، المراد بالهداية الدلالة .
- 16 — قوله : لنيل علي السعادات ، أي لاخذ وتحصيل السعادات العلية . فهو من اضافة الصفة للموصوف . والسعادات جمع سعادة . وهي عند الاشاعرة الموت على الايمان . واما عند الماتريدية ، فنفس الايمان .
- 17 — قوله : في اتمام المقولات ، متعلق بالسعادات . وفي سببية . أي سبب اتمام الكلام على المحمولات .
- 18 — قوله : ضارعا ، من التضرع ، وهو التذلل . والمراد به هنا : التوسل . فمعنى ضارعا ، متوسلاً ، وهو حال من الباء ، في يدي .
- 19 — قوله : بزين ، أي اشرف عبادك . وهو ضد الشين . ويصح ان يراد بزين ، مزين . لان النبي ( صلى الله عليه وسلم ) مزين العباد .



- 19 — قوله : وطراز عصبة انبيائك ، تطلق العصبة على الجماعة ، وعلى ما يعصب به الرأس ، والمراد بها هنا : الأول . والطراز ، لا يكون إلا في ثوب ، ففي الكلام استعارة بالكناية . وكيفية جريانها أن تقول : شبه العصبة بثوب مطرز ، تشبيها مضمرا في النفس . وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الطراز على قبيل الاستعارة بالكناية . واثبات الطراز ، تخيل .
- 20 — قوله : ذي الأقالة ، بضم الهمزة وفتحها . وهو المجد والشرف .
- 21 — قوله : المنتقى ، أي المختار ، لخمود ، أي اطفاء الجهالة . والاطفاء لا يكون إلا لنار ، ففي الكلام ، استعارة بالكناية . حيث شبه الجهالة بنار ، تشبيها مضمرا في النفس ، وطوى ذكر المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الاطفاء على قبيل الاستعارة .



# المقدمة

وفيه ثلاث مسائل :

اعلم ، أن من (1) المقولات لأهل الحكمة (2) بحث المقولات ، لما أنها عندهم من الموجودات (3) وذكرها في الميزان ، من جهة انتقائها ، على التحديدات في الجملة . وذلك ، بأن تأخذ عدة أمور (4) ، من أشخاص المحدود ، بأن كان المحدود نوعا (5) ، أو من أشخاص أنواعه ، ان كان جنسا . وتعلم (6) : أنها باعتبار كونها هذا المحدود (7) ، من أى مقولة من المقولات . ولا تنتظر الى غير ذلك من الاعتبارات . ثم تطلب جميع محمولاتها ، المقومة (8) لها ، بذلك الاعتبار ، من تلك المقولة ، لقاعدة (9) أن الجزء المحمول ، يجب أن يكون من مقولة الماهية . وحينئذ (10) ، يحصل تمام المحمولات المشتركة والمختصة ، وهو الجنس (11) والفصل ، مثلا : تحديد الانسان المنوع فتأخذ من أشخاصه (12) روميا وتركيا وهنديا ... وتعلم : أنها باعتبار كونها انسانا ، من مقولة الجوهر ، ولا تنتظر الى غير ذلك الاعتبار ، لأنه المطلوب . فان الشيء (13) ، قد يكون من مقولتين أو أكثر . باعتبارين أو أكثر . كزيد ، باعتبار الانسانية ، مقولة الجوهر . وباعتبار الاخوة ، من مقولة المضاف ، ثم تعلم (14) ان المقومات لتلك الاشخاص ، باعتبار كونها انسانا ، المحمولة عليها ، التي من تلك المقولة ، جسم حساس متحرك بالارادة ، ناطق ، وغير الناطق (15) ، مشترك ، فهو الجنس ، والناطق مختص ، فهو الفصل ، واذا آثرنا تحديد الحيوان

الجنس ، أخذنا (16) ماشيا وطائرا وزاحفا ... فتعلم : أنها باعتبار كونها حيوانا ، من مقولة الجوهر . وتعلم : أن المقومات المحمولة ، جسم نام (17) ... الخ وقلت في الجملة ، للإشارة الى أن هذا الطريق ، لابد معه من حصول التمييز بين الذاتيات والعرضيات . لأن المحمولات (18) ، المأخوذة من المقومات ، بعضها ذاتي — كما تقدم — وبعضها عرضي ككاتب وضاحك . والا ، فلا (19) يكون مسعفا (20) في التحديدات . ولا شك ، أن هذا التمييز ، عسر . حتى أن الشيخ (21) معترف : بأنه الموجب لصعوبة التحديدات ، خلافا لقول الشيخ أبي البركات : « تحديد الاشياء في غاية السهولة » انتهى ...

أقول : وكأنه مبني على أن الذاتي ، يعرف بالاسبقية . والعرضي ، بضده . كما لا يخفى عليك (22) بالناطق والضاحك . وحاصله ، أن المحدود إذا عرف أنه من أي المقولات ، عرف جنسه العالي ، فينزل منه الى السافل ، ويطلب فصله من تلك المقولة ، وهو الحد (23)

- 1 — اي من جملة الاقوال .
- 2 — الحكمة ، اي العلم المزين . ( اهل الحكمة هم الفلاسفة لما ان كلمة فلسفة اليونانية مركبة من كلمتين هما : فيلو ( أي محب ) سوفوس ( الحكمة ) فالمعنى اذن هو : حب الحكمة . والفيلسوف محب الحكمة ) .
- 3 — اي ذهنا وخارجا .  
قوله : لما انها عندهم ، الحاصل انها موجودة ذهنا ، باتفاق منا ومنهم . واما خارجا ، فوقع خلاف ، ولكن محل الخلاف ، في غير الجوهر والكم والكيف ، فعندنا موجودة ذهنا ، لا خارجا ، واما عندهم ، فموجودة ذهنا وخارجا . اما الجوهر والكيف ، فهما موجودان ذهنا وخارجا ، عندنا وعندهم ، وعزي لبعض المحققين زيادة الكم .
- 4 — قوله : عدة امور ، هذا قيد . ولا يصح ان تأخذ واحدا من اشخاص المحدود ، لان الواحد منه ، زيادة تشخيص ، على ماهية المحدود .
- 5 — قوله : نوعا ، النوع ، هو صفة كالشفة للانسان . وذكره لنكتة لطيفة ، وهي ان غرضه بيان قوله سابقا : وبأن تأخذ عدة امور .. الخ فلما ذكر هناك ، ناسبت ان يذكر هذا النوع . انتهى .
- 6 — قوله : وتعلم ، هذا معطوف على قوله سابقا : « بأن تأخذ » فهو بالنصب . انتهى تقرير شيخنا الباجوري .
- 7 — قوله : هذا المحدود . المراد بالمحدود ، النوع ، ان كان نوعا . والجنس ، ان كان جنسا . انتهى تقرير .
- 8 — قوله : المقومة لها ، اي المحققة لها بذلك الاعتبار . اي باعتبار كونها : هذا المحدود . من تلك المقولة ، متعلق بتطلب . انتهى باجوري .

- 9 — قوله لقاعدة : علة لمحذوف . اي ولا تكون تلك المحمولات من غير تلك المقولة لقاعدة ح ... الخ . واطافة قاعدة الى الجملة التي بعدها ، للبيان . اي قاعدة ان الجزء .. الخ . انتهى باجوري
- 10 — قوله : وحينئذ . اي وحينئذ ، طلبت جميع محمولاتها ، يحصل تمام .. الخ .. والمراد بالتمام ، التتميم . اي تتميم جميع المحمولات . انتهى .
- 11 — قوله : وهو الجنس ، .. الخ . الضمير ، راجع للتمام . والجنس ، راجع للمشترك . والفصل ، راجع للمختصة . فهو لف ونشر مرتب . انتهى .
- 12 — قوله : فتأخذ من اشخاصه ، المراد بالاشخاص ، الاصناف . لان الرومي والتركي .. الخ . اصناف لا اشخاص . انتهى شيخنا باجوري .
- 13 — قوله : فان الشيء قد يكون .. الخ . علة لما افهمه الكلام من تعدد الاعتبارات انتهى باجوري .
- 14 — قوله : ثم تغنم ... الخ . هذا كالتوضيح لما تقدم . وهو قوله : ثم تطلب جميع المحمولات .. الخ . انتهى .
- 15 — قوله : وغير الناطق ، هذا كلام مستأنف . والمراد بغير الناطق ، الجسم ، والحساس والمتحرك بالارادة . وهذا - في الحقيقة - تفصيل لقوله سابقا : « المحمولات المشتركة والمختصة » انتهى تقرير .
- 16 — قوله : اخذنا ماشيا وطارئا ... الخ . اي التي هي اصناف لانواع الجنس . انتهى .
- 17 — قوله : جسم نام ... الخ . اي حساس متحرك بالارادة فقط . ولا يكون الناطق ، لانه يسدد تعريف الجنس . انتهى .
- 18 — قوله : « لان المحمولات المأخوذة من القومات » هكذا في بعض النسخ وفي بعضها : « من المقولات » ، فعلى الاول : تكون العبارة فيها قلب . اي القومات المأخوذة من المحمولات . وعلى الثاني ، لا قلب . انتهى باجوري .
- 19 — قوله : والا فلا يكون ، هذا ارتبط بقوله : « لا بد معه من حصول التمييز والا بأن لا يحصل تمييز : فانه يكون ... الخ .
- 20 — قوله : مسغفا : اي معينا في التحديدات
- 21 — قوله : حتى ان الشيخ ، هذا تفريع على قوله : « ولا شك ان هذا التمييز عسر » . والمراد بالشيخ : ابن سينا (\*) . لانه هو المراد عند الاطلاق . في علم الحكمة . انتهى باجوري
- 22 — قوله : كما لا يخفى عليك .. الخ اي اذا استحضرت الانسان ، خطر بذهنك اولا ناطق ، ثم ضاحك .. انتهى باجوري
- 23 — قوله : وهو الحد : اي مجموع الجنس السافل والفصل ... الخ .

(\*) ابن سينا يسميه الاوروبيون Avicenne هو شيخ الفلاسفة الاطباء من المسلمين ولد قرب بخارى عام 980 وتوفي عام 1037 من اشهر كتبه : القانون في الطب والفلسفة . بقي يدرس في كليات الطب بأوروبا ، وبصورة خاصة في ليون ومونبيلييه بفرنسا حتى القرن الثامن عشر . وما زالوا يعدونه من اعظم نوابغ الشرق الاسلامي .

# المقصود الأول

## بحث المقولات العشر: '1'

وهو مقولة : الجوهر ، والكم (2) ، والكيف (3) ، والاضافة (4) ،  
والاين (5) ، والتمتى ، والوضع (6) ، والملك (7) ، والفعل ، والانفعال ،  
المشار اليها بقوله على هذا الترتيب :

زيد الطويل الازرق ابن مالك      في بيته بالامس كان متكى  
بيده غصن لواه فالتوى      فهذه عشر مقولات سوا  
ويقول الآخر وهو :

قمر غزير الحسن ألطف مصره      لوقام يكشف غمى لما انتنى  
فالقمر للجوهر . والغزير للكم . والحسن للكيف . وألطف للاضافة .  
ومصره للاين ، وأضافة اشارة : الى أن الاين ، الحصول في مصر ، لانفس  
المصر . وقام للوضع . ويكشف للفعل . وغمى للملك . ولما « بتشديد الميم »  
للمتى . وانتنى (8) للانفعال . وانما خصوا هذا باسم المقولات ، عند  
الاطلاق . اذ كان كل كلى ، مقولا على ما تحته (9) ، نظرا لكونها أجناسا  
عالية ، أوسع مقولية وصدقا (10) ، من غيرها المندرج تحتها .

- 1 — قوله : بحث المقولات ، ... الخ . اي المحمولات ، اي الموجودات العشرة . اي  
الكون احتوى على هذه العشرة . واعلم أن الجوهر والكم والكيف ، موجودة ذهنا  
وحارجا باتفاق . وأما السبعة الباقية ، فعند أهل السنة ، موجودة ذهنا . وعند  
المعتزلة موجودة خارجا . « انتهى . أمير » .
- 2 — سمي : كما ، لكونه يسأل عنه بكم ؟
- 3 — سمي كيف ، لكونه يسأل عنه بكيف ؟
- 4 — الاضافة ، نسبة يتوقف تعقلها على تعقل سببية اخرى ، متوقفة عليها . كالأبوة  
فانها متوقفة على البنوة . والبنوة كذلك .

- 5 — هو اسم للحصول فى الأين . أي المكان .
- 6 — الوضع : هو اسم للهيئة الحاصلة من نسبة بعض الأجزاء الى بعض ، ومن نسبتها الى أمر خارجي .
- 7 — الملك ، هو اسم للهيئة الحاصلة من احاطة شيء بشيء كلا او بعضا .
- 8 — قوله : انثنى للانفعال ، أي اذا كان بتأثير مؤثر . أي فعل فاعل « انتهى أمير » .
- 9 — قوله : على ما تحته . الخ ، هذا يقتضي أن مقولات ، من باب معدودات ، واشتهرت مقولة أيضا . . وكان التانيث ، باعتبار أنها لا تخرج عن صفة او ذات . تأمل . انتهى أمير .
- 10 — المراد بالصدق ، الحمل والخبار فالعطف للتفسير « انتهى » .

## مقولة الجواهر

لا يمكن حده ، لما سيأتى (2) . بل نرسمه : بأنه الغنى عن المحل . أو القابل للعرض ، أو المتحيز . وهو ما أخذت ذاته قدرا من الفراغ ، كان مستقرا (3) أم لا . جسما أم لا (4) . وحينئذ (5) ، فالمتحيز ، أعم من المستقر ، كدائرة مرشوقة برمح . فان رأس حريتها ، الملاقى له ، مستقر متحيز . وما عداها منها ، متحيز فقط .

ومن الجسم : فما تتركب من جوهريين فردين مثلا ، جسم متحيز . وما لا ، متحيز فقط .

ومن المتمكن (6) ، لاختصاصه بالمتحيز : الممتد دون غيره ، كالجوهر الفرد . فكل مستقر ، جوهر متحيز . ولا عكس . وكل جسم ، جوهر متحيز . ولا عكس . وكل متمكن ، جوهر متحيز ، ولا عكس . والحيث (7) ، هو الفراغ . وهو موهوم عند المتكلمين (8) .

## فائدة

للجواهر أحكام منها :

أنها قابلة للبقاء (9) زمانين مثلا ، الى الفناء (10) . خلافا للنظام (11) — والرد عليه بالصفع والضرب — فان مالت (12) نفسه للانكار ، قيل له : ذهب الفاعل والمفعول . فلا معنى للانكار .

وأنها لا تتداخل (13) . خلافا له .

وأنها تحدث بجملتها ، عن عدم سابق . وتنعدم كذلك خلافا للفلاسفة (14) والطبائعيين ، والسمنية .

وأنها يصح انعدام بعضها ، خلافا للمعتزلة (15) ، في أن الجوهر ، لا  
ينعدم الا-جملة .

وأنها متماثلة في الصفات النفسية ، كما ذكره الامام (16) : من التحيز ،  
والقيام بالنفس ، وقبول الاعراض ، والجسمية .. وان تباينت (17) بصفات  
المعاني : كالماء ، والنار ، خلافا له .

وأنها لا تثبت في العدم ، خلافا للنظام ، وكثير من المعتزلة في قولهم :  
انها كالأعراض (18) ، ثابتة في العدم ، ولذلك ، كان المعدوم — عندنا —  
ليس بشيء ، وعندهم — قبحهم الله — شيء : أعنى بذلك المعنى والا ،  
فأهل اللغة ، قائلون : بشبيه المعدوم ، لكن لا بذلك المعنى (19) ، فافهم .  
انتهى .

- 1 — قوله : مقولة الجوهر : قدمها لشرفها . واخر الباقي ، لانها اعراض . « انتهى  
شيخنا امير » .
- 2 — قوله : لما سيأتي ، اي اول الامور بعد المقولات ، والتتمة . اي ان هذه المقولات ،  
أجناس عالية ، فلا جنس لها تحد به .
- 3 — قوله : مستقرا . ام لا .. الخ فيبين التحيز وكل من الجسم والتمكن والمستقر ،  
عموم وخصوص مطلق . لان التحيز اعم من كل من الثلاثة .
- 4 — قوله جسما ، كان تركيب من جوهرين فردين . وقوله : ام لا ، كان كان جوهرًا  
فردا . « انتهى امير » .
- 5 — قوله : وحينئذ ، اي حينئذ عممنا في التحيز .
- 6 — قوله : ومن الممكن ، ذكره وان كاشفني عنه لما قبله نظرا لتغايرها في اللفظة .
- 7 — قوله : والتحيز ، انما ذكره لكون التحيز يستلزمه .
- 8 — قوله : عند المتكلمين ، وأما عند غيرهم فهو موجود ، لكنه من المجردات ، اي عن  
المادة .
- 9 — قوله قابلة للبقاء : وكذلك الاعراض على التحقيق .
- 10 — قوله : الى الغناء . متعلق بمحذوف اي وتستمر الى الغناء .
- 11 — قوله : خلافا للنظام ، اي في قوله انها غير قابلة لزمانين . وهو من المعتزلة .  
« انتهى امير » .
- 12 — قوله : فان مالت نفسه للانكار ، اي كان قال لاي شيء تضربوني فنقول له :  
ذهب الفاعل والمفعول ، فلا معنى لانكارك .
- 13 — قوله : وانها لا تتداخل ، اي بحيث ان الجسم لا يدخل في آخر ، مع عدم فهو  
الآخر ، بل كونه بحاله .
- 14 — قوله : خلافا للفلاسفة ، اي قولهم ان بعض العالم قديم وبعضه حديث عن  
عدم سابق .
- 15 — قوله : خلافا للمعتزلة ، المراد بعضهم .
- 16 — الامام : المراد به الفخر الرازي . « انتهى امير »



- 17 — قوله ، وان تباينت بصفات ... الخ . لعل معناه ، ان الجوهر فى نفسه واحد مع مثله . والمعاني اطوار لا توجب التباين . والا فلا يقول به عاقل . تمثّل .
- 18 — قوله : كالأعراض ، أي عندهم . وقوله ثابتة فى العدم ، أي قبل الظهور . يقولون : كانت خفية ثم ظهرت . ونظيره ، الماهيات ، عندهم .
- 19 — قوله : لا بذلك المعنى . . الخ . بل بمعنى ما يصح ان يذكر ، ويحكم عليه بأمر ما ، كقبوله الوجود . « انتهى امير » .

# مقولات الكم

وهو عندهم (1) ، عرض (2) يقبل القسمة لذاته (3) . فالقيد الاول (4) ،  
لاخراج النقطة (5) والوحدة (6) . والثاني (7) ، لاجراج ما عدا الكم . فانه  
وان قبلها ، فبواسطة الكم ، لا لذاته ، كالبياض .

ثم اما متصل ، بأن يكون بين أجزائه حد مشترك ، كما في معالج (8)  
الامام الفخر الرازي ، أى تتلاقى (9) عنده وتتصل باعتباره (10) ، كما في  
شرحها (11) للشيخ الفهرى ، تلميذ المقترح ، كالنقطة بين النقطتين في الخط.  
وكالحال بين الماضى والمستقبل ، في الزمن .

واما منفصل ، بأن لا يكون بينها حد مشترك كالعدد . فان الاربعة مثلا  
اذا قسمت بين اثنين واثنين ، وكذا الثلاثة ، اذا قسمت بين واحد ونصف  
وواحد ونصف ، بخلاف الخط من ثلاث نقط . فانه ينقسم الى اثنين بينهما  
واحدة ، لا تنقسم . كما لا يخفى على العارف بالنقطة ، وكذلك الزمن ، فانه  
ينقسم الى ماض ومستقبل ، وبينهما الحال . وقد حصل بين ما ذكر (12)  
اتصال ، باعتبار ما ذكر (13) ، والخط المركب من أربع نقط ، مشتمل على  
الثلاث نقط . فيأتى فيه ما ذكر . وهل الحال (14) ، أجزاء من طرفى الماضى  
والمستقبل ؟ — وعليه السعد — أو زايد عليهما ، قسم مستقل ؟ خلاف عند  
الحكماء ، كما في التثييرى على المطول ، أو هو جزء لا ينقسم ، نهاية الماضى  
وبداية المستقبل ؟ وهو ما لبعض .

والمتصل : اما أن يكون قار الذات (15) أى مجتمع الاجزاء في الوجود.  
وهو المقدار . خط ، ان قبل القسمة (16) في جهة فقط . والا ، فسطح ، ان  
قبلها في جهتين . والا فجسم . تعليمى ، ان قبلها في ثلاث .

فهذه الثلاثة ، امتدادات عارضة ، للجسم الطبيعي ؟ فالشكك، المربع مثلا (17) : ذاته — أى جوهره — جسم طبيعى ، معروض لتلك الامتدادات، التى هي مجرد الطول والعرض والعمق . ونفس الطول والعرض والعمق ، هو الجسم التعليمى ، نسبة للتعليم ، لانهم (18) كانوا يعلمونه صغارهم .

فالجسم الطبيعى ، جوهر معروض مركب من جوهرين فردين (19) أو ثلاثة ، أو أربعة . أو ثمانية ، أو ستة عشر أو أربعة وعشرين ، أو ستة وثلاثين ، أو ثمانية واربعين ... وهو — أى هذا الخلاف — لفظى ، على ما للفهرى (20) أو معنوى، على ما للسعد. وللجسم التعليمى عارضى (21) عرض فقف (22) على الفرق بين الجسم الطبيعى والجسم التعليمى .

وقول التلخيص (23) : الجسم الطويل العريض العميق ، يحتاج الى فراغ يشغله ، يعين به الجسم الطبيعى ، كما هو ظاهره (24) . والا ، فالتعليمى (25) لا يحتاج الى فراغ وانما يحتاج الى محل يقوم به لكونه عرضا. لكن يشكل عليه ، كما فى الشهاب (لعله الشهاب بن قاسم على المطول : ان الاحتياج الى الفراغ ، ليس خاصا بالجسم الطويل ... الخ بل الجوهر الفرد كذلك ، مما يحتاج الى الفراغ ، خصوصا والمعتزلة — أصحاب هذا التقسيم (26) — يعترفون بالجوهر الفرد ، ويخالفون الحكماء ، فلا وجهه للتخصيص والجواب — كما فيه — : أنه أراد الاحتياج الى فراغ ممتد . ولا يخفى أنه من خصائص الجسم الطبيعى الطول ؟ الخ . فان الجوهر الفرد ، لكونه عاريا عن تلك الامتدادات ، ليس له حيز ممتد ، والطول ، هو البعد المفروض أولا . والعرض ، وهو المفروض ثانيا . ولا يفسر الطول بأبعد الامتدادات ، لانتقاضه بالاشكال المتساوية الابعاد .

واعلم (27) : أن تقسيم الجسم (28) بما ذكر، اصطلاح (29) المعتزلة مع اعترافهم (30) بثبوت الجوهر الفرد . وأما الفلاسفة ، ففسروه (31)

بالهيولى (32) والصورة . لان الموجود عندهم (33) : اما أن يكون محلا ،  
أو حالا فيه ، أو مجموع الحال والمحل ، أو لا (34) .

فالمحل ، هو الهيولى ( بتثديد الياء وتخفيفها ) اذا تغير (35) ،  
وتقوم (36) بما حل فيه ؟ كالنطفة اذا حلت فيها صورة بشرية ، فانها لا  
تبقى نطفة بل حقيقة أخرى . وكالبیضة (37) ، فانها اذا حلت فيها صورة  
الفرخ ، لا تبقى بيضة ، بل ماهية أخرى . وكخشب السرير ، والشريط ،  
والمسمار . فان المجموع ، بحلول صورة السرير ، ينتقل الى ماهية أخرى ،  
وهى السرير ، والا ، يتغير بما حل فيه ، فهو الموضوع (38) . كالثوب ،  
فانه لا يتغير بالسواد مثلا .

والحال ، هو الصورة . ان غير ما حل فيه ، كما تقدم ، من صورتى  
البشرية والفرخية وهيئة السرير ... والا يغير ، فهو العرض . ومجموع  
الحال والمحل . أعنى الهيولى والصورة فقط ، هو الجسم . وغيرها ، ان  
كان له تصرف (39) وتدبير (40) فى البدن فالنفس (41) والا ، فالعقل  
الساوى ، على زعمهم .

فالجوهر (42) — عندهم — خمسة : هيولى ، وصورة ، وجسم ،  
ونفس ، وعقل .

والعرض (43) واحد . والفرق بينه وبين الصورة ، تقدم ، كالفرق بين  
الهيولى والموضوع .

وانكروا (44) الجوهر الفرد . ونحن نقول : (45) النقطة موجودة ،  
باعترافهم . فاما أن تكون الجوهر الفرد — كما عندنا — وهو المطلوب .  
واما أن تكون عرضا قائما به ، فيلزم أن يكون جوهرًا غير منقسم . والا  
لأنقسمت ، وهو المطلوب .

وفى ظنى ، عند شرح المواقف : أن القوم ، لا يطلقون على الجوهر  
الفرد ، نقطة . فتأمل .

وقالوا : بالجواهر المجردة عن المادة ، كالنفس والعقل .. وفيه ما فيه (46) ، وجعلوا الصورة ، من مقولة الجوهر . وهي — عندنا — من العرض . فالجوهر — عندهم — أعم منه عندنا (47) . والعرض كذلك . لكن من وجه . فالبياض عندنا وعندهم ، عرض . والصورة ، عرض ، عندنا . جوهر ، عندهم . والامور الاضافية . وهي ما عدا الكيف والكم والايين ، على ما في الكبرى ، الذي هو خلاف (48) الظاهر ، كما في المنجورى أعراض عندهم . لكونها موجودة . لا عندنا ، لكونها ليست كذلك .

وأما المتكلمون ، ففسروه (49) : بما تتركب من جوهرين ، أو جواهر متناهية ، لا تنقسم أصلا ، يعجز الوهم عن تمييز طرف منها عن طرف . كما للامام ابن عرفة . وهو مذهب الجمهور . وقيل : لا تنقسم فعلا . وان قبلتها فرضا . وقيل : غير ذلك . وهل يسمى كل واحد من تلك الاجزاء جسما ؟ نظرا (50) لثبوتها الجسمية المفهومة من الجسم للمجموع ؟ فتكون أجساما أولا . فتكون جسما واحدا ، قولان . وأما أهل اللغة ، ففسروه : بجماعة البدن والاعضاء من الناس ، وسائر الانواع العظيمة الخلق .

والحاصل ، في الجسم تفسيرات أربعة (51) .

فأما أن لا يكون قار الذات ، وأما أن يكون . وهو الزمن . والفرق بين الحال وبين الآن — عندهم — أنه يقبل القسمة . بخلاف الآن (52) ، فان نسبته اليه ، كنسبة النقطة للخط ؟ فحاصله : أن الكم المتصل : أمران : المقدار والزمن (53) . والمنفصل ، واحد . وهو العدد . « انتهى » .

وها هنا (54) أمور ، منها :

ان الاجسام مرئية ، خلافا للفلاسفة (55) كما في المحصل (56) لنا أن نرى الجسم في التحيز (57) والعرض لا يتحيز (58) .

ومنها : أنها لا تنفك عن العرض ، وعليه الأكثر (59) ، خلافا للاقل .

ومنها : أن العرض (60) ، صحة انقسامه ، إنما هي باعتبار المحل ، كما هو معلوم (61) ؟ فتتبيدهم القبول بالذاتية (62) ، مشكل . والتقصي (63) عنه ، بأن معين كون القبول ذاتيا ، أنه لا يحتاج الى أمر زائد على المحل ، بخلاف الكيف ، كالبياض . فان قبوله القسمة ، باعتبار أمرين : المحل والكم ، ألا ترى أن الجوهر الفرد الابيض لا ينقسم (64) وما ذاك ، الا لفقد الكم ، المتوقف على اجتماع جوهريين ، مثلا . وحاصله : أن المنقسم حقيقة في الكم ، موصوفه . وهو الجسم الطبيعي ، من غير توقف (65) على شيء . وهو تابع له في ذلك . ولو كان (66) شرطا ، بخلاف الكيف ، فان انقسام محله ، موقوف على أن يكون ذا امتداد . فالمعنى : قبول الكم القسمة ، تبعا لمحله ، ذاتي لا يحتاج الى أمر آخر . بخلاف غيره من الاعراض ، فانه يحتاج في قبولها ، تبعا لمحله ، الى أمر آخر ، هو الكم . فافهم .. ولا يخفى أن الكلام (67) مع الاصحاب . وأما غيره ، فظاهره العكس . وأن القسمة في الكم ، ذاتية . وفي الموصوف وباقي الاعراض ، تبعية ، ومرادهم (68) كما قال السعد — أحد قسميها ، الذي هو الوهمية . بأن يفرض (69) في المقسوم شيء ، لا الآخر ، الذي هو جعله هويتين بالفعل (70) قال البوسى : المتكلمون ، لا يجوزون انقسام العرض في نفسه ، فضلا عن انقسام المحل بانقسامه . ويمنعون (71) كون الكميات أعراضا موجودة ، قائمة بالمحل . فتأمل .

ومنها ما ذكر ، من كون الزمن من مقولة الكم ، وان (72) كان جاريا على اللسان (73) ، لا يجرى على مذهب الاصحاب ، فان الزمن — عندهم — مقارنة (74) مجهول لمعلوم . فيكون من مقولة الاضافة . وأما غيرهم ، فمختلفون : قائل بأنه نفس الفلك (75) . وقائل بأنه المعدل ، أعنى منطقة الفلك ، التي في وسطه . وعليها ، فهو من مقولة الجوهر ، وقائل بأنه حركة

الفلك ، وقائل بأنه حركة المعدل (76) ، وعليهما فهو من مقولة الاين ، على ما يظهر . وقائل بأنه عرض سيال (77) ، مقرر بالحركة . وعليه ، فهو من مقولة الكم . ويجرى عليه ما ذكر أولا . كذا يظهر ، وانظر تلك الاقوال في المحلى وحواشيه .

ومنها ، أن النقطة ، نهاية الخط . والوحدة (78) ، نهاية الواحد (79) ، مطلقا . فتكون أعم . والنقطة أخص ولكن (80) في كمال سعد العقائد النسفية (81) ، ان قولهم في النقطة : نهاية الخط ، قضية مهملة (82) لا كلية . والا ، فقد تكون نهاية لغير الخط ، كما في الجسم المخروطى (83) . وهل هما — أى النقطة والوحدة — نوع بسيط ؟ وعليه ، فليسا من المقولات (84) — فيما يظهر — وتردد في ذلك يس ، في حواشى التهذيب (85) نظرا لانحصار الموجودات — عندهم — في العشر . أو من مقولات الكيف ؟ أو من الامور الاعتبارية (86) ؟ وهو الصحيح كما في المطالع . لانها لو كانت وحدوية ، لاتصفت بالوحدة . وهكذا يلزم التسلسل في الامور الوحدوية ، وهو باطل . بخلافه في الامور الاعتبارية — كما هو القول الصحيح (87) — فصحيح . كالوجوب (88) والامكان (89) والبقاء (90) . ومن ثم ، عدها أهل الكلام ، كالعلامة السنوسى ، من الصفات السلبية ، خلافا للقاضى والامام (91) : انها نفسية . ولقول بعض : انها من المعانى ، قال في الطوالع ، الوحدة ، كون الشئ ، بحيث لا ينقسم الى امور مشتركة في الماهية . أى سواء انقسم الى امور غير مشتركة في الماهية ، أو لم ينقسم (92) ( كواجب الوجود عندنا وعندهم ) . قال امام الحرمين : الواحد (93) الشئ الذى لا ينقسم . يعنى : أصلا . فهو أخص من الطوالع ، الذى هو تفسير الفلاسفة ، والكثرة ، انقسامه الى امور متساوية في الماهية . وهذا ، كالتحكيم ، كما في البوسى ، ناظرا عن شرح القاصد (94) . ان ذلك التفسير ، منقوص طردا وعكبا (95) ، بالمجتمع من الامور المختلفة . فتأمل .



وهى — أعنى الوحدة — اما حقيقة أو اضافة . وهى الانقسام الى أمور متشاركة فى الماهية كالانسان المنقسم الى أعضاء .

والاضافية اما وحدة بالشخص بالاتصال أو الاجتماع وبالارتباط والتركيب (96) .

وأما وحدة بالذات أو بالجنس أو بالنوع أو بالفصل .

واما وحدة بالعرض اما بالمحمول أو بالموضوع .

فالواحد بالشخص ، أمران . وبالذات ، ثلاثة . وبالعرض ، اثنان .

فالاول، وهو المنقسم الى أمور متشابهة فى الاسم والحد ، كالمقدار (97) والجسم البسيط . أعنى المنفطر (98) الواحد .

والثانى ، وهو بالضد ، كالجسم المركب . نحو زيد (99) ، المنقسم الى يد وزجل ورأس ...

والثالث (100) نحو الانسان والفرس ، واحد بالحيوانية ، وان كانت واحدا بالاجتماع .

والرابع (101) كزيد وعمر ، واحد بالانسانية (102) كذلك .

والخامس (103) زيد وعمر واحد بالناطقية (104) .

والسادس ، كالثلج والقطن ، واحد فى البياض المحمول .

والسابع كالكاكب والضاحك (105) ، واحد فى الانسان الموضوع (106)

ولابد من كثرة للواحد أيضا . فالانسان والفرس ، معروض لجهة

واحدة ، هى الحيوانية ولجهة كثرة ، خصوص الافراد النوعية للانسان

والفرس . فتأمل . وزيد وعمر ، واحد بجهة النوعية ، منفرد بجهة

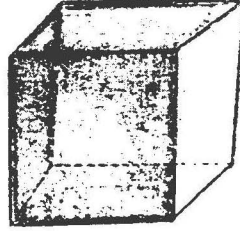
الشخصية فهو — أى الواحد — معروضهما . وقد نقول : جعل المقدار (107)

مثلا واحدا ، مع انقسامه الى أمور متساوية ، مشكل (108) . فاذا أريد

أنها ليست متساوية في ماهية المنقسم ، أعنى المقدار مثلا ، وان كانت متساوية في نفسها ، أشكل مجموع نقط غسل مثلا . فانه كثرة ، مع كون أجزائه ليست متساوية ، في ماهية المنقسم ، أعنى المجموع .

- 1 — قوله ، وهو عندهم ، أي عند الحكماء . والاضافة : قيد احترز بها عن غيرهم . فانه عند أهل السنة ، أمر اعتباري ، لا وجود له ، الا في ذهن .
- 2 — قوله : عرض ، خرج عنه الجوهر ، فلا يدخل من اول الامر .
- 3 — قوله : لذاته ، انه لا يحتاج الى امر زائد على المحل ، بخلاف كيف ، فانه يحتاج الى امر زائد على المحل ، وهو الكم . وبما ذكر ، يفرق بين كيف والكم . والحاصل : ان كيف والكم ، لا ينقسم الا تبعاً للمحل ، فكل منهما يحتاج للمحل . ولكن الكم لا يحتاج الى امر زائد عليه ، وكيف ، يحتاج الى امر زائد عليه . وهو انكم . وهذا هو الفرق بينهما ، كما سيأتي ، في هذه الرسالة . وهذا بالنظر لكلام الحكماء . فالذاتية حقيقة . « انتهى . شيخنا باجوري » .
- 4 — أي قوله : لا يقبل القسمة . « انتهى امير » .
- 5 — هي نهاية الخط ، فهي عرض لا يقبل القسمة .
- 6 — قوله : والوحدة ، وهي كون الشيء واحدا لا تعدد فيه ، أو نهاية الشيء . وعلى هذا ، ما الفرق بينها وبين النقطة ؟ ويجاب بأن النقطة نهاية الخط ، وهو اخص من انوحدة .
- 7 — قوله : والثاني ، أي وهو قوله لذاته . « انتهى امير » .
- 8 — قوله : كما في معالج الامام : أي اسم كتاب له . « انتهى امير » .
- 9 — قوله : تتلاقى : هذا تفسير لقوله « مشترك » .
- 10 — قوله : وتتصل باعتباره ، أي بملاحظته . وهو عطف على قوله تتلاقى ... الخ .
- 11 — قوله : كما في شرحها للشيخ : ما ذكره لا يشمل كم الخط من نقطتين فانه متصل ، مع انه لا يشترك بين جزئية ، لما أن كلا منهما ، لا ينقسم . فالاولى تفسير المتصل ، بأنه عقيم الذات . والمنفصل تعدد . « انتهى امير » .
- 12 — قوله ، بين ما ذكر ، وهو الماضي والمستقبل ، بالنسبة للزمن ، والنقطتين بالنسبة للخط .
- 13 — قوله : باعتبار ما ذكر ، وهو الحال ، والنقطة ، على التوزيع المتقدم . « انتهى تقرير » .
- 14 — قوله ، وهل الحال ، الحاصل انه جرى خلاف في الحال ، فقيل : بسيط . وقيل : مركب ، وعلى كونه مركب ، فهل هو قسم مستقل ام لا ؟
- 15 — قوله : قار الذات ، أي مجتمع الاجزاء ، وسيأتي مقابله : وهو ان يكون غير قار ، عند قوله : فيما سيأتي . وهي امور . « انتهى تقرير » .
- 16 — قوله : خط ان قبل القسمة ، الحاصل بأنه اذا اتى بجوهريين فردين قام بهما عرض ، يقال له : خط . واذا اتى بأربعة جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له : سطح . واذا اتى بثمانية جواهر ، قام بهما عرض ، يقال له : جسم تعليمي . واعلم : ان نهاية الخط ، بالنقطة ، ونهاية السطح ، بالخط ، ونهاية الجسم التعليمي ، بالسطح .

- 17 — قوله ، فالشكل ، هذا تفريع على قوله سابقا : « فهذه الثلاثة امتدادات ... الخ وقوله : المربع ، أي المربع من أربعة أبعاد ورسمه هكذا :



- 18 — قوله : لانهم ، هذه علة للنسبة .  
 19 — قوله : مركب من جوهرين ، الحاصل : ان هذا ، شروع من الشيخ في اقوال ثانية . لكن على القول الاول والثاني والثالث ، فليس الجسم الطبيعي معروضا للجسم التعليمي ، وانما هو على القول الاول ، معروض للخط . وعلى الثاني والثالث ، فهو معروض للسطح . « انتهى تقرير » .  
 20 — قوله : على ما للفهري ، أي فانه يقول : معنى قولهم الجسم الطبيعي مركب من جوهرين ، انه مركب من جوهرين مثلا او ثلاثة او أربعة مثلا وهو بعيد جدا . « انتهى تقرير » .  
 21 — قوله : عارض ، عرض هكذا . في بعض النسخ عرض عارض في بعضها فعلي . الاول يكون قوله عارض . راجعا لقوله سابقا « معروض » ويكون قوله عرض ، راجع ( كذا ) لقوله سابقا : انه جوهر ، فهو لف ونشر مشوش ، وما على البعض الثاني ، يكون الاول راجع ( كذا ) للاول ، والثاني للثاني . فهو لف ونشر مرتب ( انتهى تقرير ) .  
 22 — قوله فقف على الفرق ، وحاصل الفرق : ان الجسم الطبيعي ، ما تركيب من جوهرين ، واما الجسم التعليمي ، الامتدادات العارضة القائمة كالطول والعرض والعمق ( انتهى تقرير )  
 23 — قوله : وقول التلخيص ، الحاصل : ان التلخيص قال : الجسم الطويل العريض .. الخ . يحتاج الى فراغ يشغله . فما مراده بالجسم ؟ ان اراد الجسم التعليمي ، لا يحتاج الى فراغ ، وانما يحتاج الى ذات . فاجاب الشارح عند ذلك بقوله : يعين به ... الخ  
 24 — قوله : ظاهره ، أي حيث قال : الطويل العريض العميق .. الخ ( انتهى تقرير )  
 25 — قوله : والا ، فالتعليمي ، والا نقول : ان المراد به : الطبيعي . بل المراد به التعليمي . فلا يصح . لان التعليمي .. الخ .  
 26 — قوله : اصحاب هذا التقسيم ، أي تقسيم المقدار لخط وسطح وجسم تعليمي .. الخ .  
 27 — قوله : واعلم ، هذه الكلمة يؤتى بها لشدة الاعتناء بما بعدها . ولا شك ان ما بعدها ، عسر الفهم ، لا يفهمه الا من له ادنى المام بعلم الحكمة ( انتهى تقرير ) .  
 28 — قوله : الجسم ، ال ، في الجنس للمعد ، وقوله : بما ذكر ، أي من كون الجسم الطبيعي ، هو الطويل العريض العميق .. « انتهى » .  
 29 — قوله : اصطلاح ، فالحاصل : ان المعتزلة ، اتفقوا على ان الجسم الطبيعي هو الطويل العريض .. الخ . وعلى هذا ، يكون دائما وابدا ، معروضا للجسم التعليمي .  
 30 — قوله : اعترافهم ، لعل المراد ، اكثرهم . فقد تقدم ان بعضهم ينكره . ( انتهى تقرير )  
 31 — قوله : ففسروه : أي الجسم  
 32 — قوله : الهيولة ، وعلى هذا تكون الصورة جوهر . « انتهى تقرير » .  
 33 — قوله : عندهم ، أي الفلاسفة .  
 34 — قوله : او لا ، أي لا حال ولا محل ولا حال فيه . « انتهى امير » .  
 35 — قوله : تغير ، أي كان التغير ، ليشمل اول صورة . « انتهى امير » .

- 36 — قوله : تقوم ، هذا معطوف على قوله ، تغير ، وهو عطف مسبب على سبب ، أو لازم على ملزوم . « انتهى تقرير » .
- 37 — قوله : وكالبیضة ، فان قيل : كرر المثال : قلت : للتوضيح ، أو لنكتة لطيفة ، وان كانت ضعيفة . وهي أنه لا فرق ان يكون ناطقا أو غير ناطق أو جمادا - « انتهى »
- 38 — قوله : فهو الموضوع ، المراد بالموضوع : شيء ذو وضع أي ذو تحيز وليس المراد به ما قابل المحمول ، لان هذا : انما هو عند المناطقة . وهو لا يخرج عن الجسم . فهو عينه . وانما الخلاف بينهما اعتباري . فمن حيث ان الثوب مثلا تركب من مادة وهي الكتان . وصورة ، وهي كونه ثوبا : جسم . فلذا ، يذكره في التفریع الآتي وهو قوله : فالجواهر ... الخ « انتهى » .
- 39 — قوله : تصرف ، أي كالذهب والمجىء مثلا .
- 40 — قوله : وتدبير ، أي كالاكل والشرب مثلا .
- 41 — قوله : فالنفس ، وهي عندهم جوهر مجرد ، أي لا مادة له . « انتهى امير » .
- 42 — قوله : فالجواهر ، هذا تفریع على ما تقدم ، من عند قوله : واعلم الى ما هنا ..
- 43 — قوله : والعرض واحد ، لعله أراد الجنس ، والا ، فأقسامه تسعة ( انتهى امير )
- 44 — قوله : وأنكروا ، هذا معطوف على قوله سابقا : ففسروه . ودليلهم على انكاره انه لو فرض خط من ثلاثة جواهر فردة ، فلا يخلو اما أن يكون الوسط مانعا من تلاقي الطرفين ، أولا . لا سبيل الى الثاني بل والى الاول . لانه لو لم يكن مانعا من تلاقي الطرفين ، لكان الوسط داخلا في أحد الطرفين ، فيحصل بين الاجزاء تداخل ، وهو محال ، اذا كان من غير نمو . ويلزم عدم الوسط ، والفرض ثبوته . وحينئذ ثبت كونه مانعا من تلاقيهما . فلا يلاقي الوسط أحد الطرفين غير ما يلاقي به الآخر . وحينئذ ينقسم الوسط . وقد فرضناه غير منقسم . فهذا خلف . وقد يقال : هذا انما يوجب أن الوسط : له نهايتان . والنهاية ، أمر اعتباري . وحينئذ لا يلزم من ذلك انقسامه . على هذا ، الرد ليس قويا فدليلهم قسوي . « انتهى » .
- 45 — قوله : ونحن نقول ، هذا دليل الزامي والدليل الذي يرد عليهم ان التفاوت بين الجبل والحجر الصغير اما أن يكون التفاوت بينهما بجزء منقسم أو لا فلا يخلو أن يقولوا بالثاني أو الاول . فلو قالوا بالثاني لزمهم ثبوت الجوهر والعرض ان هم أنكروه . ولو قالوا بالاول فلا بد ان ينتهي الى ما لا ينقسم وهو المطلوب .
- 46 — قوله : وفيه ما فيه ، وهو عدم دليلهم على ذلك . « انتهى تقرير » .
- 47 — قوله : فالجواهر عندهم .. الخ . أي فكل جوهر عندنا جوهر عندهم ولا عكس فبينهم العموم والخصوص المطلق . « انتهى تقرير » .
- 48 — قوله : خلاف الظاهر ، أي لان الاين هو الحصول فهو من الامور الاضافية « انتهى تقرير » .
- 49 — قوله : ففسروه ، فعلى هذا يكون تارة معروضا للجسم التعليمي وتارة يكون معروضا لغيره . « انتهى تقرير » .
- 50 — قوله : نظرا ، هذه علة للتسمية واذا كانت توهم ان التسمية مجازية . « انتهى تقرير » .
- 51 — قوله : تفسيرات أربعة ، التفسير الاول للمعتزلة والثاني للفلاسفة والثالث للمتكلمين والرابع للغويين . « انتهى » .
- 52 — قوله : بخلاف الآن ، فانه اسم للجزء من الزمن الذي لا يتجزأ . ولما كان هذا الجزء بلا حظ غالبا في الحال ، التي نقول انما فيها ، نخت له اسم من ضمير المتكلم فقيل آن . وفي الإشارة والنظائر : اصل آن اوان ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ثم حذفت احدى الالفين الساكتين « انتهى امير » .
- 53 — قوله : المقدار ، وهو قار . والزمن ، أي وهو ليس بقار . « انتهى امير » .
- 54 — قوله : وها هنا أمور ، ها هنا خبر مقدم . أمور ، مبتدأ مؤخر . وقوله : منهما ، إشارة الى أن المؤلف لم يذكرها كلها . وانما ذكر بعضها « انتهى تقرير » .
- 55 — قوله : خلافا للفلاسفة فانهم يقولون : ان الاجسام ، ليست مريئة . والمرئي انما هو العرض . « انتهى تقرير » .

- 56 — قوله : المحصل ، بصيغة اسم المفعول . هو اسم كتاب للامام الفخر الرازي « انتهى امير » .
- 57 — قوله : في التحيز ، على تقدير مضاف اي في حالة التحيز . يعني والمرئي في حالة التحيز انما هو الجسم ، وهذا الدليل ليس بقوي ، لان لهم ان يدعوا ويقولوا : المرئي في حالة التحيز ، انما هو العرض . والجسم محجوب بالعرض .
- 58 — قوله : والعرض لا يتحيز ، اي فلا يرى .
- 59 — قوله : وعليه الاكثر . الحاصل ان العلماء ، اختلفوا . فاکثر العلماء يقول : ان الاجسام لا تنفك عن العرض . وعليه ، فالما له لون البياض . وانما هو لشفافيته لا يحجب لون اناؤه . وكذلك بعض العلماء يقول : ان بعض الجسم ينفك ، وبعضه لا ينفك . وعلى هذا ، فلا يستدل على حدوث العالم بملازمته للاعراض . « انتهى تقرير » .
- 60 — قوله : ان العرض المراد بالعرض : ما يشمل الكيف والكم .
- 61 — قوله : كما هو معلوم ، فان قيل : يلزم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وهذا ممنوع . ويجب : بان المشبه والمشي به اختلفا ، بالاعتبار . فمن حيث ان المشبه صادر من المؤلف ، مخالف للمشي به ، من حيث انه معلوم من القواعد . « انتهى تقرير » .
- 62 — قوله : فتقيدهم ، اي في قولهم فيما تقدم : الكم عرض ، يقبل القسمة لذاته .
- 63 — قوله : والتفصي ، بالتاء والفاء ( كذا ) والصاد والياء . المراد به التخلص من الاشكال .
- 64 — على تقدير مضاف الى ان بياض الجوهر .. الخ . بدليل ما تقدم الكلام فيه وهو العرض .
- 65 — قوله : من غير توقف ، هذا مشكل ، كيف يقول من غير توقف على شيء ؟ مع انه متوقف على الكم ؟ الا ان يقال : ان الكم ، ثابت من اول الامر . « انتهى تقرير » .
- 66 — قوله : وهو تابع له ، اي والجسم التعلمي تابع له . اي الجسم الطبيعي ، وقوله : في ذلك ، اي القسمة . وقوله : واو كان شرطا ، اي ولو كان الجسم الطبيعي شرطا في تحقيق الجسم التعليمي . « انتهى تقرير » .
- 67 — قوله : ولا يخفى ، اي ولا يخفى عليك ان تبعية انقسام الجسم التعليمي للطبيعي ، انما هو عند الاصحاب اي اهل السنة ، بخلافه يرههم . « انتهى تقرير » .
- 68 — قوله : ومرادهم : عائد على الاصحاب وان كان يومهم عوده على ما قبله « انتهى تقرير » .
- 69 — قوله : بان يفرض ، هذا تصوير للوهمية فالوهمية معنى ، الفرضية . اي باعتبار الوهم ، وجنثذ فنرجع للوهمية والا فيبينهما فرق . وحاصله كما ذكره الشنواني ، في حاشيته على عبد السلام : ان له هو حكم العقل ، الذي لا يتوقف على غيره ، بخلاف حكم الواهمة ، فانه يتوقف على ادراك المحكوم عليه ، وهو اساس الفرض ، الذي هو التقدير الناشئ من العقل .
- 70 — قوله : هويتين : تشبة هوية ، وهي الذات والحقيقة . والذي ضبطته من افواه المشايخ : انه بضم الهاء والواو . ورايته في بعض الهوامش بضم الهاء وكسر السواو .
- 71 — قوله : ويمنعون فيقولون انها امور اعتبارية . « انتهى تقرير » .
- 72 — الواو حالية . اي والحال .
- 73 — قوله اللسان ، اي اللغة .
- 74 — قوله : مقارنة ، كما اذا قلت ، آتيك طلوع الشمس . فالانسان مجهول ، والطلوع معلوم ، فالزمن مقارنة الاثيان للطلوع . « انتهى تقرير » .
- 75 — قوله : نفس الفلك : المراد بالفلك ، العرش . ولكن هذا مشكل ، لانهم لا يمنعون انقسام الزمن الى درجة والى ساعة ، فيلزم على قولهم بان الزمن نفس الفلك ، انقسام الفلك الى درجة والى ساعة ، وهذا لا يعقله عاقل . فلعل صاحب هذا القول يرجع الى الحركة « انتهى » .
- 76 — قوله : المعدل ، المراد بالمعدل : شيء في وسط الفلك ، يستوي عنده الليل والنهار .
- 77 — قوله : سبال ، اي يوجد شيئا بعد شيء .

- 78 — قوله : والوحدة ، المأخوذة مما سيأتي أن الوحدة صفة الواحد فكأنه جرى عليه المشكلة . وعلى كل ، فالصواب حسنه الوحدة . .
- 79 — قوله : نهاية الواحد ، أي نهاية الشيء الواحد ، اعترض بأن واجب الوجود متصف بالوحدة وهو منزّه عن النهاية . فتفسير المؤلف الوحدة بالنهاية مشكل . ولعله نظر لمشكلة تعريف النقطة بالنهاية .
- 80 — لكن ، استدراك على كون الوحدة أعم . ورأيت في بعض الهوامش : أنه استدراك على قوله : والنقطة أخص . وهو الأقرب بدليل ما بعده والمآل واحد . « انتهى » .
- 81 — قوله : سعد العقائد ، أي شارحها . والكمال هو ابن أبي شريف ، محشي شرح السعد عليها .
- 82 — قوله ، قضية مهملة ، أي في قوة الجزئية القائلة : قد تكون النقطة نهاية الخط وقد لا تكون نهاية الخط كالمركز . فظهر منه : أن نهاية أحد سطحي المخروط المستدير وهو السطح المبدي من القاعدة المنتهي إلى نقطة هي نقطة بلا خط ، كمركز الدائرة .
- 83 — قوله : المخروطي ، نسبة للمخروط . وهو شكل يحيط به سطحان أحدهما قاعدته . والآخر مبتديء منه ويضيق إلى أن ينتهي بنقطة هي رأسه . فإن كان
-  السطحان مستديرين سمي صنوبريا ومستديرا وصورته هكذا
- والا سمي مضلعا لتلك الخطوط المستقيمة الخارجة عن قاعدته من المركز المنتهية إلى ذلك الخط متساوية . وصورتها هكذا  والنقطة التي في وسط تلك الدائرة يقال لها مركز (X) انتهى . وسرى في عصرنا الهرم ( حقي )
- 84 — قوله : فليسا من المقولات ، أي لانهما لو كانتا من المقولات لكانتا جنسين . والجنس لا بد وأن يكون له فصل يميزه ، فجاء التركيب ، مع « أي » الفرض بساطتهما « انتهى تقرير » .
- 85 — قوله : التهذيب ، أي الذي هو متن السعد .
- 86 — قوله : أو من الأمور ، أي فليست من الاعراض .
- 87 — قوله : كما هو القول الصحيح ، التمييز يحتمل رجوعه لكون النقطة والوحدة امرا اعتباريا . ويحتمل رجوعه للأمور الاعتبارية « انتهى تقرير » .
- 88 — قوله : كالوجوب ، أي فانه واجب . ومقتضى الحكم عليه بالوجوب في قولنا انه واجب أن يكون له وجوب . وهكذا فيتسلسل ولا ضرر فيه . لانه امر اعتباري أي ليس نمة الا ذات متصفة بالوجوب .
- 89 — قوله : والامكان ، أن أريد به الامكان الذاتي ، فاتصاف الممكن به واجب . إذ لو كان جائزا ، لكان اتصاف موصوفه بالوجوب أو الاستحالة ، وهو محال . وحينئذ ، فنرجع للوجوب الاول . وأن أريد به الامكان الوقوعي ، المفسر بحصول الممكن بعد عدم ، واتصافه به ممكن ، صح أنه مقال للوجوب الاول . ويتمين حمل الوجوب عليه ، دفعا للتكرار . « انتهى تقرير » .
- 90 — قوله : والبقاء ، فيه أن البقاء صفة سلبية . والجواب أن السلب والاعتبار واحد . « انتهى تقرير » .
- 91 — القاضي : عياض . والامام : الرازي .
- 92 — قوله : ولم ينقسم ، أي كالجوهر الفرد « انتهى امير » .
- 93 — قوله : الواحد الشيء ، يلزم من تعريف الواحد بالشيء ، الذي لا ينقسم ... تعريف الوحدة بكونها : كون الشيء . . « انتهى تقرير » .
- 94 — قوله : القاصد ، اسم كتاب لسعد الدين التفتازاني . « انتهى امير » .
- 95 — قوله : طردا ، راجع لتعريف الوحدة . قوله : وعكسا : راجع لتعريف الكثرة . فهو لف ونشر مرتب . . « انتهى تقرير » .
- 96 — قوله : بالاتصال ، هذا قسم . وقوله : بالاجتماع وبالارتباط وبالتركيب هذا قسم آخر . .

- 97 — قوله : كالمقدار : أي فان المقدار كالعמוד مثلا ، ينقسم الى امور ، أي اجزاء متشابهة ، في الاسم . وهي الحجرية ، وفي الحد وهو كونه جسما ليس بجسمين .
- 98 — قوله : المنفطر ، ضبطه شيخنا الشيخ فتح الله ، بضم الميم وسكون النون بعدها وفتح الفاء بعد النون . وهو كتابة عند الشيء الواحد . « انتهى امير » .
- 99 — قوله : نحو زيد ، تقدم ان المؤلف : جعله مثالا للوحدة الحقيقية . فهذا مشكل ، فلعله ناظر لكلام الامام ، في جعله الوحدة ما لا ينقسم أصلا . فلذلك ، جعله مثالا للوحدة الإضافية .
- 100 — قوله : والثالث : وهو الوحدة الذاتية بالجنس . أي افراد الانسان والفرس ، بالنظر لكل فرد على حدة .
- 101 — قوله : والرابع : أي الوحدة بالنوع .
- 102 — قوله : بالانسانية ، أي بالنظر لمجموع الحيوانية والناطقية .
- 103 — قوله : والخامس ، أي الوحدة بالفصل .
- 104 — قوله : بالناطقية ، أي وتقطع النظر عن الحيوانية .
- 105 — قوله : كالكاتب .. ألخ أي كمفهوم الكاتب وهو ذات تثبت بها الكتابة . وذات تثبت لها الضحك .
- 106 — قوله : واحد في الانسان ، مبني على ان النوع ، خارج عن الماهية . وهو أحد أقوال ثلاثة . وقيل : داخل فيها . وقيل : لا . « انتهى تقرير » .
- 107 — قوله : جعل المقدار ، .. كما سبق في امثلة النوع الاول .
- 108 — قوله : مشكل : لا اشكال . لانها وحدة اضافية .



## مقولة الكيف

وهو كما قال العلامة الثانى (1) : عرض لا يتوقف تعقله على تعقل الغير ، ولا يقتضى القسمة ، واللاقسمة فى محله اقتضاء أوليا (2) . فخرج الجوهر ، وباقى الاعراض النسبية ، كما لا يخفى . والنقطة والوحدة ، بناء على القولين (3) ، لا على أنها من مقولة الكيف . وقوله : كما قال اقتضاء أوليا ، مدخل فى الحد ، ومخرج . يعنى من النفس ، لما يقتضيهما لكن اقتضاء ثانويا . كالعلم من مقولة الكيف (4) ؟ فان اقتضاه للقسمة ، واللاقسمة ، ليس اقتضاء أوليا ؟ بالنظر الى ذاته ، بل ثانويا ، بالنظر الى متعلقه . لكن لا يخفى عليك — كما قال العلامة يس فى حواشيه — ان قوله فى محله (5) ، مغل فى ادخال ما ذكر كالعلم عما ذكر . أعنى قوله : اقتضاء أوليا . فان العلم لا يقتضيهما فى محله ، وان اقتضاهما فى متعلقه . لان متعلق العلم ، ليس محلا له . فانهم (6) .

وقد أورد العلامة شيخ الاسلام الهروى — حفيد السعد — أيضا . على التعريف : الكيفية المركبة ، كالمزوجة (7) . والنظرية كالعلم النظرى فى أن كلا منهما ، يتوقف تعقله على تعقل الغير ، كما لا يخفى . فلا يكون التعريف بما لا يتوقف ، جامعا . وأجاب : بأن المراد بالغير ، الواقع فى التعريف ، معناه عند المتكلمين . وهو المنفك . لا اللغويين ، وهو المخالف .

وحينئذ : يكون المعنى : الكيف عرض ، لا يتوقف تعقله على تعقل ما ينفك عنه . وان توقف على ما يخالفه ، ولا ينفك عنه . فيخرج الاضافات — كما تقدم — كالضرب ، من مقولة الفعل . فانه يتوقف على تعقل ما ينفك

عنه . وهو ذات الضارب (8) . وتدخل الكيفية المركبة ، فانها لا يتوقف تعقلها على تعقل-أمر ينفك عنهما . وان توقف على تعطل أمر مخالف ، لا ينفك . وهو مجموع ما تركبت منه ، كحلاوة الرمان ، وحموضته ، فان مجموعهما ، لا ينفك عن المزوجة . فهي موقوفة (9) على تعقل « غير » بمعنى غير موقوفة على تعقله بمعنى آخر ، بأن المراد بالمنفى ، في قوله : لا يتوقف تعقله ، لزوم التوقف . وحينئذ ، يصرف على العلم النظري ، أنه عرض لا يتوقف تعلقه على تعقل الغير . بل قد يكون كذلك (10) كما في حتنا . وقد لا يكون ، كما في حق الملك . وقد وضحته غاية التوضيح .

## فائدة

الكيفيات أربعة . ووجه الحصر : أن الهيئة المرسومة ، اما أن تكون مختصة بالمقدار ، أولا (11) .

الاول (12) : ككيفيات الكميات (13) . كالزوجية والفردية (14) والاستقامة والانحناء والطول والعرض (15) والنقطة على أنها من الكيف (16) ... من هذا القبيل . الا أن يمنع الحصر (17) .

والثاني (18) : اما أن يتعلق به الادراكات أولا .

الاول (19) : المحسوسات وهي اما راسخة كحلاوة العسل وحرارة النار أو غير راسخة ، سريعة الزوال (20) وتسمى انفعالية ، لانفعالات موضوعاتها بها ، كحمرة الخجل ، وصفرة الوجل . وبطيئة كملوحة الماء .

والثاني (وهو ما لا يتعلق به الادراكات) اما ان يوجب كمالات أولا .

الاول الملكات كمالات العلم والكتابة ، وليست عبارة عن احضار ما ذكر ، بل عن الاقتدار عليه بلا كلفة . والفرق بينهما ( أى الملكات ) وبين الاحوال ، بالعرض لا بالذات . كما ظن (21) فان قويت عسرة الزوال ، فملكات ، وان وهت سهولة الزوال ، فأحوال .

والثاني ، أى الذى لا يوجب كمالات ، المعدات (22) ، وهى ما يوجب استعدادا سريع الانفعال ، ويسمى (23) بلا قوة ، كاللين الموجب للانقسام بسهولة . والتعبير عن هذا (24) ، بسلب مقابله ، لكونه ليس له اسم ، محصل له ، لا يوجب أنه عدمى ، كما ظن (25) . بل هو أمر وجودى ، كما هو ظاهر .

- 1 — العلامة الثاني ، المراد به : السعد . والعلامة الاول ، هو القطب الشيرازي .
- 2 — قوله : اقتضاء اوليا ، مقول لقوله . وقوله « كما قال » معترض بين القول ومقوله . والضمير فى « قوله » عائد الى العلامة الثاني ، الذى هو السعد . « انتهى تقرير » .
- 3 — اي انهما أمر اعتباري او نوع مستقل .
- 4 — اي على الصحيح .
- 5 — قوله : فى محله ، اي قوله اقتضاء اوليا .
- 6 — قوله : فافهم ، ملخصه : ان العلم ، من مقولة الكيف ، لانه لا يقتضى القسمة واللاقسمة ، لا اقتضاء اوليا ، ولا ثانويا ، من حيث محله .. وهو الذهن . وكذلك من حيث متعلقه ، بقطع النظر عن الكم ، واما بالنظر له ، فانما يقتضى القسمة اقتضاء ثانويا لا اوليا . وهو على كل حال ، من مقولة الكيف . « انتهى تقرير » .
- 7 — قوله : كالزوزة ، هو طعم بين الحلاوة والحموضة .
- 8 — قوله : ذات الضارب ، اي والمضروب ففيه اكتفاء على حد سراييل تقبلكم .. الخ .
- 9 — قوله : فهي موقوفة ، اي المزوزة موقوفة على تعقل غير مفسر بمعنى . وهو المخائف غير المنفك .
- 10 — وقوله : موقوفة : بالرفع ، معطوف على موقوفة وهو خبر ثان لهما . اي ان المزوزة ، غير موقوفة على تعقل الفير المفسر بمعنى آخر ، غير المعنى الاول ، وهو المنفك .. الخ . « انتهى تقرير » .
- 11 — قوله : كذلك : اي لا يتوقف تعقله على تعقل الفير . وقوله : وقد لا يكون ، اي لا يتوقف .
- 12 — قوله : بالمقدار ، المراد به ، الكم ولو منفصلا . « انتهى تقرير » .
- 13 — قوله : الاول ، اي المختصة .
- 14 — اي المقادير .
- 15 — قوله : والفردية ، يجعل الواحد مقدارا ، فهو خارج عن الموضوع .
- 16 — قوله : والطول ، وهو اطول الامتدادات ، او ما فرضته اولاً ولو قصيرا على الخلاف المتقدم . « انتهى تقرير » .
- 17 — قوله : على أنها من الكيف ، فيه ان النقطة ، لا مقدار لها ، الا ان يلاحظ ما انتهى بها « تقرير » .
- 18 — استدراك على كون النقطة ، من كفيات الكميات ، التى هي المقادير . فهو راجع للنقطة ( انتهى تقرير ) .
- 19 — قوله : والثاني : اي وهو الذى لا يختص بالمقدار « انتهى تقرير » .
- 20 — قوله : الاول ، اي الذى تتعلق به الإدراكات .
- 21 — قوله : سريعة الزوال ، تفسير لقوله : غير راسخة .
- 22 — قوله : كما ظن ، راجع للمنفى ، وهو كونها بالذات .
- 23 — قوله : المعدات ، جمع معدة على صيغة اسم الفاعل .
- 24 — اي ذلك المعد .
- 25 — اي ما يوجب استعدادا سريع الانفعال .
- 26 — اي فيما تقدم .

## مقولة الإضافة

وتسمى النسبة المتكررة (1) . وهى لا تعقل ، الا بالقياس الى نسبة أخرى ، لا تعقل ، الا بالنسبة اليها . أقول : وهو دور معنى (2) لا سبقي ، فلا اشكال . سواء أكانتا متفقتين كالأخوة (3) ، أو مختلفتين : كالأبوة ، والعمومة ، والامومة ، والزيادة ، فان الأخوة ، لا تعقل الا بنسبة أخرى ، وهى الأخوة . والأبوة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهى البنوة . وكذلك الامومة ، والعمومة ، لا تعقل ، الا بنسبة أخرى ، وهى : ولديه الاخ والزيادة ، لا تعقل ، الا بأخرى ، وهى النقص ، فكل اضافة ، نسبة ، ولا عكس (4) . فان النسبة ، ان كانت موقوفة فى تعلقها على شىء آخر ، لا يلزم أن يكون ذلك الشىء نسبة ، ولا موقوفا عليها ، كما نبه على ذلك على ، والعلامة البخارى . نوع تنبيه فى حواشيه (5) . وحينئذ ، تكون النسبة عندهم : بالمعنى الاخص ، عرضا موجودا ، هو هذه المقولة . وأما بالمعنى الاعم ، فتارة تكون كذلك عرضا موجودا ، كما فى باقى المقولات الآتية ، فان جميعها نسب . وتارة لا ، كما فى النسبة العدمية . ونحن نقول : النسبة مطلقا أمر اعتبارى (6) ليس عرضا موجودا ، كما تقدم . وقد رد عليهم : بأنهم يصفونه — تعالى — بما هو اضافة كالمالك (7) ، مع امتناعهم — قبحهم الله — عن وصفه — تعالى — بما هو وجودى ، فكيف يجعلون الاضافة أمرا وجوديا ؟ الا أن يقولوا (8) : الوجودين : ذوا الاضافة .

## فائدتان

الاولى : الكليات (9) ، من مقولة الاضافة . مثلا : الجنس (10) ، نسبة لا تعقل ، الا بأخرى . وهو النوع . ويأتى تحقيق ذلك .

**الثانية :** قال القطب ابن التلمساني ، وقد تعرض (11) الاضافة للمقولات كلها : كالأبوة ، والبنوة ، للجوهر . والصفر والكبر ، للكم المفصل والاحرية والابردية . والاقربية والابعدية ، للاضافة . أعنى : القرب والبعد . ولا يقال : كيف يعرض الشيء لنفسه ؟ كما لا يخفى ، والعلو والسفل ، للأين (12) . والاقدمية والاحديثية ، للمتى . والاسدية ، انحناء وانتصابا (13) للوضع . والاكسوية والاعروية ، للملك . والاقطعية (14) ، للفعل . والاشدية تقطعا ومنحنى ، للانفعال (15) .

- 1 — قوله : النسبة المتكررة ، أي النسبة التي حصل بها التكرار . ولا تعقل ، الا بالقياس اليها ، أي النسبة الأولى . وقوله : المتكررة ، لما ان كلا من الاضافتين مكررة بالنسبة للآخرى .
- 2 — قوله : دور معي لا سبقي ، المنوع ، الدور السبقي . وهو ما اقتضى سبق أحد الامرين على نفسه . ككون زيد أوجد عمرا . وعمرو أوجد زيدا . لا الدور المعى ، وهي الصدق بوجودهما معا : كالأبوة والبنوة .
- 3 — قوله : كالأخوة ، هي الاتفاق في جهتي النسب أو احدهما . وهذا ، يقتضى أن المقارنة من الاضافة . فالفعل بالمعنى المصدرى ، وعد الفعل مقولة ، مقابلة الاضافة ، انما هو على مذهبهم في الفعل . لا عندنا ، من أن فعل العبد مجرد مقارنة . هذا هو الظاهر . وان التزمت : أن المقارنة والاجتماع والأخوة ، نسبة واحدة ، تقدم بشيئين ، خرجت عن الاضافة . لكن يبقى النظر في انهما من أي المقولات حينئذ ؟
- 4 — قوله : فكل اضافة نسبة ولا عكس ، تفريع على تعريف الاضافة المتقدم . هكذا قيل . وفيه : انه لا يظهر ، الا بالنظر للشق الاول ، من شقي التفريع . ولا يظهر بالنظر للثاني ( وهو قوله ولا عكس ) لان تعريف النسبة ، لم يتقدم في كلامه رأسا . ويجاب : بأن تعريفها ، معلوم عندهم . ووجه اعمية النسبة ، انها لاتعقل ، الا بين نسبة ، وشيء آخر أعم من أن يكون كذلك . بخلاف الاضافة ، فانها لا تكون ، الا بين نسبتي . « انتهى تقرير » .
- 5 — أي حواشيه على المحلى .
- 6 — أي ولا نقول بوجود شيئين من هذه المقولات ، بحيث يصح ان لا يرى ، الا الجوهر والكيف ، كالبياض ، والباقي ثابتة فقط .
- 7 — أي مالكيته للأشياء .
- 8 — أي يوافقون على أن الوجودين ذوي الاضافة .
- 9 — الكليات ، أي صفاتها كالجنسية .
- 10 — قوله : الجنس ، أي جنسية الجنس . فهو على حذف مضاف ، وانما قدرنا المضاف ليصح الاخبار بقوله : نسبة . وقوله ، لا تعقل الا بأخرى . أي الا بتعقل نسبة أخرى . وقوله : وهو النوع ، أي نوعية النوع . « انتهى تقرير » .
- 11 — قوله : وقد تعرض ، هذا ظاهر ، على أن الاضافة ، أمر اعتباري ، كما هو مذهبنا . أما على مذهبهم ، انها موجودة . فالعرض الوجودي ، لا يقوم بالعرض . لان العرض ، لا قيام له بنفسه ، حتى يقوم بغيره ، فهل يتم هذا ؟ تأمل .
- 12 — ذلك على التوسع . والا فالوصوف بهما — في الحقيقة — انما هو المكان ، لا الأين الذي هو الحصول . كما سيأتي .
- 13 — قوله : انتصابا وانحناء . كل منهما تمييز للاسدية .
- 14 — قوله : والا قطعية ، وهي تأثير الشيء في غيره ، ما دام مؤثرا فيه .
- 15 — وهو كون الشيء متأثرا عن غيره ما دام متأثرا . « انتهى تقرير » .

# مقولة الأين

وهو حصول الجسم في المكان . وسمى « أين » لوقوعه جوابا لآين .  
كذا ، ويسمى « الكون » أيضا . وقد ذهب المتكلمون : الى أنه أمر وجوبى .  
وألزمهم الغزالي باعترافهم ، بأنه من النسب — كما تقدم — وأجاب الفهرى  
باحتمال أن الوجودى ، ذو النسبة . والاكوان أربعة :

**حركة :** وهى كون أول (1) ، في حيز ثان .

**وسكون :** وهو كون ثان ، في حيز أول . أقول : هذا يقتضى أن الكون  
الأول ، في الحيز الاول ، واسطة (2) بين الحركة والسكون . نعم . ان قبلى :  
الكون ، ان كان حصولا أو لا ، فحيز ثان ، فحركة ، والا فسكون . فلا  
واسطة . وارجع الى المطولات .

**اجتماع وافتراق (3) ، وهو ظاهر .**

- 1 — قوله : كون أول ، ما ذكره الشيخ في تعريف الحركة والسكون ، انما يتأتى على القول ببساطتهما واما على القول : بأنهما مركبان ، فتعرف الحركة بأنهما كونان في مكانين ، في زمانين ، والسكون ، بأنه كونان ، في زمانين ، في مكان واحد ( بتصرف من ص ) .
- 2 — قوله : واسطة ، اي يقتضى ان يكون الثانى ، في الحيز الثانى ، واسطة . بل هو فيه أول ، للكون الاول .
- 3 — قوله : اجتماع وافتراق ، كونه ادخلهما فى الأين . لان الاجتماع ، حلول في مكان مع اتصال . والافتراق مع الانفصال . هذا ، والنظر ان الاجتماع نفس الاتصال . والافتراق الانفصال ، فهما من الانفعال ، لا الأين . تأمل .

# مقولة المتى

سمى بذلك ، لوقوعه جوابا « لمتى » وهو كما في ابن التلمسانى ، حصول الشيء في الزمان أو في الآن (2) . والفرق — عندهم — أن الزمان ، يقبل التجزئة . والآن ، لا يقبلها . وليس بمقدار . ونسبته للزمان ، كنسبة النقطة للخط . وينقسم الى « متى » حقيقي ، وهو كون الشيء في زمان يطابقه ، ولا يزيد عليه : كالخسوف في ساعة كذا . والى مجازى : كالخسوف يوم كذا . وهما في « الأين » أيضا .

- 1 — قوله : مقولة المتى ، اعلم ان لفظة « متى » تصلح لمطلق زمان ، بخلاف ايان فانها خاصة بالاستقبال .
- 2 — قوله : حصول الشيء .. الخ . عبارة ابن قاسم . او الهيئة التابعة للحصول في الزمان ، او طرفه . وهو الآن ، كالحروف الالية الحاصلة دفعة ، مثل الباء والطاء . وينقسم المتى — كالآين — الى حقيقي كالיום في الحصول . والى غير حقيقي كالاسبوع والشهر والسنة لما وقع في بعض اجزائها . فانه يجوز ان يجاب بها للسؤال بمتى . الا ان المتى في الزمان الحقيقي ، يجوز ان يشترك فيه كثيرون . بخلاف المكان في الآين الحقيقي .



## مقولة الوضع

وهو هيئة حاصلة من نسبة أجزاء الجسم ، بعضها الى بعض . ومن نسبتها الى أمر خارجي عنها ، بأن تخلق تلك الاجزاء ، بتلك النسبة ، في الموازاة والانحراف والقرب والبعد ، بالقياس الى جهات محوية ، وذلك كالقيام ، انما كان القيام وضعاً ، لانه هيئة . اعتبر فيها نسبة أجزاء الجسم بعضها الى بعض بالطبع ، كالجلد بعض . ونسبة مجموع تلك الاجزاء الى أمور خارجية عنها ، ككون رأسه من فوق ، ورجليه من أسفل . الانسان ، واما بغيره : كالعمود والتربع والاستلقاء والاستقرار وكون الشخص راکماً أو ساجداً . وظاهر كلام ابن سينا والامام والاستاذ (1) ، أنه يشترط في الوضع ، نسبتان . كما تقدم .. وأقول (2) : لا مانع من تحققه بنسبة واحدة . ويمكن أن يقال : المحقق بالنسبة الواحدة ، بعض الهيئة . فلا يكون وضعاً . لانه الهيئة كلها . فاننا لو اکتفينا بالنسبة الاولى مثلاً ، لكان انعكاس القامة ، يبقى قياماً . وهو باطل (3) .

## فائدة

يطلق الوضع — أيضاً — بالاشتراك ، على ما يعرض للكم المتصل ، من أجزاء (4) منفصلة ، يشار الى كل واحد منها بأين (5) هو من الآخر ؟ وهذا قريب من الوضع ، الذي هو المقولة . والفرق بينهما ، هو : أنه ليس لكمية أجزائها المفروضة ، جهات مستقلة ، لما أنها أعراض عندهم . وأمور اعتبارية عندنا — كما تقدم — وعلى ما يكون (6) في جهة معينة ، بحيث

يمكن أن يشار إليه اشارة حسية . سواء أكانت له أجزاء بالفعل : كالأول ،  
أو بالقوة كالثاني . أولا ولا (7) : كالجوهر الفرد . والنقطة على ما لبعض (8)  
فللوضع معان ثلاثة ، غير تعيين اللفظ ، للدلالة على معين بنفسه ، وغيره .  
بل على شيء ( أى كما هو الفرق )

- 1 — الإمام أي الفخر الرازي . والاستاذ هو أبو اسحق الاسفراييني .
- 2 — قوله : وأقول : في هذا القول نظر فانه لا يحكم على جزئياته فوق أجزاء ،  
الا اذا اعتبر نسبتها للمحيط ضرورة . وكذا غيره فالنسبة للخارج لا ينفك « امير » .  
فيه نظر . بل يكون وضعا نقط وهو صحيح .
- 3 — قوله : من ، للتعليل ، أي من أجل .
- 4 — أي ، فيقال : أين كذا من عام كذا ؟ فيقال : قريب او بعيد .
- 5 — قوله : وعنى ما يكون : أي وهو من مقول الأين .
- 6 — قوله : لا ولا ، أنه ليس له جزء حقيقي ولا مجازي كالجوهر « امير » .
- 7 — قوله : على ما لبعض ، كما هو عند علماء الوضع .
- 8 —

# مقولة الملك

وهي هيئة حاصلة للشيء بالنسبة لما يحيط به . وينتقل بانتقاله ، فهو أعم من الوضع من وجه . فبينه وبين الوضع ، عموم (1) وجهي ، كما لا يخفى . وذلك : كالتعمم (2) والتقمص والتختم والتسلح ( ابن التلمساني ) ، ولا بد في هذه المقولة من حصول شرطين :

الاول : الاحاطة ، اما بالطبع ، كجلد الانسان ، واما بغيره . اما بكل الشيء : كحال الهرة عند اربابها ، وهو ذاتي . أو ببعضه ، كحال الانسان عند تختمه ، وحال الفرس عند الجامها واسراجها ، وهو عرضي .

والثاني (3) : أن ينتقل بانتقاله ، كالمثلة السابقة . أما اذا وجد أحدهما دون الآخر ، فلا يكون ملكا . فوضع القميص على رأسه ، وان (4) كان ينتقل ، لا يكون ملكا ، لعدم الاحاطة . والحلول في الخيمة وان كان (4) كان مشتملا على الاحاطة ، لا يكون كذلك ، لعدم الانتقال . وقد يعبرون عن هذا الجنس : بالجددة والوحدة ، لكونه الراجع الى القدرة ، كما في قوله تعالى : اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم .

- 1 — قوله : عموم وجهي ، أي فينفرد الوضع في القيام والملك في التقمص ، إذ ليس القميص جزءا ، تأمل ، ويجتمعان في الانسان ، بالنسبة لجلده .
- 2 — قوله : كالتعمم ، أي كآثره . لان كلا من التعمم والتقمص ، فعل الفاعل فلا يصح ان يكونا من مقولة الملك .
- 3 — قوله : والثاني : حاصله : ان الاقسام ثلاثة :  
الاول : ان توجد الاحاطة بالشيء والانتقال بانتقاله ، كما تقدم من الامثلة ، وهي كالتعمم .  
والثاني : ان يوجد الانتقال دون الاحاطة كوضع القميص على الرأس .  
والثالث : ان توجد الاحاطة دون الانتقال ، كالحلول في الخيمة ، « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 4 — الرواو للحال .

## مقولة لفعل

وهى تأثير الشئ، فى غيره ما دام مؤثرا . فالتسخين ، فعل ، لكونه تأثيرا (1) مع المسخن . والسخونة (2) كيف ، لكونها لا كذلك . وأقول :  
وكان القيد والنفى ، لا احترازى . لان التأثير ، لا يكون ، الا بدوام المؤثر .  
فليتأمل .

- 
- 1 — أى لله تعالى حال كونه مصاحبا لوجود المسخن « تقرير شيخنا فتح الله » .  
2 — قوله : والسخونة كيف ، أى لانها سخونة . هذا ، والاقترب اخذا مما يأتى :  
اعتبار الانفعال ، وهو التسخن ، قبل الكيف . « امير » .

# مقولة الانفعال

وهي تأثر الشيء عن غيره ، ما دام يتأثر (1) . فتأثر الشمع ولبنه ، انفعال ، ما دام يتأثر للطابع ، ويلين . وبعد ذلك ، كيف . قال شيخ الإسلام ، في شرح نقطة الزركشي : فان «يفعل وينفعل» (2) ، انما يقالان (أى يطلقان) على التأثير والتأثر (3) ، ما داما . فاذا انقضيا ، يقال لهما : الفعل والانفعال ( ويقال للناسئ منهما كيف ) . فتأمل في : هل العلم (4) من مقولة الكيف ؟ أو من مقولة الفعل ؟ أو من مقولة الاضافة ؟ أو من مقولة الانفعال (5) ؟ . وراجع تفصيل ذلك ، وثمرته : في حواشي العلامة يحيى ( الشناوى ) على أم البراهين . وراجع أيضا : أحكام العرض ، في المطولات الكلامية .

- 1 — قوله : وهو تأثر الشيء ، أي وهو المؤثر فيه . وقوله : عن غيره وهو المؤثر . وقوله : ما دام ، أي ذلك الشيء المؤثر فيه ، يتأثر ، أي يقبل التأثير . ( انتهى تقرير شيخنا فتح الله ) .
  - 2 — قوله : فان يفعل ، وعليه فيكون من مقولة الفعل ، وقوله : وان ينفعل وعليه فيكون من مقولة الانفعال .
  - 3 — قوله : على التأثير ، راجع ليفعل . وقوله ، والتأثر ، راجع لينفعل . فهو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .
  - 4 — قوله : هل العلم ؟ . ذكر السيد الجرجاني ، في حاشيته على المطول . وغيره : ان العلم ، يطلق على معان ثلاثة : يطلق على الملكات ، وعلى الادراكات ، وعلى القواعد والضوابط . لكن اطلاقه على الادراكات ، حقيقة لفوية ، وعلى الملكات والقواعد ، مجازي لفوي . ثم صار حقيقة عرفية ( انتهى ، العلامة امير )
  - 5 — قوله : هل العلم من مقولة الكيف ؟ وعليه ، فيفسر بحصول صورة الشيء في الذهن .
- وقوله : أو من مقولة الفعل ؟ وعليه ، فيفسر بالادراك .  
 وقوله : أو من مقولة الاضافة ؟ وعليه ، فيفسر بالعالية ، فانها لا تتمقل ، الا بالنسبة للمعلومية ، كما علم في تعريف الاضافة .  
 وقوله : أو من مقولة الانفعال ؟ وعليه ، فيفسر بتأثير النفس وانفعالها بالصور المدركة « انتهى تقرير شيخنا فتح الله » .



ذهب أقوال : الى أن الجنس العالى ، واحد . وهو من مقولة الوجود عندهم . ورد بأن الجنس يجب أن يقال على ما تحته ، بالتواطى . خلافا لتوهم القاصر ، من تقسيم المناطق ، الى : متواطى ، ومشكك . أنه عام فى كل كلى من الكليات : الجنس ، والفصل ، والوجود ، مقول بالتشكك . فلا يكون جنسا ، ولا مقولة ، لان المقولات — عندهم — هى الاجناس ، ولا تكون ، الا موجودة . وبأن الجنس ، جزء الماهية ، يمتنع فهمها دونه . والوجود ، تفهم الماهية دونه . فلا يكون جنسا . وذهب أقوال ، الى أنه مقولتان : الجوهر والعرض . وأقول : الى أنه (1) : أربع مقولات : الجوهر والكم والكيف والنسبة . جعلوها جنسا للنسب السبع . فما عدا الجوهر والكم والكيف ، وهو السبع مقولات ، مقولة واحدة عندهم ، وهى النسبة . ووجهوا ذلك : بأن مفهوم النسبة ، الذى هو التوقف على تعقل الغير . لو رفع عن واحد من السبع كالآين ، وهو الحصول فى المكان ، ما بقيت حقيقته . وهو شأن الكلى الذاتى . ولا يخفى : أنها قدر مشترك ، بين تلك السبع المختلفة الماهية ، يصلح أن يقال فى جواب السؤال عنها (2) بحسب الشركة ، فتكون جنسا (3) لها . وها هنا ترديد (4) . وهو أن النسبة اذا كانت جنسا ، يلزم أن يكون كل نسبة تحتها ، مركبة من جنس وفضل (5) . وذلك محال . لان كل مركب ، فلكل جزء منه ، نسبة الى الآخر . فتلك النسبة ، ان كانت مركبة ، كانت بين أجزائها حد مشترك ، نسبة أخرى . فان لم تنته الى نسبة بسيطة ، يلزم أن يكون المركب مركبا من أجزاء غير متناهية . وان انتهت الى نسبة بسيطة ، يلزم أن تكون تلك النسبة البسيطة

داخلية تحت مطلق النسبة ، وغير داخلية تحت الجنس ، لبساطتها . فالنسبة ، لا تكون جنسا للنسب عن السبع . وكل ما دخل تحت يتميز بالفصل ، فهو مركب . ويجاب باختيار الشق الاول . ولا نسلم اللزوم ؟ أعنى : أنه يلزم أن يكون المركب .. الخ .. وانما يلزم ذلك ، أن لو كانت النسبة ، التى بين الاجزاء ، داخلية فى المركب ، وليس غايته ، لزوم تحقق نسبة ، لا نهاية لها . وذلك ، جائز . اذا الواحد ، نصف ، وثلاث وربع ... وهكذا من غير نهاية . فحاصله : أن الممنوع والمركب مما لا يتناهى لا مجرد وجود ما لا يتناهى ، فلا تركب منه .. الخ .. بتصريف أقول فيه : تأمل من جهة ، أن ما دخل فى الوجود ، معناه فى الحادث فقط ، على الراجع . والكلام فيه . ويمكن أن يقال : القاعدة فى الوجوب ، بالتحقيق ، لا بالاعتبار . فيجوز فى ذلك . وعدم النهاية فى النسب ، من قبيل الثانى . كما فى النظير . أعنى الواحد نصف ... الخ فيكون جائزا . وفيه ما فيه من جهة أن المرعى ، أن النسبة جنس للنسب السبع . والجنس موجود بالتحقيق ، لا بالاعتبار . كما لا يخفى على ذوى الابصار . أو يقال : ذلك الجواب ، مبنى على ما لغير الاصحاب ، من جواز دخول ما لا يتناهى فى الوجود . وذهب من ينسب الى التحصيل منهم ، كأريسطو : الى أن الاجناس العالية ، عشرة . وهى المقولات ، كالمقالات (6) فى الجنس العالى ، أربعة . وفى المقام ، أمور وفوائد .

أما الامور ، فمنها (7) : أن هذه المقولات كيف تكون أجناسا عالية ؟ مع كون كل مقولة منها ، ماهية مركبة : من جنس أعم منها ، وفصل مميز لها ، عما يشاركها فى ذلك الجنس ؟ وجوابه : أن القوم صرحوا : بأن الاجناس العالية ، تعريفها : انها هو بالرسوم الناقصة ، لانه لا يتصور لها جنس كيف . وهى العالية . ولا فصل آخر . لان تركب الماهية من أمرين متساويين ، غير محقق ، بل هو احتمالى (8) .



ومنها : كيف يكون الجوهر جنسا عاليا للجوهر ؟ لفهمه دونه ؟ كما تقدم ،  
في الوجود . بل هو عرض عام له .

ومنها : جعلهم (9) الجوهر ، جنسا عاليا ، دون قسميه ، الذى هو  
العرض ما وجهه ؟ قلت : — كما مر — أعنى أن العرض ، لو كان جنسا ،  
لتوقف ما تحته عليه . واللازم باطل . بخلاف الجوهر . فان ما تحته ، متوقف  
عليه .

ومنها : أنهم ردوا جنسية الوجود ، بالتشكيك (10) الذى من أسبابه  
التقدم والتأخر . فيقال مثله في الجوهر ، لتقدم الجواهر بعضها على بعض ،  
بل في كل كلى . ويرتفع التواطى . وجوابه : أن الاختلاف الموجب للتشكيك ،  
لا بد وأن يكون واقعا في نفس المفهوم الكلى . فالوجود لكون (11) ما ذكر  
من التقدم والتأخر ، واقعا فيه ، من قبيل المشكك ، بخلاف الجواهر ، مثلا .  
فان تقدم بعضها على بعض ، وتأخره ، ليس واقعا فيها . بل في وجوداتها .  
وكذا يقال في (12) الانسان : اختلاف أفراده بالتقدم والبيان مثلا . لا يفيد  
كونه كليا متواطيا . لكون ما ذكر ، خارجا عن مفهوم الانسان . والحاصل :  
أن التشكيك ، معناه الاختلاف ، في نفس المفهوم المشكك . فافهم .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنسا عاليا تحته ، لكان امتياز ما تحته من  
الاقوال ، بعض عن بعض ، بالفصول الذاتيات . فحينئذ ، يكون كل نوع  
منها : مركبا من الجوهرية ، ومما يتميز به عن غيره من الانواع ، فتكون  
كلها مركبة (13) . وقد زعمتم : أن بعضها بسيط . وجوابه : أن كون الجوهر  
جنسا لما تحته ، لا تقتضى أن جميع ما تحته مركب منه ، ومن الفصول  
« كما زعمت » بل بعض ما تحته كذلك . وبعضه — وهو البسيط — يتميز  
بنوعه وشخصه ، فيكون منفصلا عن المركب (14) . قيل : وهذا الجواب  
اقناعى (15) .

ومنها : أن الجوهر ، لو كان جنسا للجواهر ، لكانت فصولها أيضا جوهرية . لان فصل الماهية ، من مقولة جنسها . لانها لا تتركب من أمرين متنافيين ، كهذا لجنسها . فليزِم أن يكون للفصول فصول آخر ، تميز — وهي جوهرية — لما مر وهكذا ... وبتسلسل ، فيلزم تركيب الجواهر ، من أمور غير متناهية ، ومثل هذا ، يجرى في كل مقولة . مثلا : الكيف ، لو كان جنسا للكيفيات ، لكان فصوله أيضا من الكيفيات ولما مر . واذا كان لها فصول من الكيف ، كان الكيف جنسا لتلك . فيكون لتلك الفصول ، فصول أيضا ، من الكيف . ويتسلسل . وجوابه : تسليم أنها جوهرية ، ومنع كون الجوهر جنسا لها ، لقاعدة أن الجنس ، خارج عن ماهية الفصول ، غايته : أن الناطق ، شيء ذو نطق . وكونه جوهرًا أو جسما ، وصف له خارج عنه . فلا يلزم من كونه جوهرًا ، كونه جنسا له ، حتى يلزم النهاية ، في ذات المركب الجوهر . سلمنا : أن الجوهر ، جنس للفصول . لكن لا نسلم لزوم الفصول لها . لان الفصول ، انما تكون للانواع ، لا للفصول . لانها غنية من تمييزها ، عما يشاركها في ذلك الجنس ، الذي هو الجوهرية ، من جهة أن جوهر الماهية ، الذي هو الفصل ، هو جوهرها ، الذي هو الجنس المتميز ، بالفصل عما يشاركه في الجوهرية والتغاير بينهما اعتباري (16) . واذا كان نفس الجنس الذي تميز ، فلا يحتاج الى التميز أيضا . فصح لو كان غيره ذاتا ووجودا ، لاحتاج مثلا الجوهر ، الذي هو الحساس أو الناطق ، هو بعينه الجوهر ، الذي هو الجسم ، أو الجوهر ، الذي هو الحيوان . لكنه باعتبار (17) حصول الحس ، أو الناطقية ، صار حساسا (18) أو ناطقا (19) . انتهى .

أقول : وحاصل الجواب الاول ، منع كون الفصول أجناسها جواهر . « وتسليم التسلسل (20) ، بناء على أن منعه في الجواهر المركبة ، لا مطلقا . خصوصا ان كان اعتباريا جدلا » .

والثاني : بالعكس . قلت : وفيه أنهم صرحوا بأن الفصل ، لابد وأن ينتهى الى فصل بسيط ، كما فى العلامة السنوسى ، وغيره . فهذا صريح فى التعدد . وابطال لقوله . لان الفصول ، انما تكون للانواع لا للفصول . ويمكن أن ما هنا طريقة . وان صرح بأن الناطق جوهر ، ذو نطق . ويمكن أنه رسم . وأن قوله شىء ذو نطق ، مقتضاه أن الشىء جنس . مع أنه تقدم ، أنه عرض عام . ويمكن أن يكون رسماً ومثالا . وقد فهم من المقام : أنه لا يلزم من كون الشىء من مقولة ، أن يكون جنسا له . فليتأمل .

والبحر ، رد منها : أن الامكان والوجود والوحدة والنقطة ، أمور زائدة ، على المقولات المتقدمة . فلا يكون الجنس محصورا فى المقولات العشرة (21) وجوابه : أن الاولين (22) ، ليسا بأجناس عالية ، لاندراجهما تحت مطلق النسب . وأما الاخيران فعلى أنهما كيف ، فظاهر . وعلى أنهما عديان ، لا يكونان من المقولات . وعلى أنهما نوع بسيط ، فكذلك (23) . ويعرفان بالرسم . كما صرحوا به . فلا تنافى بين البساطة والتعريف . وحينئذ ، فيقال : لنا شىء موجود حادث ، لا يمكن تحديده .

ومنها : أن جعلهم الجوهر ، مقولا (24) بالمواطية ، ينافيه التصريح فى الحكمة : بأنه مقول بالتشكيك ، على الجواهر الجسمانية ، والمجردات (25) عندهم . وهو بها أولى . وجوابه : أن المتواطى (26) ، بالنسبة الى الاول ، لا ينافى التشكيك ، بالنسبة اليه ، والى الثانى . وليحقق المقام ، فانه من مزال الاقدام . اللهم ضراعة اليك ، بزين أنبيائك ، عليه أفضل الصلاة والسلام وعليهم . والاولى أن تردنى برداء مترك (27) الجميل . وأن تكلنى اليك . وأن تفرج ، يا نعم الحسيب ويا نعم الوكيل .

### وأما الفوائد :

فمنها : أن الفصل ، نسبة الى الجنس ، بالتقسيم والى النوع ، بالتقوية كما لا يخفى . والى الحصة ، قيل عند الشيخ (28) : بالعلنية . فهو علة فاعلية

لوجود الحصة . لانه لو لم يكن أحدهما (29) علة للآخر ، لاستغنى كل منهما عن الآخر . فلا يتحقق التلازم بينهما ، وهو لا يصح وإذا كان كذلك ، فلا يصح جعل (30) الجنس الحصة ، علة للفصل . والا ، لكان الجنس ، مستلزما للفصل ، من جهة ، أن الحصة على جعلها (31) علة : تكون سابقة . ولا تحقق لهما ، الا في طبيعة الجنس . فيكون الجنس علة أيضا (32) ، مستلزما للفصل . ورد بأن الفصل عنده (33) ، علة فاعلية ، تكون ناقصة فلا استلزام (34) لتوقفه (34) على المادية وغيرها . وذهب الامام (35) الى أن الفصل ، ليس علة للجنس ، يعنى الحصة (36) . وسد الخلاف (37) أن فصل النوع ، لا يكون جنسا له ، على الاول ، لما يلزم عليه : من كون المعلول عللة ، وبالعكس . ومن تقدم الشيء (38) على ما تقدم عليه . ويكون على الثانى . ومن ثم : زعم قوم : أن الناطق ، بالنسبة الى الحيوان ، فصل الانسان . والحيوان ، جنس . وبالنسبة للملك ، بالعكس . وأن الفصل الواحد ، لا يقارن جنسين ، في نوعين . والا ، لزم تخلف المعلول عن علته ، ضرورة (39) ، عدم حصة كل نوع ، في النوع الآخر ، مع تحقق الفصل ، الذى هو علتها ، في كل من النوعين ، بخلافها في نوع واحد . كالناطق مقارن للحيوان ، والجسم ، والجوهر في الانسان . وهذا ، على الاول . وأما الامام ، فذهب الى ما ذكر ، من الحكم والتفصيل أيضا . لكنه علل : بأن الحكم ، لكونه تمام المتميز ، لا يكون الا واحدا . هذا ويرد على الاول : أن التخلف والتوارد ، انما يمنعان في العلة التامة ، لا الناقصة . وما تقدم عن الشيخ ، من قبيل الثانى ، لا الاول . كما تقدم .

ومنها : أن الحد لابد من تركيبه من الجنس والفصل — عند الشيخ — كما في الاشارات ، فذهب أكثر شارحيه الى الإنكار . ونقضوه بالاجزاء غير المحمولة (40) ، كأجزاء العدد والبيت (41) . فانه يتم المحدود بذكرها . مع أن شيئا منها ليس مما ذكر . قال نصير الدين العلوسى ، مراد الشيخ ، ذكر

بعض الحدود ، لا كلها . والحق ، ما ذكره الشيخ ، بناء على أن ما ذكره ، من أن المركب الحقيقي ، لا بد من اندراجه تحت مقولة من المقولات العشر ، كما هو مذهب الاقدمية ، وكثير من المتأخرين . وحينئذ كل حد تام ، له جنس وفصل ، وجدت له أجزاء محمولة ، أم لا . فالحدد مثلا ، حده كم مركب من الآحاد . والبيت ، جسم مركب (42) من السقف والجدر في أصله . ان الحاد التام ، هل لا بد من تركيبه من الجنس والفصل ؟ أو تارة وتارة ؟ خلاف مبني على الخلاف ، في أنه : لا بد من اندراجه تحت مقولة . وفي صحة التعريف بالاجزاء . المحمولة (43) .

أقول : ومما ينبني على هذا ، صحة القول : بأن النطق ، فصل ، ان قلنا بالصحة . وبطلانه (44) ، أن يقال الناطق فصل . مثلا ، اذ قلنا بعد ما (45) ، فاحفظ .

ومنها : هل اختلاف المعروضات بالماهية ، يوجب اختلاف العوارض بالماهية أو لا ؟ خلاف عند الحكماء . بعض : نعم . وبعض : لا فالجنس العالي المنطقي ، الذي هو مفهوم المقول ، على كثيرين ، عارض للمقولات العشر ، كل يطلق عليه : الجنس العالي . وهو معروضات مختلفة بالماهية : فان قلنا بالاول ، كان مفهوم الجنس العالي العارض لمقولة الجوهر للجنس العالي . أعنى : العارض ، يكون جنسا مقولا ، على مختلفين بالماهية ، أعنى : الانواع العالية العارضة لكل مقولة . وان قلنا بالثاني ، كان هذا الجنس العالي العارض للجوهر ، مثل العارض (46) للكم . والعارض للكيف . وهلم جرا . وتكون متفقة بالحقيقة ، فيكون نوعا لها . وأيضا : حد أن الجوهر « مثلا » جنس طبيعي ، معروض لمفهوم المقول ، على كثيرين ، الذي هو الجنس المنطقي . وهذا العارض ، جنس له ، من حيث أنه عارض . وهل مطلق الجنس ، جنس طبيعي لهذا الجنس مثلا . أو نوع فيه ، ما عرفت ؟ وكونه جنسا أو نوعا ، من حيث مقوليته على الاجناس العارضة ،

لا ينافى أنه جنس منطقي ، بلا خلاف ، من حيث أنه عارض للمقولات ،  
 التي هي جنوس طبيعية . ولا يقال : اذا كان الجوهر مندرجا تحت الجنس  
 العالي ، كيف يكون عاليا ؟ لان كونه عاليا على الجنوس الطبيعية ، لا ينافى  
 أن فوقه جنس منطقي . فافهم . وينتقل أيضا (47) الى المقول على كثيرين ،  
 الى المقول على الشيء ، الى المضاف . فالمضاف (48) ، جنس الاجناس  
 لهذه الاربعة . ويجرى جميع ما ذكر ، في الجنس السافل والوسط والبسيط .  
 وفي غير الجنس ، من سائر الكليات ؟ ومنه يعلم : أن الكليات الخمس ، من  
 مقولة المضاف . وحينئذ يقال : اذا كان الجنس من مقولة المضاف ، كان  
 أخص . والمضاف أعم . كيف ؟ وهو مندرج تحت مطلق الجنس ، وأخص  
 منه ؟ هذا متناقض . وجوابه : أن يكون المضاف ، لا بشرط شيء أعم من  
 الجنس ، لا ينافى أنه : بشرط كونه مطلقا مضافا . أقول : وكان العموم  
 وجهي . وجهت وجهي اليك ، يامن أبدع الموجودات خلقا ، أن أكون من  
 الناطقين بالتوحيد لجناحك الاقدس حقا . وبالاقرار بالرسالة لزين أنبيائك .  
 وخاتمهم ( صلى الله عليه وسلم ) وكرم صدقا .

- 1 — أي الجنس العالي .
- 2 — أي بما .
- 3 — قوله : فتكون جنسا : أشار الى قياس من الشكل الاول . وتقريره ان تقول :  
 النسبة ، قدر مشترك ، بين أمور سبعة . يقال في جواب السؤال عنها بما .  
 وكل ما كان كذلك ، فهو جنس . يستنتج : أن النسبة جنس . « تقرير شيخنا  
 فتح الله » .
- 4 — قوله : وها هنا ترديد ، وحاصله اننا لو قلنا ان النسبة جنس ، مقول على  
 النسب السبع ، يازم أن تكون كل نسبة منها مندرجة تحتها .
- 5 — قوله : من جنس وفصل ، ضرورة اندراج كل نوع مشتمل على جنس وفصل  
 في جنس وذلك باطل ؛ لان كل مركب لكل جزء منه ، نسبة الى الآخر ، وتلك  
 النسبة ، ان كانت مركبة كذلك ، كانت بين اجزاها نسبة أخرى . . وهكذا فان انتهت  
 الى نسبة بسيطة ، لزم أن تكون تلك النسبة البسيطة داخلة ، تحت مطلق نسبة  
 المشتمل على المركبة . وغير داخلة تحت الجنس ، لكونها بسيطة . وحينئذ ، فلا  
 تكون النسبة جنسا للنسب السبع . وان لم تنته الى نسبة بسيطة ، لزم أن  
 يكون المركب مركبا ، من اجزاء غير متناهية .
- 6 — أي الاقوال .
- 7 — قوله : فمنها ، وهذا الامر ، وارد على القول الاخير ، الذي قاله أريسطو ونحوه .  
 « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 8 — وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 9 — قوله : ومنها جعلهم وارد على القول الاول من الاربعة « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 10 — قوله : ردوا جنسية الوجود ، وارد على الاقوال الاربعة « تقرير شيخنا فتح  
 الله » .

- وتقرير الاعتراض : انهم قاسوا الجوهر على الموجود ، في أن كلا منهما ، مقول بالتشكيك ، الذي من أسبابه التقدم والتأخر . وحينئذ ، فلا يكون جنسا عاليا « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 11 — قوله : لكون ما ذكر : علة مقدمة على معلولها . وهو قوله : من قبيل المشكك « تقرير » .
- 12 — قوله : وكذا يقال ، جواب عن قوله : بل في كل كلي الشامل للجوهر وغيره ، بخلاف الجواب الاول الذي ذكره بقوله : وجوابه .. الخ . فانه خاص بالجوهر « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 13 — قوله : فتكون أي الجواهر « تقرير شيخنا » .
- 14 — قوله منفصلا عن المركب : أي عن الأنواع المركبة من غير فصل ذاتي « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 15 — قوله : أفناعي ، أي لا قطعي . « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 16 — قوله : اعتباري ، أي هذا الجوهر الذي اندرج في الماهية من حيث شموله لسائر الجواهر . وعدم تقييده بما اندرج فيه ، يسمى جنسا عاليا ، ومن حيث تقييده بما اندرج فيه يسمى فصلا « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 17 — قوله : لكنه باعتبار ... أي ما ذكر من الجسم والحيوان .
- 18 — قوله : صار حساسا راجع للجسم .
- 19 — وقوله : أو ناطقا ، راجع للحيوان . فهو لف ونشر مرتب « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 20 — قوله : وتسليم التسلسل ، الاولى حذف هذه العبارة من قوله : « وتسليم ، الى جدلا » وذلك لانه لا يخلو اما أن يرجع قوله مطلقا الى المركبة وعليه فيقبل منع التسلسل في الجوهر المركبة والسيطة ، وليس كذلك بل التسلسل موجود قطعيا في المركبة ، واما أن يرجع الى المنع وعليه بتقيد . وحينئذ ، منع التسلسل ، اذا لم نقل بالمنع . وهو واضح البطلان « تقرير شيخنا فتح الله » .
- 21 — أي انتهى هي اجناس عالية . وانما قدرنا ذلك ، ليلاني السؤال قوله : فظاهر ، أي دخولهما في المقولات .
- 22 — قوله ، وجوابه .. الخ . أي فالمحصور ، انما هو الاجناس العالية « تقرير فتح الله » .
- 23 — قوله : فكذلك ، أي لا يكونان من المقولات « تقرير فتح الله » .
- 24 — قوله : مقولا : أي محمولا على افراده بالمواطاة . وحمل المواطاة هو حمل هو هو باختلاف الاشتقاق فانه حمل ذو هو « تقرير فتح الله » .
- 25 — قوله : والمجردات ، وهي الجواهر المجردة عن المادة والصورة كالمقول العشرة « تقرير فتح الله » .
- 26 — قوله : وجوابه ان المتواطى ، فهو متواطى ومشكك باعتبارين مختلفين فباعتبار انهما جواهر جسمانية ، متواطية ، وباعتبار انهما مجردة ، مشككة « تقرير فتح الله » .
- 27 — قوله : ستر ، بكسر السين بمعنى ( الساتر ) . وبفتحها ، مصدر ( ستر ) « تقرير فتح الله » .
- 28 — قوله : عند الشيخ ، أي ابن سينا ، فانه متى ذكر الشيخ في كتب الحكمة وأطلق يكون المراد منه ابن سينا « تقرير فتح الله » .
- 29 — قوله : أحدهما ، أي الفصل والحصاة . « تقرير فتح الله » .
- 30 — قوله : الحصاة ، يصح أن تكون بالجر بدلا من الجنس ، ويصح أن تكون بالنصب مفعولا لفعل محذوف أي أعني به الحصاة « تقرير فتح الله » .
- 31 — قوله : جعلها علة ، أي على جعل الحصاة علة للفصل ، سابقة عليه « تقرير فتح الله » .
- 32 — قوله : فيكون الجنس ، أي وهو باطل ضرورة وجود جنس بدون فصل « تقرير »
- 33 — أي الشيخ ابن سينا .
- 34 — قوله : فلا استلزام ، أي بين وجود الجنس والفصل « تقرير » .
- 35 — أي السرازي .



- 36 — قوله : يعني الحصة ، اي على فرض جعلها جنسا والا فالحصة اسم للافراد « تقرير فتح الله » .
- 37 — قوله : وسد الخلاف ، اي والذي يترتب عليه الخلاف ، وتظهر ثمرته فيه ، أن فصل النوع كناطق مثلا ، بالنسبة للانسان ، لا يصح أن يكون جنسا لجنسه ، الذي هو حيوان ، لما يلزم عليه من كون المعلول كناطق مثلا ، في حال جعله جنسا ، وبالعكس ، ضرورة كون الجنس علة في فصله ، ومن تقدم الشيء كناطق مثلا ، في حال جعله جنسا لحيوان ، على ما تقدم عليه ، الذي هو حيوان ، في حال جعله فصلا له .. وكلاهما باطل على الاول ، بخلافه على الثاني . واذا تأملت ذلك ، علمت أن في كلام الشيخ تقدير مضاف ، في قوله : لا يكون جنسا له اي لجنسه . كما يظهر من آخر كلامه .. أو اراد بالنوع الجنس .
- 38 — قوله : ومن تقدم الشيء ، معطوف على قوله : من كون المعلول وهو كلام الشيخ .
- 39 — قوله : ضرورة عدم حصة ، اي ضرورة عدم تحقق كل نوع في النوع الآخر فإن المراد بالحصة الافراد « تقرير » .
- 40 — قوله : غير المحمولة ، اي غير التي يصح عملها ، اي الاخبار عن المحدود .
- 41 — وقوله : كأجزاء العدد ، بأن تقول : العشرة مثلا مركبة من ستة واربعة او من خمسة وخمسة . ولا يصح حمل بعضها بأن تقول : العشرة ستة مثلا . وقوله : والبيت ، بأن تقول : البيت ما تركب من اشياء مخصوصة وهكذا « تقرير فتح الله » .
- 42 — قوله : والبيت جسم مركب ، انما اعتبر بجسم في تعريفه ، لكونه جنسا قريبا . والا فكان الاولى أن يبدله بجوهر لانه مقولة . « تقرير فتح الله » .
- 43 — قوله : الاجزاء المحمولة : الصواب أن يقول : غير المحمولة : لانها محل الخلاف كما يدل عليه أول كلامه « تقرير فتح الله » .
- 44 — قوله : وبطلانه ، الضمير فيه عائد على القول بأن النطق فصل . وقونه : وإن يقال ، معطوف على : ( وبطلانه ) .
- 45 — وقوله : وإن قلنا بعدمها ، راجع لـ ( وبطلانه ) ، وإن يقال ، « تقرير فتح الله » .
- 46 — قوله : مثل الاولى ، حذف مثل ، لانه هو لا غير « تقرير فتح الله » .
- 47 — قوله : وينتقل ، اي الجوهر ، « تقرير » .
- قوله : فالمضاف ، تفريق على الانتقالات الثلاثة « تقرير فتح الله » .

# المقصود الثاني

## في العقول

اعلم : أن العقل ، قيل : جنس ، تختلف أصنافه بالخواص . فعلى الاول ، يكون جنسا منفردا ، لكونه ليس فوقه جنس . وتحت أنواع حقيقية . وهو العقول المفارقة العشرة ، بناء على رأى الفلاسفة فى اثباتها ، واثبات الجواهر المجردات . أعنى : عن الجواهر الجسمية . وأن الجوهر ليس جنسا لما تحته ، لانه حينئذ ، مقول بالتشكيك على المجردات وغيرها . وشرط الجنس ، التواطى ، كما مر . وذلك أنهم يثبتون للعالم قسما ثالثا . غير جوهر ولا عرض ، سموه : بالجواهر الروحانية ، وبالمجردات . وجعلوا من ذلك : النفوس (2) والارواح والعقول . وحكى : أن الغزالي وبعض الصوفية ، ساعدوهم فى النفوس البشرية . وقد قيل به فى الملائكة أيضا . وأنها لا تتشكل ، ولا تعمم فراغا . والصحيح ، خلافه . وأنها تشكل وتعمم فراغا كالجن . وانظر الفرق بين التشكيلين ، فى شرح الاربعين النووية للشبرخيتى .

## نادرة

روى شيخ أسيافنا ، العلامة يحيى ، عن سعيد الجزائرى ، أنه قتل شعبانا ، فاذا هو جنى . فاخطفه جنى آخر قريبه ، وألقاه فى أودية الجن . فدخل بعد مدة ، أعنى فى محل ، فوجد شيخا كبير السن جدا وكأنه قاضى الجن شهوورش . فقص عليه الحال ، فقال له : اذا أقبل سلطان الجن ، فقف واطلب الشرع . فلما أقبل اليه الانسى ، وشكا من الجنى ، فأحضره السلطان ، وسأله عن موجب خطفه الانسى ؟ فقال : قتل أخى . فقال الانسى : انما قتلت شعبانا . فدعا السلطان بالشيخ الاول ، واستفتاه فيما

يلزم الانسى ، فقال — بعد أن رفع حاجبيه — الكبيرة رويت عن سعيد المقبرى ، عن ابن جلال ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصور على غير شكله ، فدمه هدر . وهذا سند غريب من وجهين (3) . تأملهما . فأمر السلطان برد الشيخ الانسى الى بلده بالمغرب . فوجد زوجته مهية بالدخول ، فمانع وأخذها . وافعل ما مر للفلاسفة : أنهم لما بنوا — أبعدهم الله — على قاعدتهم الفاسدة ، من أن الصانع تعالى — عن قولهم — موجب (4) لا مختار ، ولم يصفوه تعالى — عن قولهم — بشيء من الصفات . وردوا جميع ما يوصف به الى سلب واطافة ، لكونه موجب بالذات . وتبارك عن مقالتهم ، لانه لا يصدر عنه مباشرة ، الا واحدا ، وسموه عقلا ، أى جوهر روحانيا ، مجردا عن المادة ولواحقها . ثم هذا العقل ، مثلا آخر ، باعتبار كونه عقلا ونفسا ، باعتبار امكانه فى نفسه ، وصورة له باعتبار وجوبه . ثم العقل الثانى كذلك ، الى العقل العاشر ، المسمى بالفياض ، وهو العقل المنسوب الى فلك القمر . فتلك عشرة عقول ، وتسع نفوس ، وتسعة أفلاك . ثم حدثت العناصر ، أعنى : الماء والنار والهواء والتراب ، المختصة بالحيوان والنبات والمعادن . واختلطت كما فى العود الاخضر ، فى الماء والنار والدخان والتراب ، كما تظهر ان حرق . وتهيات لقبول الصور المختلفة فى عالم الكون والفساد ، الى آخر ما فى شرح الكبرى . وغيرها . ويفيض العقل على كل قابل ، ما يستحقه ، افاضة واحدة ، من حيث هى . والاختلاف واقع بحسب القبول ، هذا ، ضلال مبين — لعنهم الله — وها هنا أمور ، منها :

أن العناصر ، ما ذكر فيها ، هو المشهود . وقيل : خمسة ، بزيادة البخار . وهو ما يرتفع من الماء كالدخان .

ومنها : أن كون كل منها أصلا ، هو الاصح ، لاختلاف حقائقها . وقيل : أصلها النار ، لشدهتها ببساطة . وتحصل البواقي منها ، بالتكاثف . فهى نار

متكاثفة ، على أوجه متفاوتة . وقيل : الهواء لرطوبته ومطار عنه ، ومنه ، بالحرارة المطلقة ، بالتكاثف ، تحصل النار . وبالبرودة المكثفة ، يحصل الباقيان . وقيل : الماء لقبوله التخلخل بالحرارة .

ومنها : النار والهواء والتكاثف ، بالبرودة .

ومنها : الارض لشدتها كثافة . ويحصل الباقي ، بالتلطف المختلف . وقيل : البخار ، لتوسطه كثافة ولطافة . والتفرع ظاهر .

ومنها : أن منها خفيف ، وهو النار والهواء . وما عداه ثقيل . ووجه ذلك ، أن ما تحت فلك القمر ، مثاله . وهو الخفيف المطلق أولا ، وهو الخفيف بالنسبة للارض . والماء ، الثاني . وأما نحو المركز كذلك ، لمن ألقى سمعه .

ومنها : أن معنى الكون والفساد ، أن يخلع كل عنصر منها ، صورة عنصره الفساد ، ويلبس صورة عنصر آخر ، وهو الكون ، كالمالح ماء . والنار ترابا ، وهواء . وحينئذ ، فالانقلابات — على المشهور — اثنتا عشرة وعلى مقابلة ، عشرون ، فافهم جميعها ، من اللقطة . وشرحها بالتصريف والاختصار .

- 1 — قوله : في العقول ، جمع عقل وهو عندهم جوهر مجرد عن المادة والصورة . وحاصلة العقول عندهم ( يعني الفلاسفة ) عشرة . العقل الاول : نشأ عن ذات الله بطريق العلة . قائم بنفسه لا فلك له . ونشأ عنه الفلك الثاني ، وهو المسمى العرش ، عند اهل السنة ، وعقله المدبر له . ونشأ عن الثاني ، الفلك الثالث ، وهو المسمى الكرسي ، عند اهل السنة ، وعقله المدبر له كذلك . ونشأ عن الثالث ، الفلك الرابع ، وهو السماء السابعة ، وعقله المدبر له . وهكذا الى سماء الدنيا ، التي هي الفلك العاشر ، وعقله المدبر له ، ونشأ عنه العناصر الاربعة ، وهي : الماء والتراب ، والنار ، والهواء ، فامتزجت وتولدت عنها الحيوانات والمعادن والنباتات .
- 2 — قوله : وجعلوا من ذلك ، النفوس . اي فالنفس والعقل والروح — عندهم — : متحدة ذاتا ، وهي الجوهر المجرد عن المادة والصورة . مختلفة اعتبارا . فمن حيث تعلقها بتدبير الجسم ، فنفس . ومن حيث تعلقها بالقوام والحياة ، فروح . ومن حيث تعلقها بالمدرجات ، فعقل . « تقرير فتح الله » .
- 3 — قوله : من وجهين : وهما كون راويه واحدا . وكونه جنيا عن انسي ( فتح الله )
- 4 — قوله : موجب ، بصيغة اسم الفاعل ، وسموه موجبا ، لكونهم يقولون : انه علة في العالم « تقرير فتح الله » .



قسموا الجوهر ، الى بسيط ومركب . والاول ، اما جزء المركب أو لا . والجزء ، اما حال في غيره ، وهو الصورة . أو محل . وغيره ، اما مجرد عن المادة . وعلاقتها متنوعا الى ما هو منفصل عن الجسم ، وهو العقل . والى ما ليس كذلك ، وهو النفس . فان علاقته بالجسم للتدبير . أو غير مجرد . والثاني ، اما لا نفس له ، كالجماد . أو نام ، لا حس له ، كالنبات . أو له ، كالحيوان . أو غير تام ، كالملك ، قالوا : والجوهر ، جنس الاجناس ، لا اختلاف ، الا بالعرضيات وللمتكلمين معهم مؤاخذات .

أقول : وفي اللقطة : انه ينقسم الى روحانى ، وهو المجردات . وجسمانى ( بالكسر ) وهو غير المجردة عن المادة الجسمية .

والثاني ، ينقسم الى : بسيط ، وهو ما لا ينقسم الى أجزاء مختلفة العناصر كالماء . والى مركب ، وهو ضد كالحیوان . والبسيط ، اما لكونه ذا آثار في عالم الكون والفساد ، وهو الافلاك ، وما فيها . وهو العالم العلوى ( بالضم والكسر ) وهى شفافة لا لون لها . واما عنصرى ، وهو العالم السفلى .

والفرق بين السموات والافلاك أيضا : أن السموات — كلها — فوق الافلاك ( أى كلها ) وهى تحتها ، على التحقيق ، من أن السموات ، أطرافها على جبل قاف . وتأمله . مع أن المشهور ، من أن الشمس ، فى السماء الرابعة . والقمر ، فى سماء الدنيا . وأن الافلاك ، أجسام لطيفة . والسموات ، أجسام كثيفة . وأن الافلاك تسعة . والسموات سبعة . وأن الافلاك الكواكب ، والسموات موضع الملائكة . وأن الافلاك دائرة متحركة ، والسموات ثابتة .

# تمتت ان

الاولى : الكواكب على قسمين : سائرة ، وهى سبع : زحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة والشمس والقمر. والنظر تفاوتهما ، فى الحركة فى المبطولات . وممن ذكره : العلامة اليوسى فى حواشى الكبرى . ولكل واحد منهما فلك مختص به ، من الافلاك السبع . وثوابت ، بمعنى انها لا سرعة لها . والا ، فهى تتحرك من المغرب الى المشرق ، حركة بطيئة جدا ، تقطع فى كل اربع وسبعين سنة وشهر وسبعة وعشرين يوما ، درجة . وهذه الثوابت ، لا يعلمها الا الله — تعالى — وغاية ما وصل اليه اهل الميقات ، ألف واثنان وعشرون نجما ، عليها أعمال اهل الميقات ، من الماضى والباقي ، ونحو ذلك . وأما السيارة ، أى غير الشمس والقمر ، فلا تنضب . لكونها تارة ترجع القهقرى ، وتارة تسير معتدلة ، وتارة تخنس (1) فى غروبها . ولأجل ذلك ، لا يصلح أخذ عمل منها . واليها الاشارة بقوله — تعالى — : فلا أقسم بالخنس .. الآية . وجميع الثوابت فى ذلك ، واحد . وهو الثامن فوق السبعة . وأما التاسع ، فلا نجم فيه ، وهو أعظمها . وله فى كل يوم دورة ، من المشرق الى المغرب ، ويدور بدورانه كل ما يحويه . من فلك وكوكب .

## الثانية :

اختلف المتقدمون فى حركة الكوكب . فقليل : ان الجرم الفلكى ، ساكن . والحركة للكوكب ، خارقة له .

وقيل : ان الفلك ، متحرك . والكوكب كذلك ، على خلاف حركته .

وقيل : المتحرك ، انما هو الفلك الثالث ، عطارد . والزهرة . والقمر ،  
أصغر من الشمس . والثلاثة الاخر ، أعظم من الشمس . والشمس ، أعظم  
من الارض بأضعاف (2) . والقمر ، أصغر منها ، بدليل الخسوف . وأصغر  
كوكب من الثوابت ، أعظم من الارض . وجميع الكواكب ، نوره ذاتي ، الا  
القمر .

وكون النجوم في سماء الدنيا ، أو في غيرها وموضعها ، لم يرد شرعا .  
جعلنا الله - تعالى - من أهل منهاج الشرع ، وختم لنا بحسب  
الختام (3) . وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، شهادة  
عبد محتاج اليك يا الله .

( تمت بحمد الله وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم . آمين )

- 1 — قوله تخس ، أي تسكن في غروبها .
- 2 — قوله : بأضعاف ، قيل مئة وأربعون مرة . والقمر قيل اكبر منها بمئة وعشرين مرة « تقرير فتح الله » .
- 3 — الخاتمة - ونسأل الله حسنها - ذهب المبطلون الى ان السموات كروية ( نسبة الى الكرة ) محيطة بالكون كالبيضة ، ومنعوا الخرق والالتئام . فأحالوا الاسراء ( الاولى ان يقول المعراج .. تقرير .. بناء على أنها ، أعني السموات ، هي الافلاك . وقيل انها غيرها . ومقتضى كلام بعض الافاضل : ان الخلاف عام . لكن لا على منع الخرق والالتئام ، المرتب عليه ما ذكر . وانه صحيح كلا من القولين . وان الراجع ، ان السموات ، غير الافلاك . وهو كذلك لابد الملائم .



# الفاظ الحضارة

## لعمام 1971

الأستاذ محمود تيمور

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ولد محمود تيمور في القاهرة سنة 1894 م . والده العلامة احمد تيمور ، وعمته الشاعرة عائشة التيمورية ، واخوه الأديب المشهور محمد تيمور .  
كان للبيئة التي عاش فيها اثر واضح في صقل موهبته الأدبية منذ الصغر ، فقرأ في البداية ألف ليلة وليلة واقبل بشغف على قراءة المنفلوطي « الذي كانت نزعت الرومانية الحلوة تملك عليه مشاعره » ثم حديث عيسى بن هشام للمولحي ، وقصة زينب لهيكل ، كما ان نصيب الشعر لم يكن قليلا في مطالعته ، وكان شغفه بزعيم المدرسة النهجية جبران خليل جبران كبيرا جدا .  
ثم قرأ للمشهورين من كتاب القصة في العالم ، وكان لموباسان النصيب الأكبر من اهتمامه كما استأثر بنفسه تشيخوف وسومرت وغيرهما .  
وكان لاختيه محمد تيمور تأثير واضح عليه في مطلع حياته الأدبية خصوصا بعد عودته من فرنسا . بدأ ادب محمود تيمور « محليا » بتصوير النماذج العادية من البيئة ثم ما لبث ان خلق فعالج نماذج انسانية واكتسب رؤى جديدة .  
قام بعدة رحلات الى اوربا وامريكا فصقلت موهبته ووسعت نظره في فهم الحياة .

اربت مؤلفاته على الخمسين بين اقاويص ومسرحيات وابحاث وخواطر ورحلات . نال عدة جوائز ادبية وتقديرية ، كانت آخرها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة 1963 . كما اختير عضوا في مجامع لغوية داخل بلاده وخارجها .

منح موهبة قصصية رائعة ، واحساسا مرهفا في النظر للحياة ومشاكلها ، وقد وفق في تصوير نماذج ممتازة منها كان هدفه فيها الكشف عن الانسان بمعناه الشامل والتوجه به نحو عالم افضل .

اهتم به معاصروه من النقاد والأدباء وشهدوا له بالسبق في ميدان القصة وعلى رأسهم الدكتور طه حسين والرحوم الأستاذ فريد أبو حديد ، والمستشرق الروسي المرحوم اغناطيوس كراتشكوشكي ، والمستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس وغيرهم ، لقب بعميد القصة العربية المعاصرة .  
ترجمت له عدة قصص الى لغات شتى منها الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية واليوغسلافية والمجرية والايطالية والاسبانية وغيرها .  
ما زال حتى اليوم يغذي الادب العربي بفنه القصصي الجميل وبحوثه المختلفة الطريفة . الله في حياته .

اصطلحنا على أن اللفظ الحضاري هو اللفظ الذي يشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام ، لتسمية أسباب الحياة في البيت والسوق ، فهو قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب ، ذلك لأن طعام الجمهور في التعبير عن حياته وبيئته وعلاقاته بما حوله وبمن حوله يستمد عناصره من كل علم وفن ومعرفة .

وقد كان طبيعياً أن نرى الفاظ الحضارة في أغلبها خليطاً من العامي والدخيل ذلك لأن هناك لفتين: لغة خطاب ، ولغة كتابة ، ولأن الأمية ظلت ردحا من الدهر تضرب أطنابها في الأمة ، فلا عجب إذن في أن تكون الفرقة كبيرة واسعة بين لغة الخطاب ولغة الكتاب ، ولا عجب تبعاً لذلك في أن يكون العامي والدخيل كلاهما صاحب الصولة والجولة والسلطان في التعبير عن حياة الناس وأسباب معاشهم ونواحي معاملاتهم في كل ميدان .

كذلك كان الأمر ، وكذلك وقف حراس اللغة والمحافظون على سلامتها في حيرة ازاءه ، لا يدرون كيف السبيل إلى مواجهة ذلك التيار العارم من العامي والدخيل في التعبير الحضاري العام .

على أن المشكلة حلت نفسها ، في معظم جوانبها ، وجوهر حقيقتها فقد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه ، وتوافر وسائل التثقيف والتنوير ، وبانتعاش الوعي الجماهيري أيما انتعاش ، والقافلة تسير على هذه الطريق ، فالبيت أيا كان شأنه لا يخلو من مثقف ، والسوق أيا كان موضوعها لم يعد يعوزها المتعلمون ، يباشرون شؤونها ، في تجارة أو صناعة ، وفي بيع أو شراء ، وهكذا انكسرت القيود ، وأزيلت السدود ، وانفتح الطريق أمام لغة الكتابة لتتسرب في كل مكان ، وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان .

وان هذا التحول لفرصة أمام حراس اللغة والمحافظين على سلامتها ، لكي يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامي والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فإنهم إذا تظاهرت جهودهم في تلك السبيل ، أمكن لهم أن يحيلوا اللفظ الحضاري كلمة مكتوبة ، والكلمة المكتوبة تصافح العيون في الصحف والمجلات والكتب ، ثم هي تقرأ فتقرع الاسماع في المجالس والأندية والاذاعات ونتيجة ذلك أن يصبح اللفظ الحضاري طعاماً جماهيرياً يسوغ في الأفواه كما جرى على الأقلام .

والخطر الذي يجب التوقي منه هو أن يشيع التكاسل في مواجهة الألفاظ الحضارية عامة كانت أو دخيلة ، فإن الجمهور في تحوله الثقافي لن يجد في لغة الكتابة ما يستعيز به عما كان يجري على لسانه في عهود الأمية الطاغية .

ومعنى ذلك أن يستفيد في لغة الثقافة جديداً من التعبير بالفاظ الحضارة . فمن واجبتنا إذن أن نعمل ما وسعنا العمل على جعل الفاظ الحضارة أقرب ما تكون إلى الفصحى ، وأن نشجع كل عمل في هذه السبيل ، وأن نرحب بكل ثمرة تبدو لنا ، ما دامت تبغي إحلال الفصحى محل العامي والدخيل .

واني أقدم لكم في هذه الجلسة بعض الثمرات التي اقتطفتها من المحاولات الجادة للتعبير عن مسميات الحضارة ومعانيها بلفظ عربي مبين .

#### 1 ( ) الصاروخ القمري :

Lunar rocket (E.)  
Roquette lunaire (F.)

الجهاز الدافع لسفينة الفضاء القمرية ، ويوصف بأنه قمري تمييزاً له عن بقية الأجهزة الصاروخية المختلفة الأغراض .

#### 2 ( ) منصة الإطلاق :

Launch pad (E.)

القاعدة التي يوضع عليها الصاروخ القمري ، ومنها يبدأ انطلاقه .

#### 3 ( ) السفينة القمرية أو سفينة القمر :

Lunar space craft (E.)  
Vaisseau spatial lunaire (F.)

أحدى سفن الفضاء ، وهي خاصة بالانطلاق إلى القمر .

#### 4 ( ) مركبة الخدمات :

Service module (E.)  
Module de service (F.)

أحد أجزاء السفينة القمرية ، وله مهمة خاصة ، هي أداء المهمات اللازمة في رحلة تلك السفينة .

#### 5 ( ) مركبة القيادة أو المركبة الأم أو الهادية والجمع (الهوادي) :

Command Module or command vehicle (E.)  
Module de commandement (F.)

13 اقمار التجسس :  
Satellites espions (F.)

اقمار صناعية تزود بأجهزة للتصوير والتسمع ،  
وتوجه في انطلاقتها الى مناطق محددة لغراض  
التجسس عليها .

14 المنعة : ( الدشمة ) :  
شبه حائط يحتمي به الجنود في مواقع القتال .

15 دول المواجهة :  
Les pays de la ligne d'affrontement (F.)

هي الدول التي تواجه في الحرب عدوا مشتركا  
بحكم موقعها الجغرافي ، او موقعها من ناحية  
التخطيط الحربي ، اعني : الاستراتيجي .

16 الأوتوبوس المفصلي - الحافلة المفصليّة او  
السيارة العامة المفصليّة :  
Jointed bus, trailer-bus (E.)  
Autobus accordéon (F.)

سيارة واحدة بسعة سيارتين في منتصفها  
المفصل الذي يضم الجانبين .

17 جرار نصف مقطورة :  
Half trailed tractor (E.)

سيارة ذات جرار متعدد العجلات متصل بنصف  
مقطورة متعددة العجلات أيضا بحيث تستطيع  
هذه السيارة الجرارة ان تبلغ حمولتها اطنانا  
كثيرة .

18 الفن الحركي ( في التصوير ) :  
Kinematic art (E.)  
Kinetic art (E.)

المصطلح مأخوذ من كلمة Kinesis بمعنى  
الحركة ، ويدل على نوع من فن التصوير يتميز  
بالنشاط الحركي ، ويستخدم الجذب من  
الخامات كاللدائن والأخشاب الصناعية ونفايات  
المواد المضغوطة والكيماويات الغريبة مادة  
للتعبير .

19 التلوين التلقائي ( في النظارات ) :  
Colormatic (E.)

جزء السفينة المختص بالقيادة ، وقد رشحنا  
كلمة « الهادية » اسما لهذا الجزء ، تنظيرا بينه  
وبين الراحلة التي تتقدم الركب ، وتسمى :  
الهادية ، والجمع : الهادي .

6 مركبة القمر :  
Lunar excursion module (E.)  
Module lunaire (F.)

جزء السفينة القمرية الذي يترك - بعد هبوط  
السفينة - على سطح القمر .

7 تصحيح المسار :  
Correction de trajectoire (F.)

توجيه السفينة القمرية توجيها صحيحا في المسار  
المطلوب ، اذا أخطأته .

8 الغلاف الجوي :  
Les couches denses de l'atmosphère (F.)

الطبقة الغازية المحيطة بالارض او بأحد الكواكب  
الأخرى ، فلكل منها غلاف جوي متميز .

9 القنبلة المدارية :  
Orbital Bomb (E.)

قمر صناعي  
مزود برأس نووي  
(Artificial satellite)  
(nuclear warhead)

يعود ليخترق الغلاف الجوي ، ولا يستطيع  
صده ، ولسرعته المذهلة قل أن يدرك أمره قبل  
أن ينفذ مهمته .

10 حاجز الصوت :  
Le mur du son (F.)

يقال : كسرت الطائرة او اخترقت او جاوزت  
حاجز الصوت ، اذا هبط طيرانها الى مستوى  
جوي معين .

11 التشكيل الجوي :  
Formation aérienne (F.)

مسيرة مجموعة من الطائرات على نسق مخصوص

12 القنبلة الزمنية :  
Bombe à retardement (F.)

قنبلة مزودة بجهاز يحدد وقت انفجارها ، فاذا  
حضر الوقت المحدد انفجرت من تلقاء نفسها .

يمكن صنع عدسة تعني عن عمل نظارتين ، فهي تلون نفسها تلقائيا لتكون شمسية أو غير شمسية. والكلمة ذات مقطعين: الاول : (color) بمعنى اللون ، والآخر : (matic) بمعنى الحركي ، أو التلقائي .

## (20) اسطوانة طويلة المدى :

Long play record (E.)  
Disque microsillon (F.)

أو : قرص طويل المدى (في فن التسجيل الصوتي):  
نوع من الاسطوانات أو الاقراص اعد بحيث يستوعب تسجيلات طويلة في حيز قصير .

## (21) الثوب السابغ :

Maxi

أو: الثوب الكاسي (في مبتكرات الأزياء للسيدات):  
المصطلح مقتطع من كلمة (maximum) بمعنى الحد الأعلى ، ويراد به ثوب سابغ أو كامل يغطي ما تحت الركبة . وهو يقابل : (mini) بمعنى الحد الأدنى وقد سميناه : الثوب الحاسر .

## (22) موهير :

Mohaire (E.)  
Moiré - moir (F.)

## المخير ( في المنسوجات ) :

نسج من وبر معزاة انقرة الحريري الطويل . وقد سماه العرب : المخير ، ونقل الى الانجليزية باسم : (mohair) والى الفرنسية القديمة باسم : (mocayar) وقد ذكرت المعجمات الباحثة في اصول الكلمات ان كلمة (الموهير) أو (الموار) من اصل عربي ، هو : المخير .

## (23) التبريد : أو : التثليج :

Refrigeration (E.)  
Réfrigération (F.)

يطلق اللفظ على وضع الاطعمة أو نحوها في الثلاجة ، وهي في درجة تنزل تحت الصفر قليلا، أو تكون فوقه قليلا ، بحيث تبقى الاشياء باردة مثلوجة ، ولكن ماءها لا يستحيل ثلجا .

## (24) التجليد : أو : التجميد :

Freezing (E.)  
Congélation (F.)

يطلق اللفظ على وضع الاطعمة أو نحوها في الثلاجة ، وهي في درجة تنزل تحت الصفر المئوي بحيث يتحول كل ماء الى ثلج .

## (25) الموقد المسطح :

Réchaud au butane (F.)

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وليس فيه فرن ، ويوضع على منضدة .

## (26) موقد الفرن :

Kitchener or stove (E.)  
Cuisinière fourneau au butane

هو الموقد الذي يعمل بالغاز السائل ، وفيه فرن ، ومنه ما يشتمل على مكان للشواء .

## (27) بادئ الانارة : ستارتر :

Starter (E.)  
Commutateur (F.)

اداة تتخذ في المصابيح المشعة (لمبات الفلورسنت) لتشغيلها عند اضاءتها .

## (28) الهوينيون :

Les mitigés

تعبير أطلقه رئيس الحكومة المصرية في مجلس الأمة في منتصف ديسمبر سنة 1970 على طائفة الذين يؤثرون التريث والبطء والتدرج في تطوير النظم والأوضاع ، وقال ان الانقياد للهوينيين معناه وقف سرعة الزمن الذي فاقت فيه سرعة الطيران سرعة الصوت .

والكلمة وردت على لسان رئيس الحكومة بصيغة الجمع ، ومفردها الهويني نسبة الى الهويني بالالف المقصورة ، ومعناها : التمهل والاناة والرفق .

## (29) المبادرة أو المبادأة :

Initiative (E.), (F.)

استعملت لفظة « المبادرة » في الدلالة على معنى اللفظة الأجنبية ، ثم شاعت في الصحف وعلى السنة الزعماء والقادة عبارة :  
(Initiative de paix) (Peace initiative)  
وترجمت في العربية بعبارة « مبادرة السلام » ، فاستعملت لفظة « المبادرة » لا المبادرة ، واللفظتان متقاربتان في الدلالة على أية حال .

### (30) تعلم الحرف ( في مدارس التعليم العام ) : بريكـولاج :

Bricolage (F.)

نظام يقوم على ادخال تعليم الحرف المتنوعة في مدارس التعليم العام ، وقد اتبع هذا النظام لكي يكتسب المثقف العادي معرفة بالحرف تعينه في مجرى الحياة كاصلاح كهرباء المنزل ، او اجهزة السيارة ، مما لا غنية عنه .

### (31) الاشارات الضوئية التوافقية (في نظام المرور) : Signalisations électriques-coordonnées (F.)

تدبير الاشارات الضوئية ذات الموجة الخضراء ، بملاحظة الملاءمة بينها وبين سرعة المركبات على مد الطريق ، بحيث تنفتح تلك الاشارات للمركبات في سيرها على سرعة معينة نسبيا ، ويمكن التحكم في عمل هذه الاشارات من مركز واحد لعمليات المرور .

### (32) فرتيوز - الفائق البراعة او الصانع ( في الفنون الجميلة ) :

Virtuose (F.)  
Virtuoso (E.)

وصف لمن بلغ في الفن عامة ، والعزف الموسيقي خاصة ، منزلة اثبت بها براعة ذات تفوق وامتيار .

### (33) مطعم « اخدم نفسك » او مطعم الاختدام : Self-service (E.)

(وكذلك في المشارب والأسواق المركزية ونحوها) اتبعت في بعض المطاعم والمشارب والأسواق المركزية ونحوها طريقة « اخدم نفسك » حيث لا يعمل الزبون او العميل على من يخدمه من العمال ، وفي اللغة : اخدم الرجل خدم نفسه .

### (34) الشراية - الشراية او الشرافة او العذبة : Gland (F.) Tassel (E.)

حلية من نسيج على هيئة زوائد تتدلى من بعض الاشياء ، كالمسابيح وكالخراج ، ومنه المثل : هو مثل شراية الخرج ، اي ليس له كبير جدوى .

### (35) الشريط المتحرك :

Tapis roulant (F.)

جهاز على هيئة شريط تحركه قوة كهربية ، وعلى الشريط تحمل الاشياء والامتعة ، او يقف الناس ، فينتقل الشريط بما يحمل من مكان الى مكان ، والجهاز يستخدم في المطارات والاتفاق ونحوها .

### (36) الكتيم او الخنيس :

Cachottier (F.)

تطلق الكلمة على الرجل يخفي ما بنفسه في خبث ، وفي لفنا الدارجة : تقول في وصف مثل ذلك الرجل : الخنيس على وزن قديس ، وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة في « التاج » بمعنى المراوغ المحتال ، وفي اللغة : خنس الشيء عنك : ستره . ويمكن ان نقول ايضا : الكتيم على وزن عليم ، وهي من الصيغ المسموعة في مادة « كتم » .

### (37) الغزل او المتلطف او المتظرف او الدمث :

Galant (F.)  
Gallant (E.)

وصف للرجل الذي يحسن التودد والكياسة في معاملة النساء على وجه الخصوص وأهم مميزاته الرقة واللين وعذوبة الحديث .

### (38) التحجب او التلطف او التظرف او الدماثة او الملاطفة :

Galanterie (F.)  
Gallantry

الاتصاف بالكياسة والرقة في معاملة النساء ومحادثتهن على وجه الخصوص .

### (39) المناورة في الحرب والسياسة ( معربة ) :

Manœuvre (F.)  
Manœuvre (E.)

عما يتمتع به المرء من الزعماء والقادة من جاذبية شخصية تؤلف حوله القلوب ، وتجمع الأهواء .

(43) كاريكاتير - الرسم الساخر أو الرسم الهزلي  
أو الرسم الفكاهي :  
Caricature (F.), (E.)

اسلفنا لهذا اللفظ كلمة « الرسم الساخر » .  
ولكن السخرية لا تصلح وصفا لهذا الرسم اذا  
اتصل بشخصية لها مقامها أو موقف له جلاله .  
وربما كان وصف الرسم بأنه هازل أو فكاهي يدفع  
مثل ذلك الحرج في الاستعمال .

(44) الهويس - الحوز :  
Canal-lock (E.)  
Ecluse (F.)

اللفظ يدل على مكان يخصص على الأنهر أو الترعة  
ونحوها لحجز المراكب ريثما تنتقل من جهة مائية  
الى أخرى مرتفعة أو منخفضة بحسب مستوى  
الماء في كلتا الجهتين . وقد شاعت في لغة  
الناس كلمة : « الهويس » وليس لها أصل  
معروف ، وقد وضعت بعض المعجمات العصرية  
في مقابلها كلمة « الحوز » فهل « الهويس »  
العامة محرفة عن « الحوز » العربية ؟  
أما معنى الحوز في الفصحى فهو المكان  
المحدد المقامة عليه الحواجز . وهذا المعنى  
ينطبق على مدلول « الهويس » .

(45) العوامة - عوامة النجاة أو طوق النجاة :  
Bouée de sauvetage (F.)  
Buoy (E.)

عجلة من المطاط أو نحوه تتخذ في السفن لكي  
يستعين بها ركبها ، على النجاة عند خشيعة  
الغرق ، وتستعمل أيضا لتعليم السباحة أو  
لمارستها على الشواطئ .

جرى استعمال هذا اللفظ في معنى حقيقي  
يتصل بالحرب ، وهو تدريب تمثيلي لموقعه أو  
عمل حربي ، ثم استعمل اللفظ في السياسة  
لمعنى مجازي هو الخدعة والحيلة ، والظهور  
بما لا حقيقة وراءه في الاعمال والأقوال ، لغرض  
المخادعة . وقد ذكر المعجم الوسيط أن المناورة  
مولدة بمعنى المخادعة وبمعنى التدريب والتمثيل  
الجيشي ، والواضح أنها معربة لا مولدة .

(40) الصنج :  
Gong (F.), (E.)

قرص معدني يقرع تنبيهاً الى بدء العمل ، أو  
الدعوة الى الطعام .

(41) الأوبريت - المغناة أو الفنائية (في المسرحيات) :  
Operette (F.)  
Operetta (E.)

اسلفنا لكلمة ( الأوبريت ) مقابلاً عربياً هو :  
الفنائية ، أي المسرحية الفنية . وقد طاب  
لبعض الكتاب والمؤلفين استعمال كلمة (المغناة)  
بوزن اسم المفعول ، أي المسرحية التي تغنى .  
ونحن نؤثر أن تكون الكلمة ( المغناة ) على وزن  
( المفعلة ) لأنها تلائم في وزنها جملة من  
المصطلحات الفنية لأنواع الروايات المسرحية ،  
وهي المسلاة والمأساة والملهاة والمشجاة  
والمفزعة ، وقد أقر المجمع وزن المفعلة ، لما  
يكثر فيه الشيء .

(42) موهبة الجاذبية الشخصية :  
Charisma (F.), (E.)

اللفظ الأجنبي يرجع مدلوله الى معنى ديني ،  
فهو يدل على موهبة لدنية ، أي منحة يهبها روح  
القدس للشخص ، وقد استخدم اللفظ للاعراب

# آكلة اللحم

الأستاذ عبد الله شكون

عمر الخشاب ، وطبعة المطبعة العثمانية لصاحبها عثمان عبد الرزاق بمصر أيضا ، فاذا النص فيهما معا بدون يمين هكذا : « ليضربن أحدكم أخاه » .

ورجعت الى الفائق في غريب الحديث للزمخشري فاذا به يقول : « عمر رضي الله عنه : الله ليضربن أحدكم أخاه » بهمزة قطعية في اوله ليس غير ، والى مجمع بحار الانوار للشيخ ظاهر الهندي فوجدته ينقل عن النهاية والنص فيه كما هو فيها بدون يمين .

ثم رجعت الى لسان العرب فوجدت النص فيه كما جاء في المعجم الكبير بلفظ « والله ليضربن أحدكم أخاه » .

ورجعت الى التاج فوجدت النص فيه بلفظ « والله ليضربن أحدكم أخاه » بهمزة الاستفهام اوله .

وازاء هذا الاختلاف في نص الشاهد أخذت أبحث عن تخريجه ومطابق ذكره في ترجمة عمر لدى المؤرخين من ابن سعد وابن الاثير وابن كثير والمحب الطبري وسواهم . وفي كتب الحديث كمسند الامام أحمد وفي كتب الفقه الامهات على اختلاف المذاهب فلم أظفر به في أي مرجع من هذه المراجع بهذا اللفظ ... نعم وجدت معناه في كثير منها ، وأقرب لفظ له وقفت عليه ، وهو مما ذكر فيه تعبير « آكلة اللحم » ، ما جاء في المحلى لابن حزم من رواية أبي بكر بن أبي شيبة بسنده الى عمر قال : « يعمد أحدكم الى أخيه

ورد علينا من فضيلة الاستاذ الكبير عبد الله شكون بحث قيم حول (نص شاهد من كلام عمر) جاء فيه :

عرض علينا في العام الماضي قسم من المعجم الكبير الذي يضطلع به المجمع ، وكان مما فيه حرف الهمزة مع الكاف وما تثلثهما . وقد جاء في هذا الحرف ذكر آكلة اللحم بمعنى السكين والاستشهاد عليه بقول عمر بن الخطاب ( ض ) نقلا عن النهاية لابن الأثير : « والله ليضربن أحدكم أخاه بمثل آكلة اللحم ثم يرى اني لا أقيده ، والله لا قيده منه » . واذا كان محل الشاهد لا غبار عليه فاني قد استشكلت أول النص ، وهو هذا القسم من عمر ، بصيغة الحنث ، على أنهم يفعلون ذلك ويعتقدون أنه لا يواخذهم به ، فقلت كيف يخلف عمر على امرين كلاهما غيب ورهن بالمستقبل ، وذلك بصيغة الحنث التي لا يبرأ الحالف فيها حتى يفعل المحلوف عليه :

البر لا فعلت ان فعلت

لا فعلن ان لم افعل حنث

وهذا فيما يتعلق به هو فكيف بغيره ؟

وقد كنت أيدت هذه الملاحظة في إحدى جلسات المؤتمر السابق ولكنها لم تثبت في المحضر لأنها اعتبرت ملاحظة جانبية على هامش الموضوع .

واهتمت بالامر فراجعت المادة في نسختين من النهاية هما طبعة المطبعة الخيرية بمصر لصاحبها



فيضر به بمثل أكلة اللحم ، لا أوتي برجل فعل ذلك  
فقتل إلا أقدته به » (1) .

وعلى هذا لم يبق لي إلا النظر في الروايات التي  
بين يدي والترجيح بينها . وقد ظهر لي أن رواية  
اللسان فيها تصحيف ، وهذا التصحيف هو الذي  
يؤدي إلى المحذور الذي ذكرته من حلف عمر على ما لم  
يكن كأنه كان ومنافاته للعقل والمنطق ولما عرف به  
عمر من التقوى والتحرّج من الائم .

بقيت رواية الفائق ، « الله ليضربن » وهي صيغة  
قسم أيضا حذفت منه الواو وعوضت بقطع الهمزة من  
اسم الجلالة على ما في المفصل للزمخشري ، ولفظه  
نصب إذا لم تعتبر العوض ويجوز جره لقيام العوض  
مقام المعوض عنه ، قال في المشارق (2) . « وحكى  
أبو عبيد عن الكسائي :

كل يمين ليس فيها واو فهي نصب ، إلا في  
قولهم : والله لا تينك ، فانه خفض - يريد ولا حرف  
قسم - وذلك أن القسم عندهم فيه معنى الفعل ، أي  
أقسم واحلف بالله أو والله ، فإذا حذف حرف القسم  
عمل الفعل عمله فنصب مفعوله » .

(1) المحلى ، ج 10 ، ص 387 .

(2) ج 2 ، ص 353 ، ولينظر أيضا الجمل للزجاجي ط . الجزائر ، ص 84 .

والى هذا المعنى أشار ابن بونة في الاحمرار :

والله جره جوازا ان حذف  
فعل وخافض وعوض الف

او ها او احكمين بأنه قطع  
همزته ودونها جر سميع

وعلى كل فما يلزم على رواية اللسان يلزم على  
هذه الرواية وأرى أنها محرفة من الرواية الثالثة التي  
عند صاحب التاج .

ورواية صاحب التاج كما رأينا هي والله بهمزة  
الاستفهام ، وهذه الرواية يصح فيها الضم على حد  
حديث ضمام ( والله أمرك بهذا ) ، ويصح فيها الجر  
على ما في الجمل للزجاجي حيث قال في باب القسم  
وحروفه : « وربما جعلوا الف الاستفهام عوضا من  
الخافض فخفضوا بها فقالوا الله ليخرجن » ، وبكلا  
الوجهين فإن الاستفهام هنا منوي ومقصود حتى لو  
حذفت أداته ، لانه تقرير وانكار ، ولا يخرج نص  
الشاهد من التبعة التي ذكرناها ويجعله في تحلة من  
تلك اليمين الا هو ... فالرواية التي جاءت عليه هي  
الصحيحة اذن وغيرها محرف منه والله اعلم .



# أخطاء لغوية

الأستاذ عبدالحق فاخيل

عندما قرأت في العدد الفارط من « اللسان العربي » ( ج 3 ) المقال المعنون « قل ولا تقل » الذي يستعرض بعض الأخطاء اللغوية الشائعة ويدعو القراء إلى المساهمة في الموضوع شعرت بالأسف لعجزني عن جمع شتات القصاصات والجزازات ومختلف الأوراق التي كنت أدون فيها منذ سنوات عدة ما يعترضني أو يعن لي من تلك الأغلاط .

لكنني رأيت أن اعتمد على الذاكرة فأخذت أدون على الورقة ما يخطر لي من الأغلاط الشائعة فجعلت تنثال على ذهني ، حتى اجتمع لي منها على البديهة طائفة صالحة . ثم خطر لي أن أستعين بما أقرأ كل يوم في الصحف وأسمع كل يوم و ليلة في الإذاعات ، فإذا جمهرة كبيرة من الأغلاط اللغوية مما انحدر إلينا من الجيل الماضي وما ابتكره الجيل الحاضر - تحتشد أمامي في بضعة أيام . فبعد أن كنت اتقصى الأغلاط واتصيدها صرت لغزارتها أنخير منها ما يصلح أن يكون مثالا لغيره وأنبذ الباقي دفعا للطلالة والاسنام . والواقع أن الكثير من اللغويين قد كتبوا في شأن هذه الأغلاط حتى لا يكاد المرء يستطيع أن يأتي منها بجديد لم يسبق أن نه عليه سواه ، وحتى أصبحت الكتابة في الموضوع من المكرور المعاد ، ما يجعل أداء هذا الواجب أشبه بغرض الكفاية لا حرج على من أسقطه عن نفسه لكثرة من قاموا وما زالوا يقومون وسيظلون يقومون بأدائه . وما كنت لاتصدى له لولا أن لي موقف في الخاص من بعض هذه الأغلاط .

## الأخطاء السماعية

بحاجة إلى معلمين . وقد يكون المرء هو الذي لقن نفسه خطأ النطق حين يخطئ الاجتهاد في قراءة ما يعرض له في كتبنا وصحفنا هذه غير المشكولة ، من قبيل : مائة ، على أهبة الرحيل ، صبرة البرد ، حمارة القبط ، يشفى ، ارتج عليه ، مغمى عليه ...

ونكتشف الخطأ أحيانا بعد أمد متطاوّل فنتعلم وجه الصواب فيه لكن لساننا يسبقنا إلى النطق الخاطئ الذي اعتاده واستمره . والأغلب أننا عندما نكتشف الخطأ نستعجز الصواب ونستثقله ونتعجب منه ، ونرى أن الخطأ الذي الفناه وجرينا عليه هو السائغ المقبول ، ونظل على ذلك حتى يعتاد لساننا الصواب

واقصد بها الأخطاء التي لا نشعر بها حين نقرأها بل حين نسمعها ، لأن عدم شكل الكلمات - بحركات الفتح والضم والكسر والسكون - يجعل كلا من المصيب والمخطئ يقرأها على طريقته .

والظاهر أنه لا يمكن أن يسلم أحد في جيلنا من خطأ في نطق بعض الألفاظ ، لأنه ما من أحد قد تعلم كل الفاظه من المعجم . حتى المعاجم لا تخلو من خطأ لغوي أو مطبعي . وقد طفقت أنطق ( الظرف في الأنف ) بفتح راء الظرف زمنا طويلا لأنني كنت أيام الدرس قد قرأتها كذلك في إحدى طبعات « فقه اللغة » للشعالبي . والكثير بل الأكثر من الفاظنا الخاطئة قد لقننا إياها معلمو الابتدائيات والثانويات ، لأنهم كانوا أنفسهم

الجديد علينا ويألفه بعد أن يجري عليه أمدا . وفيما يلي نماذج من الأخطاء السماعية الرائجة .

### البخور :

ينطقونه بضم الباء والصواب فتحها . ومثل ذلك يقال في السفوف والنشوق أي ما يسف أو ينشق من دواء أو نحوه ، وكذلك الفطور والسحور . والسوريون ينطقون البخور في الدارجة بفتح الباء لكن بتشديد الخاء ، وهو خلاف النطق المعجمي أيضا .

### يعني بالشيء :

إذا نطقت ( يعني ) بصيغة المعلوماتية أي بفتح الياء وكسر النون كان المعني ( يقصد ) . أما إذا أريد الاعتناء والعناية فينتطق بصيغة المجهولية أي بضم الياء وفتح النون . فيقال : عني بالشيء ويعني به وهو معني به ( بتشديد ياء معني ) . ومأتى ذلك من قولك عناني أمره فأنا معني به .

### يشفى :

ينطقونها بفتح الياء والفاء بمعني يتعافى ، والصواب نطقها بصيغة المجهول أي بضم الياء وفتح الفاء . أما بصيغة المعلوم - أي بكسر الفاء - فيكون الفعل متعديا ، فيقال إن الدواء يشفي المريض .

### الجيل :

كثيرا ما أسمعها من بعض المذيعين بفتح الجيم ، والصواب كسره .

### حريق مهول :

بعض المذيعين ينطقون ( مهول ) على وزن ( محسن ) كأنه اسم فاعل لفعل ( أهول ) الذي لا وجود له في العربية . وما أكثر ما نقرأ ( الحريق المهول ) في الصحف السيارة كذلك ، ولا شك أن قراءها وكتابتها ينطقون الكلمة على وزن ( محسن ) أيضا .

والصواب : ( حريق هائل ) أي مخيف ، حيث يقال ( هالني الأمر ) فهو هائل ، ولا يقال ( أهالني ) أو ( أهولني ) .

وبعض عرب الشرق الأوسط يقولون كذلك ( حريق مهول ) لكنهم ينطقونها على وزن عذول ، بصيغة اسم المفعول ، وهو خطأ أيضا لأن ( المهول ) هو ( المخاف ) أي الذي هاله الحريق .

### مائة :

أي عشر عشرات . ينطقونها ( مائة ) وصوابها ( مئة ) . وسبب الخطأ في نطقها هو هذا الخطأ التقليدي في كتابتها .

### الخطبة :

بمعنى طلب الرجل الفتاة للزواج . يقرؤها الأكثرون بضم الخاء والصواب كسرها . أما الخطبة بالضم فتعني الخطابة أو الخطاب اللذين يفوه بهما الخطيب . و ( الخطابة ) أيضا ينطقونها بكسر الخاء ، والصواب فتحها .

### القمة :

ينطقونها بضم القاف والصواب كسره أيضا . لكن ( القلة ) بنفس المعنى هي التي ينطق قافها بالضم .

### المنطقة :

ينطقونها بفتح الميم ، وصوابها الكسر .

### المعرض :

ينطقونها بفتح الراء ، والصواب كسرها .

### يشع :

ينطقون هذا الفعل بالضم ، وصوابه الكسر .

### يصح :

ينطقونه بالضم ، وصوابه الكسر أيضا .

### ينطق :

ولنتناول فعل النطق هذا نفسه ، فالكثيرون ينطقونه بضم الطاء والصواب كسرها .

ان النسخة - بالفتح - تعني المرة الواحدة من فعل نسخ .

### حمارة وصبارة :

كنت انطقهما كما سمعتهما من بعض المعلمين وكما لا يزال ينطقها الكثيرون بضم أولهما مع تشديد الميم والباء . ثم اخذني العجب حين تعلمت أن الصواب نطقهما بفتح أولهما وتخفيف الميم والراء وتشديد الراء فيهما . وما زلت أرى أن هذا الصواب ثقیل على الطبع غريب الاشتقاق . ومنذ عرفت وجه الصواب في هاتين الكلمتين تخلصت منهما بترك استعمالهما ، لكنني مضطر الى نطقهما كما يريد المعجم حين اصادفهما في قراءاتي .

### نجوا :

سمعت المذيع أمس يقول ( الذين نجوا من الفرق ) بضم جيم ( نجوا ) والصواب فتحه . ومثل ذلك : جروا وجفوا وراوا وبكوا ومشوا وقضوا وأتوا .. وكل ما كان ماضيه على وزن سما وعلا ورمى ومضى . لكن صيغة المضارع هي التي تنطق بالضم : ينجون ويجنون ويمشون ...

### بقوا :

هذه ينطقونها على العكس بفتح القاف والصواب ضمه ، ومثل ذلك : رضوا وخشوا وفنوا .. وكل ما كان ماضيه على وزن رضي وخفي وغشي وبلبي .. ويكون مضارعها هو المفتوح (على عكس الحالة السابقة) : يبقون ، يخشون ، يرضون ، يحيون .

ولدينا فعل ذو حدين في هذا الباب هو فعل : هوى يهوى . فإذا كان الماضي ( هوى ) بمعنى وقع فهو على وزن رمى ويقال عندئذ انهم هؤوا يهؤون على وزن رموا يرمون ، وإذا كان ( هوى ) على وزن رضي بمعنى عشق فيقال انهم هؤوا يهؤون على وزن رضوا يرضون .

لكن هذه القاعدة المتعكسة مربكة للمبتدئين كال كثير غيرها من القواعد ، والاعتماد على التعليم والحفظ فيها لا يجدي ، وانما الاعتماد عند الذين يحسنون نطق هذه الأفعال وأمثالها ، على السليقة ، فما منا أحد يفكر في ماضي نجوا وبقوا حين ينطقهما .

### معجب بنفسه :

ينطقونها بكسر جيم ( معجب ) والصواب فتحه . اما الشيء المعجب ، بالكسر ، فهو الذي يعجبك . هو المعجب ( بالكسر ) وانت المعجب به ( بالفتح ) . ومثل ذلك أولع به فهو مولع ، وأغرم به فهو مغمرم ، وفتن به فهو مفتون .. فكلها بصيغة المجهولية .

### افرخ روعه :

يقرونها بفتح راء ( روعه ) والصواب ضمها . واشهد أن الخطأ هنا أقرب الى المنطق ، ولا سيما أن الروع - بالضم - ومعناه سواد القلب أو موضع الفزع منه - لم يعد يستعمله أحد ، فهو كلمة أشبه بالماتة ، بينما الروع - بالفتح - ومعناه الفزع - هو الكلمة المستعملة الجارية على الألسن . وما أحسب هذا الخطأ الا سيمم مهمما بذل الصححون من جهد في مكافحته .

### بطيخ :

صوابها بكسر أولها لا بفتحها . ومثلها سكير وعرييد وأزميل وغطريس ونحرير ومسكين . كلها مكسور أولها .

### ارتج عليه في الكلام :

يقروون ( ارتج ) بتشديد الجيم أي بصيغة المعلوم ظنا أنها من الارتجاج . والصواب نطقها بصيغة المجهول أي بضم الهمزة وكسر التاء ، من الارتجاج ، بمعنى استغلق عليه الكلام كأنما أوصد دونه بابه .

### أغمي عليه :

صوابها أن تقرأ بصيغة المجهول ، لكن بعضهم يقرونها بصيغة المعلوم أي بفتح الهمزة والميم . وعلى هذا يكون الشخص ( مغمى عليه ) بصيغة المفعول . ومثل ذلك يقال في ( غشي عليه ) فهو مفشي عليه .

### النسخة :

الورقة المنسوخة أو المنسوخ عنها . صوابها بضم النون لكن بعضهم صار ينطقها بفتحها . على حين

## العلاقة :

ينطقها بعضهم بفتح العين وبعضهم بكسرها دون تمييز بين معنيها المادي والمعنوي ، فهي تقرأ بالكسر اذا كانت العلاقة مادية ، وبالفتح اذا كانت معنوية . لكني لا اظن احدا يتقيد بذلك فى نطقه أو يتوقف قليلا للتفكير بين الحالتين ، فالأغلب ان ينطقها حتى الأديب اللغوي المتفطن كما يجري بها لسانه على مألوف عادته من فتح أو كسر .

## الضعف :

كثيرا ما قيل لنا أيام المدرسة ان الضعف ينطق بضم الضاد اذا كان ماديا ويفتحه اذا كان معنويا . فلما رجعنا الى المعجم وجدنا ان كلتا الحالتين سواء .

## العالي ، الباقي ، الجاري :

بعض المذيعين ينطقونها بتشديد الياء بلا ضرورة، والصواب ان الياء هنا خفيفة وساكنة . ومثل ذلك قولهم : القاضي والمحامي والتربية والضربة القاضية؛ بالتشديد ويظهر انها طراز نطقي جديد أخذ بعض المذيعين يقبلون عليه . وفى بعض الاحيان لا يقتصر الأمر على مخالفة قواعد النحو بل يتعداه الى تغيير المعنى ايضا . فالعادي بالتخفيف هو الراكض أو المعتدي أو الاعتيادي ، وبالتشديد : الشيء المنسوب الى عاد ، ومن ذلك العاديات : الآثار القديمة . والسامي بالتخفيف : الرفيع ، وبالتشديد : المنسوب الى سام . فاذا قلنا : انها سامية الأخلاق بالتشديد نكون قد نسبناها الى الساميين وهو غير المقصود . كذلك ( الحالية ) بالتخفيف : التحلية ، وبالتشديد : المنسوبة الى الحال الحاضرة .. وهكذا.

## المدرج والمدرج :

هنا ايضا يتغير المعنى بتخفيف السراء أو تشديدها . فالمدرج بالتخفيف - زنة الملعب - اصطلاح مستحدث يقصد به الدرب أي السكة التي تدرج أي تسير عليها الطائرة قبل الانقلاع وبعد الحط . وأما ( المدرج ) بالتشديد - زنة المضلع - فمصطلح مستحدث آخر يقصد به المكان المتحدر درجات بعضها أعلى من بعض ، وتطلق عادة على قاعة المحاضرات المدرجة أو المسرح أو السينما ...

لهذا كان من المهم جدا شكل الكتب بالحركات على الحروف ولا سيما فى الكلمات التي يقع فيها الخطأ . أما الكتب المدرسية فيجب شكلها كلها بدون استثناء . وبذلك وحده نضمن للناشئة السليقة السوية التي تقود السنتهم الى الصواب دون أن يفكروا فيه أو يحسوه .

## تمالى :

نداء للأنثى . ينطقونها بكسر اللام ، والصواب فتحه . ومثلها ( تعالوا ) ينطقها الكثيرون بضم اللام والصواب فتحه ايضا .

## مختلف الحالات :

ينطقها الاكثرون حتى من الأدباء بفتح لام ( مختلف ) ، بصيغة المفعول ، والصواب كسره ، لان أصل التعبير هو ( الحالات المختلفة ) . فكما لا يجوز فتح اللام فى هذه لا يجوز فى تلك . وانما يفتح اللام فى مثل قولنا ( الحالات المختلف فيها ) .

## منتظم :

كذلك ينطقونها بفتح الطاء ، وصوابها الكسر . شأنها شأن ( مختلف ) .

## التجربة :

اكثرهم ينطقونها بضم الرء غلطا ، ونذر من ينطقها بكسرها وهو الصواب ، على غرار تكربة وتوصية وتمبئة .

## وفق الأصول :

ينطقون واو ( وفق ) بالكسر ، والصواب فتحه .

## الخصر :

كنت اظن انها بضم الخاء . وعندما كنت اسمع بعض العرب ينطقونها بالفتح كنت احسب ذلك من تحريف الدارجات . ولشد ما تعجبت حين رجعت الى المعجم ذات مرة فاذا الضم هو الخطأ والفتح الصواب .

## أخطاء سيئة

ممكن ال ! ( أي خذ أداة التعريف من بغداد والحقها بالموصل ) . فعلى هذا نقول لمن كتب قبل بضعة أيام في الجريدة ( 3000 كتابا و 50 رجل ) : من فضلك خذ علامة النصب من كتابا والحقها برجل ليكون التعبير الصحيح : 3000 كتاب و 50 رجلا . والحقيقة أن حالات العدد والمعدود في العربية من الكثرة والتنوع بحيث يصعب تعلمها بالحفظ مثل دساتير الجبر والمثلثات ، وإنما مرجعها السليقة المتأدية من كثرة سماع الصواب وقراءته . وطريق ذلك كما قلنا أن تشكل الكتب ولا سيما المدرسية منها ، وأن تبذل عناية خاصة في الإذاعات بتلاوة النثر والشعر الذي يسيء بعض المذيعين والمذيعات قراءته فيشوهون وزنه وأحيانا يقلبون معناه أيضا .

### من على المنابر :

عجيب أن تظل هذه الغلطة حية ترزق بالرغم من وضوحها وكثرة تنبيه اللغويين قراءهم إليها . والصواب : من فوق المنابر ، لأن حرف الجر لا يدخل إلا على الاسم ، ولا يدخل على حرف جر آخر . لكنني وجدت تعبير ( من على ) يرد حتى في ترجمات شكسبير ، وحتى على أقلام بعض الكتاب المشهورين .

### لو ، اذا :

صاروا يستعملون كلا منهما بمعنى الأخرى . وبعضهم ولا سيما من مترجمي القصص الأجنبية يلتزم بذلك كأنها قاعدة لا محيد عنها . ذلك مثل قول أحدهم : لو رايتها غدا فقل لها أنني أكرهها . والصواب : اذا رايتها ... وقول آخر : اذا عرفت ما في ضميري لتأكدت أنني أصدق أصدقائك . والصواب هنا : لو عرفت . وقد قرأنا أخيرا لكاتب معروف : اذا نظرنا إلى الخميرة .. لوجدنا أنها قائمة بنفسها . والصواب : لو نظرنا .. أو : اذا نظرنا .. وجدنا ..

### الأهرامات :

صوابها : الأهرام ، ومفردها : الهرم . كثر هذا الخطأ وشاع حتى أننا قرأنا صيغة ( الأهرامات ) في جريدة « الأهرام » غير مرة .

### الرسومات :

بمعنى الصور أو الضرائب . لا ضرورة لصيغة جمع الجمع هذه . فالصواب : الرسوم .

مترجمو القصص ، وبعضها من الروائع العالمية صاروا يحملون لواء اشاعة الأخطاء وفساد سلائيقي الناس . أنهم وباء اللغة تجب مكافحتهم والا فمغاء على السليقة السليمة . ومن الغريب أن الكثير من أخطائهم يتكرر عند كل منهم كأنهم قد تعلموها على استاذ جاهل واحد في مدرسة ما . صحيح أن التطور اللغوي سائر في طريقه في كل لغة وكل زمان لكن بعض هذه الأخطاء لا يصلح أن يكون تطورا . إنها أخطاء سيئة وحسب . وإذا أضفنا أغلاط الجرائد والمجلات والإذاعات كانت لدينا عدة كاملة للقضاء على أي أمل في تكوين سليقة معافاة للنائشة ، بله تشويه السلائق السوية عند الكبار أيضا .

ومكافحة هذا البلاء لا يفني فيه التنبيه على الأغلاط في كتب ومطبوعات لا يقرؤها المترجمون والكتاب الجهلة أصلا ، وإنما يجب تأليف لجان في كل قطر عربي لتصحيح الكتب ولا سيما المترجمة منها ، والمطبوعات الدورية أيضا فهي لانتشارها أقدر على إفشاء طاعون الأخطاء اللغوية . وإن تعذر ذلك وهو متمذر فعلا فيما يبدو فينبغي فرض غرامة مالية عن كل غلطة لغوية ، وذلك سيلجئ الناشرين إلى استئجار من يقرأ لهم ويصحح قبل النشر وتوزيع الأخطاء على الناس بغير حساب .

### الثلاثة رجال :

قلت مرة لأحدهم أنها خطأ ، وصوابها : الثلاثة الرجال . فقال : ثقيلة . قلت هذي هي قواعد النحو . قال هذا نحو جوامع ! قلت وهل هناك نحو كباريهات ؟ من حقه أن يقول أنها ثقيلة لأن الخطأ فيها شائع الفته الأذان وجرت به الألسنة حتى لتستثقل ما عده . ولكي نوضح حقيقة الأمر فيها للقارئ نقول أن قوله ( الثلاثة الرجال ) يساوي تماما قوله ( الرجال الثلاثة ) ، فلا ينبغي أن يكون تأخير الرجال سببا لاسقاط علامة التعريف عنها . فإذا استثقل تلك فليقل هذه ، لكن لا يقل : الثلاثة رجال .

### 3000 كتابا و 50 رجل :

قال أحد الأجانب : سأسافر غدا من بغداد إلى موصل ، فقال له السامع العراقي : من فضلك خذ

## الشييق :

الذي امشناه ، بينما المقصود : الذي عشناه . ومثل ذلك قولهم المزاد والمشاد والمشان والمسان والمقاسن والمكال والمصاد والمقاد والملام ... فصوابها : المزيد والمزيد والمشين والمصون والمقيس والمكيل والمصيد والمقود والملموم ... أي تبعا لصيغة مضارع الفعل ، لا ماضيه .

## مزقه اربا :

الارب العضو . فقولك ( مزقه اربا ) خطأ مثل قولك ( مزقه عضوا ) . والصواب : مزقه اربا اربا ، أي قطع اشلأه عضوا عضوا .

## الاثاث :

بعضهم يؤنث الكلمة فيقول : كانت الاثاث ... ظنا منهم انها جمع . والصواب أن الاثاث مفرد ومذكر . هذا عدا أن بعضهم يكتبها أساس البيت وتأسيس الشقة ، كما قرأنا أخيرا في إحدى المجلات . وهذه الفلطة النطقية مصدرها أن بعض العرب كما في مضر وسورية ينطقون الثاء سينا في الدارجة فيظن ضعفاء الكتاب انها النطق الفصح . وقد رأينا ذات مرة بطاقة لأحد الدبلوماسيين ورد اسمه فيها بالعربية : محمد ثابت ، وبالانكليزية : M. Sabet .

## هي الباب :

صوابها : هو الباب . وكذلك يؤنث بعضهم الرأس والبطن ، والصواب أنها مذكران .

## بما في ذلك :

يقال نسيت امتعتي بما في ذلك نقودي . وهو خطأ ، والصواب : وفي ذلك نقودي ، أو : ومعها نقودي ، أو : وبضمنها نقودي .. الخ . لأن القول ( بما في ذلك نقودي ) يساوي ( بالذي فيها نقودي ) وهو واضح الخطأ ، وصوابه : بما فيها من نقودي .

## طالما :

كثير استعمالها بمعنى ( ما دام ) ، وهو خطأ كثير الشيوع خاصة على أقلام المترجمين . فان ( طالما ) تعني : كثيرا ما .

## استمرينا :

يستعملونها بمعنى المتع ، بينما معناها اللغوي بهذه الصيغة هو المشتاق والمشتوق . أما المتع فصيغته الشائق . ويمكن أن يقال كذلك بهذا المعنى ، بالإضافة الى المتع : المعجب والشاغف .. والظلي ، إذا كان الموصوف صنيعا أدبيا .

صوابها : استمرنا . ومثلها : استعدنا واستمدنا واستحمتنا . على أن بعض القبائل كانت تقول في الجاهلية استمرينا واستعلننا واستحمتنا . وقول ذلك من قبل معاصرنا في الدارجات ، وضعاف الكتاب في الفصحى ، ما هو إلا أثارة متخلفة من ذلك النطق الجاهلي . لكن الغلبة في الفصحى صارت لفك الادغام .

## يعصاه :

صوابها : يعصيه ، فان فعل ( عصى ) مضارعه يعصي بالكسر ، مثل رمى يرمى ، ومشى يمشي ، واتى يأتي ..

## مفجع :

لا يوجد في العربية فعل ( افجع افجاعا ) بل ( فجع فجعاً ) ، ومن ثم لا يقال مفجع بل فاجع . ومنه الفاجعة .

## مريع :

كذلك لا يوجد فعل ( اراعه اراعة ) بل راعه روعا ، وروعه ( بالتشديد ) ترويعا . والفاعل من الأول رائع ومن الثاني مرووع ، بكسر الواو وتشديدها . وقديما قالوا راعني وروعني بمعنى . لكن الرائع تخصص أخيرا بمعنى المعجب الفائق ، والمروع بمعنى المخيف .

## الواقع المعاش :

كثير استعمال هذا التعبير أخيرا ، وصوابه : الواقع المعيش ، زنة المبيع والمدين . لأن المعاش هو



## المظاهرة :

صوابها ( المظاهرة ) بالمعنى المقصود أي احتشاد الناس في مسيرة تأييد أو احتجاج .  
والمظاهرة : المرة من التظاهر وهو من معنى الظهور .  
أما ( المظاهرة ) فمن الظهر ومعناها المؤازرة من الأزر أي الظهر أيضا ، مثل المساعدة من الساعد والمعاودة من العصد . وما أكثر من يقع في هذه الغلطة حتى من الكتاب ذوي الاسماء . بل أننا قلما نصادفها في صيغتها الصحيحة ( تظاهرة ) .

## الرؤيا :

كثرت في كتابات المحدثين بمعنى الإبصار ، دون أن يدركوا أن ( الرؤيا ) تعني الحلم الذي يروونه في المنام ، وأنهم إنما يقصدون ( الرؤية ) .

## دغم الشيء في شيء :

الصواب ( ادغمه ادغاما ) لا : دغمه دغما .

## دمج الشيء في الشيء :

الصواب كذلك ( ادمجه ادماجا ) ، لا : دمجته دمجاً .

## التعيم :

هذه على العكس ، صوابها ( الدعم ) من فعل : دعم دعما . ومعنى دعمت الشيء : أسندته لئلا يميل . فلا يقال : ادعمته ، ولا : دعمته ، بالتشديد .

## الهامة والهام ( بالتشديد ) :

يستعملونها من معنى الأهمية ، والصواب : المهم والمهمة . أما الهام والهامة فمعناها : الفام والفامة ( بتشديد الميم في كليهما ) أي المحزن والمحرنة . أي ( أهمني ) صارت تعني أثار اهتمامي ، أما ( همني ) فتعني غمني وأحزني . وهي غلطة شائعة تجري بها أقلام أكثر الكتاب كبارهم والصغار ، لأن بعض اللغويين كانوا في هذا الباب قد صوبوا الخطأ وخطؤوا الصواب ، فشاعت قائلهم .

## مما سبب كذا :

هذا الاستعمال يجوز إذا كان الأمر أكثر من سبب : مثل ارتفعت الأسعار مما ساعده على جمع ثروته . أي أن هناك سببا آخر أو أسبابا أخرى ساعدته على جمع ثروته . أما إذا كان السبب هو الوحيد فلا - مثلا : هطلت الأمطار ما أحدث السيول ، أو : انكسفت الشمس ما سبب الظلام في النهار ... فلا يقال في هذين المثالين ( مما ) .

## أنهم يعرفوني :

وقرات كذلك في إحدى الصحف : يرجي من الأخوان الذين يرسلونا .. ومثل هذه الأغلاط يكثر في ترجمات شكسبير أيضا . والصواب : أنهم يعرفوني ، يرسلونا ، يروني ، يسمعونني . وإنما يحذف النون الأولى في حالتها النصب والجزم ، مثل : لم يعرفوني ، ولن يسمعونني .

## هات الكتاب :

كثيرون يقولون ذلك في خطاب الانثى ، يظنون أن الجزم يكون هنا بحذف الياء . والصواب ( هاتي ) . أما ( هات ) فتقال في خطاب المذكر وحسب .

## لن يقيم :

ومثلها لن ينم ، ولن يستفق . وصوابها : لن ينام ولن يستفيق ولن يقوم .. فالنصب في مثل هذه الأفعال يكون بفتح آخرها . أما حذف حرف العلة منها فعلمة الجزم ، مثل : لم يقم ولم يستفق ولم ينم . أي أنهم يستعملون ( لن ) بمثابة ( لم ) . وهذا الخلط بين النصب والجزم كثيرا ما نصادفه في الصحف والقصص المترجمة ، وسببه ضعف السليقة مضافا إلى ضعف تعلم قواعد النحو .

## لم تفقي ولم تقلي :

بدلاً من لم تفقي ولم تقولي . الخطأ هنا في الجزم الذي يكون في مضارع المخاطبة بحذف النون فيحذفون معه حرف العلة ، قياساً على مضارع المخاطب : لم تفق ولم تقل . ويلاحظ أن الجزم والنصب هنا استويان ، فتقول : لم تريدني ولن تريدني ،

### المناخ هنا يوافقني اكثر :

تعبير عامي ، صوابه : اكثر موافقة لي ، او :  
أوفق لي .

### كم هما جميلتان عيناك :

تعبير احد الشعاعين قرأناه في احدى الصحف ،  
وهو نقل اعتباطي عن بعض اللغات الأجنبية التي يؤدي  
بها معنى التفضيل على هذا النحو . في مثل هذا المقام  
يكون الأيسر والأوجز والأعرب : ما أجمل عينيك ،  
وأجمل بهما .

### وهو من الأشخاص الأكثر تبذيرا :

عبارة أخرى قرأناها في صحيفة لكاتب قصصي!  
وهو تعبير مترجم أيضا . ولا حاجة الى التفصيل .  
لكن اذا لم يكتف الكاتب المفضل بالقول : انه مسرف ،  
او متلاف ، او مفرط التبذير .. وأصر على صيغة  
التفضيل ففي وسعه أن يقول : انه من أشد الناس  
تبذيرا .

### كان مثالا يحتذى به :

تعبير صادفناه مرات ، آخرها في قصة .  
والصواب : كان مثالا يحتذى . اما اذا اشتى الكاتب  
أن يستعمل ( به ) فليقل : يقتدى به .

### وجدت بانه :

كثيرا ما يستعملون الباء بغير ضرورة في أمثال  
قولهم ، رايت بانه ، عرفت بانه ، ظننت بانه . والصواب :  
وجدت انه ، رايت انه .. الخ . لكن تجوز الباء في :  
أخبرني انه وبانه ، علمت انه وبانه ، سمعت انه وبانه .

### الفيصر معروف :

غلطة ما اكثر شيوعها . وصوابها : غير المعروف .  
كذلك : النصف شهري ، والفريق أول ، والضابط  
صف ، وأسوأ منها : الصف ضابط ، الى ما هنالك .  
وصوابها : نصف الشهري ، والفريق الأول ، وضابط  
الصف ..

ولم تمودي ولن تمودي . ومن حق التلاميذ في أمثال  
هذه التعقيدات اللامنتطقية أن يرتبكوا ويخلطوا ، فان  
تعقيدات الرياضيات من جبر وهندسة مهما زادت  
فهي منطقية سرعان ما تنحل ويفمرها الضوء بعد حسن  
الروية والتفهم ، لكن تعقيدات قواعد اللغة ، الاعتبارية ،  
يصعب جدا على التلاميذ في عصر السرعة والعلوم هذا  
أن يستوعبها . أما القدامى فلم يكن تعليمهم مزدحما  
بشتى العلوم كما هو اليوم من جهة وكانوا يتكلمون  
الفصحى صوابا بالسليقة لأنها لغتهم الدارجة البيتية  
من جهة أخرى .

### لذلك فقد وافقت :

الصواب : لذلك وافقت . وما اكثر المواطن التي  
يمكن فيها حذف ( فقد ) لتكون العبارة اقوم وآثق .

### بالرغم من مرضه الا انه استيقظ مبكرا :

( الا انه ) لا ضرورة لها . فاما ان يقال : انه  
استيقظ مبكرا بالرغم من مرضه ، واما : بالرغم من  
مرضه استيقظ مبكرا . ومن أصر على استعمال ( الا  
انه ) ففي وسعه أن يقول : كان مريضا الا انه استيقظ  
مبكرا .

ومثل ذلك قولهم : بالرغم من مرضه فقد استيقظ  
.. والصواب حذف ( فقد ) .

### مع انه صديقي الا انه تأمر ضدي :

هذه العبارة أيضا صوابها حذف ( الا انه ) .

### من الساعة الثانية والى الثالثة :

هذه غلطة اذاعية يكثر من تراددها متكلمو  
الاذاعات العربية مع أن بعضهم حسن السليقة سليم  
اللغة . والصواب حذف الواو من ( والى ) ، ففي  
العربية يقال : ذهب من المكتب الى البيت ، ولا يقال :  
من المكتب والى البيت . وبشاعة الواو هنا لا تقل عن  
بشاعتها هناك . ولا ندرى من أبة لغة جاءوا بهذه الغلطة  
فهي ليست من التعابير المنقولة عشوائيا عن الفرنسية  
او الانجليزية .

## ذهبنا سويا :

صوابها : ذهبنا معا ، أو جميعا ، أو كلانا ، أو  
كلنا . لأن السوي هو المعتدل المستقيم ، فلا يقال  
ذهبنا معتدلا ، أو تمشنا مستقيما .

## يبقى الى ما لا نهاية :

لا يوجد في العربية تعبير ( ما لا نهاية ) . وإنما  
يقال : الى غير نهاية ، أو : ما لا نهاية له . ويجوز في  
الاستعمال الحديث : الى اللانهاية .

## كلما كد واجتهد كلما زاد ربحه :

هذا تعبير آخر يستعمله حتى بعض ذوي الشهرة  
الافاقية ( التي طبقت الافاق ) من الأدباء . والصواب :  
حذف ( كلما ) الثانية .

## أخطاء محتملة

توجد أخطاء كثيرة الشيوع أقل سوءا من هاته  
الأخطاء التي مرت بنا ، وربما يمكن التفاوض عنها لأنها  
قياسية أو قريبة من القياسية أولا ، ولأنها قد استفعل  
شيوعها فلم يعد بالإمكان مقاومتها والقضاء عليها ثانيا .  
منها ما يلي :

## الميوعة :

مصدر مستحدث لا تعرفه المعاجم . والمصدر  
المعجمي هو المبع . لكن بعض الأفعال الثلاثية له في  
العربية أكثر من مصدر ، مثل : فار فورا وفورانا  
وفؤورا ، ومثل : عدا عدوا وعدوانا وعدوا وتمعداء  
وعدا - وأرجع الى المعجم لتعرف كيف تنطق هذه  
المصادر الخمسة .

لهذا لا نرى بأسا أن يكون لفعل ( ماع ) مصدران  
وحسب ، أحدهما مستحدث . و ( الميوعة ) بعد  
مصدر قياسي مألوف في العربية من باب السهولة  
والعدوبة والبطولة ...

## الخصوبة :

الصواب المعجمي هو الخصب - زنة الرزق .  
والقول فيه كالقول في الميوعة .

## النضوج :

مصدر مولد آخر . والمعجمي هو النضج - زنة  
النصر . ووزن النضوج في العربية هو : الوقوف  
والمكوث والرجوع . وشأنه شأن الخصوبة والميوعة .

## الفشل :

معناه المأثور هو الضعف والتراخي والجبين عند  
حرب أو كرب . أما المعاصرون فصاروا يستعملونه  
بمعنى الاخفاق . والعلاقة بين المعنيين علاقة سبب  
 ونتيجة ، فالفشل يؤدي الى الاخفاق . وانتقال المعنى  
وتطوره على هذا الفرار مألوف في جميع اللغات .

## انخرط في البكاء :

الصواب : استخرط في البكاء . لكن فعل  
( استخرط ) هذا لا نستعمله في أي تعبير آخر . وقد  
عم ( انخرط ) الذي يعد غلطا الى حد أن الصواب كاد  
ينقرض بازائه .

## أضاف عليه :

المأثور عن انعرب هو : أضاف اليه . أما المعنى  
المعجمي فقد اندثر أو كاد ، فان قولهم ( أضاف على  
الشيء ) كان يعني أشرف عليه ، و ( أضفت الرجل على  
فلان ) : أنزلته ضيفا عليه .

## استند عليه :

صوابه : استند اليه ، كما يسندون عمودا الى  
جدار مثلا . لكن هذا التعبير صار يعني الارتكاز على  
الشيء أيضا كالاستناد بالمرفق الى المنضدة مثلا أي  
فوقها . والأصح في شأن المنضدة ونحوها أن نقول :  
اعتمدت عليها . لكن الاعتماد صار يعني الاتكال على  
شخص آخر ، أي الاعتماد المعنوي ، ونذر استعماله  
في معناه المادي لدى المحدثين . لهذا لا نرى بأسا  
بالقول المفلوط : ( استندت على المنضدة )  
و ( استندت الى الجدار ) - ولو أننا شخصا نتجنب  
ذلك تزمنا .

## وطيء على الشيء :

صوابها المعجمي : وطيء الشيء . لكن الاكثرين يكتبونها اليوم ( وطيء عليه ) ، فصارت أشيع من القولة الفصيحة . وقياسها قول العرب : ركب البعير وركب على البعير .

## داس عليه :

هذه ايضا صوابها ان تحذف منها ( على ) لتكون : داسه .

## تعود عليه :

ومثلها اعتاد عليه . والصواب المعجمي أن تحذف ( على ) فيقال : تعود الشيء واعتاده .

## ثار عليه :

الصواب المعجمي : ثار به . لكننا اذا تذكرنا ان ( على ) تعني ( ضد ) في مثل قولهم ( من لم يكن منا فهو علينا ) نجد أن تعبير ( ثار عليه ) أوضح من ( ثار به ) في أداء المعنى المراد .

## مرفيه :

يخطئون هذا التعبير ويصوبون قول المجنون : مررت على الديار ديار ليلى ، وقول شوقي : ولقد مررت على الرياض .

ولئن أجازوا مررت على الديار فهي لا منطقية ولا قياسية . ونرى انه يجوز قياسا استعمال حروف جر أخرى حسب واقع المعنى فنقول : مررت الطائرة على بغداد ، أي فوقها .. ومرر القطار من الجزائر ، اذا اجتازها من جهة وخرج من جهة .. ومررت الرصاصة في الرنة ، اذا اخترقتها .. ومررت بالديار ديار ليلى ، اذا اجتازتها دون أن تدخلها .. ومر الزورق تحت الجسر . وهذا هو الذي سوف يشيع على مر الأجيال . أما اتباع القاعدة باستعمال الباء و ( على ) في جميع هذه الحالات فيجعل المعنى هو المرور بجانب تلك الأشياء وحسب .

## أخطاء مستحبة

ينبغي أن نتذكر أن اللغة في تطور دائم ، كما كانت أبدا منذ نشأتها الأولى ، وأن تدوينها في المعجم

قد ساعد على ضبط ذلك التطور وتوجيهه لكنه لم يجمدها أو يوقف تطورها . ولنتذكر ان الكلمة الفصيحة قد مرت بعدة تطورات وتحريفات في المعنى والمبنى حتى وصلتنا كما هي الآن . أي أن كل كلمة فصيحة قد كانت خطأ بالنسبة الى الكلمة التي نشأت منها . ولو قد دونت المعاجم قبل الاسلام بألف سنة لاعتبرت فصحاء عامية محرفة بالنسبة اليها ، مثل لغاتنا الدارجة بالنسبة الى الفصحى . وقد انجبت العربية من مستحدث الألفاظ والمصطلحات في العهد الاسلامي الشيء الكثير - في العلوم والآداب والاجتماع والعمران ، مما ينبيء أن حركة التطور سارت سيرها الطبيعي الحي ، وأن المعاجم الجامعة لبعض الصيغ السماعية لا تمنعنا من اشتقاق صيغ أخرى قياسية ، بل تساعدنا عليه .

ان من فضائل المعجم العربي انه يورد من الكلمة صيغها المسموعة فقط ، لا جميع الصيغ التي يمكن اشتقاقها منها . لكن بعض المتشددين كانوا يحرمون اشتقاق صيغ أخرى مما يمكن استخراجها حسب قولهم الصرف ، وما زالت بقية من أولئك المتشددين يحاولون الوقوف في وجه التيار الذي لا يوقف في وجهه . فانه لمن العبث اجبار ابن عصر الصاروخ الهابط هونا على الزهرة الا يخرج عن حدود لغة راكب البعير السائر هونا في البداء .

واذا سلمنا بحقيقة تطور اللغة نكون قد سلمنا ضمنا بأن الفصحى يمكن أن تكون هي المخطئة . وما بعض الشواذ الا أخطاء جرت قديما على لسان بعضهم فتبعته أسرته أو قبيلته ، ثم تسربت الى لغة قبائل أخرى ، ثم انحدرت اليها من العهد الجاهلي . والشواذ آفة تنتاب كل لغة . ومن أكثر اللغات شواذ الانكليزية حتى لقد فكروا جادين في الفاء كل الشواذ نطقا وكتابة ، وإقامة ما سموه Basic English اي الانكليزية القاعدية ، أو القياسية .

من هنا تبرز أهمية حقيقة أخرى ، هي أن تيار الأخطاء اللغوية في العربية سائر بوجه عام الى التقييس ، أي الفاء الشواذ ، أي تصحيح الأخطاء الجاهلية القديمة . وسيلاحظ القارئ أن أكثر الأخطاء التالية ، التي نسميها مستحبة ، قياسية . أي أن ضعف الكتاب لجهلهم بالشواذ يقيسون ما لا يعلمون على ما يعلمون . وهذه الأخطاء المستحبة بالإضافة الى ذلك أقرب الى المنطق وإلى حاجتنا وأقدر على البقاء والصمود من الصواب المتداعي المنهار الذي لم يعد بالإمكان فرضه على الجيل .

## الزوجة :

استعمل العرب كلمة ( الزوج ) للذكر والانثى ، لان كلا منهما زوج للآخر ، اي قرين . لكن بعضهم أنشأ للانثى على قلة قديما . وقد أحسن المحدثون بالتمسك بذلك فقال اكثرهم : الزوج للذكر والزوجة للانثى . فهي ليست خطأ اذن ، لكن المتشددين يعدون التذكير فى الحاليين أفصح .

## الخادمة :

ويقال هنا ما قلنا فى الزوجة ، فان استعمل ( الخادم ) للانثى بسبب اللبس اذا لم توجد قرينة توضيحية . ولا كذلك الظئر والمرضع والحاضن والحامل .. اللاتي لا يلتبس الكلام فيهن لانهن لا يكن الا اناثا .

## العضو :

سمى الجزء من جسم الانسان عضوا ، بالتذكير ، وأعضاء الجسم أخلاء ، أي خلو من الذكورة والأنوثة ، ولا لبس فيها . لكننا حين نطلق الكلمة على البشر : عضو الجمعية وأعضاء الحزب او اللجنة - يحسن بنا التفريق بين الاناث والذكور . ان القاعدة اللغوية تقضي ان نقول ان فلانة عضو فى الجمعية الفلانية وزوجها عضو فى اللجنة الفلانية . لكن ضعاف الكتاب صاروا يقولون انها (عضوة) وجمعونها على (عضوات) . وهو التعبير القياسي الذي سيثبت فى المستقبل .

## العريس :

صفة تعني مذكر المروس . والمروس فى الفصحى كالزوج تطلق على الذكر والانثى ، لكنها تخصصت فى الدارجات بالانثى وخصوا العريس - ولعلها قديمة مهمة - بالذكر . وهي صيغة مقبولة تماز كذلك بعدم اللبس .

## الملكى :

نسبة الى الملك بكسر اللام . لكنهم يعدون من الخطأ نطق هذه النسبة ( الملكى ) بكسر اللام ، لان المأثور عن العرب فتحه ، زنة عربي وبلدي . وهذا الصواب المأثور هو الشاذ المخالف للقياس الذي هو

وتصويب بعض الاخطاء المنطقية المقبولة ليس بالامر المستحدث ، فقديما حرموا اشياء ، منها تعريف ( كل ) و ( بعض ) باللام ، ونفي المضارع بعد ( قد ) . لكن الوعي اللغوي المفكر خرق هاتين القاعدتين . ويحل لنا اليوم ايضا ان نتبع هذه القاعدة - قاعدة خرق القاعدة اللانطقية - حين يتطلب الامر ذلك . فان لم نبج ذلك فان المحدثين قد أباحوه لأنفسهم دون استئذان منا ، ولم يبق لنا الا ان نقر ذلك ، لان مكافحته عبث لا طائل وراءه . والظاهر انه كلما زدنا تشددا زاد الخرق اتساعا . القاعدة الدينية « يسروا ولا تعسروا » تجد لنفسها مكانا مرموقا فى اللغة أيضا .

انا شخصا اكره الكثير من هذه الاغلاط - المستحبة - واتجنبها فى كتاباتي ، واذا استعملت بعضها مما أرجحه على الصواب فغالبا ما أشير فى الحاشية الى رأيي فيها . لكن هذا لا يمنعني ان أنظر اليها النظرة الواقعية الموضوعية .

## الكل والبعض :

لا يجيز اللغويون تعريف ( كل ) و ( بعض ) باللام كما قلنا . لكن قدامى المترجمين - فى الفلسفة والمنطق - لم يجدوا مناصا من استعمال ( الكل ) معرفا وإيراده مقابل الجزء ، ثم الحقوا به ( البعض ) . وقد اخذ ابن جنى بذلك ، فأسقط حجة المتشددين .

## قد لا يمكن :

يجيزون ( قد يمكن ، وقد يكون ) لكنهم لا يجيزون ( قد لا يكون .. ) . لماذا ؟ لانه لم يسمع عن العرب . ولنلاحظ ان هناك فرقا بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يقله العرب » ، فان الكثير مما قاله العرب قد اندثر قبل ان يسمعه اللغويون او سمعوه ولم يأخذوا به لانهم عدوه مولدا أو عاميا أو نبطيا . أي ان هناك فرقا آخر بين « لم يسمع عن العرب » و « لم يسمع عن الاعراب » .

وليس منطقيا بطبيعة الحال جواز ( قد ) فى الإثبات وعدم جوازها فى النفي . وقد خرج على هذه القاعدة بعض قدامى اللغويين المنطقيين - أي القياسيين - منهم ابن جنى ، فقد استعملها كذلك فى اكايبه .

فى الأصل اضافة الياء الى الاسم المنسوب اليه  
( عدا حالات شاذة اى مغلوطه هي الاخرى ، تنغير فيها  
بنية الاسم ) . ونعتقد ان هذه الغلطة الدارجة ،  
الرائجة ، سوف تكتسح الصواب مع الزمن لكثرة  
الجاهلين بالصواب .

### التقييم :

صوابها المعجمي : التقويم . لكن التقويم يعنى  
تعديل المعوج ، وتقويم البلدان وتقويم الايام ( الذي  
يبين حساب الايام والشهور ) . فاذا اضفنا معنى آخر  
اليه هو التثمين وتقدير القيمة نكون قد حملناه فوق  
طاقته ، فضلا عما فى ذلك من التباس لا يزيله الا ذكر  
قرينة ايضاحية مع الكلمة . لهذا سرعان ما تداول  
الكتاب صيغة ( التقييم ) مرجحين - وأنا من جملتهم -  
بغلطة المترجم الضعيف الذى اشتقها من القيمة ،  
غير عارف ان اصلها هو ( القومة ) بكسر القاف .

### الحياتي :

الفرييون يستعملون كلمة حيوي ( vital  
بالانكليزية ) بمعنى الاساسي والجوهري ، وقد تبعهم  
العرب فى ذلك حتى فقدت كلمة ( الحيوي ) - نسبة  
الى الحياة - معناها المنسوب الى الحياة . وقد صار  
ضمافا الكتاب يقولون ( الحياتي ) عندما يريدون  
النسبة فعلا الى الحياة ( مقابل biological )  
وهي غلطة مستحبة اخرى ، مزيتها التفريق بين  
المعنيين .

### بين كذا وبين كذا :

لا يجوز لغويا تكرار ( بين ) الا اذا كانت مضافة  
الى ضمير ، مثل : بيني وبينك ، او بينك وبين قومك .  
لكن لا يجوز ان يقال بين احمد وبين محمود ، فالصواب  
هنا ان نقول : بين احمد ومحمود .

وهذا يوجب اللبس اذا كان احد فريقى ( بين )  
او كلاهما متعددا ، كقولك : وقعت الخصومة بين  
احمد واخيه واخته . فهذا قد يعنى ان احد طرفى  
الخصومة هو احمد ، او احمد واخوه ، او ان كلا من  
احمد واخيه واخته طرف مستقل فى الخصومة . لهذا  
صاروا يقولون للخروج من هذا المازق اللغوي : وقعت  
الخصومة بين احمد من جهة واخيه واخته من

جهة اخرى - اذا كان احمد وحده احد طرفى الخصومة  
مثلا . واهون من ذلك واخصر ان نجيز تكرار ( بين )  
فى مثل هذه الاحوال فنقول : وقعت الخصومة بين  
احمد وبين اخيه واخته ، او بين احمد واخيه وبين  
اخته .

على ان الكثيرين يقومون فى خطأ تكرار ( بين )  
حتى كاتب معروف بمقدرته اللغوية كالمقاد حيث قال  
فى كتابه عن ( ابن الرومي ) ما نصه : « فلم يمدح  
خليفة قط الا لعلاقة بين هذا الخليفة وبين رئيس أو  
نديم من الذين يعرفهم وينتمي اليهم » .

ونترك للقارىء ان يقدر هل ( بين ) الثانية  
ضرورية او مستحبة فى هذه العبارة ام لا .

### استهتر بالقانون :

استهتر فلان ، تعنى اتبع هواه فلا يبالي بما  
يفعل . وقد صار المحدثون يقولون : استهتر بالشئ ،  
بمعنى لم يحترمه ، واستهتر بالقانون ، بمعنى لم  
يتقيد أو يحفل به . لكن بعض اللغويين يحرمون هذا  
الاستعمال لان فعل ( استهتر بالشئ ) - بصيغة  
المجهول - تعنى اولع به . وما من احد يستعمل اليوم  
صيغة المجهولية هذه بهذا المعنى . فلا بأس بالاستعمال  
المستحدث ، وهو ليس خطأ بل توليدا .

### الأفضل منه :

يقول النحاة انه لا يجوز استعمال حرف الجر  
( من ) بعد اسم التفضيل المعروف باللام ، فلا يصح  
مثلا قولك : والآنكى من ذلك ، وهو التعبير الذى يكثر  
استعماله على نطاق واسع ، بل الصواب ان نقول :  
وانكى من ذلك ، وادهى من ذلك .

لكن هناك فرقا فى المعنى بين قولك : هذا  
الرجل اقدر منى ، وقولك : هذا الرجل هو الاقدر منى ،  
فالاول يعنى انه اقدر منك ويجوز ان يكون هناك  
آخرون كثيرون اقدر منك .

واما الثاني فيعنى ان هذا الرجل وحده اقدر  
منك .

لهذا لا نرى ضيرا فى ارتكاب هذه الغلطة المنطقية  
عندما يراد المعنى الثاني . واذا لم يوافقني القراء  
الكرام على ذلك فهو الخطأ الذى سيعم على كل حال ،  
وقد عم فعلا او كاد .

## استعمالات مغربية

### يتوفر على المال :

بمعنى يملكه ، وبالتعبير المحدث : توفر له المال .  
أما توفرت على الأمر ، فتعني عكفت عليه وانقطعت له .

### التدخل :

يستعملونها بمعنى القاء خطبة . ويمكننا أن نقول :  
تكلم فلان في المجلس أو خطب ، بدلا من ( تدخل ) ..  
ونترك التدخل لمعناه اللغوي الراجح .

### المقابلة :

يستعملونها بمعنى المباراة ، وهي ليست خطأ ،  
لكن معناها يلتبس بمعنى التقابل . ويمكن بدلا منها  
استعمال المباراة والمنازلة .

### الجهوي :

يستعملونها مقابل regional . لكن region  
لا تعني الجهة بل المنطقة والربع والرجا ، زنة المها ،  
التي جمعها : الأرجاء . لذلك نقتصر استعمال  
( الرجوى ) ، زنة البدوي ، من ( الرجا ) ، بدلا من  
الجهوي التي لها معنى آخر .

### التراب الوطني :

يستعملها عرب المغرب العربي الكبير بمعنى  
territoire بالانكليزية و territoire  
بالفرنسية ، وكلتا هما من اللاتينية terra :  
تراب ، وكان المشاركة يعبرون عن هذا المعنى بقولهم  
( الأراضى الإقليمية ) . وقد أخذوا أخيرا يجاورون  
المقاربة في استعمال ( التراب الوطني ) . لكن  
للتراب معنى آخر محدودا هو القليل من الثرى . وكان  
أولى من ذلك أن يقولوا ( الأرض الوطنية ) لأن كل حفنة  
من التراب تراب وطني . لكن هذا التعبير أيضا مركب  
من كلمتين ، وشعارنا في وضع المصطلحات الاقتصاد  
في اللفظ على قدر الامكان . لهذا نقتصر ( الثرى ) الذي

الدارجة المغربية من اللغات العربية العجيبة ،  
فهي مثل طبقات الأرض تكونت من ترسبات مختلفة في  
آماد متفاوتة . وبالرغم من أن المغرب هو القطر  
الأقصى بين الأقطار العربية لم يكن حظ من العربية  
أقل من حظ سواه ، منذ عهد الهجرات الحامية  
( البربرية ) والفنيقية والقرطاجية ثم العربية الإسلامية .

وصحيح أنه توجد الفاظ اجنبية غير قليلة في  
الدارجة المغربية (1) إلا أن فيها لقاء ذلك الكثير من  
الألفاظ الفصحى التي لا توجد في لغات المشرق  
العربي والتي لا يستعملها المشاركة إلا في الفصحى .  
نذكر من ذلك : الجهد ( القوة ) ، الوعر ( الصعب ) ،  
الماضي ( الحاد القاطع ) ، يعرف ( ينزف أنفه دما ) ،  
العام ( السنة ) . بل أن في الدارجة المغربية الفاظا من  
الفصحى لا يستعملها المشاركة حتى في آدابهم مثل :  
الحرش - بكسر الراء ( الخشن الملمس ) ،  
ومثلها الخنز ( النتن ) ، والصد ( الحر ) .  
وأكثر من هذا أن فيها ما لا يعرفه المشاركة  
أصلا من الألفاظ المعجمة التي تعد عندهم مهجورة مما  
يجري على السنة سواد الناس في المغرب حتى من  
الأميين والقرويين ، مثل : القاصح - وفصيحا القاسح  
( الصلب الجاسي ) ، ويكحب - وفصيحا يقحب  
( يسعل ) . ثم هم ينطقون الماء بالهمزة كالفصحى .

ولقاء هذه الأصالة في الدارجة المغربية نجد في  
الفصحى المغربية الراجحة - أي لغة الجرائد وما إليها -  
بعض الاستعمالات اللغوية المقابلة للفصحى المتعارف .  
وانما سميناها استعمالات - لا أغلاطا - لأننا بعد الذي  
أوردناه من رأي في التطور اللغوي نترك الحكم عليها  
للقارئ وللزمن بعد أن نبدي رأينا فيها .

### توصلت برسالة :

فعل التوصل لا يأتي في الفصحى بهذا المعنى .  
والفصحى : تسلمت رسالة ، تلقيت رسالة ، وصلني  
رسالة . وانما يقال توصلت بالشئ الى شيء آخر ،  
أي توصلت به .

(1) أكثرها من الفرنسية وبعضها من الإسبانية تسربت الى الدارجة المغربية في عهد الاحتلال الأجنبي ،  
و « مكتب التعريب » يحارب هذه الألفاظ الدخيلة وقد أصدر كتابا بها مع ما يقابل كلا منها من  
الألفاظ الفصيحة ، كما توسط في نشرها بواسطة الإذاعة والشواف .



والذي يبدو لنا ترسيباً أن ثرم وهرم أثلهما فرم ، وهذه أثلهما فرى ، وهذه أثلهما ورسها فر ، من محاكاة صوت أجنحة الطائر عند فراره : فرررر .

فما دما نجد فى العربية أثل ( فرم ) وهو فرى ، وبناتها مثل : هرم وثرم .. فليس ثمة الا مجال قليل للجدل فى كونها عربية فصيحة .

### شطف الشيء :

تعبير دارج يعنى : غسلة الفسلة الأخيرة بالماء الصافى ( دون منظف من صابون أو غيره ) . ولا نعرف ما يقابلها فى الفصحى . لكن قولك فى الفصحى : شطفت الثوب ، يعنى غسلته بوجه عام . والمعنى الدارج أخص ، وقد صاروا يستعملونه فى المجالات التقنية والمعاشية فى الشرق الأوسط ، ومن الصعب صرفهم عنه لو كانت هناك ضرورة لذلك .

و ( الشطف ) ان لم يكن كلمة عريقة من المهملات المنسيات فان أثلهما عريق وهو ( الشط ) أى النهر أو الشاطيء لانهم كانوا الى عهد قريب يغسلون الثياب على شطوط الأنهار ، قبل أن تم أجهزة إيصال الماء الى البيوت بالانابيب .

### الشفط :

معناه : رشف السوائل مصا بالدارجة العراقية ، وربما فى دارجات عربية أخرى . ومن ذلك قالوا : المضخة الشافطة ، وهي فيما نرى أدق من المضخة الماصة ، لأن المص يشمل السوائل وغيرها من رطب ويابس ، على حين أن الشفط خاص بالسوائل . فيقال ان الطفل يمص اصبعه مثلاً ويشفط الحليب .

وأثل الكلمة : شف ، ومنها : الشفة والشفير والرشف . ولعل الشفط العامية أثيلة فى العربية تخلفت من بعض القبائل القدامى .

### العزومة :

فصيحتها الدعوة . لكن الدعوة تلتبس بمعنى النداء أو الدعاية أو التحريض . وقد حلت الدارجات هذا المشكل بالقول : عزمه على العشاء ، مثلاً ، بدلا من دعاه اليه . لكن المصدر هو ( العزيمة ) فاذا أردنا تفصيل الكلمة فسوف يلتبس معناها بمعنى العزم

كثيرا ما استعمل فى العربية بمعنى أوسع من التراب ولا سيما فى تسمية ديارهم : ثرى الأجداد . فبدلاً من القول التراب الوطنى المغربى ، أو العراقى ، أو السوري ، يقال : الثرى المغربى .. وخاصة أن كلمة ( الثرى ) العربية هي أثل terra اللاتينية . وتكون النسبة الى الثرى عندئذ ( ثروى ) زنة بدوي وسنوي .

### الازدياد :

يستعملها المغاربة بمعنى الولادة . وازداد الشخص بتاريخ كذا : ولد . ولعلها مأخوذة من ازدياد عدد افراد العائلة بولادة انسان جديد . بل لعل الأرجح أنها من ( زائدة الكبد ) وهي الهنة الصغيرة منه الى جانبه كأنها ولده ، فشبهوا بها الولد ، ثم عبروا عن الولادة بالازدياد .

ويبدو أن الكلمة عريقة فى العربية ، لان كلمة ( زاده ) تعنى فى الفارسية : سليل أو نجل أي ولد ، والفعل الماضى ( زاد ) : ولدت . فان كان أثل الكلمتين المغربية والفارسية واحدا فهو من العربية القدامى .

### تفصيل الدارجات

توجد فى الدارجات العربية ألفاظ لا مقابل لها فى الفصحى ، أو لها مقابل منسى مهجور . ولا نرى بأسا باستعمالها فى الفصحى . ولعل بعض هذه العاميات أفصح من الفصحى أي أقدم منها ، مما اغفله جامعو اللغة .

### فرم اللحم :

يكثّر كتاب اليوم من قولهم : فرم اللحم ، واللحمة المفرومة . وهذه أيضا يخطئونها لفقدان ( الفرغ ) فى المعجم . ونعتقد أنها كانت موجودة فى لغات قبائل لم تصلهم لغتها ، وهي ما تزال موجودة على كل حال فى السريانية . أما فى الفصحى فيقال : هرم ( بالتشديد ) اللحم تهريماً فهو مهرم . لكن من الصعب جدا تعميم هذه اللفظة فى جيلنا .

وينطقونها فى العراق بالشاء : ثرم اللحم ، واللحم المثروم . وهي صيغة عريقة فيما نظن بقي من معناها فى المعجم : ثرمت الرجل : كسرت سنه من أصلها فهو أثرم . والثرمان شجر لا ورق له .

والارادة . وقد حلت الدارجة المصرية هذا المشكل الآخر بجعل المصدر ( عزومة ) زنة مرونة وسهولة ..

### لا يطوله القانون :

تعبير مصري آخر بالدارجة يعني : لا يناله القانون ، وبالذقة : لا تصل اليه يد القانون ، او لا تشمل طائلة القانون . وهي غلطة معجمية لكنها تؤدي بكلمة واحدة ما لا يؤديه المعجم الا بأكثر من كلمة .

### الفنوة :

هي الأغنية فى بعض دارجات الشرق الاوسط . وشدها يزعجني ان أقرأها فى شعر الشعراء ونثر النثراء . ولا عيب فيها سوى انها من الدارجة ، والا فهي اخف على اللسان من ( الأغنية ) وأحلى جرسا . وما أكثر من يستعملونها فى الفصحى ظنا انها من الفصحى ، ولعلها نعلما من الفصحى المنقرض مقلوبة من ( النفوة ) الفصيحة التي تعني : النغمة الحسنة .

### الحكايا :

هذه ايضا يستعملونها بدل ( الحكايات ) . ويزعجني كذلك ان أقرأها ، لأنها - كالفنوة - تمثل القصور اللغوي فى المتأدب او المتشاعر - مع انها هي الاخرى اخف على اللسان وأحلى جرسا فى الأذن من ( الحكايات ) .

ووزنها فى العربية : القضايا والعطايا والهدايا . فلمل بعض العرب كانوا يجمعون الحكاية والرواية والشكاية ايضا على : حكايا وروايا وشكايا .

والحكايا من الدارجة السورية اللبنانية وسوف تشيع أردنا أم لم نرد .

### خض :

بالدارجة العراقية يقال : خض الفصن او الشكوة ( وفصيحتها الشكية ، بصيغة التصغير ) . أما

فى الفصحى فيقال : هز الفصن ومخض الشكية . لكن ( الخض ) لا وجود له فى القاموس بهذا المعنى . ولا نشك ان الصيغة فصيحة وانها أثل ( مخض ) ولو أن اللغويين لم يذكروها . ونرى الكلمة مستحسنة ، فقولك : خض قارورة الدواء مثلا يعني هزها لمزج ما فيها ، لكنك لا تقول خضها اذا كانت فارغة ، بل هزها .

### غشيم :

الغاشم والغشوم والغشام لغة : الظالم والفاصل . أما صيغة الغشيم فى الدارجة العراقية - وربما فى غيرها ايضا - فلا وجود لها فى المعجم ، وهي تعنى الشخص الساذج او الجاهل بالصنعة . ولا تقوم مقامها كلمتا ( الغر ) و ( الفرير ) الفصيحتان اللتان تعنيان : الشاب الذي لا خبرة له ، لان ( الغشيم ) تشمل الشاب وغير الشاب ، كما انه من الصعب ان نعمم اليوم تعبير ( فلان غر فى التصوير أو غرير فى التجارة ) بمعنى انه غير ذي خبرة أو تجربة فيهما .

### البصمات :

صاروا يطلقونها على وسمات الاصابع . ويبدو أنه من العبث محاولة تعميم الوسممة والوسمات ، بالرغم من خفتها وحسن وقعها فى الأذن ، فقد شاعت البصمة والبصمات شيوعا كاسحا . ولا بأس بهذه الصيغة فان السمة والوسمة من الوسم وأثله الوشم ، وقد نشأت منه منذ القدم صيغ : الوصم والوصف والرسم والرشم والبسم .. ولا ضير ان نعطي المحدثين حق اضافة صيغة واحدة أخرى هي البصم . ولعلها صيغة أثيلة قديمة هي الأخرى مما افلتت من شباك المعجميين ، بقيت فى الدارجات فاستحياها المحدثون . ومن مزايا ( البصمة ) انها تدل وحدها على طبعة الاصبع ، بينما الوسممة أو السمة أو اية كلمة أخرى ، لا تدل على هذا المعنى دون قرينة تفسيرية .

# مِصْطَلَحَات أَجْنَبِيَّة أَصْلُهَا عَرَبِيٌّ

## أَبُو فَارِس

اقتبست اللغات الأوربية كثيرا من الألفاظ العربية وقد بلغت نسبة هذه في بعض اللغات عدة آلاف وكتب في هذا الموضوع لثريه Littre صاحب القاموس المعروف لحقا أثبت فيه بعض هذه الكلمات وإن كان وهم في أخرى فنسبها إلى أصل غير عربي ونحن نفتح هذا الباب الجديد نورد فيه الكلمات العربية التي اقتبست عنها اللغات الأوربية وغيرها راجين أن يسهم في تحريره كل من عثر على شيء من هذا القبيل :

الطرق العامة خلال الرود هو الرفق والأناة والريـح  
الرادة هي الريح اللينة الهبوب والرود أيضا المهلة —  
يقال مشى على رود أي مهل .

الكلمة الفرنسية من اليربوع العربية Gerboise  
وتسمى في البادية العربية الجربوع

السويداء أو السويد Suaeda fruticosa  
فاسم الجنس العلمي من العربية ( الشهابي )

الدريكة Traquée (bête ...)  
من دارك إذا طارد ولعل أصل اللفظ الفرسى عربى

Arac-mesuak (salvadoda persica)  
من العربية شجر السواك ( مفردات الانطاكي )

من الببلل العربية وتسمى باللاتينية Bubul  
(Pychonotus)

الكلمة الفرنسية من حبارى العربية حسب معجم  
لثريه Aubère

الفاغرة Clavaliér ou fagarier (= zantoxylum)  
كلمة fagarier من العربية وهي كلمة استعملها

ابن سينا وهو من التوابل مثل الفلفل  
ورل تصحيف ورل العربية ( عن لحق معجم لثريه )

Varan ou monitor (Varanus)

من ومد العربية والومد عبارة عن Humide  
ندى يأتي في صميم الحز فيقال يوم ومد ولبلة  
ومد او ومدة .

ذكر لاروس الكبير أنها من كلمة Zigzag  
zickzack الألمانية ولعلها من الكلمة العربية  
الزكزكة وهي حسب لسان العرب أن يقارب الرجل  
خطوه مع تحريك الجسد ويقال زكرك وهناك أيضا  
كلمة عربية أخرى تفيد نفس المعنى وهي الزقزق  
بمعنى ترفيق الطفل

ذكر لاروس أنها من الكلمة اليونانية Eczéma,  
ekzema ويقصد به نوع من الطفح الجلدي وهناك  
حالة تعرف بالاكزيمة الجافة تبقى النقطة أو المجلة فيها  
مقفلة وتجف متقلصة ولعلها من الكرم ومعناها في لسان  
العرب لابن منظور التقلص والاجتماع في اليد والقدم  
والأنف والشفة والغم الخ . والمكرم هو الذي اكلت  
أظفاره الصخر

يرى لاروس أن هذه اللفظة مشكوك في Rôder  
أصلها وقد تكون في نظره من Rotare اللاتينية  
ويظهر لنا أنها من الكلمة العربية راد يقال راد الدابة  
جعلها ترود رودا أي تختلف في المرعى مقبلة ومدبرة  
وأرود في مشيه رفق ومعلوم أن قانون السير في

تمرهندي  
Tamarin ou tamarinier (tamarindus indica)  
وهو الصبار والحمر والحومر  
( القاموس ) والكلمة اللاتينية من العربية  
Cirage تشميع أصلها من شمع السراج  
أي المصباح الزاهر  
Tolier المطال  
Tôlerie المطالة من مطل الحديدية ضربها  
ومدها وسبكها  
Retama الرتم ( نبات )  
الاسم العلمي اللاتيني من الاسم العربي وهو جنس  
جنبات من الفصيلة القرنية تفرس للزينة وقد رتمت  
المعزى أي رعت الرتم أو أخذها غشي من أكل الرتم  
الحرم ( وهي عربية الأصل )  
Peganum harmale  
Pastèque البطيخ  
الكلمة الفرنسية محرفة من كلمة البطيخ العربية  
الفرنسية من نخاع العربية بدلوا معناها حسب  
Nuque الشهابي  
Mousson موسم ( أصلها من العربية (لاروس)  
وهو ربح موسمي يهب من البحر أو من البر في جنوب  
شرق آسيا

الاسمان العلمي والفرنسي (Usnée) Usnée  
من الكلمة العربية أشنه وهو جنس من الحزاز  
الفلاج جمع فلجة وهي من ناحية المدينة Village  
رياض جامعة للناس أيام الربيع (معجم البلدان) ولعل  
من الضدف الفريية أن يكون للكلمتين العربية  
والفرنسية معنى متقارب  
Mortaise من العربية مرتزة أي مثبتة (لاروس)  
وقد رز الشيء في الشيء إذا اثبتته ( القاموس )  
والرزة هي الحديدية يدخل فيها القفل كما أن الكلمة  
الفرنسية يراد بها الفتحة في الخشب يدخل فيها  
لسان خشبي  
Aludel أثال : اناء كالبوقة دون قعر  
لتصعيد المواد الكيماوية وقد أثل المادة صعدھا  
واللفظ الفرنسي مصحف عن الكلمة العربية  
Sandale السندل جورب الخف  
( لسان العرب عن ابن خالويه )  
Tincal ou tinkal التنكار ( مفردات الأنطاكي )  
الكلمة الفرنسية مقتبسة من الإسبانية وهذه من العربية  
وهي بورات الصود المائي الطبيعي  
Sumac السماق ويسمى أيضا حسب القاموس  
التمتم والعرب والعربوب والعنرب والعنرب والاسم  
الفرنسي من سماق العربية  
Talc الطلق ( تعريب تلك : القاموس )  
الفرنسية من العربية

# تعقيب على المصطلحات البريدية

توصلنا من الاتحاد البريدي العالمي بمجموعة من المصطلحات البريدية من أجل مراجعتها وإبداء الملاحظات حولها وهذا هو القسم الثاني من الملاحظات التي سبق للمكتب أن أبدأها حول المعجم القيم الذي وضعه الاتحاد وقد أدرجت ملاحظات المكتب الأولى في الطبعة الجديدة التي صدرت للمعجم البريدي وقد توصلنا عن هذه الملاحظات الثانية بكلمة رقيقة من أخينا الدكتور أنور بكير الأمين العام للاتحاد عبر فيها عن « عظيم التقدير للملاحظات القيمة التي حظت بها هذه اللائحة ولإسهام المكتب مع الاتحاد في هذا العمل الدولي الهام » .

وهاكم هذه الملاحظات :

رقم الصفحة	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	المصطلح الفرنسي	ملاحظات
صفحة الغلاف 1	قيم مؤمن بها المسائل الفنية .. والتعاون الفني	قيم مؤمن عليها أو قيم مصرح بها المسائل التقنية ... والتعاون التقني	V.D.  Questions techniques... coopération technique	شاع في العالم العربي تعريب لفظ « technique » بـ « تقني » والمكتب الدائم يستحسن هذا التعريب على الإطلاق ولا يقر لفظ « فني » قبالة « technique » لأنه يقابل على الأصح المصطلح « Artistique » وفي هذا التخصيص دفع للالتباس

ملاحظات	المصطلح الفرنسي	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	رقم الصفحة
يلزم هنا استعمال صيغة اسم الفاعل من فعل « استوفى » لا صيغة اسم المفعول .	Envoi qui répond... aux conditions	بعثة مستوفية ... للشروط	بعثة مستوفاة ... للشروط	1
انظر الملاحظة على ص 1	Assistance technique	... المعونة التقنية	المعونة الفنية	2
عرب لفظ « Nomenclature » في المصطلحات الجبركية بـ « مدونة » ونحن نستحسنه ونفضله على لفظ « مجموعة » الذي له معنى أعم ويعرب به المصطلح « Collection » و « Ensemble » و « Groupement » الخ ..	Nomenclature internationale des bureaux de poste	مدونة دولية لمكاتب البريد	مجموعة دولية بأسماء مكاتب البريد	3
ابدينا ملاحظتنا فيما سبق	I.S.O.	المنظمة الدولية للتنميط	... المنظمة الدولية للتوحيد القياسي	5
التنميط جعل شيء أو أشياء على نمط واحد	Normalisation	تنميط ( توحيد قياسي )	توحيد قياسي ( تنميط )	5
انظر ملاحظتنا فيما سبق	Dispositif technique	أداة تقنية	... أداة فنية	5
	Machine à dépoussiérer les sacs	آلة لنفض الغبار عن الأكياس أو ... لازالة الغبار عن الأكياس	آلة لازالة التراب من الأكياس	6
« حركة بريدية » تعني على الاصح مدلول العبارة الفرنسية: « Mouvement postal »	Trafic postal	رواج بريدي	حركة بريدية	6
« الكنف » هو الاسم العربي الاصيل الذي كان يستعمله العرب للدلالة على هذا المعنى فلا داعي الى ترجمة المصطلح الفرنسي ترجمة حرفية .	Conteneur	كنف ( ج اكناف )	كنف ( حاوية )	6

رقم الصفحة	الترجمة العربية المقدمة من طرف الاتحاد	المقابل العربي المقترح من طرف المكتب الدائم	المصطلح الفرنسي	ملاحظات
6	منضدة فتح	مفتحة ( منضدة فتح )	Table d'ouverture	اللغة العربية قدرة على الاشتقاق لا يتوفر عليها غيرها من اللغات فينبغي استغلالها كلما سنحت الفرصة .
7	موزع يستخدم مركبة تسير بالمحرك	موزع راكب ( في سيارة او دراجة نارية ) او موزع محركي	Facteur motorisé	
7	عبء زائد	علاوة	Surcharge	« العبء الزائد » هو بالضبط ما يفيد به اللفظ العربي « العلاوة » ومن مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في موضوع تعريب المصطلحات الاجنبية ان تفضل الكلمة الواحدة على الاثنتين او الثلاث عند الامكان .
8	متحمل النواتج	حامل المنتجات	Porteur des produits	يعني لفظ « متحمل » في العربية ما يعنيه لفظ « Supporteur » في الفرنسية . اما لفظ « Porteur » فقد شاع تعريبه بـ « حامل » كما شاع تعريب « Produits » بـ « منتجات » . ومهما يكن فاننا نتحفظ بشأن هذه الترجمة الى ان نطلع على تعريف المصطلح الذي سيصدر عن المكتب الدولي للبريد .
9	... حقل رأسي	... مجال رأسي	Champ vertical	لفظ « Champ » الفرنسي مستعمل هنا على سبيل المجاز ولا يستسيغ الذوق العربي هنا مثل هذا المجاز .
9	تباعد	فسحة او فرجة	Espacement	سبق للاتحاد في ص 5 ان عرب « Espacement » بـ « فسحة » وهو موفق في هذا التعريب .
10	خدمة المصدر للصيغة	مصلحة مصدر الصيغة	Service d'origine de la formule	شاع تعريب لفظ « Service » بـ « مصلحة » عند دلالة على « اذارة » او « مكتب » وبـ « خدمة » فيما عداه .



# المصطلحات الجغرافية

الدكتور يوسف توني  
( القاهرة )

نشرت مجلة «حوايات» التابعة لكلية الآداب في جامعة بين شمس بعددها التاسع مقالا فيما للدكتور يوسف توني ما تزال قيمته العلمية ثابتة وإن كان قد مضى عليه نحو سبعة أعوام . والمقال طويل جدا يصلح أن يكون كتيباً تقديماً ومرجعاً للباحثين الجغرافيين كلما حاولوا نقل مصطلحات جغرافية إلى اللغة العربية ، سنعرض أفكاره الرئيسية فيما يلي :

- 3 - في بدء نهضتنا المعاصرة ادخلنا الفاظاً ومصطلحات جديدة أما بصورة كلمات دخيلة أو معرفة مثل : دلنا - هنترلاند - أرخبيل - فيدرالي - ارتوازي - لابة .. الخ . وخطوتنا خطوة ثابتة فنبدلنا بعض هذه المصطلحات واتخذنا الفاظاً أقرب إلى الصيغة العربية ، ولو عن طريق المجاز أحياناً فاستخدمنا كلمة اتحادي بدلاً من فيدرالي مثلاً وزمن الأحياء بدلاً من الأوزي . والحوز أو الظهير بدلاً من هنترلاند ، والمهل بدلاً من الماجما .. الخ . إلا أن كثيراً من الكلمات استطاعت أن تتجنس بالجنسية العربية حتى أصبح من السخف محاولة تغييرها مثل : دلنا وأرخيبيل وأطلس وبرخان وهاشور .. الخ
- 4 - وصاحب ذلك توليد كلمات عربية الأصل مثل : تجوية . وتعرية .. الخ .
- 5 - أصبح لكثير من الألفاظ معانٍ اصطلاحية لم يكن يعرفها أجدادنا جغرافياً مثل : انكسار - صقيع - التواء - حفرة - شاطئ .. الخ .

- 1 - لكل علم مصطلحاته ، ولعلم الجغرافية مصطلحاته الخاصة به يحق أن توضع في معجم معين مدقق فيه قبل ادماجه في المعجم العام .
- 2 - بسبب اختلاف الدقة في التعبير والتوصيف - حتى في اللغات الأجنبية - اختلف العلماء في أمور قد نراها نحن بديهية : ويضرب على ذلك مثلاً : « بالصحراء » فهي تغطي 15،6 مليون ميل مربع بحسب رأي بيكر Baker و 8،5 مليون ميل مربع تبعاً لرأي ثور ونثويت .
- « والأراضي الزراعية » تعبير يفهم منه : الأراضي المزروعة فعلاً والأراضي القابلة للزراعة ، بينما هو في التعبير الضيق : « الأراضي المزروعة فعلاً » وبسبب هذا الاختلاف لم تحدد بالضبط مساحة الأراضي الزراعية في العالم .
- ومثل ذلك : خصوبة التربة - منطقة خالية من السكان - منطقة مزدحمة - فيض السكان - غيض السكان .. والشرق الأوسط - والشرق الأدنى .. الخ .

6 - وبعض المصطلحات تتركب من كلمتين مثل: ميل الطبقة - جبهة جليدية - عمود ترابي - الطين الأخضر - الفجوة الجافة .. الخ .

7 - ان فى لغتنا ثروة من الالفاظ ماتت بسبب عدم استعمالها فمن المستحسن التنقيب على ما يمكن استخدامه للمصطلحات الحديثة ، قال محمد عطية الأبراشي : ان فى لغتنا ( 80.000 ) لفظة لا نستعمل منها الا نحو ( 10.000 ) فقط .

8 - الف العرب فى القرون الوسطى عددا كبيرا من المعاجم والموسوعات الجغرافية مثل : معجم البلدان لياقوت . وتقويم البلدان لابى الفداء . ونزهة المشتاق للادريسي . وكذلك للمعمودي والبيروني والمقريزي والقزويني وابن بطوطة والمقدسي كتب قيمة جدا حتى قبل ان خمسين فى المئة من المصطلحات الفلكية فى اللغات الاوروبية من اصل عربي . انها لثروة يفخر بها ويمكن ان تستغل للتعريب المعاصر غير انها غير مرتبة ترتيبا علميا وتحتاج الى نقض جديد . وساق مثالا على ذلك بعض أسماء السحاب فسرده عشرين مصطلحا لكنها بالفعل فوضى والعلم يحتاج الى ترتيب وتنسيق وتبويب . وعرض مثالا آخر لاسماء الطرق اعده المرحوم سليم الجندي ونقده النقد العلمي النزيه نفسه وقال :

« ان للعرب فى اسماء وانواع السحب او الجبال او الطرق او الكثبان او الاراضي وصفاتها آلاف الكلمات فهل هي مترادفات تحمل نفس المعنى ام هنالك اختلافات وتعريفات دقيقة لكل لفظ ؟ ! ان المعاجم العربية - القديمة والحديثة - غالبا ما تشرحها شرحا غامضا مبهما مقتضيا لا تبين معه حقائقها ولا تتميز به معانيها مما ينزع عنها صفة العلمية وان كانت لها هذه الصفة قديما » .

9 - ربما بسبب تعدد اللهجات فى مختلف الاصقاع العربية وضع اكثر من مسمى لاسم واحد فرياح الخماسين فى مصر تسمى فى ليبيا القبلي وفى تونس التشيلي وكذلك قد يختلف مفهوم المسمى الواحد فى مختلف اللهجات فكلمة « الجبل » فى صعيد مصر هو الصحراء الشرقية وفى برقة

هو الراعي الصيفية . وفى تهامة هو هضبة اليمن . ولعل الانعزال الاجتماعي او الاقتصادي ، او ما شابهه ساعد على نمو الفاظ ومصطلحات محلية . على ان هذه المصطلحات المحلية قد تشيع فتصبح عالمية كالمصطلحات المحلية التى وضعها تورمان Thurmman لوصف التضاريس واخذها من لهجة جورا الفرنسية ، ولنا من لغتنا امثلة على ذلك فلفظ حمادة اخذ من لهجة بدو الصحراء الكبرى وسرير من لهجة بدو برقة وسلوكة من السودان وفقارة من موريتانيا وكلها اصبحت مصطلحات جغرافية عالمية تذاع بجميع اللغات . ولكل بيئة الفاظها ومصطلحاتها حتى فى جميع اللغات فالمصطلحات الجليدية تؤخذ عن روسيا ، والصحراوية عن العربية .

10 - ان استمرار استخدام الكلمات الاجنبية لدى علمائنا دليل على انهم لم يتمكنوا من ايجاد مقابلها العربي . وان منع دخول الكلمات الاجنبية الحديثة معناه منع دخول المعاني والافكار التى تعبر عنها هذه الافكار ولا يعيننا ان نستضيف كلمات جغرافية ليس لها فى عالمنا وجود وتبناها كما فعلت اللغة الانجليزية حديثا وكما فعلت العربية فى الماضى فتبننت مثلا : الكافور والسندس والصندل والياسمين والسوسن والبلور والترجس والبنفسج وقنطرة وقنطار وقرميد وبطريق ... الخ .

11 - لم يتفق الجغرافيون العرب المعاصرون حتى الا على وضع الفاظ محدودة للمعاني الجديدة ، حتى فى داخل الدولة الواحدة مثال ذلك المصطلحات التالية : ( الدلتا المروحية ) ( الدلتا الجافة ) ( المروحة الغرينية ) ثلاث مصطلحات مفهومها واحد . وكذلك : جرف وحافة . وكذلك البنية والتكوين والتشكيل والتركييب والبناء مقابل كلمة Structure

12 - وقد يترجم بعضهم المصطلح ترجمة فى جملة وهو نقص فى دقة التعريب يجب ان يكون مقابل المصطلح مصطلح عربي مماثل .

13 - ان علم الجغرافية بحكم انضمامه تحت لواء الاداب كان اكثر صلة باللغة العربية وخدم علماء الجغرافية اللغة بالتعريب خدمة جلى . ولما كان للجغرافيا صلة بكثير من العلوم فان على

علمائها ان يأخذوا بالمصطلحات التى وضعها الجغرافيون تخفيفا لمتاعب التعريب ووقوفا عند مصطلح واحد معين واغناء المصطلح باشاعته . وهذا ما لم يفعله العلماء مع الاسف بل وضعوا مصطلحات جديدة لما كان قد وضعه الجغرافيون قبلا .

14 - ومما يساعد اللغة العربية على الفنى قدرتها على الاشتقاق والتركيب والتجريد والزيادة والاضافة والتصغير بحيث تعد اللغة الوحيدة فى هذا المضمار فقد نضع بالعربية مصطلحا مركبا من كلمة واحدة تعجز اللغة الانجليزية مثلا عن وضعه بأقل من خمس كلمات ..

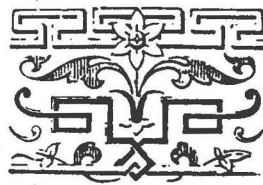
15 - ان صياغة مصطلح من كلمتين معا او اكثر كما تفعل اللغات الاخرى ما زال نادرا فى اللغة العربية مثل : برماء ، وسمال ... وانه بالرغم من وجود محاولات ناجحة فى هذا المضمار كمحاولات الجامعة

السورية مثلا الا ان بعض المصطلحات ما تزال غريبة فيها شيء من الثقل .

16 - وقد استفيد من اسماء أعضاء الجسم ومن الآلات والحيوان و ... الخ . مصطلحات جديدة حسنة باستخدامها استخداما مجازيا مثل : رقبة البركان - قلب المدينة - مفتاح الخريطة - مروحة غربية - بحيرة مرة .

17 - ويمكن استخدام اسماء العلماء كما استخدمتها اللغات الاخرى للمصطلحات الجغرافية مثل : لودبارك ، وجويو ، وكلوزية .

18 - وقد عدد الكاتب عددا من المعاجم الجغرافية فوصفها ونقدها نقد الخبير ودعا الى وضع معجم جغرافي عربي جديد يتعاون عليه جغرافيون ولغويون معا ونحن نؤيده فى هذه الدعوة تأييدا بغير حدود .



# مُعْجَمُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ

الدكتور ممدوح حقي

ومكتبة لبنان في بيروت أصدرت حتى الآن نحو ثلاثين معجماً ما بين علمي ولغوي ووضعت تحت تصرف الأستاذ الخطيب نحو عشرين مؤلفاً عملوا خمسة أعوام بلا انقطاع في البحث والمقارنة والجمع والتنسيق والترجمة والصياغة والمراجعة والشكل والتدقيق والتصوير والنقل حتى ظهر معجمهم بهذا المظهر الرقيق الأنيق . ومن لم يمارس صنعة المعاجم لا يستطيع تقدير الجهود الكبرى التي تبذل في إعدادها وتنسيقها وتدقيقها والمتاعب التي تتأكد العاملين فيها وسهر الليالي وكد الأيام ، أن مؤلفاً عادياً في الأدب أو القصة يرهق الكاتب والطابع والناشر إلى حد الإزعاج فكيف بالمعجم ؟ ! ونحن في مكتب التنسيق الدائم نقدر قيمة هذه الجهود ونفهمها لانا نعانيتها عملياً كل يوم ، وما أصدرنا هذا العدد الكبير من المعاجم إلا بشق النفس ، ألم يقل الشاعر :

لا يعرف العشيق إلا من يكابده  
ولا الصبابة إلا من يعانيتها

قال لي مرة أحد الزملاء وهو أستاذ جامعي معروف : أن صناع المعاجم لا يزيدون على النقلة في شيء ، فهم ينقلون بعضهم عن بعض ولا يتميز أحدهم من الآخر إلا بالعرض والتنسيق !!! فهل في هذا الكلام صحة وصدق ؟ !

الواقع أن صانع المعجم ينقل ولكنه ينقله هذا يتابع تطور العلم ويلحق المصطلح في كل زاوية

نشر في بيروت أواخر عام 1971 معجم للمصطلحات العلمية والتقنية انكليزي - عربي جاء بما ينيف على سبع مائة صفحة من القطع الكبير تضمن أهم مصطلحات العلوم السائدة في هذا العصر وعددها يزيد على خمسين علماً وفناً منها : الهندسة بجميع فروعها والفلك والالكترونيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والعلوم العسكرية ... الخ . وقد زين بنحو 1300 صورة ورسم والحق به عشرات من جداول المقاييس والوحدات وخصائص العناصر الكيميائية والجداول الرياضية والثوابت الفيزيائية بحيث يمكن أن يجعل منه المرجع الأصل الوحيد لما تفرق من هذه المجموعات العلمية في عدد من المعاجم .

ومؤلف هذا المعجم الفريد الأستاذ أحمد شفيق الخطيب ما زال دون الخمسين من عمره المديد ان شاء الله . درس في مدينة رام الله شمالي القدس وأكمل تحصيله في الجامعة الأمريكية ببيروت وحصل على الماجستير في الآداب ثم احترف مهنة التعليم بضع سنين والتحق بعدها بقسم المعاجم في مكتبة لبنان ( بيروت ) .

وتخصص بهذا الفن من الترجمة حتى برع به وكلفته لجنة اليونسكو الوطنية في لبنان بترجمة مرجع اليونسكو العام في العلوم فجاءت ترجمته من خير ما وضع لهذا المرجع في اثنتين وعشرين لغة نقل إليها .

وكلمة Barrel شرحها بكلمة برميل. و فرغ عليها  
Barrel bolt و Barrel destortion  
و Barrel drain و Barreler و Barrel filler  
و Barrel of a boiler و Barrel planting  
و Barrel vault و Barrel winding

وهو تفريع دقيق ممتاز لا شائبة فيه ولكنسه  
ينقص ما شرحناه نحن في معجم البترول بكلمة واحدة  
وهي : برميل ( وحدة حجمية للمواد البترولية تساوي  
158 384 0 متر مكعب .

قد يقال بأن الجدول المنشور على ص 711 فيه  
تفصيل لمقاييس البراميل بالقدم المكعب والكالون  
الامبريالي والكالون الامريكي والبيتره والمتر المكعب  
الساعي والطنون ، وهذا حق لا شية فيه ، لكن اما كانت  
الإشارة الى هذا الجدول ضرورة مع الكلمة ؟ !

ومثل هذه الاختلافات ليست بالكثيرة لكنها  
موجودة على أي حال وهي - في نظرنا - نوع من  
الجهد المخلص الذي يبذله كلانا ومعنا جميع العلماء  
العرب في ميدان التعريب .

نحن نجعل معاجمنا ثلاثية اللغات ولا نعرب دائما  
ولكننا ننسق ما يعرب في جميع البلاد العربية ، ولنا  
الامل في جعلها خماسية اللغات قريبا في ضمن  
برنامجنا الخماسي الذي يتبدى مع عام 1972 ، وإذا  
كان لنا ما نتمناه على مكتبة لبنان الزاهرة والأخ  
الاستاذ الخطيب فهو السعي لجعل معجمه النفيس  
هذا ثلاثي اللغات في الطبعة القادمة بحيث تشترك اللغة  
الفرنسية مبدئيا مع اللغة الانكليزية خدمة لكثرة غالبية  
من المثقفين العرب ثقافة افرنسية في لبنان وسوريا  
وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا .

ح ٠٢

ويجري وراء ما استجد في كل منعرج من المجلات  
والصحف والنشرات والمؤلفات ثم يقارن وينتقد  
وينسق ، وفي آخر مرحلة من مراحل الاعداد يعرض  
ما استقر عليه وينشره . فصانع القاموس لا يمكن أن  
يأتي سابقا ، بل هو لاحق وملاحق في آن واحد ، ولقد  
عانيت ما عانيت بجمع معجمي في الحقوق والتجارة  
عدة سنين قبل أن أصبح خبيراً معترفا به في هذا  
الفن . ولذا فاني أقدر جهد الأخ الاستاذ الخطيب  
واعترف له بالصبر والجلد وصدق النظر .

والامة العربية الآن في اشد الحاجة لمثل هذا  
المعجم العلمي لما طرا على الحضارة المعاصرة من  
تطور في التقنية والعلوم التجريبية والهندسة  
والالكترون ... الخ . ولئن صلح لطلاب الجامعات  
ومدرسي الثانويات فانه لا يمكن أن يعد كافيا شاملا  
لاستاذ جامعي مدقق ولا لباحث من العلماء المتفرغين  
لأن كل فرع من فروع العلوم التي تناولها بحاجة الى  
معجم خاص بها على أن يلاحق في كل سنة ما استجد  
على عمله هذا ويضيفه اليه ملحقا وراء ملحق ، وإذا  
كان بين معاجمنا وبين هذا المعجم بعض الاختلاف  
الجزئي فان التوافق بينهما كبير جدا ولناخذ بعضها  
على سبيل المثال Amortisation يفسرها بما  
يلي : « استهلاك الدين بمبالغ دورية » ونفسرها نحن  
بما يلي : « استهلاك ( الأصول النقدية ) . استهلاك  
القيمة » . والواقع أن استهلاك الدين جزء صغير من  
الاستهلاك العام ، فالمكنتات مثلا يفترض لها استهلاك  
مالي يجزأ على سنين معينة حتى اذا استنفذتها أصبح  
ما تقوم به عطاء بالمجان يزيد حصة رأس المال ، وعلى  
هذا تقاس الأملاك العقارية والمنقولة وكل شيء في  
الصناعة والتجارة ، فتحديد معنى الكلمة باستهلاك  
الدين وحده تقييد حاسم بغير موجب .

# مُسْتَدْرَكُ مُعْجَمِ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ خِلَالِ مِائَةِ عَامٍ

الأستاذ إسماعيل العبايحي  
العراق - النجف الأشرف

للفائدة وحفظا للتراث العربي . ورحم الله فئة حان  
لها أن تعمل صالحا ولم تتقاعد .

وأخيرا استسمح القارئ الكريم إذا عثر  
على شيء طغى به القلم ، أو زلت به القدم ، وأرجو  
أن يحضر قلبه أن الجواد يخبو ، وأن الصارم ينبو ،  
وأن النار تخبو ، وأن الإنسان محل النسيان ، وأجمل  
قول رأيته في هذا المضمار للعماد الإصفهاني إذ يقول:

« اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا  
قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا  
لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك  
هذا لكان أجمل .

وهذا من أعظم العبر . وهو دليل على استيلاء  
النقص على جملة البشر .

## 1 - المعجم الزولوجي الحديث :

ت - محمد كاظم صادق الملكي ، 6 مجلد ،  
النجف ، 57 - 1963 م ، قطع الوزيري ،  
353 + 690 + 485 + 448 + 510  
+ 262 ص .

## 2 - معجم ما استعجم :

ت - أبو عبيد عبد الله بن العزيز ابن أبي  
مصعب البكري الأندلسي ، باريس ، 1876 م ،

لعل من نافل القول أن أثني على الجهد العظيم  
الذي جادت به بادرة الأستاذ « الصديق بن العربي »  
- مراکش - بنشر « معجم المعاجم العربية » المؤلفة  
خلال مائة عام 1869 - 1969 المجلد السابع من  
« مجلة اللسان العربي » (الجزء الثاني)، فهو ولا ريب ،  
قد أسدى خدمة جلى لكل من يهمهم أن ترقى النهضة  
العلمية ذروتها أو أن تعود اللغة العربية الى طريقها  
اللاحب الاصيل بعد أن صارت اليه - بقصد أو دون  
قصد - هذه القوضى اللغوية فافسدت التراث  
العربي اللغوي في بعض من جوانبه ، فكان أن قبض  
الله سبحانه رجالا شمروا عن سواعد الجد فراحوا  
يرجعون للغة الأم ما ضاع لها أو اختلط . ولعمري  
أن قوما هذا عزمهم سيجعلون من لغتهم يوما ، لغة  
جامعة مانعة وفي ذلك نصر مؤثّل .

لقد لاحظ فضيلة الشيخ محمد السامسي أن  
عددا لا يستهان به من المؤلفات لم يذكر ضمن فهرس  
الأستاذ « ابن العربي » فمهد لي تيسير مختلف  
المصادر رجعت اليها وانتقيت منها ما يربو على المائة  
من المؤلفات والفضل كل الفضل عائد له .

ولا شك أن هذه المهمة - مهمة فهرسة المعاجم  
العربية - تقتضي جهدا دقيقا ينبغي أن يكون ملاكـه  
أكثر من فرد واحد لما يستنفد من وقت وعمل ،  
لذلك اعتبرت محاولتي هذه مجرد مساهمة تاركـا  
ورائي، مؤلفات كثيرة لم أهتد إليها لكنها - ولا ريب -  
آتية لكثيرين غيري وهم مدعوون للمساهمة اتماما

رقمي ، 864 + 56 ص ، 6 مجلد ، مصر ،  
1364 هـ .

### 3 - معجم المصنفين :

ت - شيخ محمود حسن التونكي ، بيروت ،  
1344 هـ ، وزيري ، 385 + 336 + 515 ص

### 4 - معجم المطبوعات العربية والمستعربة :

ت - يوسف البان سركيس ، 2 مجلد ، مصر ،  
1346 هـ ، وزيري كبير 2024 ص وهو  
شامل لاسماء جميع الكتب المطبوعة في  
الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء  
مؤلفيها وترجمتهم وذلك منذ ظهور الطباعة  
حتى نهاية 1919 وهو مؤلف من 7 اجزاء ،  
وهذا المعجم لا يكاد يستغني عنه مثقف او  
باحث .

### 5 - معجم الشعراء :

ت - أبو عبد الله محمد بن عمران المرباني ،  
مصر ، 1379 هـ ، وزيري ، بتحقيق عبد  
الستار أحمد فراج ، 590 ص ، قاهره ،  
1354 هـ ، وزيري 556 ص .

### 6 - المعجم في اصحاب الامام القاضي ابي علي الصديقي :

ت - أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن  
الانبار ، مدريد 92 - 1893 م باهتمام كودير  
اسبانيائي ، ضمن مجموعة المكتبة الاندلسية .

### 7 - معجم القاموس الفقهي :

ت - الشيخ عبد الرسول الواظلي ، نجف .

### 8 - المعجم في بقية الاثنياء :

ت - أبو هلال العسكري ، مصر ، 1353 هـ .

### 9 - معجم المؤلفين ، تراجم مصنفين الكتب العربية :

ت - عمر رضا كحاله ، دمشق 76 - 1381 هـ  
وزيري ، 320 + 320 + 320 + 320 + 320

320 + 320 + 320 + 320 + 320 + 295 +  
320 + 421 + 326 + 336 ص

### 10 - المعجم العسكري الموحد ، القسم الأول - انكليزي - عربي :

ت - لجنة توحيد المصطلحات العسكرية  
للجيوش العربية ، ط 1389 - 1970 مط دار  
المعارف بمصر ، وزيري ، 983 ص .

### 11 - معجم فقه المحلى :

ت - ابن حزم الظاهري ، تصدير جامعة دمشق -  
كلية الشريعة لجنة . موسوعة الفقه الاسلامي ،  
مطبعة جامعة دمشق .

### 12 - معجم المطبوعات النجفية :

ت - محمد هادي الاميني ، وزيري صغير ، مط ،  
النجف 1385 - 1966 يبحث عن المطبوعات  
التي طبعت في النجف الاشرف منذ تأسيس  
الطابع حتى عام 1966 .

### 13 - سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار :

ت - المحدث العلامة الشيخ عباس القمي ،  
معجم في مطالب بحار الانوار ، ج 2 ، 7336  
+ 741 ص ، وزيري ، 52 - 1355 هـ .

### 14 - فهرست اسماء شعراء لسان العرب :

ت - عبد القيوم ، ط في الهند ، 1937 م ،  
187 ص .

### 15 - الفهرست التحليلي لما طبع في مصر من الكتب العربية في السنوات 42 - 1944 م :

جمع وترتيب كولشن وم . قناتوي ، القاهرة ،  
1949 م ، 613 + 47 ص ، رقمي .

### 16 - فهرست اسماء الرجال المذكورة احوالهم في كتاب التنوين لأبي القاسم عبد الكريم الرافي القزويني :



- 24 - فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار :  
الجزء الثالث ، مصر ، 1345 هـ ، 1927 م ،  
وزيري كبير ، 439 ص .  
الجزء الرابع ، مصر ، 1348 هـ ، 1929 م ،  
وزيري كبير ، 136 + 92 ص .
- 25 - فهرست لمشاهير علماء زنجار :  
ت - شيخ موسى بن عبد الله الزنجاني . قم ،  
1367 هـ ، 156 + 33 ص ، وبضمنها الرسالة  
في حكم الزوجة المفقود عنها زوجها .
- 26 - فهرست ما رواه عن شيوخي :  
ت - أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي  
الاشبيلي ، القاهرة ، 1963 م ، 579 ص .
- 27 - فهرس مجلة المجمع العربي :  
ت - عمر رضا كحالة ، ج 1 دمشق .
- 28 - فهرس المخطوطات ، دار الكتب الظاهرية :  
ت - يوسف العش ، دمشق ، 1366 هـ ،  
وزيري ، 490 ص .
- 29 - فهرست الكتب العربية في دار الكتب المصرية :  
5 ج ، مصر ، 345 - 1358 هـ .
- 30 - فهرست المكتبة الظاهرية :  
ت - يوسف العش . دمشق ، 1366 هـ .
- 31 - من نواذر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم :  
ت - الشيخ محمد هادي الأمين ، قطع وزيري ،  
مط النجف 1382 - 1962 ، فهرست لبعض  
الكتب النادرة من مكتبة آية الله الحكيم في النجف .
- 32 - عين الغزال في فهرست أسماء الرجال (فهرست  
رجال ومصطلحات حديث الكافي للكليني ) :
- ت - الأستاذ سيد جلال الدين قاسم محدث  
الأموي ، ط في طهران ، 1374 هـ ،  
وزيري ، 16 + 103 ص .
- 17 - فهرست جواهر الكلام :  
ت - علي بن شيخ زين العابدين المازندراني  
الحائري ، ط في طهران ، 1332 هـ .  
19 + 21 + 30 + 33 + 22 + 31 ص .
- 18 - فهرست الحواشي على عروة الوثقى :  
ت - حسين بن محمود طباطبائي القمي ، ط  
في النجف 1356 هـ . وزيري ، 50 ص .
- 19 - فهرست الخزانة التيمورية :  
ت - أحمد تيمور باشا ، 3 مجلد ، القاهرة ،  
67 - 1369 هـ ، وزيري 301 + 446 + 320  
190 ص .
- 20 - فهرست خزانة الصحف العربية ، المنطقية  
الحمامية :  
ت - محمد عزوز حكيم ، طهران ، 1953 م ،  
دار الطباعة الفرية .
- 21 - فهرست روضات الجنات في أحوال العلماء  
والسادات :  
ت - محمد باقر محمد تقي الفت أصفهاني ،  
أصفهان ، 1352 هـ ، رحلي ، 58 ص .
- 22 - فهرست كتابهاي جامعي عربي :  
ت خانبا مشار ، معجم للكتب العربية المطبوعة  
من عام 1324 هـ ، 1014 ص + 110 ،  
طهران 1344 هـ ، 1964 م .
- 23 - فهرست كتب خزانة الأدب (عربي) لاهور ،  
1927 م ، 147 ص .

- 39 - ذيل كشف الظنون :  
 ت - اغابزرك الطهراني ، 1293 - 1389 ،  
 ترتيب العلامة السيد محمد مهدي الخراسان ،  
 طبع في ذيل الجزء الثاني من كتاب هداية  
 العارفين عام 1967 طهران ، رحلي ، 116 ص .
- 40 - الضليلة في تشجير بعض البيوتات الجليلة .  
 كتاب يبحث عن النسب والأسر :  
 ت - اغابزرك الطهراني .
- 41 - هدية الرازي - الى الامام المجدد الشيرازي :  
 ت - اغابزرك الطهراني ، 1293 - 1389 ،  
 وزير صفي ، مط الاداب - النجف ، 1388 هـ ،  
 ط + 187 ص .
- 42 - قاموس رجال الحديث :  
 ت - آية الله السيد أبو القاسم الخوئي ،  
 ط ج 1 في النجف عام 1390 هـ ، وزير .
- 43 - قاموس الرجال :  
 ت - شيخ محمد تقي التستري ، قاموس  
 رجالي يبحث عن الرجال الثقة وغير الثقة ،  
 ط 13 مجلدا بقطع الوزير في مطابع طهران  
 1375 فما بعد .
- 44 - في اللغة ، قاموس اللغة الفارسية الى الفارسية  
 الفصيحة الى العربية :  
 للأستاذ محمد كاظم الملكي ، قاموس في اللغة  
 الفارسية والعربية . ط ج 1 عام 1383 هـ ،  
 النجف ، مط النعمان يبدأ من كلمة ( ا ) اي  
 ( تعال ) وينتهي بكلمة ( ايومن ) اي ( الميسن  
 او الباصرة ) 632 ص . وزير .
- 45 - قاموس الامكنة والبقاع التي يرد ذكرها في  
 كتب الفتوح . لجامه :  
 علي بهجت وكيل دار الانار العربية ، ط 1325 -
- ت - فضل الله بن شمس الدين حكيم الحي ،  
 ط في طهران 1315 هـ في 88 ص ، ذيل ج 2  
 من فروع الكافي .
- 33 - فهرست مكتبة آية الله الحكيم :  
 ت - الشيخ مهدي نجف ، ج 1 فهرست  
 مخطوطات مكتبة الامام الحكيم الواقعة في النجف ،  
 ط في النجف ، مط الاداب 1389 هـ ، قطع  
 الوزيري .
- 34 - مخطوطات مكتبة آية الله البغدادي :  
 ت - الشيخ محمد هادي الاميني ، قطع وزير  
 صفي ، مط النجف ، 1383 - 1964 ،  
 فهرست مخطوطات مكتبة آية الله البغدادي  
 الخاصة .
- 35 - الذريعة الى تصانيف الشيعة ( موسوعة ) :  
 ت - شيخ الباحثين اغابزرك الطهراني ، 1293 -  
 1389 هـ ، اكبر معجم لكتب الشيعة ، طبع  
 منه 23 مجلدا لمشرين جزءا في مطابع النجف  
 وطهران . طبع الجزء الاول عام 1355 هـ ،  
 وبقيت اجزاء مخطوطة هي الآن تحت الطبع ،  
 وزير .
- 36 - طبقات اعيان الشيعة ( موسوعة ) :  
 ت - اغابزرك الطهراني ، تتضمن تراجم اعلاه  
 الشيعة من القرن الرابع الهجري حتى القرن  
 الرابع عشر الهجري . ط 6 ج . وزير .  
 1373 - 1954 .
- 37 - مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال :  
 ت - اغابزرك الطهراني ، كتاب رجالي ط  
 1378 - 1959 ، المطبعة الحكومية بطهران .  
 وزير و + 626 ص .
- 38 - المشيخة او ( الاسناد المصفى ) :  
 ت - اغابزرك الطهراني ، كتاب رجالي .

54 - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء :

ت - العلامة الشيخ محمد حرز الدين ، ج 3 ،  
وزيري ، ج 1 ، 416 ، ج 2 ، 419 ، ج 3 ، 436 ،  
مط النجف - النجف 1383 - 1964 .

55 - توضيح المقال في علم الدراسة والرجال - :

ت - ملا علي الكني الطهراني ، 1220 هـ -  
1306 هـ ط 2 طهران ، رحلي ، 66 ص ،  
1302 هـ وط 1 1299 هـ .

56 - خلاصة الذهب في مشجرات النسب :

ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفي 1390 هـ  
( مخطوط ) ( عدة أجزاء ) .

57 - عقود التمام في أنساب بني هاشم :

ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفي 1390 هـ  
( مخطوط ) ( عدة أجزاء ) .

58 - نجوم السحر في أنساب البشر :

ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفي 1390 هـ  
( مخطوط ) ( عدة أجزاء ) .

59 - منية الطالبين في طبقات النساين :

ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفي 1390 هـ  
يري ، 304 ص ، مط الآداب ، نجف ،  
1387 - 1968 م .

60 - موارد الاتخاف :

ت - السيد عبد الرزاق كموه المتوفي 1390 هـ  
كتاب يبحث عن حياة النقباء الأشراف ، ج 2 ،  
وزيري ، 1389 هـ ، مط الآداب - النجف .

61 - مشاهد العترة الطاهرة وأعيان الصحابة والتابعين  
معجم على الحروف في أسماء البلدان التي فيها  
الأعيان والصحابة والتابعون :

ت - السيد عبد الرزاق كموه ، مط الآداب -  
النجف 1968 . وزيري ، 304 ص .

1906 م مط التقدم شارع محمد علي بمصر ،  
وزيري 216 ص .

46 - رجال العلامة الحلي :

نجف ، 1381 هـ ، وزيري ، مكتبة الحيدرية ،  
ط 2 ، 296 ص .

47 - رجال الكبير ، يبحث في منهج المقال .

48 - رجال الكشي :

أبو عمر ومحمد بن عمر الكشي ، 1317 هـ ،  
وزيري ، باهتمام شيخ علي محلاتي حائري ،  
392 ص . نجف مؤسسة الأعلمي . وقد علق  
عليه السيد أحمد الحسني ، 527 ص .

49 - تنقيح المقال في علم الرجال :

ت - الشيخ عبد الله بن محمد حسن الماحقاني ،  
المتوفي 1351 هـ في النجف ج 3 ، 49 - 1352 هـ ،  
رحلي ، 334 + 476 + 368 + 79 + 445 ص

50 - رجال النجاشي :

يبعث في فهرست أسماء مصنف الشيعة .

51 - رجال التصوير :

ت - محمد يوسف صمام ، مصر ، 1938 م .

52 - رجال السند والهند الى القرن السابع :

ت - أبو المعالي الطهر بن شيخ محمد حسن  
مباركوري ، بجبائي ، 1377 ، وزيري ،  
328 ص .

53 - رجال الخاقاني :

ت - الشيخ علي الخاقاني المتوفي 1334 هـ ،  
تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، وزيري ،  
430 ص ، وفي خاتمة الكتاب فوائد الوحيد  
البهبهاني 72 ص ، مط النعمان النجف 1388 هـ

62 - ماضي النجف وحاضرها :

ت - الشيخ جعفر آل محبوبة المتوفى 1377 هـ ،  
6 ج ط 3 ج ، وزيري ، ط 3 1378 - 1958 ،  
ج 1 ، 412 ص .

63 - فاجعة غراء طويريج في يوم العاشر من محرم  
الحرام سنة 1386 هـ :

ت - السيد صادق آل طعمة والحاج جاسم  
كلكاوي ، مط أهل البيت ، كربلا ، وزيري  
صغير ، 68 ص .

64 - خطباء منبر الحسين :

ت - حيدر المرحاني ، 6 ج ، ج 1 1949 م ،  
ج 2 1950 ، ج 3 1953 ، ج 4 1966 ،  
ج 5 1969 ، ج 6 1970 م ، طبعت جميعا  
في مطابع النجف الأشرف . وزيري صغير .

65 - فلاسفة الشيعة - حياتهم وآراؤهم :

ت - العلامة الشيخ عبد الله نعمة . منشورات  
دار مكتبة الحياة - بيروت - ط 1 وزيري ،  
631 ص . يحتوي على ترجمة حياة 12  
فيلسوفاً من فلاسفة الشيعة .

66 - أبصار العين في انصار الحسين :

ت - الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السحاوي ،  
طبع على نفقة المكتبة العربية ، مط الآداب ،  
النجف ، ط 2 ، وزيري صغير 160 ص .

67 - ادب الطف او شعراء الحسين من القرن الاول  
الهجري حتى القرن الرابع عشر :

ت - السيد جواد شبر ، ج 1 ، وزيري ،  
منشورات الاعلى - بيروت - 1388 - 1969 ،  
351 ص ، ج 2 ، وزيري ، دار الصادق ، 1970 ،  
342 ص ، ج 3 ، وزيري ، دار الصادق 1971 م

68 - البابليات :

ت - الشيخ محمد علي اليمقوبي ، في تراجم  
شعراء الحلة ، 3 ج - نجف - 70 - 1373 هـ ،  
وزيري ، 300 + 304 + 31 ص .

69 - انساب القبائل العراقية وغيرها :

ت - السيد مهدي القزويني المتوفى 1300 هـ ،  
ط 4 ، مط الحيدرية - النجف ، 1390 هـ -  
1970 م ، وزيري صغير ، 512 ص .

70 - ثقافة الرواة :

ت - آقا حسن الموسوي الاصفهاني ، ج 1  
1387 هـ ، مط الآداب - النجف ، 354 ،  
وزيري .

71 - دليل المملكة العراقية :

ط في عام 1936 م .

72 - دائرة المعارف - المسماة بمقتبس الأثر  
ومجدد ما دثر :

ت - الشيخ محمد حسين الشيخ سليمان  
الاعظمي المهرجاني ، طبع لحد الآن 22 مجلدا ،  
وزيري ، مطابع ايران .

73 - دليل القضاء الشرعي :

السيد محمد صادق بحر العلوم ، معجم للدليل  
القضايا الشرعية ، 3 ج وزيري ، 1375 هـ ،  
828 + 836 + 1035 ص .

74 - موسوعة الأعلام ، 10 مجلدات ، تتناول اعلام  
العالم العربي ومن لهم خدمة للقضايا العربية  
من المستشرقين :

ت - خير الدين الزركلي ولكنها مرتبة على  
الاسماء لا على الألقاب والكنى .

75 - الكنى والالقباب :

ت - المحقق الكبير الشيخ عباس القمي ط 30  
1389 - 1969 م منشورات المطبعة الحيدرية  
في النجف ، وزيرى ، ج 1 ، 454 ، ج 2 ، 498 ،  
ج 3 ، 374 ، فى نهاية الجزء الثالث مصادر  
الكتاب بقلم محمد هادي الاميني .

76 - الأوزان والمقادير :

ت - الشيخ ابراهيم سليمان العاملي البياضي ،  
معجم فى الأوزان والمقادير بحسب الحروف ،  
الفها من سنة 1356 هـ - 1361 هـ ، ج 1 ط 1  
مط الصور الحديثة ، لبنان ، 1962 - 1381 هـ ،  
وزيرى ، 168 ص .

77 - العقد المنير ، فى تحقيق ما يتعلق بالدراهم  
والدنانير :

ت - السيد موسى الحسيني المازندراني ،  
ج 1 ط 2 ، 1382 هـ مط الاسلامية ، طهران ،  
وزيرى ، مقدمة ( ك ) + 453 ص .

78 - جابرة العقل البشري :

ت - محمد اسماعيل كاشف الغطاء ، تراجم  
حياة نوابغ البشرية وخدماتهم - النجف ،  
1966 .

79 - انوار البهية :

ت - الشيخ عباس القمي ، يبحث الكتاب عن  
تواريخ الحجج الالهية وتراجمهم ، ط فى  
1344 هـ ، وزيرى صغير .

80 - المؤلفون الافغانيون المعاصرون :

ت - محمد عيسى القاسمي الافغاني ، القسم  
الاول من كتاب « الافغانيون فى التاريخ »  
يحتوي الكتاب تراجم وسير المؤلفين الافغانيين ،  
ج 1 مط النعمان ، النجف ، 1970 م ، وزيرى  
صغير 200 ص .

81 - دليل الطبخ والتغذية :

ت - نزيهة اديب وفردوس المختار ط 4 ،  
1968 م - 1386 هـ ، مط الارشاد - بغداد ،  
478 ص ، قطع رحلي مصور ، يبحث فى الطبخ  
والتغذية .

82 - دليل الآيات القرآنية :

اختيار السيد مرتضى السيد محمد مرتضى  
الرصنوي ، رحلي 72 ص ، « فى دليل تفسير  
الشبر » مط اليوسفية - القاهرة - ط 3 ،  
1966 م - 1385 هـ .

83 - البيان فى شرح غريب القرآن :

ت - قاسم بن الحسن محي الدين ، وزيرى  
ج 1 ، 168 ص ، ج 2 ، 216 ص ، مط العلمية فى  
النجف ، 1374 هـ - 1955 م .

84 - نيل الوطر ، من تراجم رجال اليمن فى القرن  
الثالث عشر :

ت - محمد بن محمد بن يحيى زيادة الحسن  
الصنعاني ، ج 1 ط القاهرة 1348 هـ مط  
السلفية ، وزيرى ، ج 1 ، 435 ص .

85 - فرهنگ نامه \ قاموس ، عربي فارسي :

ت - الدكتور علي نقى المنذوي ، ط طهران ،  
1337 ش ، مط الجامعة ، وزيرى 8 - 342 ص

86 - فرهنگ جامع \ عربي - فارسي :

ت - أحمد سياح ، 4 ج ، وزيرى طهران الى  
1962 م .

87 - شهداء الفضيلة :

ت - الشيخ عبد الحسين الاميني ، ( 1320 هـ -  
1390 هـ ) وزيرى - طهران - 1355 قمري ،  
412 ص .

88 - مشهد الامام :

ت - محمد علي جعفر التميمي ، معجم في البيوتات النجفية وتراجمهم ، 4 ج ، وزير ، 379 + 346 + 223 + 370 ص .

89 - الافصح في فقه اللغة :

ت - حسين يوسف موسى - جد الفتح الصميدي ، مط دار الفكر العربي ، ط رحلي صفير ، ط 1 1929 م ، ط 2 1962 م .

90 - هدية العارفين :

ت - اسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي ، يبحث في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، 2 ج استانبول 51 - 1955 م رحلي 842 + 164 + 574 .

91 - سماء المقال في تحقيق علم الرجال :

ت - كمال الدين حاج ميرزا ابو الهدى بن ابو المالقي محمد الكلبي ، مط . قم . 1372 ق ، وزير 302 ص .

92 - دليل الجمهورية العراقية :

الأستاذ محمود فهمي درويش والدكتور مصطفى جواد واحمد سوسه ، دائرة معارف ، علمية ، تاريخية ، جغرافية ، اجتماعية ، صناعية ، زراعية ، تجارية ، ط في 17 كانون الاول 1960 م في بغداد قطع رحلي 824 ص .

93 - ذيل كشف الظنون :

ت - اسماعيل باشا البغدادي .

94 - دليل الوطن العربي :

مجلات طبعت منها اعداد في بغداد ويقطع الوزير ، يبحث عن الدول العربية وحكامها ومناخها وشخصياتها ، طبع عام 1950 م .

95 - اتقان المقال في احوال الرجال :

ت - الشيخ محمد طه نجف ، ط في النجف .

96 - باب الابواب :

ت - س . اسماعيل سيد كاظم الحسيني المتوفى 1305 هـ يبحث في تراجم بعض العلماء المعاصرين ( مخطوط ) بخط المؤلف ، في مكتبة سيد ابراهيم بني هاشميان ، رامسر .

97 - نزهة الناظرين :

سيد اسماعيل بن سيد كاظم الحسيني المتوفى 1305 هـ يبحث في تراجم بعض العلماء والرجال « مخطوط » بخط المؤلف ، وزير ، مكتبة السيد محمد تقي السجادي .

98 - مفتاح الكتب الأربعة :

ت - سيد محمود 52 سرفي ، 4 ج معجم في حديث الكتب الأربعة الكافي - والتهديب والاستبصار - ومن لا يحضره الفقيه .

99 - مصادر الدراسة عن الشيخ الطوسي :

ت - محمد هادي الأميني ، وزير صفير ، مط النجف ، 1382 - 1962 ، يبحث عن الكتب التي تذكر حياة الشيخ الطوسي .

100 - الموسوعة الإسلامية :

موسوعة ليست اختصاصية في فرع محدد من فروع العلوم الإسلامية وكانت تطبع لحد عام 1966 م باللغتين الانجليزية والفرنسية وكان الاتحاد الدولي للمؤسسات العلمية يواصل أعماله في اعداد هذه الموسوعة التي يشرف على اعدادها منذ عام 1956 كل من البروفسور « برنارد لويس » استاذ تاريخ الشرق الأدنى والأوسط في مدرسة الدراسات الشرقية في لندن ، والبروفسور « شارلز بيلات » استاذ اللغة والحضارة العربية في جامعة باريس ،

والبروفسور « جوزيف شاخت » استاذ اللغة العربية في جامعة كولومبيا بنيويورك سابقا ، وقد صرح البروفسور « لويس » بانجاز الموسوعة بكاملها خلال العقد التاسع من القرن الحالي .

**101 - اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب:**

العلامة الشيخ محمد رضا الفراوي ، (1303 هـ - 1385 هـ) 33 جزءا . الجزء الثالث والثلاثون الى كلمة « شمشن » ج 1 ، وزيري مط الآداب

في النجف 1388 هـ - 1968 م ، تحقيق السيد احمد الحسيني .

**102 - كشف المطالب في كشف المطالب والآيات القرآنية :**

ترتيب الحاج السيد محمد بن سيد محمد علي خط طاهر خشنوين ، 1377 في 70 ص ، طبع مرارا في نهاية القرآن بطهران على احجام مختلفة .





# فَصَصْ مِنَ اللِّفَةِ

## الْحَمَاءُ وَحَيَاةُ وَفَنَاءُ وَفَنَاءُ...

الأستاذ عبدالحق فاضل

الخصيب ، ويتصورون المخلوق ويصورونه بتمام  
جثمانه وجميع أعضائه اعتمادا على موجيات تلك  
العظمة النخرة .

ومن غير انتقاد لهم أو تنديد بصنيعهم لأن هذا  
قصارى ما في وسعهم ، نصح اننا لا نبيع لنفسنا مثل  
ذلك في البحث اللغوي ، لأن المخلفات الباقية من  
اللغة أوفر بكثير من مخلفات الإنسان الأقدم البائد .  
وانما شأننا عكس ذلك . اذا وجدنا هيكلا لمخلوق  
لغوي تام الأعضاء ينقصه جزء يسير أبخنا لنفسنا  
استنشاء (2) ذلك الجزء المفقود من مقايضة الأدلة  
واستنتاج القرائن ، ولا سيما اذا عثرنا على ذلك  
الجزء المفقود في لغة أخرى .

قارننا يتذكر مثالا على ذلك ، انها كلمة ( آب )  
التي قلنا ( في عدد فارط من « اللسان العربي » وفي  
كتابنا « مغامرات لغوية » ) انها كانت تعني الماء في  
في العربية ، وهي ما زالت كذلك في الفارسية . فقد  
وجدنا اسلاف هذه الكلمة وأخلافها في العربية على  
نحو من المنطقية التطورية والوضوح حق لنا معه أن

كثيرا ما قلنا ، استطرادا ، ان اللغة العربية قد  
أضاعت الكثير من مفرداتها . فهذا أمر طبيعي ، لأن  
التطور اللغوي والتنقل البشري لا بد أن يؤديا في كل  
لغة الى إهمال بعض الألفاظ لحلول الفاظ أخرى محلها  
أو لانتفاء الحاجة اليها في الظروف الجديدة . يضاف  
الى ذلك فيما يخص عربيتنا عزوف جامعها المخلصين  
عن لغات الكثير من القبائل والمدن العربية لمخالطتها  
الاعاجم أو لمخالطتها من خالطوا الاعاجم . ولكم كانوا  
يأسروننا بجميلهم لو أنهم اهتموا بجرد لهجات كل  
القبائل والبلدان ثم نبهوا الى ما لا يحبهم بقولهم انه  
ركيك أو مشبوه أو مشكوك في نسبته أو ما شاءوا .  
اذن لكنت لدينا ثروة اضافية من اللغة أي ثروة .  
لكنهم لفرط حرصهم على سلامة هذه العربية وخوفهم  
أن يعم الخطأ نبذوا كل ما لم يتأكدوا من صوابه ، ولو  
أنهم لم يتأكدوا من خطئه أيضا .

وانظر الآن الى ما يصنع الانثروبولوجيون ، أي  
البشرانيون (1) . يجدون عظمة من جمجمة آدمي  
أقدم قد انقرض منذ عشرات القرون ، أو شظية من  
ساقه أو فكه، فاذا هم يستنتجون ما يستنتجون بالخيال

- (1) تقترح « البشرانيات » من البشراني أي المختص بالبشر ، بمعنى علم الإنسان أو علم البشر  
(anthropology) - على غرار « الأرضانيات » التي كنا اقترحناها بمعنى علم طبقات الأرض  
(geology) من الأرضاني أي المختص بالأرض .  
(2) « الاستنشاء » مصطلح آخر تقترحه مقابل (reconstruction) أي إعادة انشاء الهيكل أو  
الصورة استنساخا أو تخيلا . وهي كلمة تفتقر اليها العربية لكثرة ورودها في الآثاريات  
والمعماريات وغيرها .

نفترض انها كانت موجودة فى العربية بذلك المعنى ، حتى لو لم تكن قد بقيت فى الفارسية . لكننا على كل حال نحصر مثل هذه الاستنتاجات والافتراضات فى اضيق نطاق ممكن ونقصر اعتمادنا فى البحث اللغوي على اوضح القرائن واقواها تنزيها لهذا العلم - الترسيس - من التخبط والفوضى . وكم تحاشينا الاستشهاد بأمثلة وقرائن لفوية لافتقارها الى البرهان الناصع المقنع علميا ، بالرغم من اقتناعنا الوجداني شخصا بصوابها .

سنتناول هنا كلمة رسية بدئية فى العربية تفرعت منها كلمات اصبحت حلقات متسلسلة متشابهة مثل نسيج الدرع ، لكننا نفتقد الحلقة الثانية منها فى العربية ونجدها فى الفارسية كذلك وهي (لب - lab) : شفة . ونكاد نجزم انها كانت موجودة فى العربية ثم ضاعت وحلت محلها الشفة والشفر والمشفر والشفير والشفاء والحافة والصفة . . فكل هذه الالفاظ تقوم مقامها كلمة ( لب ) فى الفارسية .

اما الكلمة العربية الرسية التى نحن بصدددها فهي ( اللب ) زنة الدب ، التى نشأت من محاكاة صوت التهام ( لب ) البندقة أو اللوزة من قشرته بارتشاف الهواء بشدة وتلقى اللب باللسان والشفتين ، وهو صوت لا تستطيع أن تصوره بأحسن من ( لب lup ) ! فمن هنا سمي ( اللب ) فى العربية . ويبدو أن اللوزة بالذات هي الأصل فما زال المعجم جزاءه الله خيرا يتذكرها بقوله ان المرء ( لب اللوزة : كسرهما واستخرج لبها ) . بل ان اسم ( اللوز ) متطور من اللب فيما يبدو . ولأن اللب هو الجوهر المبتقى من أمثال هذه الثمار القشرية اطلقوا اسمه على العقل ايضا باعتباره لب الانسان وما عداه فقشور . ومن ( اللب ) بالضم ، صاغوا ( اللب ) بالفتح ، بمعنى الشفة بسبب الدور الذى تقوم به الشفة فى التهام اللب من داخل قشرة اللوزة . وهي الكلمة المفقودة فى العربية والباقية فى الفارسية كالذى المعنا اليه . ولدينا دليل لعل قارئنا ( اللبيب ) يوافقنا عليه هو كلمة ( لبيك ) التى تعني الاستجابة مع التكرمة - لنداء أو دعاء . وواضح أن هذه الصيغة ليست الا تثنية لصيغة ( لب ) ولو أن اللغويين لم يفتنوا الى أصل معناها . وأصل معناها هو اظهار المتكلم طاعته لأمير حاكم أو سيد أو عزيز ، وكأنه يريد أن يقول : سأصنع بأمرك ، أو أمنيكتك حالما تخرج من لبيك ، أي شفتيك . وفى الموصل ينطقون لبيك بحذف الكاف ( لبي ) ، بمعناها . ومنها فى الفصحى فعل : لبي لبي تلبية .

ومنها ( بلى ) بفتحين : حرف تصديق ، وبجاء غالبا جوابا لاستفهام . وينطقونها فى الدارجة العراقية بكسر اللام ( بلى ) بمعنى نعم ، البسيطة . و ( اللبلي ) بالعراقية : الحمص المسلوق يلتهمه الصبيان واحدة واحدة على الأغلب . ويقولون فى العراق كذلك عن طبيع الرز ونحوه من النواشف إذا كثر ماؤه فتعجن أو الحساء إذا قل ماؤه فتكتف أنه صار ( لبه - lappah ) ولا ندري هل هي مقتبسة من الفارسية أم منحدره من لهجة عربية قديمة .

فهذا الذى مر بنا يقنعنا علميا بمروبة ائل ( لب ) وهي لم تتسرب الى الفارسية فقط بنفس صورتها العربية بل الى لغات أوربية أخرى بمعنى الشفة أيضا ، فى الانكليزية مثلا بصيغة ( lip ) وفى الفرنسية بصورة ( lèvres ) ، وفى كليهما ( labial ) : شفهي . وانما بقيت ( لب ) على حالها فى الفارسية لقربها من العربية بينما تطورت وتحورت قليلا أو كثيرا فى الآريات الأخرى بسبب بعد الشقة وتفاعلات الهجرات والظروف .

ونظنهم أطلقوا ( لب ) - بالضم - على حالات أخرى من الالتهام وتناول الطعام . ثم استعملوه بمعنى الرضاع عند ملاحظتهم التقام الوليد ثدي أمه بشفتيه بعد الولادة توا ، دون سابق تعلم . ادهشهم ذلك كما لا يزال يدهشنا ، وأحسبهم حكوا التهامه الشدي مبالغين فى التقليد بقولهم ( لب lup ) ! ثم نشأت من الصيغة المفتوحة أو المضمومة كلمة ( اللبأ ) - بالكسر ، زنة العنب - بمعنى الحليب اللزج الصمغي الذى يدره ثدي الأم بعد الولادة فيرضعه الوليد أول شيء . وهذا يؤيد قولنا ان الكلمة صيغت من استفراهم تلقائية الرضاع الأول . وما زال أثر تلك الدهشة باقيا فى معجمهم حيث يقول : ( البأ ) الجدي : رضع من تلقاء نفسه !

وقالوا ( لبأت ) الأم ولدها ، بمعنى أرضعته اللبأ . ومن ذلك صاغوا اللبأة ، واللبءة ، واللبوءة ، واللبوة ( بكسر اللام ) ، واللبة ( زنة الشفة ) ، واللبأة ( زنة الحماة ، رعاها الله من لبأة ) ، واللب ( زنة اليد ، أي بتخفيف الباء ) - بمعنى أنثى الأسد ، لأنها ترضع صغارها ، خلاف زوجها الذكر . والظاهر انهم اطلقوا هذه الأسماء ، أو بعضها ، أو أكثر منها ، على اناث كل الحيوان ، كما نقول اليوم ( الحيوانات

اللبونة ) ، ثم تخصصت بانثى الأسد . وصيغة (اللبونة) من اللبن تشبه صيغة ( اللبوة ) من اللبأ . يؤيد ذلك أن (lupa) تعني باللاتينية ومن ثم بالاطالية : ذئبة . والحاقا بها سموا مذكرها الذئب :  
(L. (lupus و It. (lupo) كذلك الأمر في الفرنسية (loupe) : ذئبة و (loup) : ذئب . وربما كان منها في الانكليزية (wolf) : ذئب .

وكما شمل اسم الذئبة اسم الذئب الذكر في بعض اللغات كالذي رأينا ، يلوح لنا أن اسم اللبوة أيضا قد شمل الأسد ، الذي صار يدعى (leo) و (lion) . ولعل ذلك قد تم في المعربة فان هاتين الصيغتين تشبهان صيغة ( ليث ) التي تعني الأسد أيضا .

ومن اللبأ أو اللب - بالفتح - صيغ ( اللببن ) الذي كانوا يعنون به الحليب كما لا يزالون في مصر ، لكن معناه في سائر لهجات الشرق الأوسط هو الحليب الرائب ، وفي المغربية : الحليب المخيض أي المأخوذة زبدته .

ومن ذلك صيغ (اللبان) - زنة اللسان - بمعنى الرضاع ، و ( اللبان ) - زنة الفؤاد - صمغ شجرة معينة ، تشبها له بلبن الأنثى ، ثم صار يطلق على الصمغ الذي يعلك والمعروف بالمصطكى . واللبان بالمصرية يعني العلك عامة أصمغا كان أم شيئا آخر . و ( لبن الشجرة ) أنة كانت هو في المعجم مأوها على كل حال . والمعتول أن يكون قد اطلق أولا على نسغ نوع من الشجر يسيل مأؤه ابيض كاللبن مثل شجرة التين ، ثم عم فشمّل كل الأشجار . ثم صار ( اللبان ) - زنة الحنان - يعني موضع ما بين النهدين ، ثم الصدر عموما ، للأنسان والحيوان . ووجود نديي أنثى الإنسان في صدرها يدل على أن هذه التسميات المختلفة أطلقت أولا على الإنسان ثم انتقلت الى الحيوان ، أي أن الرضاع التلقائي أدهشهم من الولد الإنسان قبل الولد العنز ، ولا سيما أن الماعز لم يستأنس إلا بعد آيام . أي أنهم طفقوا طوال تلك الاماد يقولون ( البأ ) الوليد البشري بمعنى رضع من تلقاء نفسه الى أن عرفوا الجدي فتقلوها اليه . ولا بد أنهم كانوا يستعملون لمعنى ( الرضاع ) بوجه عام صيغة أخرى .

ومن اللبن جاءت تسمية جبل ( لبنان ) لان الثلج لا يبرح بعض قممه فتبدو حتى في الصيف بيضاء ، كاللبن ، وهو ما يعترف به المعجم . وقد سماه الاغريق

والرومان (Levant) ، مما يدل على أنه كان يسمى ( لبنان ) أو شيئا من هذا القبيل زمانئذ ، وخاصة أنه يدعى بالفرنسية (اللبان Liban) . ثم صارت (levant) تعني الشرق أيضا ، وهي ما زالت كذلك في اللغات الأوروبية الحديثة ، لأن لبنان يقع شرقي أوربا .

والآن وقد اتضحت علاقة الكلمة بالرضاع والصدر نعود الى ( اللب ) - بالفتح - فنقول انهم اشتقوا منها أيضا بعض المعاني الصدرية . فاللبنة ( زنة الحبة ) واللب ( زنة الحبيب ) يعنيان موضع القلادة من الصدر . وقالوا ( أم لبنة ) : محبة عاطفة ، أي مثل الأم المرضع الرؤوم ، ثم استعير المعنى للرجل فقيل ( هو لبس على الأمر ) : ملازم له ، تشبها بملازمة الأم المرضع وليدها .

ومن اللب صيغ ( التليب ) وهو ما في موضع اللب من الثياب ويعرف بالطوق على تمبير المعجم - وهو حاشية فتحة الصدر من التوب . ونحن بحاجة الى هذه الكلمة عسريا في دنيا الملابس التي نحار في تسميتها . ومن ذلك قيل ( لبنت الرجل ) : أخذت بتليبه ، والاستعمال الشائع حديثا : أخذت بتلايبيه ، بصيغة الجمع .

أما ( اللور ) - بالراء المهملة ، زنة البوق - التي تعني اللبن المتوسط الصلابة بين الجبن واللبن ، فنموذج آخر من تشعب الصيغ وتفرع المعاني . وهي كلمة أخرى نحتاج اليها في دنيا الأكل .

على أن الميدان الأوسع لنشاط هذه الكلمة - لب - انفسح حين صدورها بالحاء فصارت ( حلب ) أي لبن وزنا ومعنى . وفعل ( الحلب ) أي استخراج اللبن من الضرع نشأ منه ( الحليب ) أي اللبن المحلوب .

من الطعوم اكتشف اثنين من منتجات الحليب : الحلو والملح . أما ( الحلو ) فنظنهم قالوا أولا ( حلا يحلو ) من قولهم ( حلب يحلب ) بمعنى طاب وساغ مذاقا ، كالحليب . ولما كان الطعم السكري المعروف أطيب الطعوم والأدها خصوصا عند الصغار فقد صارت ( الحلاوة ) تطلق على هذا الطعم خاصة وعلى كل مستلح أو جميل عامة . ومنها بالدارجة صيغة ( حلوبة ) . وأما ( الملح ) - آخر أبطال عنوان قصتنا اللغوية هذه - فقد جاءت تسميته من لونه ، لأن ( المملحة ) أي منجم الملح ، تبدو في البرية من بعيد ناصعة البياض كأنها بقعة من الحليب .

ومن الملح نشأ ( الملح ) أي البريق ، استعارة من شدة بياض الملح في الفلاة . ونطقها بعضهم بالعين فنشأ ( اللع ) فقالوا لمح البرق ولمع ، بمعنى . ومن الملح صيغت ( الملحمة ) وهي النظرة السريعة كأنما شبهوها بومضة البرق ، وبقي في المعجم من ذلك قوله : لمحت الشيء ، أو الى الشيء : أبصرته بنظر خفيف .

وما زالت بعض صيغ اللع وثيقة الصلة بالحليب وما يتفرع منه من معان ، مثل ( لمع ضرع الناقة ) : تلون عند نزول الدرة فيه ، و ( الممت الفرس ونحوها ) : اشرق ضرعها واسودت حلمته ، و ( الممت الأنثى ) : تحرك الولد في بطنها .

ولا بد من تذكير القارئ بأنه لم تكن هناك لجنة لغوية تولد الألفاظ وتصنف المعاني وتوزع المعاني ، أو أن هناك أحدا أو قبلا فعل ذلك عن عمد وحسن اختيار . وإنما هي اختلاطات تعبيرية منشؤها ظهور صيغ جديدة بسبب الخطأ في النطق ومعان جديدة بسبب الخطأ في الفهم . وتصيح الصيغ الجديدة أول امرها مرادفات للصيغ القديمة التي منها نشأت ، ثم يتخصص بعضها بمعان أخرى قريبة من المعاني الأصلية أو بعيدة عنها بسبب مشابهات أو ملائسات قد تكون وجيهة معقولة وقد تكون واهية وقد تكون مضحكة . والتعمد الوحيد في الأمر هو استعارة بعض المعاني على المجاز أو التشبيه ثم يندو المجاز حقيقة والتشبيه أصلا .

أما الصيغ الثلاث ( ملح وملق وملج ) التي قلنا أنها نشأت من ( ملح ) ومعناها الرضاع ، فالظاهر أنها كانت تعني الحليب كذلك بدليل الإنكليزية ( milk : حليب ) . وهي أشبه بصيغة ( ملق ) . ولعل ( ملك ) أيضا كانت تعني الحليب في العربية ذات زمان . وقد بقي من آثارها ( تملك البعير ) : لوى لحبيه وتلمظ ، و ( اللماله ) - زنة السحاب : الشيء مما يذاق .

وكانت هذه الصيغ ( ملح ، ملق ، ملج ) مترادفة المعنى أول الأمر تعني عموم الرضاع ثم تخصصت كل واحدة منها بنوع منه ، فصارت ( ملح الصبي ثدي أمه ) تعني على قول المعجم : تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها ، و ( أملتجته أمه ) : أرضعته ، و ( أملتج ما في الثدي ) : امتصه ، و ( المليج ) : الرضيع . أما ( الملق ) فيعني عموم الرضاع لولد الإنسان ، وأما ( الملع ) فاخص بولد الناقة حيث قالوا ( ملع الفصيل أمه ) : رضعها .

ولا نشك في أن ( ملح ) كانت تعني ( حلب ) في وقت من الأوقات ثم اختصت ( بالملح ) - المادة المعروفة المستعملة في تطيب الطعام ، لأن ( ملح ) هذه نشأت منها أفعال : ملح وملق وملج ، التي تعني الرضاع ، وسنتحدث عنها بعد . ومن هذا الطيب الذي يحدثه الملح في الطعام قالوا ان الفتاة ( مليحة ) أي حسناء ، أو بالحري ( جذابة ) بالتعبير الحديث ، لأن ( الملاحه ) غير الجمال . ومن ذلك قول مصعب بن الزبير عن زوجته حين احتكما إليه : « عائشة أجمل وسكينة أملح » . فقالت سكينة : « لقد قضى لي والله ! »

و ( المليح ) بلغة الموصل يعني الجيد من كل شي . أما في سورية فقل من ينطقه كذلك فالأكثر ينطقونه بالنون ( مئيج ) - مع تسكين أوله . وفي الموصل - أيضا - يقولون عن الشخص أنه ( يتملج ) بمعنى يتظرف ويماحك .

ومن الملح كذلك صيغت ( الملحمة ) - زنة الفرفة وهي النادرة من الكلام يتفكه بها .

وبعضهم قلبوا الملح فنطقوه ( المحل ) - زنة الوحل - وتخصصت هذه الصيغة فيما بعد بمعنى الأرض القاحلة ، لأن الأرض الرسوبية التي انحسر عنها البحر تكون ملحية تظهر آثار ملوحتها على وجهها . والأراضي السبخة من هذا النوع لا تصلح للزراعة دون غسلها من الملح ، وقبلما ينبت فيها زهر أو عشب ، فهي من ثم ( مملحة ) أي ( مملحة ) . ثم عم استعمال ( المحل ) فشمل كل أرض قاحلة .

وربما كان من هذه المادة ( الوحل ) و ( القحل ) أيضا . أما ( الوحل ) فإن الأرض الرسوبية رخوة تغدو ( موحلة ) تفوص فيها الأقدام غب المطر ، لأنها متكونة من تراكم الطمي في الماء الملح ، خلاف الأرض الكلسية الصلبة . وأما ( القحل ) فقريب المعنى من ( المحل ) . وفي الموصل - التي لا أدري لماذا كثر تردد الاستشهاد بلفتها في هذا الحديث - يقال عن اللون أنه قد ( قحل ) - بتشديد الحاء - إذا حال وتغير إلى ما يشبه لون الأرض السبخة التي تظهر فيها آثار الملح . فهذا يؤيد العلاقة بين ( القحل ) و ( المحل ) و ( الملق ) . ومن هذا المعنى أيضا ( الأملج ) . بالجيم المنقوطة : القفر لا نبات فيه . وهذا واحد آخر من الأدلة على تعدد الصيغ مع اختلاط المعاني ، وسنعود كما وعدنا إلى بيان علاقة ( الملح ) بالرضاع والحليب .

الرضيع ثدي أمه ، فى الغاب ؟ ما أعجبهما صلة .  
وامثالها كثير .

نعود الآن الى الحليب .

قالوا ( تحلب العرق ) : تفصد ، و ( تحلب فمه ) :  
در لعابه . و ( الحالبان ) : القناتان اللتان يتحلب فيهما  
افراز الكليتين نازلا الى المثانة .

ومن الحليب أيضا صيغ ( الاحليل ) : مجرى اللبن  
فى الثدي ، والأغلب أنهم كانوا ينطقونه ( الاحليب )  
أول الامر ، ثم اتبعوا الباء باللام ، على غرار صنيعهم  
باسم ( قايين ) مثلا نطقوه ( قابيل ) اتباعا له باسم  
هابيل . وعلى المجاز اطلقوا ( الاحليل ) على آلة الرجل  
باعتبارها مجرى ما يشبه اللبن من النطفة .

وواضح أنهم قالوا ( حلم يحلم ) بمعنى ( حلب  
يحلب ) ومن هنا صيغت ( حلمة ) الثدي . وعندها  
قالوا ( حلم ) الصبي و ( احتلم ) بمعنى أنه بلغ ما  
نسميه سن الرشد ، وكأنهم قصدوا ان يقولوا انه  
( حلب ) أو ( احتلب ) لأنه يرى أول رؤيا جنسية ينزل  
فيها ماؤه الحليبي . ومن ثم صار ( الحلم ) - زنة  
الشكر - مرادفا للرؤيا بوجه عام من جهة ، و ( الحلم )  
- زنة الرئم - يعنى العقل والحصافة أي ضد الطيش  
والسفه من جهة أخرى ، باعتبار الصبي قد بلغ مبلغ  
الرجال ونفض عنه جمالة الطفولة ، وصار ( الحلم )  
من جهة ثالثة مرادفا للأنانة ورحابة الصدر لان  
الحصيف العاقل هو الذي ( يحلم ) عن السفهاء ، فهو  
( حلم ) . وهذا هو المعنى الشائع اليوم للحلم  
والحليم ، فقد ندر من يستعملهما فى غير الشعر  
بمعنى العقل والعاقل .

اما ( الاحتلام ) فنطقه بعضهم ( الاغتلام )  
فشاعت هذه الصيغة ثم اختصت بمعنى هياج  
الشهوة . ومنها اشتقوا ( الغلام ) الذي هو أصل  
الاحتلام وممثل شدة الشهوة معا - وهو البطل الثالث  
لعنوان قصتنا هذه . ثم صار ( الغلام ) يعنى الخادم  
والعبد ، وعمموا التسمية على الانثى فسموها  
( غلامه ) . ومن الغلام صيغت ( الغلطة ) : الشبق .  
ومن ثم سموا ذكر السلاحف ( الفيلم ) كناية عن  
شبقه .

وقالوا ( حبلت ) المرأة بمعنى حملت  
جنينا فى رحمها . ذلك بأن الحليب يتكون  
فى ثدي ( الحبلى ) . فصار قولهم ( حبلت )

لكننا لا نعتمد على دقة هذه التقسيمات التى نقلها  
اللغويون عن عرفوا من القبائل فالأغلب أن قبائل  
أخرى كانت تعمم من هذا بعض الخاص وتخصص  
بعض العام ، على نحو آخر .

ومن ( الملق ) نشأت صيغ ( لقم ) و ( التقم )  
و ( لقمة ) .. ومن ثم ( لقن ) و ( تلقين ) و ( لقانة ) ..  
و ( لهم ) و ( التهم ) و ( ألهم ) و ( الهام ) ..

وهذه الألفاظ الرضاعية الثلاث ( ملج ، ملق ،  
ملع ) قلبوها وأبدلوا حروفها كرة أخرى فنشأت منها  
صيغ مثل : ( لمظ ) و ( تلمظ ) . أما ( اظماظة )  
- بضم اللام - فهي بقية الطعام فى الفم . وقلبوا  
( ملج ) فقالوا ( لمجت الشيء ) : أكلته بأطراف الفم  
( أي مثل ملج الصبي ثدي أمه ) . و ( اللمجة ) - زنة  
المضغة - ما يتعمل به قبل الطعام ، وهي كلمة جاهزة  
تصلح ان نطلقها على ( الأوردوفر hors-d'œuvre )  
الذي اختلف وتحير اللغويون فى تسميته .

ثم ان الاعارب قلبوا ( لمج ) أيضا فنطقوها ( لجم )  
ومنها صاغوا ( لجام ) الحصان . ويقولون - اللغويون -  
ان اللجام مقتبس من الفارسية ( لكام - lagam )  
وها أنتم ترون ان العكس الصحيح .

وقبل أن نتجاوز ( ملق ) التى نشأت منها ( لقم )  
ونودعها الى غير رجعة ، نقول أنهم تناولوا ( لقم ) هذه  
وصنعوا لها راسا فصارت ( حلقم ) ومنها ( الحلقوم ) ،  
ثم قطبوا لها ذيلها فصارت ( الحلقى ) ومنه صاغوا  
( الحلقة ) . ولما كانوا فى الجاهلية ، وما يزال بعض  
القرويين ، يتركون دائرة من الشعر فى وسط رأس  
الصبي حين يزيلون شعره ، صاروا يقولون ( حلققت  
الصبي ) - بتشديد لام حلققت - بمعنى صنعت له  
( حلقة ) من الشعر فى رأسه . ثم صار ( التحليق )  
يعنى إزالة الشعر بوجه عام ، ثم خففوا فعل ( حلق  
تحليقا ) فنطقوه ( حلق حلقا ) أيضا . ويلوح ان الصيغة  
المشددة كانت أشيع على العهد الجاهلي .

لكن كيف صار ( التحليق ) يعنى الارتفاع ؟ يقول  
المعجم ان ذلك ناشئ من طيران الحمام على شكل  
دائرة فى الفضاء ، فشبهوه بتحليق الشعر فى رأس  
الصبي . لهذا كان قولك ( حلق الطائر ) يعنى انه جعل  
يدور فى طيرانه . لكننا نرجح ان تحليق الطائر جاء من  
معنى ( الحلقة ) عامة لا من حلقة رأس الصبي خاصة .  
ثم صار التحليق يعنى الامعان فى الارتفاع .  
فأين تحليق الطائرة اليوم فى أجواز الفضاء من التقام

المرأة يعني انها ( حبلت ) ، والمصدر هو ( الحبل ) - زنة الامل . و ( الحبل ) هي الثانية من ابطال عنوان قصة ( لب ) .

وبعضهم نطق ( حبلت ) المرأة بالميم وتغيير الحركة فقال ( حملت ) ومن ثم سميت الحبل ( الحامل ) أيضا . وعندما ولدت جنينها قالو وضعت ( حملها ) . وسمي الوليد ( الحمل ) - زنة الامل أيضا - ثم اختصت هذه الصيغة بولد الشاة ، وبقي ( الحمل ) - زنة الحول - يعني الجنين ما دام في بطن أمه . وعلى التشبيه سموا ثمرة الشجرة (حملها) ما دامت عليها . ثم صار ( الحمل ) - زنة الفرد - يعني الثقل الذي ( يحمله ) الانسان ايا كان نوعه . فعندئذ ظهر ( الحمال ) اول شخص قصتنا هذه اللغوية الغرامية الاحيائية مع ابعادها الاجتماعية والاقتصادية . ظهر ( الحمال ) من ( الحبل ) . وشتان بين حمل هذه في بطنها وحمل هذا على ظهره

ويلوح ان الصيغتين البائية والميمية - الحبل والحمل - قد تعايشتا عهدا طويلا كما هي المادة الغالبة عند ظهور صيغ جديدة محرفة عن صيغ سابقة وعلى هذا نرجح ان الحمال كان يدعى ( الحبال ) أيضا اول الامر ، فلا بد ان يكون ( الحبل ) - زنة الحمد - قد اخذ معناه من ( الحبال ) - زنة الحلاق - لا من ( الحبل ) ، لانه هو الذي يربط حملسه على ظهره ( بالحبل ) . ومن تعايش الصيغتين البائية والميمية اشتقوا ( الملاح ) من الحمال ، بمعنى الحبال - زنة الحلاق . نقول هذا لان العلاقة الوحيدة بين الحمال والملاح هي ( الحبل ) يستعمله الاول لربط حملة على عاتقه والثاني لسحب السفينة مع رفاقه

عند مسيرها قرب الشاطئ ضد التيار أو الريح . من بقايا ذلك سوق بالموصل - أيضا - تدعى ( سوق الملاحين ) كان لها شأن ايام القوارب والسفن النهرية - تباع فيها الحبال ، وهم يسمونها ( سوق الحبالين ) كذلك ، مما يدل على ان الملاح كان يسمى ( حبالا ) ، فلو كان القصد من التسمية الثانية للسوق هو الحبال - زنة الحبال - لسموها سوق ( الحبال ) بدل سوق ( الحبالين ) . ولا نعلم ان كانت هناك فى دارجات عربيات اخريات كلمة ما تزال توحى بالصلة بين الملاح والحبال .

من بعض هذه الالفاظ التي تقدم ذكرها نشأت الفاظ كثيرة اخرى ذات معان اخرى تبعد شيئا فشيئا عن معانيها الاصلية بحيث لا يمكن التعرف عليها الا بالمعاني والمباني المتصاقبة بقودنا بعضها الى بعض . والمعجم زاخر بها .

فهذه باختصار هي قصة الحمال والحبل والملاح والحليب والملح وملاحة الفيد الحسان وملاحة البحار ثم الهواء ثم الفضاء ولبنان والفيلم والالمية والوحد والحلوى وسوق الحبالين والتلفظ والتلق واللوة والالهام وحلمة النهدي .. وخاتمة لبيك ...

فمن كان يتصور ان كل هذه الالفاظ وكثيرا غيرها من التفرعات التي تكمل اللغة وتزيد ثروتها .. ترجع الى ام واحدة صغيرة هي : ( لب ) ؟ لم يصادف أحد ، غير السندباد البحري في مغامراته السبع ، امثال هذه القرائب والمفارقات التي صادفتنا فى رحلتنا هذه الصغيرة فى اقطار المعجم العربي .



# العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة

الدكتور عبد العزيز السيد  
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم  
(القاهرة)

قام الاستاذ عبد العزيز السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية بزيارة استطلاعية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ما بين 17 - 22 \ 6 \ 1971 قصد الوقوف على المنجزات التي حققتها المكتب الدائم والمشاريع التي ينوي تنفيذها والمشاكل التي تعترض طريقه في سبيل تحقيق اهدافه .

وقد اقام المكتب على شرف سيادته حفلات استقبال نوه السيد المدير العام خلالها بالروح الاسلامية السامية التي تتوفر في جميع موظفي المكتب واشاد بدورهم الطليعي في خدمة اللغة العربية والعودة بها الى اصلتها وامجادها ، وقد ارتجل سيادته كلمة قيمة نلخصها فيما يلي :

والحقيقة انني لم اكن اعرف مدى حاجتنا للتعريب، الا حينما زرت بلدان المغرب العربي هذه الزيارة التي جعلتني اشعر بجلال المهمة الملقاة على عاتق مكتبكم وضرورة التعجيل بالتعريب والعمل على نشر اللغة العربية لان وحدة الفكر واللغة هي التي ستجعلنا نقف على ارض صلبة من الفكر وهي اولى خطوات التقدم في العصر الحديث ، وليس معنى التقدم ان تقلد غيرنا ونستورد الافكار من سوانا . فهذا ليس من شيم العرب الذين هم من المنشئين الاول للحضارة الانسانية ومن واضعي اسسها التي ما زالت اصلتهم موجودة وتراثهم قائما يشهد بمعظمهم وفضلهم على الانسانية جمعاء ، وكل ما تنطوي عليه الحضارات المعاصرة من قيم انما هي في الاصل مستقاة من الحضارة العربية والاسلامية ، وان اول من عرف العقيدة العالمية هم

ايها الاخوة . لقد سررت كثيرا بهذا اللقاء الاخوي ، وهذه الزيارة الكريمة التي مكنتني وستمكنتني من ان اراكم وارى اعمالكم التي عرفت في الحقيقة وسمعت عنها الكثير قبل ان اتولى شؤون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقبل انضمامي اليها، لقد عرفت اعمالكم واعجبت بها منذ كنت في الجمع اللغوي بالقاهرة ، فمنذ ذلك الحين وانا اتابع باعجاب المجهودات الجبارة التي يقوم بها هذا المكتب لخدمة اللغة العربية والمصطلح العربي .

وحينما رايتكم واطلعت على اعمالكم عرفت انكم موفقون في اعمالكم لا ريب ، وانكم لا تبادلون الفكر فقط ولكن تتبادلون كذلك الاخلاص والوفاء والتفاني في العمل مما يزيدنا ثقة واثمنا ان هذا المكتب سوف يحقق ما نبتغيه ان شاء الله .



بمبادئهم وأفكارهم واستغلالها في الصناعة والتقدم العلمي لما كنا الآن نعيش هذا التأخير ، ويجب ان نعد انفسنا الى الدور الفعلي نحو توحيد صفوفنا وتحقيق اهدافنا ، وبهذا تكون قد ادينا واجبنا على احسن ما يرام . واني لا ادعو الى معاداة الحضارة الغربية ولكن ينبغي علينا أن نفتح أعيننا جيدا للتأكد من كل شيء .

ونحن عندما نتحدث عن الاسلام فاننا لا نقطعه عن العربية ولهذا فان العربية تحتل المكانة اللائقة بها في نفوسنا وبين اللغات لانها تجمع بين قداسة الدين وبين الدنيا ، لانها لغة التخاطب ولغة الفكر وهي التي تجمع كل هذا من بين جميع اللغات ، وانا لا اعرف لغة أخرى يعتز بها أهلها مثل اللغة العربية ، ذلك لانها جمعت بين الدين والدنيا كما قلت ولانها لغة الفهم والحضارة والفكر والمعرفة ، ولهذا لم يكن غريبا علي ان اجد في المغرب العربي الشعور بالحاجة الى التعريب والعربية ، لانه قد حان الوقت بالنسبة لهذا الجزء من الوطن العربي ولاهله أن يعملوا على تطوير لغتهم ولغة آبائهم واجدادهم وربما كان هذا هو السبب الذي جعل أقطار المغرب العربي تنهض وتعلن معركتها من أجل التعريب ومن أجل العودة الى لغتها وحضارتها وامجادها .

وختاما ايها الاخوة اقول انني لا اريد ان اعرف كيف تعملون ، لانني ارى كل ذلك في عملكم وانتاجكم وفي كل ما تنشرون وكل ما اقوله لكم انني احببكم وابارك عملكم واتمنى لكم كل تقدم وتوفيق في هذا العمل العظيم . واني لوائق انه في زيارتي القادمة ان شاء الله سأجد تقدما اكثر وانتاجا اكبر والسلام عليكم .

المسلمون ، وهذا لم يكن تشريعا وضعيا ، بل كان جزءا من عقيدتهم . فالمسلمون جميعا وحدة متراسة ، أي ان الفكرة العالمية هي اصلا فكرة اسلامية ، ثم ان دولة الرفاهية هي دولة اسلامية وعربية . لقد كانت في الاديان الاخرى هوة بين الحاكم والمحكوم ، اما في الاسلام فلاول مرة منذ قرون الفيت تلك التفرقة وزالت تلك الهوة ، بل ان الحكم في الاسلام كان ينسب على التعاون والتفاهم ومبدأ الشورى والديمقراطية .

لقد عزفت المسيحية عن الدنيا فجاء الاسلام ليجمع بين الدين والدنيا وليحقق ما لم يكن معروفا من قبل الاديان الاخرى .

والنظر العلمي والبحث العلمي انما هو دعوة اسلامية صريحة فليس هناك شيء واجل من القرآن الكريم الذي هو اساس النظريات العلمية والبحث العلمي . ان ما يفخر به الغرب الآن من علم وتكنولوجيا كانت اصول الدعوة اليه موجودة اصلا في القرآن .

اننا ايها الاخوة لم نتخلف الا حينما غابت عنا كل هذه الحقائق وكل هذه المبادئ التي التقطها منا غيرنا واقام بها حضارة وتقدما . ولو نظرنا الى الحضارة الغربية والتقدم الغربي لوجدنا ان تلك الحضارة اخذت تنجح الى الخراب والفساد بعد ان اخضعت العالم لمدد طويلة لمذهب من القوة والعنف .

انني لا انكر على الحضارة الغربية نضج العقل والفكر ، ولكني انكر عليها جنوحها الى الماديات وفساد الاخلاق .

ولو استطاع العرب في عصورهم الذهبية تحت ظل القرآن الكريم وهديه ، والاسلام وقواعده الاحتفاظ

# مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع

## كلمة الدكتور ابراهيم مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة

دعنا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة الى مؤتمر تبحث فيه مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع ، حضره مندوبون عن جميع البلاد العربية وبعض الملاحظين من خارجها ، دام من يوم 3 مايو 1971 الى 8 مايو ، افتتحه معالي وزير الثقافة بكلمة ترحيبية وتلاه سعادة رئيس المجلس الأعلى المذكور الاستاذ يوسف السباعي بكلمة مشابهة ، ثم تقدم رئيس المؤتمر العالم الجليل السيد ابراهيم مدكور فالقى كلمته الجامعة وانفرع المؤتمر الى لجتين احدهما تخصصت ببث المصطلحات الفلسفية وثانيتها تخصصت بدرس مصطلحات علم الاجتماع . ومثل المكتب الدائم لتنسيق التعريب كبير الخبراء الدكتور ممدوح حقي والقى كلمة الختام لهذا المؤتمر الذى توصل الى الاتفاق على نحو الفى مصطلح حملها العلماء والفلاسفة المؤتمرون الى جامعاتهم لتطبيقها فى محاضراتهم ومؤلفاتهم . وقبيل انقضاء المؤتمر رسميا اجتمع الاعضاء على تكريم الرئيس الدكتور مدكور بمناسبة بلوغه السبعين من عمر قضى اكثره فى خدمة اللغة ، وتشكلت لذلك لجنة راسها عميد الفلسفة الدكتور عثمان امين واتفقت على نشر مقالات مبتكرة تهدى اليه وتجمع فى كتاب خاص بهذه الذكرى . ونحن ننشر فيما يلي الموضوعين الافتتاحي والختامي للدكتور مدكور والدكتور حقي ، كما تقدم كتاب « المقولات العشر » وهو مخطوط غميس يحقق وينشر نقلا عن خط مؤلفه نفسه لأول مرة ويهدى الى الدكتور مدكور بمناسبة الذكرى السبعين .

الاسلامية منذ القرن الاول للهجرة فى تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات فى الفقه والتفسير والكلام ، وتلنها اخرى فى الاخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فلما وتطور على مر الزمن ، وعول واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بان يكون عربيا أصيلا ، او معربا دخيلا ، وربما آثروا المعرب اذا كان ادخل فى المعنى واكمل فى الاداء وكثيرا ما يحمل التعريب شارة الاصل الذى تقل عنه ،

سيدي الرئيس ، سادتي .

العلم لغة احكم وضعها ، ولا حياة له بدونها ، يلتقي عندها العلماء ، ويعمل عليها الطلاب ، وعلى اساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ، وتاريخ العلوم الى حد ما تاريخ للغتها ومصطلحاتها .

ولم تنشأ لغة العلم فى الاسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوع بنمو العلوم وتقدمها ، وقد بدأت العلوم

فتلحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما رُوي أن مصطلحا ما لا يؤدي معناه أداء كاملا ، عدل عنه إلى ما هو أدق وأضبط .

وما إن حل القرن الرابع الهجري حتى اكملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها بحيث تنوسي معناها الأول ، ولا يكاد يفهم منها إلا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، كانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدء بتسجيلها في معجمات تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع ، ومن أواخرها « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية ما نقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة كالانجليزية والفرنسية .

— x —

وإذا شئنا أن نقف عند المصطلحات الفلسفية بوجه خاص ، وجدنا أنها سارت على نحو ما سارت المصطلحات العلمية العربية الأخرى . بدأت ضعيفة محدودة مترددة ، فكانت تقتصر على ألفاظ قليلة يؤخذ بها حيناً ، ثم يعدل عنها ، ولكنها ما لبثت أن نمت وتنوعت بحسب تنوع العلوم الفلسفية وتعدددها ، ويمكن أن ترد بوجه عام إلى مصدرين هامين : الدراسات الكلامية الأولى ولدى المعتزلة خاصة ، وحركة الترجمة والمترجمين .

وبعد المعتزلة بحق مؤسسي المدرسة العقلية الأولى في الإسلام ، فلسفوا الدين قبل أن يعرف الفلاسفة ، ووضعوا دعائم علم الكلام ، أو الفلسفة الإلهية الإسلامية . على أنهم لم يقفوا عند الإلهيات ، بل كانت لهم نظريات في الطبيعة والسيكولوجيا والأخلاق . وقضوا نحو مائتين وخمسين سنة ، من أخريات القرن الأول الهجري إلى منتصف القرن الرابع ، يدافعون عن الدين ، ويردون شبه الزنادقة والملحدن .

ولم يبق الزمن على شيء يذكر من مؤلفات مؤسسي هذه المدرسة وكبار رجالها الأول ، ولكن

استطاع الأشعري في « مقالاته » والخياط في « كتاب الانتصار » أن يحتفظا لنا بقدر غير قليل من لغتهم ومصطلحاتهم ، ثم جاء « كتاب المفنى » للقاضي عبد الجبار الذي اكتشف أخيراً ، فأضاف إلى ذلك ثروة يعتد بها . وفي ضوء هذه المصادر يمكن أن نقف على كثير من مصطلحاتهم ، ومن بينها ما اختصوا به : مثل الأصول الخمسة ، والعدل والتوحيد ، والصالح والأصلح ، والحسن والقبح العقليين ، والجبر والاختيار ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين . ومنها ما تبناه الفلاسفة من بعدهم ، وبقي يردد في المدارس المختلفة ، كالجزء الذي لا يتجزأ ، أو الجوهر الفرد ، والجسم والروح ، والجوهر والعرض ، والحركة والسكون . وأوضح ما يلاحظ على هذه الألفاظ أنها في أغلبها عربية خالصة ، لأن واضعيها تمكنوا من اللغة تمكننا تماماً ، وبلاغة المعتزلة الأولى كانت ولا تزال مضرب المثل .

— x —

أما المترجمون فلم يتمكنوا من العربية تمكن المعتزلة ، ومع ذلك بذلوا جهداً عظيماً في تكوين المصطلح الفلسفي ، وقضوا نحو قرنين أو يزيد في النقل عن العبرية والسريانية ، والفارسية والهندية ، واللاتينية واليونانية . واستوقفهم بوجه خاص مؤلفات أفلاطون وأرسطو ، وما عليها من شروح ، وكان لشرح الإسكندرية شأن فيما نقلوا وترجموا ، وهم أقرب إلى المسلمين من الشراح القدامى . وقبلهم هؤلاء المترجمون إلى الدقة والنزاهة المقدرة العلمية ، فكانوا أمناء في نقلهم دقيقين في عملهم ، يتجردون ما أمكن المصادر الوثيقة ، ويعيدون ترجمة ما لم يطمئنون إليه ، أو ما اهتموا فيه إلى نص أضبط .

وقد أسهموا أسهاماً كبيراً في تكوين المصطلح الفلسفي ، إلى حد أن قسطاً مما تخيره من الألفاظ لا يزال مستعملاً إلى اليوم . ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب « الأورجانون » لأرسطو ، وهو من أقدم الترجمات الفلسفية التي وصلت إلينا ، وفيه مصطلحات منطقية لا تكاد تختلف عما استعمله الفلاسفة والمناطقية اللاحقون ، ولم يفهم أن يستعبروا الألفاظ استعملت في علوم أخرى ، وأغلب الظن أن لفظ « الحكم » أو « القضية » مثلاً عرفا لدى الفقهاء قبل أن يعرفا لدى المناطق ، واشتراك مصطلحات بين علوم مختلفة أمر ملحوظ في العربية . وكثيراً ما استعانوا بالنحس

والمعاصر . ولقد أصبحت المصطلحات الفلسفية في نمو وتجديد لا ينقطع ، ولها في اللغات الأوروبية معجمات تزداد وتستكمل من حين لآخر .

ونستطيع أن نقرر أن البحوث العربية في الفلسفة قد خُطت في نصف القرن الأخير خطوات فسيحة ، أحيث مجد الماضي ، ووصلته بالحاضر ، واخذت تكون من جديد لفتها الخاصة . فيلحق بالكتاب ثبت بما ورد فيها من مصطلحات مع ذكر مقابلها الأجنبي وبدلت جهود في وضع معجمات عربية للعلوم الفلسفية ، ومن بينهم من أسهم فيها بنصيب ملحوظ ، ويعني بها مجمع اللغة العربية منذ عهد بعيد . وأخرجت لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مجموعة كبيرة من مصطلحات الفلسفة عام 1964 .

وقيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءا من اللغة العلمية المشتركة . أما أن يختلف من باحث إلى باحث ، ومن قطر إلى قطر ، فإنه يبقى عملة غير متداولة . ومن أسباب توحيد المصطلح العلمي الكتابة والتأليف ، ونشره لكي يذاع بين الناس . وينبغي أن يلتقي المختصون من حين لآخر ليتبادلوا الرأي في لغتهم ، ويتذكروا ما فيها من قصور .

وانا لسعداء بأن يشهد مؤتمرنا هذا جمع صالح من كبار المشتغلين بالدراسات الفلسفية في العالم العربي ، وقد وجهت الدعوة إلى الجامعات العربية كلها ، وإلى زملاء كرام لم يصلنا رد منهم . ونؤمن بأن في هذا اللقاء خيرا وبركة ، وفلاسفة العرب متعاونون من قبل ومتصلون ، وربما كانت مسافة الخلف بينهم في المصطلح الفلسفي أضيق منها في دراسات أخرى . ولتبادل هيئات التدريس بين الجامعات المختلفة ، ولنشر الكتاب العربي وتيسير نقله من بلد إلى آخر أثر كبير في هذا الشأن . ولقد برهنت العربية على أنها ليست أقل استجابة لمقتضيات العلم من أية لغة أخرى ، وكم من مصطلح عربي الصق بمعناه وادق في دلالاته من مصطلح أجنبي .

والاشتقاق لخلق الفاظ تؤدي المعاني الجديدة ، وكان لهم في المصادر الصناعية فسحة كبيرة كالهوية والماهية ، وقد يدخلون عليها لا النافية كالأدريّة واللانهائية . وإن أعوزتهم الألفاظ العربية عربوا بعض الكلمات الأجنبية ، فأخذوا عن اليونانية مثلا ، الأنية ، والهيولي ، والأسطقس ، وفتطاسيا ، وثاسوس ، وعن السريانية « حيمر » بمعنى باب أو فصل ، وسمع الكبان أو « شحما كيانا » للسمع الطبيعي ، وعن الفارسية الهندسة والجوهر . ومما يذكر أن كلمة « أوسيا » اليونانية ترجمت أولا بلفظة « عين » ، واستمرت هذه اللفظة مستعملة إلى عهد الأشعرى ، وعدل عنها بعد ذلك لأنها ذات دلالات مختلفة إلى كلمة « جوهر » الفارسية التي حلت محلها بصفة نهائية .

— × —

ثم جاء فلاسفة الإسلام فنقحوا مصطلحاتهم ، وغدوا لغتهم الفلسفية ، والتقوا فيها على كلمة سواء ، ولا تكاد تختلف مصطلحات ابن سينا والغزالي الفلسفية في المشرق عن مصطلحات ابن طفيل وابن رشد في المغرب . وجاراهم في هذا المتكلمون المتأخرون أمثال الفسفي والإيجي ، وقد حرصوا على أن يدمجوا الفلسفة في دراساتهم الكلامية . ويوم أن ركد البحث الفلسفي في الإسلام ركدت لفته معه ، فجمدت المصطلحات ، وأضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يرددوا الفاظا وصيفا قال بها السلف .

وجاءت أخيرا النهضة العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت أن تتدارك بعض ما فات ، ولكن من قاموا فيها بالتأليف والترجمة لم يكونوا على علم تام بماضيهم ، ولا على صلة وثيقة بمصطلحاتهم القديمة ، فلم يفيدوا كثيرا من ذاك التراث العظيم ، وأخذوا يؤدون الحقائق الفلسفية أداء لا يخلو من تعجل أو خطأ ، وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ، وأن يتابعوا سير البحث الفلسفي في التاريخ الحديث

\* \* \* \*

# قَرَارَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

- 9 — جواز استعمال « أم » و « أو » بعد سواء ، مع الهمزة وبدونها : سواء علي حضرت أم لم تحضر . سواء علي حضرت أم لم تحضر . سواء علي حضرت أو لم تحضر . سواء علي حضرت أو لم تحضر .
- 10 — جواز استعمال « تقييم » أي بيان القيمة بدل « تقويم » بالرجوع الى الأصل منعا للالتباس بمعنى التعديل في استعمال تقويم من قوم أي عدل .
- وجاء في الجزء 25 صحيفة 191 ان المجمع اقر ما يلي :
- 1 — جواز حذف الياء واثباتها في النسب الى « فاعيل » بضم الفاء او فحتها . مذكرة ومؤنثة في الاعلام وفي غير الاعلام .
- 2 — جواز استعمال « اي » للابهام والتعميم في مثل قولهم : اشتر أي كتاب . ويصح اضافتها الى معرفة مثل : اشتر أي الكتب . او الى مصدر مثل : لا تبال أي تهديد .
- 3 — جواز صياغة « فعله » للدلالة على التثنية والمبالغة من الثلاثي القابل لذلك وصفا للذكر والمؤنث .
- جاء في مجلة مجمع اللغة في مصر ( الجزء 24 صحيفة 194 ) ان المجمع قد اقر ما يلي :
- 1 — اطلاق جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، دون قيد الضرورة بقيد العلوم كما كان مقررا سابقا . . .
- 2 — جواز لحوق تاء التانيث صيغة ( فـعـول ) الصفة بمعنى فاعل ، وجمعها جمع تصحيح .
- 3 — جواز صوغ ( فـعـيل ) بمعنى المبالغة او الصفة المشبهة ، كما يدل على المشاركة : ( جليس ، مثيل ، خليط ... الخ . )
- 4 — صحة استعمال كلمة « متحف » بفتح الميم والحاء .
- 5 — صحة استعمال ( حدث ) بضم الدال ولو لم يكن مرافقا فعل ( قدم ) لافادة المدح او الذم او المبالغة ، مع اشرا به معنى التعجب .
- 6 — جواز استعمال « تبرير » بمعنى تسويغ ، كقولهم : برر فعله بكذا ...
- 7 — صحة استعمال « تقدم اليه بكذا » بمعنى التمس منه .
- 8 — جواز الحاق المد الأصلي في صيغة ( مفاعل ) بالمد الزائد في صيغة ( فاعائل ) مثل : مكابِد = مكائِد .

- 4 — جواز جمع « فعله » ساكن العين صحيحها  
على « فعات » بتسكين العين أو فتحها مثل :  
زفرة = زفرات .
- 5 — جواز الغاء النصب بـ « اذن » .
- 6 — اقرار الاستثناء بـ « غير ، سوى » .
- 7 — جواز دخول « ال » على « غير » .
- 8 — جواز النسبة الى كيمياء بآليات الهمزة  
« كيميائي » .
- 9 — جواز القول : فعلت كذا رغما عن
- 10 — جواز القول : حدث هذا أثناء كذا
- 11 — جواز القول : هل ههنا الامر يعجبك ؟
- وجاء في الجزء 26 صحيفة 220 أن المجمع  
قد أقر ما يلي :
- 1 — الموافقة على صحة قولهم : هذا حمض يوجد  
في غسل الشمع . هذه الكلمة موجودة في  
المعجم الوسيط ... وما شابهها ، على  
اعتبارها من باب الكون الخاص لأن جمهرة  
النحاة على أن حذف الكون العام واجب .
- 2 — إباحة جمع « فعل » ساكن العين على  
« أفعال » بغير استثناء : بحث = أبحاث .
- 3 — جواز جمع « مفعول » على « مفاعيل » مطلقا :  
مملوك = مماليك .
- 4 — جواز جمع ما لا يعقل جمع اناث مثل : فراغات  
صمامات . قرارات . جوازا ...
- 5 — جواز جمع « كيلومتر » على كيلومترات ،  
واخضاعه في التمييز لما عليه القواعد العربية  
مثل : سرت سبعة كيلومترات . سرت  
عشرين كيلومترا ...



# مجلس البحث العلمي الأردني

كتيب نشره مجلس البحث العلمي في الأردن نوه فيه بضرورة البحوث العلمية في الدول النامية .. لضمان التقدم والازدهار والتطور والتفتح على الحضارة الحديثة . وهي تساعد على تذليل الصعاب والمشاكل التي تعترض خطط التنمية والتطور .

ولقد تم تشكيل مجلس لتوجيه سياسة البحث العلمي في الأردن منذ عام 1957 ، يتم تمويل هذا المجلس من الهبات الخارجية التي يحصل عليها ، بالإضافة الى ميزانيته الخاصة الممنوحة له من الدولة ، يرأس المجلس عادة وزير التربية وفيه تسع لجان هي :

- 1 - اللجنة التنفيذية .
  - 2 - اللجنة المالية .
  - 3 - اللجنة الزراعية .
  - 4 - اللجنة الصحية .
  - 5 - لجنة العلوم والطبيعة .
  - 6 - لجنة العلوم والهندسة .
  - 7 - لجنة الأبحاث الاقتصادية .
  - 8 - لجنة العلوم الاجتماعية .
- وأخيرا لجنة أبحاث الطاقة الذرية .

ويتكون مجلس الأمانة العامة من خمسة أعضاء .

وهذه بادرة طيبة نباركها ، وانها لتبشر بخير كثير .



# المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني

## لمنظمة التربية والثقافة والعلوم

- 1 - تحديد البرامج والميزانية للمنظمة عن سنتي 1972 - 1973
- 2 - اتخاذ التدابير الملائمة بعد دراسات المنظمة لتقارير الدول العربية الأعضاء عن نشاطاتها في مجالات التربية والثقافة والعلوم
- 3 - اقرار عقد الاجتماعات والحلقات والمؤتمرات خلال سنتي 1972 - 1973
- 4 - اثبات تعاون ايجابي بين المنظمة وجامعة الدول العربية من جهة وبين المنظمة العربية ومنظمة اليونسكو من جهة أخرى
- 5 - تشكيل الشعب المحلية في الدول العربية ( اللجان القومية )
- 6 - انشاء مراكز اقليمية عربية للوسائل التعليمية ولتنمية الثروة البشرية
- 7 - تطوير التعليم الهندسي والاداري في البلاد العربية .

وقد اوفد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مندوبين عنه قاما بعرض موجز عن نشاطه وتطور أعماله وانتاجه وتخطيطه للمشروعات الحالية والمقبلة كما تقدما بتفاصيل مشروع الميزانية الخاصة بالمكتب .

تم انعقاد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم التي انشئت في نطاق جامعة الدول العربية في دورته الاولى في شهر ديسمبر ( كانون الاول ) 1969 فاقر :

تعيين السيد الدكتور عبد العزيز السيد مديرا عاما للمنظمة . كما كان من قراراته :

- 1 - انتخاب أعضاء مجلس تنفيذي للمنظمة لمدة سنتين
- 2 - الموافقة على النظام الداخلي للمؤتمر العام وكذا النظام الداخلي والنظام المالي للإدارة العامة للمنظمة
- 3 - التصديق على نظام الموظفين والمستخدمين بالمنظمة وعلى برنامجها وتكاليفه لسنتي 70-71 و 71 - 72 وميزانيتها الانتقالية للسنة المالية ( 1971 )
- 4 - احداث شعب محلية في الدول الأعضاء لتنظيم التعاون مع المنظمة
- 5 - التعاون بين المنظمة وجامعة الدول العربية .

وأما المؤتمر العام الثاني لهذه المنظمة الفتية فكان انعقاده من 4 ديسمبر ( كانون الاول ) 1971 الى 13 منه ، وكان جدول أعماله حافلا بالمواضيع المهمة التي نوقشت في جو ملؤه الوثام والجدية فصدرت قرارات كلها تبعت على التفاؤل والآمال منها :

واوضح المندوبان بهذه المناسبة ان الحكومة المغربية كانت منذ انشاء المكتب ولا تزال تقدم اليه - باعتبارها دولة المقر المضيفة - مساعدات مشجعة .

ومما يجدر ذكره انه اثناء المناقشات حول نشاط المكتب تفضل السيد رئيس اللجنة المالية والادارية والقانونية فأشار « الى ما لهذا المكتب فعلا من أهمية قومية بالإضافة الى عمله العلمي » .

كما كان من أهم مقررات المؤتمر العام الثاني بالنسبة للمكتب عقد مؤتمر التعريب الثاني خلال سنة 1973 وقد ترك أمر تحديد مكان انعقاده للإدارة العامة لمنظمة التربية والثقافة والعلوم ، وفيما يلي نص هذا القرار :

### قرار

#### عقد مؤتمر التعريب الثاني سنة 1973

ان المؤتمر العام ،

تعزيرا لتوصية المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب ( الكويت 17 - 22 فبراير 1968 ) الهادفة الى ان تسمى جامعة الدول العربية في ان يتم توحيد المصطلحات العلمية بين الدول العربية حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية .

وتقديرًا للجهود التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في هذا الصدد باعداد ستة مشروعات معجمية علمية تحت اشراف الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بناء على قرار مجلس الجامعة في دورة سبتمبر (ايلول) لسنة 1969 باحالة موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ، وقد تم انجاز هذه المشروعات كالآتي :

- 1 — مشروع معجم الرياضيات .
- 2 — مشروع معجم الفيزياء .
- 3 — مشروع معجم الكيمياء .

- 4 — مشروع معجم النبات .
- 5 — مشروع معجم الحيوان .
- 6 — مشروع معجم الجيولوجيا .

وطبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد بالرباط ( 3 - 7 ابريل 1961 ) .

وطبقا للنظام الاساسي لمكتب تنسيق التعريب الذي اقره مجلس جامعة الدول العربية ( قرار رقم 2541 - ج / 4 ) وقد نص على « ان يتولى المكتب مهمة تلقي ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والعلماء والمترجمين ومتابعة ذلك كله وتنسيقه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات التعريب المقبلة » .

وبناء على المذكرة التي قدمها مكتب تنسيق التعريب بشأن اقتراح عقد « المؤتمر الثاني للتعريب خلال سنة 1973 من أجل استعراض ما استطاع انجازه من التوصيات الصادرة عن مؤتمر التعريب الاول ومن أجل دراسة مشروعات المعاجم العلمية السالفة الذكر .

### يقرر:

1 - عقد المؤتمر المقترح في وقته المحدد ( سنة 1973 ) على ان يترك أمر تحديد مكان انعقاده الى الادارة العامة للمنظمة للتربية والثقافة والعلوم وعلى ان يسبق انعقاد المؤتمر تحضير له من حيث اعداد البيانات والدراسات الوافية ومن ذلك عرض المعاجم التي تم اعدادها بواسطة المكتب على الخبراء واللغويين والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية في الوطن العربي في وقت كاف يسمح بدراستها دراسة جادة متأنية قبل حلول وقت المؤتمر المقترح .

2 - ويوصي المؤتمر العام بتوسيع موضوع المؤتمر المقترح ليشتمل على الجوانب الهامة لمشكلة التعريب من جوانبها المتعددة وبخاصة في المغرب العربي ... م ع / ( 1971 ) ق 6 ط

# جُهود الدّول العربيّة في حقْل التعرّيب الأستاذ ميرغني (السودان)

مصطلحا عاما متفقا عليه ، وبجانب ذلك يقوم المركز باصدار كتيبات ونشرات لكل جديد يبرز في عالم المصطلحات ، كذلك قام بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت باصدار ((قاموس التربية وعلم النفس التربوي)) هذا الى جانب جهود المجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، وغيرها من مجامع اللغة العربية والاتحادات والهيئات العلمية .. الخ .

ويدعو الكاتب في مقاله الى توحيد مناهج التعليم بين الدول العربية وتوحيد السميات حتى لا يقع التلميذ العربي في حيرة وبلبله من امره . وكذا الى توحيد كافة المصطلحات التي تجد والعمل على نشرها في الوطن العربي .

تم ذيل مقاله ببعض المصطلحات في مجال التعليم المبرمج .

ومن خلال هذه المعالجة يبرز لنا دور المكتب الدائم في تعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها وتعميمها ونشرها في جميع الاقطار العربية وعمله الدائب على مسابقة ركب التطور الحضاري الزاحف الذي يطلع علينا في كل يوم بسيل كبير من المصطلحات الجديدة التي يملها العصر والتي نحن في حاجة ملحة الى جهود متضافرة لتلاحقها وتداركها وتعريبها . وكذا يتأكد لنا - بالتالي - دور المجامع والهيئات اللغوية في مختلف الدول العربية التي جندت نفسها لنفس الغاية .

كتب الأستاذ ميرغني دوع الله مقالا تحليليا حول المصطلحات التربوية في مجلة « التوثيق التربوي » التي تصدر عن مركز التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم العالي بالسودان اعدد 18 سنة 1971 ، سلط كاتبه فيه الاضواء على أهمية المصطلحات في هذه الآونة ثم انتقل الى الحديث عن تطور مدلول الكلمات من عصر الى آخر وكيف يبطل مدلول بعضها ويتولد مدلول جديد .

وعن توحيد المصطلحات العلمية يقول الأستاذ في هذا الصدد : « .. ففي اوروبا تفرغ بعض العلماء الى وضع قوانين علمية تحدد تحديدا دقيقا المقصود بكل مصطلح وفتحوا المجال لكل صاحب رأي ان يدلي برأيه كما قاموا بعقد مؤتمرات من آن لآخر لمناقشة التطور الناشئ في كل ميدان وتعديل ما يمكن تعديله » .

ثم يضيف :

« واما في الجانب العربي فقد كان الجهد المبذول في هذا المضمار كله يدور حول علوم اللغة وأسرارها امدا من الزمان ، الى ان تصدت جامعة الدول العربية وبعض الهيئات الأخرى لهذا الأمر ، فقد قامت الجامعة العربية بانشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط، مهمته الأساسية تعريب بعض المصطلحات العلمية وتوحيدها ، فهو يصدر من وقت لآخر ، مجلة « اللسان العربي » ، ويتناول فيها مصطلحات كل علم بالتعريب واختيار انسب العبارات واقرّبها الى المعنى لتكون

# المكتب الدائم في مَعارِجِ العَرَبِيَّةِ والدَّولِيَّةِ

وتتطور وتكبر حتى ساوقت أكبر المجلات اللغوية في البلاد العربية .

ب - اصدار عدة معاجم ألحت الضرورة على استعمال بعضها منها : الرياضيات، الفيزياء ، الكيمياء ، الأشغال العمومية ، السياحة ، الطحانة والخبازة ، السيارات ... الخ .

## منجزاته في المرحلة بين 1966 و 1971

قام المكتب خلال السنوات الخمس التي تنتهي مع انتهاء هذا العام بانجاز ما يأتي :

أ - عدة معاجم لفروع المعرفة لتكون أساسا لمعجم المعاني والحضاري الكبير والمعجم العلمي والتقني العام .

ب - اعداد مئات الألوف من الجرازات لمختلف المصطلحات العلمية والتقنية مما توصلت اليه الجامعات اللغوية والجامعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والعلماء ... وما زال مستمرا في العمل على تنمية هذه الحصيلة وذلك بثلاث لغات .

ج - توسيع مجلة « اللسان العربي » حتى بلغ العدد الثامن منها ثلاثة أجزاء في نحو ألفي صفحة من القطع الكبير . وتحتوي - عدا بحوث العلماء سبعة معاجم خاصة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء المختصين - وبعضها معاجم علمية وتقنية ، منها

انثى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي عن مؤتمر التعريب المنعقد في الرباط ( 3 - 7 ابريل 1961 ) وتبنته جامعة الدول العربية عام 1969 ( قرار رقم 2541 / ج / 4 ) في جلستها العادية رقم 51 .

وتقررت مهمته فيما يلي :

أ - تجميع بحوث العلماء العرب وتنسيق المصطلحات المعربة فيما بينهم قصد توحيدها بقدر الامكان .

ب - تنسيق التعاون بينه وبين الجامعات اللغوية والهيئات العلمية المختصة وشعب التعريب في كل بلد عربي .

ج - متابعة التعريب خارج حدود الوطن العربي والتنبيه على ما يرتكب فيها من أخطاء تميزا لمكانة اللغة العربية على نطاق دولي .

د - معاونة الحركة المندفعة نحو استخدام اللغة العربية الأصيلة لتحتل مكان اللهجات المحلية واللغات الأجنبية المستخدمة في بعض البلاد العربية ، خصوصا في المغرب العربي .

## منجزاته في المرحلة بين 1961 و 1966

من منجزات المكتب - بالرغم من ضعف وسائله المادية والبشرية - خلال خمس سنوات انتهت عام 1965 :

أ - اصدار مجلة « اللسان العربي » وما زالت تتقدم

النبات والحيوان والجيولوجيا قدمت مشروعاتها  
وزارة التربية والتعليم المصرية بلغتين  
- انجليزية وعربية - وإتتها المكتب الدائم بإضافة  
اللغة الفرنسية مع ملحق ضاف لكل منها بثلاث  
لغات أيضا . أما السابع فهو معجم البترول  
وقد صدر عن المنظمة العربية للبترول  
فأضاف المكتب إليه لغة ثالثة وملحقا على غرار  
المعاجم الستة المذكورة .

د - يعمل المكتب الآن على نشر هذه المعاجم  
وملحقاتها في طبعة خاصة مشكولة لكي يكون  
النطق بالمصطلحات العربية واضحا لا لبس فيه .

هـ - أصدر عدة معاجم صغيرة تتعلق بالمصطلحات  
الحضارية ، تكملة لما سبقها في ارساء قواعد  
معجم المعاني الكبير المنتظر . منها : الأجهزة  
والآلات والألعاب العربية والسماكة والأسماء  
وأسماء العلوم والفنون والمعجم المنزلي  
ومعجم البناء ومعجم الألوان ومعجم الحرف  
والمهن ومعجم الأطعمة ومعجم الحساب  
( للابتدائي ) والمعجم الصوفي ...

### مشاريع المكتب في اطار تخطيطه للمستقبل

و - وساهم في تنشيط التعريب ومحاربة الدخيل  
بالمغرب العربي باصدار مجموعات من كتيبات  
عنوانها - قل ولا تقل - كان لها أجمل الصدى  
في المنطقة وفي منظمة اليونسكو .

ز - أصدر الجزء الأول من معجم الاقتصاد والقانون،  
ومعجم الفقه والقانون والفقه المالكي الخ .

ح - أجرى مسابقة فيما بين العلماء العرب المختصين  
باللغة ، فاز بالجائزة الأولى السيد ناجي هلال  
من العراق ، وقد تبرعت بها الملكة المغربية ونشر  
تحقيقه كتاب « متخير اللفاظ » لأحمد بن  
فارس المتوفى عام 395 هـ . وتجري الآن  
مسابقة ثانية - تبرعت بجائزتها دولة  
الكويت - ثم ثالثة تبرعت بها الملكة العربية  
السعودية .

ط - وقد أسهم مع الاتحاد البريدي العربي بإضافة  
ملحق لمعجمه الأصلي كما أسهم في اكمال معجم  
الطيران المدني ومعجم اليونسكو واصدار معجم  
للطرق على نفس النسق باتفاق مع الجمعية  
الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق .

كان تحقيق معظم المشاريع السالفة الذكر في  
اطار تصميم وضعه المكتب الدائم لعشر سنوات ابتداء  
من سنة 1966 .

وسيصدر قريبا معجما للميكانيكاوغرافيا .

وقد قرر المكتب ان تكون جميع معاجمه الكبيرة  
باللغات الثلاث : عربية وانجليزية وفرنسية وتخبر مع  
بعض الهيئات العلمية في ألمانيا وروسيا للتعاون على  
اصدار معاجم مخمسة اللغات في وقت واحد لا سيما  
في حقل التكنولوجيا .

— x —

ومما تجدر الإشارة اليه ان اللغة العربية أصبحت  
تسير سيرا حثيثا نحو بلوغ مكانتها المحترمة بين سائر  
اللغات العصرية الكبرى فصارت تستعمل الى جانب  
اللغات الأربع في بعض الهيئات الدولية مثل اليونسكو  
غير ان كسبها هذا لم يكن الا سياسيا اما الكسب  
العلمي فيحتاج الى جهود جبارة لنستطيع اللحاق  
بركب الحضارة التقني والعلمي على الخصوص ، ولن  
يتأني لنا هذا الا بمواصلة الجهاد المخلص المتفاني

وليس ذلك على علمائنا بعزيز . ومكتبنا - على قلة من  
فيه من خبراء وعلماء - يواصل عمله بلا انقطاع نهارا  
وليلًا في كثير من الأحيان وهذا ما ساعده على انجاز  
أعماله خلال المدة القصيرة من حياته ولقد وضع  
مخططا للسنوات الخمس المقبلة للعمل على تحقيق ما  
يلي بعون الله :

أ - مواصلة تجميع الجزائز الى أقصى حد ممكن  
في العلوم والفنون المختلفة باللغات الثلاث  
العربية والفرنسية والانجليزية مقتبسة من  
القواميس القديمة والمعاجم الحديثة والمصنفات  
العلمية

ب - متابعة اصدار المعاجم التقنية والعلمية مشكولة  
شكلا تاما حرصا على حسن نطقها بالعربية ، منها:  
« معجم الترتيب العشري العالمي » ( باتفاق  
مع المنظمة العالمية للزراعة ) و «معجم العظام»  
و « معجم الدم » وسلسلة طويلة من معاجم  
المعاني تستغرق ما أنجزته دار « لاروس »  
والمعاجم الانجليزية علاوة على معاجم تقنية  
خاصة يستند فيها المكتب انى ما وضعه من

جزايات هي خلاصة ما ورد من مصطلحات قديمة في الكتب والقواميس .

ج - يضاف الى ذلك المعاجم التالية :

معجم الفنون ، معجم الموسيقى ، معجم علم الاجتماع ، المعجم السياسي والديبلوماسي ، معجم الفلسفة ، معجم علم النفس ، معجم المذاهب والديانات ، المعجم الاداري ، المعجم الفلكي ، المعجم الجغرافي ، المعجم التاريخي وموسوعة السينما وموسوعة الكهرباء ومعجم الحراج والخشب ، معجم الانسان ( من الناحية البيولوجية ) ومعجم المرأة ( في الحضارة ) والمعجم العام للسكك الحديدية مع اعطاء الاسبقية لكل مشروع جديد ترثي احدى الدول العربية ضرورة التعجيل باصداره .

د - انعاش التراث اللغوي والفكري للعربي باقامة مسابقات جديدة بين العلماء العرب تقدم فيها جوائز وتنشر الكتب الفائزة . وفي اطار هذا المضمار فان المكتب سينشر قريبا :

1 - كتاب « المقولات العشر » ، يلحق به معجم مثلث اللغات للمصطلحات الواردة في المنطق السوري .

وهو مخطوط غميس اكتشفه وحققه الدكتور ممدوح حقي وقدم له مقدمة علمية رصينة .

2 - معجم « لآلئ العرب » للمرحوم السيد رزق وهو معجم للمعاني فيه تدقيق وتحقيق وزيادات بالنسبة لمعجم ابن سيده .

هذا مع استمرار الاتصال بالدول العربية وخاصة مع الشعب القومية للتعريب والخبراء المراسلين للمكتب والمعينين من طرف الحكومات العربية لمتابعة التعريب بقصد تنسيقه وعرضه على العلماء العرب في الندوات

التي يعقدها المكتب في نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ويكون حق الاسبقية في النشر لما يمس الحاجة العربية في نضالها الداخلي للتقدم أو في نطاقها الدولي لتتساقق وسائر اللغات في الهيئات الدولية . ويلاحظ في هذه النقطة بالذات ان خطة المكتب قد انتقلت انتقالين واضحين جد الوضوح :

أ - الخطوة الاولى في داخل النطاق العربي ، بدأت مع تأسيسه واستمرت حتى اوائل الخطة الخماسية الثانية ، وفي هذه الفترة اهتم المكتب بتعريب العلوم والفنون على النطاق المدرسي حتى حدود البكالوريا .

ب - الخطوة الثانية ، في داخل النطاق الدولي - خصوصا بعد قبول اللغة العربية لغة خامسة في هيئة الامم - وفي هذه الفترة ارتفع التعريب الى المستوى الجامعي ثم اتصل بالحركة التقنية العالمية ضمن نطاقها العلمي فكانت معاجم البترول والميكانيكا ورافيا والطيران المدني والبريد والطرق والترتيب العشري العالمي الخ .

ويأمل المكتب ان يكون اتصاله بالجامع اللغوية اكثر عمقا وسعة ليفيد منها ويقف على تطورها وخدماتها كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطيدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تنافس هيئة منها في موضوع تقوم هي على خدمته لكننا نعاونها ونقدم لها خدماتنا وننسق جهودها الى جانب جهود سواها في ميدان التعريب ونعرض ذلك كله على العلماء في ندوات على صعيد العالم العربي ، وقد اتخذت الجامعة العربية قرارا شبيها بهذا حينما قررت الا تقوم بتحقيق الاثر الغميس اكثر من هيئة او عالم متخصص ونحن نرجو ان يطبق هذا في مجال التعريب كذلك بحيث تتفق الندوة العربية على مصطلح معين يصبح الزاميا بالنسبة لسائر الدول العربية بجميع تخصصاتها وهيئاتها العلمية .

# مسابقة المكتب الدائم

اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات أو أبحاث غميسة ( لم يسبق نشرها ) .  
يدرس المخطوط دراسة علمية تتناول الكتاب ومؤلفه وعصره وقيمه العلمية مع تحقيق النص تحقيقاً دقيقاً .

ان لا تقل الدراسة عن خمسين صفحة (50) من الحجم المتوسط .

يجوز اشتراك أكثر من شخص في تقديم المخطوط أو البحث الواحد وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي فيما بين المشتركين .

يهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الغميسة النادرة حول اللغة العربية وحفز القرائح العربية للقيام بدراسات لغوية على نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلفة عمل في المحافل الدولية .

يرسل البحث ( في نسختين ) الى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي 8 شارع الانتيل ص. ب. 290 الرباط - المغرب -  
تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم وزارة التربية في دولة الكويت .

تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من تاريخ أكتوبر 1971 الى نهاية شتبر 1972 .

سبق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي اعلانه عن تنظيم مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الاولى ( وقد تبنها المغرب ) تقديم مخطوط غميس مستوفى الشرح والتعليق أو بحث جديد حول اللغة العربية ، وكانت الجائزة الثانية ( بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى ) من نصيب استاذ من الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد قرر المكتب تنظيم مسابقة ثانية لسنة 1971 - 1972 - على غرار المسابقة الاولى - وتبنت دولة الكويت الشقيقة تمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم - اي ما يعادل 2000 دولار أمريكي لتغطية قيمة الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة . وانفق المكتب الدائم ووزارة التربية الكويتية على ما يأتي :

(1) أن يكون موضوع مسابقة هذه السنة نفس موضوع السنة الماضية لما له من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية وهو ( تقديم مخطوط نادر أو دراسة غميسة حول اللغة العربية لم ينشر من قبل ) .

(2) أن يكون المخطوط القديم ذا قيمة علمية في موضوع



# تكريم الفائز :

في الثالث والعشرين من نيسان 1971 اقام سفير المغرب ببغداد الأستاذ عبد الهادي التازي حفلا تكريميا ضخما سلم خلاله جائزة المكتب الدائم لتنسيق التمريب بالرباط ( التابع للجامعة العربية ) الى الاديب العراقي الكبير الأستاذ هلال ناجي الفائز بالجائزة الاولى عن تحقيقه معجم - متخير الالفاظ - للامام اللغوي أحمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ وهو الكتاب الذي طبعه المكتب الدائم بالرباط لأول مرة كما طبع طبعة ثانية في بغداد بعد ذلك .

وقد حضر الحفل جمهور غفير من رجال الفكر والادب يمثل ثلاثة أجيال من ادباء العراق غصت بهم دار السفارة وتميز الحفل بالضيافة المغربية السخية وبالجو الشعاري الرائع الذي اشاعته قصائد أربعة من أبرز شعراء العراق أوحثها اليهم المناسبة ، وكان عريف الحفل الاديب التونسي المعروف الأستاذ محمد صالح الجابري الذي تولى تقديم الشعراء، فلقى الشاعر العراقي المعروف الأستاذ خضر عباس الصالحي القصيدة التالية :

احقا بات يعني بالاديب	وتدفع عنه غائلة الخطوب
وتحميه يد من كل ضرر	ومن غدر الزمان المستريب
وتدرا عنه ويلات الرزايا	رزايا الفقر والظرف العصيب
وتشفي جرحه كف حنون	فلا تبقى به اثر الندوب
وتربت فوق كتفيه اعتزازا	كما يعتز صب بالحبيب
وتسمح مدمعا في مقلتيه	تهامى وهو كالمزن السكوب
وتنمش فيه احلاما تبدت	كشمس حين تجنح للمغيب
وتمحضه المودة والتحابا	وتدنيه من الأمل الرطيب
وترفعه الى اسمى محل	محاط بالضمائر والقلوب

وعفوا ان تمرد بي خيال  
وان ثارت بصدري عاطفات  
فليس ارى الاديب سوى شريد  
اذا ما الليل ران تقاذفته  
تسمر فى ملامحه اكتئاب  
وخط على جبينه سطر بؤس  
واورثه الشقاء السقم لما  
جموح قد تحفز للوثوب  
بها انفجرت براكين الهميب  
يعيش بقومنا عيش الفريب  
اعاصير التسكع فى الدروب  
وذاب بصوته جمر النحيب  
مرير شابه هول الكروب  
غدا يشكو من الجوع الرهيب



اذا تبغون امثلة لقولي  
فمعروف الرصافي وهو فخر  
قضى ايامه الحيرى التياءا  
يكابد شر كيد واضطهاد  
وان افتى بانكار عظام  
تطارده عصابات التجني  
اذا ما سار فى الطرقات يرنو  
فتى العلياء ما اقترفت يسده  
يموت بدونما كفن وحيدا  
اليكم جئت بالامر العجيب  
لاهل الفكر والادب الخصيب  
تمزق قلبه دامي النيوب  
اذا ما جاء بالرأي المصيب  
تشن عليه ألوان الحروب  
وتنبذه كشيطان مريب  
اليه كل فرد فى قطوب  
كما اقترف الطفاة من الذنوب  
ويدفن تحت طائلة الرقيب



وللصافي العظيم حديث حزن  
نبي الشعر فى بيروت يحيا  
وفى مقهى فلسطين تراءى  
تخطى عمره السبعين عاما  
رايت بوجهه اشباح يأس  
واحست السامة وهي ملأى  
به هاج الحنين الى حماه  
وان حنينه فى جانحيه  
وثورة شوقه بين الحنايا  
تسربل فى رؤى ألم مذبذب  
أسير الهم فى عيش رتيب  
كنت راح يذبل فى شحوب  
يعاني الويل من عبء المشيب  
تمرغ فى أسى ضجر خضيب  
بأهة قلبه الدامي الوجيب  
حنين الصب للخود اللعوب  
كعصف الريح أوغل فى الهبوب  
كلفح النار أمعن فى النشوب



وللسياب مأساة تعددت  
وانه شاعر كم قال شعرا  
سلوا قطر الكويت ففيه بدر  
به استثرى السقام فراح يشكو  
ولاح من الضنى كذكاء لما  
ومات هناك لا أحد عليه  
مآسي جيلنا القلق الكئيب  
قد استوحاه من دمه الصيب  
ذوى كالزهر فى ففر جديب  
فما لاقت شكاته من مجيب  
هوت كلمي على صدر الفروب  
تأثر من بعيد أو قريب



واني اليوم يغمرني ابتهاج  
فاهزج بالقصائد مستهاما  
أرى « متخير الألفاظ » يحظى  
وما « متخير الألفاظ » الا  
كتاب كان يقبع فى الزوايا  
عليه من الغبار بدت تلال  
وما هو غير آية عبقري  
بجهد « أبى جمال » قد تحلى  
ولو عاد « ابن فارس » من جديد  
وخص « هلال » بالحب المصفى  
وليس « هلال » فى دنيا المعاني  
وفى روض القريض غدا هزارا  
وما آثاره الفراء الا  
يد « التازي » قد مرت عليها  
وما « التازي » الا مغربي  
سفير الحب فى وطني المفلدى  
وجدت به شهامة أرحمى  
أصالة فكره أوجت اليه  
وأدرك ان فى الآداب طبعا  
فراح يساند الأدب المرجى

كطير رف فى افق رحيب  
وأصدح فى الربى كالعندليب  
بجائزة وتكريم مهيب  
حصيلة باحث واع دؤوب  
كانه من أساطير الغيوب  
كتبر غاص فى جوف الكئيب  
جليل القدر موهوب لبيب  
رصين البحث فى ثوب قشيب  
لعاشى العمر فى قلب طروب  
وأغرقه بأشعار النسيب  
سوى البحانة الفلد الأديب  
إذا غنى فما له من ضريب  
ذرى فاضت بأنفاس الطيوب  
كما مر الريح على السهوب  
نجيب قد تحدر عن نجيب  
ومصدر كل إثار وطيب  
ووعى مفكر حر أريب  
بان الفكر نبراس الشعوب  
به نجت أشواك العيوب  
لنيل العدل والحق السليب

ثم ألقى شاعر كربلاء الأستاذ سلمان هادي الطعمة القصيدة التالية :

عادلدى الورى نهجا سديدا	مألق نجمه مجدا تليدا
تضمن سحره فخرا عتيدا	تراث يمنح الأبواب فكريا
وخلدها لنا ذكرا حميدا	سقى غرس الحقيقة اذرعاهما
سحاب ينثر الدر النضيديا	فما « متخير الألفاظ » الا
ولا كل الفيثوث روت ورودا	وما كل السحاب اتي بغيث
ويا قيشارة عزفت نشييدا	فيا كلما علا هام الثرييا
مضيئا يرشد الجيل الجديدا	تراع يسكب العرفان هدييا
زها بفصوله عقدا فريدا	وياسفرا حوى سمط اللثالي
بديع قد حوى الادب المفيدا	وصنفه ( ابن فارس ) خير سفير
فقد أسدى لنا جهدا جهيدا	وقد بلغ العلى فيه ( هلال )



ثم ألقى الشاعر المجدد الأستاذ خالص عزمي المدير بوزارة الثقافة والاعلام العراقية القصيدة التالية :

انبئت أجمل زهـره	دعوة التـازي بـلـدره
ضمها للروض دهنـره	كل حقل يتمنى
وبحسن الذوق ثـره	دعوة شـعت سنـاء
هو فى الآداب دره	جاءها كل أديـب
مر من أوجد فكـره	حيث يلقي فى رحاب الفكـ
حمل الآيات سفـره	ويرى باحث سفـر
أو كـورد رش عطـره	نثره نسج موشى
وجبين النظم غـره	وهب الفن عطـاء
واذا بالشعر ثـوره	فاذا بالشعر همـس
مرة فى اثر مـره	قادهما من غير عنـف
على بحر المجره	شاعر هلت قوافيه
لم ير الأنوار عمـره	فأضـاءت كل داج
ولعين الشعر قـره	هو للنثر لسان
منح الأشعار بـلـدره	شاعر لا بل هلال

ثم تقدم القاضي بمحكمة العمل العليا الأستاذ حازم سعيد فألقى الخريدة التالية:

انعم بمحتقب الأوابد مسفر	عن ضاحك خضل اللهاة منور
كنا حيارى قبل لمح جبينه	بمتعين على أجب معسر
حتى مخضت لنا التراث وجئتنا	من لؤلؤ الالفاظ ( بالمتخير )
الف مضت وفم الخلود يزقه	حذر الفناء بنغمة من كوثر
وتمر تطحنه السنون تعاقبا	بمصحف ومحرف ومنثر
شيخ تعاوره الزمان بجاحم	من قانظ وبراعد من مطر
وتراه ينهض فى عجيب جلادة	فك قرون الحادثات بمنسر



أبا جمال يا منور حسنه	فى وشي مؤتلف الشيات محبر
فصلت فيه القول غير مخطا	وجلوت فيه الحسن غير مغير
وجمعت طائفة يخال حديثها	غزل النسيم على غدير مقمر
لو رد ( أحمد ) للحياة رأيتنه	يزهو بصيب لؤلؤ متحدر
هي من ولاند روجه لكنها	حسنت بحسن مرقق ومجبر



وقد أهدى الشاعر الأستاذ زكي المحاسني قصيدة الى الشاعر العراقي هلال ناجي هذا نصها :

يا ( هلالا ) ناجيته بخيالي	عاش ملء الفؤاد عف الوصال
اسمع العذب فى لفاه بلفظ	فيه لحن العراق حلو المثال
فى ضفاف النيل التقينا على شعف	ر وفكر فكان زين احتفال
منظر آخذ بعين ، وشخص	شاعري مفوق بخصال
حين يسجو اليك رهن حديث	يملك الروح فى سمو المقال
ينشد الشعر باهتزازة شوق	فتحس الديب فى الاوصال
ما كفته الحقوق كانت لدينه	عند قانونها رداء جلال
ووقوف « المرافعات » ، عليها	دفع غريم المظلوم يوم النزال
والمحاماة حين عزت وجدت	فى حياة مليئة بالنضال
والسياسات فى المناصب والحكم	وتقليب طرفه بالقوالى
فاتى للبيان يحتل فيه	منزل الشمس فى ظلام الليالى



ايه ( ناجي ) حفظت ذكرى الزهاوي      والزهاوي مربي الأجيال  
 أنا اسمعته عشية حفل      مجمع الشام شاده للمعالي  
 كنت في العنقوان والشرح أروى      شعره الحرفي فدا الأبطال  
 كان « طربوشه » يفوص الى الأذن      بممر فان من الأثقال  
 انشد الشعر كالغناء بمحزون      وقص الحياة بالاهوال  
 قال قد كنت احب الشعر يفني      فخدعنا وكان غير مبال (1)  
 وارادو لي الغناء ومن لي      بفناء الأعداء بعد القتال



يا رفيع التأليف في الشعر والبحث      سلاما من معجب لا يقالي  
 عشت للعرب ملهما عبقريا      رهن عمر يزدان بالأعمال



ثم تحدث المحتفى به الأستاذ هلال ناجي ، فارتجل كلمة وجه فيها شكره العميق الى علماء المغرب الأثبات الذين تولوا التحكيم في المسابقة بروح علمية موضوعية بعيدة عن الهوى والتعصب الذمير وأشاد بعلمهم وفضلهم . وشكر المكتب الدائم لتنسيق التعريب برئاسة مديره العام الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لما يقدمه هذا المكتب من خدمات جليلة للغة العربية ينعكس بعضها في مجلته الموسوعية - اللسان العربي - ودعا الى دعم هذا المكتب ماديا وأديبا ، كما توجه بالشكر الى سفير الأدباء وأديب السفراء الأستاذ عبد الهادي التازي بما أتاح من فرصة لهذا اللقاء الأدبي الضخم .

وختم التازي الحفل بكلمة ارتجلها تحدث فيها عن جهود المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط في خدمة العربية ، ودور الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في ذلك وأهمية هذا الدور على مستوى الوطن العربي . وتحدث عن فرحته لفوز عراقي بهذه الجائزة لما في ذلك من تعزيز للوشائج الأدبية والفكرية بين أقصى المغرب وأقصى المشرق في الوطن العربي الكبير ، وشكر جمهور الحاضرين على تلبية الدعوة .

وبالاجمال فلقد كان حفل السفارة المغربية ببفداد عند تسليم جائزة المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، مهرجانا أدبيا ضخما وخالدا .

(1) إشارة الى قوله :

ظننت بأن الشعر يفني فما أغنى      وكم شاعر في موقفٍ أخطأ الظن  
 يريدون مني أن أغني باسمهم      وأى عظيم باسم أعدائه غنى

# بين المجلة وقرائها

لا يمر يوم الا ومجلتنا تخطو فيه خطوة الى الامام ، وتكتسب قارئاً او صديقاً جديداً من مختلف اصقاع العالم المترامي الاطراف ، وتؤكد لنا مع صدور كل مجلد جديد حقيقة امست جليلة كبلج الصباح تؤكد لها الرغبة الملحة التي ينطق بها السيل العارم من رسائل القراء التي تنهال علينا من كل صوب وتلتقي كلها في هذا الركن وهي ايمان العرب بماضيهم المشرق وثقتهم بحاضرهم وتطلعهم نحو مستقبلهم الذي تتضافر من اجله الجهود في كل حقل من حقول المعرفة والعلم .

ففي كل رسالة تصلنا نلمس الايمان العميق الذي لا يتزعزع بان « العربية » ما كانت لغة ادب وخيال وحسب بل هي لغة علم وتقنية وحضارة كذلك ، ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ونؤمن بها ايماناً راسخاً نشد بحرارة على ايدي قرائنا الكرام في كل مكان ونعدهم العمل بقدر ما اوتيناه من امكانيات لخدمة لغتنا الجميلة والسير بها قدما نحو المستوى الذي نرجوه لها فتقف مزهوة - على غرار ماضيها - بجوار كبرى اللغات العالمية الحية المعاصرة .

وتؤكد المجلة من جديد ان هذا الركن من القراء واليهام هو منتدى افكارهم وملتقى آرائهم ، وهي اذ تقدر هذه الصلة الطيبة بينها وبين قرائها من اساتذة وباحثين وطلبة ترحب بكل نقد بناء او اشارة لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم ، كما ترحب بجميع الملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

## \* من الجمهورية الجزائرية :

— ومن مدينة الجزائر كذلك جاءتنا رسالة من وزارة التعليم الابتدائي والثانوي بالقطر الشقيق جاء فيها : « يسعدني ان اكتب اليكم راجيا منكم ان تفضلوا بموافاتنا بما أنجزه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بين الدول العربية من معاجم ومطبوعات مختلفة تتصل بالمصطلحات العلمية والكلمات الحضارية ، ذلك اننا في نطاق جهودنا المتواصلة من اجل احلال

— من الجزائر العاصمة تلقينا رسالة من الاستاذ عبد الرزاق رحال « يزجي فيها الشكر الوافر للمكتب ، ويبيدي اعجابه وتقديره لما يقدمه من اعمال نيرة جارية ، وما يضطلع به من نشاط متواصل لاعلاء لغتنا القومية واحياء تراثها المجيد » .



**الجهود الموفقة الذى يقوم به مكتب تنسيق التعريب،**  
ويهمنا ان تصلنا مجلة « اللسان العربي » دون انقطاع .

— ومن القاهرة كذلك وصلتنا هذه الرسالة من  
الأستاذ محمد حافظ دياب : « لقد كان علي ان اكتب  
لكم فور قراءتي لاحد اعداد مجلة « اللسان العربي »  
الفراء وصدقوني لو قلت لكم ان هذه المجلة هي المجلة  
التي كنا نحن ابناء اللغة العربية وطلابها نرنو اليها بعين  
الخيال سعيا وراء اصالة الكلمة العربية وعراقتها ،  
ولن يستطيع قلبي ان يوفيكم بعض حقكم على هذه  
الصفحة او غيرها من الصفحات » .

— ومن القاهرة ايضا جاءتنا هذه الرسالة الكريمة  
من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات العربية  
بالانابة بجامعة الدول العربية « يشرفني ويسعدني ان  
ارسل لكم بالبريد المسجل كتاب « مختار الاغانى »  
باجزائه الثمانية ، تحية تقدير مني ومن المعهد لجهودكم  
الرائعة في خدمة حركة التعريب ولفضلكم الكبير على  
الثقافة العربية ، وانتزعت هذه الفرصة لاعبر لكم عن  
عميق التقدير والاحترام .

— ومن القاهرة نفسها بعث الينا الأستاذ علي  
عبد الحليم القرناوي بالكلمة الرقيقة التالية :  
« اسمحوا لي ان اعبر عن مدى اعزازي ، وتقديري  
لمجلتنا الكبيرة ( اللسان العربي ) فانها حقاً  
خير لسان يترجم لنا اصالة لغتنا العربية ،  
كما نراها راعية للغة ومحافظة عليها على انهاضها دائماً  
بما يعرض على صفحاتها من بحوث قيمة فى شتى  
جوانب اللغة العربية الواسعة » .

ان اللغة العربية فى امس الحاجة الى جهود  
ابنائها للحفاظ عليها من عبث العابثين والعمل على  
اثرائها وربطها بكل جديد حتى تظل حية مليئة بالحياة  
بعيدة عن الجمود والركود .

ولقد لمسنا الجهود الجديرة بكل اعجاب وتقدير  
والتي يبذلها المسئولون عن تحرير مجلة « اللسان  
العربي » وما تقدمه هذه الجهود الكبيرة من اجل  
الخدمات للغة العربية ودارسيها . وانسال الله ان  
يمنحكم القدرة على المسير قدماً فى طريقكم الجليل  
لخدمة اللغة العربية ومساعدة دارسيها حتى يتضح  
الطريق امامهم فيعمالوا جاهدين من اجل رفعة لغتنا  
العربية الجميلة . وفقكم الله ودامت «اللسان العربي»  
بجهودها وخدماتها الجليلة من اجل لغتنا والعناية بها» .

— من القاهرة كذلك تلقينا هذه الكلمة الطيبة من

لغتنا القومية محالها الطبيعي فى حياتنا اليومية، وفى  
معاملاتنا الادارية ، ونشاطاتنا التعليمية ، تحتاج الى  
الاطلاع على ما توصل اليه الاشقاء العرب فى هذه  
الميادين ، لنحافظ على وحدة بيننا ، وهي الرباط  
المقدس بين العرب اجمعين .

وانى على يقين من انكم تقدرون اهمية معركة  
التعريب فى الجزائر ، وانكم لن تدخروا وسعاً فى  
تقديم هذه المساعدة لنا » .

ولقد استجبنا فعلاً — فور توصلنا بهذه الرسالة —  
ووانينا الوزارة الموقرة بجميع ما صدر عن مكتبنا  
من مطبوعات مع ابداء الرغبة فى رصد طاقاتنا لمساعدة  
الجزائر الشقيقة فى معركتها الكبرى من اجل  
التعريب .

— ومن وزارة التعليم ايضا وصلتنا كلمة ثانية جاء فيها:  
« يسرنا ان نفيدكم اننا نولي اعمال المكتب الدائم كل  
عناية ونحاول باستمرار الاطلاع على كل ما جد من  
نشاطكم المبارك ، كما نرجو ان تكون اتصالاتنا دائمة  
بصورة يرضيها ما نامله للعربية من ازدهار وتقدم فى  
أقطارنا ، بارك الله فى جهودكم وتقبلوا اجزل الشكر  
ووافر التقدير » .

— ومن مدينة وهران وصلتنا رسالة من الأستاذ  
عبد الله ميلود تقتطف فيها ما يلي : « وبعد .. فهانذا  
لاول مرة اكتب لكم ، وكلى اعجاب وتقدير بما تقومون  
به من خدمة فى سبيل تحرير اللغة العربية من كل  
الاعلال التي كبستها طويلاً ، واعطائها الصورة الحقيقية  
التي يجب ان تكون عليها ، فلفة الضاد لم تكن فى يوم  
ما لفة ادب وحسب ، بل هي لفة العلم والتقنية كما هي  
لفة الشعر والنثر ، وذلك هو اهم عنصر او بصورة  
اوضح اهم ميدان تتجلى فيه مجهودات المكتب الدائم  
للتعريب التي لم تعد فى حاجة الى تنويه » .

## \* من جهود مصر العربية :

— من الأستاذ الكبير محمد خلف الله أحمد مدير  
معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية  
بالقاهرة تلقينا كلمة شكر رقيقة جاء فيها : « تسلمت  
المجلد السابع ( الجزء الأول والثاني ) من مجلة  
« اللسان العربي » وهما جزآن حافلان بالبحوث القيمة  
التي تهمننا فى مجمع اللغة العربية وفى معهد البحوث  
والدراسات العربية ، ونحن حريصون على متابعة

حضرة الدكتور أنور بكير الأمين العام للاتحاد البريدي العربي جاء فيها : « تلقيت بمزيد من الشكر والامتنان لائحة المصطلحات البريدية التي قام المكتب الدائم بوضع ملاحظاته عليها ، ولا يسعنا الا أن نعرب لكم عن عظيم التقدير للملاحظات القيمة التي حفلت بها هذه اللائحة ، ولأسهامكم معنا في هذا العمل الدولي الهام ، كما نبعث بالشكر أوفره على الاستجابة لرغبتنا في تزويدنا بملاحظاتكم القيمة في هذا الزمن الوجيز » .

### \* من الجمهورية العربية السورية :

— من مدينة حلب حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من الأديب الأستاذ عبود حداد ، : « .. اطلعنا عند صديقنا الشاعر الأستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب « مجلة الضاد » الغراء - على مجلتكم الكبرى - فأعجبنا كل الإعجاب بما تضمنته من موضوعات علمية وتاريخية وأدبية . وقدردنا لكم الجهود الجبارة التي تبذلونها في سبيل هذه المجلة الموسوعية الوضاعة التي سلت ثلثة واسعة في عالمي البحث والتحقيق » .

— ومن مدينة دمشق وجه الينا رئيس ديوان مجلة « الفكر الثوري » الأستاذ محمد نسيب سعيد هذه الرسالة : « سيدي المدير ، لقد اطلعت على بعض أجزاء « اللسان العربي » المرسلة الى احد زملائنا في « اتحاد الكتاب العرب » فأعجبت كل الإعجاب لما وجدت فيها من أدب رفيع وعلم غزير ، وتحقيق رائع ، وبلاغة ساحرة ، وكل ذلك بفضل اشرافكم النبيل ، وعنايتكم السامية لهذا « اللسان المبين » .

— ومن دمشق كذلك وصلتنا كلمة رقيقة من الأستاذ محمد سالم الحموي ، استهلها بقوله : « لقد اطلعت على المجلد السابع من مجلة « اللسان العربي » ، ولقد دهشت بل وسررت جدا لما احتوته المجلة من الأبحاث اللغوية القيمة التي لا بد لكل دارس للعربية من الاطلاع عليها بل ودراسة ما جاء فيها من موضوعات قيمة ، كيف لا وهي تمثل خلاصة أفكار علماء العربية الكرام في عصرنا الحاضر »

— ومن وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي من دمشق تلقينا رسالة رقيقة تقتطف منها هذه السطور : « تهدي وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي تحياتها لمكتبكم ، وتقدر جهوده الطيبة لتنسيق التعريب وجعل اللغة العربية هي لغة العلم والأدب معا » .

— ونعود الى مدينة حلب لتلقى خطابا رقيقا من الاستاذ احمد وليد ضبع يقول فيه : « .. انه لجهد عظيم تقدمونه للأمة العربية ولقتها المجيدة لغة القرآن الخالدة ، وهل أجل من هذا الجهد عناية بعريبتنا القديمة وملاءمتها لمصرنا الحاضر لذا أسدي لكم مزيدا من الشكر وللجامعة العربية ولكل الاساتذة الكرام والدول التي تساهم في اخراج هذه المجلة الى حيز الوجود » .

— ومن دمشق تسلمنا رسالة من الاستاذ المطران ديونسيوس بهنام المعاون البطريركي للسريان الأرثوذكس تقتطف منها ما يلي :

« يسرني ان اكتب اليكم لأعرب عن اعجابي وتقديري لمجلكم الفنية « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتبكم الكريم ، والتي تحمل طابعا عربيا أصيلا صنو شقيقتها « العربي » الكويتية ، وقد ألقت أهدادا منها عند بعض الأدباء أصدقائي فازددت شوقا ورغبة للحصول عليها ومطالعتها » .

— وهذه رسالة أخرى من دمشق كذلك وصلتنا من الاستاذ خليل منور ييطار جاء فيها : « تحية عربية أبعثها لكم من روابي دمشق وغوطتها تنقل اليكم شذا ورود الربيع الجميل ومشاعر صديق من المشرق العربي يمد يده - على بعد الشقة - لتشد أزركم ولتبارك مساعيكم في حفظ العربية من طفيان اللهجات الداخلية والبطانة المستغربة .. صديق يستنفر لسانه وقلمه ليحفظ رمز العروبة وعنوان أصالتها ووحدتها من تحذلق المتحذلقين وغباء المتشدقين المستهترين » .

ان لغتنا وشعت علوم الشرق والغرب في أيام تأليفها ومنعتها وعزتها .. وما عجزها الذي يصنمه بعضهم الآن عن استيعاب المصطلحات الجديدة والمخترعات الحديثة الا عجزنا المستحكم وجمودنا المتمكن منا واغفاءنا الطويلة وفخرنا بسيف أبنا ورمح جدنا ونحن عزل ، وبعبقرية من سبقنا وفصاحتهم ونحن خرس » .

وقد بعث لنا ايضا بهذه الايات تحية للمجلة التي نشرها شاكرين :

حماة اللسان وأهل البيان  
واحفاد أجدادنا الأكرمين  
لسانكم كالشهاب المضيء  
ورمز العروبة فيكم مبين

« اللسان العربي » الفراء فأكبرت في شقيقتنا المغرب العربي ورجاله الأفاضل هذه الهمة والتضحية في سبيل العرب والإسلام » .

— ومن بغداد كذلك تطالعنا كلمة الاستاذ الحاج عبد الوهاب الأعظمي الأمين العام للمؤتمر الإسلامي جاء فيها : « اننا في الواقع - صرنا نرقب وصول هذه المجلة بكل شوق لانها مجلة علمية راقية فريدة من نوعها ، فجزاكم الله خير الجزاء ووفقكم لخدمة القرآن وعلومه وآدابه ولفته العربية والتي هي في الواقع اللسان الرسمي للدين الإسلامي الحنيف » .

— ومن الموصل بعث الينا الاستاذ يوسف ذنون رسالة رقيقة « يشكر فيها المكتب على مجهوداته في اخراج المجلة ويبيدي استعداده للمساهمة في مجال تخصصه « الخط العربي » « واللسان العربي » اذ تشكر له هذه المبادرة الطيبة ، يسرها ان تتلقى من القارئ الكريم نماذجه في هذا المضمار للنظر فيها » .

— وقد واصلنا رسالة أخرى من بغداد من الاستاذ محمد هادي المنصور ، تقتطف منها هذه السطور : « لقد طالعت مجلتكم ( اللسان العربي ) الفراء ونظرت الى ما تحمله في طياتها من اخبار جمة وعلوم مختلفة ، فوجدتها والله ، من نواذر المجلات في العالم العربي - انها لكوكب يسقط في سماء المغرب الأقصى ، وهي في الاخير ملتقى العلماء في العالم العربي » .

— ونعود مرة ثانية الى النجف لنتلقى برسالة الاستاذ هاشم الواعظ التي جاء فيها : « مما هو قمين بالاكبار تلك الجهود والكبيرة التي تبذلونها في اصدار مجلة ( اللسان العربي ) والتي تعطي لقارئها المتبع الوقوف على تطور جوانب اللغة وما يطرا على لغتنا من تغيير او تبديل او حذف او اضافة ، واكثر تلك الجهود واجهدا نفعا واكثرها خدمة للفتننا الأم هو تعريب المصطلحات الأجنبية التي غزت اللغة العربية منذ سالف الأزمان حتى عسرَ تمييزها او التخلص منها ، نعم رايت في مجلتكم خدمة كبيرة واضحة للغة العربية فضلا عن المواضيع الأخرى » .

— ومن البصرة حمل الينا البريد رسالة الاستاذ عبادي احمد التي جاء فيها :

« وبعد ، ان لغتنا اليوم تمر بظروف حاسمة نتيجة لما يحمله التطور بين طيات مخترعاته وافكاره المتشابكة على مسرح لغتنا العربية .. ولكي يتسنى للفتننا أن تعايش هذا التطور - دون ان يصيبها عجز كما يدعي

اعظم فيكم جمال العطشاء  
وكنا كذلك في العالمين

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاري السيد محمد المصطفى التي تقتطف منها هذه الكلمات : « لقد اطلعت على مجلتكم الدورية التي تصدرونها باسم « اللسان العربي » ، ودهشت دهشة فرح وحبور عندما تصفحتها لاطلع على اهتمامكم المتواصل بالتعريب وحفظ العربية واظهار ليونتها ومسايرتها للركب اللغوي العلمي الحاضر ، ومما اثلج صدري كذلك مرافقة كل عدد بمقالات باللغات الأجنبية كدليل على اهتمامكم ايضا باظهار المجلة بالمظهر المناسب وليطلع عليها أكثر من لسان » .

### \* من الجمهورية العراقية :

— ومن النجف واصلنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد رضا آل صادق يقول فيها : « وانني اذ اعرب لكم عن عميق شكري وتقديري ليسرني ان احييكم تحية الاكبار والاعجاب لما تقومون به من خدمة للغة الضاد والامة العربية ، وان مجلة « اللسان العربي » والحق يقال تمثل خيرة المجلات العربية ، ويصح ان نعتبرها دائرة معارف في اللغة العربية ، فوق الله العالمين فيها وأمدهم بعمر مديد » .

— ومن بغداد تلقينا الرسالة التالية من مكتبة جامع الهادي العامة جاء فيها : « لا ريب فيما للعلم والثقافة من اثر كبير في رفع مستوى مختلف طبقات الامة وايصالها الى سبيل الخير والرشاد ، كما لا ريب في ان ذلك لا يتيسر الا من خلال توفير سبل المعرفة وفي مقدمتها ( الكتاب المفيد ) لذا كانت للمكتبات العامة التي تقوم بدور مشرف في هذا المضمار الاهمية الكبرى مما حدا الكثير من ذوي الهمة والغيرة أن يسهموا في تشييدها واعمارها بما يقدمون من عون كمساهمة فعالة في خدمة امتهم واجيالهم ، وبالنظر لما نجاهه في مجلتكم الموقفة من اهتمام بالغ بهذا المجال ندعوكم أن تمدوا يد المساهمة سواء من مؤلفاتكم أو مطبوعاتكم ، كما لا يفوت ادارة مكتبتنا ان تنتهز هذه الفرصة لتكرر تحياتها وتمنياتها لكم بالتوفيق والسداد » .

— ومن بغداد نفسها كتب الينا الاستاذ سليم طه التكريتي يقول : « اطلعني الصديق السفير الاديب الاستاذ عبد الهادي التازي على أحد أعداد مجلة

( المكتب الدائم ) وما يبذله من جهد جهيد في سبيل  
احياء تراثنا العربي الخالد .. »

#### ✽ من الملكة العربية السعودية :

— نفتح جولتنا في الملكة العربية السعودية  
برسالة جاءتنا من ديوان رئاسة مجلس الوزراء جاء  
فيها : « نشعر سيادتكم بأننا قد تشرفنا باستلام  
المجلد السابع من ( اللسان العربي ) وهي المجلة  
الدورية التي يصدرها مكتبكم في الرباط ، شاكرين  
لكم جهودكم الجبارة في نشر الوعي الثقافي وتوسيع  
نطاق التعريب في العالم العربي » .

— ومن الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان بن  
حمد المستشار بوزارة العدل كلمة رقيقة تقتطف منها  
ما يلي : « ان الجهود الموفقة التي يقوم بها المكتب  
الدائم ضمن مجلة ( اللسان العربي ) وما تحتويه من  
مادة دسمة وبحوث ومقالات هامة قد اعطى لها - والحمد  
لله - رصيذا من التقدير والثناء ومن الرغبة في الحصول  
عليها من كل شاب مثقف يهتم بهذه اللغة الشريفة لغة  
القرآن الكريم ويعتز بها ويحرص على ان تظل صافية  
نقية من شوائب المعجمة والكلمات الدخيلة عليها » .

— ومن الرياض كذلك بعث الينا الاستاذ حمزة  
محمد عابد مدير عام الثقافة بوزارة المعارف كلمة  
رقيقة استهلها بقوله : « ويسرني ان ابدي لكم  
سرور الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف واغتنابها  
بالخطوات التي يخطوها مكتب التعريب الدائم من اجل  
الحفاظ على لغتنا الفصحى ، والعناية بها .. وليس  
ادل على ذلك من هذه المجلة الضخمة ، بل السفر القيم  
عن اللغة العربية واعني بذلك مجلة ( اللسان العربي ) » .

#### ✽ من الجمهورية التونسية :

— من سفارة الملكة المغربية بتونس الشقيقة  
تلقينا رسالة كريمة من الاستاذ السفير السيد التهامي  
الوزاني جاء فيها : « وبعد ، فلقد تلقيت بيد الشكر  
والامتنان مجموعة من القواميس المهمة مع العدد السابع  
من مجلة ( اللسان العربي ) التي يصدرها المكتب الدائم  
لتنسيق التعريب في الوطن العربي والتي تسهرون  
بانفسكم على اتمام اخراجها في حلة جذابة تأخذ  
بالالباب ، وتلي كثيرا من الرغبات وتثير سبيل العلم  
والمعرفة للجميع ، واني ابارك عملكم الجبار وارجو  
من المولى الكريم ان يديم توفقكم ويسدد خطاكم حتى

البعض - فما عليها الا ان تصفي حسابها مع المصطلحات  
الأجنبية بكيفية ايجابية .. ولن يتأتى هذا للفننا الا اذا  
جعلت لمسيرتها عبر عباب الافكار طريقا موحدا يوصلها  
الى الشاطئ المقصود حيث المرفأ المنشود ..  
وما المرفأ المنشود الا مجلة ( اللسان العربي )  
فاللسان العربي هي فعلا على المستوى المحلي والعالمي ..  
مرفأ تنطلق منه عاصفة اللغة العربية في اعماق العالم .  
منافسة غيرها من اللغات في مضمار التقدم » .

— ومن بغداد أيضا وجه الينا الاستاذ الكبير  
العلامة محمد بهجة الاثري رسالة كريمة جاء فيها :  
« وبعد ، وافتني الاجزاء الثلاثة من ( اللسان العربي )  
لعامها الثامن - مد الله حياتها - وهي تمثل بضخامتها  
وفخامتها وما زخر فيها من بحوث ودراسات فياضة  
ناضجة ومجودة غاية التجويد ، اعظم نقله الى الامام ،  
ونموا عجيبا لم اعهد له نظيرا في الأعمال العلمية في  
دنيا العرب ، وانه ليشير الدهشة ويبعث الفبطة  
والانسراح ، ولست أشك في ان الفضل في هذا كله  
راجع الى النشاط العقلي الذي تتمتعون به وتفيضونه  
على الناس ، والى الاخلاص في العمل الذي تتحلون به ،  
وحبكم للغة القرآن ان تعود اليها عزتها وسالف  
مجدها .. واني لوانق ان صنيعكم العظيم هذا سيكون  
حافزا لنوائر العلم والثقافة في الوطن العربي ان  
تحتذيه وتجاريه وتمد مدكم الفياض هذا ،  
والله سبحانه يتولى الجميع برعايته ويمدهم بعونه  
وتوفيقه » .

— ومن بغداد كذلك وصلتنا هذه التحية الطبية  
من الاستاذ عبد الرزاق الجزار يقول فيها : « اتشرف  
باعلامكم بتسلي ثلاثة اجزاء من المجلد الثامن من  
مجلتنا الأثيرة ( اللسان العربي ) فأثرت البدء بمطالعتها  
قبل اي كتاب او مطبوع آخر . والحق يقال ازدددت  
اعجابا وافتخارا ليس لثرائها بالموضوعات والابحاث  
التي احتوت عليها فحسب ، وانما لطلاوة تلك الابحاث  
وعمقها وغزارة مادتها ، فهي تعتبر بحق مجلة العرب  
الأولى المعبرة عن لسانهم ، وفقكم الله في مساعكم  
وجزاكم عن العربية والعروبة خير جزاء » .

— ومن البصرة جاءتنا هذه الرسالة من الاستاذ  
عبد القادر الحاج عبد الجليل يقول فيها : « كثيرا ما  
كنت ارتاد مكتبة جامعة البصرة ، فيقع بصري على  
مجلة ( اللسان العربي ) فأذهب سارحا بين صفحاتها ،  
اقرا الموضوع تلو الاخر ، حتى اذا ما انتهيت او شارفت  
نهاية المطاف .. ياخذني الذهول والاعجاب بما يخرج

تزيدونا من تلك الروائع التي هي أبرز الأعمال المهمة والتي تعطي صورة حقيقية وعملية عن الحالة الفكرية والعلمية والثقافية بالمغرب » .

— ومن تونس كذلك وصلتنا هذه التحية الطيبة من الدكتور محمود عبد المولى : « أشكركم على جهودكم المبذولة في ( اللسان العربي ) ، أن هذا السفر القيم لعل أهمية علمية فائقة لأنه يسدي إلى الباحثين واللفة العربية خدمات لا تهاهي » .

— وهذه رسالة أخرى من تونس أيضا بعث بها إلينا الاستاذ محمد الهاشمي زين العابدين جاء فيها : « أن عملكم هذا ، العظيم المبارك لا تلبث آثاره أن تقتحم المؤلفات العربية أحياء للسان العربي ، وتوطيدا لكيانه في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه لفة الضاد » .

— ومن مدينة صفاقس وجه إلينا الاستاذ الطاهر عبد السلام مكون كلمة رقيقة تقتطف منها هذه الكلمات : « قرأت مجلتكم الفراء ونالت إعجابي كثيرا وجدت فيها الأبحاث المفيدة والمقالات الشيقة في التعريب واللفة والترجمة ، واني اتقدم اليكم وإلى أسرة المجلة بشكرنا الجزيل على الجهود القيمة التي تبذلونها نحو الوطن العربي ، وفي سبيل دعم اللفة العربية » .

#### \* من المملكة المغربية :

— من الدار البيضاء وصلتنا رسالة من الاستاذ عبادي أحمد يقول فيها : « لا يخفى على أحد ما لمجلة ( اللسان العربي ) الفراء من أثر بالغ وخدمة نافعة للفة العربية وتبسيطها وتيسيرها ونشرها ، والعمل على رفع شأنها في العالم ، ولعلنا نحن رجال التعليم نعد من جملة من عمهم هذا الأثر وغرهم ذلك النفع لما تقدمه المجلة من دراسات ومصطلحات نحن في أشد الحاجة إليها ، والحقيقة أن فضل المجلة واضح أمام الجميع خاصة وأنها توزع على نطاق واسع » .

— ومن مدينة مراكش جاءتنا كلمة رقيقة من السيد شوقي الحسن يقول في مستهلها : « أن مجلة ( اللسان العربي ) التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي لمثيرة بموضوعاتها وأبحاثها العلمية والأدبية ومثار الدهشة فيها أيضا يتجلى في إقبال الطلاب والأساتذة ورجال العلم على اقتنائها ودراسة أبحاثها وموضوعاتها التي تجد في نفس القارئ العربي كل إقبال وترحيب » .

— ومن مدينة الرباط وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد عادلي تقتطف منها هذه السطور : « وبعد ، مما لا ريب فيه أن مجلتكم الموقرة تلعب دورا طلائعيا هاما في التقدم بالعربية نحو الامام ، والعمل على تطويرها لمسيرة الحضارة المعاصرة ، وهي تعد بحق سجلا حافلا بجلائل الأعمال في مختلف الميادين العلمية واللفوة والثقافية » .

— ومن مدينة الرباط كذلك جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ رزقي أحمد القديري يقول فيها : « حينما أريد اقتناع الذين يجهلون لغتهم العربية أو يتجاهلون بها بأنها لغة علم وإدارة لم أجد بين يدي ما يؤازرني في دعوتي من المفردات العربية إلا النزر اليسير رغم كثرة القواميس العربية الوارد غالبها من لبنان .. والآن وبفضل هذه الذخائر العربية التي تصدر عن مكتبكم يحق لي أن أرفع الرأس وأنا أقدم للذين في قلوبهم مرض ما تتوفر عليه اللفة العربية من مرونة وقدرة على شق جميع الميادين جنبا إلى جنب بين اللغات الحية الأخرى . ويرجع فضل هذا الاعتزاز إلى جهودكم في تمهيد السبيل وإنارة الطريق وأن مكتبكم العامر لعظم في نظري إذ يستحق أكثر من الإعجاب والتقدير ، ادعو الله مخلصا أن يظل مكتبكم يحصد النجاح تلو النجاح والله وملائكته يباركون لكم أعمالكم » .

#### \* من الجمهورية اللبنانية :

— من معهد الشرق الأوسط ببيروت تلقينا رسالة من الاستاذة سلفيا اسطفان تقتطف منها هذه السطور : « نشكركم جزيل الشكر للعناية التي أوليتموها لنا بارسالكم مجلتكم المحببة والمفيدة والتي لاقت إعجاب الكثيرين من طلابنا » .

— ومن بيروت كذلك وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذين يوسف محمد رضا و خليل شرف الدين : « تحية تقدير وإعجاب بكم » وبالجهود المشكورة التي تبذلونها في خدمة اللسان العربي والثقافة العربية » .

— ومن المتن الشمالي بلبنان أيضا تطالعنا رسالة الاستاذ جوزف بارود التي جاء فيها : « لقد قبض لي الإطلاع على مجلة « اللسان العربي » التي تشرّفون على إدارتها ، وترأسون تحريرها فوجدت فيها مادة غنية ومنهلا دافعا لكافة الناطقين بلفة الضاد » .

— ومن بيروت حمل إلينا البريد هذه التحية من الاستاذ جوزيف افرام البستاني رئيس دائرة المكتبة



لتكون نبراسا لآبناء هذه الأمة ، كما ادعو الله أن يسدد على الخير خطاكم ويوفقكم وجميع العاملين معكم الى ما فيه خدمة ديننا ولقننا » .

— ومن الفرق بالاردن أيضا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ بهجت فرحان حداد : « يشرفني - وبكل فخر - أن أحبي الجهود الكبيرة المفضية والأعمال المشرفة العظيمة التي يحملها على عاتقه مكتب التعريب في الوطن العربي ، لخدمة العربية وآدابها ولايضال هذه اللغة الجميلة الى المستوى اللائق بها لتحتل مكانتها المرموقة بين لغات العالم حيث أن لغة الضاد هي الركيزة الأساسية لبناء حضارة شامخة وماجدة لامتنا النبيلة ، فباسم هذه اللغة أجل هذا العمل الجبار على أيدي علمائنا الكبار ودمتم في نضالكم المقدس » .

— ومن مدينة اربد تطالعنا رسالة القارئ الكريم الاستاذ غازي محمد عودة منها : « لقد اطلعت وكلي فخر واعتزاز على مجلتكم ، وفي الحقيقة لا يسعني الا أن اطأء رأسي اجلالا لهذا الجهود الرائع القيم والعظيم الذي بذل في اعداد المادة وتحضيرها ، وأن دل ذلك على شيء فانما يدل بالتأكيد على نية صادقة ، وعزيمة قوية في خدمة اللغة العربية والأمة العربية بأسلوب عصري علمي حديث بعيد كل البعد عن الارتجال والهرطقة والتنطع ، واني لاهيب بكم أن تواصلوا البحث وتوصليل هذه الأبحاث للقارئ العربي في كل مكان » .

#### \* من الجمهورية العربية الليبية :

— ومن طرابلس وجه إلينا الاستاذ احمد عيسى المقدمي هذه الرسالة : « تحية لكل مخلص وكاتب وكل مساهم في تطوير وكشف غموض اللغة العربية وأسرارها ، ومكنوناتها ، وتاريخها ، واني أشكر القائمين والعاملين في المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، وأرجوكم اعطائي فكرة عن اللغة البربرية » . شكرا لعواطفكم وفي خصوص سؤالكم عن اللغة البربرية يمكنكم أن تراجعوا العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي »

#### \* من الجمهورية السودانية :

— من الخرطوم تلقينا رسالة من السيد محمد سيف الدين سر الختم جاء فيها : « لقد تتبعت بشغف شديد ، واهتمام بالغ « اللسان العربي » وقد ارتاح

المركزية بالجامعة اللبنانية جاء فيها : « وليس في وسع أمانة المكتبة الا أن تتقدم من حضركم لا سيما في هذه المناسبة الطيبة بأصدق شكر وأعمق تقدير تجاوبا معكم ولاهدانكم الكريم الذي يعتبر انجازا ثقافيا وأدبيا ضخما يرى فيه القارئ العربي المثقف مادة غزيرة ومرجعا رئيسيا يستفيد منه ويستعين به ، وإن مثل هذه المجلة الدورية العربية التي تصدر عنكم لهي مفخرة للمكتبة العربية ، لما تحتويه من بحوث قيمة ومفيدة ، تغذي المجتمع العربي بالزبد من الدراسات في لغته وتراثه الضارب جذوره في عمق التاريخ » .

— وهذه رسالة كريمة من لبنان كذلك وصلتنا من الاستاذ العلامة عجاج نويهض ، وجدير بنا أن نشير اشارة سريعة الى نشاط هذا الرجل في الحقل العربي قبل أن نورد رسالته : فهو اديب كبير من فلسطين اشتهر بعدد من الكتب أعظمها : « حاضر العالم الاسلامي » الذي علق عليه الامير شكيب أرسلان حتى ظهرت الطبعة الأخيرة في أربعة أجزاء كبيرة وصاحب كتاب « بروتوكولات » أو « حكماء صهيون » الذي لم يعلق حتى اليوم كتاب تعليقاً علمياً وتاريخياً دقيقاً مثله وهو في جزءين كبيرين اعتزل الحياة الآن في قريته بوسط لبنان تبعد عن بيروت نحو ثلاثين كيلمترا ، لكنه ما زال يهتم بالترجمة والتأليف . ولقد جاء في رسالته ما يلي :

« أشكر للمغرب والمناضلين الثقافيين فيه هذا النشاط من « دعوة الحق » المشبعة المليئة الناضجة الى « اللسان العربي » الزاخرة المحشوة بالعلم حشواً الى ما يقوم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وأحيي العلامة الاستاذ الجهد عبيد العزيز بن عبد الله المدير المسؤول ورئيس التحرير للمجلة ، مما يضاعف الأمل الحي في نفس العربي المسلم ، وغير المسلم أن هذه الأمة وهي خير أمة أخرجت للناس ، ستعود أو هي عائدة في الحال سيرتها الأولى » .

#### \* من المملكة الأردنية :

— من مدينة السلط كتب الاستاذ صبري مصطفى السمعود كلمة رقيقة يقول فيها : « كان لي شرف الاطلاع على عدد من أعداد مجلتكم الفراء فوجدت فيها فائدة عظيمة للإسلام والعروبة ولغة الضاد فدعوت الله مخلصاً أن يمد في عمر هذه المجلة وأن يزيد نفعها

المروية والاسلام الصادقة ابعت بها اليكم مقرونة  
بالاعجاب والاكبار لما تبدلونه في سبيل لغة الفساد  
المجيدة ترجمان الدين ولسان اهل الجنة ، ومحاربتكم  
للعجمة والتفريب » .

وقد ارفق السيد هاشم كلمته ببيتين نشرهما  
لصدق معانها :

لغتي التي آمنت أن وجودها  
يعني وجودي وهي عين بقائي

سأزود عنها ما حبيت لانها  
لغة ( الكتاب ) وذاك فيه وقائي

و ( اللسان العربي ) تشكر الاستاذ الكريم على  
عواطفه النبيلة نحو مجلته - التي هي مجلة المتقنين  
قاطبة - وتتمنى له كل توفيق » .

#### \* من الأرجنتين :

— من مدينة قرطبة تسلمنا رسالة من الاستاذ  
(تديم ابوب) جاء فيها : « اطلعت عند أحد الاصدقاء من  
اهل الأدب في هذه الحاضرة على مجلة (اللسان العربي)  
التي يصدرها مكتبكم ، والحقيقة ان هذه المجلة تحفة  
ثمينة لدى كل اديب عربي يفار على لغته ، ويعتز  
بقوميته ، واني لأبدي لكم تقديري واعجابي بانجاحكم  
الى هذه الناحية من نواحي الجهاد القومي بتعزيز  
اللغة العربية وهي النواة الصالحة التي تؤلفها العناصر  
الأولية في تبادل الافهام لايجاد الوسائل اللازمة في  
تثبيت الوجود وحفظ الكيان ، وقد يحق الثناء ايضا  
على جهودكم المبذولة في التعريف بحقيقة الاسلام  
وما يرمي اليه من تنوير العقول وتوحيد القلوب » .

— ومن (بوينس آيرس) جاءتنا رسالة من الاستاذ  
(زكي قنصل) تقتطف فيها ما يلي : « وقد عكفت على  
مطالعة ما فيهما (الجزء الاول والثاني من المجلد السابع)  
من ابحاث قيمة ومقالات نفيسة تنطوي في اكثرها على  
متعة وفائدة ، ولقد لفت نظري - في الجزء الاول بحث  
بعنوان « أثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية » بقلم  
سلمى الحفار الكزبري وهي كاتبة ذائعة الصيت لقامت  
ودعا من الزمن في الأرجنتين وفترة اخرى في اسبانيا  
زوجة سفير سوريا الاستاذ الكزبري ، وقرأت بشغف  
ولدة مقال الدكتور محمد عبد الرحمان مرجبا  
« تشويهات في اللغة العربية » وانا أوافقه على ما جاء  
فيه واثني على الاحتجاج على ما يصيب العربية من غبن  
وتشويه على أيدي بعض المترجمين وغير المترجمين » .

ضميري وانتم تقومون بضم اللسان العربي وجمعه من  
البعثرة والضياع » وبما انني خطاط فانني أضع نفسي  
رهن اشارتكم في حدود امكانياتي » .

فشكرا لاستعدادكم للمساهمة في تنوع خطوط  
المجلة ونحن في انتظار نماذجكم .

#### \* من السينغال :

— كتب الاستاذ أحمد التجاني صال - خريج  
جامعة القرويين بفاس - رسالة رقيقة تقتطف  
منها هذه السطور : « اني ارى أن مجلة (اللسان العربي)  
ضرورية لكل مهتم بالثقافة العربية والاسلامية وهي  
هزمة وصل بيننا وبين الأبحاث القيمة التي تقدمونها  
الى العالم العربي والاسلامي » .

#### \* من ايطاليا :

— من روما وصلتنا التحية التالية من السيد  
انريكو شروللي : « اشكركم من الاعماق ، واقدر  
الدور الكبير الذي يضطلع به مكتبكم وما يقدمه من  
اعمال ، وما حققه من نجاح مشرف من أجل تحسين  
الثقافة العربية » .

— ومن روما كذلك بعثت إلينا الدكتورة اميليا  
كوزاتي عن اكااديمية الفهد الوطنية رسالة « تزجي فيها  
الشكر للمكتب عن مجلة ( اللسان العربي ) وتهنئته على  
هذا العمل الكبير ومساهمته الفعالة التي لها صلة  
بالدراسات اللغوية العربية » .

#### \* من الهند :

— من جامعة علكرة الاسلامية وجه إلينا الدكتور  
مختار الدين أحمد رسالة مطولة « يرجو فيها ربط صلة  
ثقافية بالجامعة المذكورة وبالمكتب ، ولقد بادر المكتب  
فعلا الى امداده بجميع مطبوعاته منها مجلة ( اللسان  
العربي ) التي قال عنها حضرة الدكتور : « هذه  
المجلة قد حازت اعجابي بموضوعاتها وترتيباتها  
وجعلتني اثني على المجهود الكبير الذي بذلتموه في  
خدمة العلم واحياء التراث العربي القديم » .

#### \* من بريطانيا :

— وصلتنا رسالة رقيقة من القارئ الكريم  
السيد هاشم المهدي الشريف جاء فيها : « تحية



و « المجلة » تشكر الاستاذ الكريم على ملاحظاته القيمة وكذا على تنبيهه لنا للخطا الطباعي الذي وقع بالنسبة لمقال الاستاذة سلمى الحفار الكزبري ، والذي نأسف لوقوعه .

#### \* من فرنسا :

— من باريس جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذ رمسيس أحمد شافعي : « سيادة المدير العام ، اني لاود في هذه المجلة ان اعبركم عن صميم اعجابي وعظيم اكباري للجهد الرائع الذي يبذله المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي تحت اشرافكم وان اقدم لكم تهانئي الخالصة على الانتاج الوفير لما اصدرتموه من المعاجم في مختلف حقول المعرفة » .

#### \* من سويسرا :

— من جنيف كتب الدكتور زكي علي يقول : « لقد اطلعني صديق عربي مثقف يقيم بسويسرة على ان المكتب الدائم للتعريب يصدر مجلة قيمة اسمها ( اللسان العربي ) فابتهج فؤادي ابتهاجا مضاعفا اولا بوجود هذا المكتب في ذلك البلد المحبوب من الوطن العربي لاقامة معالم العربية بعد ان عمل الاستعمار البغيض في المهود البائدة على طمسها ، وثانيا باصداركم مجلة جليلة الشأن بما تحتويه من موضوعات وبحوث قيمة تبث في نفوس قرائها حب الثقافة العربية والاعتزاز بلغة القرآن الكريم والعمل على تعميم التخاطب والكتابة بها في كافة البلاد العربية » .

#### \* من الولايات المتحدة الأمريكية :

— جاءتنا من الاستاذ سلمان العاني ، الاستاذ المساعد بقسم الدراسات والاداب الشرقية بجامعة انديانا التحية التالية : « لقد تأثرت كثيرا بالعمل الجاد العلمي الذي تنشرونه في مجلة ( اللسان العربي ) وكذا بمقالاتها القيمة ، وهي مساهمة فعالة منكم بالنسبة لدراسة اللغة العربية ونشرها » .

#### \* من المانيا الغربية :

— من مشروع دار السلام بكونولونيا تلقينا رسالة من الاستاذ محمد رسول يقول فيها : « نما الى علمنا ان لكم مجهودات طيبة في سبيل احياء اللغة العربية وانكم تصدرون مجلة ( اللسان العربي ) الفراء التي تصدر بصفة دورية لتبسيط العلوم اللغوية والترجمة والتعريب ، وانه لا يسعنا ازاء هذه المجهودات الا ان نرجو لكم كل توفيق من المولى عز وجل في الارتفاع بلغة القرآن الكريم الى المكانة المرجوة لها في وسط الامم المتحضرة » .

— ومن جامعة ارلانجن بالمانيا الغربية ايضا جاءتنا هذه التحية من الاستاذ هاشم الايوبي : « لقد وقعت على بعض اعداد مجلتكم الراقية ، وعندما كنت في موطني لبنان احضر الدبلوم في اللغة العربية ادركت ان روحا جديدة ودما جديدا ينبضان في جسم لفتنا العظيمة على صفحات مجلتكم الراقية وادركت كذلك ان فراغا كبيرا كنا نعانيه نحن المشتغلين بامور اللغة ، قد بدأت تسده هذه المجلة » .

# نَحْوُ تَفْصِيحِ الْعَامِيَّةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ بِرَاسَاتٍ مُقَارِنَةٍ بَيْنَ الْعَامِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

## مقدمة

سبق ان نشرنا فى ورق المهرق ثمانين نسخة مكررة من كتابنا « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » وقد وزعناها على المختصين فى الوطن العربي لآخذ رأيهم كما نشرنا دراسات مقارنة حول اللهجات الدارجة فى كثير من الأقطار العربية وخاصة فى سوريا ولبنان ومصر والكويت وقطر والبحرين الخ . ثم أضفنا الى هذه الأبحاث حصيلة أخرى من الألفاظ الدارجة المغربية التي وجدنا لها أصلا عربيا فصيحا فى المعاجم القديمة كلسان العرب لابن منظور الذي جردناه بكامله لهذه الغاية فتجمعت لدينا ضميمة جديدة عززنا بها ما سبق ان نشرناه من قبل وهذه المجموعة هي التي نقدمها اليوم للقراء الكرام وهي محاولة أولى نرجو أن تكون قد أسهمت بها فى إقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات فى العالم العربي اعتبارا لأصولها الفصحى وما نتلمحه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث فى الوطن العربي موحدة أقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

# صراع بين العامية والفصحى بالمغرب

ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك وتمتاز العامية (1) بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الاحيان اكثر ايفالا في القلب والتسهيل. ونضرب لهذه الوحدة الاصلية امثلة وجيزة لا تنفرد بها العامية في المغرب الاقصى وحده بل تميز اللهجات الدارجة في معظم اجزاء العالم العربي (2) ، فمن مجالي التخفيف في اللسان الفصيح والتي اثرت في السنة العامة وجود مترادفات يختلف بعضها عن بعض باضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومي اخفها نطقا وان كان اكثرها احرفا مما يؤكد ان عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الاصيل الا اذا لم تجد في صيغه ما يتفق وطبيعتها الميلالية الى التسهيل ومن امثلة ذلك : (رز — ارز) (سبل — سنبل) (سبولة في العامية) — سطل وسيطل (سطل) — تحوان واتحوان (تحوان) — لوباء ولوبياء (لوبياء) — مونة ومؤونة (مونة) — وز —

(1) العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين ( البيان والتبيين ج 1 ص 111 ) وقد لاحظ ان في كل مدينة السنة ذلقة غير ان اللهج كان فاشيا في العوام ( ص 111 ) .

وقد تحدث احمد امين عن العامية في القرن الرابع، فقال: « ان اللغة العامية اصبحت معترفا بها يبحث في الفاظها واساليبها وينتقى منها خيرا الا بعض علماء كآبي العلاء المعري ... ( ظهر الاسلام ج 2 ص 100 ) .

(2) توجد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات من اهدافها استقراء الالفاظ والتراكيب الجارية على السنة اهل الاقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم واطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا وترتكز اللجنة في هذا البحث على تنقل القبائل لها له من اثر كبير في لهجات الاتاليين وتطورها واختلافها ( مجلة المجمع جزء 7 ) .

اوز (وز) — دغر ودغمر اي خلط (دغمر) — طلمس وطمس الكتابة بمعنى محاها (1) —  
نطحه وفرطحه اي (جعله عريضا : فطح وفرطح) — قصم وقصم اي قطع (قصم)  
هدم ودهم (هدم) .

وهناك مترادفات يختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب ( جبذ ) وخربش  
وخرشب العمل اي لم يتقنه ( خربش ) وخشخش وشخشخ (2) السلاح صوت —  
دعس وعدس ( داس ) (3) — دعم وعمد ( عمد ) — ادغم وادغم « ادغم » تسكع  
وتكسع ( تسكع ) — فطس وطفس اي مات ( طفس ) لطح وطلخ ( لطح ) ينس وأيس  
( أيس ) وقد تستعمل العامة الكلمتين مثل : كف وكفكف — كب وككب — هز  
وهزهز — ذر وذذرذ الخ .

أما النحت فأمثلته كثيرة : ويلمه وهي منحوتة من أصلها ( ويل لأمه )

صبحه اي قال له صباح الخير .

مساء : قال له مساء الخير

تويل : قال يا ويلي

فسقه : قال له يا فاسق

ما شاء الله — ( ما شاء الله ) — ما طيبو ( ما أطيبه ) — محلاه ( ما أحلاه ) الخ .  
ومن أمثلة الاتباع أو الإبدال بنفس المعنى :

العجر والبحر — حيص بيص (4) هين لين ( سهل ) — هش بش ( مسرور ) —  
الكوع والبوع ( كمو وبمو ) — الجوع والنوع — شيطان ليطان — حسن بسن الخ.  
وهناك مآت الكلمات تحكي الاصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان نذكر منها  
ما يلي :

زرزور — صمصاف — ريج — رعد — قيقاب — ناقوس — طبل — بوق —  
نبح الكلب — قاققت الدجاجة — طن أو دن الذباب — وع الطفل الباكي — طنين  
الناقوس — خريير الماء — تقل — لحس — نفخ — ببح — قحب — أح — عطس —  
بخ — صاح — زعق — ناح — ضرط — فسا — زمر — قطع — شق — دق —  
تختخ — تتم — جمجم — غمغم — بعبع — بقيق — قرقر — وسوس — همهم —  
نحنح — خنخن — ( تكلم من أنفه ) — قهقهه — قرقر — صرصر — ولول — ووحوح —

(1) استعملت العامة الكلمتين : طمس بمعنى محى وطمس بمعنى أخفى ( الطلامس  
اي الطلاسم )

(2) يستعملان في معنيين متقاربين ( شخشخ وجهه اي جلب له العار ) .

(3) تطلق العامة لفظتي دحس ( بالحاء بدل العين ) وداس على مدلولين متقاربين

(4) أفرد أبو البركات الأنباري كتابا خاصا لحيص بيص وقد توفى عام 577 هـ .

دقدق — وعوع — غرغر — طلل — هرهر — زعزع — حثحث — ضعضع —  
شعشع — وقوق — زقزق — زرز — طقطق — رشرش — ربرع — طنطن — تكتك.

أما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن في العامية والفصحى للتدليل على نفس  
المدرجات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقطة والتظاهر والتشبيه أو التشبيه والوصف  
مثل كنز (1) (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (منسوب) ونكسة  
(نجسة أي كثير النجس) وشتامة (كثيرة الشتم) وعيابة ومصلحة (أي صلاح)  
ومطهرة ومفسدة وحنالة وفتالة (أي بقية الثفل) وقمامة ونخاله ونشارة ونجارة  
وأحمق (أكثر حمقا) وأخوف وأطيب وأسلم وأخوأ وأعجب وأعرف وجهه جاهد  
(أي شديد) وصيف صائف وهول هائل وعيشة راضية ومكان عامر (أي معمور)  
وخبر كاذب (أي مكذوب) ويمين فاجرة (أي مفجور فيها) وتفاقر (أظهر الفقر)  
وتباكى وتحامق وتجاهل وتهاوت وتناعس وتشيطان وتفحل وتفرعن وتفرنج وتمدن  
وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر وأحمق (أي موصوف بالحق)  
وابله وأعمى.

ويجمع المذكر في اللسانين بإضافة تاء مربوطة إلى المفرد مثل : حمارة (أصحاب  
الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (أصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعامية  
في الاشتقاق المنطقي من الفاظ ذات معنى حسي مجرد كالحمام من حم الماء أي  
سخنه ومخدة من الخد والسماء من سما أي ارتفع والسمن من السمن والشباك من  
شبك والغمام من الغم أي التغطية والجارية أي التي تجري في خدمة سيدها  
والجمعة أي يوم الاجتماع في الجوامع وحريم الرجل أي نساؤه (من تحريم المرأة على  
غير زوجها) والصداع أي وجع الرأس من صدعه أي شقه والفلة الدخول من كراء  
بيت أو فائدة أرض من غل المكان إذا دخله.

ويكاد ينعدم في العامية التغليب بالثنى (مثل القمرين والخافقين والعشائين  
والأصفرين والأسودين) واستعمال صيغة فعال المبني على الكسر (للدلالة على  
الأمعال والأسماء) أو المصدر نعتا أو معظم صيغ المبالغة (منفعل ومفعلة وفعل) أو  
مفعلة للكثرة أو المكان أو الفعل للتعظيم أو التصغير (اعنق (أي طويل العنق) واعين  
وأورك (أي عظيم الورك) وأخفش (صغير العينين) أو افعل للدخول (اتهم وأشأم  
وأغلس وأنجد).

(1) كنز ومكنوز ذكره ابن سيده في المخصص في مادة كنز.  
وتوجد صيغ عربية كثيرة انفردت بعض الأقاليم العربية باستعمالها مثل مصدر  
فعل المضعف على وزن تفعال مثلا حمل تحملا بدل تحميلا في المغرب واليمن ،  
قال الكسائي : « أهل اليمن يجعلون مصدر فعل تفعلا وغيرهم من العرب  
يجعلونه تفعيلا » .

ومما امتازت به الفصحى أيضا أفعال السلوب الدالة على الزوال مثل  
اعتب أي أزال العتاب واشكى اذا أزال الشكوى وزينغ أي أزال الزيغ  
والميلان ( زينغ بالعامية أثار الزيغ ) وتائم وتخرج وتحنت اذا تجنب ذلك .

وكذلك زيادة الميم للمبالغة كزرقم أي شديد الزرقة .

ويجب أن يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العاميات العربية وتوحيدها فقد  
تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى وخفت أوجه الاختلاف بها استوثق  
اذ ذاك من صلات في الأسواق الاتلمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت  
قريش دورا هاما في انتقاء أجود اللغات ، فنسقت واجتبت أفضل لغات العرب حتى  
صار لغتها أفضل لغاتهم ( لسان العرب ) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة  
تحت راية الاسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التي ساندتها أحرف القرآن  
السبعة وقد احتفظت السنة جهوية بميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئة  
والإبدال وأوجه الاعراب والبناء » ( متن اللغة ج 1 ص 47 ) فقريش مثلا تفتح نون  
المضارعة وأسد تكسرهما والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف في  
الاسماء فلا يكاد يظهر الا في لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها ( المدينة  
الحميرية بدل السكين مثلا ) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب في مظاهر مختلفة كالأظهار والإدغام والاشمام  
والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتسهيل والإبدال وهو اختلاف في  
الصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديما  
النعنة عند تميم وقيس ( إبدال الهمزة عينا ) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة  
( إبدال كاف الخطاب شيئا ) والغمغة عند قضاة ( وهي إخفاء بعض الحروف )  
والفحفة عند هذيل ( إبدال الحاء عينا مثل حتى وعنى ) واللخاينة في عمان واليمن  
( وهي حذف همزة ما شاء الله ( مشا الله ) والتثنية في بهراء وهي كسر تاء المضارعة  
( تلعب ) والوتم عند أهل اليمن ( قلب السين المتطرفة تاء كالتاء في الناس )

1) لاحظ الاستاذ فريد أبو حديد ( مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 205 ) أن  
حركة الكسر تكاد تكون شائعة في كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر  
الاسم المضاف الى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون في الشرق أنت مالك ( يقول  
المغاربية مالك بفتح اللام ) وهي لهجة لخم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة .



والوكم والوهم عند ربيعة وكتب ( كسر كاف الخطاب وهاء الضمير ) عليكم عنهم )  
والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار وهي تلب العيين  
السائلة قبل الطاء نونا ( انطى — أعطى ) وما زالت مظاهر ذلك الى الان عند  
الاعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الالفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن في  
اللغة الموحدة نفسها اختلافا في الابنية من لفتين الى ثلاث عشرة لغة ( عباءة —  
عباية الخ ) .

وقد أرجعت اصول الكلمات الواردة في القرآن الى خمسين لهجة من لهجات  
القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف في الحركات الاعرابية منذ صدر الاسلام فصار العوام في منهمجهم  
المنحرف واستفحل هذا الزيف اللغوي باختلاط العرب بالاعاجم بعد الفتوح فذهب علماء  
اللغة لتقويم العامية وارجاعها الى اصالتها الفصحى وتجلي هذا الجهد في « أدب  
الكاتب » لابن قتيبة « ودرة الفواص » للحريري فحف البون بين النصحى والعامية اذا  
روعت شساعته في اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية في جميع مظاهرها لغة  
عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد . ان العامية احتفظت احيانا بالفاظ عريقة  
استعملها العرب واهلها المحدثون وقد راعت العامة مقتضيات التطور اكثر مما فعل  
اللغويون الذين جمد الكثير منهم وراء قواعد راسخة لا تنفعل للتيارات الحضارية  
المتجددة وقد حاول عرب الجاهلية تطوير اللغة استجابة لهذا الناموس وساعدهم  
على ذلك كون العربية كانت لغة منطوقة لا متروكة وسارت العامة على نهجهم  
ماحتفظت ببعض الخواص الحية وعملت على تنميتها بما يتفق ولوازم التجديد ضمانا  
لاطراد الحياة وقد اضطر بعض الشعراء أنفسهم كالفرزدق الى مسايرة هذا الاتجاه  
عندما استعمل ال بمعنى اسم موصول اليعمل واليضرب بمعنى الذي يعمل والذي  
يضرب وهي شائعة في العامية وخاصة منها المغربية .

وقد حاولنا في معجبنا هذا مقارنة بعض الالفاظ العامية في المغرب ومصر  
والشام ويتجلى من موازنة كثير من هذه الالفاظ مع مرادفها في المعاجم انها دخلت  
اولا الى اللغة الفصحى ومنها تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك بالمغرب  
والا فيصعب تعليل وجودها في العامية المغربية التي لم تتأثر البتة باللهجة السريانية.

ولا ننس أن الشام وخاصة لبنان هو منبع اللغة البونيقية أو اليونانية التي اثرت في البربرية المغربية منذ ثلاثة آلاف من السنين والبونية عربية الأصل (1) وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيفت كثيرا من المعطيات اللغوية لاسيما وأن الفينيقيين الشاميين اسسوا في المغرب الأقصى عاصمة هي تسمى أو ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد أي قبل تأسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد) .

وهناك مآت الكلمات التركية اندرجت في عامية سوريا ولبنان طوال أربعة قرون من الحكم التركي فأبعدت كثيرا من المقومات اللغوية عن عراقتها العربية وقد دخل عدد قليل منها الى المغرب منذ نفس التاريخ تقريبا أي في عهد السعديين الذين كان لهم ارتباط بالباب العالي لاسيما في الميدان الحضاري ( الحياة والجيش والملاحة والادارة الخ ) (2) .

وقد اشار الثعالبي في فقه اللغة ( طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450 ) الى اسماء مارسيتها منسية وعربيتها محكية أوصلها الى مائة وواحد وأربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والخياط والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمري والربعة والخرج والدواة والمرمغ والفتيلة والمجرة والمزارق والطليل والشكال والتلية والمهرسة والعصيدة .

ثم ذكر ( ص 453 ) أسماء تفردت بها الفرس فعرّبها العرب أو تركوها ، منها : الابريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور والسميد والكمك والسكنجبين والجلنجبين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور والقرنفل .

1) أكد الاستاذ توفيق المدني في « تقويم المنصور » عام 1348 ( ص 72 ) أن الكشف الحفري ونقوش الحجارة أثبتت كنعانية الفينيقيين كما أبرزت أن كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل أن تختلط اختلاطا فاحشا بمختلف اللغات الاوربية وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقي الخالص .. « وقد نشر توفيق المدني ( ص 72 ) نص الحفري القرطاجنية التي وجدت في البرازيل ويتضح منها تقارب البونيقية ولهجة شمال افريقيا .  
ووجود هذه الحفريات بالبرازيل يدل على أن القرطاجنيين هم أول من اكتشف أمريكا قبل الميلاد بـ 125 سنة .

2) راجع كتابنا «مظاهر الحضارة المغربية» و « معطيات الحضارة المغربية » (فصل: تاريخ دخول اللغة العربية الى المغرب ) وكذلك كتابنا « تاريخ المغرب » وتاريخ افريقيا الشمالية القديم لكزيل Gsell و « العصور الغامضة للمغرب » للمؤرخ كوتني « Siècles obscurs du Maghreb »

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي (1) لا بكيفية مباشرة لأن المغرب ظل في منحنى عن التأثيرات الفارسية .  
ومن أمثلة المشترك الفارسي في اللهجتين المغربية والشامية : بابا ( اي الأب في لغة الأطفال ) وبازار ( سوق ) وبازاري وباس ( لثم ) وشاويش ( وشاوش ) وخردة ( وأصلها العربي الخرتي ) وخواجه أو خواجي ( غني ) ودرويش ( فقير ) وزنزانة ( سجن ضيق ) وزيره ( جعله في مكان ضيق ) وسالف ( خصلة شعر متدلّية على الصدغ ) وشبر اي أشبار ( وهو حبل رقيق جدا ) وشنطة ( حقيبة صغيرة ) وشيت ( نسيج قطنى فيه رسوم واللوان ) وصباهي ( صباحي اي جندي ) وطارمة ( بيت خشبي ذو قبة ) وطاقيّة ( نوع من ملابس الرأس ) وقيطان ( خيط مفتول من القطن أو الحرير ) وكخ ( كخ بالمغرب اي رديء في لغة الأطفال ) ومارستان ( مستشفى المجانين ) وميخانة ( حانة اي خمار وتطلق على أحد الأحياء بالمغرب ) ونيشان ( وسام ) ونيشن ( نيش بالمغرب اي صوب التذيفة نحو الهدف ) أما اليونانية فقد دخلت هي أيضا الى سوريا ولبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليوناني بها مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود والعرب منذ أواخر الأمويين بما اقتحموه من الفاظ دخيلة في التاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه حكماء المغرب ونباتيوه أو عشابوه وكتب الطب والمعتقدات المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها في لغة العوام مع شيء من التحريف الا أن وجودها في عامية أهل الشام أبلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة طويلة من تاريخ البلاد .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية والتي دخلت الى العامية المغربية على ما يقال :

ياقوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولجنة ، وكروياء ، وكرنسب ، وكافور ، وقيطون ، وقيراط ، وقيثارة ، وقنطرة ، وقنب ، وتمقم ، وقلم ، وقصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وفندق ، وفنار ، وفلس ، وفص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلنن ، ودرهم ، وتؤللول ، وبلغم ، وبجماط ، وبطاقة ، وبارود ، وأوقية ، وأقليم ، والألماس ، والرز .

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية الفاظا يقال بأن منها أسطبل ، وبوق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاتور ، وطرطور ، وقرصان ، وفرن ، وقفة ، وتلنسوة ، وتميص ، وقنديل ، وقنطار ، وكوفية ، ومد ( مكيال ) ،

(1) وكذلك بالفاظ من اللغة التركية مثل باشا وبكرج ( اناء معدني ) وخازوق وتخوزق ( التخوزيق ) وسنق وطابور وطرز ( للاستهزاء والاستياء ) وطوبجي ( مدغمي ) وصابونجي وجيدولي ( صدرية ) وجامكية ( مرتب عسكري في عهد الموحدين ) وخواجي ( تاجر ) وبابوشة ( بابوج ) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومنديل ، وميل الخ (1) .

وبينما كان التأثير الاسباني في اللهجة السورية واللبنانية نادرا جدا اذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامة المغربية نظرا للتبادل الموصول بين الاندلس والمغرب خلال الحكم الاسلامي ابي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمائة عام بعد ذلك احتل البرتغاليون والاسبان في غضونهما مراكز هامة في شواطئ البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسيقي من المغرب (2) .

\*\*\*

وقد عرف البربر كسائر البدو منذ اعرق العصور حياة بدائية لم تكن تخلو من مظاهر احتفظت بها قبائل صحراوية واطلسية الى الآن كالملكية الجماعية والاشتراكية الفلاحية والسكنى في اكواخ الطوب بالداسكر والاقتصار في الاكل على الكسكس والصيد وشرب اللبن والعسل والماء القراح ولبس الجبة والبرنس ووضع اكاليل الريش على الرؤوس واستعمال الحراب والاقواس والخناجر والدركات الجلدية في الحروب وكان المغربي يرسم على الجدران صورا تمثل حياته اليومية في براعة فنية

(1) من الالفاظ الفارسية الدخيلة الدربة اى الطبل ( واصلها تابوراك ) والدمغة بمعنى الختم والطابع .

ويختلف هذا التأثير في الاقطار العربية الاخرى ولعل الدخيل من الفارسية في لغة العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال في مصر فان معظم الدخيل فيها في لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الانجليزية ( محمد رضى الشيبى مجلة مجمع مؤاد الاول للغة العربية ج 8 ص 131 ) .  
وديوان العراق لم ينقل من الفارسية الى العربية الا في عهد الحجاج الذي امر بذلك كاتبه صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين ( تاريخ ابن خلدون - المجلد الاول القسم الثاني ص 437 ) .

(2) ذكر برونو Brunot ( هسبريس 1949 - العددان الثالث والرابع ) ان اللغة الرومانية اللاتينية امدت العامة عن طريق الفصحى بالفاظ مثل مد وقصر او مباشرة بكلمات مثل الطابية وكركزة وكركور وذكر ان لفظ قنديل (Candi) مقتبس من اللفظ العربي Qindid وان الكفنة مأخوذة من التركية .

ولاحظ في مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا ان وفرة الالفاظ الاسبانية الدخيلة في هذه المفردات تدعو الى نسبة بعض الكلمات الى اصل يوناني لاتيني وهذا الغلط هو الذي وقع فيه سيموني Simonet في كتابه Glosario حيث ذكر مثلا ان الشابل Alose مستمد من اللفظ اللاتيني Sapidus وقد اعطى برونو صورة عن مروح التأثيرات الاجنبية في العامة البحرية بالرباط وسلا فذكر انه بالاضافة الى 456 لفظ عربي يوجد 217 كلمة اسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية وايطالية و 6 انجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية واحدى عشرة كلمة مشكوك في مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة الى موائء اخرى في المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففي الرباط مثلا تسمى Chaloupe بالعشارية وفي مستغانم ببوطة من Bota الاسبانية على ان البرتغالية قد تاثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يرسلون بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية ملوثة بالالفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chavrebière ص 273)

رائعة كما يتحلى كالنساء بالأسورة والمعقود وتمتاز المرأة بنقش الاواني الخزفية ونسج الزرابي في تعاريج هندسية ، وبرز الاطار السياسي القبلي في شكل جمهورية صغيرة يمثلها مجلس منتخب وقد طعمت الحضارة القرطاجنية الشرقية هذه المعطيات الاولى بعادات جديدة كالطربوش والقميص الفضفاض والتكل والاختصاب بالحناء والاختتان (1) وربما حدث البربر الى التفكير في وضع احرف « تفناغ » على غرار الهجائية الفينيقية التي تكونت منها الالفبائية العربية اذا لم يكن البرابرة قد اقتبسوا هذه البادرة مباشرة من الهيروغليفية المصرية في الجناح الشرقي لافريقيا الشمالية ويظهر أن اليهود النازحين من الشام وخيبر لم ينقلوا الى المغرب شيئا جديدا باستثناء الديانة الموسوية وننف من العبرية لم تترك اثرا يذكر في اللهجات المحلية .

ولعل اول نواة حضارية عربية تلقاها المغرب بعد الفتح الاسلامي قد جاءت عن طريق القيروان التي بدأت تنصهر فيها الحضارة الاموية بعد مرور ثلاثة ارباع قرن على الهجرة فاقامت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته دمشق آنذاك من روائع امتزج فيها العنصران الفارسي والرومي واذا اعتبرنا الصلة الوثيقة بين القيروان والمغرب قبل أن تزدهر بالاندلس الحضارة الاموية في اطارها الجديد أمكننا القول بأن الشام كانت ينبوع المشترك للحضارتين ما لبث أن تعزز بمدد مباشر في عهد الادارسة فاذا ما حاولنا التنظير بين عناصر الحضارة الاموية من نشأتها في الشام الى امتدادها بالاندلس لاحظنا وحدة مقومات العمران والبناء والزخرفة والنقش والثقافة والاجتماع والترتيبات الادارية والسياسية والقضائية في اشكالها ومصطلحاتها الا أن الاندلس لم تتصل بهذه المعطيات قبل وصول عبـد الرحمن الداخل عام 137 حيث قضى خمس سنوات بالمغرب الشمالي يحاول عبثا اقامة مملكة اموية لان افواج اليمانيين والقيسين ظلت في صراع حدا البربر انفسهم الى النزوح الى الريف وطنجة واصيلا بين عامي 134 و 136 هـ ولم تكد الدولة الاموية الجديدة تستقر حتى وضع الادارسة بفاس اسسا عمرانية كانت وفرة مياهها وبساتينها وفنادقها وقيسارياتها ومسجديها مظهرا خافتا لعاصمة دمشق

وسواء اكان هذا الاقتباس مباشرا أو بواسطة فان اللفاظ فارسية دخلت منذ هذا العصر الى المغرب ودخلت معها منسمياتها كما انتقلت الى المغرب في نفس الفترة من الشام مصطلحات رومية (2) قليلة كالبيستان ، والقسطاس ، والبطاقة ، والاسطرلاب ، والقنطار ، والقرمود ، والترياق ، والقنطرة والقيطون (3) والذي يجعلنا نرجح وجود هذه الالفاظ في المصطلح الدارج بالمغرب منذ هذا العصر هو أن

- (1) ماضي افريقيا الشمالية — كويتي ص 148 .
- (2) فقه اللغة طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450 — 455 .
- (3) دار القيطون بفاس أسسها المولى ادريس .

معظمها يمثل المظهر الجديد للحضارة الإسلامية التي بقي الشعر والشعراء في منأى عن وصفها لأنهم حتى في دمشق ظلوا في أبراجهم العاجية ليكون في أسلوبهم الجاهلي على الاطلاق ويتغنون بالماء الأسن في عنفوان المدنية الناشئة .

وأول مسجد على النسق المعماري الإسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري في نكور (1) في نهاية القرن الأول استمد في تصميمه من جامع الاسكندرية التي ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفي أحمد البدوي دفن طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذي لم يعرف بعد القرنصات ولا التعاريج العربية ( Arabesques ) والواقع ان انعدام الاقتباس من الطبيعة والامعان في دراسة الرياضيات ونزعة الابداع حدت مسلمي الاندلس والقيروان ومصر ثم المغرب الى التسطيرات الهندسية الساذجة التي يظهر انها وسعت الزخرفة في أوائل العصر الادريسي وكان استمرار الصراع في الاندلس بين العناصر السلالية المختلفة من عرب وبربر وقوط عائقا دون تفنن الفن حيث لم تكد تمر ست سنوات (2) على تأسيس فاس حتى انحدرت الى المغرب ثلاثمائة أسرة قيروانية تلتها بعد أربع سنوات ثمانمائة عائلة جاءت من أرباض قرطبة معظمها من الفلاحين والمزارعين الذين استقروا بعدوة الاندلس ووصل بعضهم فازاز بالاطلس انتجاعا للحقول والمراعي الخصبة وأشجار التوت لتربية دود القز وصناعة الحرير (3)

- (1) مما يبرز تأثير الاندلس احداث الموالي الصقلية لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور ( المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97 ) .
- (2) تبلغ الأسر الاندلسية التي هاجرت الى فاس عام 202 هـ 818 م أربعة آلاف حسب عبد المالك الوراق وثمانية آلاف ( روض القرطاس ص 25 ) ودوزي : تاريخ مسلمي الاندلس ( 1932 ج 1 ص 301 ) أو ثمانمائة ( هنري طيراس — تاريخ المغرب ج 1 ص 118 ) بينما بلغ عدد الأسر الإفريقية التي جاءت من القيروان عام 198 هـ ثلاثمائة ويظهر أن عدد الربضيين تراوح بين أربعمائة وثمانمائة اعتبارا للفظ المحتمل الناتج عن إضافة صفر للعدد ونظرا للتوازن الديموغرافي بين العدوتين وقد تحدث المقرئ في النفخ ( ج 1 ص 318 ) عن الوقعة التي أدت الى طرد الاندلسيين فذكر أن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل انهمك في لذاته فخلعه العلماء بقرطبة فأجلاهم عن الاندلس ولحقوا بفاس والاسكندرية ومنها الى جزيرة اقريطش .
- (3) ذكر ليفي بروفنسال أن الاندلسيين نقلوا معهم الى المغرب فن البستنة وكذلك تجربتهم للحياة الحضرية كالبناء والصناعة التقليدية ( فاس قبل الحماية Fez avant le Protectorat ) وقد لاحظ لوطورنو ( ص 205 ) أنه اذا كان العرب قد نقلوا الى فاس مظاهر نبلمهم فإن الاندلسيين قد نقلوا رقتهم والقيروانيين مهارتهم واليهود حيلهم والبربر صمودهم . وقد أعطانا الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه « بساط العقيق » صورة عن حضارة القيروان حيث تحدث عن سماتها ( يوجد شبهه بفاس وهو سمات العدول الا انه اصفر منه ) وحمايتها العمومية ( 49 حمايا ) ومصانع الزربية ( ذات الطابع القيرواني الخاص رغم أصلها الفارسي ) والزجاج والبلور والورق ودار الطراز وكان قاضي القيروان شيخا للإسلام في تونس أو قاضيا للجماعة كما في فاس وقد لاحظ الأستاذ التونسي في رسالة بالفرنسية أن الطبقة المتقدمة المعتيقة من الاندلسيين قد نزلت مدينة =

بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من الفعلة الذين أتموا في عدوة القرويين الخلايا الأولى للحرف والصنائع اليدوية مدرجين بذلك في المصطلح الصناعي والتجاري مفردات دخلت منذ ذلك في التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط وإذا اعتبرنا أن الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيرا عما كان عليه من حيث الهيكل العام فإنا نلاحظ أن عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة والاجتماع ففيها القيساريات والحرف والمدارس والزوايا والفنادق ويبلغ عدد أحيائها اثني عشر مقابل نصفها في عدوة الأندلس و 17 حماما و 96 كتابا قرانيا بدل 24 وست مدارس بدل اثنتين هذا وإن جامع القرويين الذي أسس عام 245 هـ مع شبيهه جامع الأندلس على يد أم البنين واختها مريم الفهريّة القيروانيّتين لم يكن يثير الانتباه بفن جديد نظرا لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين عدا تصميمه الغريب الذي تتوازي بلاطاته مع القبلة على غرار مسجد الشرفاء الإدريسي وجامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق وقد أضاف إليه الناصر الأموي عام 345 أي بعد مرور قرن كامل على بنائه اثني عشر بلاطا جديدا وحول المنارة إلى مكانها الحالي مغشيا بابها « بصنائع النحاس الأصفر » مع « قبة صغيرة » محلاة « بتفانيج موهبة بالذهب (1) وبذلك انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي ولعل عهد الناصر الذي ازدهرت فيه الفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم (2) بالأندلس كان عهد تحول وانقلاب في تاريخ الحضارة المغربية التي بدأت تتخذ بالعاصمة الإدريسية سمات جديدة في شتى المجالات ، تقل مع ذلك روعة ومخامة عن أصولها بقرطبة إذا اعتبرنا المضافات الأموية بجامع القرويين وقد انتشرت بدائع هذا الفن في حواضر إدريسية كالبصرة وأصيلا أصبحت تنافس مدينة فاس .

ومن الصعب أن نتعرف على العناصر الحضارية والمصطلحات التي تسربت إلى فاس في القرن الثالث الهجري وإن كنا نعرف مما كتبه مؤرخون عرب أمثال الحميدي صاحب « جذوة المقتبس » وابن غالب صاحب « فرحة الأنفس » والحميري في « الروض المعطار » والمقري في النفع الكثير من ذلك بالنسبة للأندلس حيث اكتملت مظاهر المدنية في

= تونس واختلطت بأهلها وقتلدهم الحفصيون الذين هم فرع عن الموحيدين. وقد ذكر المقري عن ابن غالب ( نفح الطيب ج 2 ص 764 ) أن أهل الأندلس تفرقوا في المغرب الأقصى مع إفريقية فمال أهل البادية إلى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأراحي الطاحنة بالماء وعلموا أهل البادية أشياء جديدة .

ومعلوم أن الأندلسيين كانوا يحتكرون ببلادهم — حسب سرفانطيس مؤلف « دون كيشوط » تجارة الأغذية ويضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها وهم لا يشترون العقارات حفاظا على حرية رواج أموالهم .

(1) زهرة الأس ص 37 .

(2) ابن حوقل — طبعة ج 2 ص 77



الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وأول ما بيده الباحث حتى بالنسبة للامويين هو امتزاج العناصر الحضارية بسبب تداخل الاختصاصات وعدم فصل السلط حيث تندرج كثير من مقومات الدولة ضمن البلاط كالجامع والصدقات والاعشار والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة والرسوم الموظفة على بيوع الأسواق والمكوس والمشرف (1) أو الأمين ودار السكة وخزانة الطب والحكمة وإذا ما حاولنا أن نقارن بين مصطلحات هذا العصر والتعابير المغربية دون تحديد لأطوارها الزمني فإننا نلاحظ أن أغلبها متقاربة عدا كلمات لم يعرفها المغرب مثل صاحب البنيان وصاحب البيازرة والاسجال الخراجية وصاحب القطوع ( أي الجبايات المرسومة على الاقطاعات ) وصاحب الرد ( رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي ) والكور المجندة والجند المتدون ( أي المسجل في الديوان ) وفحص السرادق ( أي مكان تقام فيه حفلة البروز لتوديع البعث العسكرية وعقد الألوية ) والمهرجان ( عيد موسمي منه العنصرة التي تعرف بالمغرب ) على أن معظم أسماء الحرف موحدة وكذلك أسماء الأزهار والأعشاب والمصنوعات اليدوية وغيرها (2) واستمر هذا الاقتباس طوال قرن ونصف قرن بدافع من بني زيري وخلفاء المنصور بن أبي عامر إلى أن أصبحت الأندلس جزءا من العدوة الجنوبية تحت حكم المرابطين الذين استدعى زعيمهم يوسف بن تاشفين رجال الحرف القرطبيين لإقامة المساجد والسقايات والحمامات والفنادق بفاس (3) ودار الأمانة بهراش بينما استعان نجله علي بن يوسف بهندسي الأندلسي لمد قنطرة تنسيفت (4) وقنوات الماء وبناء دار الحجر بهراش (5) وكان لوحدة إفريقية والمغرب الأقصى حينئذ أثرها في ضم الآثار القيروانية إلى المدد الأندلسي غير أن من الصعب تمييز الأثرين بوضوح لأن جامع القيروان نفسه دخلت فيه مواد أندلسية كالمرمر والأجر والجبس عند تجديده على يد محمد بن حمدون الأندلسي عام 252 هـ ولم ينس المرابطون الصحراويون اتامة القصبات والحصون في عمرانهم العسكري الذي تعزز بتسوير الحواضر أيام علي بن يوسف بإيعاز من ابن رشد الأندلسي وإذا أردنا دليلا على مدى انسجام الصحراويين المغاربة مع روح العصر واستساغتهم للفن وأساليبه ومصطلحاته فإن ذلك يتجلى بوضوح في الروائع الجديدة التي أضيفت لجامع القرويين الذي اتخذ حينذاك شكله الحالي بمنبره المصنوع من « الصندل والابنوس والعناب

- (1) هذه الكلمة معناها أمين المال وقد استعملها الموحدون ( زهرة الآس ص 872 )
- (2) راجع القائمة الكاملة بهذه المصطلحات في الملحق رقم 2 في كتابنا « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » ( طبعة القاهرة ص 213 )
- (3) زهرة الآس ص 87 وجذوة الاقتباس ص 27 .
- (4) الإدريسي - مقتطفات من النزهة - طبع الجزائر 1957 ص 69 .
- (5) الاستبصار - ترجمة ص 179

والعاج « (1) وكتبته التي كشفتها الحفريات عام 1952 كانموذج للفن في أروع مجاليه وهكذا فالفعلة الأندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب في العصر المرابطي كانوا اذن أكثر اختصاصا من سلفهم وان كان عملهم لم يتجاوز نطاق هندسة المساجد وبعض المآثر العسكرية لان بدواة المثلثين وتشفهم حالا دون تقبل عناصر حضارية طريفة زخرت بها آنذاك قرطبة واشبيلية كموسقى زرياب الذي أحدث في الأندلس ثورة جذرية في المواد فكان بحق « مشرع اسبانيا العربية » ، كما يقول دوزي — وظلت المرأة المغربية بدوية الطبع رغم سفورها (2) لم تفتتح للثقافة عدا القليلات أمثال زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين والبطلة الموحدية فائو وأم هانيء بنت القاضي عبد الحق بن عطية وحفصة الركونية أستاذة نساء دار المنصور (3) بل أستاذة عصرها (4) وأم عمرو بنت أبي مروان بن زهر طبيبة النساء في البلاط الموحدي وورقاء الفاسية الأدبية الشاعرة (5) وزينب القرطولية أستاذة القراءات السبع بمراكش وأغمات وزينب بنت يوسف بن عبد المومن التي ربيت بالأندلس فكانت صاحبة الرأي في البلاط والشفوف في المجتمع وإزاء هذه الندرة من المثقفات في المغرب كانت نساء غرناطة يشهدن الحفلات العامة سافرات ويسفنن بوجودهن عليها روعة وسحرا ويتمتنن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية كما كان بالبربر في الشرق لقرطبة وحده مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الذي اتخذ في هذا العصر اشكالا خاصة بالمغرب (6) ، فاذا استثنينا مثلا الخط الحجازي فان ترتيب الحروف يختلف بين الشرق والمغرب ابتداء من الزاي فهي عندنا .

ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي

بينما هي في المشرق

س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م . ن ه و لا ي

والمغاربة يعجبون الفاء والقاف بنقط الاول بنقطة من أسفل والثاني بنقطة واحدة من أعلى كما ان صور الأرقام في المغرب عربية أصيلة ليست منقولة عن الرسم اللاتيني وقد ابرز ذلك الاختصاصيون في المؤتمر الذي انعقد بتونس عام 1963 حيث أكدت الجامعة العربية عزمها على اصدار تعليماتها الى الدول الأعضاء لاعتبار الأرقام المغربية هي الأصل والاقتصار عليها في العد والترقيم .

- (1) زهرة الآس ص 42
- (2) حتى الاميرات لم يكن يتحجبن مما حدا المهدي بن تومرت الى نقد سياسة البلاط الدينية للنيل منه سياسيا .
- (3) « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » ص 165 .
- (4) الاحاطة لابن الخطيب .
- (5) جذوة الاقتباس ص 335 .
- (6) راجع الملحق رقم 4 من كتابنا المذكور « تطور الفكر واللغة ... » ص 222

غير أن الموحدين قفزوا بالفن الى مستويات راقية بالرغم مما ابدوه في البداية من روح التزمّت (1) فأضافوا روائع جديدة الى المآثر الأموية تجلت في المنارة الخالدة بأشبيلية وجامع حسان بالرباط والكتيبة بمراكش والقصور الفخمة والحدائق الغناء ( على غرار مسرة المرابطين المعروفة الآن بالمنارة ) ونضرب مثلا لهذه الروعة بمنبر الكتيبة الذي يرجع الى عهد عبد المومن (2) والذي تارنه ابن مرزوق بمنبر جامع قرطبة واعتبره طيراس وباسي « أجمل ما أبدعه الغرب الاسلامي بل العالم الاسلامي » ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الاندلسي والفنيين المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء (3) وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول طوال خمسة قرون وبذلك يكون في وسعنا اعتبارا لهذه المعطيات أن نستخلص بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أسماء الحرف التي ظلت الى القرن الحالي الصناعة الأساسية لنصف سكان الحواضر (4) فمصطلحات الحرف بمراكش كانت تحتوي نظرا لقرب العاصمة من الصحراء على كلمات بلدية أو حضرية معدودة مثل بعدى ( اي اسكافي بدوي ) وخطاطري ( حفار الخطارات أي السواقي الصحراوية ) وتكموتي ( صائغ ) وقراشلي ( حلاج ) في حين تزخر بالآلفاظ العربية التي حرف بعضها تسهلا للنطق بها مثل بامهاود ( اي أبو المهاودة وهو حكم يتدخل بين الناس للمهاودة ) ومواكسي ( مصلح المنجانات )

(1) وقد أمر المنصور الموحدي « بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتزاء بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحفيل والاكتفاء منه بالساذج القليل وأمر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت .. » ( البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 81 )

ففي زمن المنصور والناصر الموحدين كان عدد الأطرزة بفاس 3094 ودور الصابون 47 ودور الدباغة 86 والصبغة 161 وتسليك الحديد والنحاس 12 والزجاج 11 وكوش الجير 135 وأفران الخبز 1170 وأحجار صنع الكاغد (أي الورق وهي كلمة تركية) أربعمئة ودور الفخارة 180 (زهرة الأس للجزائري ص 33) وقد بلغت الأرحي بفاس 600 في القرن السابع (حسب ياقوت المتوفى عام 626 هـ في معجمه ج 6 ص 331) .

(2) المسند الصحيح الحسن ص 65 — 1925 .

(3) ويليام مارسي في كتابه حول تاريخ الفن الاسلامي .

(4) راجع احصاء قام به ماسينيون عام 1923 — 1924 في كتابنا « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 78 . ( الحناطي الاسلامية — باريس 1925 ص 38 وقد كان نظام الحناطي ( أي النقابات العمالية ) يتسم في جميع العصور بطابع الحرية حيث ظل المخزن يحترم مبدأ الحرية التجارية والاقتصادية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات .

وغواسلي ( بائع الفاسول ) وظل معظمها مما ينفى على المائنة في قلبه العربي الفصيح مثل التبان ( بائع التبغ ) والجسرار والحراث والعمار والحماني ( بائع الحمام ) والخراط والرحوي ( صاحب الرحي المائية ) والطاحوني ( صاحب المطحنة او الطاحونة التي تدار بحركة بفل او حمار ) والرخامي ( صانع الرخام ) والزيات والسفاط ( صانع الاسفاط اي السلال ) والعشاب والقطارني ( بائع القطران ) واللباد ( صانع اللبد ) ، اما مصطلحات الحرف والمؤسسات العمومية وغيرها بفاس فاذا استثنينا بعض الدخيل فان الكلمات البربرية اقل بينما تظهر الفاظ خاصة مثل مقدم الحومة ودار معلمة ( وهي مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز للبنات ) وشيوخ الفلاحة ( وهم خبراء في الشؤون الزراعية من اصل أندلسي ) ودار العميان والمرقطان وسوق الفرش ( أي صنع المخاد والحشايا ) ومعاصر الزيت وكعب غزال ( فارسي ) والبلاحة ( صانعو الاقفال ) وصناع الاسلحة الاختصاصيين مثل الجعابيية ( لصنع جعاب المسدسات ) والسرايرية ( لصنع مقابضها ) والجوايين ( لصنع الاغمدة ) والصقالة والذهابين والسكاكين والبراولية ( باعة خيوط الخرب ) والزراذخية ( باعة القماش من نوع الزردخان ) والنيارة ( صانعوا نول النسيج ) واذا اخذنا مثالا لباقي المدن المغربية في شخص اصغر مدينة وهي ميناء ازمور لاحظنا وجود معظم هذه الحرف عدا التنوع في النسيج وحرف جديدة كحرفة البغازة وهم بائعوا السمك بالجملة والشرافة وهم مجففوا الحوت ، وهنالك الفاظ مغربية اندلسية مبتكرة مثل القبال والقابض بدل الجرمكي والجابي وقد استدل السيد محمد علي بهاتين الكلمتين للتدليل على اصالة الابداع اللغوي في المغرب والاندلس ( عجائب اللهجات - مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 ) ويلوح لأول وهلة من مقارنة نوع المصطلح في عاصمتي الشمال والجنوب مدى تاثر فاس بالحضارة الاندلسية حيث بدأت تظهر مؤسسات اجتماعية واختصاص ادق في بعض المرافق الصناعية بالعاصمة الادريسية ولا بدع في ذلك اذا اعتبرنا ان مدينة فاس أصبحت في عصر الموحدين (1) « حاضرة المغرب » الفكرية اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة « ولا يوجد في الدنيا اكثر مرافق واوسع معاش واخصب جهات منها » كما يقول المراكشي - بشيء غير قليل من الغلو على أن الفن بفاس أصبح مزيجا للكثير من العناصر العربية فاذا ضربنا بالزليج الذي عرف في الشرق بالفسيفساء لاحظنا انه نوع من الترصيع الخزفي اصله بيزنطي كان يصنع منه بالاندلس نوع من المفضض

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب بسلا عام 1357 - 1938 ( ص 213 - 221 )  
لعبد الواحد المراكشي .

المعروف في الشرق بالفسيفساء (1) والترصيع هو التكفيت ( كلمة تركية ) لها مرادفات منها التلييس والترسيب والتزليل اصحها عند العرب في العهد العباسي التطبيق وفن الترصيع سوري في أصله يعرف بأوروبا الى الآن بالفن الدمشقي damasquinage وقد دخل الفن العربي الى ايطاليا وبعد الحروب الصليبية غزت المنسوجات العربية الاقطار الأوروبية حتى اضطر أحد ملوك فرنسا الى تحديد ايرادها (2) .

وقد شمل التعريب-معظم المواد والآلات والأجهزة والأدوات التي استعملها الصانع المغربي الى العصر الحديث وتكني الفاء نظرة على معجمنا « الاصول العربية في العامية المغربية » للتعرف على مدى فصاحة الاستعراب في هذه المفردات التي نجد منها في الصفحات الأولى للمعجم الفاظا كالأشفي ( مخز الاسكاني ) والبريمة والبرمة والبرميل والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب وتكريشه (تقبيضه) والتكة والتجرة والتومة ( القرط ) والتلج والخبل ( لفظة يمنية ) والحنوط والخرقة والخميرة والخنجر ، ثم ان الفكر العلمي الاندلسي الذي حماه البلاط الموحيدي بمراكش لم يكن ليخلو من مظاهر اجتماعية تمثله مثال ذلك البيمارستان (3) الذي احتوى على « النقوش البديعة والزخارف المحكمة » وغرست فيه « الاشجار المشمومات والمأكولات » وأجريت فيه « مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض » وماله من « الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم » وتزويده بالادوية والصيدلة « لعمل الاشرية والادهان والاكحال مع ثياب الليل والنهار للمرضى ومجانية العلاج ورعاية المنصور الموحيدي الشخصية له بزيارة اسبوعية لتفقد حال المرضى وقد اشد مؤرخ فرنسي معاصر بهذا المستشفى الذي بذ في نظره مستشفيات باريس في عنفوان القرن العشرين (4) .

وقد رأينا كيف بلغ المصطلح العلمي اوجه في هذه الفترة التي آوى خلالها العرش المغربي في ظلال مراكش الحمراء اقطاب الفكر الاندلسي الذين مهدوا بكشوفهم العلمية في شتى الميادين عهد النهضة والانبعاث بأوروبا حيث ظلوا اساتذتها المرموقين طوال قرون .

اما المرينيون الذين كانت لهم أرقى المقومات الملكية بالمغرب. وأغناها واحتمها بتبني التراث الموحيدي في افريقية والاندلس فان مغربهم الزاهر كان منطلق الاشعاع

(1) النفع نقلا عن ابن سعيد ج 1 ص 187 .

(2) ( اعراف المسلمين وعاداتهم ص 247 )

(3) العجب ص 177 .

(4) الموحدون les Almohades للسيد Millet طبعة 1927 .

في مجموع الشمال الإفريقي (1) حيث تبلورت مدنيتهم الحضرية في أروع ما عرفه المغرب الكبير من حواضر ومساجد ومعاهد وقبب وفنادق ومدارس وملاجيء وحمامات وقناطر وحصون وخاصة في عهد أبي الحسن المريني ( 1331 - 1351 ) الذي يعتبره الغربيون أقوى عاهل في القرن الرابع عشر وقد كان لتراوجهم الحضاري مع غرناطة النصرية واثرة الاندلس ذيول عززت التراث المشترك الذي ما لبث أن انتقل بكامله مع رجال المهجر الى المغرب ليشكل الحضارة المغربية الاندلسية الموحدة . وقد ظهرت في الحقل الاجتماعي لأول مرة مدارس هي عبارة عن أحياء جامعية مجانية للطلبة في مختلف المدن كنفس وتلمسان والجزائر (2) علاوة على تصور نمحة تجلت فيها مهارة المهندسين والفنانين في تصميم معماري محكم ويمكن أن نقدر من خلال وصف (3) لأحد هذه التصور مدى تطور المصطلح الفني والأنواع الجديدة من أرباب الصناعات كالبنائين والنجارين والجباسين والزليجين والرخامين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين والجدارات المنقوشة بالجبس والزليج والأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة ( كالنوريق والتسطير ) مع غروش الرخام والزليج وطيافير ( فسقيات ) المرمر والقبب والخوخ ( أي الابواب ) والخزائن بنحاسها الموه بالذهب والحديد المقصود ، غير أن هذه المظاهر الحضارية لم تتجاوز المدن لأن البادية ( أي الأرياف والسواد ) ظلت نسبيا في معزل عن تياراتها بسيطة في سكنها ومطعمها وسلوكها قد حفظت تراثا لغويا أصيلا ما زالت الحواضر تطفه تدريجيا استجابة لمقتضيات العصر وسنرى كيف أن قبائل عاشت في أرباض عواصم كرباط الفتح ظلت عالقة الى عهد حديث بتراثها اللغوي الجاهلي الخالي من أية شائبة الأمر الذي أسفر عن نوع من الخلل بين المصطلح الكلاسيكي القديم ومولدات العصر الحديث .

وقد توافرت هذه المجالي الحضارية ولوازمها اللغوية العربية التركيبية في العصر السعدي عندما اقتبس المغرب بعض الأنظمة العسكرية العثمانية كما دخلت

(1) مارسى Marçais في كتابه « L'Art dans l'Islam » ص 134 ) وقد ظهرت في هذا العصر نتيجة للتأثير الغرناطي الموسيقي الاندلسية بمصطلحاتها وبعض التعابير القانونية مثل لفظة الظهير بمعنى المرسوم الملكي ( صبح الاعشى ج 15 ص 299 )

وقد أسهم العلماء والأدباء في الصناعة والتجارة مما أكسب الكثير من المصطلحات طابعا فصيحا ومنهم محمد الفسائي الذي كان تاجرا بقيسارية أسنى بدير حائوته بعد الفراغ من تدريس الموطأ والسير والنحو والأدب واللغة وهو من رجال القرن السابع ( توفي عام 663 هـ ) ( الذيل والتكيلة ) ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبد الله معن الذي كان يتعمش ( كلمة مغربية معناها يتعمش بعمل دود القز بفاس ) نشر الثاني في ترجمة علماء القرنين الحادي عشر والثاني ( ج 1 ص 197 ) .

(2) نخب من « المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن » لابن مرزوق .

(3) نفس المصدر حيث أشار ابن مرزوق الى وضع تصميم معماري لهذا القصر وصفه بأنه رسم في كاغد لتقدير الساحة ( أي المساحة ) .

الى المغرب أمواج المهاجرين الاندلسيين بلغت في مدن كتطوان أربعين ألفا فيهم الاديب والعالم والفنان والعامل المختص والتاجر والفلاح وإذا كانت هذه المظاهر تنعكس على العادات الاجتماعية والمآثر العمرانية ، فاننا نلاحظ في خصوص الأزياء مثلا أن سكان حواضر اندلسية مثل فاس وتطوان والرباط أصبحوا يضعون على رؤوسهم قلائس حمراء قد لفت عليها عمامة تتوسطها شوشة زرقاء ( أي نواصة ) بعد النفسي العام أوائل القرس السادس عشر الميلادي لأن الشوشة الزرقاء لم تكن معروفة بالاندلس قبل حضور التحقيق الصليبي (Inquisitions) حيث أجبر الاسبان العرب المسحين على التميز بشارة زرقاء (1) .

ولباس البياض في مناسبات وفصول خاصة هو أيضا عادة اندلسية حيث كان هؤلاء يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البياض ابتداء من يوم المهرجان ( أي العنصرة كما تسمى في العدوتين ) أي 24 يونيو وذلك الى أول أكتوبر خلال ثلاثة اشهر متوالية ( النفع ج 2 ص 752 ) .

أما في الحقل العمراني فان « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة ( 986 هـ — 1002 هـ ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية (2) كتبت في ابهاثها الأشعار بمرمر أسود في أبيض تذكرنا بروائع الاندلس : فمن شعر أبي فارس عبد العزيز الفشتالي يصف من هذه الروائع :

فأنها والتبر سال خلالها	وشي وفضة تربها كافور
وكان أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين أمامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل قضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

- (1) في عام 1019 هـ هاجرت الوف الاندلسيين الى فاس والوف الى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الاعراب ونهبوا أموالهم في تلمسان وفاس وسلم أكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة الى قسطنطينية العظمى ومصر والشام ( نشر المثاني عن النفع ص 101 ) .
- (2) أي التي فيها خمسون ذراعا بالعمل أي بالنقش وكانت الجدران تحلى أحيانا بأنواع التطريز ومنه النوع الفاسي الذي هو سوري الأصل وفي سلا نماذج من أصل فارسي أو شامي ويلاحظ في تطريز الرباط تأثير الأنسجة الأوربية وكذلك في أزمو التي يرجع تاريخ نماذجها الإسبانية الإيطالية الى القرن العاشر الهجري ( مجلة هسبريس ج 21 عام 1935 ) .

ويوجد بفاس تطريز علجي الأصل أدخلته الى المغرب النساء التركيات أو الجركسيات اللواتي تسرى بهن أهل فاس أما التطريز التطواني فهو من أصل بلقاني .



وقد كتب بجدران المصرية (1) المظلة على الرياض :

باكر لدي من السرور كؤوسا وارض النديم اهله وشموسا

وكان هذا الاطار العمراني الرائق مسرحا لحفلات شعبية بمناسبة حفلات كذكرى المولد النبوي يجري خلالها اعدار ابناء الفقراء ويتبارى الشماعون في تطريز شموع « يحملها صحافون — كما يقول الفشتالي في مناهل الصفا — محترفون بحمل خدور العرائش عند الزفاف » وهي على رؤوسهم كالعذارى تتبعها الاطبال والابواق واصحاب المعازف والملاهي حتى تستوي على منصات بالديوان الشريف حيث يتعد السلطان على اريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وامامه شموع من بيض كالدمى وجر جلبيت في ملابس ارجوان وخضر سندسية في حسك ومباخر ترنم خلالها ثوبات منشدي المولدات واشعار الصوفية وتتلّى قصائد شعراء الدولة بغزلها ونسيبها ومديحها للرسول عليه السلام وللسلطان وولي عهده في تراتيب يتقدمها قاضي الجماعة ثم الامام المفتى ثم الوزير ثم الكتاب المخزنون ويختم الحفل بنشر « خوان الاطعمة والموائد ، وتوزيع الاعطيات » وكأن هذه القصور الباذخة في مرثها الحربية ونمارقتها المصطفة واستارها وكللها وحجالها المخرصة بالذهب وحائطياتها ووصفانها واعلاجها بأقبيبتهم المخرصة ومناطقهم المرصعة وحزمهم المذهبة — صور حية لفخفة استمرت معالمها في القرن العشرين في بلاط الملوك العلويين وقصور الاثرياء حيث استعفى عن القصاع الملقية والبلنسية المذهبة وعن الاواني التركية والهندية والطسوت والاباريق والصحاف ومباخر العنبر والعود الشرقية بأوعية لا تقل روعة قد جلبت من مختلف انحاء الدنيا شرقا وغربا لتضفي هالة من الجمال والسناء على محافل نشرت فيها كالماضي اغصان الريحان الغض وماء الزهر والورد. كما استبدلت بنوبات المنشدين نوبات الموسيقى الاندلسية الرائعة التي تسحر الابواب بنغماتها المشجية وتلاحينها الاخاذة والوانها الخمسة والخمسين وتوشيحاتها التي تردد في حنان وخشوع على السنة الخاصة والعامة لتسهم في تحريك نبرات القلوب وتوعية الروح وتاجيج الشعور وتوقير الثراء اللغوي في الدارجة والفصحى على السواء فكم من تعابير تخللت الالحن كانت ارسخ في البواطن واملك للوعي وكم من اغنيات ساحرة ردها الرضيع في حبه وربة الخذر في حجلتها كان اثرها اوقع في النفس ولفظها اعلق باللسان من كل تصيد يلقن في الكتاب أو درس لغوي يلتقى في حلقات العلم .

(1) المصرية اي الغرفة الواقعة في طبقة عليا ( العلوية بالفصحى ) ولعل لوجود طبقات في الابنية منذ القديم بمصر اثرا في هذه التسمية .

وإذا كان عهد السعديين قد فضدت معالمه بالزخارف المعمارية والروائع الاجتماعية فإن عهد العلويين الذي أقيمت فيه نفس القصور والبساتين مثل دار الهناء والدار البيضاء والصالحة والزاهرة وجنان رضوان وأجدال بنفس البذخ قد اتجه إلى دعم الكيان بالقصبات والقلاع ومن أروع ما يدهك في قصر من هذه القصور كقصر الرياض بمكناس عاصمة المولى اسماعيل جمعه بين فخفة البلاطات الملكية وضخامة التحصينات بأبراجها ومدافعها ازاء البرك الفياضة للتمرين والانبساط معا في فلكها وزوارقتها وكانت أهرام القصر تضم اثني عشر الفا من خيل الجهاد وعشرات المستودعات زاخرة بمؤن تكفل للبلاد اكتفاء ذاتيا وميزانا تجاريا متوازيا وقد بدانا بالرغم عن أصالة اللغة العربية بالمغرب نسمع في معماريات العلويين وعمرانياتهم مصطلحات جديدة فيها الكثير من الدخيل كالتقنايط ( أي الهياكل ) المقبوة في الأهرام والاصطبلات المسقفة بالبرشلة ( وهي نوع من الرواند والعوارض pignon وسواني الماء الدائرة ( أي النواعير المائية ) والقراميد علاوة على المولدات العسكرية والدبلوماسية واتخاذ الأشجار ( أي حفر الخنادق الحربية ) وصنع البارود الكور والبنب ( أي القنابل والقذائف ) ونصب المهاريس والكراريس ( أي المدافع المجرورة والضويلي ) لتحريير الثغور المحتلة وبعث الباشدورات إلى طواغية ( جمع طاغية ) الاصبنيول أو البرتغال أو النجليز « لاحكام الصلح » ومفاداة الأسرى البلوط بالبلوط واليكانجي باليكانجي والبحري والبحري دعما للطبجية ( أي المدفعية ) والبحرية المغربية بفلائطها ( سفنها الحربية ) وفراكتها ( أي حراقاتها ) ومراكبها القرصانية ودخلت إلى المعجم المغربي بجانب ذلك عشرات المفردات مثل الكشيئة (1) والباصبورط ( الجواز ) والطنبور والكرنتينة ( الحجر الصحي ) والمحلة ( أي المعسكر ) وصاكة الأعشار ( أي رسومها ) وصقالة ( أي برج ) والتوافل ( الرماح ) وتفرقع البونب ( أي انفجار القنابل ) والبستيون (2) وأنواع النقود كالبندقي في أربعين أوقية من الذهب والفضة ( doubloon ) في اثنين وثلاثين من الريال ( الريال real فيه عشرون أوقية ) والبسيطة ( خمس أواق ) والموزونة ( ربع الدرهم الرباعي أي نصف القرش )

- (1) راجع النفحة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التامجروتني .
- (2) ظهرت هذه الكلمة منذ السعديين وقد استعمل الناصري في تاريخ المغرب هذه المصطلحات التي بدأ يستعملها آنذاك سلفه من المؤرخين وقد استعرض الناصري ( ص 224 ) النظام العسكري عند الأتراك فلاحظ أن أهم ما يمتازون به هو العزوف عن العادات الأجنبية والمصطلحات المعجمة حيث « عمت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلق بخلق العجم وإذا كان أصل العمل مأخوذاً عن العجم فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه » . ( راجع الاستقصا الجزء الرابع )

والسنجق (1) وبقسماط ( بسكويت ) وكل تلك مظاهر للمعجزة التي بدأ المجتمع المغربي يتسم بها حيث « اتخذ ذوو اليسار — كما يقول الناصري المراكب الفارهة والكسي الرفيعة والذخائر النفيسة وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية » التي تعززت مع ذلك بمقتبسات غربية صالحة مثل فابريكة ( أي مصنع ) السكر وفابريكة تزديج البارود بمراكش وبرج الفنار ( لتوجيه السفن في البحر ) باشتار قرب طنجة وبابور البر ( القطار الحديدي ) والتطغراف الى غير ذلك وهكذا بدأت تتجلى في الافق المغربي على عتبة القرن العشرين مصطلحات استعملها المغرب في قالبها الافرنجي دون تعديل وقد تحدثنا في كتابنا « تطور الفكر واللغة .. » ( ص 161 ) عن ظهور هذا الدخيل خلال الحماية وبعد الاستقلال فأوضحنا كيف تمت وحدة نسبية بين جناحي العروبة عندما ظهرت الصحافة المغربية واشترابت الاعناق الى ما يرد من الشرق العربي وخاصة من الشام ومصر حيث انبثقت حضارة طريفة ضمت الى جوهر الاسلام ومعطياته جوانب من الفكر الغربي الحديث

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 233 يصف الوضع بالمغرب عام 1290 هـ وقد شارك الصانع المغربي في معرض باريس عام 1285 هـ ( أي في عهد نابليون الثالث ) بنماذج من انتاجه كالسروج المذهبة والمناطق المزخرفة والقطائف المنمقة والزليج الفاسي والمعلمين الذين يباشرون ترصيفه .

# وَاحَاتُ الْفَصْحَى...

القبيلة والتي تتبع المستعرب الفرنسي لوبينيك عام 1916 الكثير منها في كتابه « نصوص عربية في زعير » ( طبعة باريس 1952 ) لمسن مدى الصفاء الملحوظ في الكثير من الكلمات التي درجت على السنة العامة من أهل زعير مما لا نجد له مثيلا الا عند القبائل التي لا يتطرق الشك الى عروبتها كالشاوية ، وقد اشار كثير ممن درس انساب الفصائل السلالية المغربية الى ان القبائل الرحالة في سهول المغرب الغربية واقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الاصلية التي طبعتها منذ الفتوح الاولى ، وقد اثر ذلك حتى في العنصر البربري حيث لوحظ ان عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الالفاظ العربية ( حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص. 250 ) ، ولا يخفى ما تنسم به لهجات الاندلس وافريقيا الشمالية من صفاء (1) رغم عدم تقيدتها بالهندام الشكلي للفظ (2) ، ورغم الالفاظ البربرية التي تسربت الى الاقاليم العربية نفسها على ان الكثير من الكلمات التي يزعم بعض

لقد كان لكثير من القبائل العربية التي دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قريش التي نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوي لم يخرج عن النطاق العادي في تبادل التأثير بين الفصحى والعامي ، لان المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش في اطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف اقل بين الفصحى والعامي ، ويتجلى ذلك في المصطلحات المستعملة في كثير من مرافق الحياة ، ولعل ابرز مظهر لعراقة المحدث العربي في قبيلة او اقليم يتجلى في صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الرومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج. 6 ص. 96) وان كان الموقع الجغرافي لا يمثل في نظرنا عاملا جوهريا لامكانية الهجرة في فترات سالفة .

ومن الصعب ان نميز بعد التفاعل اللغوي الناتج عن ارتباط الاقاليم بين ما جد وما تلد في هذه اللهجة ، غير اننا اذا قارنا بين المصطلحات المستعملة في هذه

(1) تحدث كرد على عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج. 7 ص. 128 سنة 1953) فقال: « لعل الدخيل كان نادرا في ارض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء » ، الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت اللفاظ فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

(2) لاحظ فليش H. Fleisch في « المدخل لدراسة اللغات السامية » (ص. 101) ان لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعني بذلك انها لا تتقيد كثيرا بالاوزان والصيغ

اللغويين رطانتها يتضح اصلها العربي بعد التحليل فقد نشرت مثلاً مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص 326 عام 1955) بحثاً للاستاذ شارل كونتز خبير لجنة اللهجات حول اثر اللغة العربية فى عربية المغرب أورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التسي ترجع الى اصل بربري ، وقد وفق الاستاذ فى طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحر فى مقارنة الاصل العربي المحتمل لطائفة اخرى مثل :

(1) أملوس (الوخل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (المس) وخاصة الملس بمعنى الزلق اذ اعظم خاصية فى الوخل انه مدعاة للزلق .

(2) داييس (الخيزران) Bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف ان الخيزران لا يتزعزع الا فى الحرارة وفيه عشرات الانواع .

(3) المازوزي (الاخير من النتائج) ويظهر انه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز أى على مهل فالمازوزي ياتي متأخراً كأنه يتمهل فى انبثاقه .

(4) قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء فى المغرب أو بعض الاقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل أو فعلل أو افعل الى فعلول مثل أحقق وحمقوق أو جموق وبط ( كالبطة فى السمن ) وبطبوط وخنفر أو مخنفر وخنفور فيمكن القول اذن بأن قط العربية اعطت قطوس العامية .

(5) اقرب وهو الخرج أو الجراب من القرب (لان اداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة أى فى اول الكلمة والمتسكمة أى فى آخرها) .

(6) ساط بمعنى نفخ ولطها من ساط الفحم أى خط بعضه ببعض ليتقد كله اذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد فى المعجم الوسيط ان المسجر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود فى التنور .

(7) كفس بمعنى لطح بسواد او فضح اصلها كفس أى اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج الخ ...

وقد عمدنا دعماً للنظرية القائلة بعروبة زعير الى تتبع مدلول اللفظ فى المعاجم العربية القديمة وفى الاستعمال العامي فحررنا لائحة مطولة لهذه الكلمات استخلصناها من معجمنا الكبير الموسوم « الاصول العربية للعامية المغربية » ، وهاكم هذه النماذج مرتبة حسب الحروف الهجائية :

اهلا بك : مرحبا بك - كثير من القبائل المغربية وخاصة زعير تقول واهلا بك .

اول أمس: البارحة الاولى - غالب الحواضر بالمغرب تقول ولبارح أى أول البارح ، واهل البوادي يقولون أول نامس أو نامس وخاصة زعير .

بث الخبر او السر نشره - (لهجة زعير) - (بث)

البريش : المكان الابرش الكثير النبات المختلف الالوان ولعل منه لفظ برنيسة الذي يطلقه عامة قبائل زعير على ارض محروثة .

بفرت السماء : امطرت وقد اقتبسها عامة قبائل زعير للتعبير عن سيلان العرق بعد التعب .

بك الشيء : خرقه وفسخه - يقول عامة زعير بك الثوب خرقه ، ويستعمله اهل عبدة فى الجنوب الغربي للمغرب بمعنى ثقب الاناء فهو مبكوك أى مثقوب .

ابلق : فرس ابلق ، أى فى لونه سواد وبياض ، وهو مستعمل بهذا المعنى فى قبائل المغرب وخاصة فى زعير بأرباض عاصمة الرباط .

متبرز : أى فى حالة النفوط - (بردوز عند اهل زعير معناه الرجل الذي هو فى حالة وسخة يكون عليها عادة كل من يقضي حاجته) .

تجاوز : عفى يقال داوز ( زعير ) ودوز فى بعض الحواضر كالرباط .

الجرزة : الحزمة - حزمة من العشب او الاوراق فى زعير (اولاد علي) ، وتقلب الى جرزة عند اولاد سعيد .

جائح : من الجائحة أى المصيبة - عام جائح مصاب بجائحة ، والجيحة هي الجائحة .

المجينة : مكان صنع الجبن - يستعمل بهذا المعنى فى المغرب ويطلق خاصة فى زعير على معدة الارنب المعدة للتجيين كما يطلقه اهل الشام على كرش الجدي الذي يجمد به اللبن جينا .

الجابية والخابية : الحوض - وتطلقه البادية المغربية وخاصة زعير على الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل .

الجران من البعير : مقدم عنقه - والجرانة عند زعير هي كبدة حافر الخيل Fourchette والمقصود تعبير اللفظ عن عضو لدى البهيمة .

الجرو : ولد الكلب ، (الجرو في معظم البوادي المغربية) .

الجراية : المرتب اليومي - الجرية العمل اليومي في زعير .

الجراية : الجاري . من الوظائف - الجراية في زعير المرأة تستخدم في كل شيء - والمعنى المشترك بين الكلمتين هو العمل والوظيفة .

الجعف : قوت لا فضل فيه - والجعف في زعير الشخص الذي يسيء الضيافة ، والمجوعف في الشاوية اللثيم - والمعنى المشترك هو عدم الكفاية في القوت .

الجعفر : النهر - الجعفر في زعير الارض الوعرة الصعبة المسلك ، ووجه الشبه هو ان جفاف الانهار في الصيف يكشف عن ارض وعرة قد نخرها الماء فأبرز فيها تنوعا .

جفل البعير : نفر (جفل في البادية وبعض الحواضر)

جلل الفرس : البسه الجل وهو للدابة كالثوب للانسان - جلال الفرس في زعير معناه غطى ظهره ، ويسمى الجل بالجلال .

الجليد : ما يجمد على الارض من الماء - الجليد (زعير) .

جم الماء : اجتمع بكثرة - جم الماء في زعير معناه نبع - والجمامة : الارض المتروكة Terre en jachère ومعنى الترك لفائدة ملحوظ في مادة جم . ومنها جم الفرس ترك ولم يركب . واجم الماء تركه يجتمع ، واجم البئر تركها حتى تمتلئ ماء .

جن الرجل : اصيب في عقله - تجن في زعير وتجنن في الحواضر وبعض البوادي .

جهز : جهز بنته لزفافها - جهج في زعير ومنه الجهاج ، اى الجهاز . ويقال في الشاوية : دهز ، وتستعمل عامة اهل الرباط جهز الفصيحة وتقلب الجيم الى قاف معقوفة ( كهز ) .

الجبارى : طائر اكبر من الدجاج الاهلي واطول عنقا . (الجبار زعير) Outarde

حرن البغل : لم ينقد فهو حرون - (حران في لهجة زعير وغيرها من القبائل المغربية وحتى في بعض الحواضر) .

تحرزت المرأة : كانت ذات ورع وتصون - وحرز في لهجة زعير بالغ في الوقاية والصيانة .

الحرجة : جماعة الغنم والابل - وفي لهجة زعير . خارج الجمل ضيق عليه .

تحفز : تجمع وتهيا للوثوب - محفوز عند عامة اهل زعير معناه ، متحفز في حين ان عامة المدن يستعملون اللفظ بمعنى محفوظ ومصون .

الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال - والحقف عند اهل زعير الارض العالية .

تحضر : صار حضريا - تسحضر عند اهل زعير وتحضر عند عامة اهل المدن ) .

الحصاحص : التراب ، والحصحص : الحجارة - ( حصاحصة عند زعير ارض حجرية ) .

الحلة : المحلة والقوم (الحلة القبيلة عند زعير) .

تحطل : تحرك وتزحزح عن مكانه - ( تحطل في زعير تهاطل في الحركة ) .

الحمرة : لفة في يوحمررون وهو مرض وبائي يسبب حمى وبقعا حمراء في الجلد (الحمرة عند زعير) .

حمس اللحم : قلاه - والحميسة لفة القلية - وعند عامة زعير حمس : طبخ اللحم ، ومنه الحميسة اى لحم مطبوخ بمرق - وكذا في الشاوية العربية الاصل حيث تسمى قدر الطبخ بالحماس .

الحسى : السهل من الارض يستنقع فيه الماء (حاسى في لهجة زعير معناه ثغرة ماء في مسيل الوادي) . وهو مصطلح مشهور في المغرب العربي ومنه حاسى بيضاء .

الحوة : سواد الى خضرة او حمرة الى سواد لفة والوصف احوى - وفي زعير سواد الى يياض بخصوص الضكان والممز (احوى) .

الحوار : ولد الناقة قبل ان يفصل عنها (الحوار في زعير) .

الحيطان او الدراج : (الحيقون عند زعير هو ذكر الحجل) .

اخبارى : مدون اخبار ( في زعير خبايرى ) .  
استخبر : بحث عن الاخبار (استخبر في زعير وحتى في بعض الحواضر) .

ختل الصباد : مشى قليلا قليلا ثلا يحس الصيد  
به - ختل فى زعير وتختل فى الشاوية .

خفق خفقانا : اضطرب - (خفق فى زعير) .

خمخم : نبت له شوك - وهو فى زعير عبارة عن  
اوراق جافة تبنى بها الاخصاص .

استخول : شبه اخواله - (تسخول فى زعير) .

تخيل واستخال : تستعمل قبيلة زعير صيغة  
استعمل مع تحريف فتقول تسخايل فى حين ان عامة  
الحواضر تقول تخايل .

الداب : ما دب من الحيوان وغلب على ما يركب  
عليه - (الحمار فى لهجة زعير) .

الداح : نقش يلوح به للصبيان يمللون به ، ومنها  
دوح الصبى هدهده ، والدواح بمعنى المهد ( زعير )  
والدوح ( الشاوية ) .

الدبر : من كل شيء مؤخره وعقبه - (الديبور فى  
لهجة زعير) .

الدرن : الوسخ - (وفى لهجة زعير بعوضة وسخة  
تكمن تحت جلد البقر) .

دكم : دق ودكمه فى صدره دفعه - ودكم فاه  
او انفه كسره (قارن هذا اللفظ مع دلقم التي لها نفس  
المدلول فى العامية) - والدكوم فى لهجة زعير مطرقة  
الحداد .

ادلج : سار ليلا ، ودلج فى لهجة زعير مشى وهو  
يتعثر كمشية الطفل او الحيوان الصغير وهي مقتبسة  
مجازا لان السير ليلا مظنة التعثر .

دلج : مشى بحمله منقبض الخطو لثقله عليه -  
وفى لهجة زعير ، مشى تائها دون هدف وهي مستعملة  
ايضا فى ناحية مراكش وقبيلة بزو .

دلج : فرس دلج يختال بصاحبه ولا يتبعه -  
وتدلوح فى لهجة زعير مشى وهو يختال .

الدماجة : العمامة تنطوي اطرافها بعضها على  
بعض ، والدمجة عند عامة زعير الضفيرة المطوية  
الدمجة فى بعضها .

دئر الوجه : اشرق وتلألا كالدينار ، والدينار فى  
لهجة زعير غرة بيضاء .

ادغم الله فلانا : سود وجهه ادغاما وادغيماما -  
(الدغمومى فى لهجة زعير هو الاسود) .

دغر الرجل : لؤم وساء خلقه - (المدغار هو  
الحمار او البغل اللثيم سىء الخلق)، وكثيرا ما تستعمل  
وصفا فيقال : حمار مدغار ، وفى بعض الحواضر يقال:  
حمار مدبار. بالباء بدل الفين او داغور بمعنى بليسد  
كالحمار .

دهس المكان : كان سهلا لا يبلغ ان يكون رملا  
وليس بتراب ولا طين فهو ادهس - والدهس فى  
لهجة زعير تراب لا طيني ولا رملي .

الدهرى : الذي طال عمره واتى عليه الدهر -  
(رجل دهرى فى لهجة زعير غنيظ ثقيل ساذج) .

دهمه الامر : غشيه - دهم هاجم وانقض (زعير)  
الارجوحة : يطلق عليها عامة زعير لفظ دحراج من  
دحرج .

رخل ورخلة : الانثى من اولاد الضأن (رخلة فى  
زعير) .

الرعونة : الحمق وكثرة الكلام - شخص رعواني  
فى زعير والشاوية اى وضع من اصل منحط .

الرعاش : رعشة تعترى الانسان من داء يصيبه  
والرعاش فى زعير رعشة الابتقار وهي مرض قاتل  
يعجل بالموت .

الرِف : الثوب الناعم - الرفافة فى زعير ثوب  
تصنع منه حواشي الخيمة .

الرسن : الحبل يجعل فى رأس الدابة - (الرسن  
عند زعير) .

رشقه بالسهم : رماه - (رشق فى زعير) .

الارقط : اسود مشوب بنقط بيض او ابيض  
مشوب بنقط سوداء - ارقط فى زعير ومزرقط فى بعض  
البادي والحواضر مثل الرباط .

استراح : وجد الراحة - تسراح (زعير) .

رهس الفرس : جعله رهيسا ، والرهصة مسا  
يحصل لحافر الفرس اذا اصابه حجر او نحوه - (يقال  
رهص الفرس فى زعير) .

الزاجل : خشبة كالطقة تربط فى طرف الحبل -  
تسمى فى زعير الزاجل والحاجل .

زاع الدابة : حرك زمامها لتزيد فى السير - زينزع  
راسه فى زعير حركه .



زفن : رقص ، والزفان الرقص - ويطلق في زعير  
والشاوية على الرقص والمغني والمغزف .

الساري : الذي يسير في الليل - ويستعمل في  
معنى المبكر فيقال : امرأة سارية اذا كانت تقوم مبكرة  
والبكرا في البادية المغربية هي آخر الليل وكذلك  
السروة والسروية اي الفجر .

سبك الشيء : احسن ترصيفه وتهذيبه - مسبوك  
في زعير معناه متقن النسيج .

السربة : القطيع والجماعة من الظباء والخيول -  
ومعناها في زعير عصابة من الخيالة خاصة ، وفي  
الشاوية جماعة من الخيول .

سحف : كشط ، وسحف الريح السحاب بدده -  
سحف عند اهل زعير معناها بدد وبذر .

سحا النار : سهل اتقادها ، وسحا القدر سهل  
اتقاد النار تحتها - والسخية في الشاوية وزعير الرماد  
الساخن الملفوف في خرقة للتسخين والعلاج .

سفظ : كان طيب النفس ، والسفظ وعاء يعبأ  
فيه الطيب - وسفظ في لهجة زعير اشترى الطيب  
ومنه تزوج .

السكاك : الذي يضرب السكة - السكاك الصائغ  
في لهجة زعير .

المسند : ما يسند اليه كالمخدة - (المسند بهذا  
المعنى عند زعير) .

السهب : الوادي ، الفلاة - (الشاوية وزعير) .

السير : القدة المستطيلة من الجلد ( السير ) .

الشرابة عند المولدين : ضمة من خيوط يعلق  
طرفها الواحد بالطربوش وغيره ويتدلى الآخر وتستعمل  
بهذا المعنى في بعض انحاء المغرب ، اما في زعير فانها  
تعني ثوبا يغطي الرأس ويتدلى على الظهر .

الشربة : الوادي - والشرابة طرف من الوادي  
لا مخرج له ( زعير ) .

شرجت كجعفر : نوع من الكوى عند اهل زعير .

الاشخم : الابيض - فرس اشخم اذا كان له لون  
ابيض مشوب بسواد (زعير) - وصوفة شخمة وشاة  
شخمة (الشاوية) .

شنفر : اخرج شفتيه غضبا ومنه الشنفرى -  
يقال : شنفارة في زعير ، والشاوية .

شهل : كان في عينيه شهلة وهي ان يشوب سواد  
العين زرقة - وشهل في زعير ابيض وشاب .

الصرم : الجلد وهو معرب فارسي ، والصرم  
الخف المنمل - اما في زعير فان الصرم والصارمة عبارة  
عن تطعيم وترخيم يسير الجلد ، والصارمة عند اهل  
الشاوية معناها الشكارة وهي كيس كبير من جلد للنقود

الصفاق : الجلد الاسفل الذي يمسك  
البطن Périotine ويسمى الصفاقة في زعير .

الاصك : القوى من الناس (الاقوى في زعير) .

الصمام : سداد القارورة - الصمامة في زعير  
قطعة ثوب لتصفية الماء ، والاصل في تسمية المصفاة  
بالصمام ان قارورة العطر في المغرب تسد بمصفاة من  
النسيج الابيض الرقيق .

ضمر : هزل ( زعير ) .

الضنء : الاولاد لا واحد له - الضنايا في زعير  
والمغرب عامة معناها السلالة والعقب .  
ضهد : قهر الام من فرط الرضاع - قهر (زعير) .

الطبة : القطعة المستطيلة من الثوب وتدل الطبة  
(بضم الطاء) في زعير على القطعة التي توضع على الثوب .

اطرقت الابل : تبع بعضها بعضا ، واطرق الرجل  
تزوج - وطرقت عند زعير وكثير من البوادي بحث عن  
الانثى .

طرحت الانثى : القت الجنين قبل كماله ، والطرح  
الجنين السقط - وطرح وضع السقط ( زعير ) .  
وتستعمل اللفظة في الشاوية لطرح الحيوانات .

الطنب : جبل يشد به سرادق البيت - الطنب  
( زعير ) .

عرش البيت : رفع سقفه ، وعرش الكرم ، رفع  
دواليه ، وعرش الطائر ارتفع ، ويقال في زعير : عرش  
اذا اقام الخيمة او ارتفع ، ويستعمل اللفظ حتى في  
الحواضر بمعنى ارتفع . عرش فلان اي انتصب وارتفع  
راسه - ومنه العريش ويكاد يكون شائعا في المغرب .

عرقوب : عصب غليظ فوق العصب ، او طريق  
في الجبل - العرقوب (بالقاف المعقوفة) عصب كذلك  
او طريق ضيقة في متون الجبل (زعير) .

عرمرم : جيش عرمرم كثيف - جيش ومروم (زعير)

اعتلوا: تقلب عند زعير الى تسعذر (واصلها استعذر)

المدار: ما سال من اللجام على خد الفرس -  
المدار (زعير) .

العروة: المقبضة - العروة (البادية) .

العجيف: المهزول - العاجف (زعير) .

عصم الرجل زوجته رعاها وحفظها - عصم (زعير)

معطن: مكان تأوى اليه الابل - ومعطن في زعير  
ومعظم البوادي المغربية مكان فيه الوحل ، وعطن بال  
لان البعير اذا برك في معطنه بعد ان يروى من الماء  
يبول في تلك الفترة لذلك كانت لوازم المعطن من معانيه  
في العامية .

العكة: زقيق للسمن أصفر من القرية - والعكة  
في زعير قرية صغيرة من جلد الشاة للعسل .

عكش الشعر: التوى وتلبد ، وعكش النبت كثر  
والنف - عكرش ، التوى على نفسه (زعير ولعل اسم  
عكراش الواقع في طريق زعير مستمد من هذا المعنى  
لالتواء وادي الرمان او ابي رقرق فيه) .

عكرم الليل: سواده - وعكرم سرق في الليل (زعير)

عكاس البعير: حبل يشد به في خطمه اى رأس  
انفه الى رسغ يده ليدل - والعكاس في زعير حبل  
يشد به قرن البقر او الثور لتذليله ، ومنه عكس البعير  
فهو معكوس ، وتقول العامة في المغرب تعكس الرجل  
فهو عكسي اى استعصى كالبعير الذي يحتاج الى  
عكاس لتذليله .

عقق الطائر بصوته: صوت - والعقق طائر  
كالغراب يصوت (زعير) .

العقبة: ما يعقب بعد الطعام من حلاوة - العقبة  
(القاف المعقوفة) ما يوكل من الطعام البسيط في المشي  
(البادية وخاصة زعير) .

معكف: معوج ، معطف - معكوف (زعير) .

تعقل واستعقل: استحضر عقله - تستعقل (زعير)

عناق: انثى من اولاد المعز ، وعناق الارض حيوان  
من فصيلة السنور جارج له خصلة من الشعر الاسود ،  
(يقول اهل زعير ان خصلة شعر العناق حمراء) .

عنى عناية: قصد ، ومنه عنوة اى قصدا (البادية)

اعتفر: اقتدر وقوى وتعاثر بالدارجة بذل جهده  
للتغلب والتقوى وقد قلبت في بعض القبائل المغربية  
مثل زعير الى «تفاعر» .

عسلوج: ما لان من قضبان الشجر ، وعسلج  
الشجر اخرج عساليجه - (عسلوج) .

العواق: الصوت يخرج من بطن الدابة اذا مشت -  
وهي التمويقة (بالقاف المعقوفة) في البادية وتطلق اليوم  
حتى على الصوت الخارج من بطن القاطرات ونحوها  
في البادية والحاضرة .

الفرارة: الجوالق: وهو العدل من صوف او  
شعر - الفرارة مكيال للزرع (زعير) .

الفارب: غارب الفرس كاهله او من بين الظهر  
والسنام - الفارب (زعير) .

الفار والمفارة: الكهف - المفارة (زعير) .

غط الحفرة غوطا: حفرها ، والقوط كذلك  
المطمئن الواسع من الارض، ومنها غوطة دمشق - القوط  
حفرة وخليج (زعير) .

غرنيق ، وغرنوق: جمعه غرائيق - غرنوق (زعير)

الاغر: الابيض من كل شيء - لون اغر صاف غير  
مشوب (زعير) .

اغدق المطر: كثر قطره ، واغدق العيش اتسع -  
اغدق بالقاف المعقوفة (زعير) .

غدير: قطعة من الماء يتركها السيل - غدير ، وغدرة  
(زعير) .

غشى الفرس غشا: كان اغشى اى اشقر ، لان  
الفشوة بياض الرأس دون الجسد ، الفشوة (زعير) .

غضا غضوا: كان في نعمة وحسن حال ، فهو غاض  
وهي غاضية - امرأة غضوية كانت سبب النعمة (زعير)

غضف العيش: كان ناعما - عيش اغضف ناعم (زعير)

غل غلولا: خان - الغلول الخيانة (زعير) .

غمر صدره: غل: اى كان ذا غش او ضغن وحقد،  
والغمر: الجاهل الحقود - الغمار اليهود في زعير لانهم  
يبتنون الحقد والضغينة لمن عداهم .

الغمد: جفن السيف - الغمد (زعير) .

الغفر ، والغفار: شعر كالزغب يكون على المنق  
واللحيين ، والغفا ونحوها - الغفر والغوفارة شعر

أشعت (زغير) ، ويقال غوفالة فى بعض الحواضر مثل الرباط .

غاول : أسرع فى السير - غاول أسرع ، وهي لا تستعمل الا كفعل امر ( زغير ) .

الغواء : السفلة من الناس والمتسرعون الى الشر - غوغ تمرد ، والغواء الضجة (زغير وكثير من القبائل والحواضر مثل الرباط ) .

فتح : استرخت مفاصله ولانت وضعفت فهو افتح فتح رطب ولان ( زغير ) .

افج : سلك الفجاج - فج عند زغير سلك الفج وهو الطريق الواسع .

انفرك : تكسر فى مشيته - انفرك مشى متباعد القدمين ( زغير ) فركح ( الرباط ) .

انفرك السنبل : صار فريكا حين يصلح ان يفرك فيوكل - فركت السبولة فهي فريك بدا نضجها (زغير) فدفد: عدا هاربا - فدفد عدا او طار ونزل بالقرب ( زغير ) .

فدر الفحل : فتر وانقطع وجفل عن الضراب وعدل، وربما كان ذلك من مرض - والفدر فى زغير مرض يصيب البقر والمعز .

فص الجرح فصيصا : سال بما فيه - فص الجرح انفتح ( زغير ) .

فقع : اشتد لونه، وافقع ساءت حالته - فقع اشتد غضبه (زغير) - تفقع (بالقاف المعقوفة) (الرباط) .  
الفل : الثلثة ( زغير )

فلجة : تباعد ما بين الاسنان - والمفلج صاحب الاسنان المتباعدة - الفلجة والمفلج ( زغير والرباط واقاليم اخرى ) .

الفليجة : شقة من شقق الخباء - الفليجة (زغير) .

فنن وفن النبات اذا برعم من الفنن : وهو الفنن، فنن ( زغير ) .

الفهة الغفلة : فها العقل غاب (زغير) . فاه فهو فاهيه ( الرباط ) .

قبضة : ما يقبض ويمسك - قبضة بتقديم الضاد على الباء ( زغير ) .

القبضة : طائر صغير قبع او قوبع طائر يكون فى الحقول ( زغير ) .

القبس : شعلة النار - القبس ( زغير ) .

قنب البعير : رحله - القنب ( زغير ) .

قرس الماء : جمد من البرد ومنه برد قارس - قرس (زغير وكثير من الحواضر والبوادي) .

قرقرت الحمامة : رددت صوتها - القرقر بالقاف المعقوفة ، الجماعة تقرقر (زغير) .

القرش : ما يجمع من هنا وهناك فهو عبارة عن المحمول لا الحامل - ولكن القرش فى زغير معناه التليس اى المخلاة تجمع فيها الحبوب .

القراد : دويبة تعلق بالبعير وهي كالقمل للانسان، القراد ( زغير ) .

قرح الفرس : صار قارحا اى شق نابه وطلع وهو مظهر للطن فى السن - قرح الجمل طعن الجمل فى السن ( زغير ) .

تقدت الدابة : مشت وسط الطريق - تقدى مشى الخيلاء (زغير) ولا شك ان السير وسط الطريق دون مبالاة يكون فى كثير من الاحايين مظهرا للخيلاء والاعتداد بالنفس ) .

القطن : موضع الاقامة - قيطنة (زغير) - (القيطون خيمة يقطن فيها) .

قطب الرحى : محورها - قطب ( زغير ) .

قطقطت الحجلة : صوت - وققطت الدجاجة نادت افراخها ( زغير ) .

مقطع النهر : معبره - مقطع .

فلز بسهته : رمى به - فلزه ضربه ( زغير ) .

قمطه : البسه القماط وهي اثواب الرضيع - قمط ( زغير ) .

قمقم ما على المائدة : تتبع ما عليها فاكله - قمقم ( زغير ) .

قعب الحافر : كان مقبيا - القعب الظهر البارز المقوس ( زغير ) .

قمقم البعير : صوت - قمقم (زغير) .

قمصه الفرس : اسقطه ، وقمصت الشاة اصاها  
القمص وهو داء في الصدر كانه يكسر العنق - قمص  
الفارس سقط من الراء ( زعير ) .

القش : ما يكنس من المنازل - القش الكنس (زعير)

القواء : الأرض التي لم تمطر - المام القاوي  
بالقاف المعقوفة الجاف الذي لا مطر فيه ( زعير ) .

القيدوم : مقدم الوجه أو اللحية - القادوم (زعير)  
القيومة بالقاف المعقوفة ( الرباط ) .

الكتكاك : الكثير الكلام يسرعه ويتبع بعضه بعضا ،  
كتكت دعا الدواجن وكلمها ( زعير ) .

مكربس : رجل مكربس الراس مجتمعه - الكربس  
القبعة ( زعير ) .

الكردوس : فقرة من فقر الكاهل وتكرس اجتماع  
بعضه الى بعض - المكردس من لا يظهر كردوسه من  
السمن (زعير) ولعل تكردغ التي لها نفس المعنى محرفة  
من تكردس ( الرباط ) .

الكركرة : الجماعة من الناس ، والكرراكر ايضا  
كراديس الخيل - الكركور مجموعة من الحجر والبطين  
ونحوهما - والكركرة ايضا صدر كل ذي خف من  
البهائم ، (وتطلق في زعير على قسم من صدر الجمل  
يعتمد به على الأرض اذا برك) .

كنس : شطب - تقلب في زعير والشاوية فيقال :  
نكس بتقديم النون .

الكنة : امرأة الابن أو الاخ - الكنة ( زعير ) .

كمبرة : كل شيء مجتمع ، وكمبرورة معناها  
المجتمع - كمبرورة كل شيء مجتمع ( زعير ) .

الكمل : الفني البخيل ، والكمل الرجل القصير  
الاسود - المكمول المنحوس من النحس ( الرباط ) ،  
المكمول لقب لليهود وهو عبارة عن كل وصف ذميم  
يوصف به الرجل ( زعير ) .

كف رجله : عصبها - كف الشيء جمعه وضمه  
( زعير ) .

كفاف الثوب : موضع كفه أي خياطة حاشيته خياطة  
ثانية - الكفافة ما يثنى ويخاط في طرف الثوب (زعير) .

الكسر : جانب البيت أو الشقة السفلى من الخباء  
أو ما تكسر وتثنى على الأرض منها - ويطلق في زعير  
على ثوب يبطن به جانب الخباء .

تكوف القوم اجتمعوا واستداروا : ومنها الكوفية  
وهي منديل يلف على الراس ، والكوفة الرملة المجتمعة  
المستديرة - كوف لف الخيوط في الكفة الكافسة  
( زعير ) .

التلايب : فلان آخذ بتلايب فلان أي ماسكه ،  
فلان في تلايب فلان أي بازائه ( زعير ) .

تلبط الرجل : اضطجع وتمرغ - تسلبط من  
استلبط ( زعير ) .

لدن : أي ندى - اللدن المطر الرقيق البارد (زعير)  
لزه بالرمح : طعنه ، واللز شدة الخصومة -  
لرز عرض تعريضا سيئا ( زعير ) .

اللقدود : لحمه في الحلق - اللقدودة ( زعير ) .  
مز الطعم اذا صار مزا : أي كان بين الطور  
والحامض - مز نثر السكر والملح على الطعام ( زعير ) .

مزز ، فعلته على مزز : أي على مهل - المازوزي  
المحصول الذي يأتي متأخرا كانه يتمهل في انبثاقه .

مطى يمطي : اذا امتد وطال - ماطى وتماطى  
( زعير ) - المطية الدابة تمطى أي تركب (زعير) .

منحه الناقة وكل ذات لبن : جعل له وبرها ولبنها  
وولدها فهي المنحة ، وناقة ممنح دنا نتاجها - منح  
شرب لبن غنم ممنوح ( زعير ) .

المنول : آلة النسيج - المنول ( زعير ) .

تماسى الشيء وتمسى : تقطع - تماسى الحليب  
تقطع ( زعير ) .

مسد الشيء : أمر يده عليه مرا شديدا - مسد  
( زعير ) .

المسن : ما يسن به - المسن ( زعير ) .

المشاشة : رأس العظم اللين - المشاشة عظم متحرك  
بين الساق والفخذ ( زعير ) .

مودونة : مؤنث مودون قصير العنق واليدين ضيق  
المنكبين - ولعل منها مودونة بمعنى قفة مفرطحة ذات  
جوانب قصيرة .

النباغ والنبافة : الطحين أو الهبرية أي القشر  
الذي يتناثر من الراس - النبغة ( زعير ) .

تكف عنه : أنف منه – تكف عليه وفق به واشفق  
( زعير ) .

النم : الذي يفتاب – النمنام ( زعير ) .

النم : اللعة من بياض فى سواد او سواد فى  
بياض – النم لعة من الشعر او غيره فى الثوب تزول  
بالنفش ( زعير ) .

هتهت : اسرع فى الكلام – هتهت ( زعير ) .

هجع جوعه : كسره – هجع شبع ( زعير ) .

هرع : اسرع فى المشي – هرع ( زعير ) .

الهجهاج : الاحمق الشديد الهدير من الجمال –  
هجهوج ، مضطرب كثير الحركة ( زعير ) .

هطل المطر : نزل – هطل ( زعير ) .

هلب : نتف الهلب وهو الشعر وخاصة شعر  
الدنب ، هلب ( زعير ) .

هفت الريح : هبت – هفت ( زعير ) .

الهامة : نوع من البوم – الهامة ( زعير ) .

الوبرة : انثى الوبر وهي دويبة كالسنور واصفر منه –  
الوبرة انثى الارنب ( زعير ) .

وحوح الكلب او الخنزير : صوت – وحوح ( زعير )

ولع بحقه : فاز به – ولع فرض نفسه وربع ( زعير )

واقع امرأة : وطنها – وقع ( زعير ) .

نتش الشوكة : استخرجها واللحم جلده قرصا ،  
ونتشه بالعصا ضربه ضربة بها ، وما نتشتت منه  
شيئا أي ما أصبت – نتش ضفط على البندقية لاطلاق  
النار ( زعير ) ونيش فى باقي المغرب .

نسف الحب بالنسف : نفذه وذراه – نسف الشيء  
غربله ( زعير ) .

انشب الصائد على الصيد بجبالته – التشببة  
المصيدة ( زعير ) النسبة فى الرباط (يقال نصب الفخ) .

نشرة ، مكتوب – نشيرة ( زعير ) .

نشط : الحبل عقده فهو منشوط ، والانشطة  
العقدة فى الحبل يسهل حلها – النشاط الحبل من  
الصوف يستعمل فى شد المنسج ( زعير )

انصل الشيء من الشيء : اخرجته – نصل الشعر  
نتفه ( زعير ) .

النمرة : ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها – النمرة  
( زعير ) .

النفطة : بثرة تخرج باليد من العمل – النفطة ( زعير )

نقع : روى من الماء والنقع الارض الحرة الطين  
يستنقع فيها الماء – النقع بالقاف المعقوفة اقدم  
الرجل فى الوحل المخلوط بالماء ( زعير ) .

النكتة : النقطة السوداء فى الابيض او الوسخ فى  
المرأة – النكتة الوسخ والرجيع ( زعير ) .

نكع الماشية : جهدها حلبا وهو ان يضرب ضرعها  
لنذر – نكع ( زعير ) .

# تنظيرات ومقارنات حول: فصحى العامية في المغرب والأندلس

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي اصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابي علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شهبة » ( 2 / 37 ) والوافي بالوفيات ( 3 / 251 ) بأنه « شيخ اللغة والعربية بالأندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان ( 2 ) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان ( 3 ) ب « أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا في نظر الثعالبي ( 4 ) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقرئ هذه الانظار كلها بقوله ( ق ) : هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجزي الان يذكر أربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

( 1 ) درة الفواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري ( 516 هـ ) مع تكملة لابي منصور الجواليقي ( 540 هـ ) .

إذا استعرضنا المفردات الأندلسية التي وصلت إلينا محرفة عن أصلها العربي وجدناها أقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الأستاذ الكبير كرد علي عن « عجائب اللهجات » ( 1 ) فقال : « لعل الدخيل كان نادرا في أرض الأندلس لأن الأمويين توخوا الوحدة في كل شيء » إلى أن قال : « وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراکش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت أقربها من الفصحى أشبه باللهجات اليمن والحجاز ، والأندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملتها العراق ومصر والشام » .

ونريد أن نقصر هنا تنظيراتنا على لهجتي المغرب والأندلس لنلمس من خلال هذه المقارنات كيف أن لهجة المغرب كانت أقرب إلى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابي بكر محمد بن حسن ابن مذحج الزبيدي ( 316 هـ - 379 هـ ) وقد صدر هذا الكتاب ( عام 1964 ) في سلسلة كتب « لحن العامة » بإشراف الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الآداب بجامعة عين شمس .

- ( 1 ) مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 .
- ( 2 ) مطمح الانفس 53 \ 23 .
- ( 3 ) وفيات الاعيان 1 \ 514 .
- ( 4 ) بتيمة الدهر 1 \ 409 .
- ( 5 ) نفع الطيب 5 \ 24 .

(10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب  
كلية ( ص 67 ) .

(11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه  
المطر واصناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68)  
( حك بالمغرب ) .

(12) ويقولون مقدااف السفينة .. والصواب  
المجدااف ( ص 69 ) .

(13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه  
الجمال .. والصواب حلقة ( بالتحريك ) ( ص 70 ) .

(14) ويقولون للآناء المتخذ من الصفر سطل ..  
والصواب سيطل ( ص 75 ) .

(15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق  
موس ويعودون فيجمعونها أمواسا .. والصواب  
موسى ( ص 78 ) .

(16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان  
إذا تزوجا اختين .. والصواب سلف ( بكسر اللام )  
( وهو المستعمل بالمغرب ) ( ص 81 )

(17) ويقولون لم أفعل هذا عاد بمعنى حتى  
الآن .. والصواب لم أفعل هذا بعد ( ص 83 ) .

(18) ويقولون لريحانة طيبة الريح نعنن (بالفتح)  
.. والصواب نعنن بضم النونين ( ص 87 ) .

(19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب  
الخالمل ( وهو المستعمل بالمغرب ) ( ص 88 ) .

(20) ويقولون سفرجل فيضمون ( أي الجيم )  
.. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي  
الصحيح شيء على مثال فعلل ( ص 89 ) ( والفتح  
الفصيح هو لغة المغرب ) .

(21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس  
بالضم .. والصواب كدس ( بالفتح ) ( يسكن بالمغرب )  
( ص 90 ) .

(22) ويقولون لبعض الاصماغ المجلوبة لوبان  
( بفتح اللام ) .. والصواب لبان ( المستعمل بالمغرب )  
( ص 93 ) .

(23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب  
حمص بالتشديد ( كما في المغرب ) ( ص 94 ) .

(2) رسالة في أغلاط العوام للسيوطي ( 911 هـ )  
مرتبة على حروف المعجم .

(3) التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه لابن  
كمال ياشا أحمد بن سليمان ( 940 هـ ) ( معجم رقم  
348 لغة ) .

(4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي ( 597 هـ )  
وقد نشرنا قسما منه في العدد السابع من مجلة  
« اللسان العربي » وصدر كاملا بإشراف المجمع  
العلمي العربي ببغداد كما سبق أن نشرت مجلتنا  
« اللسان العربي » ( العدد الثاني ) دراسة حول  
العامية في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات  
المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد  
السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال أوردها الزبيدي  
في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني  
في حق تطور اللغة العربية - أن الكثير من الفاظ  
العامية المغربية أقرب الى اللسان الفصيح - بنية  
وشكلا - من الدارجة الاندلسية :

(1) بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام  
السرّج أو المنطقة .. والصواب ابزيم ( ص 15 ) .

(2) دشيش .. والصواب جشيش ( 20 ) .

(3) يقولون لواحد الدباب ذبابة .. والصواب  
ذباب ( 31 ) .

(4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط  
بالأرض خرشف .. والصواب حرشف ( ص 37 ) .

(5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرعار ..  
والصواب عرعر ( ص 48 ) .

(6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه  
( ص 52 ) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الأقصى وبذلك  
يكون المغرب هنا أقرب الى الفصحى من الاندلس .

(7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب قوة  
( بالفتح ) .. والصواب قوة ( بالضم ) ( ص 63 ) مثل  
( المغرب ) .

(8) قرنفل يضم الرء .. والصواب قرنفل  
( بالفتح ) ( ص 64 ) .

(9) يقولون فلان مذهول .. والصواب ذاهل  
( ص 65 ) وهو المستعمل بالمغرب .

(6) سماء السيوطي في بنية الوعاة ص 82 بلحن العامة .



(39) ويقولون عند الاستعجال هيا ( بالفتح ) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر ( ص 148 ) .

(40) ويقولون كاغظ بالطاء المعجمة .. والصواب كاغد بالذال غير المعجمة ( ص 152 ) ( كاغظ بالطاء المشالة بالمغرب ) .

(41) ويقولون صوف موضح بالضاد .. والصواب مودح بالذال المعجمة ( ص 155 ) ( يقال في المغرب ليقة ( اي صوفة ) مودحة بتسكين الذال ) .

(42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران ( ص 157 ) .  
(43) ويقولون سكرانة يبنونها على سكران .. والصواب سكرى ( ص 162 ) .

(44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق ( ص 166 ) ( في المغرب زاواق ) .

(45) ويقولون هو مبطل اليد .. والصواب مبطل الا ان يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه ( ص 169 ) .

(46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونها على صمع .. والصواب صومعة ( ص 171 ) .

(47) ويقولون للمطهرة موضة .. والصواب موضة بالهمزة ( ص 174 ) .

(48) ويقولون لسام أبرص وزغة فيخففون .. والصواب وزغة ( بالتحريك ) ( ص 179 ) .

(49) ويقولون منكب ( بالفتح ) الانسان وغيره .. والصواب منكب بالكسر ( ص 185 ) .

(50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قيح ( بكسر القاف ) .. والصواب قيح ( بفتح فسكون ) ( ص 185 ) .

(51) ويقولون لجمع الجداة احذية .. والصواب حذاء ( ص 189 ) ( احذية للمفرد في المغرب كما في الحجاز ) ( وهي لفة فصيحة ) .

(52) ويقولون لجماعة الصاحب صحاب ( بالفتح ) .. والصواب صحاب ( بالكسر ) ولا يكون فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشباب ( ص 191 ) ( وفي المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة في بداية الكلمات غالبا ) .

(24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شقور بالثين .. والصواب صاقور ( ص 97 ) .

(25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفلى ( ص 99 ) .

(626) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب ) ( ص 100 ) .

(27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش ( بالتحريك ) ( ص 102 ) ( يفتح التون في المغرب ) .

(28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه أجنة .. والصواب جنة يجمع على جنان وليس الجنان بواحد ( ص 111 ) .

(29) ويقولون لمن يقعد عن المشي والقيام من علة أو خلفة مقعد ( بالفتح ) .. والصواب مقعد بالضم ( وهو المستعمل بالمغرب ) ( ص 112 ) .

(30) ويقولون للنبت الذي يشبه الخطمي خيزر .. والصواب خيزر ( ص 115 ) .

(31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خلخال ( بالفتح ) ( ص 116 ) ( مثل ما في المغرب ) .

(32) ويقولون قصعة ( بالكسر ) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح ( ص 117 ) ( مثل المغرب ) .

(33) ويقولون نافق القميص .. والصواب نيفق ( ص 125 ) .

(34) ويقولون للشجر الذي يعضر منه الزيت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعول ( ص 132 )

(35) ويقولون للظرف الذي يلقى فيه الحطب وغيره مقله .. والصواب مقلى بلا هاء ( كما في المغرب ) ( ص 140 ) .

(366) ويقولون شورة العروس والبيت .. والصواب شوار ( ص 141 ) ( هو المستعمل في المغرب ) .

(37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جيس .. والصواب جص ( ص 144 ) ( يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المجصص ) .

(38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جير .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضا ( ص 1455 ) .

53) ويقولون امرأة عروسة فيلحقون الهاء ..  
والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس  
بالمغرب) .

54) ويقولون مخدة للتي توضع تحت الخد ..  
والصواب مخدة بالكسر وهي أعظم من المصدغة  
(تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب  
عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ورجل  
عزب (ص 201) .

56) ويقولون يا غايث المستفيثين .. والصواب  
يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث في المغرب بصيغة  
المبالغة) .

57) ويقولون بنية للقطعة من الشقة تخاط  
بجانب القميص والبنية لبنة القميص التي فيها  
الأزرار (ص 213) والواقع أن البنية تطلق كما في  
التاج على اللبنة والجربان والدخرس كما تطلق على  
زمنة الكرم أو السطر من النخل وهو المجاز الذي أخذ  
به المغاربة عندما أطلقوا البنية على قطعة أو غرفة من  
بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمي في الدوائر  
المخزنية .

58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنون  
المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة  
كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .

59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال  
زنة الشيء الذي ينقل به ويقال دينار ثاقل إذا كان لا  
ينقص (ص 221 - 222) .

60) ويقولون لعود الشراع صار والصارى  
الملاح (ص 224) .

61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد  
جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جص أو  
جير (ص 224) (ويقولون في المغرب القرمود لنفس  
المسمى الإندلسي والقرمود في اللغة ولد الوعل) وقد  
أشار الزبيدي إلى ما ذهب إليه يعقوب من أن القرمد  
خزف يطبخ وقال أنه ليس بصحيح وهو ما أخذ به  
المغاربة في العدوتين .

62) ويقولون اسطوان البيت للذي يشرع إلى  
الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

63) ويقولون للكثيرى اجاص والاجاص ضرب  
من المشمش (وفى النبات لابي حنيفة الدينوري ج 5  
ص 41 : والاجاص عند أهل الشام الكثيرى ويسمون  
الاجاص المشمش) ومعلوم أن كلمة انجاص المستعملة في  
كل من الشام والمغرب أصلها اجاص وهي تعني في  
الحقيقة ما يسمى بالفرنسية prune وهو البرقوق  
في مصر أو المعروف غلطا بالخوخ في الشام) .

64) ويقولون سانية للخشب تديره الدابة إذا  
سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231)  
(وتطلق السانية في المغرب على الجنة التي تسنا) .

65) ويقولون للزق الذي ينفع به الحداد كير  
(ص 227) .

66) ويقولون « باع » لاوسع الخطا والباع ما  
بين طرفي يدي الإنسان (ص 238) .  
(يلتقي المغرب مع الفصحى في هذا المفهوم) .

67) ويقولون آرى لمعطف (بكسر الميم) الدابة  
والآرى الحبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه  
المغرب محرفا إلى آروى على المعطف (بالفتح) أي  
مكان العطف) .

68) قولهم الوادي للنهر خاصة .. والوادي  
كل بطن مطمئن الأرض (ص 240) .

69) ويقولون ريحان للآس خاصة دون سائر  
الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .

70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكون على  
الأسرة خاصة واللحاف ما التحف به من ثوب (ص 242)  
(ويطلق في المغرب على المنجد من السرر) .

71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة  
.. والبكور التمعج في جميع أوقات الليل والنهار  
(ص 245) . والواقع أن العرب استعملت البكور  
بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى  
التقدم أي وقت من ليل أو نهار من أقوال ابن جنس  
فتكون عامية المغرب والإندلس بذلك فصيحة .

72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج  
(ص 251) .

73) يقولون لضرب من المصافير براطيل  
والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل (ص 262) .

89) ويقولون للبيت الذي بجانب البيت  
المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون في جوف  
البيت يتخذ للنساء ( ص 288 ) .

90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب  
كروم ( ص 289 ) .

91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع  
( ص 290 ) كما في المغرب ) .

92) ويقولون للخجر المطبوخ لاجور ..  
والصواب آجر وآجور ( ص 292 ) .

93) ويقولون لقة المداد فيشددون .. والصواب  
ليقة ( ص 293 ) ( كما في المغرب ) .

94) ويقولون للذي يصيبه البلاء مجذام  
والجذام النافذ في الامور الماضي ( ص 294 ) .

95) ويقولون مرقعة بالتخفيف .. والصواب  
مرقة ومرق للجمع ( ص 294 ) .

96) ويقولون المكنى بابي فلان .. والصواب  
المكني بفتح الميم ( ص 297 ) كما في المغرب ( المكني  
بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها ) .

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء ..  
والصواب امواه للجمع الاقل ومياه للكثير ( ص 298 ) .  
( مياه في المغرب ) .

98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء  
( ص 298 ) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري ( بكسر الراء )  
.. والصواب هري ( بتسكينها ) ( ص 299 ) .

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد  
واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والمضد  
( ص 301 ) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح ان علمية المغرب  
اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس بواحد وثلاثين  
في المائة (حيث ان 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ  
في المغرب بنية عربية فصيحة في حين ان المائة كلمة  
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى) .

74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب  
ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا  
كان طيب الريح ( ص 263 ) .

75) ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحون  
الراء .. والصواب حربة بالتخفيف ( ص 266 ) وهو  
المستعمل بالمغرب ) .

76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب  
حلبة ( ص 267 ) .

77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل  
والحنبل الفرو عن الشيباني ( ص 268 ) .

78) ويقولون خمنت الشيء تخميما اذا قدرته  
.. والصواب خمنت بالنون من التخمين ( ص 271 ) .

79) ويقولون لما وفي به الحائط من حطب او  
خشيش زرب والزررب حفرة تحفر مثل البيت ينشئ  
حولها ( ص 274 ) .

80) ويقولون للطائر زرزل باللام .. والصواب  
زرزور ( ص 274 ) ( كما في المغرب ) .

81) ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب  
زريعة بالتخفيف ( ص 274 ) .

82) ويقولون للذي يعصر من شجر الصنوبر  
زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر ( ص 275 ) .

83) ويقولون سعوت في الامر .. والصواب  
سعت في الامر ( ص 276 ) ( كما في المغرب ) .

84) ويقولون للحبل الذي يربط به الدابة  
طوال .. والصواب طول ( ص 282 ) .

85) ويقولون عوش الطائر .. والصواب عش  
( ص 284 ) ( كما في المغرب ) .

86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال ..  
والصواب مغربل ( ص 284 ) .

87) ويقولون لجمع القط قطاطيس ..  
والصواب قطط ( ص 287 ) ( قطوط بالمغرب )  
( القطوس هو القط بالبربرية ) .

88) ويقولون قليع المركب ويجمعونه على  
قلوع .. والصواب قلاع وجمعه قلوع ( ص 287 )  
( كما في المغرب ) .

# مظاهر الوحدة والاختلاف في عاميات المغرب والشام

لقد حاول بعض العلماء منذ عقود من السنين تفصيح بعض اللهجات العامية مثل الاستاذ عبد القادر المغربي فلم يصادفوا كبير نجاح ولعل ذلك راجع الى عدم اتخاذ مسطرة منطقية فعالة جماعية مصادق عليها من مجموع الدول العربية لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامية تبعاً لاختلاف التأثيرات القبلية العربية او التأثيرات اللغوية الدخيلة .

ونجدد الآن هذه المحاولة ضمن سلسلة من الابحاث لمقارنة العاميات في العالم العربي تمهيدا للعمل على تقريبها ، وقد بدأنا بهذه الدراسة حول مظاهر الوحدة والاختلاف في اصول الاشتقاقات اللغوية عند عامة المغرب والشام ، والحقنا ذلك بمعجم صغير للمصطلحات الموحدة في العاميتين وقد تلقينا من عميد الادب العربي الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة رقيقة يشجعنا فيها على ما شرعنا فيه «من تأليف كتاب حول اصول اللهجة المغربية ومقارنتها ببعض اللهجات الشرقية» قائلا : «ما احوج المكتبة العربية والدراسات اللغوية الى هذا التأليف» . كما اكد لنا المرحوم الاستاذ امين الخولي بهذا الصدد «ان تفصيح العامية وتقريبها بين الدول العربية هو انجع الاعمال في احياء الفصحى ونصرها في صراعها مع العامية» .

## تحويل الحروف

مظاهر الوحدة (1) :

- (1) سقوط الهمزة الابتدائية في الافعال مثل ارم (رم) واضرب (ضرب) وانتقل (نتقل) واستعمل (ستعمل) وكذلك الهمزة في وسط الكلمة وآخرها مثل رأس (راس) وبئر (بير) ومونة (مونة) وبريء (بري) وضوء (ضو) ووضوء (وضو) ودفئ (دفي) وملآن (مليان) وأعان (عان) وإطاع (طاع) وأفاق (فاق) .

(1) اقتبسنا كثيرا مما يتصل بالشام من « غرائب اللهجة اللبنانية السورية » للأب رفائيل نخلة ، وهوامش «متن اللغة» للشيخ أحمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق حيث توجد مئات الالفاظ العامية الشامية و « قاموس العوام » لحليم دبوس وغير ذلك ، وفي «هسبريس» (النصف الاخير لعام 1955) لاحظ لوى برونو في تحليله لكتاب حول اللهجة العامية في طرابلس الشام (صدر بباريس عام 1954) ان اللهجة الطرابلسية اللبنانية اقرب الى الفصحى من المغربية لان هذه تترك باب القياس مفتوحا على مصراعيه ولها نزوع الى التسهيل والتبسيط وحذف ما ليس له فائدة محققة بالنسبة للتعبير عن الفكر والعاطفة وهي نظرية لها ما يؤيدها وان كان في العامية المغربية ما يشهد لها ايضا بهذه الاصاله كما سنرى خلال هذا العرض .

ومروءة (مروءة) وخطيئة (خطية) وقراءة (قراية) ومصائب (مصايب) .

## (2) اضافة ياء في مثل دواة (دوايا)

(3) اسقاط تاء التانيث مكتبة (مكتبه) وتحول التاء الى تاء (تور وتمانية) وكذلك الذال الى دال (داب) ونيابة السين عن الشين او العكس (ويلاحظ في الشام تأثير الارامية وابدال الظاء ضادا (ظهر - صهر) او القاف همزة عند اكثر اهالي لبنان وسوريا (وهذه في المغرب نتيجة آفة لسانية بالنسبة الى القاف والكاف معا) .

والواو المتطرفة تنقلب الى ضمة بعد حرف ساكن في اللهجتين مثل دلو (دلو) مع فارق بسيط هو اسكان الحرف الاول في العامية المغربية .

وتتحول الواو الساكنة بعد فتحة الى حرف مثل توفيق (بضم التاء) بدل توفيق ، كما تتحول الواو في مضارع الافعال الثلاثية المنتهى ماضيها بألف طويلة الى ألف وياء عند عامة المغرب وسوريا : يسخا (يسخو) (يبدعو يدعو) مع انعدام الباء في اللهجة المغربية ، ويظهر ان وجودها في بعض اللهجات الشرقية راجع لنحت كلمة يسخا مثلا من بدا يسخو (1) .

كما ان الباء المتطرفة تنقلب في اللفظ الى كسرة بعد حرف ساكن مثل مشى تلفظ مش مع تسكين الحرف الاول في المغرب وزيادة لام التعريف فيقال لمش (ولبنى الخ) .

والياء المتطرفة يزول تشديدها في اللهجتين : غنى (غنى) .

## مظاهر الاختلاف :

1 - تحتفظ العامية المغربية بالهمزة في بعض الاحوال مثل ابليس وامير وابريق بينما تسقط في سوريا ولبنان فيقال يدل امير (مير) وابليس (بليس) او (يبليس) في المغرب وابريق (بريق) .

2 - تتحول التاء في الشام الى سين (مثل حديس وخبيس ومؤنس بدل حديث وخبيث ومؤنث) ( بينما تنقلب الى تاء في المغرب ) ، كما تبدل الذال زاي في الشام (ذوق - زوق - وكذب - كزب واذا - ازا ) ، وقد اثرت التركية في نقل الضاد الى ظاء او زاي (مزبوط وفابط) في حين يحتفظ اللفظ اللارج المغربي بأصلته العربية لعدم تأثير اللسان التركي في الحضارة المغربية . وتنوب الغين مناب الجيم الارامية في الشام مثل غدف بدل جدف ( من قدف الارامية Godef ) في حين تنقلب بالمغرب قافا في هذه الحالة (قدف) وهي اقرب هنا الى الارامية رغم عدم تأثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى (2) .

وتتحول الميم في سوريا ولبنان نتيجة للتأثير الارامي كذلك الى نون في آخر الضمير المتصل في جمع المخاطب والغائب المذكرين مثل ضربكن بدل ضربكم وضربن عوض ضربهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الافراد والجمع ضربو (ضربه) وضربا (ضربها) وضربن (ضربهم او ضربهن) بينما لا تسقط في اللهجة المغربية الا في الحالة الاولى (ضربو - ضربها) .

(1) العامية المغربية تزيد الكاف او التاء فتقول تياكل او كياكل كما تزيد العامية المصرية الهاء فتقول حاكل (اي رايح ياكل) ، ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف في العامية المغربية من أدوات الخطاب وهما انت وانك كأننا نستشهد المستمع على ما يفعل الشخص المتحدث عنه فنقول: انت تراه ياكل وانت تراه تاكل وانك تراه ياكل وانك تراه تاكل فاختصر الخطاب في الحرفين الاخيرين وتزيد الهمزة أحيانا الغين فتقول غايكل ولعل أصلها راء (راياكل) اي رآه ياكل بمعنى رآه وتراه أو يراه ياكل ، وتدخل بعض اللغات السامية ، كالفارسية الباء على الاسماء فتقول بينمارستان بدل مارستان ويقال بأن أصل الباء بيت .

(2) أكد دوزي في مقدمة مستدركه على المعاجم العربية أن العربية الفصحى هي أساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو (هسبيريس 1949-المجلدان الثالث والرابع ص 7) في خصوص المغرب أن اللهجات الحضرية وأقل منها اللهجات البدوية لم تقتبس ما يستحق الذكر من العربية الفصحى قبل الحماية الفرنسية ، ولا يخفى ما في هذا الادعاء من التهاوت الرخيص .

## قلب الحركات أو الفاؤها

### عناصر الوحدة :

تتحول الضمة الى فتحة في أكثر الاسماء الخماسية غير المشتقة (عربون - جمهور - صعلوك) كما تتحول الكسرة الى فتحة في وزني فعيل وفعيل (بطيخ وقنديل ومسكين) واسماء الآلة على وزني مفعول ومفعلة (مبرد ومروحة ومحفظة) اما في اول مصدر وزن افعل المشتق من فعل ثلاثي اجوف (اراده واماته) فان اللهجة المغربية تحتفظ بالصيغة الفصحى .

وتحذف حركة اول حرف من الكلمة اذا كان الحرف الثاني متحركاً وبعده سكون أو حرف مد : تزحلق وتكسر وتنزه - كتاب - فطور (اللهم الا في بعض الحالات حيث تحتفظ الدارجة المغربية بالحركة الاصلية مثل كنيسة ) .

كما تحذف الحركة في وسط الكلمة مثل يضربو - تكتبو وكذلك حركات الاعراب آخر حرف الكلمة عدا فتحتي التنوين احياناً مثل (دائماً وأبداً - تقريباً وعموماً وخصوصاً - طبعاً - حقيقة - عادة ) .

### مجالي الاختلاف :

تتحول الفتحة الى كسرة بالشام في ادارة التعريف (فتقول الكتاب) وفي الافعال (فتقول في صعب ، صعب) بكسر الصاد والعين (وفي شرب شرب كذلك) بكسر الشين والراء والصفات (وسخ بكسرتين بدل وسخ) وفي وزن تفعيل (ترتيب) واول عدة ضمائر (انت والى) ومثات الكلمات مثل صدر ونجم وحتى الخ .

اما في المغرب فان القاعدة العامة هي تسكين الحرف الاول تسهيلاً : (لكتاب - صعب - شرب - نت - لى) اللهم الا في وزن تفعيل والالفاظ الاخرى فيحتفظ بصيغته الاصلية .

## قلب الأوزان

وقد امتازت اللهجة السورية اللبانية ايضاً بتحويلات في اوزان الافعال :

فعل بكسر الفاء والعين بدل فعل بضم العين أو كسرها أو فعل مجهول الثلاثي أو تحويل فعل الى انفعال

(مثل انخجل واندهش بدل خجل ودهش) أو قلب افعل المتعدية الى فيعل (اقعد وقيعدة - اطلع وطيلع) أو انفعال (وجد - انوجد - قيل - انفعال) .

اما في اللهجة المغربية فان صيغة انفعال لا تستعمل الا في المطاوعة مثل الفصحى كما ان كسر فاء الفعل غير معروف ومجهول الثلاثي يحول الى وزن افعل بدل افاعل (اكل - اتكل - بدل اناكل - اخذ - اتخذ بدل اتأخذ) .

وذلك بتحويل الف الفعل الثلاثي الى تاء مع اسكانها كما هي القاعدة الاصلية - والتصرف في عين الكلمة بما يناسب وهو الفتح .

وتتفق اللهجتان في اسقاط اول الميموز اتقن (تقن) واعار (عار) أو تحويل افعل بمعنى التعدية الى فعل المضعف افهم وفهم - اركب وركب - .

اما في خصوص اوزان الاسماء فان صيغ المبالغة (فعالة - مفعال - مفعيل - فعلة) قد زالت من العامية في الشام ولم يبق منها في المغرب سوى وزن فعالة (برادة - جلالة) وفعلة احياناً (نكسة بدل نجسة) كما تحول وزن فعيل في الاولى الى فعيل بفتح الفاء مع انعدام هذه الصيغة غالباً في عامية المغرب (اللهم الا في مثل كرطيط وحتيت الخ) .

اما اسماء الآلة فان وزن مفعلة قد تحول عند عامة اهل الشام الى مفعاية بينما يحتفظ المغرب بالصيغة الفصحى في غالب الاحيان (مفعلة - مفعال) (كمطرقة ومنشار) مع استعمال صيغة فعاية في خصوص الافعال الميموزة او المعتلة الاخير (سقاية - طلاية - مشاية) ومصفاة (مصفاية - صفاية) ومطفاة (مطفاية وطفاية) الخ .

ووزن مفعال يتحول احياناً في الشام الى مفعول فيقال منقول بدل منقار وميموز بدل ميمار بينما يحتفظ بصيغته في المغرب فيقال منقار وميمار ويقع التحول احياناً في المغرب كما في منكوس ومسمور ومتعوس (من النجس والسعر والتعس) .

اما اذا دل وزن فعالة على اسم الآلة فان مفعال يحول في اللهجة السورية واللبنانية الى فعاية: ممحاة - محاية (محاية بتسكين الميم وفتح الحاء في المغرب) ومبراة براية في حين يقلب في العامية المغربية الى وزن آخر من اوزان المبالغة وهو فعال : ملقاط - لقاط علالة على الصيغة المذكورة (فعاية) .



وهكذا يتضح ان التجانس بين اللهجتين اغلب وان مجال الاختلاف تمس احدى اثنتين اما انسياق مع مقتضيات التسهيل الموسومة باللون الاقليمي او تأثر بلهجة قبلية اصيلة كالتثنية عند اهل بهراء وهي كسر ياء المضارعة او تحول الثاء الى سين (نحو دعثه ودعسه اذا وطئه والحثالة والحسالة) او ابدال الدال زايًا (مثل تؤكد بأمر كذا وتوكر اى قام واستعد) وتعاقب الضاد والظاء كالبطر والبصر والظهر والضرع او وقوعها مكان الزاى (زغد - وخقد اى عصر حلقة) وهي لفظة عربية اصيلة لا مجال فيها للتأثير التركي كما يظن صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية كما ان تعاقب الفين والجيم (المجط والمفط اى المسترخى فى طول) ليست حتما من الآثار الآرامية بل هي من مظاهر التعاقب فى اللغة العربية .

ويتحد المغرب (1) وسوريا ولبنان فى كثير من الكلمات المشتركة بين العربية والعامية نعطي منها الامثلة الآتية : برا (خارج البيت) حاف (الخبز حاف يتشديد الفاء او حاف اى بدون ادام) وحمص الحب قلاه ، وخبط (ضرب ضربا شديدا) وخطرة (مرة) وراح (ذهب) وزعق (صاح) وسكر الباب (اغلقه) ومشبوح (ممدود الذراعين كالمصلوب) ومكان فاض (خال) وفرحان (فرح) وفقش البيض (فقس فى المفرب اى كسره بيده) وقد (قامة) وقرص العجين (قطعه اقراصا) وقشط (سلب) وقعد يفعل كذا (اى اخذ يفعل) وكش (طرد) ومفط (مد) وهبرة (قطعة لحم بلا عظم) واهبل (احمق) وهرس (دقه دقا شديدا) وخريق العمل (خردق) .

وتختلف الصيغة أحيانا نوعا ما كما فى : قحس وقح بمعنى سعل (بدل كح كحك فى المغرب) وجور

(جرجر) وتفل وتنف (بصق) ومن غريب ما يلاحظ وحدة الاتجاه فى تغيير ترتيب الحروف مثل : أبله ( اهل ) وزنجر (جنزار او جنجار وهو صدا النحاس) وسجادة (سداجة) ولعن (نعل) وملعقة (معلقة) ويئس (أيس) .

وأغرب من ذلك ان الكلمات المشتركة بين العربية والعامية مع اختلاف المعنى (وقد ساق منها صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية نحو 550 لفظة (2) يتحد كثير منها فى المدلول ومن ذلك : بدع (نسبه الى البدعة) وبرك (قعد عن مرض او ضعف) بشش (تنسم) الاخبار تقابلها فى المغرب شمشم المأخوذة من شمم والبطن (المولود) وبكره (غدا) وبيت (غرفة) وجفهره (انتهره وعنفه) وحرامي (سارق وان كان اللفظ يحتفظ فى المغرب غالبا بمعناه الاصيل) وتخشع (تأثر قلبه) ومخطوف لون الوجه شاحبه (كأنه مخطوف الدم) وخالص (متمم) ودرويش (فقير) ودور عليك (طلبك) ورشح الملح (ذره) وسبع (جريء) وتسلب عليه (تعدي) وساهى (نمسان) وشاطر (ماهر) وشكل (نوع) والصافي (الخلاصة) وطول (مكث مدة طويلة) وعبد (زنجي) وعسكري (جندي) وعيا (مرض) وعيان (مريض) وعيال (زوجة) (والعيال الاطفال ايضا فى المغرب) وتفذى (اكل حول الظهر) وغزالة (امراة جميلة) ومفلوب (عاجز عن القيام بأعباء عائلته او غيرها) وغول (مفرط الاكل) وطعام فاخر (الذيد) وفردى بفتح الفاء وكسر الدال (مسدس) وفسد بين الناس (زرع الشقاق والفشل) (الجبوط) وفاضي (غير مشغول او خال) وفطن بالامر (تذكره) وفقسه (احزنه بعد فرحه) وفك اللغز (حله) وقاع البئر او الوادي (اسفله) والقابلية (شهوة الطعام) وقتله (ضربه) والقحط (قلة المواد الغذائية) وقصر الرأس (نزع لباسه او شعره) والقعود ( او القعد البطالة)

- (1) اللغة العامية المغربية لا تختلف عن اللغات العامية الاخرى فى البلاد العربية اذ لم يعقها عن الاتصال بالفصحى الا ما فيها أحيانا من الحرفشة على حد تعبير ابن خلدون او وقف وعدم اعراب (راجع كتاب العربية للاستاذ بوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - أحمد أمين - ظهر الاسلام ج 2 ص 20)
- (2) ويرجع الاختلاف الجزئي الى تحريف العوام ، وقد كتب فى لحن العامة علماء امثال الكسائي ويحيى الفراء (المتوفى عام 207 هـ) وابي عبيدة (209 هـ) والسجستاني (250 هـ) واحمد بن يحيى (291 هـ) ومحمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي (379 هـ) وابي هلال العسكري (495 هـ) وابن الجوزي (597 هـ) وابن هشام اللخمي السبتي (577 هـ) صاحب شرح الفصيح ثعلب والمدخل الى «تقويم اللسان وتعليم البيان» فى لحن العامة وابن مكي الصقلي صاحب «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» (مخطوط باسطنبول) الذي حوى الفاظا عربية محرفة او دخيلة من البربرية او الاسبانية مع مرادفها العربي والقراز البربري الذي صحت عليه اللغة العربية بالاندلس ومالك بن المرحل الذي نظم فصيح ثعلب وابن هانيء اللخمي السبتي (733 هـ) الذي رتب كتاب بلديه ابن هشام اللخمي .



غير ان هنالك صيفا في الافعال غير الرباعية احتفظت فيها العامية المغربية بالاصل الفصيحي بينما زيدت حروف واستمدادى (تمادى) واستمنى (تمنى) واستخبي (اختبأ) في العامية الشامية مثل استناول (مقابل تناول في المغرب) وفي الدارجة المغربية تخبأ واسترجى (ترجى) واسترقى (ترقى) واستلقى (تلقى في حين ان استلقى في المغرب تفيد كذلك معنى الانبطاح كالفضحي) .

أما في الاسماء فهناك أوزان أكثرها دخيل في لسان أهل الشام مثل حصود (حاصد) وداحوس (داحس) وباكور (2) وفاعولة وفاعولي وفعل (هبول أي احمق) وفعولة وفعل بتشديد العين وضم الفاء وفعيلة وفعل (مثل مويت أي مشرف على الموت) وفعلنه (حمرنه أي قول او عمل حماقة كعمل الحمار) وولدنه (قول او عمل ولد صغير) .

وهذه الصيغ نادرة في الدارجة المغربية وان كان بعضها يحتفظ بمعناه العربي أو غيره (مثل غاسول وباكور أو ناعورة وداغور أي بليد) ورابوز (أي كير) وفاسوخ (نبات يتبخر به) .

ولا يستعمل وزن فاعولي بالمغرب في مدلول التفصيل كما هو الحال بالشام (قاتولي - قتالي وباطولي-بطل) وانما للنسبة (مثل باكوري من باكور وناعوري من الناعورة) وتشتق النسبة في المغرب من صيغة الكثرة (مثل حموقي : شديد الحمق او قفوحى أي اجنبي عن العربية او غير قح) .

واذا استثنينا اوزان التصغير المقتبسة من العربية في اللهجتين (فعل (1) وفعيلة وفعل) فاننا نجد صيفا مختصة باللغة العامية منها ما هو مشترك في الدارجتين مثل فعول (بيوض أي قط أبيض وعزوز أي عزيز جدا وقذور لعبد القادر وفضول لفضل الله وعبود لعبد الله وخدوج لخديجة وعبوش لعائشة (2) وكروم (لعبد الكريم) وفعلول (بجوح أي مبجوح) وقرعوش (الرباط)

وقعدة (او مقعدة - است) والمقعد (البهو) وقفا الشيء (مؤخره) وتقلع (ذهب وفيها معنى التثاقل) وكلّف المعدن (طلاه بمعدن آخر) واللبن (اللبن الرائب في الشام الشيء كذا (كان ثمنه كذا) والكنية (اسم العائلة) ولبس واللبن الحامض في المغرب) ومنعون (لعين وخبيث) ولقطه (أخذه بيده) وتمدد (انسطح على ظهره) ونبش (حفر) ونجس (او منجوس) (خبيث) ونصب عليه (خدعه) وناصح (سمين او جيد وخاصة فيما يتعلق بالسمنة واللون) ونفض (حشر كل ماله) ونقب الارض (حرثها وحفرها) والنقطة (قطرة او مرض الصرع) ونكاه (اغاضه) وهاوده (باع له بضمن معتدل) وهيكل (جسم انسان او حيوان) والواعي (من كان في حالة اليقظة) .

### خصائص المعجم العلمي في اللهجتين

تمتاز أوزان الافعال او الاسماء خاصة في اللهجة الشامية بصيغ استثنائية منها زيادة حرف اول الفعل او وسطه مثل عكبر (المسألة أي عظمها) بدل كبر وحلمس (لمس لمسا خفيفا) بدل لمس وهي نادرة في اللهجة المغربية (جنفخ بدل نفخ) وتتحذف اللهجتان في الفاظ كثيرة مثل (شقلب بمعنى قلب) ووطنفخ (الجرح أي ورم) بدل نفخ (وان كان عامة المغرب يزيدون الجيم بدل الطاء فيقولون جنفخ) وفي شرشح صوته أي غنى بصوت قوي من شرح (الا ان الغاربة يقولون صرصح بالصاد بدل صرح) وشرمط (من شرط أي قطع) وزحلقه أي جعله يزلق (من زحل أي ازاح (1) .

وأما في خصوص الحذف فان العامية المغربية لا تحذف مثلا جزءا من حروف الجر الا ما كان كالالف والياء مثل فلبيت بدل في البيت ولا تعرف ع الرفع عوض على الرفع .

وكثيرا ما تزاد الباء اول الفعل في العامية المغربية مثل بجلس (أي جلس وتجلس بمعنى لزم مكانه فصار يتحرك ببطء) ، وبخلط (أي دقق النظر في المفضوب عليه من خلط عليه اذا غضب) .

(1) يرى الاب رفائيل ان فرتك من فرت السريانية بمعنى قطع ومزق والواقع انها عربية اقتبست منها حتى العامية المغربية التي لا صلة لها بالسريانية ، والمعنى واحد في اللهجتين (فرتكه أي قطعه مثل الدر - متن اللفة) .

(2) يستعمل العامية في المغرب هذه الصيغة في باكور وحصول (بدل حاصل) الخ .

(1) وزغير في الشام ورقيق وصغير او صغير في المغرب .

(2) بعض هذه الصيغ يفيد في المغرب التعظيم لا التصغير مثل كروش بمعنى بطن كبير لا بطن صغير كما في الشام .

أو اقربوس في البربرية بالمغرب) وفعلول (3) وفعلولة (4) وفعللة بضم الفاء وتشديد العين المفتوحة (مثل حريقة في المغرب) أي نبات يحرق بشوكه وحميضة نبت كثير الحموضة .

وتختص العامية الشامية بأوزان أخرى للتصغير مثل فعلة (أي جبلة للجبل الصغير) وفعلون (طربون للفصين) وفعلونة وفعلوسة وكلها مقتبسة من السريانية وقد اقتبست اللهجة الإندلسية صيغة فعلون حفصون وزيدون من الأسبانية .

وقد عرفت الشامية كذلك الشين مثل خربوش (بيت مخروب) في حين أن خربوش في اللهجة المغربية مشتق من خربش الوجه أي أفسده فهو مخربش أو خربوش .

والشائع في لهجة حطب مثلاً استعمال أوزان خاصة في تصغير أسماء الأعلام مثل فعلو وفاعو وفيعو (زينو لزيب وسلمو لسليم وعبدو لعبد الله) إلا أن بعض هذه الصيغ توجد أيضاً في العامية المغربية وخاصة في المناطق البربرية (مثل حمو لآحمد ويطو لفاطمة وهنو لهنيصة ورحو لعبد الرحيم أو الرحمن ، وعبو لعبد الله علاوة على صيغ حضرية مثل طامو الخ) .

\* + \*

وتشترك اللهجتان أيضاً في كثير من النعوت، كفعلان (تعبان وحفيان لحافي الرجل وخفيان أو خوفان للخائف وعجزان للعاجز وغلطان للفالط) وفعلاني (حمراني وبراني وتحتاني وفوقاني ووحداني ووسطاني) بينما تنفرد العامية في سوريا ولبنان بالواحق التركية

(3) تستعمل العامة في المغرب ببطوط لعظيم البطن كما تستعمل الفاظاً لا تراعى فيها ازدواجية فاء الكلمة مثل حتنوك بمعنى الرجل الحقيق جداً وشنفوخ أو جنفوخ (الكثير الانتفاخ في الوجه خاصة ويقال في العامية الشامية أيضاً شنفخ التين إذا انتفخ بعد بدء نضجه) .

(4) مثل طقطوقة إلا أن اللفظ يفيد بالمغرب مبالغة في الطقطقة وهي صوت الدفوف والطبول في حين يعني في اللهجة السورية اللبنانية امرأة تحاول لفت نظر الرجال بطقطقتها في المشي لاثارة الانتباه ، وتوجد كذلك لفظة كشكوشة التي معناها الرغبة بالمغرب والناصية (أي شعر طويل في مقدم الرأس) في الشام حيث اقتبست من الكشة وهي الناصية في حين اقتبس المغرب اللفظ من الكش وهو الصوت الخوار أو غليان القدر وارتقاؤها فالمصدر في الحالتين عربي وتفيد الكركوبة في العامية المغربية حبة مدورة تتكرب أي تندرج .

(5) وهذه الصيغة نادرة جداً في العامية المغربية والفاظها معدودة مثل قهوجي وطبجي وصابونجي وهي اسم عائلة في سلا .

(6) يوجد لفظ ميخانه في اللسان المغربي وهو اسم حي بماصمة الرباط ولعل ذلك راجع لوجود حانة قديمة في هذا الحي .

مثل جي (بستانجي وبوسطجي وتلفرانجي (5) أولى (جزائري) أو الفارسية مثل خانه (جسخانه أي سجن ورصد خانه أي مرصد وميخانه أي حانة) (6) .

وتكثر في اللهجتين :

1 - الصيغة السماعية في أفعال التفضيل (مثل أكمل وأحب وأزيد وأغنى وأجبت وأعرف والذ وأطيب وأنذل) .

2 - الكنى (بودراع صاحب الذراع وبوكبوط صاحب الرداء) .

3 - النحت (مطيبو أي ما أطيبه ومئدو أي ما أله ومجلاه أي ما أحلاه ومشرو أي ما أشد شره وإيش أي شيء وبشويش أي على مهل وبعدين أي بعد آن وبلاش أي بلا شيء ورسمال أي رأس مال وشقداي أي شيء قدر ذلك وشنو لاي شيء هو وعقبالك أي العقبى لك وعمنول أو عمالول أي العام الأول وهو العارط ويسع أي فوراً أصلها في الساعة وفين أصلها فاين وقديش أي بقدر أي شيء وليس أي لاي شيء وماش أي ما هو شيئاً وماشيه أي ما شاء الله ومش كبير أي ما هو شيئاً كبيراً ومشانك أي لاجلك أصلها من شأنك ومعليش أي لا بأس بذلك أصلها ما عليه شيء ومنين أي من أين وناسملاح أي ناس ملاح وولا أي والا وويلي أي ويل لي ووين أصلها واين ويله أصلها يا الله أي أنت معي ويلي أي يا أيها الذي أصلها يا الذي) .

4 - الاتباع : يقوم الاتباع القياسي في سوريا ولبنان على تحويل أول حرف من الكلمة الأولى إلى ميم في الثانية اقتباساً من التركية مثل « لا كتاب عندي ولا متاب » أما الاتباع السماعي فهو منوع يتفق في الكثير مع

تأثره بهذه اللهجات يتفق مع عرب الشام في كثير من هذه المصطلحات الدخيلة مثال ذلك :

برا : فى الخارج (مقابلها السرياني Baro)

برم : اى ثقب بالبريمة وهي مثقب من حديد للخشب (bram)

بطن : بمعنى مولود (batno)

بطانية : بردة او حبة من صوف (bitouno)

بمع : ضغط شيئا لينا فجوفه (b'aq)

بمير : حيوان (حمار او جمل) متوحش خشن B'iro

بق : بموض (Boqo)

بهر : سطع (Bkar)

تبهلل : تباله والبهل (الابله) (Bahlo)

بهموت : رجل داهية طماع (Bel moût)

بيناتنا : بيننا (Baynot)

تفو عليه : تعبير عن الاحتقار والاسمئزاز ( اف

(وتفقه في الفصحى قال له تفا او تف لك اى قدرا وبعدا) .

جرجر : جر (Gargar)

الحد : يوم الاحد (Had)

حربق الامر : عقده (Habeg) (يقال حربق فى المغرب) .

حنتت : قتر وبالح في البخل (Haté) ولعل منه حنتيت فى العامية المغربية .

خرشوم : أنف (Hasoumo) (خبشوم فى المغرب)

خلخله : هزه (Halhel)

دار : ساحة بيت غير مستقفة (Dorto)

درفة باب او نافذة : مصراعهما (Dafo) ، ويقال فى المغرب دفة .

الدغل : المكرو والكذب (Dougolo)

دقدق الباب : قرعه مرارا (Daqdeq)

الدقن : اللحية (Dagno)

دندله : دلاه (dandel) ، (فى المغرب دبل)

المغرب (1) مثل حاضر ناضر (رجل يرى كل شىء) وحلاس ملاس (متملق مفرط المجاملة) (2) شهى بهى (جميل جدا) وكاني ماني (اى كان هذا وكان ذاك) (3) .

وتتقارب اتباعات اخرى فى اللهجتين اما من حيث الشكل او المعنى مثل : حزمز (فى المغرب : تقول وصل فلان الى حزمز اى الى نقطة التحول الحاسمة) وحزبز (فى الشام ويفيد الذهب والمجىء المتواصلين) وحربش (حربوش يربوش للتحدي فى المغرب وسوريا ولبنان) وخط وبلط (بدل خط خط في المغرب اى اختلاط عادم الترتيب) وشري مري (فى الشام بمعنى زيارات مفرطة التوارد مقابل خري طرى فى المغرب لنفس المدلول) وشلع بلع فى الشام مقابل (شرح ملح) وكلاهما يفيد الكلام البذىء او الصريح جدا .

5 - حكاية الاصوات : التقارب فيها طبيعي مثل طن طن (صوت الجرس) وطق (الانفجار بضجة) وطراق طراق او طراق (صوت الضرب) وقرت المدة ( قرقرت فى المغرب اى صاتت الخ) .

6 - وحدة التعبير فى مئات الكلمات وقد ساق الارب رفائيل تسعة وستين اسما يحتوي كلمة عين يتفق مدلول الكثير منها مع معنى اللفظ المغربى مثل :

يا عيني (يا عزيزي) - ما يملأ العين (لا يشبع رغبات صاحبه) وعينو شعبانه (قنوع) وعينو مفتوحة (حاذق) وعلى الرأس والعين ونزل من عيني (سقط) ووقعت العين على العين وعيني فيه وتفه عليه (عيني فيه ما قدبت عليه فى المغرب وهي تقال لمن يشتهي شيئا ويتظاهر باحتقاره) وعين الشمس (قرصها) وعلى عينك ياتاجر (يقال فى المغرب : على عينك يابن عدي لمن يعمل جهارا عملا قبيحا) وذهب عين (ذهب خالص) والعين بصيرة والبد قصيرة .

\* + \*

وقد تأثر اللسان السوري واللبناني منذ صدر الاسلام بالارامية التي تعد السريانية أشهر وافنسى لهجاتها والملاحظ ان المغرب الذي لا يوجد ما يؤكد

(1) الاتباع القياسي فى المغرب مقتبس من اتباع الفصحى مثل : حيص ييص - الجوع والنوع - الكوع

والبوع - اللتي واللتيا - حسن بسن - الشخير والنخير - شحيح نحيج .

(2) يستعمل فى المغرب الفعل خاصة وهو جلس جلس .

(3) فى العامية المغربية : كيني ميني .

لهط ولهف : خطف بسرعة وبشوق شديد  
مرط الفصن : جرده عن ورقه (Mrat)  
ممس : داس ما فيه حياة (M'as)  
مقله : مقلى او مقلاه (Maqlyo)

ويتجلى من مقارنة كثير من هذه الالفاظ بمرادفها  
فى المعاجم انها دخلت اولا الى اللغة الفصحى ومنها  
تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك المغرب  
والا فيصعب تعليل وجودها فى العامية المغربية التي  
لم تتأثر البتة باللهجة السريانية .

واذا اعتبرنا الاتصال الوثيق الذي تم بين اهل  
الشام واهل المغرب فى الاندلس خلال الحكم الاموي  
خاصة ثم فى الفترات التالية امكنا ان نتساءل هل  
هنالك الفاظ عامية مشتركة قدر لها ان تقتارب منذ  
تلك العصور وقد تتعزز هذه النظرية بتساوق كثير  
من العادات والتقاليد فى المغرب والشام لا يكفي فى  
بلورتها ما كن البلدان يتبادلانه من علماء وتجار .

ولا ننسى ان الشام وخاصة لبنان هو منبعث اللغة  
البونيقية او البونية التي اثرت فى البربرية المغربية  
منذ ثلاثة آلاف من السنين والبنوية عربية الاصل ،  
وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيفت  
كثيرا من المعطيات اللغوية لا سيما وان الفينيقيين  
الشاميين اسسوا فى المغرب الافصى عاصمة هي تسمى  
او ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد اى  
قبل تأسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد )

وبالاضافة الى ذلك توجد فى عامية اهل الشام  
كلمات من اصل عربي تحرفت بالاستعمال التركي على  
ان الفارسية وسمت لهجة السوريين واللبنانيين منذ  
القرن السادس قبل الميلاد ثم تعزز هذا التأثير بواسطة  
التركية التي اقتبست آلاف الكلمات من الفارسية ،  
ويرى بعض المختصين فى اللغات السامية ان الفارسية  
تحتوي فى مجملها على نحو ستين فى المائة من المصطلحات  
العربية وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق  
الدخيل فى المعجم العربي لا بكيفية مباشرة لان المغرب  
ظل فى منحنى عن التأثيرات الفارسية وعن الهيلينية  
قبلها Hellenisme ؛ ومن امثلة المشترك  
الفارسية فى اللهجتين المغربية والشامية ، بابا  
(اى الاب فى لغة الاطفال) وبازار (سوق) وبازارى  
وباس (لثم) وشاويش (شاوش) وخردة (اصلها العربي  
خرثي) ، وخواجه او خواجي (غنى) ودرويش (فقير)  
وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعلته فى مكان ضيق)  
وسالف (خصلة شعر متدليلة على الصدغ) وسبر اى

روح اللحم : فسد (Rbah)  
زفرة : نتن الرائحة  
سطره : شقه نصفين بالساطور (Star)  
ساوسه : لاطفه ، (سيس مع فى المغرب)  
شح الماء : قل (Sah) ، يقال شحت فى المغرب  
شقفة : قطعة .  
شقلب : قلبه بدون ترتيب (Chaqlab)

شلهب الشخص : احترق من الحر او العطس او  
نحوهما (échtalheb)

الشاوي : القائم بتوزيع المياه على الاراضي المزروعة  
(اقليم الشاوية فى المغرب حيث تتوافر الشياه والمياه)

طاش : هام على وجهه  
زهر : بدل ظهر (Tahro)  
طعم : لقمح (Taém)  
طلس بالوخل او نحوه : وسخه (Tlach)  
فرتكه : كسره وقطعه .

فرقع : انفجر بضجة (Farga)  
فركش : وضع امامه ما يعثر به (Farkes)

يقال صبي فركوش فى العامية المغربية اذا كان يتعثر فى  
شبهه لصغره) .

فسر : كذب (Fchar) (الفشار)  
فشط : كذب وادعى ما ليس فيه (Fchat) (فشاط)  
فكح : عرج قليلا (Bgah) (فركح فى المغرب)  
قاقى الدجاج : صوت (Qawqi)  
قدي : كفي (يقدني - يكفيني) (Aqdé)  
القرطة : قطعة كبيرة مستديرة من جذع شجرة  
يسطر عليها اللحم مثلا (Kourtto)

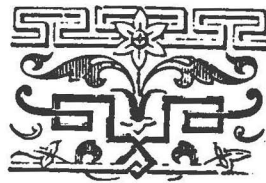
كاش على الدنيا: اشتد حبه لها وبخل بها (Kachi)  
كاف : كهف (Kifo)  
كرش : المعدة او البطن (Harso)  
كش الذباب : طرده (Akech)  
كلخ : غصن مقطوع (يطلق فى المغرب خاصة على  
قشرة الفصن او الجذع المقطوع)  
كوش : (تقال للكلب) ، اسكت او اهدأ (تقال حتى  
للذباب والدجاج ونحوهما فى المغرب)  
لبخه : الصقه (Ibah)

Fattuia وفبريكا (Fabrica) وفترينا  
 Vetrina وفلصو (Falso) اى باطل وفورما  
 Forma وفيزيتا (Visita) وكرنيتينا  
 اى محجر صحي (Quarantina) وكورنيطا Cornetta  
 وكوبرطه اى ظهر السفينة (Coperta) وكونطراباندو  
 Contrabando وموضا (Moda)

اما اليونانية فقد دخلت هي ايضا الى سوريا ولبنان  
 قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليوناني  
 بهما مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان  
 كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود  
 والعرب منذ اواخر الامويين بما اقحموه من الفاظ  
 دخيلة فى القاموس العلمي العربي الذي اقتبس منه  
 حكماء المغرب ونباتيوه او عشابوه وكتب الطب والعقائد  
 المغربية حافلة بهذه الالفاظ التي يتردد صداها فى لغة  
 العوام مع شىء من التحريف الا ان وجودها فى عامية  
 اهل الشام ابلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة  
 طويلة من تاريخ البلاد .

اشبار (وهو رقيق جدا) وشنطه (حقبة صغيرة)  
 وشيت (نسيج قطني فيه رسوم والوان) وصباهي  
 (صبايحي اى جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبة)  
 وطاقية (نوع من ملابس الرأس) وقيطان (خيط مفتول  
 من القطن او الحرير) وكخ (كخ بالمغرب اى رديء فى  
 لغة الاطفال) ومارستان (مستشفى المجانين) وخانه  
 (حانة اى خمار وتطلق على احد الاحياء بالمغرب) ونيشان  
 (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اى صوب القديفة نحو  
 الهدف) .

وقد تأثرت اللهجتان بالفرنسية نظرا للفترة التي  
 قضاها البلدان تحت سيطرة فرنسا ، بل هناك الفاظ  
 مشتركة لاتينية الاصل (ايطاليا واسبانيا) مثل :  
 شتف (ستف الاشياء اى وضع بعضها فوق بض ،  
 ويزعم البعض بانها مقتبسة من لفظ Stivare  
 بواسطة التركية ، والاصح انها من صفف واصطف  
 وكذلك صوبا من صبة الفصحى لا من (Zuppa) وضاما  
 (لمب Dama) وصالة (Sala) وطرمبا (اي  
 مضخة Tromba) وطرومبيطا (Treumbête) وفاتورة



# الألفاظ المشتركة في العامية المصرية والمغربية

انقرع (مصر) أى لزم حده من قرع فهو قرع اذا ارتدع ويقال فى المغرب انقرع (بالقاف المعقوف) .

اور عينيه (مصر) قلمهما او عورهما ويقال خور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين من قاريقور قورا بمعنى العور .

ايس لفة فى يس وهى مستعملة فى البلدين .  
ايش بمعنى أى شيء خفف منه نص عليه ابن السيد فى شرح ادب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب (شفاء القليل ص 15) ، (ايش)

باب الفتوح احد ابواب القاهرة وفاس .  
بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء .

ابو جمران : كنية الجمل بوجمران .

ابو علي : الرجل اللطيف الكريم (مصر) واما علل فى المغرب كناية عن الفقر المدقع .

انسرق أى انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسرا فى (مصر) .

اعشاري أى عشري نسبة الى عشرة (مصر والمغرب)

امتا أى متى (ويقال ايضا يمتى فى المغرب وميته بالامالة فى الصعيد المصري) .

انفضح بمعنى افتضح فى مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصح وهو افتضح لان المغرب لا يستعمل صيغة أنفعل (1) الا بمعنى المطاوعة .

(1) التوافق ملحوظ فى اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط فى الشكل مثل بات وباح بيات ويوح بكسر فاء المضارع فى القاهرة وتسكينه فى الرباط وقد نشرت مجلة «مجمع اللغة العربية» (ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة فى المادة عدا الخلاف الشكلي المذكور) ومن امثلة ذلك بخس يبخص بكسر الخاء فى القاهرة وفتحها بالرباط، وبدا يبدي (ق) ويبدأ (ر) وبدر ييدر وبرق يبرق ويرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبطأ يبطء بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبلى (ق) عوض بلى (ر) يضاف الى ذلك تباين خفيف فى النطق (ترقيقا وتفخيما وامالة الخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة كالتركيب على نسق التأثير السرياني والنبطي فى الشام .

باس : قبل ، البوس التقيبيل (يقال بأنه فارسي معرب) (شفاء الغليل) .

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أى ثقيل لا معنى له .

الباع : مقياس يمتد من طرف أصابع اليد الى طرف أصابع الأخرى . وتقول العامة في مصر والمغرب « فلان باعه طويل » أي له قدرة ونفوذ .

بتاع : هذا الشيء بتاع فلان أي متاعه أو في ملكه (متاع بالمغرب) .

بحنق بعينه أي حنق النظر وحنلق .

برا أي في الخارج ، ومنه براني أي غريب وأجنبي البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرتهم أي كثرة كلامهم وجلبة لسانهم ويطلقه العرب في المغرب على سكانه الأصليين لنفس السبب .

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم في المغرب) .

برمكي : معناه في مصر فاقد الفيرة ذو أعمال جنسية شائنة أما في المغرب فمعناه الكريم نظرا لكون البرامكة كانوا في عهد الرشيد موصوفين بذلك .

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الإيطالية barrena البربوز : القصبة أو القضيب المجوف ويطلقه المغاربة على أنبوب الصنبور .

بسبس : دعوة الهر الى الطعام ، يقال له بس بس بس (بفتح الباء في المغرب وكسرهما بمصر) .

البشماط : المرادف العربي للبشماط هو الكبنة أي الخبز اليابس (المخصص) البقسماط في مصر) .

بشويش : (بفتح الباء في المغرب) أي بتؤدة وهدوء ، يقال (تكلم بشويش) .

البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل ويصل وسمن .

بصبص الكلب يلدبه حركه .

بطل : عاطل من العمل ، تمطل الاجير فهو بطل .

بطنطة : ضريبة التجارة (patenta) (patente)

البيع : ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب) .

المصوص : أي العظم الصغير الذي بين اليتيم والإنسان ويستعمل كلمة المغرب الكلمة الفصحى .

بعيد : يقال هو البعيد أي الاجنبي .

بغل : فلان بغل أي غبي ، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب أن البغلة اذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا .

البقال : - حسب القاموس - بمعنى بيع الاطعمة علمية والصحيح البدال وقد ورد في فقه اللغة ان البقال بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .

بكرج وعاء القهوة ويسمى في المغرب بقرج ومقرج وهي كلمة تركية معناها غلاية .

البلفة : حذاء من جلد اصفر « ويظهر ان اصله من فاس في المغرب لانهم ينادون عليها البلفة الفاسية » (قاموس العادات الخ احمد امين ص 95) .

بندير آلة للطرب كالدف ولعل اصلها اسباني (bondera)

بنديره : العلم وهي ايطالية bandiera

بهدله : أي احتقره واستخف به .

البوري : سمك ينسب الى قرية بساحل مصر قرب دمياط وذلك حسب ياقوت (شفاء الغليل ص 46) .

بوغاز : أي مضيق كلمة تركية عريبها الزقاق كغراب وهو مجاز البحر مثل ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر) .

بونية : عريبها جمع الكف (القاموس) وهي فرنسية الاصل (المغرب ومصر) .

بياع : أي بائع مثل بيع الرؤوس (عريبها الرأس) وبياع الزجاج (عريبها الزجاجي) (مصر والمغرب) .

تأف : أي قلق وغضب فكانه يقول لمن يخاطبه أف لك .

تبهر : أي عجب من أبهر أي جاء بالمعجب وأصل أبهر تأثر بأشعة الشمس ووهجها وقد اقتبس العامة في مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى هي وهـر فيقولون انوهر أي أبهر وعجب إذ الوهر توهج الشمس، ويستعمل المغاربة أيضا تفهر بالفاء .

التريبعة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلغ وإطاطين (احمد امين - قاموس العادات ص 96) وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115) والتريبعة (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد في المغرب نفس المعنى .



ترزى الخياط وهو من الدرز أي الثوب بالفارسية  
وبنودرز الخياطون ويقال الدرار بالمغرب وهي من الطراز  
أي صاحب الطراز .

تعبان : أي متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر  
(مصر والمغرب) .

تعنطر فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المقاربة  
العبيد وأولاد الاماء العناطيز لانهم يعيشون عادة  
معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر اليها .

تفرشج : جلس وفرج ما بين رجله ويقال في المغرب  
تفرشج بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس ماذا رجله  
(ولها في المغرب معنى آخر حيث يقل تفرشج البطيخ  
بمعنى تكسر) ، وتستعمل لفظتا فسح وفشج في مصر  
بهذا المعنى .

تفنظر : كلمة يونانية معناها تريض phantasia  
وتوجد في العامية المغربية ولعلها اقتبست من الكلمة  
الفرنسية fantasia لالعب الفروسية التي كانت  
تسمى قبل بالتبوريدة (أي اللعب بالبارود) وقد اقتبس  
منها العامية بالمغرب الفخخة والعنجهية .

تكابوا على الشيء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت في  
مصر خاصة انكبوا (بكسر الباء الاولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبجع في الشام ولعلها من تجرع  
الماء اذا بلعه فالجشاء من لوازم تجرع الماء .  
تمسخر و مسخرة : فلان يتمسخر بك (ببتمسخر في  
مصر اي يهزا بك .

تندة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة  
أو خباء وعربها الزفن وهو حسب القاموس ظلة تتخذ  
فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه .

تنهد أي تنفس الصعداء وعربها تنفس وزفر .  
جاب الشيء : جاء به .

جاحم أي دفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور  
أحمد عيسى في محكمه انها من الجحيم ويظهر انها من  
زاحم مزاحمة وزحاما بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : أي جر وجذب ويقال بانها سريانية الاصل  
وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من  
السريانية التي لم تؤثر في العامية المغربية نظرا لانعدام  
كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخيا .

الجعيدي : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل  
المدمج ويطلق في مصر على من قل ذوقه وكياسته ، وفي

المغرب على الضعيف البنية كان أجزاء جسمه تندمج في  
بعضها .

جلبية : جلباب أو قميص ( جلابية بالمغرب ) .

جليطة : بتسكين اللام في مصر وتشديدها في المغرب  
معناها الخلط وعدم الاتقان تقول فلان جليط عمله اذا  
لم يتقنه ( جلط في المغرب ومنها الاتباع المغربي : خلط  
جلط ) .

جوانسي : برانسي .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية  
معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقي  
ويقال بانها تركية الاصل .

حاف : خبز حاف أي من غير ادام .

حب الرشاد : عربها الحرف (المخصص) ، ويستعمل  
عامية المغرب الكلمتين وخاصة الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله  
المغاربة للتحصن ويطلق عليه في كل من المغرب ومصر  
لفظ الحرز .

الحرقا ما يجده الانسان عندما يطعم شيئا محرقا أي  
حارا أو دسما يثير نوعا من التخمّة في معدته .

الحريرة دقيق يطبخ بلبن أو دسم (القاموس) (مصر  
والمغرب) .

الحريف الزبون وحريفك معاملك في حرفتك والزبون  
مولد (القاموس) ، وتستعمل عامة مصر لفظة زبون  
المولدة وعامة المغرب كلمة حريف .

الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم  
الحشاشين أي القرامطة شرابي الحشيش .

حط بمعنى وضع اشتهرت في عامية مصر والمغرب  
وتستعمل في الفصحى في مثل العبارة التالية : حط  
الله عنه الوزر أي وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شيء في الرجل .

حمص القهوة : قلاها على ائثار وهي عربية حسب  
الازهري (حب محمص أي مقلو) .

حوائج ما يلزم الانسان من ملابس وغيرها .

الخازوق : الخشبة كانت تستعمل قديما لاعدام  
المجرمين وهي من الخزق أي الطعن بالرمح ، وقد دخلت

الى مصر عن طريق التركية ولا ندري كيف تسربت الى المغرب ؟ فهل تم ذلك في عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية الى المغرب ام عن طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولا سيما في عهد العلويين ؟  
خرشه : خدشه وخمشه .

خريق عمله : أفسده (تستبدل العامة في مصر القاف الفا فتقول خرباً) .

خرخش اى صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفى مصر لازيز الصدر .

خردة قطع الحديد المستعمل وهي كلمة فارسية مقتبسة من الخرنثى الفصحى على ما يظهر .

الخنس : بقل عريض الورق يوكل نيثا ( مصر والمغرب ) .

خلاه : خلاه فى المحل اى تركه يقال : خلّه فى المحل اى اتركه حتى تعود اليه .

خمسة وخميسة : عبارة عن كف فيها خمسة اصابع يزعمون انها تدفع العين (احمد أمين - قاموس 195) وقد عرفت فى افريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد صورة لها فى متحف باردو بتونس ويقال فى المغرب خمسة لخماس بدل خمسة وخميسة فى مصر ويسمونها الفرنسيون يد فاطمة main de Fatma

الخنفسة : اى غير الجميلة وفى المثل المصري «الخنفسة عند امها عروسة» ويقابله المثل المغربي : «كل خنفوش عند مو غزال» .

الخوا : يكسر الخاء (وتسكنها بالمغرب اى الفراغ ، يقال : شربت على الخوا اى على الريق ، والخواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق فى الاصل على الاعيان والتجار ثم اطلقت على الاجنبي بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الاصيل وهي لفظة فارسية معناها سيد ، (مصر والمغرب والشام) .

خوخ الفاكهة : فهي مخوخة اى فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالبا على الباب الصغير فى قلب الباب الكبير وعربيا حسب القاموس هو الخادعة .

الدادة : المريية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومربية .

دحدح فلان : مشى على مهل أو تقارب خطوة مع سرعة ، والدحداح فى المغرب القصير وتلك هي صفة سير كل من قصر جسمه .

درازين : الحاجز الحامي فى السطح أو الدرج (دريوز بالمغرب) .

دربكه : الطبل الصغير وهي فارسية عربيها الكوبة التي اثار اليها صاحب القاموس .

الدرفة : درفة الباب اى مصراعها وهو من الدفة بمعنى الجنب ويستعمل العامة فى المغرب لفظة دفة بدل درفة فى مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهي من جيش الحب اذا دقه ويقال الدشيشة فى المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى اى قدما لا يلوى على شيء ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم او طوغرى التركية .

الدمغة : الطابع والتبر ويقال ايضا الدمغة بالمغرب وهي فارسية (من التمع او الطمع) .

دندن : غنى بصوت أو آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : اى داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميما .

الدوار : معروف فى ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالامير والمدير والمعلم وغيرهم فهي نواة حضرية وأصلها فارسي (داوار) وهي بمعنى القرية بالمغرب .

رأس مشعن : اى منتفش الشعر أشعث .

الرزمة من الثياب ماشد فى ثوب واحد .

رغرغت عينه باللمع : اى أغروقت (رغرغت بالمغرب)

الرقاق : الخبز الرقيق واحدها رقاقة ( رقاقة بالمغرب ) .

الرقعة : عربية معناها البطاقة استعملت لرقعة الشطرنج وهي دخيلة حسب شفاء الغليل ومن ادواتها المعروفة كذلك فى عامة مصر والمغرب البيدق والرخ والفرز والفرس والشاه .

الزربية : المكان الذي تنام فيه البهائم وهي فصحي  
زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .

زعلوك : اى صعلوك وقد ورد زعلوك بضم الزاي  
بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصة  
على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .

زغرت النساء في الافراح : من الزغرودة وهي هدير  
الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد  
بين السنتين وأصابهن .

زفر : ريحه زفرة اى منتنة وهي رائحة بعض  
الاطعمة كاللحم والجبن وهو من الذفر اى شدة رائحة  
الطيب او النتن .

زلا : اى زلق ( زلق بالمغرب) .

الزلط : يقول المصريون فلان رأسه زلط اى لا شعر  
فيه وفي الجزائر : « فلان أزلط من فار الجامع » وهو  
المدلول المغربي للزلط بمعنى الفقر .

الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهي من زمته  
إذا خنقته .

زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربي الاصيل  
ويطلق في المغرب خاصة على وعاء من نحاس .

الزواق : النقش بالالوان وهو من الزاوق اى  
الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .

السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع  
لغة في الاسبوع .

السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس  
في قارة الطريق ولعله من السبل بحركتين اى المطر  
الهائل والسبيل اى الطريق .

ستف : رتب وهي من صففه او صفصفه فاصطف  
وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى يقرج ولكن له عروة خاصة وهو  
ستل بالفارسية و (Situla) باللاتينية .

السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر)  
وهو المسمى القراب بالمغرب لحمله القرية على ظهره ،  
والقرية هي السقاء (بكسر السين) .

سك الباب : سدها ويقال في المغرب ايضا سكرها  
وهي سريانية وفي مصر سنكر بزيادة النون .

السميد : لون من الوان الدقيق وهو مغرب عن  
الفارسية (فقه اللغة) واستعمله الحريري في مقاماته ،  
ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .

السوة : (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب)  
أسفل البطن وهي من السواة بمعنى الفرج ولكنها  
أطلقت خاصة على الدبر .

سيا الارض : غسلها (سيق بالمغرب) وهي من  
صيا رأسه اذا غسله فلم ينقه (متن اللغة) .

السيفون : مجرى خاص للماء اصله siphon  
(مصر والمغرب) .

شاف : اى تطاول ونظر .

شالب : اى سقلب بمعنى صرع وأصلها قلب وهي  
شائعة أيضا في الشام (شقلب بالمغرب) .

الشايط : الطعام الذي يحترق على النار فيسوء  
طعمه وتفسد رائحته فيرمى ، والشايط في المغرب هو  
كل ما يرمى .

الشربات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد  
للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذي يقدم قبل الطعام ومقابلها  
التركي جوربا .

شرشر الماء : اى خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط في مصر) وذكر الدكتور  
احمد عيسى في «المحكم في اصول الكلمات العامية» انه  
من اثرنمط السقاء اذا انفتح والانرمط اطمحرار  
السقاء اذا راب ورغا ففي ذلك معنى التمزق « ويظهر  
لي ان اصل شرمط شرم فهو اشرم اذا انشق وتمزق  
وتشرم اى تمزق وأصل تشرمط تشرمت (تاء التأنيث)،  
وقد تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة .

شقاقة : اى شظية الخزف والشقف الخزف  
المكسر (شققة بتسكين القاف في المغرب) .

الشكال اى رباط العقال للفرس ولعلها فارسية  
دخيلة في الفصحى .

شكم الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس  
(ويطلق في المغرب على الحقيبة) وأصلها تركي على ما  
يظهر (جنته) .

شوشة : شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية  
كبة القطن وتطلق في المغرب على أزرار الحرير السوداء  
المتدلية من الطربوش .

شويه : اعطني شوية اى شيئا يسيرا .

الشياطين : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (أصلها هندي) .

الشين : علامة النفى في اللهجتين مثلا : فلان ماجاش أى لم يات (أصلها لم يات شيء) وماكلتش أى لم اكل شيئا واخذتش حاجه أى هل أخذت شيئا (وأضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهي من صرصر وتستبدل العين حاء بالمغرب فيقال صرصح .

صنارة : حديدة الصيد .

صنابعي : نسبة الى الجمع وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صنابعية بمصر والمغرب

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق في المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كؤوس الشراب وهو منسوب منذ العهد الجاهلي الى الصين التي يستورد منها .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ ( كلمة يونانية ) .

الطار : محرف عن اطار الاعجمية وعربية الدف وقد دخل في عامية مصر والمغرب وغيرهما ( ويقول عامة المغرب طر ) .

طاققة : كوة .

طاقية : ما يلبس على الرأس ولعلها مشتقة من تقية أى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبطب على الولد : ربه .

طربوش : قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية) ، أشار إليها ابن دحية في تفسير حديث « يلبسون الشعر » أى السرايش .

طرز : كلمة يقولها الانسان اذا شاهد شيئا رديئا او قبيحا فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطرز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر او رد .

طنجرة : وعاء للقلقي او الطبخ (تنجرة او طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب) .

عبد اللاوي : نسبة الى عبد الله ومنه البطيخ المبدلاوي .

عربية او عربة : عاميتان مرادفهما العربي عجلة واطلق على مركب ذي عجل تجره الخيل ، والعربية هي الشائعة عند عامة مصر والمغرب .

عرقان : فصيحة بمعنى عرق ( المصباح ) يقال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتي حلو يمتص .  
عيان : مريض ومدلوله الاصيل فى الفصحى من الاعياء فى الامر والمشى لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطه فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء فى المغرب) .

غماق : لون اسود غامض أى شديد السواد ومقابله فاتح اذا خف لونه .

غرقان فى الدين : أى غريق فيه بحيث لا يستطيع ادائه .

الغريبة : نوع من الكمك يصنع من دقيق وسمن وسكر ويكثر فيه السمن (احمد أمين ص 299) .

فتايت : ما تبقى من قطع الخبز على المائدة من فته اذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية او الممرات وهو لفظ نبطي (شفاء الفليل) ، ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعي .

الفرث : (يكسر الفاء) الكرث وأصله الفرث (وهو يفتح الفاء فى المغرب) .

فرتك : قطع ومزق مثل الذر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بأن أصلها يوناني وأن الأتراك اقتبسوها وتطلق فى المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الامام لذلك لا يبعد ان يكون أصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصر والمغرب .

فرم : أى قطع وكسر وهي سريانية الاصل على ما يقال ولعلها دخلت الى المغرب عن طريق الفصحى

نظرا لانعدام التأثيرات السريانية في اللهجة المغربية وهي تطلق في المغرب على الكسر الجزئي كفرم الاسنان او الكأس .

فش : اى فتح ويقال في المغرب فش الوطب اى افرغه من الهواء وفي المثل فشه فش الوطب اى ازال نفخته وكبرياه .

الفشار : الكذاب المغالى في كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

الفتقي : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الاقدام في الكتاب لضرب الصبيان ويقال بانها يونانية اقتبس منها الفرنسيون palanque

فلوكة : سفينة صغيرة وهي من الفلك اى المركب فلعو : اى زيف وزائف درهم فلعو اى زائف واصلها اسباني (falso) او انجليزي (false) (مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلسس وافلاس العربية .

فميلة : أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهي من اللفظ الفرنسي famille

الفنطزية : نوع من اللعب بالبارود على صهوة الخيل وهي يونانية اخذ منها الفرنسيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهي رنانية على ما قيل عربيت .

القراع : مرض جلد الرأس واصله القرع بحركتين اى بشر يخرج بالرأس (القرعة بتسكين الراء فى المغرب)

قرنص من البرد : تقبض ، ويقال في المغرب حنية مقرنصة او مقربصة بالباء اى متقبضة النقش والترخيم stalactite

القربنة : الجنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية gastrum ومعناها اثناء مجوف وتطلق في المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن أو لبن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع الحليب في المغرب أو تقطع اى لم يصلح لان يغلى أو يزوب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الخمرة بالماء مزجها (متن اللغة) .

القفطان : من الملابس الخاصة بالرجال في مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب واصلها قفطان التركية المقتبسة هي ايضا من خفطان الفارسية .

قفقف من البرد : ارتعش وهي فصيحة تستعمل في مصر والمغرب .

قلع ملابسه : اى خلعها وهي بحركتين في مصر الا انها مشددة اللام بالمغرب حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الاسنان أو قلع الحجارة من الارض وهو معنى فصيح .

القهاوي : المقاهي .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .

كاكي : تقول كاكيت الدجاجة اى صوتت عند البيض واصلها فاقت وتستعمل العامة بالمغرب هذا اللفظ فتقول : الدجاجة تقاقي .

كاني ماني : يقال بانها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الاكثار من الكلام عن طريق التلميح والكنائية ويقول العامة في المغرب كيني ميني .

واكد الدكتور أحمد أمين بانهما كلمتان قبطيتان فكاني معناها السمن والثانية العسل وهي فى الاصل خلط السمن بالعسل ثم استعمل في خلط صحيح الكلام بفاسده ثم فى الكلام غير المفهوم (قاموس العادات الخ ص 333) .

كاوح أو أوح : فى مصر من كافح اى قاتل وناضل وتستعمل فى المغرب المكابرة وتروج عند عامة المغرب كلمة كافح الفصحى فى نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى فى السفافيد ، ويظن ياقوت أنه فارسي عريه المولدون (شفاء القليل ص 174) .

كح : سعل (كحكخ بالمغرب وهي ترديد للمحاكاة او على نسق جرجر بدل جر .

كرنفال : مسخرة اصلها فرنسي carnaval (مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس اى يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو فى المغرب بضم الكاف .

الكفتة (بضم الكاف فى مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهروم اى المقطع قطعاً صفاراً (ويقال فى عامية مصر والثمام المفروم). ويقال بأن اللفظ فارسي دخل

الى التركية ومنها الى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربية .

كفى القدر : اى قلبها (كفحها بالمغرب) .

الكمنجة : بمعنى الرياب مغرب حسب « شفاء الفليل » .

الكوارع : الكراع مستندق الساق عند البقر والغنم وجمعه اكراع واكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كوارع .

كورجة : باع كورجة اى بلا وزن ولا كيل ولا عد وهي تركية معناها العمى ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الاعمى بدون تبصر .

الكيب : فى مصر هو الحصر من الياف البردي وهي من اللفظة التركية كيب ومعناها غطاء وتستعملها العامة فى المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الافريز والاستعمال المغربي اقرب الى الاصل التركي .

الكوشة : موقد الحمام وعريها الاتون ، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لاتون الاجر وهو بيت يطبخ فيه الاجر .

كومبانية : شركة (compagnie) (مصر والمغرب) .

الكيف : بعض انواع التبغ (يقال له فى مصر حسن كيف) .

ليارح = البارحة : اى الليلة الماضية ويقال فى مصر امبارح باستبدال ام من ال على لغة حمير لقوله عليه السلام « ليس من امير امصيام فى امسفر » .

اللبخة : دواء كالمزهر يوضع حارا او باردا فوق العضو الالم ( اللبخة ) .

اللائغ : من فى لسانه عسر فى نطق بعض الحروف كابدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر الذغ بابدال الراء دالا .

لهط الرجل فى الاكل : اى ازدرد اللقم الكبرى بدون مضغ وتستعمل فى المغرب خاصة للتعبير عن اظهار التلهف فى الطعام ولفظة لهف جارية ايضا بهذا المعنى فى البلدين .

ليلة الحنة : هي التي تسبق عادة الزواج وللحمام والحناء فيها أهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

مبلم (بكسر الميم فى مصر وبسكينها فى المغرب) اى ساكت لا ينبس ببنت شفة .

المختخ : اى المسترخى من كثرة الماء (بكسر الميم فى مصر وبسكينها فى المغرب) .

المرتد : وعاء اللبن والثريد وأصله المثرى .

امخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف اى اصفر .

مخوخ : فارغ اللب .

مدغمس : عين مدغمسة اى ضعيفة البصر يستعمل عامة المغرب خاصة مدغمس بالعين المهملة) .

مزنجر : اى يعلوه الصدا او الزنجر .

مسوكر : جواب مسوكر او مسوكر اى مؤمن عليه او مضمون (assurare)

المضربة النجاد المخيطة بالقطن (المصباح) (يقال مضربة فى مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الاعصاب .

الملاطة : المصارعة (الملاطة بالمغرب) .

ملط فى مصر واملط فى المغرب : اى املط لا شعر على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصري والمغربي « الضرب فى الميت حرام » (مصر) « البكاء على الميت خسارة » (المغرب) .

المبضة : المرحاض .

نخشوش (النون فى مصر) ونخشوش (بالتاء فى المغرب) اذا دخل الماء فى خيشومه فاثار قلقه واضطرابه نش الدباب : اى طرده .

نفز : اى حرض ونفزه بابصرة اى وخزه وفى الفصحى نخس .

نقر : (نكر فى المغرب) بالكاف المفخم اى اكثر من الكلام المؤلم . نكر عليه اى لمزه بالكلام المؤلم .

ننه : تغنى للطفل لاغرائه بالنوم ويسمى غشاء الاطفال بالتركية نيني والمهد بالفارسية نانو .

نونو : الطفل الحديث الولادة (مصر) وهو من الكلمة الفارسية نو ويقال فى المغرب نينو لكل جديد فى لغة الاطفال .

هيه : ترد زجرا للطفل اذا استعملت ياؤها  
ممدودة ، هاه : هي كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار  
حذار .

الوحش (بفتح الواو في المغرب وكسرها في  
مصر) أى الرذيل من الناس .

ورديان : أى الحارس أصلها guardiano  
الاطالية او gardien الفرنسية ، وقد اشتق منها  
المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغرب  
كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الجمارك .

يوغورت : اللبن الرائب فى التركية وقد دخلت الى  
المغرب اخيرا عن طريق الكلمة الفرنسية yogourt

نينة : معناها أم جدة وأصلها ننة الفارسية وقد  
اقتبسها الاتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة  
(التي ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الجدة ب :  
حنينة » فيقولون جدتي الحنينة ولا يبعد أن تكون نينة  
مرخمة عنها .

ههب الكلب : نبح .  
هجاله : عزب ويقال عزباء (الازهري) وتستعمل  
فى المغرب خاصة بمعنى الارملة .

هطل فلان (بتشديد الطاء فى مصر وتخفيفها فى  
المغرب) : استرخى .

الهمج : الطبقات الوضيعة من الناس وأصله  
البعوض فى العربية ثم أطلق على كل رذيل من القوم .





# العامية في المغرب والخليج العربي

مكتوبة بالعربية تحمل تاريخ 125 ق. م. ) قد سادت كثيرا من الاقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الالف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الاقاليم تنتشر من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936 ) ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بـقنطورة بنت يقظان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1300 ق. م. ثم تابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي ( وهو ليون الافريقي Léon l'Africain ) الفينيقيين عنصرًا هامًا في سكان افريقيا الاقدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م. عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن اجلوا ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق. م.

ومعلوم ان العرب كانوا يملأون هضاب وبطاح جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمبر في مقاطعة رديسيا آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدلت بها على ان العرب

ان من ابرز ما تمتاز به العامية في جناحي العروبة ما بين المغرب واقطار الخليج العربي - وخاصة في الكويت والبحرين وقطر التي تشرفنا بزيارتها خلال فصل الربيع عام (1387 - 1967) بدعوة من حكوماتها الموقرة - هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق في العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات في هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة الى الآن وتحمل احدي مدن الخليج العتيقة اسم صور اي تير Tyr عاصمة الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط على نسق المدن التي اسسها الكنعانيون في الجناح الغربي للعروبة منذ عام 101 قبل الميلاد بالمغرب الاقصى ( ليكسوس Lixus ) وتونس (Utique) والاندرلس ( مالقة وقادس ) وهبو Hippo (عناة وبنزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامية افريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية وبحثنا في « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسما كشف في البرازيل عن حجارة

- (1) جغرافي اغريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفي بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجودا الى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف الا منذ القرن السادس عشر الميلادي
- (2) جواد علي في « تاريخ العرب قبل الاسلام » ج 2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985 م استعمل كلمة « بحر العرب » في تقسيمه للبحر السبعة ( كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 17 ) .

ويرجع اطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي الى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثا من سيدة الاسكندر الاكبر لانه لم يمر الا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الاولى » .

المغرب على ناحية مراكش أي الاقليم المحيط بها والاهواز - كما جاء في معجم البلدان - جمع هوز وأصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد في محمد .. وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به في الاسلام وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان وأصل الحوز في كلام العرب من الحيازة أي الحصول والملك وقد نص سالوست Salluste (7) على أن الفرس الذين حاولوا الإغارة على إيبيريا (أي إسبانيا) في عهد هيروكولس Heracles (هيركول اللاتيني) الذي سميت به أساطين هرقل أي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت أشرعتهم بالريح إلى المحيط الأطلنطيكي فوصلوا إلى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول Zetules (وهم جزولة على ما يظهر فتصاهروا معهم وسميت سوس أو سوسة (8) باسم سوسانة Susiane (أو أرض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وأطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (أي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) . وهكذا نرى أن الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الإسلام بأزيد من ألف عام بفضل بني كنعان وبني قطحان من حميري اليمن .

وهاكم أمثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية :

قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمروها أسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) أن الحضارة ظهرت في بلاد آسيا الغربية وبخاصة في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها في مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت في صورة مثلث ثقافي إلى شومر وبابل وأشور وإلى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الأطلنس المغربي فأشار إلى ما كده المؤرخون والنسابون العرب أمثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهجة (سكان الأطلنس الأوسط) ومصمودة (الأطلن الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة على هذه الرواية أعرق في العروبة من ربيعة ومضر لأنهم من بني أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب إفريقيا الشمالية وبين الخليج العربي إلى البصرة ، أن القوافل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وأن هذا الأثر العربي ربما وصل إلى بابل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد إذا صدقنا الرأي القائل بأن قانون حمورابي عربي وأن العربية كانت لها جولات في هذه الأصقاع فلفظ الحوز مثلا يطلق في

(3) نقلا عن : Child., Ancient East, p. 216 :

- (4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود أسماء عربية فملك مصر في عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب ابن معاوية (الكامل لابن الأثير ج 1 ص 72 طبعة 1348)
- (5) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ج 1 ص 321) أن أفريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام إلى المغرب كما رجحه ابن خلدون وأن أكثر الأقوال جانحة إلى أن البربر عرب وأن لم يتحقق من أي عرب هم وقد أنكر عربيتهم أبو عمرو بن عبد البر وابن حزم وابن خلدون الذي نقل عن جمهرة ابن حزم (التاريخ ج 6 ص 96) أنه ما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر أن ابن خلدون أغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القنزم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو إلى نهر النيجر إلى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان أنه سلكها مع القوافل التجارية في أواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قراصنة طريق سواحل البحر الأبيض المتوسط ومعلوم أن سجناسة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .
- (6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها أبو الفتوح عام 368 هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المغرب لابن عذاري ج 1 ص 330) .
- (7) مؤرخ روماني 35 - 86 ق. م. في كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولد عام 154 ق. م. وهو ابن أخ Micipsa نجل ماسينيا أمير البربر .
- (8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر إذا صحت الرواية .

## 1 - عناصر الوحدة

وجود الفاظ مشتركة بين العاميتين مع اختلاف بسيط في الشكل والاعراب وهاكم امثلة منها :

- أبو صفار وهو مرض اصفرار العينين والجسم (بوصفير بالمغرب) .
- البراحة الفسحة (يستعمل المغرب اللفظ الفصيح وهو البراح) .
- أح لفظة يخاطب بها الطفل تحذيرا له من الاقتراب الى نار أو نحوها .
- اخوي لمنادة شخص من اجل مخاطبته في امر من الامور (خاصة بالذكور في المغرب) .
- ساس وسيان لاصل البناء .
- البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت والبرام وعاء يعجن فيه العجين البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها الفصيح وهو القدر كما في القاموس .
- اللي بمعنى التي
- ام آح دلالة على الحلوى في لغة الاطفال (ماماح في المغرب) .
- امية اي المائة من الاعداد (مية بالمغرب) .
- ايش بمعنى اي شيء ، وفيها ادماج واختزال .
- البابوج ضرب من النعال وقد اقتبستها عامية الكويت من اللفظ الفارسي بابه بوئسي بينما اقتبسها المغرب عن طريق اللفظة الفرنسية babouche الفارسية الاصل فقال بابوشة وهي نادرة الاستعمال (عدا في بعض الحواضر) .
- الباسور (يستعمل الجمع في المغرب وهو البواسير) .
- الباشا (مصدر تركي مشترك) .
- البابت الذي يرجع اصله الى الامس من طعام وغيره .
- البحرة وهي المستنقع والغدير (البحيرة بالمغرب)
- البدو سكان البادية الواحد بدوي .
- البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت والبرام وعاء يعجن فيه العجين البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها الفصيح وهو القدر كما في القاموس .
- البساسة نبات ( البساس بالمغرب) .
- البصل والبطاط (البطاطة بالمغرب) والبطيخ والعدس واللوييا .
- بغى يبغى بمعنى اراد (وتلفظ يبي في الكويت وفي بعض البوادي المغربية .
- بكرة (بكري في المغرب) .
- البكرة (البقرة في المغرب) .
- البلدة من منازل القمر والبلع كذلك منها سعد بلع (وفي المثل الكويتي اذا طلع البلع الشتاء تطلع وفي المثل المغربي سعد بلع كيجمد الماء في القرع اي الزجاجاة كناية عن البرد القارس خلال هذه المنزلة) .
- البلدية احدى دوائر الحكومة .
- بلم اي اغلق فمه ومنه ميلم اي موكوء الفم .
- بوا : تعبير للاطفال يقصدون به الرغبة في الماء (مبوا بالمغرب) .
- البهلول المعتوه واللفظة معروفة ايضا في بغداد وتطلق على شخص معروف بهلول دانة يقول

- العامة (حسب صاحب الالفاظ الكونية ص 54) — انه اخو هرون الرشيد الخليفة العباسي ويظهر لي ان المقصود هو احمد السبتي ابن هارون الرشيد الذي اشار اليه ابن عربي الحاتمي في جملة الاقطاب وقد ورد ذكره في وفيات الاعيان لابن خلكان (ج 1 ص 66) وقيل له السبتي لانه كان يتكسب بيده في يوم السبت ويتفرغ للعبادة بقية الاسبوع واشار اليه ايضا ابن الجوزي في شذور العقود وصفوة الصفوة وصاحب كتاب التواوين .
- بيش اي باي شيء او بكم . —
- التحسونة الحلاقة (الحسانة بالمغرب) وحسن اي حلق وفي المثل الكويتي « يتعلم التحسونة بروس الكرعان (اي يتوخى الامر من غير وجهه) ومن الامثال البغدادية والمغربية « يتعلم الحجامة بروس اليتامى » كناية عن استغلال المستضعفين الجاوي نوع من البخور اصله من جاوا احدى جزر اندونيسيا .
- الجدف بمعنى القيء (الكدف بالمغرب) . —
- الجنطة الحقيبة (الشنطة) . —
- جاف اي راى (شاف في المغرب) . —
- الحارة : الحي والمحلة . —
- الحاني من حفاء الاقدام وهي كناية عن الفقير المعدم . —
- الحب الحنطة والحرمل والحلبة (نباتان) . —
- حب بمعنى قبل (خاصة في البادية المغربية) . —
- الحريم جماعة النساء . —
- حصن عوذ . —
- حط وضع . —
- حول ما دار عليه الحول (حولى بالمغرب) ويقال ايضا طعام حائل بالمغرب وبغداد اي قديم . —
- الخطر الضيف (مستعمل في بعض البوادي المغربية) . —
- الختمة اي اتمام قراءة القرآن . —
- خنز (خنز الطعام اذا فسد) . —
- الخنفرة الانف الكبير (انف مخنفر اي انف كبير بالمغرب) . —
- الدرويش اي الفقير او السالك من الصوفية (لا يعرف المعنى الاخير بالمغرب) . —
- الريعة صندوق تودع فيه اجزاء المصحف (الريعة في المغرب) . —
- الردحة ساحة الرقص (تطلق على الرقص نفسه بالمغرب) حيث يستعمل الاتباع: الشطحة والردحة . —
- الريح مرض من امراض البطن . —
- الزعر هو السعتر . —
- الزين الحسن الجيد . —
- السحتيت صنف من اللؤلؤ دقيق (كل صغير من الحيوان وخاصة القروود فيقال بالمغرب قرد سحتيت) . —
- السدى مقابل اللحمية . —
- السنسلة (بدل السلسلة وفيه تسهيل ملحوظ في كل العاميات) . —
- الشاوي الراعي نسبة الى الشياه (توجد بالمغرب ناحية تسمى الشاوية تربي فيها الماشية) . —
- وذكر ابن خلدون في مقدمته ، ان من كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر يسمون شاوية . —
- الشاهد السبابة من الاصابع . —
- الشايب الشيخ الطاعن في السن . —
- الشب مادة معروفة . —
- صلع اي حسن راسه والمصلع الحاسر الراس يقال له مقرع في العراق (الاصلع بالمغرب اي الذي لا ينبت له شعر في راسه اما المقرع فهو حليق شعر الرأس) ويقال للقرع الكرع في الكويت . —
- الصيني الاناء من الخزف (الاناء من النحاس في المغرب) . —
- الضو بمعنى النار (معناه النور في المغرب) . —
- طاب اي شفي من مرضه ( طاب اللحم اي نضج بالمغرب) . —
- الطابي هو الطاجن (الطجين بالمغرب ويقال له الطاوة ببغداد في حين تطلق الطاوة بالمغرب على وعاء يشبه الطاجن يكون من معدن) ولعل للفظ

الكويتي مصدرا موحدا مع المصطلح المغربي لان الطياب هو الطبخ وآلة الطبخ تسمى طبعا الطبي .	—	الفلس نقد نحاسي .
الطار : الدف الكبير (الطر بالمغرب) والطرار معناه في المغرب الضارب على الطر وهو بمعنى الشحاذ في الكويت .	—	الفوطه المنشفة والمنزر .
الطاسة الكاس من نحاس .	—	الكحة السعال .
الطبخة : طبخة من الشاي اي كمية بسيرة تكفي لمرة واحدة .	—	كنخ كلمة نهى عن القرب من شيء قذر .
الطنا الغيظ يقال اطناني اي اغاظني .	—	كرفسه اذا القاه على الارض .
الطيز اللبر وقد اشار اليه الخفاجي في « شفاء الغليل » كلفظ عامي مبتدل .	—	محار وعاء صدفى يعيش في داخله حيوان بحري صغير .
العرضة حفلة الزواج (مطلق دعوة لحفل بالمغرب) .	—	مرفاعة رف معلق (مرفع بالمغرب) .
المزينة الدعوة الى مائدة (المزومة في بعض اقاليم المغرب) .	—	المشموم ما يشم من رياحين وغيرها وهو يطلق في الكويت على الريحان خاصة .
العشر المكس على المال (الزكوات والاعشار بالمغرب) .	—	المطهر المرحاض .
المصيد (المصيدة بالمغرب) .	—	المكبة غطاء من خوص او معدن يغطى به صحن الطعام (مكب بالمغرب) .
العمارية ظلة هرمية مثل السقيفة (المحفة بالمغرب) .	—	الموسدة (الوسادة بالمغرب) .
العود المنديل او الآلة الموسيقية المعروفة .	—	المينة أي الميناء (المرسى بالمغرب) .
العيال الاولاد الصغار تستعمل لهذا المعنى في شمال المغرب وتطلق ايضا على النساء في بعض الحواضر .	—	النباح عواء الكلب (النبيح بالمغرب) .
الغربي الهواء يهب من جهة الغرب .	—	النيلة مادة عطارية زرقاء لصبغ الملابس .
الفار والفتر (ما دون الشبر) والفحم .	—	واجد اي كثير (موجود اي بكثرة في المغرب) .
الفكع اي الكماة من الفقع في الفصحى (الفقاع بالمغرب) .	—	ودره اي ابعده ونحاه (بمعنى ضيعه بالمغرب) .
	—	الوزار (الازار بالمغرب) ومنها adirer بالفرنسية
	—	الوسم اول مطر الربيع (لفظ كويتي فصيح لا وجود له بهذا المعنى بالمغرب) .
	—	الوزة واحدة الوز وهو البط الكبير .
	—	الوفرة منطقة فيها مجموعة آبار (الشعر الطويل بالمغرب وهو فصيح) .

## 2 - نقط الاختلاف

وقد تستعمل العليتان نفس الالفاظ اما لدولين مختلفين بالاضافة الى معنى مشترك مع الفصحى واما لمفهوم مخالف .

- |  |  |
|--|--|
| — الجتاية عصائب المرأة (تطلق على القصة من الشعر وتكتب القطاية) .   | — فالادب معناه حسن السلوك ولكن معناه ايضا المرحاض في الكويتية (1) .  |
| — الجراقية (بالجيم) وهي المفرقات يلعب بها الصبيان ولعل اصلها عربي (2) ( الحراقيات بالحاء في المغرب وهي اقرب الى المفهوم العربي الفصيح) . | — البابر منكر الجميل وفي المغرب الكاسد من بارت السلعة وهي جملة مستعملة ايضا في الكويت والبصرة (ويقال في المغرب ايضا الفتاة البابرة بمعنى العانس) . |
| — حرامي لص (يطلق في المغرب على صاحب الحيلة الذي يرتكب اعمالا غير مشروعة) .   | — البارة قضيب حديدي (اصلها bar الانجليزية واقتبسها المغرب من الفرنسية barre  |
| — الحسن (بكسرتين) هو الزنجفر ( الزنجفور بالمغرب والزنجفر ببغداد) .   | — الباصح وصف لطعام لا ملح فيه او كلام لا معنى له ، وهي معروفة بالبصرة ولكن يقال ماصخ في بغداد وباسل في المغرب .                                    |
| — خز (خزر في المغرب) .   | — البروة وثيقة تملك بيت او دكان ونحوهما (الرسالة والالوكة بالمغرب وينطق بها البرا جمعا براوات  |
| — دادة تعني الاخ والاخت والزميل من اللذات (يقصد الامة المربية المعجوز بالمغرب ولها نفس معنى الداية في الشرق) .                           | — بس اداة زجر واسكات (وهي اداة استدعاء للهر بالمغرب او دعوة الطفل الى البول) .   |
| — الزرب الفار في الارض (الزرب والزربية بمعنى حظيرة الغنم بالمغرب) .  | — بيع عبارة عن الاستغراب والتشكي من صفة سيئة (شخص يخوف به الاطفال في مصر والمغرب وقد حول في المغرب الى بيعو) .                                     |
| — الزفان الراقص (مستعمل بالمغرب في بعض الاقاليم العربية الاصل مثل ناحية زعير والشاوية) .   | — البفاك الشهقة بمعنى الفواق (الفواق بالمغرب) .  |
| — الزك التفوط (الدبر بالمغرب) .  | — البلوغ الوصول الى الغاية (ومعناه في بغداد والمغرب سن الرشد فيقال بلغ اكتفاء بها عن قولهم بلغ سن الرشد) .   |
| — الزوان لؤلؤ ناعم (معناه في فارس والعراق والمغرب دقيق مثل الحنطة) .   | — البنت تطلق على المرأة ولو كانت عجوزا ( خاصة بالفتاة في المغرب) .   |
| — شربات قهوة خفيفة (ماء مخلوط بسكر وماء ورد بالمغرب والعراق) .   | — البوص اقلام القصب ويرى الدكتور احمد عيسى في المحكم بانها كانت لفظة مصرية قديمة .   |
| — الصر حفظ الشيء في صرة (والعامية المغربية تستعمل الصر بمعنى البرد القارس والصررة بمعنى الكيس وهما من الفصحى) .                          | — ويرى الشيخ جلال الحنفي انها تركية بمعنى مكن يريض فيه للصوص وتستعمل في المغرب بمعنى الكسل عن الحركة والجمود في المكان .                           |
| — صيف عن الجماعة اي تخلف (صيف في المغرب اصطياف) .  | — التلقين اي تلقين الموتى وهو غير معروف عند اهل الكويت ولكنه يعرف في المغرب وفي جزيرة فيلجة ومعناه تلقين الموتى الشهادة بعد دفنهم .                |
| — الطرشة : السفرة (في المغرب واحدة الطرش اي لكمة يصاب الرجل من جرائها بالطرش اي الصمم) .   |  |

(1) اقتبسنا بعض المصطلحات الكويتية من « معجم الالفاظ الكويتية » للشيخ جلال الحنفي البغدادي (طبعة بغداد 1383 - 1964) .

(2) معجم الالفاظ الكويتية ص 85 .

- مكهوي صاحب القهوة وساقها ( قهوجي في المغرب وهي من الالفاظ العامية المغربية النادرة التي توجد فيها ياء النسبة التركية ) .
- نط اي قفز وهي فصيحة (نطع بالمغرب) .
- اليد بتشديد الدال بمعنى الجد (اليد في المغرب وهي لفظة فصيحة) .

وتستعمل العامية الكويتية الفاظا فصحي مع تحريف في بعض حروفها في حين يستعمل المغرب الشكل الفصح مثل الجافلة (القافلة) والجسوم (القدم) والجربة (القربة) والجبي (الكي) والحمش (الحمص) والمكرب (المقرب) والمكل (المقل) والكصر (القصر) وكضب (مقلوب كبض بمعنى قبض) والكلب (القلب) والكمز (القمر) والكهوة (القهوة) والكيصرية (القيصرية للسوق) والكيطان (القيطان) والمكام (المقام) والمكلى (المقلى أو المقلدة) بينما تستعمل الكويت في لهجتها الدارجة كثيرا من الالفاظ العربية الفصحى ليست مزاولة في المغرب (1) بهذا المدلول الاصيل .

ومن امثلة ذلك البراسيم (الحرير) والتكة (وعاء من الصفيح وهي تطلق في المغرب على النعل البالي) ومن غريب ما لمسنه خلال جولتنا للخليج العربي وخاصة الكويت وقطر والبحرين ان هنالك عامية عريقة في الفصحى مثل الدمجانة التي اطلق عليها مجمع اللغة العربية لفظ الدبة وهي قارورة الزيت ونحوه بينما اقتبسها الفرنسيون لنفس الدلالة Dame-Jeanne ففرنسوها اي افرغوها في قالب لاتيني صرف لا يؤذن بأصلها العربي وقد وجدنا في ساحة المتحف الاثري بالكويت خباء عربيا مضروبا استفسرنا عن اسماء بعض اجهزته فكانت كلها عربية .

- الطنجرة نداء الشاة ( الطنجير والطنجرة بمعنى القدر في المغرب وهي فصحي) .
- العايل الطفل الهزيل من رضاع امه الحامل (يطلق في المغرب على الطفل عامة، في حين ان المعنى المذكور يعبر عنه بالمنايل بالفين من القبيلة وهي ارضاع الحامل لولدها .
- العص نهاية العظم الفقري (المعصوص بالمغرب) وفصيحه المعصص والمعصوص .
- الموعو لفظ يفزع به الاطفال (بوعو بالمغرب) .
- الفرور السيلان (الفرور الخطر ومنه بيع الفرور) .
- الغيرة النهم في الاكل (الغيرة بمعناها الفصيح بالمغرب) .
- الفظام عظم يكبس به على اكف الفواص (معناه الفصال بالمغرب) .
- اللبوة اي اللبا وهو اول الحلببة بعد الولادة يستعمل المغرب النبوة بمعنى انثى الاسد واللبا بمعناه الفصيح) .
- المحاحة صفار البيض (المح بالمغرب وهو فصيح)
- المداس نعل جلدي تلبسه النساء وهو فصيح (لا يعرف بهذا المعنى بالمغرب) .
- المسمار القرنفل (يستعمل بمعناه الفصيح بالمغرب) .
- المشبك حلية لشد الخمار وغيره عند المرأة ، وهو فصيح لا يعرف بالمغرب وكذلك المشجب وهو ما تعلق عليه الملابس .

(1) تستعمل بالمغرب آلاف الكلمات ذات اصل عربي فصيح اشرنا اليها في كتابنا « الاصول العريية والاجنبية في العامية المغربية » .

راجع معاجم العامية  
فى  
الجزء الثانى من هذا المجلد